بسم الله الرحمن الرحیم

موسوعة

أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح

تأليف

محمّد الساعدي

الجزء الثاني

نشر

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

سرشناسه : ساعدی، محمد، ۱۹۲۳ – م.
عنوان و پدیدآور : موسوعة اعلام الدعوة والوحدة والاصلاح / محمد ساعدي.
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، المعاونية الثقافية، ١٤٣١ق.=١٣٨٩.
مشخصات ظاهری : ۲ج.
شابک : ۱۱۰۰۰۰ریال: 978-964-167-137-4؛ ج.۱: 978-964-167-139-8؛ ج.۲: 978-964-167-138-1
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
موضوع : اسلام -- تجدید حیات فکری
موضوع : اصلاح طلبان – کشورهای اسلامی
موضوع : تقریب مذاهب
موضوع : وحدت اسلامی
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی.
رده‌بندی کنگره : ۱۳۸۹ ۸ م ۱۴س/۲۲۹ BP
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۴۸
شماره کتابشناسی ملی : ۲۱۳۱۰۵۶

کتابخانه
شماره ثبت :
٥٩٨٤٦
تاریخ ثبت :

اسم الكتاب: موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح /ج ٢
المؤلف: محمّد الساعدي
طبع ونشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية
الطبعة: الاولى – ١٤٣١هـ.ق ٢٠١٠ م
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
السعر: ١١٠٠٠٠ ريال
ردمك: 978-964-167-137-4؛ ج.١: 978-964-167-139-8؛ ج.٢: 978-964-167-138-1
العنوان: الجمهورية الإسلامية في ايران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ – ١٥٨٧٥
تلفكس: ٨٨٣٢١٤١٢ – ٢١ – ٠٠٩٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

﴿ حرف الفاء ﴾

فتحي الشقاقي

فتحي إبراهيم الشقاقي: مناضل سياسي فلسطيني، ومن رجال التقريب.

ولد في مخيّم رفح (غزّة) سنة ١٩٥١ م لأُسرة نزحت إليها بعد نكبة عام ١٩٤٨ م، ودرس في فلسطين ومصر، وفي جامعة بيرزيت درس الرياضيات، واشتغل بالتدريس، وتخرّج طبيباً سنة ١٩٨١ م من كلّية الطبّ بجامعة الزقازيق، ومارس الطبابة بالقدس وغزّة، وأنشأ النواة الأُولىٰ لتنظيم «الجهاد» في مصر سنة ١٩٧٤ م - ١٩٨١ م، وكان في سنة ١٩٨١ م يكوّن مركز أبحاث مجلّة «المختار الإسلامي»، وكان يوقّع مقالات باسم «عزّ الدين الفارس»، وسجن مراراً، وعاد إلى فلسطين المحتلّة، وشرع في نشر خلايا تنظيم الجهاد الإسلامي (غزّة والضفّة الغربية) وأضحى أمينها، وعمل طبيباً في مستشفىٰ فيكتوريا (القدس)، وسجن سنة ١٩٨٣ م، ثمّ جرىٰ إبعاده سنة ١٩٨٨ م إلى جنوب لبنان، ثمّ استقرّ بدمشق.

كان متأثّراً بالثورة الإسلامية في إيران، ومعجباً بجماعة الجهاد الإسلامي في مصر، وكان لجماعته دور بارز في المقاومة والعمليات الفدائية.

استُشهد بيد الموساد في مالطا بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٩٥ م، ونقل جثمانه إلى دمشق، فدفن فيها.

كان الشقاقي رجلاً تقريبياً بكلّ معنىٰ الكلمة، وله مقال مشهور بهذا الشأن عنونه بـ «السنّة والشيعة ضجّة مفتعلة ومؤسفة».

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٤٦٦، إتمام الأعلام: ٣٠٨ - ٣٠٩، المعجم الوسيط فيما يخص الوحدة والتقريب ١: ٤٦١ - ٤٦٢).

فتحي يكن

فتحي محمّد عنايت المعروف بفتحي يكن نسبةً إلى جدّه لأُمّه: سياسي، وعالم دين لبناني، ورئيس جبهة العمل الإسلامي في لبنان، والرئيس السابق للجماعة الإسلامية في لبنان، وأحد دعاة الوحدة البارزين.

ولد عام ١٩٣٣م في طرابلس بلبنان، وتعود أُصول عائلته إلى تركيا، فوالده محمّد عناية ووالدته عائشة يكن، وهو متزوّج من السيّدة منى حدّاد، وحائز على دكتوراه في الدراسات الإسلامية واللغة العربية.

أسّس مع زوجته جامعة إسلامية خاصّة، وهي جامعة الجنان بطرابلس، وامرأته من القليلات بين نساء الحركة اللّاتي عرفن بجهدهنّ الفكري والدعوي. وله أربع بنات وولد.

انخرط في العمل الإسلامي في لبنان منذ خمسينيات القرن العشرين، وكان من الرعيل الأوّل بين مؤسّسي الحركة الإسلامية في لبنان والتي نشأت في عقد الخمسينيات متأثّرةً بجهود الإخوان السوريّين، وعلى رأسهم الشيخ مصطفى السباعي. أصبح بين سنة ١٩٦٢م وسنة ١٩٩٢م أميراً للجماعة الإسلامية، وهي فرع الإخوان المسلمين في لبنان.

انتخب كعضو في مجلس النوّاب سنة ١٩٩٢م، وأسّس جبهة العمل الإسلامي مع المحافظة على عضويته في الجماعة الإسلامية.

تولّى مبادرة سياسية للخروج من أزمة السلطة القائمة بين الحكومة اللبنانية برئاسة فؤاد السنيورة وحلفائها والمعارضة بقيادة السيّد حسن نصر الله وميشال عون ونبيه برّي، وأمّ المصلّين وخطب الجمعة في أكبر تجمّع للمعارضة يوم الجمعة ٨ ديسمبر ٢٠٠٦م.

تظهر مؤلّفاته ميلاً لكتابات سيّد قطب، على الرغم من أنّ أداءه السياسي يوصف بالمعتدل. وحظي باحترام الوسطين الإسلامي والسياسي اللبناني بشكل عامّ. كما يعدّ يكن من الشخصيات الداعية إلى التقريب بين أهل السنّة والشيعة، حيث سجّلت بعض المصادر مواقف له في هذا الصدد. أبرزها إمامته لجموع المصلّين الشيعة والسنّة في بيروت أواخر سنة ٢٠٠٦م كما مرّ.

توفّي عام ٢٠٠٩م تاركاً عدّة مؤلّفات، ترجم معظمها لعدد من لغات العالم، وتزيد على ٣٥ مؤلّفاً، من أبرزها: مشكلات الدعوة والداعية، كيف ندعو إلى الإسلام، نحو حركة إسلامية عالمية واحدة، الموسوعة الحركية، ماذا يعني انتمائي للإسلام، حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، الاستيعاب في حياة الدعوة والدعاة، نحو صحوة إسلامية في مستوى العصر، المناهج التغييرية الإسلامية خلال القرن العشرين، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، الشباب والتغيير، المتساقطون على طريق الدعوة، قوارب النجاة في حياة الدعاة، المسألة اللبنانية من منظور إسلامي، البيروسترويكا من منظور إسلامي، أبجديات التصوّر الحركي للعمل الإسلامي، قطوف شائكة من حقل التجارب الإسلامية، أضواء على التجربة النيابية الإسلامية في لبنان، تحدّيات القرن الحادي والعشرين في ضوء فقه الفطرة، الإنسان بين هداية الرحمان وغواية الشيطان، القضية الفلسطينية من منظور إسلامي، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي.

عرف بمواقفه المؤيّدة للمقاومة والداعية إلى توحيد الصفّ الإسلامي في مقابل المخاطر التي تواجهها، ولعب دوراً أساسياً في مواجهة الفتنة المذهبية التي خُطّط لها في لبنان الآونة الأخيرة.

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

فضل الله النوري

فضل الله بن عبّاس الكجوري المازندراني الطهراني النوري: أحد أشهر رجال العلم والخطابة والإصلاح الإسلامي في إيران. وصف بكونه شيخ الإسلام والمسلمين وعلم العلم والدين والزعيم المذهبي الروحي في طهران.

ولد سنة ١٢٥٩هـ في قرية لاشك (من توابع كجور بمازندران)، وهاجر ـ وذلك بعد أن أخذ مقدّمات العلوم الشرعية في منطقة كجور وطهران ـ إلى النجف الأشرف وهو غضّ الشبيبة سنة ١٢٨٠ هـ، وتتلمذ على الفقيه الشيخ راضي بن محمّد المالكي النجفي وحبيب الله الرشتي ردحاً من الزمن. ثمّ سافر إلى سامرّاء مع خاله العلّامة حسين النوري الطبرسي

في أوّل المهاجرين إليها بعد الإمام المجدّد الشيرازي سنة ١٢٩٢هـ ، وكان في صحبتهم المولى العارف فتح علي السلطان آبادي ، فحضر درس المجدّد السيّد محمّد حسن الشيرازي ، وكتب تقرير درسه .

وفي سنة ١٣٠٣هـ قفل راجعاً إلى طهران ، واشتغل بالتدريس والبحث والتأليف والإمامة والمرجعية والزعامة ، يعظّم شعائر الله ، وينشر مآثر دينه ، ويرفع أعلام الحقّ ، ويبرز كلمة الحقيقة ، واستمرّ في جهاده ونضاله ضدّ الطغيان والعبث والفساد ، حتّى حكمت بواعث الفساد بشنقه بعدما جابه الإلحاد والمنكر طويلاً ، فمضى شهيداً بيد الظلم والعدوان وضحية الدعوة إلى الله ودينه في ١٣/رجب/١٣٢٧هـ ، ودفن في بلدة قم .

وقد كان في أوائل عمره مؤيّداً لحركة المطالبة بالنظام الدستوري النيابي ، وسعى إلى إقامته بدلاً من النظام الملكي الاستبدادي الحاكم ، ولمّا اتّسعت رقعة هذه الحركة (المشروطة) واندسّ بين صفوفها المغرضون وعملاء الأجانب والماسونيّون وأصحاب البدع للانحراف بها عن غايتها ووجهتها ، ثارت ثائرة المترجم وشرع في تنبيه الناس على هذه المخاطر وعلى المؤامرات التي تحاك من أجل إقصاء الإسلام عن الساحة ومحاولة إحلال النظم العلمانية محلّه . وقد صرّح بذلك في إحدى خطبه بقوله : «أيّها الناس ، لست أرفض المجلس النيابي بوجه من الوجوه ، بل أرى أنّ سعيي في تأسيس هذا الأساس قد فاق سعي الجميع ... إنّ المجلس الذي أُريده هو المجلس الذي يريده عموم المسلمين ، والمسلمون يريدون مجلساً أساسه الإسلام ، لا يخالف القرآن ولا الشريعة المحمّدية» .

وللشيخ النوري مؤلّفات ، منها : رسالة فتوائية (بالفارسية) ، درر التنظيم (منظومة في القواعد الفقهية) ، رسالة حرمة الاستطراق إلى مكّة عن طريق الجبل ، رسالة قاعدة ضمان اليد ، رسالة في المشتق ، الصحيفة المهدوية أو القائمية ، رسالة تذكرة الغافل وإرشاد الجاهل (بالفارسية) ، ديوان شعر (بالعربية والفارسية) . كما قام بجمع فتاوى السيّد محمّد حسن الشيرازي في كتاب «سؤال وجواب» .

(انظر ترجمته في : معارف الرجال ٢ : ١٥٨ ، تكلمة نجوم السماء ٢ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، أعيان الشيعة ٨ :

٤٠٧، الذريعة ١٢: ٢٤٨، الفوائد الرضوية: ٣٥٢ ـ ٣٥٣، معجم المؤلّفين ٨: ٧٤، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٣٠٨ ـ ٩-١٣٠٩، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٢٧، كلشن أبرار (روضة الأبرار) ١: ٤١٩ ـ ٤٣١، كفاح علماء الإسلام: ٨٩ ـ ١١٠، تذكرة الأعيان: ٤٠٧).

فكري عثمان أبو النصر

(محمّد) فكري عثمان أبو النصر: مفكّر مصري، وداعية وحدة.

ولد في قرية (تلبانة) من أعمال مركز المنصورة بمصر عام ١٩٢٧م، ودرس في الأزهر الشريف، وتخرّج من كلّيّة اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٤٥م، وأصبح مدرّساً في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم المصرية وفي الليسية الفرنسية، وعمل فترةً محرّراً في جريدة «الأهرام» بمصر.

من مؤلّفاته: من كفاحنا الفكري، ذكريات خالدة، وغيرهما. وخاله هو الشيخ محمّد عبد المنعم الخفاجي.

يقول في وصف كتاب «وسائل الشيعة» للحرّ العاملي: «كتاب فذّ جامع لأحاديث رسول الإسلام الكريم وأحاديث أهل بيته وعترته الأكرمين والاستدلال بها على صحّة أحكام الدين في العبادات والمعاملات على المذهب الشيعي.

والشيعة مذهب إسلامي عظيم، لا يختلف من حيث العبادات والمعاملات في كثير عن مذاهبنا الأربعة في مصر. وهو إلى الحنفية أكثر تطابقاً، وأقرب شبهاً! كما أنّه من حيث نظرته الفلسفية العميقة لأحداث الإسلام الأُولى يتجاوب مع شعورنا، ولا يختلف عن فلسفتنا، لولا ما يتقيّد به من عدم الأخذ والاستدلال بأيّ حديث آخر مهما كانت قوّة سنده وصحّة ثبوته وروايته، بعكس أهل السنّة الذين يأخذون بهذا وذاك!

والشيعة في ذلك التقيّد بأحاديث العترة الطاهرة لهم حججهم الفلسفية أنّهم هم الذين أحاطوا بالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ونادوا بأحقّيته في الخلافة وأنّه أحقّ بها وأهلها، لقد أحاطوا بهذا الحقّ وناصروه نصراً عزيزاً وتساقطوا من حوله جماعات، إنّه حقّ الإمام علي وخلفه في ولاية المسلمين.

لعمري، اتّجاه من الشيعة ينبئ عن قلوب عامرةٍ بالإيمان، صادقة في الإحساس، حرّة في التفكير، صادقة في العزيمة.. وهو ما يشتهر به إخواننا الشيعة في أقطار المسلمين، في: العراق، وإيران، والبحرين، واليمن، والهند، وباكستان، والبرازيل، و...

ومن الخطأ البيّن أن يعتقد ويظنّ أنّ الشيعة لم تتكوّن إلّا في غمرة تلك الأحداث المروّعة التي أثارها معاوية، لا...

لقد تشيّع الناس لعلي بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) يوم نادى الأنصار بالخلافة، ونادى بها سائر العرب المهاجرين، والقرشيّين من آل الرسول. ولم ينته الخلاف إلّا بعد أن حسمه عمر.

ولمّا لم ينظر لها نظرة فلسفية بعيدة المدى عميقة الغور، فقد أخطأ هذه النظرة الفلسفية التي حقّقت صدقها الأحداث، هي أنّه بخروج ولاية المسلمين عن آل البيت ـ حتّى ولو كانت لأبي بكر وعمر وعثمان ـ قد أصبحت معرّضة لأن ينتزعها الأقوى والأدهى فيما بعد أبي بكر وعمر وعثمان وتصبح هدفاً للطامعين والمغامرين. أمّا لو كانت في آل البيت وحدهم مع العمل بمبادئ الشورى والنصيحة التي أقرّها الإسلام، لو أنّ عمر أيّد هذا الاتّجاه ونظر هذه النظرة وتعمّق هذا التعمّق لما وقعت هذه المآسي، بل لظلّ الإسلام أبد الدهر أعلى مكانةً، وأبسط نفوذاً، وأقوى إشراقاً، وأهدى سبيلاً، ولكانت لنا في الشرق خلافة إسلامية ودولة عربية تصارع دولة الفاتيكان الرومية وقوّة الغرب المادّية.

هذا ما استوحيته من اطّلاعي على هذا الكنز الصادق من الأحاديث في العبادات والتشريع والآداب الإنسانية التي يشتهر بها الشيعة في بقاع الأرض.

والحقّ يقال: إنّ حقيقة مبادئ وفلسفة المذهب الشيعي تكاد تكون مجهولة جهلاً تامّاً في مصر، حتّى في أوساط فقهائنا وعلمائنا السنّيّين! ممّا حدى بأزهرنا الشريف إلى تقرير تدريس المذهب الشيعي وفلسفته في الكلّيات الأزهرية، وهو ما ننتظره ونرجوه؛ لتتوحّد الآراء، وتستقيم الموازين، وتتحقّق الآمال».

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ٣٨ ـ ٤١ و ٢٧١).

فهمي هويدي

محمود فهمي عبد الرازق هويدي: كاتب ومفكّر إسلامي مصري، يعدّ من أبرز المفكّرين الإسلاميّين المعاصرين.

ولد بتاريخ ١٩٣٧/٨/٢٩م في الصفّ بمحافظة الجيزة، وتخرّج من كلّية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٦٠م، والتحق بقسم الأبحاث في جريدة «الأهرام» القاهرية منذ عام ١٩٥٨م، حيث قضى فيها ١٨ عاماً، تدرّج خلالها في مواقع العمل، إلى أن صار سكرتيراً لتحرير الجريدة، وانضمّ منذ سنة ١٩٧٦م إلى أُسرة مجلّة «العربي» الكويتية، وأصبح مديراً لتحريرها.

تخصّص منذ سنوات في معالجة الشؤون الإسلامية، حيث شارك في أكثر ندوات ومؤتمرات الحوار الإسلامي، وقام بزيارات عمل ميدانية لمختلف بلدان العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا، وتولّى التعريف بها في سلسلة استطلاعات مجلّة «العربي».

تأثّر كثيراً بفكر الشيخ محمّد الغزالي، وهو يكثر الاستشهاد بفتاويه واجتهاداته في كتبه. كما ينشط هويدي كعضو في الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، حيث تربطه علاقة وطيدة بالشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محمّد سليم العوّا.

يواظب منذ سنوات على كتابة مقالته الإسبوعية بـ«الأهرام» يوم الثلاثاء وصحيفة «الشرق الأوسط» يوم الأربعاء، ومؤخّراً أصبحت له مقالة يومية في صحيفة «الدستور» المصرية، وتتعرّض مقالته الأُسبوعية في جريدة «الأهرام» إلى المنع كلّ عدّة شهور بسبب تجاوزه الخطوط الحمراء التي تفرضها الأهواء السياسية على تلك الجريدة شبه الرسمية.

كرّس معظم مجهوداته لمعالجة إشكاليّات الفكر الإسلامي والعربي في واقعنا المعاصر، داعياً إلى ترشيد الخطاب الديني، ومواكبة أبجديات العصر، كما تناول كثيراً مسألة الصدام الإسلامي ـ العلماني، وتميّزت تلك الكتابات بمحاولات جادّة لتحرير الخلاف والدعوة لنبذ الغلوّ في الأفكار والأحكام المسبقة على الجانبين، هذا بالإضافة إلى امتلاكه مهارة لغوية قوية وإنشاء فخيم، ممّا أهّله بامتياز أن يكون واحداً من أبرز الكتّاب

العرب والمفكّرين الإسلاميّين المعاصرين .

ولم تمنعه غلبة الهموم الفكرية من الاهتمام بالقضايا المصرية الداخلية ، حيث اعتنى كثيراً في مقالاته بقضايا الإصلاح السياسي والاجتماعي داخل مصر ، بل وخصّص لها عدداً من كتبه ، كما أولى عناية خاصّة بالقضية الفلسطينية ، شأنه شأن معظم الكتّاب العرب ، وتقوم (دار الشروق) على طباعة ونشر معظم كتبه الحديثة .

يذكر أنّ الأُستاذ هويدي ينتمي في الأصل لعائلة إخوانية ، لكنّه انفصل تنظيمياً عن جماعة الإخوان منذ الصغر ، وتمّ اعتقاله أيّام الرئيس جمال عبد الناصر لمدّة عامين ، وكان يبلغ آنذاك السابعة عشرة من العمر ، ويقول : إنّ تلك التجربة أثّرت في حياته كثيراً .

من مؤلّفاته : حدث في أفغانستان ، القرآن والسلطان ، الإسلام في الصين ، إيران من الداخل ، أزمة الوعي الديني ، مواطنون لا ذمّيون ، حتّى لا تكون فتنة ، الإسلام والديمقراطية ، التديّن المنقوص ، المفترون : خطاب التطرّف العلماني في الميزان ، إحقاق الحقّ ، المقالات المحظورة ، مصر تريد حلاًّ ، تزييف الوعي ، طالبان : جند الله في المعركة الغلط ، عن الفساد وسنينه ، خيولنا التي لا تصهل .

يقول ضمن مقالة له نشرتها مجلّة « رسالة التقريب » الطهرانية : « من أسف أن نقرأ غير قليل أنّ المسلمين مشغولون بالتفريق وليس بالتقريب! ليس ذلك مقصوراً على عوام المسلمين وحدهم ، ولكنّه ينطبق أيضاً على النخبة من المثقفّين وأهل العلم . ولعلّ الجدل الذي يثار في وسائل الإعلام بين الحين والآخر حول الموضوع يعدّ نموذجاً لتجلّيات التفريق التي مازالت مترسّبة بين أصحاب المذاهب الإسلامية .

وممّا يلاحظه المرء فيما يخصّ أهل العلم أنّهم في السابق ـ الأربعينيات مثلاً ـ كانوا أكثر حماساً للتقريب بين المذاهب من أقرانهم في التسعينيات ، الأمر الذي يدعونا إلى التفكير في الأسباب التي أدّت إلى ذلك .

لن أُعمّم ، لكنّي سأضرب مثلاً بعلماء الأزهر الشريف ، الذي هو أقدم وأعرق جامعة

إسلامية، حيث أزعم أنني قريب من أجوائه في مصر، بحكم الاعتبار الجغرافي على الأقلّ.

وإذا ألقينا السؤال: لماذا كان حماس أهله في الأربعينيات للتقريب أكبر وأوضح منه في التسعينيات؟ فإنّ الإجابة الحاضرة في ذهني الآن هي: أنّ الفرق بين المرحلتين يمكن في اختلاف طبيعة العلاقة بين العلماء والسلطة في كلّ منهما. ففي ذلك الوقت المبكّر كان الأزهر وعلماؤه يتمتعون بقدر من الاستقلال سمح لهم بأن يتّخذوا مواقف ويعبّروا عن آراء حرّة يبتغون بها وجه الله دون أن يكون للسلطة شأن بها. وكان ذلك بعضاً من تجلّيات المرحلة الليبرالية النسبية التي عاشتها مصر آنذاك. في التسعينيات، في ظلّ استمرار تراجع الهامش الديمقراطي وتعاظم دور الدولة، لم يكن بمقدور العلماء أو الأزهر أن يتحرّكوا بعيداً عن سلطان الدولة ولا سياساتها. ولذلك فإنّ الخلاف السياسي مع إيران أدّى تلقائياً إلى تراجع عملية التقريب، بل وفتح الباب في أقطار عربية عدّة ـ وليس في مصر وحدها ـ لتعميق التفريق، وتقديم التخاصم والتقاطع على التلاقي والتفاهم، وكانت النتيجة أن تراجعت علائق السنّة والشيعة عمّا كانت عليه قبل نصف قرن مضى.

بكلّ المقاييس فأوضاع التسعينيات أفضل بكثير من أوضاع الأربعينيات، فهذه الأخيرة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية كانت مسكونة بأجواء الإحباط واليأس.. كانت الخلافة الإسلامية قد أُلغيت في تركيا، وكان العالم العربي كلّه تقريباً يرزح تحت الاحتلال، وبدا الغرب في أوج قوّته، منتصراً في الحرب ومستعلياً كنموذج حضاري. ومع ذلك فقد انتعشت حركة التقريب على نحو مدهش كما سنرى بعد قليل.

في الثمانينيات والتسعينيات كانت المشاعر الدينية قد تعالت مؤشّراتها، وسرى الانتعاش بدرجة أكبر في المجتمعات الشيعية التي استقبلت بحفاوة حدث الثورة الإسلامية في إيران. ورغم أنّه من المفترض في هذه الأجواء أن تكون الظروف مواتية للتقريب بدرجة أكبر، إلّا أنّ ذلك لم يحدث للأسف الشديد؛ لأنّ رياح السياسة وضغوطها أصبحت أقوى، الأمر الذي لم يوفّر لجهود التقريب الدفعة القوية المرجوّة.

وسواء اتّسمت جهود التقريب بالبطء والحذر الآن، أو أنّ أصوات دعاة التفريق ما زالت تجد من ينصت إليها ويستجيب لها، فإنّ تجربة التقريب التي تمّت في الأربعينيات وتواصلت حتّى أوائل التسعينيات تظلّ تجربة رائدة جديرة بأن نستحضرها ونتأمّلها ملياً.

وقبل استحضار تلك التجربة فإنّني أُلفت النظر إلى أنّ ما ذكرته عن أوضاع التقريب في الوقت الحاضر يصف الوضع على جملته، الأمر الذي لا ينبغي أن يصادر أصواتاً وجهوداً دافعت بإخلاص عن التقريب وعن وحدة الأُمّة الإسلامية، غير أنّ هذه الجهود ظلّت استثنائية، وتعبّر عن مواقف أفراد لا مؤسّسات، وبالتالي فإنّ ثمارها ظلّت محدودة الأثر والنطاق».

فيض الأقطاب صدّيقي

فيض الأقطاب صدّيقي: رئيس كلّية الحجاز في بريطانيا، ورئيس الطريقة النقشبندية الصوفية الحجازية، وعضو الجمعية العامّة للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

في المؤتمر الدولي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي انعقد في لندن بتاريخ (٢٣ـ ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٧م) تحت عنوان: «التقريب بين المذاهب من ضرورات الواقع الإسلامي المعاصر» أكّد الأُستاذ صدّيقي فيه على أنّ التقريب ضرورة ومطلب أساسي للمسلمين عموماً وفي هذا المقطع الحسّاس بشكل خاصّ، ولا يمكن بحال الإغفال أو عدم الاكتراث بمشروع التقريب اللازم تحقيقه رغم ضخامة التحدّيات. ولا زال الأمر قائماً والحاجة ملحّة لتعميم ثقافة التقريب وتفعيلها مشاريع عمل لتعزيز مفاهيم الأُخوّة والتحابب والودّ والأُمّة الواحدة، لتحلّ محلّ خطاب التعصّب المذهبي والطائفي، لا سيّما في وقت يشهد تصعيداً في مديات التحدّي في وجه هذه الأُمّة التي وصفها الله بأنّها خير أُمّة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠). ولا زالت بعض مراكز الإعلام والقرار هنا وهناك تنال في خطابها ـ وذلك من خلال مؤسّساتها ومراكزها ووسائلها الإعلامية ـ من مكانة القرآن الكريم ومقام النبي

المصطفى محمّد ﷺ، واقتضت الحكمة أن يتعامل المسلم مع الآخر في ضوء ما يأمر به القرآن الكريم من خلال قوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)، وأن تنتهي وتستوعب هذه الاتّهامات الباطلة المنفّرة للعلاقات الطيّبة بين أتباع الديانات التوحيدية والمعكّرة لصفو هذا الإخاء الإنساني، لكن على ما يبدو لا زالت هناك أبواق مضلّلة وأياد تدفعها من أجل حرمان الإنسان من التعايش السلمي والتآلف والودّ».

❊ ❊ ❊

﴿حرف الكاف﴾

كليم صدّيقي

كليم صدّيقي: مفكّر وداعية إسلامي كبير، رئيس البرلمان الإسلامي لمسلمي بريطانيا، ورئيس المعهد الإسلامي بلندن، وعضو المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد سنة ١٩٣٣ في مدينة «سلطان بور» الهندية، وانتقل إلى الباكستان بعد انفصالها عن الهند سنة ١٩٤٧ م، وفي سنة ١٩٥٤م هاجر إلىٰ بريطانيا، وعمل في مجال الصحافة، وأنهى دراسته الجامعية حتّى مرحلة الدكتوراه في الجامعات البريطانية، وفي سنة ١٩٧٤م افتتح المعهد الإسلامي بلندن، وفي سنة ١٩٨٠ م أصدر صحيفة «الهلال الدولي» التي حملت هموم المسلمين الرساليّين وتطلّعاتهم، وفي سنة ١٩٩١م أسّس البرلمان الاسلامي لمسلمي بريطانيا، وفي سنة ١٩٩٣ أقدم على تأسيس بيت المال الإسلامي.

وقد عمّم صدّيقي النظرة المعادية للقومية في كلّ مستويات الطرح دون اعتبار للخصوصيات الإقليمية في التجارب التاريخية، فهو يجعل من القومية على طول الخطّ صنيعة للاستعمار وأداة لسياسات التفسيخ في الأُمّة الإسلامية. وقد وضع اصطلاح «سياسات التفسيخ والكفر» للإشارة إلى سياسات الفرقة وبذر الشقاق بين أبناء الأُمّة الإسلامية الواحدة، والتي لا بدّ من مواجهتها بسياسات التوحيد والعزّة، على حدّ تعبير الدكتور رفعت سيّد أحمد مدير مركز يافا للدراسات والأبحاث في القاهرة.

وإلى جانب هذه النشاطات العلمية كان له الباع الطويل في مجال الفكر، فكتب عشرات المقالات والدراسات، وألّف عدّة كتب، منها: الصراع في باكستان، الحركة الإسلامية، في اتّجاه أهداف جديدة، دور الصراع العالمي في مسألة باكستان، وضع العالم

الإسلامي اليوم، خلف كواليس البلدان القومية في العالم الإسلامي، مراحل الثورة الإسلامية، التوحيد والتفسيخ بين سياسات الإسلام والكفر، مسائل الحركة الإسلامية، ويقع الكتاب الأخير المزبور في (٨) مجلّدات.

وكان آخر مشاريعه العملية إقامة مؤتمر عالمي حول السنّة النبويّة، إلاّ أنّه قد أدركه الأجل دون تحقيق هذه الأُمنية، فتوفّاه الله تعالى سنة ١٩٩٦ م.

(انظر ترجمته في: مستدركات أعيان الشيعة ٢: ١٤٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٢٩٧ و ٢: ١٧).

كمال الهلباوي

الدكتور كمال توفيق الهلباوي: داعية إسلامي، والمتحدّث السابق باسم التنظيم العالمي للإخوان المسلمين في الغرب، والرئيس المؤسّس للرابطة الإسلامية في بريطانيا، وكاتب مصري.

ولد عام ١٩٣٩م، وتخرّج من كلّية الآداب عام ١٩٦٠م، كما تخرّج من الجامعة الأمريكية بالقاهرة (إدارة أعمال) عام ١٩٧١م.

وهو رئيس للرابطة الإسلامية في بريطانيا، وهو أيضاً رئيسها المؤسّس، ويشغل حالياً منصب رئيس مجلس إدارة المؤسّسة الإسلامية للاستثمار MIC، بالمملكة المتّحدة، ابتداءً من عام ١٩٩٧م.

وهو عضو في لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس الإسلامي الأُوروبّي، والمتحدّث الرسمي باسم التنظيم العالمي للإخوان المسلمين في الغرب قبل استقالته من المنصب عام ١٩٩٧م، ومستشار مركز الدراسات السياسية بالمملكة المتّحدة، منذ ١٩٩٤م وحتّى ١٩٩٧م، ومدرّس جامعي بأكاديمية الدعوة بالجامعة الإسلامية العالمية، منذ ١٩٨٨م وحتّى ١٩٩٤م، ومستشار ومحاضر معهد الدراسات السياسية بباكستان، منذ ١٩٨٨م وحتّى ١٩٩٤م، ومستشار الهيئة العربية للتعليم بالمملكة العربية السعودية، منذ ١٩٨٢م وحتّى ١٩٨٧م، ومنسّق الاتّصال ببيت الرفاه الإسلامي بالمملكة المتّحدة، منذ ١٩٨٠م

وحتّى ١٩٨١م، وعضو مؤسّس للندوة العالمية للشباب الإسلامي WAMY، ثمّ مدير تنفيذي لها منذ ١٩٧٣م وحتّى ١٩٨٠م، ومتخصّص في الدراسات الإستراتيجية.

من مؤلّفاته: كتاب «السياسة الأميركية في الشرق الأوسط»، و«الإستراتيجيات الدولية في القضية الأفغانية».

يشارك الهلباوي في صفحة وجهات نظر على «الجزيرة نت» معبّراً عن وجهة نظره الخاصّة في عدد من قضايا العالم العربي والإسلامي، ومنها: وقائع الأحداث وبناء المستقبل، والأمن المنشود والحقّ المفقود، والتفكير الإستراتيجي الأميركي.. سمات ومقوّمات، وأزمة الأمّة الإسلامية المعاصرة وغياب التفكير، وأفغانستان.. الماضي القريب والحاضر والمستقبل.

* * *

﴿حرف اللام﴾

لالة الافتخاري

الدكتورة لالة محمّد حسين افتخاري: أُستاذة جامعية إيرانية مرموقة، وعضوة في مجلس الشورىٰ الإسلامي، وداعية تقريب.

ولدت في مدينة شاهرود الإيرانية لأُسرة معروفة بالعلم والتديّن، ودرست الابتدائية في مسقط رأسها، غير أنّها تركت الدراسة فترةً من الزمن رعاية للأُصول الدينية وحفظاً للحجاب، والتي كان من الصعب التمسّك بها آنذاك تحت ظلّ الحكم البهلوي، ومن هنا قامت بتدريس بعض العلوم الحوزوية للنساء.

وفي سنّ السادسة عشرة قامت بالتدريس في الحوزة العلمية بسمنان، كما قامت فترة من الزمان بإدارتها، غير أنّها وبعدة عدّة أشهر اضطرّت إلى العودة إلى مدينتها بسبب مضايقات جهاز الأمن (السافاك).

تزوّجت مع زوجها (الشهيد محمّد علي عامريان) قبل سنة من انتصار الثورة الإسلامية، واضطرّت إلى عدم إكمال دراستها؛ لقيامها بتربية أولادها الصغار، ومن بعد ذلك درست، فحصلت على شهادة المتوسّطة سنة ١٣٦٨ هـ. ش، وفي نفس تلك السنة اشتركت في امتحان البكالوريا، فقبلت في فرع الإلهيات بجامعة مشهد سنة ١٣٦٩ هـ. ش، وأنهت دراستها بمعدّل عالٍ سنة ١٣٧٣ هـ. ش، واشتركت في نفس هذه السنة لنيل شهادة الماجستير، فحصلت على الرتبة الأُولى في علوم القرآن والحديث من جامعة طهران و«تربيت مدرّس». في سنة ١٣٧٥ هـ. ش اشتركت في دورة الدكتوراه، فنالت المرتبة الأُولى على أقرانها، كما انتُخبت بعنوان «الجامعية الأُولى والمثالية» في بلدها للسنوات ١٣٧٥ ـ ١٣٧٦ ـ ١٣٧٧ هـ. ش.

لها ثلاثة أولاد، أكبرهم حسين، وهو يدرس في كلّيّة القانون بجامعة الشهيد بهشتي بطهران، والآخر حسن، وهو في آخر سنوات الإعدادية، وعلي، وهو يدرس في أوّل سنوات الإعدادية.

تعمل الدكتورة افتخاري حالياً رئيسة لجمعية القرآن والعترة في مجلس الشورىٰ الإسلامي، وهي عضوة في هذا المجلس ممثّلة عن أهالي طهران، وهي أيضاً عضوة في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

لبيبة أحمد

لبيبة أحمد عبد النبي: أوّل رئيسة لقسم الأخوات المسلمات في جامعة الإخوان المسلمين، ومصلحة إسلامية.

ولدت سنة (١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م) في أُسرة كريمة عنيت بتربيتها وتعليمها، فأخذت دروساً في منزلها في اللغة العربية على أيدي سيّدات فضليات اشتهرن بتعليم بنات الأُسر الكريمة، كما تلقّت دروساً في السيرة النبوية وآداب الشريعة الإسلامية، ثمّ التحقت بالمدرسة السنية بالقاهرة.

بعد تخرّجها في المدرسة راسلت الصحف بمقالاتها تحت اسم مستعار، ثمّ تركت حياة العزلة وانضمّت إلى الثورة الوطنية المصرية التي اشتعلت سنة (١٣٣٨هـ - ١٩١٩م)، وبجهودها مع هدى شعراوي ونبوية موسى قامت المظاهرة النسائية الكبرى في (١٣/ جمادي الآخر/ ١٣٣٧هـ - ١٦/ مارس/ ١٩١٩م) احتجاجاً على فظائع الإنجليز في مقاومة الثورة الوطنية، وقد لفتت هذه المظاهرة أنظار العالم إلى مكانة المرأة المصرية. وقد ضمّت هذه المظاهرة ثلاث مائة سيّدة، كان من بينهنّ حرم كلّ من: محمود سامي البارودي، وسعد زغلول، وقاسم أمين، وحسين رشدي.

بعد تأسيس الاتّحاد النسائي سنة (١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م) بزعامة هدى شعراوي أخذت سيرة النهضة النسائية بمصر الطابع السياسي، وتأثّرت بالأفكار الأوروبّية، ورأت لبيبة أحمد أنّ هذا لا يعبّر عن السواد الأعظم من النساء المصريات، فأسّست «جمعية نهضة

السيّدات المصريات »، وهي جمعية ذات طابع اجتماعي أخلاقي، تهتمّ بتحسين المستوى الخلقي والديني المستمدّ من الشريعة الإسلامية، وتهدف إلى زيادة فرص التعليم أمام الفتيات، ومحاولة جعله إجبارياً في المراحل الأُولى، بالإضافة إلى العناية بأحوال الطبقة العاملة المصرية، وتشجيع الصناعات الوطنية والتجارة المحلّية.

كانت لهذه الجمعية مجلّة تنطق باسمها عرفت بمجلّة «النهضة النسائية»، ظلّت تصدر عشرين عاماً، حتّى توقّفت سنة (١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م)، وكانت لبيبة أحمد تكتب افتتاحياتها التي دارت حول إصلاح المرأة وترقيتها وتعليمها والحجاب والسفور ومناهج التربية في مدارس الفتيات، وكان يشارك في تحريرها مجموعة من كبار الكتّاب من أمثال الرافعي وشكيب أرسلان وفريد وجدي ومحبّ الدين الخطيب.

لمّا أنشأت جماعة الإخوان المسلمين لجنة للأخوات المسلمات بالقاهرة رأستها لبيبة أحمد، وكانت كبرى لجان الأخوات المسلمات، وتكوّنت بعد ذلك عدّة لجان حتّى بلغن خمسين لجنة سنة (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م) عندما تمّ حلّ جميع شعب الإخوان المسلمين، وكان المرشد العامّ للإخوان حسن البنّا يشرف على هذه اللجان. من نماذج النساء اللاّتي أعدن للأُمّة صورة المرأة في عهد الرسول ﷺ من حيث فهم الإسلام الصحيح والعمل على منهجه السيّدة لبيبة أحمد، إحدى رائدات النهضة النسائية المسلمة في القرن العشرين.

ولدت السيّدة لبيبة ابنة الدكتور أحمد عبد النبي بالقاهرة في ٩/ربيع الآخر/١٢٨٨هـ (١٨٧٥م)، في أُسرة كريمة عنيت بتربيتها وتعليمها، فأخذت بمنزلها دروساً في اللغة العربية والسيرة النبوية وآداب الشريعة على أيدي سيّدات فضليات، اشتهرن بتعليم بنات الأُسر الكريمة، ثمّ التحقت بالمدرسة السنية بالقاهرة كما تقدّم. وبعد تخرّجها كتبت للصحف عدّة مقالات تدعو فيها إلى كريم الخلق والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال الوسائل المتاحة دون يأس أو ملل، حتّى يتحقّق الهدف المنشود. وألّفت «ذكرى علي فهمي كامل».

كانت تقول: «عشت ما عشت حريصة على ذكريات الخير، وفيّة لكلّ من عرفته

فعرفت فيه الفضل والمكارم، متعلّقة بالأمل في توفيق الله وتسديده لخطواتي في كلّ حركة أتحرّكها وسكنة أسكنها، أن يكون ذلك في سبيل مرضاته إن شاء الله تعالى».

لم تقتصر جهودها على ما سبق فحسب، بل عملت على إنشاء دار لليتيمات تتعلّم فيها الفتيات الحياكة والتطريز وصنع المأكل، وكان زوجها سنداً لها على الطريق، وكذا بناتها معيناً لها على دورها.. وإزاء أدوارها الاجتماعية نالت تشجيع الجميع، ولم يقتصر تشجيعها على ذويها فقط، بل تعدّى إلى الملوك والأُمراء أمثال الملك الحسين بن علي.

وقد أرسل كبير أُمناء القصر الملكي في عهد الملك فؤاد برسالة إليها في ٢٢/أُكتوبر/١٩٢٦م يقول فيها: «حضرة السيّدة الفاضلة صاحبة مجلّة «النهضة النسائية».. لقد رفعت إلى أنظار حضرتي صاحبي الجلالة الملكية مجموعتي مجلّتكم الغرّاء، فنالت القبول الحسن لدى جلالتيهما، وإنّي أتشرّف بإبلاغكم ذلك مع الشكر السامي.. وختاماً أرجو قبول فائق الاحترام، السيّدة لبيبة هانم أحمد تحتجب الشرعي الذي يفرضه الإسلام على المرأة المسلمة، وهي في هذا الزي تجمع بين كمال الوقار وجمال التأنّق، وهي بذلك خير مثال المرأة المسلمة في زيّها وحلّتها».

ظلّت السيّدة لبيبة أحمد مستمسكة بدينها، عاكفة على قراءة كتب الشريعة والتاريخ الإسلامي، مجاهدة في تربية بنات الأُمّة وتعليمهنّ أُمور دينهنّ، حتّى وافتها المنية في عام ١٩٥٥م.

(انظر ترجمتها في: الأعلام للزركلي ٥: ٢٤٠، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٢٥٤_٢٦٧).

لينا الحمصي

الدكتورة لينا محمّد حسن الحمصي: داعية إسلامية مهتمّة بشؤون التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولدت في دمشق عام ١٩٦٥م، وحصلت على الماجستير في مقارنة الأديان عام

١٩٨٩ م، وعلى الدكتوراه في الفقه الإسلامي عام ١٩٩٥ م.

شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية الإسلامية والإسلامية ـ المسيحية، وألقت العديد من المحاضرات في إيران ومصر ولبنان وجيبوتي وجنوب أفريقيا وأمريكا والأردن والبحرين والإمارات العربية المتّحدة والسعودية وقطر.

وهي أُستاذة الأديان المقارنة في كلّيتي الدعوة الإسلامية والشريعة الأزهرية التابعتين لمجمع الشيخ أحمد كفتارو ـ دمشق، ومديرة تحرير جريدة «الاجتماعية» السورية، والمديرة العامّة لموقع «مسلمات أون لاين». ولها عضوية في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وفي اللجنة التوجيهية في مجموعة (شهامة) لمكافحة الإيدز. كما أنّها إعلامية في قناة (الرسالة) وقناة (أنا) الفضائيتين، وإذاعة القدس في سوريا، وضيفة في عدد من القنوات الفضائية، كالمنار والحوار والدنيا والكوثر وبغداد والبغدادية وغيرها. وهي متزوّجة، ولها ولد وبنت.

لها عدد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، منها:

١ ـ برنامج (همسات): ويتألّف من مائة حلقة تلفزيونية تتحدّث عن القضايا الاجتماعية بلغة سلسة واقعية جذّابة. قُدِّم هذا البرنامج على قناة الرسالة، وطبع في كتاب، صدر منه عن (دار الرشيد) ثلاثة أجزاء حتّى الآن.

٢ ـ برنامج (باقات رمضانية): ويتألّف من ثلاثين حلقة تتحدّث عن العادات السيّئة التي قد يمارسها بعض الصائمين بشكل يتناقض مع الحكمة والهدف من الصيام. قُدِّم هذا البرنامج في قناة الرسالة، وطبع في كتاب نشرته (دار غار حراء).

٣ ـ برنامج (صحابيّات): ويتألّف من ثلاثين حلقة تتحدّث عن صحابيات رسول الله ﷺ، وتبدأ بالحديث عن السيّدة خديجة بنت خويلد، وتنتهي بالحديث عن أُمّهات النبي (عليه الصلاة والسلام)، مروراً بباقي زوجاته وبناته والسيّدات الفاضلات اللواتي كان لهنّ دور بارز ومميّز في حياته أو في مسيرة الدعوة الإسلامية في عهده (عليه الصلاة والسلام)، قُدِّم هذا البرنامج على قناة الرسالة، وطُبع في كتابٍ نشرته (دار غار حراء).

٤ ـ برنامج (فقه المرأة): ويتألّف من ثلاثين حلقة تتحدّث عن الفقه الإسلامي وأحكامه، وخاصّة عن الأحكام التي تتعلّق بالنساء. قُدّم الجزء الأوّل (الثلاثون حلقة الأُولى) من هذا البرنامج على قناة الرسالة في شهر رمضان سنة ١٤٢٩ هـ، وتوشك قناة (أنا) الفضائية أن تعرض برنامجاً آخر للدكتورة لينا يبحث في الموضوع نفسه من زوايا أُخرى، باسم (مجلس علم)، ويبحث هذا الجزء في أحكام الطهارة والصلاة وختان الإناث وزينة المرأة ونمص الحاجبين والوشم والعمليات التجميلية، وتوشك (دار غار حراء) أن تُصدر هذا البرنامج في كتابٍ عمّا قريب.

٥ ـ برنامج (المرأة بين النصّ والممارسة): وهو برنامج إذاعي تفاعلي، تعدّه وتقدّمه الدكتورة لينا الحمصي على إذاعة القدس بالتعاون مع السيّدة سحر جبريل منذ حوالي سنتين. تبحث الدكتورة لينا في هذا البرنامج الممارسات الخاطئة التي تُلصق بالدين وهو منها بريء، وتبيّن البدائل الصحيحة لهذه الممارسات.

ولها مؤلّفات عديدة، منها: الفوائد المصرفية وشهادات الاستثمار ورأي الشرع فيها، تاريخ الفتوى في الإسلام، المفتون العامّون في سوريا ونماذج من فتاواهم في الأُمور المستجدّة، الإسلام والمسيحية: دين واحد وشرائع شتّى، مسيرة النور بين المسلمين والمسيحيّين عبر العصور، ابتلعته أمريكا (مجموعة قصصية هادفة)، الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز (مجموعة قصصية للناشئة)، يوميّات فهيم وسرحان (مجموعة قصصية للأطفال)، همسات، صحابيّات، فقه المرأة.

❁ ❁ ❁

«حرف الميم»

مالك بن نبي

مفكّر إسلامي بارز، يعدّ أحد المفكّرين الإسلاميّين الذين قدّموا رؤاهم لنهضة بلادهم على هدي القرآن الكريم للخروج من مأزق التخلّف والتبعية، فاهتمّ بالوقت باعتباره ممرّاً يدخل المجتمع من خلاله التاريخ أو يخرج منه، وبالفعّالية على أنّها فهم جوهر الإنسـان، وبالتاريخ وعلاقتهما الواحد بالآخر، وبالحضارة على أنّها جملة العوامل المادّية والمعنوية التي تتيح للمجتمع أن يوفّر لكلّ فرد من أعضائه الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدّمه.

ولد مالك بن نبي في «قسنطينة» بالجزائر عام ١٩٠٥ م، ودرس القضاء بالمعهد الإسلامي المختلط، وفي عام ١٩٢٨ م تعرّف على الشيخ عبدالحميد بن باديس، وعرف قيمته التربوية والإصلاحية، وانتقل إلى باريس، فنال شهادة الهندسة الكهربائية من المعهد العالي للهندسة سنة ١٩٣١ م، وتزوّج هناك من فرنسية أسلمت واتّخذت خديجة اسماً لها، فلم تنجب له، فتزوّج من ثانية بعد وصوله إلى مصر سنة ١٩٥٦ م. وفي باريس أصدر عدداً من كتبه المهمّة.

وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلات العالم المتخلّف بوصفها قضية حضارية، فوضع كتبه كلّها تحت عنوان كلّي هو «مشكلات الحضارة».

وفي عام ١٩٥٦ م لجأ إلى القاهرة، فأقام بها، وأصدر فيها بعض كتبه، وكان غالب ما يكتب بالفرنسية والتي ترجمها إلى العربية المفكّر المصري الدكتور عبدالصبور شاهين.

عاد إلى الجزائر بعد استقلالها سنة ١٩٦٣ م، فعيّن مديراً عامّاً للتعليم العالي، واستقال من منصبه عام ١٩٦٧ م متفرّغاً للعمل الفكري حتّى وفاته عام ١٩٧٣ م في عاصمة الجزائر بعد زيارة للبنان سنة ١٩٧١ م أودع خلالها وصيته للمحامي عمر المسقاوي «نائب

ووزير»، والذي تولّى نقل أعماله مع آخرين إلى العربية ونشرها عام ٢٠٠٠ م.

من مؤلّفاته: الظاهرة القرآنية، لبّيك، الفكرة الأفروآسيوية، فكرة كومنولث إسلامي، ميلاد مجتمع، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، دور المسلم ورسالته في القرن العشرين، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مذكّرات شاهد القرن، المسلم في عالم الاقتصاد، بين الرشاد والتيه، مجالس دمشق، مجالس تفكير، دراسة حول النصرانية، آفاق جزائرية، من أجل التغيير، القضايا الكبرى، الإسلام والديمقراطية.

إنّ العالم الاسلامي الذي عرف أوّل قطيعة داخلية إبّان معركة صفّين في ٦٥٩ م قد توقّف عن التقدّم في نظر مالك بن نبي منذ نهاية دولة الموحّدين في ١٢٦٩م. فمنذ ذلك التاريخ كفّت روح الاسلام الخلّاقة عن إحياء المسلمين، ففقد المسلمون روح المبادرة وعاشوا على الذكرايات والتغنّي بالماضي. كما أصبحوا علاوة على ذلك فريسة سهلة للاستعمار، وعاملتهم أوروبّا على هذا الأساس. ولئن زادت أوروبّا من حالة الفوضى التي آل إليها مصيرهم بلجوئها إلى استعمارهم، فقد أرغمتهم أيضاً بالمقابل على البحث عن طريقة عيش تتناسب وشروط حياتهم الجديدة. وقد سلكوا في هذا السبيل طريقين: طريق الإصلاح وطريق الحداثة. لكن أيّاً من هذين التيّارين لم يذهب إلى مصدر وحيه بالذات كيما يعطي النتائج المرجوّة منه، فقد ظلّت الفوضى هي السائدة في صفوفهم، وتتجلّى هذه الفوضى في حياة المسلمين اليومية في أشكال عدّة، يذكر مالك بن نبي من بينها: الخضوع لقانون الصدفة، انعدام المبادرة، التعلّق بالشيء لا بالفكرة، النزوع إلى القول لا إلى الفعل، الشلل على الصعيدين الخلقي والفكري. ولئن عجزت أوروبّا عن أن تنير أمام المسلمين طريق التجديد، نظراً إلى أنها لم تعط العالم إلّا «سديمها المميّز» عندما جعلت من «مشعل الحضارة شعلة محرقة»، يتعيّن على المسلمين أن يهتدوا بأنفسهم إلى هذا الطريق بدون أن يعزلوا أنفسهم داخل عالم ينزع إلى التوحيد، وبدون أن ينفصلوا عن حضارة تمثّل رغم كلّ شي تجربة إنسانية عظيمة. ويتعين عليهم، على العكس من ذلك، أن

يحدّدوا علاقاتهم مع هذه الحضارة، وأن يسعوا إلى تحقيق «إصلاح صوفي الطابع» يسمح لهم بأن يعيشوا الإسلام «الدين الكامل» بروحه الحقيقية. ويقول مالك: إنّ تخلّفهم الراهن لا يسمح لهم بأن يؤدّوا دورهم على النحو المنشود، لكن الإحساس بالقيمة الأخلاقية الذي بقي حياً عندهم، والذي «يفتقر إليه روح الحداثة القديم. إنّ هذا الإحساس الذي يجعلهم يقدّمون الواجبات على الحقوق قد يتيح لهم فرصة إيجاد الحلول لمشكلاتهم، بل لمشكلات البشرية قاطبة».

ومن هذا المنظور يكون للعالم الاسلامي الذي هو «قيد التحوّل» «مستقبل».

لقد كانت السياسات الاستعمارية (الفرنسية في الغرب، والإنجليزية في الشرق) تحرص على تمزيق العلاقات الوثيقة بين أجزاء العالم العربي من المحيط إلى الخليج باتّباع نهج سياسي معيّن يتمثّل في فرض واقع الغربة اللسانية، وذلك بتعميم اللغة الفرنسية في المغرب العربي بأقسامه المعروفة «المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا»، وكانت فرنسا تحلم بفرنسة هذه البلدان، تمهيداً لإدماجها في كيانها بصورة نهائية، وقد قطعت في هذه السبل شوطاً بعيداً. وكذلك فعلت بريطانيا، أو حاولت أن تفعل بنشر لسانها الإنجليزي.

ومهما سجّل التاريخ من جهود الدولتين في تذويب الشخصية العربية في محلول «آري ـ لاتيني»، فإنّ كلّ الجهود باءت بالفشل، وسرعان ما علت نبرة الكفاح والتحرّر ورجعت الأوطان العربية المسلمة إلى اللسان العربي وإلى الهوية الإسلامية.

والناظر إلى شخصية مالك بن نبي يجد أنّها قد جسدّت هذه المراحل كلّها.

ولقد سُئل ذات يوم عن السرّ في التحوّل عن المهنة التي تخصّص فيها «الهندسة الكهربائية» إلى الاشتغال بالعمل الفكري، فقال: «نظرت فوجدت أنّ بلادي بحاجة إلى مهندس لأفكارها أكثر من حاجتها إلى مهندس كهربي!».

ويبدو أنّ مالكاً قد تخرّج مهندساً في أواخر العشرينيات من القرن العشرين، وأنّه أكبّ على دراسة العلوم الاجتماعية وقراءة المراجع التاريخية والأنثروبولجية خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، كما كان قد درس مجموعة من أعمال المستشرقين حول

الإسلام وحول شخصية النبي ﷺ، حتّى إنّه اندمج في المشكلة الدينية، وكأنّه كان يهيّئ نفسه للقيام بدور للدفاع عن الإسلام، وتأكيد صدق الوحي القرآني. وهي القضية التي شغلت أكثر المستشرقين ليثبتوا عكسها.

ولعلّ الدافع الأساسي الذي دفع مالكاً في هذا الاتّجاه ما كان يكنّه من إعجاب عميق بالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يمثّل رمزاً للعمق التاريخي الذي ينتمي إليه الشعب الجزائري رغم محاولات الفرنسة المستمرّة.

وقد تعرّف في باريس على الشيخ محمّد عبد الله دراز والذي كان يدرس بالسوربون تخصّص الفلسفة حوالي عام ١٩٤٧م، فتوطّدت بينهما أواصر الصداقة.

وعن سرّ كتابة مالك لبحوثه بالفرنسية وعن بعض أفكاره يقول الأُستاذ عبد الصبور شاهين: «ولا مجال للتساؤل هنا عن علاقة مالك باللغة العربية، فقد كان عالماً معزولاً تماماً عن العرب والعربية، وقد حال الاستعمار الفرنسي بين الشعوب المغربية بعامّة والشعب الجزائري بخاصّة وبين الاتّصال باللسان العربي بأيّ صورة، وهذا هو الذي يدعونا إلى تقرير حقيقة هي: أنّ مالكاً حين لقيته أوّل عام ١٩٥٧م لم يكن يعرف شيئاً قليلاً أو كثيراً من اللغة العربية، اللهمّ إلّا بضع كلمات من اللهجة الجزائرية. وقد كان يعيش منذ بداية دراسته الجامعية في وسط فرنسي وبلغة فرنسية، ومع زوجة فرنسية، وقلم فرنسي.

ولا شك أنّه قد شعر بأنّ اتّجاهه إلى التأليف والكتابة لا قارئ له في الوسط الفرنسي، وإن كان محرّراً بالفرنسية. فشدّ رحاله إلى مصر حوالي عام ١٩٥٥م، إبّان انعقاد مؤتمر باندونج، وقد كان يؤذن بولادة اتّجاه جديد، هو عالم «الحياد الإيجابي»، وكان للقاهرة دور كبير في تلك الحركة السياسية العالمية التي تزعّمها نهرو ـ سوكارنو ـ عبد الناصر.

وعكف مالك على وضع كتابه عن أثر مؤتمر باندونج في خلق الاتّجاه الإفرسيوي، وكان ذلك بعنوان «فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج»، وطبعته مصلحة الاستعلامات في سلسلة «دراسات مختارة» باللغة الفرنسية.

ومع تعدّد المحاولات الفكرية في الأعمال التي قدّمها فإنّ أحداً لم يعرف عنها شيئاً،

فقرّاء الفرنسية في مصر قليلون، وحينئذٍ كان لا بدّ من الاتّجاه إلى اللغة العربية عن طريق التماس من يقوم بترجمة هذه الكتابات المهمّة والمتنوّعة.

وهكذا كان ميلاد مالك في اللغة العربية، وفي الحياة العربية أيضاً.

ولم يسبق مالكاً أحد من الكتّاب والأُدباء والمفكّرين الجزائريّين إلى الساحة العربية، لا سيّما وأنّ مجموعة كتبه التي ترجمت أواخر الخمسينيات قد ظهرت تباعاً.

ولذلك صادفت كتبه المترجمة رواجاً غير عادي؛ لانفرادها بالسوق الإسلامية من ناحية، ولتشجيع المؤسّسات الحكومية لها من ناحية أُخرى، وبخاصّة وزارتا الأوقاف والتعليم. وقد ظهرت ترجمة كتاب «الظاهرة القرآنية» بمقدّمة رائعة كتبها المرحوم الأُستاذ محمود محمّد شاكر عن «إعجاز القرآن» مع ما ظفرت به من تحقيق وتعديل الأخطاء الاستشراقية، ومازال هذا الكتاب يصدر في طبعات متوالية، ومن جهات عديدة، على مدى الخمسة والأربعين عاماً الماضية.

والجدير بالذكر في هذا المقام أنّ بعض كتب الأُستاذ مالك مثل «مشكلة الثقافة، وميلاد مجتمع، والصراع الفكري، وفكرة كومنولث» ـ وهي كتب بارزة في قائمة المؤلّف ـ لم تر النور إلّا في الترجمة العربية. أمّا الأصل الفرنسي فلم يعمل المؤلّف على نشره؛ لأنّ مضمون هذه الكتب موجّه أساساً إلى العرب والمسلمين، لا إلى الفرنسيّين.

ويبدو أنّ مالكاً شعر بأنّ دوره في توجيه الحياة العربية الإسلامية لا ينبغي أن يقتصر على الكتابة، بل لا بدّ من أن يكون خطابه موجّهاً إلى الجماهير من المثقّفين، فبدأ يتحرّك نحو الشرق (لبنان وسورية)، وقد اهتمّ أصدقاؤه هنالك بتسجيل محاضراته ونشرها في كتيّبات، تشكّل في مجموعها معالجة للواقع الإسلامي في تلك المجتمعات على ضوء الفكر الحضاري الذي كان معنياً بترديد مقولاته، وهي دائماً دائرة حول التقابل بين: الإسلام والضياع ـ الحضارة والتخلّف ـ الأشياء والأفكار ـ التكديس والبناء ـ العلم والضمير ـ الصناعة والأخلاق ـ المادّي والغيبي.. وأكثر هذه الأفكار وارد في كتبه الأُولى التي أشرنا إلى ترجمتها، فقد أضاف إلى ترجمة «شروط النهضة» مقالة بعنوان: «من التكديس إلى

البناء»، وقابل في الظاهرة القرآنية بين «المذهب المادّي والمذهب الغيبي»، وهي لمحات تتّسم بالذكاء والتعمّق في أزمة الإنسان المسلم في عصر ما بعد الموحّدين، أي: حتّى عصرنا هذا الذي تتصارع فيه المذاهب والجدليات.

وكان المبدأ الذي يعتمد عليه دائماً هو المبدأ القرآني: «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم».

رحم الله مالكاً رحمة تكافئ ما تميّز به من إيمان عميق بفكرته، وأمل عظيم في بعث هذه الأُمّة الإسلامية، وإحياء تراثها في واقعها، للتغلّب على مشكلات التخلّف الحضاري».

وقد كانت هناك خاصّة نفسية من لوازم الأُستاذ مالك، وقد أثّرت في شخصيته تأثيراً بالغاً، يكاد يصل إلى مستوى العقدة النفسية! ذلك أنّ الرجل كان يكره الاستعمار ويحاربه، وكان يوجّه انتقاده إلى المجتمعات الإسلامية لما أصابها من عقدة «القابلية للاستعمار». لقد كان يؤكّد دائماً أنّ البلاء ليس مقصوراً على القوى الاستعمارية التي تفرض «الاستعمار» على الشعوب المستضعفة، بل إنّ هذه الشعوب هي التي تغري الاستعمار بالعدوان عليها، بما أصاب نفسيتها من ضعف يغري أعداءها بافتراسها، وتلك العقدة هي التي أطلق عليها مالك: «القابلية للاستعمار»، وقد كان يرقب أحوال هذه الشعوب، بل لقد كان يرقب أحوال الأفراد في مختلف البلدان، ويفسّر ما هم عليه من رضا بالهوان والضعف والجهل، وما تسير عليه سياسات الزعماء والحكّام من مهادنة للعدوّ ومخادعة للجماهير، بأنّ ذلك هو من أثر «القابلية للاستعمار»، فكأنّه كان يحارب في جبهتين في وقت واحد.

إنّ حسّاسيته تجاه هذه العقيدة كانت تجسّد له وجود الاستعمار في كلّ مكان، ووراء كلّ باب، وفي ضمير كلّ من يتعامل معه، بل بلغ به الأمر إلى حدّ أن يشكّ في كثير ممّن يقتربون منه، وكأنّهم مرسلون من «الاستعمار» لإيقاع الأذى به، وقد كتب في مثل هذه المواقف رأيه عن «الاغتيال بوسائل العلم».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٥: ٢٢٦، موسوعة السياسة ٥: ٦٨٢ ـ ٦٨٣، ملحق موسوعة

السياسة : ٢٢١ ـ ٢٢٢، الموسوعة العربية العالمية ٢٢: ١٢١، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٢٩٩ ـ ٣١٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ٩٩٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٨٨٣ ـ ٨٨٨، موسوعة الأعلام ١: ٧٤ و ٤: ١١٠، المعجم الوسيط فيما يخص الوحدة والتقريب ٢: ٢٥ ـ ٢٦).

مأمون الهضيبي

المستشار القاضي محمّد المأمون بن حسن إسماعيل الهضيبي : داعية إسلامي، والمرشد السادس لجماعة الإخوان المسلمين، وهو نجل المستشار حسن الهضيبي ثاني مرشد لجماعة الإخوان المسلمين الذي تولّى هذا المنصب من عام ١٩٥٠ م إلى عام ١٩٧٣ م.

وُلد بمحافظة سوهاج بصعيد مصر بتاريخ ٢٨ / مايو / ١٩٢١ م، وأُسرته أصلاً من قرية عرب الصوالحة ـ مركز شبين القناطر ـ محافظة القليوبية، وتنقلّت أُسرته إلى أماكن متعدّدة بمصر؛ حيث كان والده يعمل قاضياً بوزارة العدل المصرية.

وقد التحق الأُستاذ محمّد المأمون الهضيبي بمراحل التعليم العامّ المختلفة في مصر، حتّى تخرّجه في كلّية الحقوق جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة حالياً)، وصدر القرار بتعيينه وكيلاً للنيابة، وتدرّج في وظائف النيابة العامّة، ثمّ عُيّن قاضياً، وتدرّج في الوظائف القضائية إلى أن وصل رئيساً لمحكمة استئناف القاهرة، وهي آخر عهده بالعمل الحكومي في مصر. بعد ذلك عمل بالسعودية، وظلّ بها فترة، عاد بعدها ليتفرّغ للمشاركة في نشاطات الجماعة، وكان رئيساً لمحكمة غزّة عام ١٩٥٦ م.

شارك الهضيبي في أعمال المقاومة الشعبية خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م، وقد اعتقله جيش الاحتلال الإسرائيلي، ثمّ انتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين، وما لبث أن اعتقل في عهد جمال عبد الناصر عام ١٩٦٥ م، وتنقّل بين السجن الحربي وطرّة آنذاك، وأفرج عنه السادات عام ١٩٧١ م، وبعدها رفع دعوى يطالب فيها بعودته للعمل بالسلك القضائي، فأعطته المحكمة حقّ العودة، ولكن الحكومة رفضت إعادته لعمله بدون إبداء أيّ مبرّرات.

رشّحته الجماعة مع مجموعة من إخوانه لانتخابات مجلس الشعب، ففاز منهم (٣٦) عضواً في الدورة البرلمانية عام ١٩٨٧م، وكان نائباً عن دائرة الدقّي بمحافظة الجيزة، وكان حينها هو المتحدّث الرسمي للكتلة الإخوانية في البرلمان، كما تمّ اختياره نائباً للمرشد العامّ والمتحدّث الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين.

مع مرض وغيبوبة المرشد العامّ لجماعة الإخوان المسلمين مصطفى مشهور في ٢٩ / تشرين الأوّل / ٢٠٠٢م إثر نزيف في المخّ أصبح مأمون الهضيبي القائم بأعمال المرشد العامّ بالنيابة، وفي مساء يوم الأربعاء ٢٢ من رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٧ من نوفمبر ٢٠٠٢م تمّ اختياره مرشداً عامّاً للإخوان المسلمين، خلفاً للأُستاذ مصطفى مشهور ليصبح المرشد السادس لجماعة الإخوان المسلمين.

ساءت حالة مأمون الهضيبي، وذلك بعد تعرّضه لمشاكل صحّية ممّا أدّت لدخوله المستشفى لإجراء منظار على القولون، ثمّ توفّي بعد عودته لمنزله في القاهرة بتاريخ ٩ / يناير / ٢٠٠٤م، ودفن في مقابر عائلته بـ(عرب الصوالحة) بالقليوبية بجوار والده.

ماهر حتحوت

ماهر حتحوت: طبيب وداعية إسلامي شهير، أحد أعضاء الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

يقول في ترجمة حياته: «وُلدت في مدينة القاهرة وإن كانت العائلة من أُصول ريفية من بلدة شبين الكوم. كان والدي ﷺ مدرّساً للّغة الإنجليزية، ولكنّه كان من المغرمين باللغة العربية، وكان شاعراً مجيداً، وقد أثرى حياتي بما سمعت منه من شعر ومن أدب ومن توجيه لغوي على وجه العموم. وأُمّي (رحمها الله) كانت امرأة من الريف، ولكنّها كانت سابقة لعصرها، وكانت من أوائل نساء مصر اللاتي خرجن في مظاهرات ضدّ الاحتلال الإنجليزي في ثورة عام ١٩١٩م، حيث كان خروج المرأة في الريف خصوصاً ليس مألوفاً.

إنّنا نشأنا في حي المنيرة، وهو حي طريف يتوسّط بين حي جاردن سيتي الأرستقراطي وحي السيّدة زينب الشعبي، فكان بالفعل من أحياء الوسط، وكان هذا الحيّ

زاخراً بالمدارس والكلّيات والمعاهد من دار العلوم إلى كلّية التجارة إلى كلّية الطبّ إلى المدارس الثانوية الابتدائية إلى المعهد الفرنسي إلى آخره، فهو بطبيعته حيّ مائجٌ بالأفكار وبأنماط الحياة المختلفة.

تحدّد مساري العلمي بعد حيرة شديدة؛ لأنّني بطبيعة هذه النشأة كانت اهتماماتي أدبية، وتصوّرت أنّني سأتّجه إلى كلّيات الآداب، وأردت أن أتّجه لكلّية الآداب قسم اللغة العربية بالذات، ولكن أقنعتني أُمّي أنّ الآداب تبع رأيها في ذلك الوقت، وكانت امرأة حكيمة رغم أنّها لم تكن واسعة الدرجات العلمية أو أيّ شيء، قالت لي: إنّ الأدب تستطيع أن تحصّله على أيّ الأحوال، ولكن المهنة هذا شيء آخر، ونصحتني دائماً أن أتّجه اتّجاهاً علمياً، ولكنّني رفضت ذلك، وكنت أتصوّر دائماً أنّ الكاتب هو الذي سيغيّر الأُمّة، ليس الطبيب وليس... ولا حتّى المحامي، وكنت أعتقد أنّ القضية المصرية خاسرة؛ لأنّها قضية يترافع فيها محامون؛ لأنّ كلّ الوزراء والقادة في ذلك الوقت كانوا من خرّيجي كلّية الحقوق، فقلت: إنّني سأتّجه للآداب على أيّة حال، ولكن حدث حادث مهمّ، قرأت كتاباً اسمه «آثرت الحرّية». كان الكتاب مكتوب بواسطة رجل روسي خرج على الشيوعية، وكتب هذا الكتاب لينتقد النظام الشيوعي، وكان كتاباً ضخماً، عكفت على قراءته، وأذكر أنّني قرأته في ثلاثة أيّام، بصرف النظر عن الأفكار التي كانت فيه، ولكنّه فتح ذهني لأهمّية التصنيع والهندسة، بعقلية اليافع في هذا الوقت، قلت: خلاص انتهى الموضوع، إذن سأصير مهندساً، وفاجأت والدتي بأنّني سأدخل شعبة رياضة كان في أيّامنا شعبة آداب، علوم، رياضة؛ لأنّني أُريد أن أدخل كلّية الهندسة، فطبعاً هذه كانت كارثة؛ لأنّني لم أرسب في حياتي في مادّة إلّا الرسم، ولم أكن ضعيفاً في مادّة إلّا الرياضيات، فنصحتني أُمّي نصيحة جيّدة، قالت لي: اذهب وعش أيّاماً مع ابن خالتك، وكان في السنة النهائية في كلّية الهندسة، وانظر ماذا يفعل، وسترى بنفسك إن كان هذا ما يصلح لك، طبعاً كان يحضّر ما يسمّونه المشروع، ويرسم، ويعرق، ويغضب، ويعيد لأنّه اختلف في مليمتر، و.. فطبعاً تبيّنت أنّني يعني من الراسبين لا محالة، فرجعت البيت وقلت: لا، إنّني أُريد أن أتّجه

اتّجاهاً علمياً، وسأدخل كلّية الطبّ.

ودخلت كلّية الطبّ بجامعة القاهرة، وانقطعت عن الدراسة لأسباب قهرية لفترة، ثمّ عدت واستأنفت بعد ذلك، وفي هذه الأثناء التقيت زوجتي كطالبة في الكلّية، وتعارفنا ثمّ تآلفنا، ثمّ تحاببنا، ثمّ تواعدنا على الزواج، وتزوّجنا وأنجبنا، وصرنا جدّاً وجدّةً والحمد لله، كانت زوجتي طالبة متفوّقة جدّاً بالنسبة لي، لم أكن متفوّقاً في كلّية الطبّ إلّا في المرحلة الأخيرة، في المرحلة الأُولى استهلكني النشاط العامّ وصرفني عن الدراسة المكثّفة، ولكنّه لم يصرفني أبداً عن القراءة، أثّرت فيّ شخصيّة أُستاذ معيّن هو الدكتور أنور المفتي (عليه رحمة الله). وأنا أعتقد أنّ أنور المفتي من أعظم الشخصيات التي أنجبتهم مصر في العصر الحديث، وشاهدت فيه إمكانية أن يكون الإنسان عالماً في العلم البحت، متقناً للمهنة، واسع الأُفق في العلوم الأُخرى، فكان أنور المفتي أُستاذ أمراض باطنية، وكان أحسن واحد في مصر يفهم في الطبّ.. الطبّ النفسي وفي علم النفس، وكان على خلق رفيع، لم أر إنساناً يعامل المرضى بهذا الاحترام والتبجيل، وهؤلاء مرضى فقراء، مرضى مستشفى القصر العيني، العلاج المجّاني، فكنت أرى فيه شيئاً عظيماً، وكان كريماً، فإذا استُدعي لقريب أحد الطلبة في البيت لأنّه مريض لا يأخذ أجراً من جميع طلّاب كلّية الطبّ، رغم أنّه كان أشهر باطني في مصر، وكان الطبيب الخاصّ لعبد الناصر، وتوفّي ﷺ بعد تخرّجي، ولكنّني تتلمذت عليه، وتتلمذت في الدراسات العليا عليه كذلك، وأخذت تدريبي في قسمه، وأعتقد أنّ أنور المفتي أحدث في نفسي شيئاً كبيراً.. لم يكن أنور المفتي رجل سياسة، ولم يكن يتحدّث في السياسة، ولم يكن متديّناً بالمعنى المفهوم للتديّن، ولكنّه كان مثالاً لما يمكن أن ينتجه الإيمان في الإنسان الصالح. وبعد التضييق عليه في بلده سافر إلى الولايات المتّحدة الأمريكية ـ وذلك بعد أن تخرّج من الكلّية عام ١٩٦٠م وعمل بمستشفيات القاهرة مدّة عشرة أعوام ـ وعمل في تخصّص أمراض القلب، وافتتح عيادة في كاليفورنيا، ثمّ عمل أُستاذاً مساعداً بجامعة لوناليندا».

في العام ١٩٨٨م ساهم الدكتور ماهر حتحوت في تأسيس جمعية الحوار الإسلامي

الكاثوليكي، وأسندت إليه العمل كمستشار أوّل للمؤتمر الإسلامي للشؤون العامّة، وهو عضو في المؤتمر السلمي للسياسات الخارجية، وهو الناطق الرسمي باسم المركز الإسلامي في جنوب كاليفورنيا.

ولقد انحصرت كلّ اهتماماته بالمحافل التي يمكن من خلالها تقديم صورة مشرقة للدين الإسلامي عبر محاضرات وندوات ولقاءات خاصّة وعامّة، ولقد سافر إلى العديد من دول العالم للمشاركة في الندوات حول الأديان ممثّلاً عن الجالية العربية المسلمة في جنوب كاليفورنيا.

وللدكتور حتحوت مؤلّفات عديدة خصّها للتعريف بالدين الإسلامي، وحقوق الإنسان، ومفهوم الديمقراطية برؤية إسلامية موفّقة ومستنيرة.

ماهر حمّود

ماهر حمّود: عالم دين لبناني، وداعية تقريب.

ولد في صيدا بلبنان سنة ١٩٥٣م، وحضر حلقات مسجدية لتعليم العلوم الدينية على يد عدد من المشايخ في صيدا عام ١٩٦٤م.

وهو من مؤسّسي قسم الجماعة الإسلامية في صيدا عام ١٩٧١م، والمسؤول عنها من ذلك التاريخ حتّى عام ١٩٧٩م، ومؤسّس قسم رابطة الطلّاب المسلمين في صيدا، وله نشاطات متعدّدة في العمل الطلّابي والسياسي.

درس في كلّية الشريعة في جامعة دمشق من عام ١٩٧٢م حتّى عام ١٩٧٧م، وخلال ذلك كانت له متابعات غير مكتملة في كلّية الحقوق والآداب، وله دراسات مسجدية في مساجد دمشق كذلك.

وهو خطيب رسمي وإمام مسجد منذ العام ١٩٧٩م، وحالياً هو إمام لمسجد القدس. ويعدّ من مؤسّسي تجمّع العلماء المسلمين العام ١٩٨٢م، ومسؤول رئيسي فيه حتّى العام ١٩٩٤م، ولعب دوراً بارزاً في مواجهة اتّفاق ١٧ آيار، ودوراً بارزاً في انتفاضة ٦ شباط، وغيرهما.

ويعدّ من مؤسّسي الجبهة الإسلامية في صيدا والناطق باسمها من العام ١٩٨٥م حتّى حوالي العام ١٩٩٠م، وكانت الجبهة مشرفة على الوضع الإسلامي في صيدا، وتضمّ كافّة القوى الإسلامية إثر الانسحاب الإسرائيلي من صيدا في شباط ١٩٨٥م.

لعب دوراً بارزاً في كثير من الحوادث والملمّات، وبذل محاولات لإطفاء نار الفتن المتعدّدة في بيروت، وفتنة المخيّمات، وحرب إقليم التفّاح، ومغدوشة، وغيرها.

وله نشاط إسلامي بارز في بيروت بين العامين ١٩٨٣م و١٩٨٥م خلال الاجتياح الإسرائيلي من خلال منبر جامعة بيروت العربية. وقد دعم المقاومة ضدّ العدوّ الصهيوني، وساهم في كافّة فصائلها، وخاصّة قوّات الفجر في صيدا وغيرها. وله علاقات مميّزة مع الحركات المقاومة (حماس والجهاد)، ثمّ كافّة فصائل المقاومة الفلسطينية العاملة على الساحة في الداخل والخارج.

يجيد اللغة الفرنسية، ويلمّ بالإنجليزية. وقد حضر عدّة مؤتمرات عالمية في مجال الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي السياسي، وله مقالات متعدّدة منشورة في مجلّات محلّية وعالمية. وليس له كتب مطبوعة حتّى الآن.

وله في التقريب كتاب مخطوط تحت عنوان «محاولة جادّة للتقريب بين السنّة والشيعة وفق آلية محدّدة»، يقول في طيّاته: «سنطرح بإذن الله بالجرأة المناسبة والالتزام المناسب مقترحات فقهية في محاولة جادّة للتقريب بين المسلمين، آخذين بعين الاعتبار الالتزام الفقهي لكلّ فريق والموروثات التاريخية والواقع السياسي المعقّد والمتراكم، مؤكّدين أنّ طرحنا ينبغي أن يُرى بعين فقهية علمية أوّلاً، وليس من خلال ثقافة العامّة من كلّ الفُرقاء، حيث يظهر بشكل واضح أنّ ثقافة الناس وممارساتهم وتأثير (الدهماء) من الناس هو في كثير من الأحيان أقوى من أثر العلماء العاملين والحقيقيّين، بل إنّنا نؤكّد أنّ كثيراً من العلماء من كافّة الجهات يمتنعون عن الإعراب عن قناعاتهم العميقة خوفاً من ردّات فعل (شعبية) تحاصرهم وتقتصّ منهم، ولنا في ذلك الكثير من الأمثال. ولا بدّ أن ننتبه إلى أُمور قد لا تؤخذ في حجمها الحقيقي فتفاجئ العامل المخلص للتقارب وتحاصره

أيضاً..

أوّلاً: هل نعتبر التقارب قُربى إلى الله تعالى؟

سؤال هامّ ورئيسي: كيف يمكن اعتبار التقارب بين المسلمين عملاً نتقرّب به إلى الله تعالى؟ والسؤال مشروع وواقعي، ولقد وجدنا طبقة واسعة من علماء الدين والعاملين في المجال الإسلامي يعتبرون أنّ تعميق الخلاف الفقهي والتأكيد على أنّ الحقّ تحتكره فئة واحدة بين المسلمين هو العمل الأرجى للتقرّب إلى الله تعالى، وبالتالي فإنّ الجهد كلّه ينصبّ عند هؤلاء على إدانة الآخر وتجريده من كلّ مكرمة أو شُبهة حقّ، وصولاً إلى التكفير المؤدّي إلى سفك الدماء والفتنة المتواصلة.

سؤالٌ نطرحه بجدّ: هل نعتبر التقريب أمراً شرعياً أم أنّنا ننافق ونكذب، فنطرح ذلك في المناسبات العامّة ووسائل الإعلام، ثمّ عندما يخلو كلّ منّا إلى فريقه يحرّضه على الآخر ويبيّن عوراته ويعمّق الخلاف ويضخّمه ويُقلّل من نقاط التقارب والتوافق؟

هذه نقطة أساسية، وحتّى لا نكون فعلاً من الذين يريدون التقارب والتوافق نبتغي به وجه الله لا بدّ من إعادة ترتيب الأولويات والتأكيد على أنّ الانتساب إلى الإسلام يشكّل ما يمكن أن نسمّيه «دستور وحدة المسلمين» أو ميثاق يوقّعه ويلتزم به الجميع يكون منطلقاً لوحدة المسلمين.. هذه النقاط ينبغي أن تكون مختصرة وجامعة في آن واحد، ونقترحها فيما يلي:

١ ـ الإيمان بالله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

٢ ـ الإيمان بمحمّد آخر الأنبياء، وخاتم الرسل.

٣ ـ الإيمان باليوم الآخر: البعث والنشور والحشر والميزان والصراط والجنّة والنار.

٤ ـ الإيمان بالملائكة والنبيّين كما هو وارد في القرآن الكريم.

٥ ـ الإيمان بالقرآن الكريم محفوظاً كما أُنزل على محمّد كما هو موجود بين أيدي الناس لم يعتره تبديل أو تغيير.

٦ ـ الإيمان أنّ الأُمّة التي عاصرت رسول الله ﷺ هي ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) ، كما ورد في القرآن الكريم .

٧ ـ التأكيد على أنّ علاقة آل بيت رسول الله ﷺ بكبار الصحابة كانت علاقة تكامل وتواصل وتناصح .

٨ ـ آل بيت رسول الله هم معدن النبوّة ومختلف الملائكة ، واحترامهم واجب ، وتكريمهم جزء من الإيمان لا يتجزّأ .

٩ ـ الخلفاء الراشدون موضع احترام المسلمين ، وإنجازاتهم موضع تقدير ، وما يُعتبر أنّه خلاف هو اجتهادات موكول أمرها إلى الله تعالى .

نعم ، نحن في هذه النقاط ندخل في محرّمات سيعترض عليها الكثيرون ، ولكنّنا نرى أنّ هذا هو الحدّ الأدنى لفتح باب التقارب فضلاً عن الحديث عن الوحدة بين المسلمين ، فإن لم يكن هذا ممكناً فالحدّ الأدنى المطلوب هو توحيد جهود المسلمين لمواجهة الاستعمار الغربي والاحتلال الصهيوني والمؤامرات الهادفة إلى تفتيت المسلمين ونهب ثرواتهم .

هذا أقلّ من الحدّ الأدنى ، ولكن هذا هو المتاح حالياً ، وللأسف حتّى هذا القدر للأسف نجد أنّنا نفتقده أحياناً ! ونرى جهات تزعم انتماءها إلى الصحوة الإسلامية لا تجد مانعاً من الاستعانة بالغربي أو أعوان الغربي وزبانيته ليحقّق « نصراً » على الآخر ، وهذه صورة تكرّرت في الحروب الصليبية والاجتياح المغولي والتتري لبلاد المسلمين ، وكانوا سبباً رئيسياً في إطالة أمد الاحتلال الصليبي ثمّ المغولي والتتري ..

واحتراماً للتاريخ الفقهي للمسلمين جميعاً بفرقهم ومذاهبهم واجتهادهم وحتّى يأتي يوم قريب ـ إن شاء الله ـ نكسر فيه الجمود ونجدّد حيوية الفقه ونحطّم الخطوط الحمراء العريضة والحقيقية والموهومة التي صنعناها بأيدينا وقلنا : هي من عند الله والأُخرى التي هي نتاج فقهي « سليم » الخ .. حتّى يأتي ذلك اليوم نقترح الخطّة التالية :

أوّلاً : إلغاء الحديث مطلقاً عند الضربة القاضية واستبدالها بالنقاط ، بمعنى : لا يجوز لأيّ فريق إسلامي يؤمن بالنقاط التي سمّيناها « دستور وحدة المسلمين » أو بأكثرها ويريد وحدة المسلمين أو التقارب بينهم بالحدّ الأدنى ، لا يجوز له الحديث عن إقصاء الآخر

بالمطلق عن الإسلام، واعتبار الخلاف اجتهادي.. فمثلاً لا يجوز للشيعي أن يقول مستنداً إلى حديث الغدير المتّفق عليه روايةً بين المسلمين: إنّ من لا يفسّره مثلنا فهو ليس بمسلم؛ لأنّ الآخرين لهم تفسيرهم لهذا الحديث. ومثله لا يجوز لسنّي أن يقول بكلمة واحدة: الشيعة خارج الإسلام؛ لأنّ لهم موقفاً من الصحابة الكرام. قد يكون هذا المثل هو الأقصى والأقسى.. فإذا استطعنا تأكيد هذا المنطلق فتحنا صفحة جديدة، وهذه الصفحة الجديدة تتلخّص في قولنا: ليس هنالك فريق يلغي آخر وينتصر عليه بالضربة القاضية، ولكن لكلّ فريق أن يعدّ للفريق الآخر النقاط القوية والأُخرى الضعيفة... ومنعاً لأيّ التباس، إنّ كاتب هذه السطور له موقف، وليس هو محايداً بالمعنى السلبي للكلمة، بل هو مسلم سنّي، يرى طريقة الإمام الشافعي في الاستدلال أجدى، ويأخذ من كلّ المذاهب، ويرى بشكل عامّ ودون تفصيل أنّ ما عليه الأشاعرة في العقيدة هو أقرب للسنّة وللفطرة البشرية من المذاهب الأُخرى في العقيدة.

ومع ذلك سيرى القارئ أنّ فقرات طويلة من هذا الكتاب ستجعله يظنّ أنّه شيعي أو أنّه شيعي متشدّد، فيما سيرى في فقرات أُخرى وكأنّه خصم شرس للشيعة.. وليس هذا صحيحاً ولا ذاك، ولكنّ الصحيح أنّ على المسلم أن يتقبّل المسلم الآخر طالما أنّه سيشترك معه بأساس الإيمان وضرورات العقيدة الإسلامية.

ومن هنا يظهر الهدف الرئيسي من هذا الكتاب أن يرى المتعصّبون من كلّ الفرقاء أنّ خصمه ـ إذا جاز التعبير ـ على شيء من الحقّ قد يوازيه أو يقلّ عنه بقليل، وليس مجرّداً بالمطلق من المنطق والدليل والبرهان، ولعلّ حجّة الله عليه قائمة، وبالتالي سيقبله الله ـ والله أعلم ـ على خطئه؛ لأنّ عنده اجتهاداً يستند عليه ولأنّ الدليل يصله بشكل معيّن، وأعطاه المبرّر الكافي ليسلك المسلك الذي هو فيه. وبالتالي إذا حصل اختلاف حول قال خصمك في الآخرة، وهل هو في النار أم لا؟ وهل تحتكر أنت وجماعتك الجنّة ورضوان الله أم لا؟ إذا حصل هذا النقاش فسيكون الجواب محصوراً في الحديث عن الدرجة في الجنّة وليس عن أصل الدخول إليها، وعن السابق واللاحق وليس عمّن سيدخل ويغلق الباب وراءه».

وهكذا نكون بذلك قد أنزلنا الخلاف الفقهي إلى المستوى الذي يتمكّن فيه المخالف من قبول الآخر والعيش معه والتواصل بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى.

وربّ لقائل أن يقول: لن يكون هذا، سيفتح هذا الكلام معارك قد نكون في غنى عنها، ويفترض أنّه سيحدث ضجيجاً في غير موضعه، ولكنّها محاولة أو تفكير بصوت مسموع لتحريك الموضوع المذهبي الذي لم يجرؤ أحد تقريباً حتّى هذه اللحظة ومنذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران التي أتت بطرح إسلامي «شيعي» جديد كلّ الجدّة في التاريخ الإسلامي الشيعي خاصّة.

لقد كانت الثورة الإسلامية فتحاً جديداً في التاريخ الإسلامي المعاصر، واستطاعت أن تحقّق شعارات إسلامية كانت قد سعت لها حركات إسلامية كثيرة ومتعدّدة واسعة التمثيل، لكنّها عجزت عن أن تحقّق الشعارات الإسلامية التاريخية، والتي قد تتلخّص في الشعارات التالية:

١ ـ الإسلام دين ودولة، مصحف وسيف.

٢ ـ الإسلام نظام مستقلّ، ليس تابعاً للشرق ولا للغرب.

٣ ـ الإسلام وقود الشعوب، وليس أفيون الشعوب.

ومع ذلك لقد اقتصر الكلام عن الوحدة الإسلامية من خلال توحيد الموقف السياسي في وجه العدوان وتوحيد الجهود ضمن أهداف الأُمّة العريضة، ولم يجرؤ أحد ولم يشأ أحد الدخول في التفاصيل المذهبية، وهذه محاولة (جديدة) إذا لاقت الاستحسان سنكمل هذا الطرح، وإلّا سيبقى كنوع من ذكريات خاصّة أو أفكار توضع في أرشيف محاولات التغيير الإسلامية الكثيرة خلال التاريخ الطويل».

مبشر الطرازي

مبشّر محمّد الطرازي: علّامة، مجاهد، كاتب، كبير علماء تركستان وبخارى، وأحد المصلحين في العالم الإسلامي.

تقول عنه إحدى كتب التراجم: عاش مجاهداً بقلمه ولسانه وروحه وبفكره وعلمه،

وضحّى بكلّ ما يملك من عزّ وجاه في سبيل إعلاء كلمة الحقّ والذود عن الدين الإسلامي الحنيف.

ولد سنة ١٨٨٦م في أُسرة عريقة في الحسب والنسب بمدينة «طراز» في بلاد تركستان الغربية. وهو نجل الشيخ محمّد ابن السيّد محمّد غازي الحسيني. ووالدته حفيدة الأمير برزك خان آخر أُمراء الدولة الإسلامية في تركستان الشرقية (الواقعة تحت سيطرة الصين).

أتمّ تعليمه الابتدائي بمدينة «طراز» تحت رعاية والده وعلى يد أساتذة خصوصيّين، ثم انتقل إلى مدينة طشقند لإتمام تعليمه الثانوي والعالي، وتخرّج من جامعة أبي القاسم، ثمّ سافر إلى بخارى، حيث أتمّ سنة ١٩١٧م دراسته العليا، وتخصّص في علوم التفسير والفقه والأدب العربي، كما نال إجازة التخصّص في الحديث النبوي عن أُستاذه الشيخ محمّد العسلي الشامي رئيس بعثة التبليغ الإسلامي من طرف السلطان عبد الحميد في الشرق الأقصى، ثمّ عاد إلى بلدته «طراز» ليبدأ جهاده ضدّ الاحتلال الروسي الشيوعي مدّة اثني عشر عاماً، كونه أحد العلماء والزعماء البارزين في بلاد تركستان، وذلك بتشكيل اتّحاد الطلبة التركستانيّين سنة ١٩١٧م تأييداً للحركة الوطنية الإسلامية العامّة في تركستان، وإعلان استقلال البلاد سنة ١٩١٧م في مدينة «خوقند» عاصمة فرغانة، مع بذل أقصى الجهد للحفاظ على وحدة الشعب التركستاني في تلك الآونة الخطيرة لتاريخ البلاد.

وقد جاهد لمحاربة الإلحاد بالكتابة والخطب، ولا سيمّا بالردّ على ما نشره الملحد الدهري «نعمت حكيم» في كتابه باللغة التركستانية «هل محمّد رسول من قبل الله؟» حيث أنكر الوحي النبوي وتدرّج إلى إنكار الخالق عزّ وجلّ! فقام الطرازي بتأليف كتاب باللغة التركستانية سمّاه «القرآن والنبوّة» ردّاً عليه. وأخذ يلقيه فصلاً بعد فصل في خطب أيّام الجمعة، حتّى صدر الأمر من موسكو بالقبض عليه ومصادرة مؤلّفاته التركية والفارسية والعربية، وأُلقي القبض عليه، ودخل السجن مدّة من الزمن.

وكان يواصل الكتابة في المجلّات الإسلامية التي كانت تصدر في طشقند وسمرقند،

أمثال مجلّة «الإسلام» ومجلّة «آيينه»، ويقوم بمهمّة الإمامة والخطابة، ورئاسة تحرير مجلّة «إيضاح المرام» لسان جال جمعية علماء تركستان، كما تولّى القضاء الشرعي سنة ١٩٢٣م، ورئاسة إدار الشؤون الدينية بمدينة «طراز» سنة ١٩٣٤ م، ولقّب بشيخ الإسلام، إلّا أنّه اضطرّ للاستقالة منهما لتدخّل الروس في شؤون الشريعة الإسلامية وإصرارهم على غلق المدارس الابتدائية التي فتحها الطرازي للتعليم الديني في مواجهة حركة الإلحاد التي وصلت ذروتها بتشجيع من الحكومة الروسية.

واحتلّ الروس الشيوعيّون بقوّة السلاح الإمارات الإسلامية الثلاث في تركستان: «إمارة خوقند، وإمارة خيوة، وإمارة بخارى» من سنة ١٩١٨م إلى سنة ١٩٢١م، وجزّؤوها إلى خمس جمهوريات: «أوزبكستان، وقازاقستان، وقرغيزستان، وتاجيكستان، وتركمانستان»، ثمّ ضمّوها إلى اتّحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في سنة ١٩٢٣م، وسمّيت بجمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بدلاً من تركستان، حيث تمّ إلغاء هذا الاسم سنة ١٩٢٤م بقانون روسي، إلّا أنّ الشعب التركستاني لم يسكت ولم يستسلم لهذا الاعتداء الغادر، فقامت حركات المقاومة الشعبية في أرجاء البلاد معتمدةً على إيمان الشعب المسلم. وكان على الطرازي أن يؤدّي واجبه بصفته عالماً دينياً وزعيماً سياسياً في توجيه الشعب المجاهد بصفة عامّة، وكرئيس لجمعية تحرير تركستان في بلدة «طراز». إلّا أنّ هذه المقاومة فشلت بعد أن استمرّت مدّة خمسة عشر عاماً، ضحّت فيها تركستان بأرواح خمسة ملايين شهيد في ميدان الجهاد، وخمسة ملايين تمّ نفيهم إلى معتقلات سيبيريا، ونحو ثلاثة ملايين تركوا ديارهم مهاجرين في سبيل الله إلى مختلف دول العالم. وكان لا بدّ له أن يهجر بلاده تركستان إلى بلد إسلامي آخر؛ حفاظاً على دينه وحياته ومبادئه الإسلامية، بعد أن ظلّ يجاهد باللسان والقلم لسنوات طويلة، حتّى أحاط به الخطر من كلّ جانب، فأجبرته الظروف على الهجرة. فهاجر إلى أفغانستان في ذي القعدة سنة ١٣٤٨هـ بعد أن تمّ حبسه ثلاث مرّات، ونفيه مرّة في تركستان من طرف الحكّام الروس، ثمّ الاقتراح بحكم إعدامه متّهماً من قبل الحكومة الشيوعية بأنّه عالم ديني وزعيم وطني وعدوّ للثورة

الشيوعية . وقد مُنح الجنسية الأفغانية بصفة استثنائية تكريماً له . ثمّ عيّنه الملك محمّد نادر شاه مديراً عامّاً لقسم التأليف والترجمة ، ومشرفاً على الشؤون الإسلامية بالديوان الملكي ، وكان من مهمّته الاتّصال بالعالم العربي الإسلامي ، فكان همزة الوصل بين القصر الملكي وبين من يزور أفغانستان من الزعماء والعلماء العرب والمسلمين . وكان دائم الكتابة في الجرائد الأفغانية ، أمثال جريدة «إصلاح» وجريدة «أنيس» ومجلّة «كابل» في مواضيع شتّى ، ونال جائزة الصحافة . هذا بالإضافة إلى تأليف العديد من الكتب الإسلامية ، كما نشرت له مقالات كثيرة في الشؤون الإسلامية في الصحف والمجلّات العربية منذ سنة ١٣٥٢ هـ ، مثل مجلّة «الأزهر» وجريدة «الشعب» ومجلّة «منبر الإسلام» في مصر ، ومجلّة «الرابطة الإسلامية» وجريدة «الشورى» في دمشق . كما كتب في صحف بالهند وباكستان واليابان . ثمّ قرّر الإقامة في مصر منذ سنة ١٩٤٩م ، ورحّبت به الحكومة المصرية في عهد الملك فاروق ، وعاملته كأحد كبار العلماء الأفاضل وزعيم من الزعماء المجاهدين ، وعيّنت له راتباً شهرياً .

وأدخل الطرازي أولاده في الأزهر لدراسة العلوم الإسلامية ، وانشغل بكتابة المقالات وتأليف الكتب الإسلامية ، واهتمّ بالجامع الأزهر وشؤونه اهتماماً خاصّاً ، وذلك بمقابلة مشايخه ، والتشاور معهم في القضايا الإسلامية . وعاش في القاهرة من سنة ١٩٥٠م حتّى وفاته سنة ١٩٧٧م ، وكان يلفت أنظار بعض المسؤولين في العالم الإسلامي لخطر انتشار الشيوعية في البلاد التي تعاني من مشكلات اقتصادية واجتماعية ، وذلك بدعايات كاذبة من جانب الشيوعيّين وأذنابهم ، وبحجّة مدّ يد المساعدة للدول النامية ؛ لتجد الشيوعية طريقها في الانتشار بين شعوب تلك البلاد .

وكان من العلماء الداعين إلى اتّحاد العالم الإسلامي في كلّ وقت ، ولذلك قام في جميع مؤلّفاته بالدعوة إلى اتّحاد العالم الإسلامي ، كما وضّح سبب انحطاط المسلمين في العصور الأخيرة .

وفي عام ١٣٥٠ هـ سافر إلى السعودية بتكليف من الملك محمّد نادر شاه للتشاور مع

الحكومة السعودية بشأن عقد معاهدة الصداقة بين أفغانستان والسعودية، وأدّى فريضة الحجّ لأوّل مرّة، ثمّ كرّر زياراته إلى الأراضي المقدّسة في الأعوام ١٣٥١، ١٣٧٨، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٩٥ هـ.

وكتب كثير من العلماء والمفكّرين وبعض الباحثين وأساتذة الجامعات حول شخصيته العلمية وخدماته الجليلة للإسلام، وذلك في مؤلّفاتهم، من مصر والسعودية وسوريا وأفغانستان وباكستان وتركيا وأندونيسيا والهند واليابان وأوروبّا. وهناك عدّة رسائل للماجستير والدكتوراه مسجّلة في بعض الجامعات المصرية حول شخصية الشيخ الطّرازي وجهاده ومؤلّفاته العلمية.

وكان من تقدير أهل العلم والفكر الوفاء له في مصر أن عقدت عنه بعد وفاته ندوة علمية لمدّة ثلاثة أيّام في جامعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٨٧م حضرها مديرو الجامعات والشخصيات الإسلامية، واشترك فيها نخبة من الأساتذة ببحوثهم القيّمة؛ لبيان سيرته الذاتية، ومؤلّفاته العلمية، ودوره في خدمة العلم والإسلام.

أمّا مؤلّفاته فقد بلغ عددها نحو خمسين كتاباً ورسالةً في الموضوعات الإسلامية المختلفة، ألّفها باللغات الإسلامية الثلاث: «العربية، والفارسية، والتركية»، وهي مليئة بأفكار تهمّ الإنسان المسلم الذي يعيش في هذا العصر المهدّد بالإباحية والدهرية وكوارث الفتن والحروب التي يشعلها الأعداء ضدّ الإسلام والمسلمين. ومن هذه المؤلّفات: القرآن والنبوّة، الإسلام الدين الفطري الأبدي، إلى الجندية أيّها العرب، المرأة وحقوقها في الإسلام، نبذة من السيرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية).

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١١٤ ـ ١١٦، إتمام الأعلام: ٣٢٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ٩٩٧ـ ٩٩٨).

مجتبى نوّاب صفوي

مجتبى نوّاب صفوي: من رجال السياسة والدين في إيران، وأحد الوحدويّين.

ولد سنة ١٣٤٣ هـ في بلدة خاني آباد الواقعة قريباً من طهران على ما جاء في أحد

المصادر عن مكان ولادته، ولكنّ مصدراً آخر قال: إنّه ولد في محلّة فقيرة من محلّات طهران نفسها، وكان أبوه من طلبة العلم ثمّ أصبح محامياً، سجن أيّام الشاه رضا بهلوي، كما أنّ مصدراً آخر قال: إنّه ولد في قرية من قرى أصفهان.

دخل مدرسة الصناعة بعد إكمال الدراسة الابتدائية، وكان خلال دراسته هذه يتابع دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية، وكانت أُمنيته أن يدرس في النجف الأشرف، لكنّ أحواله الماديّة لم تسمح له بذلك، فذهب إلى الأهواز واشتغل بما تخصّص به في مدرسة الصناعة، ولكن لم تطل إقامته هناك؛ إذ ساهم بمظاهرات وخطب بالمتظاهرين، فأرادت السلطات القبض عليه، فاستطاع الفرار حتّى وصل النجف الأشرف، وكان أحمد كسروي قد جاهر بدعوته الإلحادية الهدّامة في إيران سواء بأحاديثه أم بمطبوعاته، ووصلت أخباره إلى النجف، فقرّر المترجم العودة إلى إيران لمناوأة كسروي والقضاء عليه، فاعتقل وأُودع السجن، ثمّ أُطلق سراحه، فدخل كلّية الشريعة، ولكنّه لم يلبث أن تركها عائداً إلى النجف بعد أن كان قد دبّر اغتيال رئيس الوزراء حسين إمامي، ولبث في النجف مدّة يدرس على علمائها، ثمّ عاد إلى إيران. ويبدو أنّ دعوة كسروي الإلحادية هي التي أنبتت في ذهنه وجوب إيجاد تنظيم اسلامي واع يرتكز على جماعات متكاتفة تقاوم الدعوات الهدّامة، وتدعو إلى الإسلام، وتحارب الإلحاد. فاتّصل أوّل الأمر بأحمد كسروي والتقى به في عدّة جلسات يناقشه ويحاوره، فلم يزدد كسروي إلّا عناداً واسترسالاً في دعايته وبثّها في الناس، فصمّم المترجم على القضاء عليه، واستطاع الحصول على ٣٠٠ تومان من أحد المؤمنين، فاشترى بها مسدّساً وترصّد لكسروي في أحد المنعطفات حتّى إذا مرّ أطلق عليه النار، لكنّ الرصاصة أصابت رجله، ولمّا رأى المترجم أنّ كسروي لم يقتل انهال ضرباً بالمسدس على رأسه ووجهه، فتجمّع عليهما الناس وخلّصوه منه، فقبض على نوّاب صفوي ونقل كسروي إلى المستشفى، وصدف أن زار وفد حكومي إيراني بعض العلماء في النجف الأشرف، فتوسّطوا لإطلاق صفوي، فنجحت الوساطة وأُطلق.

ويقول السيّد اللواساني الذي كان عضواً في منظّمة «فدائيان إسلام» في حديث له

لرسالة الثورة الإسلامية نشرته في العدد السادس سنة ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م)، وذلك بعد أن ذكر الوقائع المتقدّمة «من هنا بدأ هذا التنظيم»، ثمّ ينقل عن لسان صفوي: «لقد فكّرت عندما أصدرت أوّل منشور، فتبادر إلى ذهني اسم «فدائيان إسلام» ـ أي: فدائيو الإسلام ـ وقد كنت آنذاك وحيداً فريداً، ولكن بعد ذلك التحق بي الأُخوة الراغبون المؤمنون الثوريّون وأبدوا استعدادهم للتعاون معي في هذا المجال».

وكان أوّل عمل قام به التنظيم أن نجح في اغتيال أحمد كسروي، واهتدت السلطة إلى الفاعلين، فاعتقلت «إمامي» المنفّذ للاغتيال ورفاقاً له وسجنتهم تمهيداً لمحاكمتهم والحكم عليهم، وصدف أنّ الشاه محمّد رضا أرسل وفداً إلى النجف الأشرف ليعزّي الحوزة العلمية بوفاة السيّد أبي الحسن الأصفهاني، فأسرع صفوي للاتّصال بالسيّد حسين القمّي الذي كان شبه منفي في العراق ليحمل العلماء على التوسّط لإطلاق المعتقلين، ونجحت الوساطة فأُطلقوا، وساعد على إطلاقهم أنّ الشعب الإيراني كان قد أبدى ضروب الابتهاج بقتل أحمد كسروي وأبدى تضامنه مع منفّذي هذا القتل، فرأت السلطات أنّ في إطلاقهم تقرّباً لعلماء النجف وإرضاءً لعواطف الشعب.

وفي سنة ١٩٥٣م كان أمر التنظيم قد استقرّ وانتشرت دعوته وعمّت شهرته، وبدأ يدعو لمبادئه الإسلامية، وينشط في مختلف ميادين العلم ويتّصل بالدعوات خارج إيران، ويعقد معها الصلات.. في هذه السنة زار صفوي الأردن لحضور مؤتمر القدس في مدينة القدس، ووجّه للملك حسين عندما قابله كلمة جريئة نشرتها الصحف آنذاك، وزار سوريا، كما زار مصر بدعوة من الإخوان المسلمين، وكانت الأُمور قد تأزّمت بين الإخوان وحكومة الثورة وأوشك الانفجار بينهما أن يقع، وجاء يوم ١٢/كانون الثاني/١٩٥٤م، فاحتشد الإخوان وطلّابهم في حرم جامعة القاهرة للاحتفال بذكرى بعض ضحاياهم، كما حضرت جماعات من خصومهم، وأقبل جمهور من طلّاب الإخوان على الاجتماع حاملين نوّاب صفوي على الأكتاف، ثمّ أوصلوه إلى المنصّة، حيث خطب في الجماهير، وكان موضوع فلسطين أهمّ ما في خطابه، فكان جمهور الإخوان يقابل فقرات خطابه بهتافهم

التقليدي «الله أكبر، ولله الحمد»، فيردّ عليهم خصومهم بهتاف «الله أكبر، والعزّة لمصر»، فهاجمهم جمهور الإخوان واشتبكوا معهم وعمّت الفوضى، وكان هذا الحادث مفتاح الواقعة التي وقعت بين حكومة الثورة والإخوان المسلمين؛ إذ قبض على زعمائهم وشرّد رجالهم، وأصبح نوّاب صفوي ضائعاً في القاهرة، إلى أن تسنّى له الخروج منها. وكان قبل وصوله إلى مصر قد لقي كلّ الحفاوة في سوريا وفلسطين، وعندما قابل الزعيم أديب الشيشكلي رئيس الجمهورية السوري قال له: «لقد لمست أنّ الشعب لا يحبّك وليس معك؛ لأنّك تضغط عليه وتكبت حرّيته، ولذا فمن واجبك أن تكون مع الشعب لتبقى».

أمّا أهداف «فدائيان إسلام» فقد عبّر عنها نوّاب صفوي نفسه في حديث له مع مندوب وكالة «أسوشيتد برس» الأمريكية، حين سأله المندوب عن الهدف الرئيسي للحركة، فأجابه قائلاً: «إنّنا نعتقد بوجوب نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة في العالم كلّه، ونعتقد بوجوب تطبيق شريعة الإسلام الكاملة في جميع الدول الإسلامية.. إنّنا نعتقد أنّ التعاليم الإسلامية الصحيحة هي وحدها التي يمكن أن تنقذ البشرية من الحروب والجرائم، وفي سبيل هذه العقيدة بدأنا العمل لكي نجعل من إيران قدوة للعالم المتمدّن». وسأله مندوب الوكالة عن مدى استعداده للتضحية في سبيل هذا الهدف، فأجابه: «أعتقد أنا وإخواني أنّ أرخص شيء عندنا في الحياة هي أرواحنا، ونحن نعتقد أنّنا لا يمكن أن نخدم الإسلام إلّا بإعطاء أرواحنا ودمائنا في طريق هذا الهدف المقدّس.. إنّ «فدائيان إسلام» هم أُناس أقوياء وشجعان لا يخافون أيّ شيء في طريق الهدف المقدّس الذي يحملونه، وإنّنا جميعاً مستعدّون للشهادة، ونستقبلها بفارغ الصبر إذا كانت من أجل الله والأُمّة الإسلامية.. إنّكم في المستقبل سوف تعرفون صحّة هذا الكلام».

يقول السيّد حسن الأمين: «ويمكن اعتبار نواب صفوي أوّل من كتب برنامجاً مفصّلاً ومتكاملاً عن الحكومة الإسلامية، وكان عمره إذ ذاك ستّة وعشرون عاماً. ويبدو من النصوص التي بين أيدينا أنّ التأسيس الفعلي للحركة كان سنة ١٩٤٥م، ولم يكن في منهج صفوي الاستناد إلى الوسائل السلمية الكلامية في تحقيق أهداف حركته، بل كان يرى

التوسّل بكلّ وسيلة مهما كانت نارية عنيفة، ويعتقد أنّ اغتيال رموز النظام واحداً بعد واحد يوهن عزائم هذا النظام ويقضي في النهاية عليه».

وبفضل اتّفاق الحركة مع الجهة الوطنية التي كان يرأسها الدكتور مصدّق ودعمهم لها استطاع مصدّق أن يأتي إلى الحكم ويشكّل حكومة وطنية برئاسته ويقدم على تأميم النفط في إيران، ولكنّ «الفدائيّين» لم يقنعهم تأميم النفط وحده، فقد كان طموحهم أن يقيم الحكومة الإسلامية ، لذلك اختلفوا معه، وأدّى الأمر إلى أنّ حكومة مصدّق اعتقلت أعضاء في منظّمة «فدائيان إسلام» ونفتهم إلى الأماكن النائية ، ثمّ اعتقلت نوّاب صفوي نفسه وأودعته السجن، وذكر اللواساني أنّه خلال وجود صفوي في السجن حاول الشيوعيّون السجناء في السجن نفسه أن يقابلوه ويتحالفوا معه في محاربة العدوّ المشترك «حكومة مصدّق» التي كان الشيوعيّون في عداء معها، ولكن صفوي رفض هذا اللقاء ورفض أيّ بحث في هذا الموضوع، وقال: «ليس لنا هدف مشترك مع أحد.. إنّنا مسلمون وفي جهاد مستمرّ مع كلّ معادٍ للدين، ونحارب على عشر جبهات لوحدنا، نحن لا نعترف بالهدف المشترك»، وكان يقول: «قد تستفيد روسيا من جهادنا الفعلي في مقاومة أمريكا، لكن هذا لا يدلّ على أنّنا متّفقون مع السوفيت! نحن في جهادنا مع أمريكا نسير وفقاً لأهدافنا، ونحاول إلّا يستفيد أعداؤنا الآخرون من هذا الجهاد، إلّا أنّه شئنا أم أبينا فإنّهم يستفيدون ولو بعض الشيء».

وكانت نهاية نوّاب صفوي ومنظّمة «فدائيان إسلام» أنّه بعد انقلاب زاهدي وعودة الشاه إلى طهران، أخذت السيطرة العسكرية تبسط سلطانها وأخذ الحكم يشدّد قبضته على البلاد مدعوماً من القوى الأمريكية، وأخذت السجون تمتلئ بالناس، والإعدامات تنفّذ، فقبض على صفوي فيمن قبض عليهم بتهمة الإعداد لاغتيال رئيس الوزراء «حسين علاء»، وتمّ القبض عليه بعد فشل عملية الاغتيال، وقدّم إلى المحاكمة هو وعدد من أنصاره، واستمرّت المحاكمة شهرين، حكم في نهايتها عليه وعليهم بالإعدام رمياً بالرصاص سنة ١٣٧٥ هـ، وصودف أن كان يوم إعدامه يوم ذكرى وفاة النبي ﷺ، فاعتبرها

الإيرانيّون مكرمةً له.

وقالت جريدة «التايمس» البريطانية ـ وهي تنشر خبر إعدامه وإعدام رفاقه ـ: «بإعدام أعضاء فدائيان أسلام أبعد الغرب عن طريقه أخطر عدوّ عرّض مصالح الغرب للخطر في السنين الأربعة الماضية!».

يقول الأُستاذ حميد عنايت: «كانت حركة فدائيان إسلام هي الجماعة الوحيدة التي كانت لها علاقات تعليمية عقائدية ـ وقيل: تنظيمية أيضاً ـ مع مثيلاتها عند أهل السنّة في العالم العربي، وخلال السنوات العشر الأخيرة ترجمت كثير من مؤلّفات سيّد قطب ومحمّد الغزالي ومصطفى السباعي إلى الفارسية على أيدي الفدائيّين أو حماتهم ونشرت في إيران. فإنّ تجلّي مثل هذه الروح التي تتجاوز أيّ نوع من التمذهب من إحدى أكثر الجماعات الشيعية المعاصرة نضالاً أمر جدير بالإعجاب».

وينقل الأُستاذ محمّد علي الضناوي في كتابه «كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث» نقلاً عن المستشرق الإنجليزي برنارد لويس قوله: «بالرغم من مذهبهم الشيعي فإنّهم يحملون فكرة عن الوحدة الإسلامية تماثل إلى حدّ كبير فكرة الإخوان المصريّين، ولقد كانت بينهم اتّصالات». وعندما يلخّص الأُستاذ الضناوي بعض مبادئ «فدائيان إسلام» يجد فيها: أوّلاً: الإسلام نظام شامل للحياة. ثانياً: لا طائفية بين المسلمين، أي: بين السنّة والشيعة، ثمّ ينقل عن نوّاب قوله: «لنعمل متّحدين للإسلام، ولننس كلّ جهادنا في سبيل عزّ الإسلام.. ألم يأن للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعة وسنّة؟!».

وقال عنه الشيخ هاشم الخطيب من علماء السنّة في دمشق: «لقد نهض بأبناء طائفته الجعفرية في سوريا ولبنان وجبل عامل نهضة مباركة».

(انظر ترجمته في: مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢٥٠ و ٢٨٠ ـ ٢٨٣، عظماء الإسلام: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، الشيعة في مصر لصالح الورداني: ١٢١ ـ ١٢٢).

محسن آل عصفور

الشيخ محسن آل عصفور: عالم وباحث إسلامي موسوعي كثير التصانيف، وداعية

تقريب.

وهو قاضي محكمة الاستئناف العليا الشرعية (سابقاً)، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في مصرف البحرين المركزي، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في بنك الإسكان، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في بنك الخليج للتمويل والاستثمار، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في الصندوق الوطني للاستثمارات الإسلامية التابع لبنك البحرين الوطني (سابقاً)، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في بنك الخليج الإسلامي، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في شركة سوليدرتي للتأمين، وعضو بهيئة الرقابة الشرعية في مصرف الشامل، وعضو المجلس الشرعي للوكالة الدولية الإسلامية للتصنيف، ومستشار بدار المراجعة الشرعية، وعضو هيئة تدوين المناهج بالمعهد الديني الجعفري، ورئيس مؤسّسة مجمع البحوث العلمية، ورئيس جمعية النهضة الحسينية.

وله مصنّفات كثيرة ومتنوّعة تدلّ على طول باعه في المسائل العلمية، منها: نهجنا في الحياة، ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة، المحجّة في علائم ظهور الحجّة، موجز عقائد الإمامية، ريب المنون لمفتري البدع والزندقة والمجون، أجوبة المسائل الاعتقادية، التفسير الميسّر، مفاتيح الغيب والتبيان في تلخيص تفسير الميزان، التبيان في تجويد القرآن، المرشد الوجيز لقرّاء الكتاب العزيز، إتحاف الفقهاء، الدرّ النضيد في علمي القراءات والتجويد، القاموس الوجيز لكلمات القرآن العزيز، الموجز في أحكام الصيام والاعتكاف وزكاة الفطرة، فقه الأنوار الوضية الميسّر، فقه السداد الميسّر (التقليد والطهارة والصلاة)، المختصر الرائق من فقه «الحدائق»، مائة مسألة في فقه الجنس، إتحاف الأشراف بجواب مسائل الاعتكاف، الجوهرة في نيات الحجّ والعمرة، تبصرة الناسكين بسنن الحجّاج والمعتمرين، بلغة المسافر وضياء الحاضر، دليل المرأة الفقهي، الصلاة الكاملة، المنتقى في حكم الموسيقىٰ، حلية الأولياء في حكم الموسيقىٰ والغناء، الجنس المشروع وغير المشروع، قانون الأحوال الشخصية على ضوء الفقه الجعفري، أحكام الأحوال الشخصية، الموسوعة الشرعية في أحكام الأحوال الشخصية، وثيقة عقد الزواج (دستور الحياة

الزوجية)، تقنين الأحوال الشخصية (الواقع والحلول)، العلاج باستخدام الخلايا الجذعية في علاج الأمراض المستعصية، أخلاقيات المهنة الطبّية، فقه مسؤولية الطبيب الشرعية وضمانه، تحفة المريض، إعادة الشباب وإطالة الأعمار من خلال رؤية إسلامية، الاستنساخ من خلال رؤية إسلامية، العقم وأطفال الأنابيب في الشريعة الإسلامية، زراعة الأعضاء وظاهرة العصرنة بين الطبّ والشريعة الإسلامية، رؤية الإسلام للعنف ومدلولاته وآثاره الاجتماعية، الجامع لأحاديث الوسائل والمستدرك، مصادر الشريعة في فقه الشيعة، موسوعة المحدّثين، نهج الكمال في وصايا النبي والآل، المنتخب من الأدب والدعاء المستحبّ، كامل الأوراد في الأدعية والزيارات، الحصن الحصين للمسافرين، أُصول الإثبات في علم أُصول الفقه، أُصول الفقه المقارن بين الإخباريّين والأُصوليّين، حياة المحقّق الشيخ يوسف آل عصفور البحراني، حياة العلّامة الشيخ حسين آل عصفور البحراني، حياة الشيخ خلف آل عصفور البحراني، فقهاؤنا، معجم تراجم أعلام البحرين، الدرّ النضيد في تراجم مَن ترجم له بالتحديد، موسوعة تاريخ الأنبياء، موسوعة تاريخ آل عصفور، مخطوطات علماء البحرين في المكتبات العراقية، مخطوطات علماء البحرين في المكتبات الإيرانية، معجم المصطلحات المصرفية الإسلامية، التحدّيات والحلول أمام النظام المصرفي الإسلامي، تجارب التكافل الدولية، أُسس العمل في الإسلام، المنار في فقه التجّار، بلغة الشيعة الكرام في تعبير رؤيا المنام، الحسين عِبرة وعَبرة، فلسفة الشهيد والشهادة في الإسلام، تقويم عاشوراء، فلسفة الشعائر الحسينية، حرّيتنا، دولتنا، وطننا، سياستنا، ديننا، علم الفلك الإسلامي، علم الميقات الإسلامي، المفكّرة الإسلامية، كشكول الأُنس، نهاية الأرب للمتزوّج والأعزب، ابن سينا نجم في سماء المجد.

وللشيخ آل عصفور اهتمام بيّن بقضايا الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، ترجمه بحضور فعّال ومشاركة واسعة في مؤتمرات التقريب، كما كتب عدّة بحوث في هذا الشأن، منها: تاريخ التعايش السلمي بين الشيعة والسنّة في مملكة البحرين، الوحدة والتسامح والحاكمية في المنهج السياسي للإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، مبادئ وحدة الأُمّة

الإسلامية ونهضتها في القرآن الكريم.

يقول: «إنّ المبادئ القرآنية للوحدة هي جملة من أهمّ ما نصّ عليه القرآن الكريم من قواعد لتأسيس الأرضية التي تبتني عليها وحدة الأُمّة الإسلامية ونهضتها.

ويمكن إيجازها من خلال هذا السرد لهذه الطائفة من الآيات المباركة التي تدلّ عليها، وذلك بالنحو التالي:

المبدأ الأوّل: الربّانية: قال سبحانه وتعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٧٩).

وتعني: وثاقة الصلة بالله، ويتحقّق ذلك عن طريقين: ربّانية الغاية والجهة، وربّانية المصدر والمنهج.

فأمّا الطريق الأوّل ـ وهو ربّانية الغاية والجهة ـ فقد أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ (سورة الانشقاق: ٦)، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (سورة النجم: ٤٢).

ولهذه الربّانية معطيات في النفس والحياة، يمكن ذكرها بما يلي:

المعطى الأوّل: معرفة غاية الوجود الإنساني: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١١٥).

المعطى الثاني: الاهتداء إلى الفطرة: قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (سورة الروم: ٣٠).

المعطى الثالث: سلامة النفس من التمزّق والضياع: قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (سورة الإنسان: ٣)، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد: ١٠).

المعطى الرابع: التحرّر من العبودية للأنانية والشهوات: قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (سورة فصّلت: ٤٦، سورة الجاثية: ١٥)، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحشر: ٩).

المعطى الخامس : تصحيح الغايات والأهداف لدى الأفراد، وذلك من خلال تعميق روح الارتباط بالخالق جلّ وعلا، وذلك بإثارة مبدئين :

أوّلهما : استشعار مبدأ الرقابة الإلهية، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ** ﴾ (سورة الأنفال : ٧٠)، ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ** ﴾ (سورة غافر : ١٩)، ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ** ﴾ (سورة التوبة : ٧٨).

ثانيهما : استحضار الرقابة الإلهية الفعلية، قال عزّ من قائل : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ** ﴾ (سورة العلق : ١٤)، ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ (سورة ق : ١٦).

وأمّا الطريق الثاني الذي تتحقّق به وثاقة الصلة بالله عزّ وجلّ ـ وهو ربّانية المصدر والمنهج ـ فقد أشار إليه عزّ وجلّ بقوله : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (سورة لقمان : ٢٧)، ﴿ **وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (سورة النحل : ٧٨)، ﴿ **عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ (سورة العلق : ٥)، ﴿ **خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ** ﴾ (سورة الرحمٰن : ٣ ـ ٤)، ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ** ﴾ (سورة الأنبياء : ١٦، سورة الدخان : ٣٨).

ولهذه الربّانية معطيات، هي :

المعطى الأوّل : رأب النقص وعصمة الخطأ، وإليه الإشارة بقوله عزّ من قائل : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ (سورة النساء : ٨٢)، ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ** ﴾ (سورة الأنعام : ١٥٣)، ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ** ﴾ (سورة فصّلت : ٦)، ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾ (سورة التكوير : ٢٧ ـ ٢٨).

المعطى الثاني : نبذ سلطة النفس الأمّارة ومظاهرها في الحياة : قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ**

أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (سورة القصص: ٥٠)، ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة ص: ٢٦)، وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الجاثية: ١٨)، وقوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٩).

المعطى الثالث: إلغاء السلطة الشخصية الإنسانية أمام السلطة الإلهية العليا: قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ (سورة المؤمنون: ٧١)، ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة: ٦٣)، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(سورة الأحزاب: ٣٦).

المعطى الرابع: القضاء على العبوديات الزائفة وتحرير الإنسانية من القيود المصطنعة الدخيلة: قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾(سورة الروم: ٢٠)، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّاغُوتَ ﴾ (سورة النحل: ٣٦)، ﴿ فَاجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ (سورة الحجّ: ٣٠)، وفي الحديث النبوي: «كلّكم لآدم، وآدم من تراب».

المبدأ الثاني: الإنسانية. ويمكن أن نلحظها جلياً من خلال مجمل المحاور الرئيسية التالية:

المحور الأوّل: ما يتناول حفظ النفس ووقايتها: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ (سورة النساء: ٩٣)، ﴿ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (سورة المائدة: ٣٢).

المحور الثاني: ما يتناول حفظ المال والعرض: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (سورة المائدة: ٣٨)، ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (سورة النور: ٢).

المحور الثالث: ما يتناول حفظ الحقوق العامّة: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي ٱلأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٩). ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا ﴾ (سورة النساء: ١٤). ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِن نِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلأَلْقَابِ ﴾ (سورة الحجرات: ١١). ﴿ وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

ومن معطيات هذه الخصيصة كما نستفيده منها:

المعطى الأوّل: مراعاة الكيان الإنساني وطاقاته وما يصدر عنه من خلل وقصور في أنماط السلوك: قال عزّ وجلّ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦). وقال رسول الله ﷺ: «رفع عن أمّتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة».

المعطى الثاني: انتفاء العسر في التكليف وبناء الأحكام الشرعية بما يتناسب مع الإرادة الإنسانية وطموحاتها في الحياة: قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥). ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلإِنسَانُ ضَعِيفاً ﴾ (سورة النساء: ٢٨). ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (سورة المائدة: ٦). ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ ﴾ (سورة غافر: ٣١).

المعطى الثالث: آدمية البعثة وإنسانية القدوة: قال عزّ وجلّ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (سورة الممتحنة: ٦). ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (سورة الكهف: ١١٠). ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٨).

المعطى الرابع: ركائزية الإنسانية في مبدئه وأهدافه وغاياته: قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (سورة البقرة: ٣٠). ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة الإسراء: ٧٠).

المبدأ الثالث: القرآنية: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة يس: ٦٩)، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج: ٢١ ـ ٢٢).

المبدأ الرابع: السلامة من التحريف: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة هود: ١٣).

المبدأ الخامس: نزاهة حملته: قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: ٤)، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ (سورة يوسف: ٣٢)، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ١١٤).

المبدأ السادس: الشمول للمكان والإنسان والزمان: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة يونس: ٤٧)، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٣٢)، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الحج: ٦٧).

المبدأ السابع: الوسطية أو التوازن: قال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (سورة الحديد: ٢٥)، ﴿وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ﴾ (سورة الرحمن: ٧ ـ ٩)، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(سورة القمر: ٤٩).

المبدأ الثامن: الواقعية: ولها معان:

أوّلها: واقعية المصدرية الإلهية وربّانية التشريع.

ثانيها: المطابقية بين أحكامه وتقنيناته وبين موضوعاتها.

ثالثها: واقعية التجانس الفطري مع حجم وطبيعة وحدود تلك التشريعات الإلهية،

حيث نجد أنّ المفروض منها على الإنسان كلّه ممّا يتّفق مع حدود إمكانيات القدرة البشرية المخاطبة بها، وأنّ القدرة متوفّرة على الامتثال بها عند تلقّيها بالقبول والطاعة وبذل الجهد والطاقة من دون فرق بين الفعل والترك.

المبدأ التاسع: الوضوح: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل: ٨٩)، ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة النحل: ٤٤)، ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ (سورة النساء: ١٧٤).

المبدأ العاشر: الجمع بين الثبات والمرونة، وذلك في أحكامه ومبادئه وقيمه ومثله: قال عزّ وجلّ: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨)، ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة الأنعام: ٥٩)، ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾ (سورة الأنعام: ١١٤)، ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً ﴾ (سورة الأعراف: ٥٢).

المبدأ الحادي عشر: البرهانية والإقناعية: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة البقرة: ١١١)، ﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة النمل: ٦٤).

المبدأ الثاني عشر: الرحمانية: قال عزّ وجلّ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٣)، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ﴾ (سورة غافر: ٧)، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧).

ولهذا المبدأ معطيات يمكن إيجازها بما يلي:

المعطى الأوّل: انحصار اللطف والرحمة في الرسالة الخاتمة: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٨٣)، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ (سورة آل عمران: ١٩)، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف: ٤٠).

المعطى الثاني: المبالغة في المسامحة والمراعاة: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٥)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الشورى: ٢٥).

المعطى الثالث: إرساء معالم المحبّة والتوادد والتآلف والالتحام: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الحديد: ٢٧)، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (سورة البلد: ١٧)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (سورة النحل: ٩٠).

المبدأ الثالث عشر: حتمية التطبيق وإقرار أُسسه ومبادئه: قال عزّ اسمه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ (سورة النساء: ٦١)، ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (سورة محمّد: ٢)، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ (سورة الفتح: ٢٨)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

المبدأ الرابع عشر: العزّة والسموّ والرفعة: قال تبارك وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (سورة فاطر: ١٠)، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٩).

المبدأ الخامس عشر: قدسية العهود والمواثيق: قال عزّ من قائل: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (سورة الأنعام: ١٥٢)، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ (سورة النحل: ٩١).

المبدأ السادس عشر: المثالية: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (سورة النساء: ١٢٥)، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (سورة النساء: ٨٦)، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة الإسراء: ٥٣).

المبدأ السابع عشر: التغييرية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: ١١)، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ

﴿ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٤)، ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصفّ: ٣).

المبدأ الثامن عشر: الخاتمية: قال عزّ اسمه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ﴾ (سورة الأحزاب: ٤٠)، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة: ٤٨).

وفكرة النبوّة الخاتمة لها مدلولان: سلبي ينفي ظهور نبوّة أُخرى بعدها، وإيجابي يؤكّد استمرارية النبوّة الخاتمة مع الزمن بكلّ ما يحمل من عوامل التطوّر والتجديد حتّى انقضاء الحياة الدنيوية.

المبدأ التاسع عشر: الأُمية: قال عزّ اسمه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

المبدأ العشرون: العالمية: قال عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الشعراء: ١٩٢)، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٠٤، سورة التكوير: ٢٧)، أي: ذكر وبيان وإنذار عالمي المبدأ والعرض والأهداف والأُسس والرسالة والبعثة، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الزخرف: ٤٦).

ومن خلال هذا الاستعراض الموجز لمبادئ وحدة الأُمّة الإسلامية ونهضتها من خلال آيات القرآن الكريم يمكن إدراك عظمة الرسالة النبوية الخاتمة التي تتمثّل فيما ترتكز عليه من فهم معنوي اجتماعي للحياة وإحساس خلقي بها، والخطّ العريض في هذا النظام هو اعتبار الفرد المسلم والمجتمع معاً، وتأمين الحياة الفردية والاجتماعية بشكل متوازن، وضمان السعادة الأُخروية مضافاً للدنيوية. نعم، هذه هي مبادئ الوحي المنزل التي تكفل وحدة الأُمّة ونهضتها، وهذا هو طريق خلاص المسلمين بالإسلام العظيم على هدي القرآن الكريم في أخصر عبارة وأروعها، فهو عقيدة معنوية روحية وخلقية سلوكية راقية، ينبثق عنها نظام متكامل للإنسانية، يرسم لها طريقها الواضح المحدّد في صورتها الجماعية

ومعالم حضارتها العلمية، ويضع لها هدفاً أعلى في ذلك الطريق هو رضا الله سبحانه وتعالى، ويعرّفها على مكاسبها الدنيوية والأُخروية منه».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٢٧ ـ ٣٥).

محسن الأمين

محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمّد الأمين الحسيني العاملي الدمشقي: من مشاهير العلماء، وأحد روّاد التقريب والإصلاح والفكر الإسلامي.

ولد في «شقراء» من أعمال «مرجعيون» سنة ١٢٨٤ هـ، وطوى بعض المراحل الدراسية في بلاده على: السيّد محمّد حسين الأمين، والسيّد جواد مرتضى، والسيّد نجيب الدين العينائي.. ثمّ قصد النجف الأشرف سنة ١٣٠٨ هـ، وحضر الأبحاث العالية عند بعض الأعلام، كالشيخ محمّد طه آل نجف، والشيخ رضا الهمداني، والشيخ الآخوند الخراساني.

وبارح النجف سنة ١٣١٩ هـ، فقطن دمشق، وتصدّى بها للتدريس والإفتاء وفصل النزاعات وإلقاء المواعظ. وانطلاقاً من تفهّمه لحاجات العصر ونظرته التجديدية أنشأ مدارس عديدة للجنسين، ووضع لها بنفسه كتباً حديثة سهلة المطالعة والتناول. وهدف إلى إصلاح المنبر الحسيني وتهذيب الشعائر وإنشاء جيل جديد من الخطباء الواعين، فأفلح في ذلك.

وكان في طليعة المنادين إلى التضامن مع مختلف الطوائف والمذاهب وإلى التسامح والاتّحاد ونبذ الضغائن والأحقاد. كما كان يناوئ الاستعمار، ويحثّ على الجهاد في سبيل الله والدفاع عن كرامة المسلمين.

وامتاز بتحرّره من العصبية والجمود، وهمّته العالية، وصبره وجلده في ميدان البحث العلمي.

توفّي في بيروت سنة ١٣٧١ هـ تاركاً مؤلّفات كثيرة، منها: الأجرومية الجديدة، إرجوزة الإرث، إرجوزة في الرضاع، إقناع اللائم على إقامة المآتم، الأوائل والأواخر، البحر الزخّار، تحفة الأحباب، جزيلة المعاني، جناح الناهض، الدرّة البهية، شرح تبصرة

العلّامة، كشف الارتياب، كشف الغامض، المجالس السنية، الحصون المنيعة في الردّ على صاحب «المنار»، ضياء العقول، كاشفة القناع، أعيان الشيعة، الدرّ الثمين، المسائل الدمشقية في الفروع الفقهية، أساس الشريعة في الفقه، مناسك الحجّ، حذف الفضول عن علم الأصول، لواعج الأشجان، نقض الوشيعة، رسالة حقّ اليقين في التأليف بين المسلمين، معادن الجواهر، دعبل الخزاعي، الرحيق المختوم «ديوان شعر».

والحديث عن تقريبياته يحتاج إلى إفراد كتاب كامل في ذلك، وهو بحقّ من أبرز أصحاب الاتّجاه المعروف باتّجاه التقريب الفقهي. ولقد كان واعياً لواقع المسلمين مدركاً لأضرار التشتّت الذي أصاب الأُمّة، والذي ما زالت أضراره وآثاره السيّئة يعاني فيها الملايين من مسلمي هذا الزمان على حدّ تعبير العلّامة الشيخ التسخيري، فلذلك دعا إلى التحصّن بثقافة متينة مطبوعة بطابع وحدوي، لا تشوبها أيّة خرافات ولا ما يثير حفيظة طوائف المسلمين، تستند على دعائم علمية قويّة، تستشفّ شرعيتها من جملة قواسم مشتركة بين جميع المسلمين.

يقول السيّد الأمين: «قد يساء فهم المقصود من فكرة التقارب. فيقال: إنّها تدعو إلى ترك البحث حول أحقّية هذا المذهب أو ذلك، وذلك لأنّنا لا نستطيع أن نحافظ على الأُخوّة إلّا بترك هذا النمط من البحوث.. إلّا أنّ هذا غفلة عن أنّ هذه الدعوة لا تقبل مادام كلّ طرف ملتزماً بمذهبه ويراه هو الحقّ، ولا يمكن لأحد أن يتخلّى عن اعتقاده من دون دليل أو برهان. إنّ الذي يجب أن يدعى إليه الطرفان: التعاون، وتحرّي الأدلّة العلمية، والتمسّك بالآداب الإسلامية، وتجنّب التصرّفات غير اللائقة الباعثة على التنفّر».

كما يقول: «يقول البعض: إنّ هذا الأمر التقريبي يتنافى مع ما في الدين من أمر واجب، وهو التولّي والتبرّي وإنكار المنكر بالقلب واليد واللسان؛ لأنّ المقصود منهما أن يصدرا من العبد بنية خالصة لله تعالى.. ولذا فإنّ من قام بعمل قبيح علينا أن نشعره بعدم الارتياح من ذلك، وأن نسعى لمنعه منه، ولا يجوز لنا إلحاق الأذى به خارج إطار الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والتعامل معه بخشونة، وإنّما علينا أن نتعامل معه برأفة، وننهاه عن المنكر

ونأمره بالمعروف باللين والنصيحة».

وكان يكثر من رفع شعار الوحدة، ذلك أنّ الفقيه ـ كالسيّد الأمين ـ عندما يصل من خلال استنباطه إلى وجوب الوحدة فسوف يكون له في شعار الوحدة طعم خاصّ ومتميّز، فالوحدة من الشعارات المحبّبة والخطيرة.. محبّبة؛ لأنّه ـ أي: شعار الوحدة ـ يوجد شعوراً عامّاً بأهمّية قضية الوحدة؛ إذ أنّ المسلمين قاطبة يشعرون أنّ نقطة الضعف في مواقفهم إنّما هو التشتّت والفرقة المستشرية فيهم.. وكونه خطيراً؛ فلأنّ الفكر ـ أيّ فكر ـ لو كان تجريدياً محضاً لا يعني بواقع الناس ولا يعيش همومهم ينزوي لا محالة ولو بعد حين، بعكس ما لو كان يؤثّر في حياة الناس ويتفاعل معهم، فإنّه سيشكّل منعطفاً تاريخياً فيخلد. فقضية الوحدة الإسلامية قضية مهمّة وخطيرة حيثما يوجد واقع يشغله مسلمون، ويكفي أن يلقي المرء نظرة على خارطة العالم ومقدار ما يشغله المسلمون منها من مواقع استراتيجية ليدرك جيّداً أهمّية موقفهم الحضاري.

وقد تصدّى السيّد للخرافات ذات الآثار السلبية على المجتمع الإسلامي وبشجاعة كبيرة رغم العقبات التي واجهها وما خلّفته من متاعب جمّة، وليس هذا بجديد على الفقيه والباحث والمصلح والمحقّق، حيث اكتسح الخرافات ورمى بها عرض الحائط، وأسّس مكانها مواقع عمل مشتركة جعلت تملأ الفراغات الحاصلة جرّاء قمع الخرافات والأساطير التي كانت قد عشعشت في أذهان الكثير من الناس..

كتبت جريدة «العصر الجديد» ضمن مقال في مقام إطراء منزلته والثناء على شخصيته: «لقد حمل البسطاء من الجعفريّين أن يتركوا الخرافات التي جاءت من الخارج وأدخلتها على مذاهب السنّة ومذاهب الشيعة مجتمعة».

هذا، وهناك منهج اجتهادي للتقريب؛ إذ ليس كلّ منهج بسيط في الاجتهاد متمكّناً من العمل في ميدان هذا الاتّجاه العظيم الفقهي، فالاجتهاد في هذا المجال إنّما هو بالعمل على استيحاء روح الإسلام من خلال مفاهيمه العامّة، ولا موجب للوقوف على دقائق نصوصه للبحث عن أدلّة الوحدة. ومثل هذا الاتّجاه يرى في حركة الفقه المعاصر امتداداً لحركة

الأنبياء والأئمّة عليهم السلام الشاملة لكلّ شؤون الحياة الإنسانية العامّة والخاصّة، والتي تركّز على اهتمام الشارع بكلّ حوادث الحياة البشرية، والعمل على تصحيح مسارها الخاطئ. فيرى هذا الاتّجاه ضرورة تقنين الحركة التقريبية وفق الشريعة السمحاء، وإيجاد السبل الصالحة لتطوير وسائل انتشاره، وبيان وجهة نظر الشارع المقدّس في مقرّراته وأهدافه وبرنامج أعماله، ووضع الحلول والأجوبة لكافّة المسائل والمشكلات التي تواجه الواقع الوحدوي.

يقول سماحة الشيخ التسخيري: «إنّنا نعتقد بضرورة تحرّك الاجتهاد في هذا الطريق لمواجهة الحالات المستحدثة والوقائع الكثيرة التي يزخر بها الواقع، على أساس شريعة الله تعالى النازلة على لسان نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وما تسالم عليه المسلمون من أدلّة وأحكام واستدلالات شرعية وعقلية بما يوافق الكتاب والسنّة المطهّرة الصحيحة دون الخضوع للضغوط المختلفة، وتجاوز العراقيل النفسية والاجتماعية، والتي تعمل على تكريس الآراء السابقة، وعدم الإصغاء إلى البعض الذي ذهب بعيداً عن واقع التقريب».

إنّ حركة الاجتهاد الفقهي المطلوب اتّخاذها لمعالجة مشكلة «تقنين» التقريب على أساس الشريعة الغرّاء، يجب أن تنهض بالمستوى المطلوب، وذلك من خلال مواجهة الحاجات المطروحة في الساحة بحلول عميقة ومناسبة في هذا العصر، لكي يشعر الإنسان المسلم بوجود أجوبة لكلّ تساؤلاته العملية من هذه الناحية، قد هيّأها فقهاء أعلام معروفون بالورع والنزاهة، فتطمئن لها نفسه، وتبرأ ذمّته من كلّ إبهام أو إشكال قد ينقدح بذهنه، فلا يحسّ بالحرج وهو يرافق أخاه المسلم على غير مذهبه في بعض الامتثالات، كأن يكون في الصلاة أو الصيام أو الجهاد أو الحجّ أو الزكاة.. ويمكن مشاهدة هذا المنهج في حركة العلّامة الأمين الفقهية، إذ يقول: «... فإنّ شريعتنا سهلة سمحة تدعو إلى العدل والإحسان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والتجاوز على حقوق الآخرين، ولا يعتبر هذا الأمر خاصّاً بمجموعة أو فرقة من الناس، فقد أمرت الشريعة الجميع بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحتّى بالنسبة إلى أهل الذمّة والمعاهدين مع المسلمين».

يقول الشيخ التسخيري في وصف السيّد الأمين: «لقد كان المرحوم الأمين فقيهاً واعياً

لواقع المسلمين، مدركاً لأضرار التشتت الذي أصاب الأُمّة، ومازالت أضراره وآثاره السيّئة يعاني منها الملايين من مسلمي هذا الزمان. فلذلك دعا إلى التحصّن بثقافة متينة مطبوعة بطابع وحدوي، لا تشوبها أيّة خرافات ولا ما يثير حفيظة طوائف المسلمين، تستند على دعائم عملية قوية، تستشفّ شرعيتها من جملة قواسم مشتركة بين جمع المسلمين».

يقول السيّد الأمين من شعر له:

قـــالوا بأنّ الحُـــرّ ليس مـــقيّداً
أولى بـــــه التــــحطيم للأقـــيادِ
كـــذبوا فـــقد أمســوا عـــبيد هـــواهـمُ
وغـــدوا مـــن الشـــهوات فـــي استعباد
إنّ الجـــواد إذا خـــلا عـــن رائـــضٍ
عـــند الســـباق يكـــون غـــير جـــواد
عـــجباً لقـــوم نـــابذوا الإســـلام عـــن
جـــهل وفـــرط تـــعصّب وعـــناد
أســـدى لكـــم مـــن فـــضله مـــدنيّةً
أمست لكـــم كـــالعقد فـــي الأجـــياد
وأُخـــوّةٌ مـــا بـــينكم تُـــمحى بـــها
مـــنكم ســـخائم هـــذه الأحـــقاد

(انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، معارف الرجال ٢: ١٨٤ ـ ١٨٦، أعيان الشيعة ١٠: ٣٣٣ ـ ٤٤٦، الأعلام للزركلي ٥: ٢٨٧، شعراء الغري ٧: ٢٥٥ ـ ٢٧٣، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٥ ـ ٢٢٤، ملحق موسوعة السياسة: ٥٦ ـ ٥٧، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٥٠٣ ـ ٥٠٦، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ٩٧٠ ـ ٩٧٢، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٢٧٩ ـ ٢٨٠، رجالات التقريب: ٢٣٩ ـ ٢٥٠، موسوعة الأعلام ٤: ١٣٣ ـ ١٣٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٦٩ ـ ٧٠).

محسن الحكيم

السيّد محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد بن محمود الحكيم الطباطبائي الحسني النجفي: المرجع الديني الأعلى للشيعة الإمامية في عصره، وأحد مشاهير العلماء. ولد سنة ١٣٠٦ هـ في النجف، ونشأ على أبيه السيّد مهدي، وتتلمذ على أخيه السيّد محمود، وعلى محمّد صادق البهبهاني، وصادق باقر الجواهري. ومن بعد ذلك لازم كبار الفقهاء، كالآخوند الخراساني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ علي باقر الجواهري، والشيخ محمّد حسين النائيني.

وقد شارك عام ١٣٣٣ هـ في الجهاد ضدّ الإنجليز، ثمّ تصدّى للبحث والتدريس، حتّى غدا مرجعاً دينياً كبيراً.

ومن جملة تلاميذه: السيّد مسلم الحلّي، والشيخ محمّد أمين زين الدين، والسيّد يوسف الحكيم، والسيّد موسىٰ الصدر، والسيّد موسىٰ آل بحر العلوم، والشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي، والشيخ محمّد آصف المحسني، والسيّد الشهيد محمّد محمّد صادق الصدر.

توفّي ببغداد سنة ١٣٩٠ هـ تاركاً عدّة مؤلّفات، منها: مستمسك العروة الوثقىٰ، حقائق الأُصول، نهج الفقاهة، المسائل الدينية، شرح المختصر النافع، منهاج الصالحين، منهاج الناسكين، توضيح المسائل، رسالة في سجود السهو، رسالة في إرث الزوجة، رسالة في علم الدراية.

إنّ الإمام الحكيم انتهج المنهج العملي في التقريب مضافاً إلى الجانب الفقهي، وكان لذلك دور كبير في تحقيق وحدة المسلمين وتقاربهم والتعايش بينهم على المستوى الشعبي بالرغم من السياسات الطائفية المقيتة التي اتّبعتها بعض الأنظمة التي حكمت العراق.

ويمكن تلخيص معالم هذا المنهج التقريبي الاجتماعي والعملي في النقاط التالية:

النقطة الأُولى: الاهتمام بالقضايا الكبرى والمصيرية المشتركة للأُمّة، مثل:

١ ـ القضية الفلسطينية، حيث كانت له في هذا المجال ـ مضافاً إلى الطرح السياسي والمشاركة في الأحداث الكبيرة كانتكاسة الخامس من حزيران وإحراق المسجد الأقصىٰ

وحضور المؤتمرات ـ الفتوى المهمّة في تأييد العمل الفدائي وجواز صرف الزكوات عليه في وقت كان يعاني فيه العمل الفدائي أزمة في جنوب لبنان، وكان أبناء الجنوب من مقلّدي الإمام الحكيم.

وكذلك موقفه المهمّ في منع حكومة الشاه من الاعتراف بإسرائيل، ورسالة الشيخ شلتوت إليه، وجوابه عليها أفضل دليل على ذلك حيث كان جوابه الرسالة الوحيدة العملية في هذا المجال.

مضافاً إلى تقديمه الطرح الفكري والسياسي لإنقاذ فلسطين بالانتقال من الدائرة الضيّقة إلى الدائرة الإسلامية الواسعة.

٢ ـ قضية الغزو السياسي والثقافي الأجنبي، حيث كان لموقفه ضدّ التهديد الشيوعي للعراق وخطر استيلاء الحزب الشيوعي على مقدّرات الحكم هناك بعد انقلاب تمّوز سنة ١٩٥٨ م دور كبير في إحباط هذا التهديد الخطير، وهو موقف يعرفه جميع المتابعين للأحداث، ولا سيّما فتواه الجريئة «الانتماء إلى الحزب الشيوعي كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد» والتي هزّت أركان الحزب الشيوعي الذي كاد أن يسيطر على الأوضاع بعد أن سيطر على الشارع العراقي وهزم الأحزاب القومية والليبرالية واليسارية الأُخرى.

كما كان له دور مهمّ أيضاً في حماية علماء الإسلام من أهل السنّة الذين كانوا يواجهون خطر القتل والموت على يد الشيوعيّين كإخوانهم الشيعة تحت شعار أنّهم من أنصار القومية العربية، ويعرف هذه الحقيقة جميع علماء أهل السنّة في العراق الذين عاصروا هذه الأحداث.

كما قام الإمام الحكيم بعمل واسع من أجل حماية الضبّاط من أهل السنّة أيضاً الذين كانوا يتعرّضون بسبب هذا المدّ الأحمر لخطر القتل صبراً «الإعدام»، وقد تمّ إعدام بعضهم فعلاً، ورسالة الإمام الحكيم بشأنهم مدوّنة في مذكّرات الطبقجلي.

٣ ـ قضية الاستبداد السياسي والطائفية السياسية التي كان يقف الإمام الحكيم فيها مدافعاً عن جميع أبناء الشعب العراقي دون فرق، وكلمته مع رئيس الوزراء «طاهر يحيىٰ»

بهذا الصدد معروفة، حيث قال له: «إنّنا نطالب بحكم عادل حتّى لو كان الحاكم سنّياً، ونرفض الظلم والطغيان حتّى لو كان الحاكم شيعياً».

النقطة الثانية: الدفاع عن المظلومين من أهل السنّة، كما حدث ذلك بالنسبة إلى جماعة الأكراد في العراق وغالبيتهم من أهل السنّة، فقد وقف الإمام الحكيم مدافعاً عنهم ومحرّماً على غالبية الجنود وأبناء القوّات المسلّحة من أتباعه قتالهم.

وكذلك موقفه من محاولات عبدالكريم قاسم لغزو الكويت واحتلالها مع أنّ غالبية شعب الكويت من أهل السنّة.

النقطة الثالثة: إقامة العلاقات الحميمة مع أوساط أهل السنّة العلمية والاجتماعية والسياسية سواء في داخل العراق أم خارجه، من خلال: تبادل الزيارات، وإهداء الكتب، والحضور في المؤتمرات والمنتديات، وإقامة المؤسّسات المشتركة، والتعاون على البرّ والتقوى معهم في مختلف المجالات والأحداث، وتدريس الثقافة الإسلامية لجميع المذاهب في المؤسّسات العلمية الشيعية كما في كلّية الفقه وأُصول الدين، وغير ذلك من النشاطات، والانفتاح على الدول العربية والإسلامية في إقامة العلاقات كما في الباكستان والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن ولبنان.

يقول الدكتور محمّد حسين الصغير: «اكتسب السيّد الحكيم شهرة واسعة لدى صلته بالسيّد الحبّوبي، كما اكتسب جلائل صفاته في الخُلق الرفيع والسلوك العرفاني والإنابة إلى الله تعالى. وكان السيّد الحبّوبي قد لازم كبير علماء الأخلاق في عصره الشيخ حسين قلي الهمداني، وهو من علماء السلوك والرياضة والعرفان، فكانت تجارب السيّد الحبوبي في هذه الصحبة السلوكية تفرغ شحناتها في قوالب شخصية السيّد الحكيم الذي برز فيما بعد مضافاً إلى مرجعيته الكبرى مثالاً للسلوك العرفاني والمدرسة الإلهية في تربية الذات، وتقويم النفس، وتحصيل الكمالات، ومخالفة الهوى، ومجاهدة الآمال.. وهذا ممّا يرتفع بمستوى الروح إلى درجة الصدّيقين والشهداء والصالحين. وجابه الإمام الحكيم في حياته شتّى الصروف والفتن، وقاسى ألوان البلاء والشدّة، فقابل ذلك بالصبر الجميل والاستعانة

بالله والإنابة إليه . وكان هذا النحو من السلوك قد أكسبه حياة متحرّكة فيّاضة . فهو من الفقهاء نموذجهم المثالي الأرقى ، وهو لدى العارفين وحيد عصره روحانية وخلوصاً ، وهو عند الشرائح الشعبية المتعدّدة رمز الأُبوّة الصالحة التي تفيض عطفاً وحناناً . ونتيجة لهذا السلوك كان السيّد الحكيم لا يستبدّ بالرأي اجتماعياً وسياسياً ، بل له مستشارون من مختلف الطبقات ، عليهم أن يشيروا وعليه أن يرى ، ولطالما وفّق بين آراء مستشاريه المتعارضة ، وهو صاحب القرار وحده ، لا يفرض عليه من أيّة جهة ، فلا محسوبية ولا منسوبية لديه ، بل هي المصلحة الدينية العليا ، وهو بها ينطلق من خلال تكليفه الشرعي ليس غير . وطالما استعرض السيّد الحكيم فضل الله عليه ، فيقابله بالشكر والامتنان ، ويعدّد نعم الله التي لا تحصى عليه ، فيلاحظها بعين الإخبات والخضوع ، وهو بين هذا وذاك شاكر لله على نعمائه ، ذاكر له على آلائه ، لا يزيده ذلك إلّا تواضعاً وإنابة وزلفى ، حذراً من الاستدراج بتوالي النعم ، ومخافة أن لا يؤدّي حقّ شكر المنعم ، وهذا من مظاهر مراقبته لله عزّ وجلّ في السرّ والعلن ».

(انظر ترجمته في : معارف الرجال ٣ : ١٢١ ـ ١٢٧ ، أعيان الشيعة ٩ : ٥٦ ـ ٥٧ ، الأعلام للزركلي ٥ : ٢٩٠ ، معجم رجال الفكر والأدب ١ : ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ، مع علماء النجف الأشرف ٢ : ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب : ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤ : ٥٠٩ ـ ٥١١ ، أساطين المرجعية العليا : ٨٥ ـ ١٧٠ ، موسوعة الأعلام ٣ : ٣١ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢ : ٧٠ ـ ٧٢) .

محسن عبد الحميد

الدكتور محسن عبد الحميد : من الشخصيات البارزة في الحزب الإسلامي العراقي ، وداعية إسلامي مرموق .

ولد في مدينة كركوك سنة ١٩٣٧م ، ودرس الابتدائية والمتوسّطة في مدينة السليمانية ، والإعدادية في مدينة كركوك . وتخرّج في قسم اللغة العربية من دار المعلّمين العالية «كلّية التربية حالياً» في بغداد عام ١٩٥٩ م ، وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٦٨م ، ودرجة الدكتوراه في عام ١٩٧٢م من كلّية الآداب في جامعة القاهرة في تفسير

القرآن الكريم على رسالته الموسومة «الآلوسي مفسّراً»، ويكون بهذا أوّل طالب يـدخل دراسة إسلامية في جامعة القاهرة؛ إذ كانت الدراسـات الإسـلامية مـقتصرة عـلى جـامع الأزهر.

اعتقل عام ١٩٦٦ م في مديرية الأمن العامّة فـي بـغداد مـع أعـضاء قـيادة الحـزب الإسلامي العراقي يومئذٍ، ثمّ أُطلق سراحه. وأثناء إقامته في القاهرة اعتقل لمدّة ٥٥ يوماً إثر سوء العلاقة بين العراق ومصر آنذاك.

كان له نشاط بارز في الدعوة والإرشاد وتأليف الكتب المتنوّعة. وقد أُودع السجن في حكم الرئيس العراقي صدّام حسين، ثمّ أُطلق سراحـه بـعد تـدخّل شـخصيات إسـلامية وعربية، وبالرغم من ذلك لم يغادر العراق، بل كان يقول قولته المشهورة: «والله، لو وضعوا المشنقة في باب داري لن أُغادر العراق!».

عمل مدرّساً للّغة العربية في ثانوية كركوك لمدّة عشر سنوات، وعمل أُستاذاً في كلّية الدراسات الإسلامية التي أغلقها النظام السابق عام ١٩٧٥م، وتدرّج فـي عـدّة مـناصب وظيفية، منها أُستاذ مادة التفسير والعقيدة والفكر الإسلامي والحديث في جامعة بغداد.

أُوفد إلى المغرب للتدريس في جامعاتها بين عامي ١٩٨٢م و١٩٨٥م، كما كان أُستاذاً زائراً في جامعة الملك محمّد بن سعود الإسلامية لأربع سنوات متوالية ١٩٨١م ـ ١٩٨٥م.

درس العلوم الإسلامية على علماء أجلّاء، وحصل على الإجازة العلمية من الشـيخ مصطفى بن أبي بكر الهرشمي في أربيل عام ١٩٧٨م، و أُعطي لقب الأُستاذ الأوّل في كلّية التربية عام ١٩٩٦م، وحصل على جائزة بيت الحكمة في بغداد عام ٢٠٠١ م فـي حـقل الدراسات الإسلامية، كما شارك في تطوير مناهج التربية الدينية في وزارة التعليم العـالي ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية في العراق.

وهو عضو في وضع مناهج الجهاز العربي لمحو الأُمّية إبّـان الثـمانينيات مـن القـرن الماضي، وعضو في بيت الحكمة، وعضو في الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين.

حضر عدّة مؤتمرات فكرية وعلمية عالمية في العراق والبلاد العربية والإسلامية وفي

أوروبّا، وناقش أكثر من مائة وخمسين رسالة ماجستير ودكتوراه فـي جـامعات العـراق وخارجه، وأشرف على أكثر من أربعين رسالة ماجستير ودكتوراه.

كان عضواً في مجلس الحكم الانتقالي الذي شكّل عام ٢٠٠٣م بعد سقوط نظام صدّام حسين، حيث كان ممثّلاً فيه عن الحزب الإسلامي العراقي (حيث يشغل منصب رئيس مجلس شورى الحزب وأهل السنّة)، وغدا رئيساً للمجلس الانتقالي سنة ٢٠٠٤م.

ساهم محسن عبد الحميد مع جمع من علماء العراق في التوقيع على وثيقة مكّة عام ٢٠٠٦م، وهي وثيقة اتّفق فيها على وقف الأعمال الطائفية في العراق، ونالت تأييد ورضا معظم علماء المسلمين.

ألقى مئات المحاضرات الإسلامية في المساجد والجامعات والمؤسّسات الثقافية ما بين عام ١٩٧٥م وعام ٢٠٠٧م، في العراق وخارجه. وله أكثر من ثلاثين كتاباً في التفسير والعقائد والفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية المعاصرة، كما نشر مئات المقالات في الثقافة الإسلامية في عدد من الجرائد والمجلّات العراقية والعربية والعالمية.

من مؤلّفاته: العلم ليس كافراً، حركة الإسلام ومفكّروا الغرب، حقيقة البابية والبهائية، تجديد الفكر الإسلامي، المنهج الشمولي في فهم الإسلام، السلسلة البيضاء الوجودية وواجهات الصهيونية، مع رسول الله، زي المرأة وأثره في المجتمع، حول قضية التراث، النظام الروحي في الإسلام ومقوّمات شريعته، اللغة العربية بين شعوبنا، المنهج الشمولي في فهم الإسلام، من المنظومة الغربية إلى المنظومة الإسلامية، منهاج الشاب المسلم في أسرته، أسرتك أيّها المسلم، موقف اليهود من الإسلام والمسلمين، المرأة في ظلّ الحضارة الغربية، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، الإسلام والتنمية الاجتماعية.

يقول محسن عبد الحميد: «إنّ المسلمين لم يختلفوا في أُصول الأخلاق التي تشكّل القيم العليا الفردية والاجتماعية في الحياة، وهي التي تقارب بينهم، وتصوغهم صياغة موحّدة، وترسم ملامح مجتمعاتهم المعروفة لأهل الدنيا كلّها، وهذه الأخلاق الأصيلة التي يحبّها الله تعالى ورسوله ﷺ جديرة بأن توحّد بين أبناء الأُمّة الواحدة، ولكن ببيان حقائقها

وخصائصها وأُصولها الثابتة ، والدعوة إلى التخلّق بها في أجهزة الإعلام كافّة ومناهج التربية والتعليم عبر القدوات ، ولاسيّما في الجيل الأوّل وعهود الإسلام المتتابعة وتاريخه الناصح بالشواهد والبطولات . إنّ بناء التاريخ الحضاري الإسلامي تمّ بجهود مشتركة من لدن الشعوب الإسلامية كلّها . فالحضارة الإسلامية هي حضارة الأُمّة الإسلامية كلّها بشعوبها المتنوّعة ، لا بدّ أن يفتخر بها الجميع بلا استثناء . ومن المسلّم أنّ الأُمّة الإسلامية كلّها انطلقت في ثقافتها وفقه حياتها وتنمية مجتمعاتها من هذه المنطلقات الربّانية الحكيمة عقيدةً وشريعةً وسلوكاً . فأوجدت نظماً اجتماعية وتنظيمات اقتصادية ومدارس فكرية وصياغات أدبية وفنّية وشعوراً بانتماء الهوية وتجديد الذات ، على الرغم ممّا بين شعوبها من خصوصيات جزئيات الحياة اليومية ؛ لأنّ تلك الخصوصيات لا تتقاطع مع تلك الوحدة الثقافية التي صنعها الوحي وصقلها التاريخ المشترك .

إنّ العالم يمشي بخطوات مدروسة نحو المنظّمات الوحدوية والتكتّلات الجغرافية على الرغم من الاختلافات العميقة في الدين والثقافة والتاريخ ، فكيف تتوقّف المذاهب الإسلامية وشعوبها المنتمية إلى دوحة الإسلام الوارفة عن التقارب والوحدة والتكتّل وبينها رابطة العقيدة الواحدة والشريعة الحاكمة والأخلاق الإنسانية الفاضلة والتاريخ الحضاري المشترك والأُخوّة الإيمانية الراسخة التي فضّلها الإسلام على أُخوّة النسب وعلاقة الصهارة ، إن لم تقم على أساس الإسلام ؟!

إنّ مسؤولية هذا التقارب تقع على عاتق العلماء والدعاة والحكّام ورجال التربية والتعليم ، من أجل ألّا تفتك بها العولمة الظالمة التي تريد أن تفرض الحضارة الرأسمالية الأمريكية على البشرية كلّها ، في ضوء صراع الحضارات والقوّات السريعة الانتشار .

إنّ أعداء الإسلام يريدون أن يبقى المسلمون في بطن التأريخ بكلّ صراعاته ومآسيه ، ولذلك الهدف عمل المستشرقون المرتبطون بوزارات المستعمرات في الدول الاستعمارية على إحياء دراسة الفرق الإسلامية القديمة بكلّ جزئياتها وإعادة مناهجها إلى سوح الدراسات التأريخية والإسلامية ؛ كي يتمزّق المسلمون من جديد . إنّهم كانوا وما زالوا

يعلمون أنّ المسلمين إذا رجعوا إلى الوحي فربطوه بالعصر، حينئذٍ تبدأ وحدة هذه الأُمّة من جديد، وتدخل في بناء مستقبلها المبني على الفهم الراسخ للإسلام مع الإدراك العميق لحركة العصر».

محمّد آصف المحسني

محمّد آصف بن محمّد ميرزا محسن الآصفي المحسني القندهاري: مجتهد، أديب، شاعر، من أساتذة الفقه والأُصول، وأحد أعضاء الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في أُفغانستان سنة ١٩٣١ م، وهاجر إلى النجف الأشرف لتلقّي العلوم الدينية، فتتلمذ عند السيّد الخوئي والسيّد محسن الحكيم، وبلغ مرتبة عالية من الفضل، وتصدّىٰ للتدريس والتأليف، ونظم الشعر بالعربية والفارسية. له ثلاث نساء وأحد عشر ولداً.

من جملة مؤلّفاته: الفقه والمسائل الطبّيّة، صراط الحقّ، بحوث في علم الرجال، الكشكول، حدود الشريعة، حاشية الكفاية، تقريرات في الفقه والأُصول، الجواهر المنتخبة في الروايات المعتبرة، ديوان شعر.

وصفه السيّد محمّد الغروي بقوله: «عالم فاضل، وإنسان جليل، وشخصية موهوبة، وذو فكر عميق، وصاحب رؤية واسعة».

والشيخ المحسني من الناشطين في مجال التقريب بين المذاهب وحتّىٰ في مجال السياسة، فقد قام سنة ١٩٨٠ م بتشكيل حزب «الحركة الإسلامية الأفغانية» في مدينة قم، وشارك في عدّة مؤتمرات إسلامية عقدت في الحجاز والأردن والعراق وباكستان والهند وسوريا ولبنان والكويت والإمارات والسنغال وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا. وألّف بالفارسية كتاباً تحت عنوان «تقريب مذاهب از نظر تا عمل» (التقريب بين المذاهب من النظرية إلى التطبيق)، يبيّن فيه وجهات نظره في مسألة التقريب والوحدة بين المسلمين.

(انظر ترجمته في: مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٤٧، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٣٢٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٧٣ ـ ٧٤).

محمّد الأباصيري

محمّد الأباصيري عبد العال خليفة: داعية، خطيب، مجاهد، محرّر.

ولد سنة ١٩١٤م، ونشأ في عزبة «أبو خليفة ـ الحصوة» مركز «أبو كبير» من أعمال محافظة الشرقية بمصر، وأتمّ حفظ القرآن الكريم وتلاوته ولم يتجاوز العاشرة من عمره، والتحق بمعهد الزقازيق الديني، ثمّ بكلّية أُصول الدين، وحصل على العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد عام ١٩٤١م. وبعد تخرّجه عمل واعظاً في محافظة المنيا، ثمّ واعظاً في محافظة الشرقية، ثمّ واعظاً في محافظة الدقهلية، ثمّ مفتشاً للوعظ بها. وعمل فترة من حياته مفتشاً للوعظ بالجيش المصري، ثمّ كان مراقباً عامّاً للوعظ بالأزهر الشريف.

تحمّل الكثير في حياته، وتعرّض للإيذاء والاعتقال، والتحقيق معه، فقد كان جريئاً في قول الحقّ، لا يخشى فيه لومة لائم، لا يعرف المداراة ولا المجاملة، فقد عمل في «غزّة» السليبة أيّام كانت تحت الانتداب البريطاني تحت الإدارة المصرية، وعمل واعظاً ومحاضراً، وداعياً لله، ومجاهداً في سبيله، فكم ساعد الكثيرين في الدخول إلى فلسطين، وبالاتّفاق مع الحاكم المصري آنذاك سرّاً، ولقد اعتقل بسبب ذلك عدّة مرّات، وحبس أيّاماً، وكان يقول لمعتقليه: «إنّ ظهري صلب يحتمل الجلد...»! وكثيراً ما كان يحاكم من أجل محاضرة ألقاها، أو بتهمة تحريض الناس على العصيان والتمرّد، وتأمين سلامة الداخلين إلى أرض فلسطين الحبيبة. ومن قبل اعتقل سنة ١٩٤٨م، وأُودع معتقل الطور، وعذّب واضطهد، وقاسى من صنوف العذاب ألواناً. فلم يصرفه ذلك عن تمسّكه بالحقّ ودفاعه عن الإسلام، بل زاده تمسّكاً به ودعوةً إليه.

اختاره الأزهر رئيساً لبعثته الأزهرية بليبيا في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٢م-١٩٦٥م، وكان مديراً لمعهد القويري الديني بمصراتة.

وفي سنة ١٩٧٥م عمل بالكويت في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية واعظاً بمساجدها، ومحاضراً في كثير من الندوات، ومشاركاً في معالجة كثير من القضايا التي تهمّ المجتمع والمسلمين، وكانت له ندوات في التلفزيون الكويتي، وأحاديث في الأذاعة

الكويتية، ومقالات في الصحف اليومية.

عيّن رئيساً لتحرير مجلّة «الوعي الإسلامي» خلفاً لرئيس تحريرها الشيخ أحمد البسيوني.

توفّي ظهر اليوم الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٨٤م تاركاً بعض المصنّفات، كتفسير سورة الأحزاب، والمرأة والتربية الإسلامية، وتفسير سورة النور، وتفسير سورة المائدة.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١١٨ـ١١٩، إتمام الأعلام: ٣٣٥ـ٣٣٦، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠١٨).

محمّد إبراهيم الجنّاتي

محمّد إبراهيم الجنّاتي: عالم معروف، وداعية تقريب.

ولد في عام ١٩٣٢م في مدينة شاهرود الإيرانية، وعند بلوغه ستّ سنوات أشار عليه والده بتعلّم القرآن الكريم وآداب اللغة الفارسية. وفي سنّ الحادية عشر التحق بمدرسة شاهرود العلمية، وأنهى خلال أربع سنوات مرحلة المقدّمات وجزءاً من مرحلة السطوح. وأتمّ مرحلة السطوح العالية في الفقه والأُصول مضافاً إلى كتاب «المنظومة» للسبزواري وهو لم يكمل الثامنة عشرة من عمره. ولمواصلة دراسته الحوزوية هاجر إلى مدينة مشهد المقدّسة، ونهل من علوم أساتذتها البارزين. وبعد مدّة هاجر إلى مدينة قم المقدّسة، وحضر دروس بحوث الخارج في الفقه لآية الله البروجردي وعلم الأُصول للإمام الخميني، ثمّ هاجر إلى مدينة النجف الأشرف، وأقام فيها مدّة خمسة وعشرين عاماً، قضاها في حضور دروس الآيات العظام: الشاهرودي، والحكيم، والشيرازي، والحلّي، والزنجاني، والخوئي.

كان الشيخ الجنّاتي ـ وبالإضافة إلى حضوره حلقات الدروس العالية في النجف الأشرف ـ يقوم بتدريس الكتب العميقة، كالرسائل وشرح اللمعة، وقد خصّص جزءاً من وقته للتأليف والتصنيف. كما قام بتدريس طلّاب مرحلة السطح كلّ من كتاب الرسائل والمكاسب والكفاية لمدّة ثلاث دورات. وفي السنوات الأخيرة من إقامته في مدينة النجف

الأشرف قام بتدريس بحوث الخارج في الأُصول بمدرسة المرحوم الآخوند الخراساني، وقد أنهى تأليف كثير من الكتب القيّمة، ومن جملتها تقريرات بحوث الخارج لآية الله العظمى المرحوم السيّد محمود الشاهرودي.

بعد عودته إلى إيران سنة ١٩٧٩م أقام في مدينة قم المقدّسة مستمرّاً على نهجه في التدريس والتأليف وكتابة المقالات العلمية.

وكان يدرّس ـ ولا يزال ـ طلّاب بحوث الخارج في الفقه والأُصول بشكله التقليدي في الحوزة، وكذلك الفقه والأُصول وعلوم القرآن وعلوم الحديث بشكلها المقارن في مدينة قم المقدّسة.

ويعتبر الجنّاتي من أوّل الشخصيات العلمية في مدينة قم المقدّسة الذين يقومون بتدريس الفقه والأُصول وعلوم الحديث وعلوم القرآن بصورة مقارنة من وجهة نظر اثنين وعشرين مذهباً إسلامياً، من مائة وثمانية وثلاثين رأياً فقهياً وردت في تاريخ الفقه الإسلامي. وهي: مذهب الإمامية، الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية، الزيدية، الأباضية، الظاهرية، الأوزاعية، الثورية، الليثية، الراهوية، النخعية، التميمية، الطبرية، الجبيرية، الكلابية، الشبرمية، مذهب ابن أبي ليلى، الزهرية، العيينية، والجريحية.

وتمّ طبع هذه الدروس ضمن المجموعات الآتية: الفقه المقارن، مصادر الاجتهاد، مراحل الاجتهاد، مراحل الفقه، مناسك الحجّ طبق المذاهب الإسلامية.

وقسم من هذه المجاميع تحت الطبع، مثل: علوم الحديث وعلوم القرآن طبقاً للمذاهب الإسلامية.

وجدير بالذكر أنّ مؤلّفاته وآراءه العلمية تمّ طبعها وشرحها في عشرات الكتب ومئات المقالات، وكذلك اللقاءات التي كان يجريها في داخل وخارج إيران بلغات العالم المختلفة.

وللجنّاتي نشاطات وخدمات كثيرة داخل إيران وخارجها، حيث اشترك في كثير من المؤتمرات والندوات، وألقى فيها كثيراً من المحاضرات، وأجرى لقاءات عديدة مع

المجلّات المحلّية والأجنبية، واستطاع من خلالها توضيح آرائه ونظرياته وفتاواه بشكل مفصّل. ومن تلك المحاضرات والمقالات العلمية التي ألقاها في مراكز المدن والجامعات غير الإيرانية على سبيل المثال:

١ ـ ملتقى (مكانة العقل في النصوص المقدّسة)، في جامعة برمنكهام.

٢ ـ ندوة (معرفة الشيعة بين الأمس واليوم)، في جامعة إسطنبول.

٣ ـ ملتقى (الفقه المقارن وطرق الاجتهاد)، في جامعة دمشق.

٤ ـ مؤتمر (المذاهب الإسلامية) ومؤتمر (الحجّ)، في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة.

بالإضافة إلى ذلك قامت كثير من الصحف والمجلّات المختلفة بنشر آرائه وفتاواه، ومنها على سبيل المثال (الصحف الفارسية): «كيهان، اطّلاعات، إيران، أبرار، قدس، رسالت، بعثت، سلام، جهان إسلام، كيهان هوائي، زن، همشهري، تهران تايمز، كيهان أنديشة، كيهان فرهنكي، زنان، ميراث جاويدان، زائر، ميقات حجّ، أنديشة حوزة مشهد، فرزانة، نور علم، تبيان، أدبستان، كوثر، بيك ياران، ماهان، إيران جوان، سروش، آئينة، آئينة سخن»، وغيرها. أمّا الصحف العربية فنذكر منها: «العدل، صوت الإسلام، الثقافة الإسلامية، الفكر الإسلامي، التوحيد، المبلّغ الرسالي»، وغيرها.

كما قام بالبحث المستمرّ والتحقيق في كثير من المسائل المستحدثة، مراعياً فيها شروط الزمان والمكان والعرف وحاجة المجتمع على أساس القواعد الفقهية وأُصول الاستنباط وطرحها في المحافل العلمية والمراكز الثقافية، وتمّ نشرها في وسائل الإعلام. ولا زال على هذه الشاكلة في مدينة قم المقدّسة، كما كان في مدينة النجف الأشرف ضمن مجموعة المجتهدين البارزين ينير الدرب للباحثين والمحقّقين في عالم الفقه والفقاهة.

ومن الأُمور التي تميّز بها رسالته الاجتهادية «توضيح المسائل» التي ورد فيها أكثر من ثلاث آلاف مسألة، معتمداً باجتهاده الدقيق على العناصر الأصلية للاستنباط، وقد استطاع أن يتجاوز أكثر من مائة احتياط قال به المجتهدون الآخرون في رسائلهم العملية، وأن يعطي رأيه القطعي الصريح في كلّ منها.

كما أنّ كتابه «مناسك الحجّ» ـ والذي احتوى على أكثر من (١٤٠٠) مسألة ـ اعتبر من أكبر وأكمل الكتب المطبوعة في مجال مناسك الحجّ حتّى الآن.

من مؤلّفاته: كتاب الحجّ (٥ مجلّدات)، الفقه المقارن (٨ مجلّدات)، توضيح الأُصول (مجلّدان)، النفحات العلمية في أُصول فقه الإمامية (٤ مجلّدات)، رسالة «توضيح المسائل» باللغة الفارسية، ورسالة «مجمع المسائل» باللغة العربية، مناسك الحجّ، مصادر الاجتهاد في رأي المذاهب الإسلامية، مراحل الاجتهاد في رأي المذاهب الإسلامية، مراحل الفقه وكيفية بيانها، مناسك الحجّ على رأي المذاهب الإسلامية، علوم القرآن في رأي المذاهب الإسلامية، علوم الحديث على رأي المذاهب الإسلامية، الموسيقى الغنائية من وجهة نظر الفقه الاجتهادي، الفنّ والجمال من وجهة نظر الفقه الاجتهادي، الحجاب من وجهة نظر الفقه الاجتهادي، كفّارات الإحرام، الإسلام اقتصادياً واجتماعياً، المساجد وأحكامها في التشريع الإسلامي، طهارة الكتابي، الحاشية على «العروة الوثقى»، أحكام الشهيد، تغيّر الاجتهاد بتغيّر الزمان وشرائطه، الطهارة الذاتية لكلّ إنسان، البحوث الإسلامية، دُرر وأجزاء في مبحث الإجزاء، قاعدة التجاوز، قاعدة الفراغ، قاعدة الصحّة، قاعدة الإلزام، الوقف وفق الأُسس الإسلامية، مجالات الوحدة بين المذاهب الإسلامية، الاجتهاد والأدلّة الاختلافية بين المذاهب الإسلامية، السير التاريخي للفقه المقارن، الارتداد على رأي المذاهب الإسلامية، بحوث في معرفة القرآن، المجتهد المطلوب في الحكومة الإسلامية، نقد المنهاج الدراسي في الحوزة العلمية، أسباب حرمان النساء من الوظائف الاجتماعية، الحرّية وحقوق الإنسان، الاجتهاد والعلم، حلّية ذبائح أهل الكتاب، دور الحكومة الإسلامية في ازدهار وانتشار الفقاهة، الرمي وذبح الأضحية في منى والتقصير، البلوغ على أساس الأدلّة الفقهية، تصدّي النساء لمقام المرجعية على أساس الأدلّة، الطرق الكلّية للاستنباط في الفقه من وجهة نظر فقهاء الإسلام، قضاء النساء على أساس العناصر الفقهية، الحقوق المتقابلة بين الحكومة والأُمّة في النظام السياسي الإسلامي، وحدة أصل الدين، حوار الأديان، دراسة تصدّي النساء لرئاسة الجمهورية على

أساس الأدلّة، فلسفة تكرار المآتم المذهبية، ضرورة تحوّل الاجتهاد، العوامل المساعدة في تقدّم العلوم والتقنية، شروط ووظائف المدراء في النظام الإسلامي، شهرة وخصائص العلّامة الجعفري، المتعة أو الزواج المؤقّت، الخصائص الفقهية والاجتهادية للمحقّق النائيني، الحوزة العلمية وتعميق التبليغ الديني، مكانة المرأة في الإسلام ورأي دُعاة تحرير المرأة، العلّامة الأميني، الشعراء من وجهة نظر الأُسس الإسلامية، مكانة العقل في الأُصول الاستنباطية، عاشوراء الحسين ﷺ، الحجّ، سلسلة الحوارات، الألوان في اللباس الإسلامي، الدين والحرّية، عدم تحريف القرآن الكريم، القراءات المختلفة للقرآن الكريم، التقريب بين المذاهب الإسلامية، اجتهاد المرأة، الوحدة الإسلامية: أبعادها ومنطلقاتها، الشيخ المفيد، المقدّس الأردبيلي، بحوث في معرفة القرآن الكريم، الشيخ فضل الله النوري، ركود الفقه بسبب ترك الاجتهاد، المرأة والمسائل الاجتماعية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السياحة (بحث وتحليل)، الكافر الكتابي (الطهارة الذاتية)، المشرك (الطهارة الذاتية)، الملحد (الطهارة الذاتية)، الزواج من أهل الكتاب (دراسة وتحليل)، صناعة التماثيل للأغراض الفنّية (دراسة وتحليل)، الشطرنج والألعاب الفكرية، الربح والخسارة في سباقات الخيل والرماية، تحديد النسل (دراسة وتحليل)، التلقيح الصناعي (دراسة وتحليل)، الابتداء بتقليد الميّت (دراسة وتحليل)، آراء حول المرجعية الدينية، التضامن بين الأديان والمذاهب، ماضي الفقه المقارن وتطوّره، التكامل والركود في الفقه الاجتهادي عند أهل السنّة، الاجتهاد في الأُسس الفقهية: منزلته ومواضيعه، أحكام الوضوء، الأبعاد الفقهية والاجتهادية للطبري، المراحل التاريخية لتفسير القرآن الكريم، عدم تعيّن تقليد الأعلم، الفقه الاجتهادي وإصلاح الحوزات العلمية، ضرورة تجديد النظام التعليمي في الحوزة العلمية، شروط المبلّغين، أسباب تقدّم التربية، تعامل العُرف والشرع.

ويعدّ الشيخ الجنّاتي من دعاة الوحدة المتميّزين، ولا أدلّ على ذلك من تدريس الفقه المقارن للمذاهب الإسلامية، ومشاركته في المؤتمرات الوحدوية، وتأليفه عدّة كتب في هذا المجال، كـ: «مجالات الوحدة بين المذاهب الإسلامية، والتقريب بين المذاهب

الإسلامية، والوحدة الإسلامية: أبعادها ومنطلقاتها، والتضامن بين الأديان والمذاهب».

يقول: «الاختلاف في المسائل الفرعية بين الفقهاء ليس خطراً، وإنّما يكون خطراً إذا صار سبباً للنزاع الذي حذّر الله منه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)، أو صار موجباً للتفرقة التي نهى الله عنها بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

إنّ إخواننا أهل السنّة وإن لم يعتقدوا كالشيعة بأنّ أئمة أهل البيت أئمّة منصوص عليهم، ولكنّهم يحبّونهم ويعتقدون في حقّهم بأنّهم أئمّة في العلم والدين، وأنّهم سادة لهم فضلهم في الأُمّة ومكانتهم في الإسلام. ولذا نحن نعتقد بأنّ المسلمين كلّهم سنيّون وكلّهم شيعة.. أمّا كونهم كلّهم سنيّين فلأجل أنّهم يعملون بسنّة رسول الله، وأمّا كونهم كلّهم شيعة فلأجل أنّهم يحبّون أهل البيت.

وأمّا بعد وفاة رسول الله وإن اختلف طريق الشيعة وطريق أهل السنّة في الوصول إلى سنّة رسول الله، إذ الشيعة اعتقدوا بأنّ سنّة أئمّة أهل البيت موجبة لتداوم سنّة رسول الله، والسنّة اعتقدوا بأنّ سنّة الصحابة موجبة لتداوم سنّة رسول الله، ولكنّ هدفهما واحد ومشترك، وهو سنّة رسول الله، فكلّنا مسلمون.

قال الإمام الخميني (رضوان الله عليه): «والذين يثيرون الخلاف بين المسلمين ليسوا من السنّة ولا من الشيعة».

وقال قائد الثورة الإسلامية آية الله الخامنئي (دام ظلّه): «إنّ الذين يدعون إلى وحدة المسلمين ليسوا بأعداء الإسلام، وإنّهم يريدون الخير لأتباع دينهم»، وقال: «اعلموا أنّ أعداء الإسلام يتربّصون بكم الدوائر للنيل من وحدتكم، فكونوا على حذر.. لا تسمحوا لبروز الخلافات بينكم، حاذروا من الأُمور الموجبة لها والتي يستطيع الأعداء أن يجعلوا منها مستنداً لزرع الفرقة...».

إنّ المسلمين اليوم بأمسّ الحاجة إلى الوحدة؛ إذ أنّ وضعهم وسيرتهم تكون أخطر وأدقّ ممّا كانوا عليه زمان الصحابة والتابعين وتابعيهم الأوائل؛ إذ كلّهم يعلمون أنّ سياسة

أعداء الإسلام في هذا الزمان غير سياستهم في تلك الأزمنة، وذلك لأنّ سياستهم لا تقوم في زماننا على المعاهدة والمفاوضة والاتّفاق والحبّ والبغض والصدق والكذب، بل تقوم على القوّة للاستيلاء على ثروات المسلمين، وأنّ سياستهم لا تعتمد على أُسس ثابتة ولا على منطق سليم، بل تتلوّن وتتغيّر وتتبدّل حسب مصالحها ومطامعها وتتكيّف حسب رغباتها».

(انظر ترجمته في: الذريعة ١٧: ٢٧٢).

محمّد إبراهيم الفيّومي

الدكتور محمّد إبراهيم الفيّومي: مفكّر إسلامي، وداعية تقريب.

ولد عام ١٩٣٨ م في قرية «أو ليلة» مركز «ميت غمر» بمحافظة الدقهلية بمصر، والتحق بالتعليم الأوّلي وكتّاب القرية حتّى حفظ القرآن الكريم. وفي عام ١٩٥١ م التحق بمعهد الزقازيق الديني، وتلقّى تعليمه ودراسته منه، إلى أن حصل على الشهادة الثانوية في عام ١٩٦٠ م، ثمّ التحق بكلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر، إلى أن حصل على الشهادة العالية «ليسانس» عام ١٩٦٥ م، ثمّ أكمل دراسته العليا في هذه الكلّية، ليحصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية في عام ١٩٦٨ م.

وفي عام ١٩٦٦ م ـ أي: بعد حصوله على شهادة الليسانس ـ عيّن مدرّساً بوزارة التربية والتعليم ببورسعيد، ثمّ استقال بعد عام واحد، وفي عام ١٩٧٠ م ـ أي: بعد حصوله على شهادة الماجستير ـ عيّن باحثاً في مجمع البحوث الإسلامية.

سافر إلى فرنسا عضواً في بعثة الأزهر لدراسة الفلسفة الإسلامية بالسوربون ـ جامعة باريس، وحصل على دبلوم عالٍ في الفلسفة الإسلامية (١٩٧١ ـ ١٩٧٣ م).

وفي عام ١٩٧٤ م عيّن مدرّساً للفلسفة بكلّية أُصول الدين في جامعة الأزهر، وفي عام ١٩٧٨ م عمل أُستاذاً مساعداً للفلسفة الإسلامية ومعاراً لكلّية التربية.

انتدب عام ١٩٨٢ م قائماً بأعمال عميد لكلّية الدراسة الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، وبعد سنتين عيّن أُستاذاً للفلسفة الإسلامية، وعميداً لكلّية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنين بجامعة الأزهر.

وفي عام ١٩٩٣ م انتدب أميناً عامّاً للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وبعد عام واحد استقال من منصبه، ثمّ ما لبث أن انتدب ثانيةً.

انتخب عام ١٩٩٨ م عضواً مشاركاً ببحث في مؤتمر الجمعية الفلسفية الأفروأسيوية ـ الجامعة العربية، وفي عام ٢٠٠٠ م اختير عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، وفي عام ٢٠٠٣ م اختير عضواً بمجمع اللغة العربية.

شارك الأُستاذ الدكتور الفيّومي في عدّة مؤتمرات، منها:

١ ـ مؤتمر القدس، حيث ألقى بحثاً بعنوان «مأساة وطن عربي إسلامي» عام ٢٠٠٣ م بلندن، وبرعاية المركز الشيعي الإسلامي.

٢ ـ مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية، حيث ألقى بحثاً بعنوان «الإسلام والحضارة» عام ٢٠٠٢ م بالقاهرة.

٣ ـ مؤتمر مجمع اللغة العربية، حيث شارك ببحث «اللغة العربية» في مارس عام ٢٠٠٣ م بالقاهرة.

وقد حصل الأُستاذ على عدّة شهادات تقدير، من أهمّها شهادة تقدير وميدالية ذهبية من الجمعية الثقافية للعلوم والفنون والآداب عام ١٩٨٣ م.

ومن أبرز مؤلّفاته وبحوثه ودراساته: القلق الإنساني، مقدّمة في علم الاجتماع، قضايا في الاجتماع الإسلامي، الإسلام واتّجاهات الفكر المعاصر، في الفكر الديني الجاهلي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ملاحظات على المدرسة الفلسفية في الإسلام، المدرسة الفلسفية في الإسلام، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المشرق، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب، تأمّلات أزمة العقل العربي، رسالة في الحوار الفكري بين الإسلام والحضارة، رسالة في الحوار الفكري بين العرب والحضارة، الوجودية وفلسفة الوهم الإنساني، الاستشراق رسالة استعمار: تطوّر الصراع الغربي مع الإسلام، في مناهج تجديد الفكر الإسلامي: التقريب بين المذاهب الإسلامية، الإمام الغزالي، البوصيري وابن عطاء الله

الإسكندري، ابن باجة وفلسفة الاغتراب، النزعة العقلية عند الإمام الشافعي، الإسلام والغرب، فلسفة خطاب الإعلام العربي بين التبرير والتغيير، حول قضية التوفيق بين الدين والفلسفة، فيلسوف مغترب في الأُندلس، علم النفس المعاصر وثنائية الإنسان من منظور إسلامي، سيكلوجية الحوار الفكري بين الشرق والغرب، الشباب والتطرّف، حوار حول مفهوم الأُصولية، أثر كتاب «الله» في حياتي، التوظيف التاريخي للإرهاصات النبوية في سيرة ابن هشام، التأويل النقدي التحليلي في إثبات إنّ التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية، تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني.

كتب يقول: «من الصعب بل من المستحيل أن يتمّ التعرّف الصحيح على حقيقة الإسلام مادامت جميع وسائل الإعلام الغربية والأكاديمية طرفاً منها بين أيديكم تنشر المفاهيم الخاطئة والانطباعات السيّئة عن الإسلام والعرب.

لهذا يجب قبل الانطلاق في أيّ حوار ثقافي متبادل أن نحاول تصحيح تلك المفاهيم وفق مصادرها العلمية، وأن نحاول إيجاد قبول مشترك للمفاهيم التي يستعملها كلّ طرف من الأطراف.

أمّا إذا لم ننطلق من مفاهيم لها قدرها العلمي المشترك واعتمدنا على انطلاقات غير معتدلة فإنّ الحوار يصبح بكلّ تأكيد مغلوطاً.

إنّ التفاهم الحقيقي والحوار المتكامل بين طرفين يتطلّب إيجاد مساحة مشتركة من المفاهيم الفكرية المتّفق عليها بين المتحاورين في مجالات الإسلام الواسعة: المذهبية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

لذلك يجب التركيز على تلك المبادئ إذا أراد الغرب أن يقيم حواراً مع الإسلام وفق الركائز الأساسية التالية:

أوّلاً: النظر من جديد إلى حقيقة الإسلام من منابعه الأصيلة.

ثانياً: الحدّ من النظرة العرقية المشوّهة للإسلام والعرب، أمّا قد حان الوقت لكي تنتهي عنصرية الأقوياء، ولكي يأخذ الحوار مكانه.

ثالثاً: أن تتوقّف مكوّنات الرأي العالمي الغربي عن نشر الصورة المشوّهة والمرضية عن الإسلام والمسلمين والعرب.

وفي النهاية نقول: إنّ خير وسيلة للحوار هي التفاهم. إنّ التفاهم المتبادل هو دائماً الأداة الثقافية الضرورية لتقدير الشعوب حقّ قدرها».

وعلى العموم، فقد اتّسمت كتابات الدكتور الفيّومي ونشاطاته الثقافية بشيئين:

الأوّل: الصدق الذي تحمله كتاباته، إذ أنّ أيّة مراجعة ـ ولو عرضية ـ يقوم بها القارئ لا يشعر معها أبداً أنّ ثمّة أغراض وأهواء سياسية أو طائفية أو مذهبية تختفي وراء السطور، فكلّ شيء فيها واضح وشفّاف ومبني على أُسس علمية مسبقة.

الثاني: عدم الانحياز إلّا لطرف الإسلام ضدّ أعدائه الكثيرين، من مستعمرين ومستشرقين وغيرهم.

وإذا كانت جهوده الثقافية ترصد الأصالة الإسلامية رغم الموانع التي تحول دون رصدها، والمتمثلّة بـ: الهجمة الثقافية التي يشنّها الغرب بكلّ وسائله المتاحة على الإسلام وأهله، والتراث الملبّد بمحاولات التحريف والتزييف التي تقوم بها جهات عدّة، فإنّ مبادرته التقريبية في كتاباته قد أفرزت أنماطاً من السلوك التي نأمل أن يسلكها سائر كتّابنا ومفكّرينا في العالم الإسلامي، والتي منها:

١ ـ مقاومة كلّ عوامل التفريق والاختلاف.

٢ ـ تعزيز عناصر الوحدة والتعاون على البرّ والإحسان، ونبذ كلّ عون على الشرّ والعدوان.

٣ ـ الاضطلاع بدور المربّي للشعوب المحرومة ثقافياً وحضارياً، والذي لا تحيد به الأهواء الطائفية ولا المذهبية عن القيام بواجبه الشرعي والوطني.

فبقدر ما كان الدكتور الفيّومي نشطاً في مواجهة الغزو الثقافي الغربي للعالم الإسلامي، كان مندفعاً كذلك باتّجاه تعزيز سبل التفاهم والحوار والتلاقح الفكري بين المذاهب الإسلامية من خلال التشجيع على المزيد من الالتقاء والحوار.

إنّ مَن يطالع كتابات الأُستاذ الفيّومي يجدها قد توافرت على وعي كبير بهموم الأُمّة ورسالتها الخالدة، وثقافة واسعة تلائم مناخات الوقت الراهن. ومن يقرأها يلمس فيها اتّزان العالم الحصيف، ونبوغ الكاتب القدير الذي يرسل آراءه واضحة المعالم، سافرة الأركان، شفّافة وصادقة، لا يريد إلّا الإصلاح والتجديد.

لقد ساهم هذا الرجل مساهمة لا بأس بها في إرساء دعائم التقريب في محيطه، وتعزيز قواعد المحبّة والاحترام بين طوائف المسلمين، فُعدّ من ذلك الطيف المخلص الذي يحمل إيحاءً صادقاً وانعكاساً لثورة أشعل نيرانها عظماء المسلمين وعلماؤهم الذين استوعبوا هموم الرسالة المحمّدية الغرّاء، وتحمّلوا الصعاب في سبيل ذلك؛ أُسوة بنبيّهم الأكرم ﷺ، وأهل بيته الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

كتب الأُستاذ يقول ـ وهو يصف وفد الأزهر إلى طهران لحضور مؤتمر الحوار والتفاهم ـ: «واليوم آنَ للتاريخ أن يدور دورته ويستقيم فلكه، والتاريخ لا يمنح عطاءه إلّا لمن جاهد في سبيل البحث والمعرفة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (سورة العنكبوت: ٦٩)».

ويقول في إطار وصفه للمؤتمر المذكور: «وتلك أُمّة الإسلام واحدة، عقيدة واحدة، تاريخ واحد، أعراف وتقاليد زرعها التاريخ في وجدان الأُمّة الإسلامية، فشكّلتها هوية إسلامية واحدة...».

وأضاف قائلاً: «وبرزت قيمة مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في القيمة العلمية، وتأكيد أواصر الأُخوّة الإسلامية والتبادل الثقافي الجادّ بين الوفد السنّي والفكر الشيعي الإسلامي، وكان الحوار مثمراً في فرز نقاط الاتّفاق، وهي كثيرة.. وأهمّ من نقاط الاتّفاق تلك الروح السمحاء التي تودّ الوحدة الإسلامية تنميتها، واللقاءات العلمية، وطرح ما يظنّه البعض أنّها مشاكل تعوق التعاون والتفاهم على مائدة البحث والنظر حتّى تكون كلمة الإسلام هي العليا، وفوق كلّ تعصّب المذاهب، وما خلّفه التاريخ الثقافي من عصبيات المذاهب، وأحجبته نار السياسة وألبسته ثوب الدين والدين منه براء».

ويضيف أيضاً معبّراً عن أمله في تحقيق الوحدة الإسلامية قائلاً: «ونودّ أن نـردّ كـيد الغرب، ويصبح العالم الإسلامي والعربي رقعة واحدة من غير حدود فاصلة، يجوبها جواز مرور واحد، وتذوب في أرجائها خلافات المذاهب والعصبية لها، وتخفّ حدّتها العقدية، والخلاف في الرأي لا يفسد للودّ قضية».

محمّد أبو زهرة

محمّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبدالله أبو زهرة: علّامة مفكّر مشهور، وأحد روّاد التقريب.

ولد بمدينة «المحلّة الكبرىٰ» إحدى مدن محافظة الغربية بمصر سنة ١٨٩٨ م، وربّي بجامع الأحمدي في طنطا، وحفظ القرآن الكريم، وتعلّم بمدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة سنة ١٩٢٥ م، وحصل على شهادتها مع درجة أُستاذ وعلى شهادة دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م، واشتغل بالتدريس عدّة سنوات.

بدأ اتّجاهه في البحث العلمي بكلّية أُصول الدين بالأزهر سنة ١٩٣٣ م، ثمّ في كلّية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٤ م، وعيّن محاضراً للـدراسـات العـليا فـيها، وعـضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية سنة ١٩٦٢ م، فوكيلاً لمعهد الدراسات الإسلامية الذي أسّسه في القاهرة بمعيّة بعض أهل العلم، ولم ينقطع عن إلقاء المحاضرات فـيه، وأصبح وكيلاً لكلّية الحقوق بجامعة القاهرة، ورئيساً لقسم الشريعة فيها، كما تولّىٰ التدريس فـي عدد من الجامعات.

شارك في كثير من لجان صياغة قانون الأحوال الشخصية وتعديله في مصر وغيرها من البلاد العربية .وكانت له مواقف شجاعة مع حكومة مصر آنذاك. وكان أوّل من أنشأ قسم الشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق بجامعة القاهرة، وقد وصف بـالعلم والشـجاعة والفـقه والاجتهاد.

توفّي في القاهرة سنة ١٩٧٩م تاركاً الكثير من المؤلّفات، منها: تـاريخ الجـدل فـي الإسلام، المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، مـقارنات الأديـان، مـحاضرات فـي

النصرانية، نظام الإسلام، العلاقات الدولية الإسلامية، المجتمع الإسلامي في ظلّ الإسلام، الوحدة الإسلامية، أُصول الفقه، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، الأحوال الشخصية وشرح قانون الوصية، تاريخ المذاهب الفقهية، محاضرات في الأوقاف، القضاء الإداري في الإسلام، سيرة المصطفى ﷺ، جعفر الصادق ﷺ، مالك، الشافعي، ابن حزم، ابن حنبل، تنظيم الإسلام للمجتمع، الخطابة، المعجزة الكبرى، ولاية المظالم في الإسلام، الحسن البصري، الفخر الرازي.

وكان أبو زهرة جريئاً في قول الحقّ، وقد جرّت عليه جرأته في الجهر برأيه غضب السلطة، فصدرت قرارات في الستّينيات من القرن الماضي بحرمانه من التدريس في الجامعة وإلقاء دروسه ومحاضراته في المنتديات العامّة ودور العبادة، ومن التحدّث في الإذاعة والتلفزيون، والكتابة في الصحف.

وقد كان أبو زهرة مصلحاً اجتماعياً ينقد أخطاء المجتمع والحكم، وله مواقف شجاعة من قضية الشورى، وضرورة المحافظة على دستور الأُمّة، ورفضه الشديد للحكم الفردي والاستبداد السياسي.

وقد اهتمّ الشيخ أبو زهرة بتاريخ الديانات، منطلقاً في دراسة الأديان من منطلق العقل قائلاً: «لأعرف ما فيها من قضايا ما يتّفق مع حكم العقل وتستسيغه الأفكار، وما لا يقبله العقل، بل يلفظه كما يلفظ اللسان مسيخ الطعام وما تمجّه الأذواق».

وإذا كان قد درس الديانات الوضعية والسماوية من منطلق عقلي فقد راح أيضاً يدرس المذاهب الإسلامية دراسة موضوعية بروح علمية متجرّدة بعيدة عن منطق التحمّس الأعمى أو التعصّب الذميم، ويشهد بذلك كتابه «تاريخ المذاهب الإسلامية». وقد كتب عن بعض أئمّة الشيعة في إنصاف، مثل كتابه عن الإمام الصادق ﷺ، وكتابه عن الإمام زيد، مرتفعاً بذلك فوق الخلافات المذهبية العقدية بين السنّة والشيعة، ويعبّر عن ذلك في كتابه «الإمام الصادق» بقوله: «كتبناه بروح من الحقّ الثابت، وقصدنا بكتابته أن نقرّب ولا نفرّق».

وقد اهتمّ الشيخ أبو زهرة اهتماماً كبيراً بمعالجة قضايا المجتمع على أُسس إسلامية، وقد عنى لذلك بعقد المقارنات بين تنظيم الإسلام للمجتمع وما كانت تشتمل عليه النظم الأُخرى قبل الإسلام من تنظيم للمجتمع، كما عنى برسم الخطوط وتوضيح المعالم للمجتمع الإسلامي، وبيان طرق الشريعة في معالجة أدوائه. ومن بين الأُمور الكثيرة التي وجّه إليها سهام نقده في المجتمع نقده لما يسمّى «بيت الطاعة»، مشيراً إلى أنّه ليس هناك في الإسلام شيء اسمه بيت الطاعة، ولكن الذي فيه هو «بيت الزوجية»، الذي يضمّ الزوجين ليعيشا فيه بمقتضى عقد الزواج عيشة متعاونة رائدها العدل والإنصاف.

وامتداداً لدعوة السيّد جمال الدين الأفغاني للوحدة الإسلامية يؤكّد الشيخ أبو زهرة على هذا الجانب مخصّصاً كتاباً كبيراً للوحدة الإسلامية، داعياً إلى «نبذ كلّ الأسباب الداعية إلى الفرقة، والإخلاص في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الحقيقية التي يكون أساسها إحياء اللغة العربية، وجعلها لغة الثقافة والتفاهم بين المسلمين، وتوحيد السياسة والحرب بإنشاء جامعة إسلامية تكون قادرة على محو العنصرية بين كافّة المسلمين».

وكان الشيخ حريصاً على تحديد المفاهيم وتوضيح مدلولاتها، حتّى لا تختلط في أذهان الناس، وقد كان ذلك واضحاً في كتابه عن تاريخ الجدل وفي كتاباته الأُخرى.

وكان يرى أنّ علم أُصول الفقه لا يحتاجه طالب الحقوق لفهم الشريعة فقط، بل يحتاجه أيضاً ليفهم القوانين نفسها حقّ الفهم؛ لأنّه علم يبيّن دلالات الألفاظ، ويضع الضوابط والمقاييس للأخذ منها عند توافقها وعند تعارضها في ظواهرها، فهو منهاج قويم لفهم معاني الألفاظ القانونية.

وفي حين يعترف الشيخ أبو زهرة بأهمّية الاجتهاد بوصفه فرض كفاية وأنّ الواقع العملي يبيّن أنّ باب الاجتهاد المطلق قد أُغلق في القرن الرابع الهجري كما قيل، فإنّه يعتقد أنّه كان من المصلحة الإسلامية إغلاقه؛ نظراً لفساد الحكم منذ غزو التتار والصليبيّين، حتّى لا يكون هناك مجال للعلماء الذين يرضون الحكّام بأن يسهّلوا لهم كلّ شيء عن طريق الفتوى.

وقد كانت لأبي زهرة رؤى تقريبية واضحة المعالم من خلال كتاباته المختلفة كما تقدّم، يقول في جملة منها: «إنّنا في هذا العصر قد تفرّقنا في كلّ شيء، تفرّقنا في السياسة، فتقطّعت الأُمم الإسلامية أقاليم متنازعة، وتوزّعتها أرض الله، لا جامعة تجمعها، ولا رابطة تربطها... ولذلك صارت أرضنا نهباً مقسوماً وخيراتها لأعدائنا، وليس لنا منها إلّا أجر العامل الذي يحمل أثقالها... وورثنا في هذا العصر التفرّق المذهبي، حتّىٰ أخذ بعضنا يكفّر الآخر من غير حجّة ولا بيّنة، وصارت للآراء والأفكار عصبية تشبه العصبية الجاهلية... وأهل كلّ مذهب يحسب أنّ مذهبه تراث لهم فقط، وليس تراثاً للإسلام كلّه. وإن اعتبره تراثاً للإسلام وأنّ ما عداه انحراف لا يؤخذ به وضلال لا يلتفت إليه! وبهذا التفرّق السياسي والمذهبي ضاعت القوى وأذلّنا أعداؤنا. وإذا كان الاختلاف قد أثّر ذلك التأثير في الوحدة فإنّه لا بدّ لنا عندما نتّجه إلىٰ التجمّع والاتّحاد أن نزيل أثر ذلك الاختلاف... إنّ نواة الوحدة الفكرية ثابتة إذاً مهما تختلف الطوائف والمذاهب، ولكن الأمر الذي نريده هو توجيه هذه الوحدة والعمل على إنمائها، وإيجاد مجتمع فكري يبني دعائم الإسلام ويقف حاجزاً دون النزاعات المفرّقة التي تفرّق بين صفوفه وتلقي بالريب في حقائقه. ونريد مع هذا جمع تراث الماضين، ولا فرق في ذلك التراث بين ما تركه الشيعة وبين ما تركه أئمّة الأمصار ذوو المذاهب المعروفة وغير المعروفة، فكلّ ذلك تراثنا؛ لأنّه ثمرات غرس التوحيد... إنّ محو الطائفية يجب أن يكون غاية مقصودة؛ لأنّ الخلاف الطائفي يشبه أن يكون نزعة عنصرية، والذين يريدون الكيد للإسلام يتّخذون منها منفذاً ينفذون منه إلىٰ الوحدة الإسلامية. ولأنّ وحدة المسلمين توجب وحدة الشعور، ولا وحدة للشعور مع الطائفية. ولهذا نقرّر أنّ الطوائف الإسلامية كلّها يجب أن تتلاقى على محبّة الله ورضاه وتحت ظلّ كتابه تعالى والسنّة الصحيحة والمقرّرات الإسلامية التي علمت من الدين بالضرورة. ولا مانع من أن تختلف آراؤنا، ولكن يكون اختلاف آحاد في منازع علمية، ولا يكون اختلاف جماعات وطوائف تجعل الأُمّة الإسلامية متفرّقة متنازعة».

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٩٦ ـ ٤٩٧، النهضة الإسلامية في سير أعلامها

المعاصرين ٢: ٢٧٥ ـ ٢٩٢، عظماء الإسلام: ٣٧٥ ـ ٣٧٦، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٠١ ـ ٩٠٤، إتمام الأعلام: ٣٦٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠٣١ ـ ١٠٣٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٧٤ ـ ٧٦).

محمّد أبو الوفا الغنيمي التفتازاني

محمّد أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدرّس الفلسفة الإسلامية بكلّية الآداب في جامعة القاهرة سابقاً، ورائد من روّاد التقريب، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية.

ولد الأُستاذ محمّد أبو الوفا بن محمّد في «كفر الغنيمي» التابع لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية سنة ١٩٣٠ م، ونشأ نشأة طيّبة، وتربّى تربية إسلامية في ظلّ والده، ودرس في كلّية الآداب قسم الفلسفة، وحصل على «ليسانس» الآداب عام ١٩٥٠ م، والماجستير عام ١٩٥٥ م، ودرجة الدكتوراه من قسم الفلسفة بكلّية آداب جامعة القاهرة سنة ١٩٦١ م، وشغل منصب وكيل كلّية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧٨ م، وتولّى عمادة كلّية التربية في الفيّوم، وهو زميل معهد الدراسات الإسلامية في جامعة «ماجيل» بكندا سنة ١٩٥٥ م، قضى سنة كاملة في إسبانيا لدراسة المخطوطات في الفلسفة الإسلامية والتصوّف، وأشرف على عدد من رسائل الخرّيجين من جامعة القاهرة، وأصبح نائب رئيس جامعة القاهرة لشؤون فرع الفيّوم عام ١٩٨٣ م، وتولّى مشيخة الطرق الصوفية ورئاسة المجلس الصوفي الأعلى عام ١٩٨٣ م، وشارك في إنشاء أقسام الفلسفة بجامعات بيروت والكويت وقطر، وكان عضواً في كثير من الهيئات والمجالس والمؤسّسات والمنظّمات، كما مثّل بلاده في كثير من المؤتمرات العالمية، وتوفّي بمصر سنة ١٩٩٤ م.

أهمّ آثاره: علم الكلام وبعض مشكلاته، ابن عطاء الإسكندري والتصوّف، عبدالحقّ ابن سبعين وفلسفة الصوفية، الإدراك المباشر عند الصوفية، ابن عبّاد الرندي.. حياته ومؤلّفاته، مدخل إلى التصوّف الإسلامي، العلاقة بين الفلسفة والطبّ عند المسلمين. وله مباحث كثيرة نشرت في مجلّة «عالم الفكر» الكويتية، ومجلّتي «الوعي الإسلامي»، و«منبر الإسلام» في القاهرة. وأصدر مجلّة «التصوّف الإسلامي».

له مقدّمة على كتاب «وسائل الشيعة ومستدركاتها»، طبعت في الدار القومية العربية للطباعة بالقاهرة سنة ١٣٨١ هـ.

وقد حصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الثانية عام ١٩٨٣ م، وعلى جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية عام ١٩٨٦ م، ووسام الامتياز من رئيس جمهورية الباكستان عام ١٩٨٩ م.

يقول من جملة كلام له: «كان من بين العوامل التي أدّت إلى عدم إنصاف الشيعة من جانب أُولئك الباحثين الجهل الناشئ عن عدم الاطّلاع على المصادر الشيعية، والاكتفاء بالاطّلاع على مصادر خصومهم، وممّا لا شكّ فيه أنّ أيّ باحث يتصدّى للبحث عن تاريخ الشيعة أو عقائدهم أو فقههم لا بدّ له من الاعتماد أوّلاً وقبل كلّ شيء على تراث الشيعة أنفسهم في هذه المجالات، وهذا بالإضافة إلى ما ينبغي عليه من تحرّي الصدق في الروايات التاريخية التي يجدها في كتب خصوم الشيعة تحرّياً دقيقاً، وذلك للوصول إلى الحقيقة ذاتها، وإلى كلّ ما ينبغي عليه من التجرّد عن كلّ هوى مذهبي سابق يؤثّر عليه في إصدار أحكامه. إنّ مدىٰ الخلاف الموجود بين السنّة والشيعة ليس فيما يبدو لنا بأبعد ممّا هو موجود مثلاً بين مذهبي الإمام مالك وأتباعه من أهل الحديث والإمام أبي حنيفة النعمان وأتباعه من أهل الرأي والقياس. فإذا عرفنا بعد ذلك أنّ أهل السنّة جميعاً يقرّون بالفضل والعلم والتقوى لأهل البيت الأطهار، ويرون أنّ لهم منزلة خاصّة لا يدانيهم فيها أحد وأنّ محبّتهم والتقرّب إليهم من كمال الدين وباب للقرب من الله ـ وذلك لما ورد في حقّهم من الكتاب والسنّة من الشواهد ـ عرفنا أنّ الخلاف بين السنّة والشيعة ليس بذي خطر».

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣٧ ـ ٣٨، تتمّة الأعلام ٢: ٢٣٤، إتمام الأعلام: ٤٢٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٣٦٦ ـ ١٣٦٧ و٢١٤٥ ـ ٢١٤٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٧٦ ـ ٧٧).

محمّد أحمد الجعّار

محمّد أحمد مصطفى الجعّار: مفكّر مصري، وداعية تقريب.

ولد في قرية فيشا سليم «مركز طنطا ـ محافظة الغربية» بمصر، وقضى حياته في بلاده، وعاش جانباً كبيراً منها في المملكة العربية السعودية ولبنان. حفظ القرآن الكريم في كتّاب قريته، وألّم ببعض المتون، ثمّ التحق بالمعهد الديني بمدينة طنطا. وبعدها التحق بالأزهر بالقاهرة، ونال الشهادة العالمية فيه، كما حصل على دبلوم دار العلوم وشهادة التخصّص من مدرسة القضاء الشرعي، ثمّ درجة الدكتوراه في الشريعة عن موضوع «حقوق الزوجة في الإسلام».

عمل واعظاً، ثمّ مديراً للوعظ بالأزهر، ثمّ أُعير للمملكة العربية السعودية مدرّساً لعلوم اللغة في مدرسة الثغر بمدينة جدّة، ثمّ مدرّساً للشريعة بجامعة الملك عبد العزيز، كما عمل مستشاراً بوزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية لمدّة طويلة، كذلك قام بالتدريس في كلّية الشريعة بمكّة المكرّمة، وعاد إلى وطنه في نهاية السبعينات من القرن المنصرم، وكان قد عمل مدّة بلبنان مدرّساً بكلّية فاروق الأوّل الشرعية ببيروت.

وكان عضواً في جمعية الشبّان المسلمين، ونادي دار العلوم بمصر، وفي المملكة العربية السعودية كان له صالون يعقده في داره يؤمّه عدد من أهل العلم، منهم الشيخ محمّد متولّي الشعراوي.

ولم يدخر جهداً في الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين، مواكباً تغيّرات عصره. كما كان خطيباً في بعض مساجد المملكة العربية السعودية ومصر، وقد أثرى بعلمه المكتبة الإسلامية، وتأثّر به عدد غير قليل من تلاميذه، منهم ابنته الشاعرة علّية الجعّار.

له ديوان مخطوط لم يختر له عنواناً، وله قصائد منشورة في الدوريات، ومن مؤلّفاته: تاريخ الأدب العربي، المختارات الأدبية، الشعر العصري في مصر، في رياض النبوّة، في الفقه (مقرّر على تلاميذ السنة الثالثة الإعدادية بمدارس السعودية)، الجغرافيا السياسة والإقليمية للقارّات الخمس، تبسيط عصري لكتاب النووي «رياض الصالحين»، وله عدد

من المراسلات في مختلف القضايا الإسلامية.

كان مكثراً في شعره ملتزماً البناء العمودي وزناً وقافيةً. نظّم في الأغراض المعروفة، وبخاصّة المدح والرثاء والتهاني، وله قصائد قليلة في مناسبات وطنية، منها مناسبة تأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م.

اتّسم شعره بجزالة اللفظ ومتانة التركيب، أمّا معانيه فمحدودة ومباشرة، وخياله قريب.

ونال أكثر من شهادة تقدير من وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية.

وللمترجم بنت شاعرة لقّبت بخنساء العصر، وهي أشهر من نار على علم، باسم «علية» كانت المديرة العامّة للشؤون القانونية بالتلفزيون المصري، وعضو إدارة اتّحاد الكتّاب، وعضو نقابة المحامين، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، واللجنة الثقافية بدار الأوبرا، وقد حصلت على ميدالية المسرح الجامعي وجائزة البابطين للإبداع الشعري.

(انظر ترجمته في: ملفّ التقريب: ١٩٠، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٧٠).

محمّد الأحمدي الظواهري

محمّد الأحمدي بن إبراهيم بن إبراهيم الظواهري: أحد شيوخ الأزهر الشريف، وعالم مصلح.

ولد في قرية كفر الظواهري بشرقية مصر سنة ١٨٧٨م، وتعلّم بالأزهر، فتتلمذ على الشيخ محمّد عبده وآخرين.

باشر التدريس، فأخذ عنه: محمّد عبد الجواد، وعبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد المتعال الصعيدي، وغيرهم.

ولّي مشيخة الجامع الأحمدي بطنطا بعد وفاة أبيه. وغدا شيخاً لمعهد أسيوط عام ١٩٢٣م.

ولمّا عقد مؤتمر الخلافة في القاهرة عام ١٩٢٦م كان الشيخ الظواهري جريئاً في

اقتراح انفضاضه على غير قرار؛ لأنّه لم يتكامل فيه تمثيل الأُمم الإسلامية، فانفضّ، ثمّ كان رئيساً للوفد المصري في مؤتمر مكّة عام ١٩٢٦م، وقويت صلته بملك مصر في ذلك العهد، فعيّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٩م.

وقد سعى إلى إصلاح الأزهر وإعلاء شأنه، ففي عهده صدرت القوانين التي أُنشئت بمقتضاها الكلّيات الثلاث سنة ١٩٣٠م، وفي سنة ١٩٣٢م صدر نظام التخصّص، وغيّرت مناهج التعليم، وأُدخلت دراسات جديدة لم تكن معروفة من قبل، كاللغات الأجنبية الشرقية والغربية والاقتصاد السياسي والقانون الدولي الخاصّ وأُصول القوانين والخطابة والمناظرة ووسائل الدعوة وعلم النفس والتربية البدنية وغيرها. كما تمّ في عهده إنشاء مطبعة الأزهر، وإصدار مجلّة «نور الإسلام»، وإيفاد بعوث من الأزهر للدعوة للإسلام في الخارج، كالصين والحبشة واليابان، ووضع مشروع الأبنية الفخمة للجامعة الأزهرية الحديثة، فتمّت في عهده ثلاث من عمائرها الكبرى.

استقال الظواهري من وظيفته عام ١٩٣٥م، وعيّن الشيخ المراغي مكانه شيخاً للأزهر.

كان فقيهاً شافعياً خطيباً، فيه نزعة صفوية شاذلية.

توفّي عام ١٩٤٤م تاركاً بعض المؤلّفات، منها: العلم والعلماء، رسالة في الأخلاق، الوصايا والأداب، براءة الإسلام من أوهام العوام، خواصّ المعقولات في أُصول المنطق وسائر العقليات، الكلمة الأُولى في آداب الفهم، التفاضل بالفضيلة، صفوة الأساليب، حكم الحكماء، مقادير الأخلاق.

قال عنه الدكتور محمّد عبد المنعم خفّاجي: «وطالما تحمّس الظواهري في شبابه لإعلاء شأن الأزهر وإصلاح المسلمين، كما يتّضح من كتاب العلم والعلماء، فأصابه من جرّاء ذلك ما أصاب غيره من المصلحين، كما يتّضح ذلك من مذكّراته التي نشرها ابنه بعنوان (السياسة والأزهر)».

(انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية ١: ٣٥٩، الأزهر في ألف عام ١: ٢٥٩ ـ ٢٦٣، الأعلام للزركلي

٦: ٢٦، معجم المؤلّفين ٩: ٣٠ ـ ٣١، الأزهر في ألف عام ١: ٢٥٩ ـ ٢٦٣، ملحق موسوعة السياسة: ٥١١، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٢٦٦ ـ ٢٨٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٠٢ ـ ٦٠٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠١١ ـ ١٠١٢).

محمّد إسحاق المدني

المولوي محمّد إسحاق مدني: من علماء أهل السنّة في إيران، انتخب نائباً في دورتين من دورات مجلس الشورى الإسلامي، وهو عضو في مجلس الخبراء ومستشار رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية لشؤون أهل السنّة سابقاً، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورئيس المجلس الأعلى للمجمع المذكور. من أهمّ أعماله العلمية تأليف كتب دراسية في التربية الدينية لطلّاب المدارس في مناطق أهل السنّة على أساس المذهب الحنفي. بالإضافة إلى تأليف كتاب «ما استدلّ به الحنفية من كلام خير البرية».

وقد أجرت معه مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية في عددها الثالث عشر لقاءً، نقتطف منه المقطع التالي: «السعي في المجمع (مجمع التقريب) حثيث على هذا الطريق (طريق التقريب والوحدة)، فلا يكاد يمرّ شهر إلّا وهناك مشروع جديد للتقريب، إمّا على صعيد تجمّع العلماء من أصحاب المذاهب المختلفة في إيران وخارج إيران وإجراء حوار هادف بنّاء بينهم، أو على صعيد تنفيذ مشاريع علمية في استخراج المشتركات بين المذاهب، أو على صعيد توسيع نطاق الدراسات العلمية والأكاديمية المقارنة في حقل الفقه والكلام والتفسير. أمّا نجاح هذه المساعي فيتوقّف أوّلاً على درجة إخلاصنا في مساعينا، ونسأل الله سبحانه الإخلاص في النيّة، ويتوقّف ثانياً على مقدار قدرتنا أن نغلب معاول الهدم التي تعمل ليل نهار لتمزيق الصفّ الإسلامي. ولكنّ المشاهد هو أنّ فكرة التقريب رغم قلّة العاملين في سبيلها تجد لها مسلكاً ممهّداً في العالم الإسلامي، وتشقّ طريقها بسهولة إلى القلوب والنفوس، رغم ما تمتلكه فكرة (التمزيق) من إعلام واسع وأموال طائلة ودعم متواصل عالمي كبير. وفي اعتقادي أنّ العالم الإسلامي بأجمعه مهيّئ لتقبّل فكرة الوحدة

الإسلامية وتجاوز الحالة الطائفية ، غير أنّ الحواجز والسدود السياسية ومعادلات الهيمنة الدولية تحول دون تحقّق هذه الفكرة في القريب العاجل ».

(انظر ترجمته في : المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢ : ٧٧ ـ ٧٨).

محمّد أسد

محمّد أسد : مفكّر إسلامي كبير .

ولد بإقليم غاليسيا في بولندا في شهر يوليو سنة ١٩٠٠ م ، وكان الإقليم يومها تـابعاً للإمبراطورية النمساوية . كان أبواه يهوديين ، وكان اسمه « ليوبولد فايس » ، وبدأ يـتدرّب ليصبح كاهناً مثل جدّه ، إلّا أنّ روحه القلقة جعلته يهرب ليلتحق بالجيش .. اشـتغل بـعد تخرّجه من الجامعة في فيينا بالصحافة وسافر إلى القدس بدعوة من خاله ، حـيث تـعرّف على حركة الصهيونية ورفضها . بدأت مـن هـناك رحـلة عشـقه الإسـلام وعـالمه ، بـدءاً باستكشاف كزائر ، ثمّ كصحافي ، وانتهت باعتناقه الإسلام بالجزيرة العربية عام ١٩٢٦م ، ومن ثمّ انطلقت ملحمة تفاعل عقل من أبرز عقول القرن العشرين مع الإسـلام ، تـاريخه ، عقائده ، حاضره ، مستقبله ، ومشكلات أهله ، وقد سجّل وقائع هـذه المـلحمة فـي كـتابه « الطريق إلى مكّة » (صدر عام ١٩٥٣م) الذي يعتبر من أروع الأعمال الأدبـية والفكـرية التي جاد بها هذا القرن على ما قيل . وكتابه هذا يتحدّث عن رحلة عقل تـوّاق إلى مـعرفة الحقيقة ، بحث عنها في ثنايا التوراة وأسفار اليهودية ، ثمّ ابتغاها في مقاهي فيينا وصالوناتها في العشرينات ، وغازل في سبيلها أعمال فرويد حيناً وكتاباته في التحليل الـنفسي ، ثـمّ وجدها أخيراً في صحراء الجزيرة العربية ورمالها . أحبّ جزيرة العرب وأهلها واعـتبرها موطنه ، وصاحب ملكها آنذاك . تفاعل مـع كـلّ قـضايا الأُمّـة ، حـيث غـامر فـي مـطلع الثلاثينيات من القرن الماضي بالتسلّل إلى ليبيا ، ورافق الشهيد عمر المختار وصحبه فـي جهاده ضدّ الإيطاليّين ، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى الهند ، حيث لقي العلّامة محمّد إقبال ، وتوثّقت بينهما مودّة شديدة ، وقد أقنعه إقبال بالتخلّي عن الترحال ، حيث كان يـنشد الذهـاب إلى تركستان وآسيا الوسطى ، ولكن إقبال أصرّ عليه ليبقى ويساعد في إذكاء نهضة الإسلام في

الهند ومشروع إقامة دولة باكستان. أقام في الهند حتّى قيام الحرب العالمية الثانية، فكاد له الإنجليز هناك وحبسوه باعتباره مواطن دولة معادية «النمسا»، ولكن الإنجليز كانوا يتخوّفون من أثره على المسلمين، وقد وقعت له بسبب الحبس كارثة؛ إذ ضاعت منه أكثر أجزاء ترجمة صحيح البخاري الذي أفنى شطراً من عمره وهو عاكف عليها. بعد الحرب وقيام دولة باكستان انتقل إلى هناك، واكتسب جنسية الدولة الجديدة، ثمّ أصبح مدير قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية بها، فمندوبها الدائم في الأُمم المتّحدة في نيويورك، وفي عام ١٩٥٣م استقال من منصبه بعدما أعلن أنّه اطمأنّ إلى أنّ الدولة الجديدة قامت على قدميها. في نيويورك التقى زوجته الثالثة بولا حميدة، وعاود معها الترحال، وكان اعتنق الإسلام بصحبة زوجته إلزا، لكنّها ما لبثت أن توفّيت، فتزوّج بامرأة عربية رزق منها بابنه الوحيد (هو الدكتور طلال الأسد الذي يُدرّس في إحدى الجامعات الأمريكية)، وانفصل عن زوجته العربية بعد ذلك. وفي عام ١٩٦٤م شرع في أضخم مشروع في حياته، وهو مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم، وأمضى سبعة عشر عاماً وهو يعدّ الترجمة، فكانت النتيجة في عام ١٩٨٠م صدور واحدة من أهمّ ترجمات معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية. كان يحمل على كاهله ثقل القرن بكامله، نشأ وهو يشهد انهيار أوروبّا القديمة وأحلامها وآمالها في حطام الحرب العالمية الأُولى، ثمّ انصرف عنها يحمل هموم العالم الإسلامي وآماله وإحباطاته، مات أبواه في معسكرات الاعتقال النازية في الوقت نفسه الذي كان هو يكابد الاعتقال في سجون الحلفاء، وظلّ مدافعاً عن الإسلام، ثمّ اضطرّ إلى الهجرة من ديار الإسلام ليحافظ على استقلال رأيه، فأقام منذ أوائل الثمانينات في طنجة، فالبرتغال، ثمّ إسبانيا. كان أوّل من بشّر بالدولة الإسلامية وجاهد في سبيلها، وظلّ يسدي النصح الصبور إلى الإسلاميّين، ليقنعهم بأنّ الموعظة الحسنة والبناء المتأنّي لا الصراع المتعجّل هو سبيل البناء الإسلامي الصحيح. رفض إسرائيل وحاربها، وظلّ حتّى آخر أيّامه يكتب ليثبت بمنطق العقل أنّ المسلمين هم أولى الناس بالقدس ورعايتها وعمارة مساجدها ومقدّساتها. لم يكن يساوم في معتقداته، ولم تلن له عزيمة في سبيل بناء صرح

الإسلام، ولم يكن يرى في الإسلام الحلّ فقط لمعضلات المسلمين، بل كان يرى فيه مستقبل البشرية كلّها. كان أوّل كتبه عن الإسلام بعنوان «الإسلام على مفترق الطرق» الذي نشر سنة ١٩٣٤م، ونال شعبية واسعة. كانت فكرة مفترق الطرق دعوة إلى المسلمين ليتّخذوا الطريق الصحيح ويتجنّبوا الانقياد الأعمى للأنماط والقيم الاجتماعية الغربية.

وألّف أيضاً: المنهاج «الإسلامي في الحكم»، و«مبادئ الدولة في الإسلام» سنة ١٩٤٧م، وهما يتناولان نظام الحكم في الإسلام. ولكن أيّاً من كتبه لم يفق انتشار «الطريق إلى مكّة» الذي ترجم إلى أكثر لغات العالم، وقال عنه كاتب أوروبّي مسلم في تأثير هذا الكتاب: «إنّ أحداً لا يعرف عدد من وجدوا الطريق إلى الإسلام عبر هذا الكتاب الصغير». عند وفاته كان يعدّ الجزء الثاني من مذكّراته، ليحكّي فيها طرفاً آخر من حياته العامرة، وكان العنوان الذي اختاره للكتاب هو: «عودة القلب إلى وطنه». كما ألّف كتاب «شريعتنا هذه» سنة ١٩٨٧م.

توفّي في ٢٠ شباط سنة ١٩٩٢م، ودفن في مقابر المسلمين في غرناطة بالأندلس.

يقول الأستاذ محمّد خير رمضان يوسف: «وقد رأيت للأديب الراحل عبد العزيز الرفاعي كتاباً مخطوطاً في حياته، ويبدو أنّه لم يكمله. وكان يلتقي به في الأندلس. وقد كان يحضر ندوته الخميسية بالرياض.. ورأيته مرّة في الندوة ساكتاً طوال ماكان موجوداً، وكان طوّالاً كبيراً في السنّ. وله فيه مقال ظهر بعنوان: «أيّام حزينة.. النمساوي المسلم محمّد أسد» في «المجلّة العربية» س ١٧ ع ١٨٦« رجب ١٤١٣ هـ»، ويوجد كتاب في سيرته أيضاً بعنوان: «صيحة مسلم قادم من الغرب، إسلام محمّد أسد» بقلم مصطفى حلمي، نشرته دار الدعوة ـ الإسكندرية عام ١٤٠٥ هـ، ويقع في ٩١ صفحة».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١٢٤ ـ ١٢٥، إتمام الأعلام: ٣٢٩، المفكّرون الغربيّون المسلمون ١: ١١٧ ـ ١٣٠، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٥٨ ـ ١٥٩، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٢٤ ـ ٢٠٢٦).

محمّد إسماعيل العمراني

محمّد بن إسماعيل العمراني : وكيل وزارة الخارجية للمملكة المتوكّلية اليمنية سابقاً ، ومن الأعضاء المؤسّسين لجماعة التقريب بين المذاهب في القاهرة .

كان مدرّساً بدار العلوم العليا بصنعاء ، وهو قاضٍ فاضل ، له عدد من المقالات التقريبية التي نشرتها له مجلّة « رسالة الإسلام » القاهرية سنة ١٩٥٠م وسنة ١٩٥٦م تحت عنوان « الحرّية الفكرية في اليمن » .

(انظر ترجمته في : كشّاف مجلّة « رسالة الإسلام » : ٩٥ و١١٧) .

محمّد إقبال اللاهوري

محمّد إقبال محمّد نور محمّد رفيق : فيلسوف وشاعر وحقوقي وداعية وحدة شهير .

ولد في سيالكوت بإقليم البنجاب عام ١٨٧٧ م ، وتعهّده منذ صغره أُستاذه وصديق والده مير حسن ، فحبّب إليه الثقافة الإسلامية وقوّى في نفسه العقيدة ، فالتحق بكلّية لاهور ونال الليسانس فالماجستير ، ودرس الفلسفة بجامعة « كمبردج » البريطانية ، وتخصّص بالحقوق من جامعة لندن ، وسافر إلى ألمانيا لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة « ميونخ » ، وكان عنوان رسالته « تطوّر ما وراء الطبيعة في بلاد فارس » ، وعاد إلى لاهور ، وعلّم الفلسفة وغيرها لبعض الوقت ، ثمّ نذر نفسه لممارسة مهنة المحاماة ، وسافر لحضور المؤتمرات السياسية إلى فرنسا وبريطانيا وإسبانيا وإيطاليا وفلسطين وغيرها .

كان رئيساً لجمعية حماية الإسلام ولحزب مسلمي الهند ، وعضواً في الجمعية التشريعية في البنجاب وفي الرابطة الإسلامية .

ويعدّ الأب الروحي لدولة باكستان الإسلامية ، حيث طالب بإنشائها وألقى المحاضرات في ذلك وحضر المؤتمرات ، وقُطفت الثمار ولكن بعد وفاته بتسع سنوات .

توفّي عام ١٩٣٨ م تاركاً عدّة مؤلّفات ، منها : صوت جرس القوافل ، أغاني فارسية ، أسرار الأنا ، رموز نفي الذات ، تجديد الفكر الديني في الإسلام ، ضرب الكليم ، المسافر ، الاقتصاد .

وأغلب مؤلّفاته شعرية، كتبها بالفارسية والأُردية، وضمّنها نظراته حول فلسفة الحياة وما إليها، فهو ـ إن صحّ التعبير ـ فيلسوف الشعراء أو شاعر الفلاسفة، وكان يلقّب بشاعر الإسلام.

كان شعره يهدف إلى الوحدة والتحرّر والعودة إلى الينابيع الأُولى للدين الحنيف، وكان هو رجلاً مفكّراً شجاعاً مؤمناً مرهف الحسّ حادّ الذكاء، وكانت فلسفته إسلامية تبعث الأُمّة من جديد، وقد تغنّى المجاهدون ضدّ الاستعمار في الهند بشعره. ومن أقواله: «إنّ العصبيات القومية قطعت أرحام الأُمم».

وقد انتقد إقبال الإمبريالية والاستعمارية والرأسمالية والمادّية الماركسية والانحطاط الأخلاقي والعلمانية، ودعا إلى دراسة الثقافة الإسلامية والسعي لمعرفة الأُصول والقيم التي تساعد على بناء مجتمع إسلامي متناسب ومتطلّبات العصر، والذي يؤدّي إلى ديمقراطية ومجالس نيابية تنبثق من روح الإسلام.

يقول الدكتور جاويد نجل إقبال: «على رأي العلّامة محمّد إقبال لا يمكنك أن تتصوّر إسلاماً لا يقترن بالعظمة والقوّة والصلابة، فالمسلم الواقعي هو المنتصر القوي. وكان يدرك جيّداً أنّه لا يمكن فصل الدين عن السياسة في الدولة الإسلامية، ولا يمكن تحقيق الوحدة بين المسلمين إلّا باتّحاد السياسة والدين. وكان يشبّه العالم الإسلامي بالعسل المؤلّف من قطرات عديدة لشهد ورود مختلفة».

وهكذا كان إقبال، فقد تحرّق لما تعانيه الأُمّة الإسلامية من مشاكل ومعضلات، وطفح شعره الراقي بالدعوة إلى النهوض من جديد لكي يتبوّأ الإسلام المكانة اللائقة به من بين أديان وحضارات العالم.

وعنده أنّ الوحدة والمعرفة متلازمتان، كما أنّ الفرقة والجهل كذلك، وفقدان الوحدة سبب للتخلّف، ومن هنا ذكر إقبال الطرق المؤدّية إلى الوحدة في نظره: القيادة الموحّدة للعالم الإسلامي، إقامة اتّحاد إسلامي من جميع الدول الإسلامية، المساعدة في انعقاد الاتّفاقيات والعهود وإقامة العلاقات الثقافية السياسية والاجتماعية المتبادلة. فالمهم

توعية المسلمين بمشتركاتهم الدينية وتقوية ثقافة تحمّل الطرف الآخر ليسهل تقبّل الخلافات الجزئية، ممّا من شأنه تقوية أُركان الوحدة.

كانت حالة العالم الإسلامي في كلّ دولة موضع تفكيره الملحّ سواء بسواء، كحالة المسلمين بالهند، لذلك ندّد بفظائع إيطاليا بطرابلس، وتألّب الغرب على تركيا في البلقان، ونشر من القصائد الحماسية ما جعله شاعر الإسلام الأوّل في عصره، وما زال يوالي نشر أفكاره الثائرة سياسياً وعالماً ومُنقذاً، ويؤلّف الكتب الفلسفية والدينية بالإنجليزية والفارسية، ويمثّل المسلمين في المؤتمرات السياسية شرقاً وغرباً، ويدعو إلى إنشاء دولة إسلامية خالصة، حتّى لقي ربّه بعد جهاد جعله بطل الأبطال ونادرة المفكّرين. ولقد كانت إقامته في أوروبّا ذات أثر قوي في اتّجاهه، لا لأنّه اقتنع بما يجري بها من تيّارات منحرفة، بل لأنّه أحسّ في أعماقه أنّ ما تدعو إليه من القومية الأثرة هو الذي فتن أبناء المسلمين ممّن يتعلّمون بأوروبّا، وصرفهم عن عالمية الإسلام وإنسانيته. إذ أنّ الوطنية الجغرافية هي التي تنخر في الجسم الإسلامي، فتجعله أجزاء متخاذلة، لا ينهض برسالة، ولا بدّ من فكرة إسلامية شاملة تجعل بلاد الإسلام داراً واحدةً. ومن المؤسف أنّ معارضيه من أبناء الدول الإسلامية لم يرتفعوا إلى مستواه؛ لأنّهم ذهبوا إلى أوروبّا دون أن يفهموا شيئاً عن مبادئ الإسلام، وقد سحرهم بريق التقدّم الصناعي، فظنّوا أنّ أوروبّا بهذا التقدّم هي المنار الذي يرسل الشعاع، وهو ظنّ بدّده إقبال في قصائد ثائرة، مثل قصيدته في رثاء صقلية المسلمة حين مرّ بها، وهتافاته بمجد الحجاز، ورسالة مكّة، وصرخة الألم أمام قبر رسول الله ﷺ حين وقف أمامه يبكي حاضر العالم الإسلامي متحسّراً على ذهاب ماضيه. ومن أحسن ما قال في هذا الصدد قصيدته الشهيرة «منارة الساري» التي تحدّث فيها الشاعر بلسان الخضر عن مشاكل السياسة الأوروبّية وفظائعها الاستعمارية، وحذّر المسلمين من الوقوع في شراكها، وقد ترجم الأُستاذ مسعود الندوي بعض أبياتها إلى العربية.

أمّا فلسفته الرائعة، فلسفة القوّة، فجاءت طيّ مجموعة تحتوي على الحكم العالية التي تجعل ذات المسلم مصدر قوّته إذا فهم أسرارها، وبهذا الفهم يُخضع الطبيعة لمشيئته، إذ لا

يُكرَّم في الدنيا من لا يُكرِّم نفسه، ويُرِي العالمين مبلغ إبائه وسموّه، يقول إقبال ما ترجمته: «اتّخذ قوّتك الذاتية، واجعلها في مكانة من العلوّ، وإنّ ابتغاء مرضاة الله لعبده لن تكون إلّا حين يكون قوياً غير مستكين».

وقد يضيق ذرعاً بما يلمس من حال العالم الإسلامي، فيناجي ربّه قائلاً: «إنّي أرى الرحمة تتوالى على الأجانب، أمّا المسلمون فتتقاذفهم النوائب، فأدركهم يا ربّاه، فإنّ البلية كلّ البلية أنّ الكفار اليوم ينعمون بحور مقصورات، والمسلمون المساكين يُعلّلون بالحور فقط». ثمّ يرجع إلى أيّام العزّة في عصر المجاهدين الأوّلين فيقول: «كلّ ما حانت الصلاة أثناء صليل السيوف ولّت الأُمّة الحجازية وجهها شطر القبلة، ووقف محمود (السلطان الغزنوي) جوار خادمه في صفّ واحد، فلم يبق هناك عبدٌ ولا مولى، أصبحوا جميعا لله عبيداً، ولمّا وصلوا إلى حضرتك صاروا كتلةً واحدةً».

لقد علم إقبال أنّ الوظيفة الحكومية التي سعى الإنجليز إلى إهدائها إليه بمرتّب ضخم وسيلة إلى تقييد دعوته إلى الأُخوّة الإسلامية، فرفضها في إباء، وآثر أن يكون مرشداً للناس دون مقابل، كما ألحّ المسلمون عليه أن يرشّح نفسه في الانتخابات البرلمانية، فقال: «لا، أنا منتخب عن الشعب فيما أُصدر من مقالات» هذه المقالات التي ناصرت ليبيا وفلسطين وأفغانستان وسوريا ومصر وكلّ بلد إسلامي كان يرزح تحت الاحتلال، وكان صوته أقوى الأصوات الداعية لإنشاء الباكستان مسلمة مستقلّة، واعترف له بذلك كلّ من باشر جهوده من الزعماء، وفي طليعتهم القائد الباسل محمّد علي جناح.

أمّا قضايا الاشتراكية والشيوعية والنازية والفاشية التي سحرت ألباب المخدوعين فقد عكف الباحث الضليع محمّد إقبال على دراستها، ليصدر حكمه ببهرجتها الزائفة، وليحصر الحلّ الأمثل في هداية الإسلام، وقد قال أحد المستشرقين: «إنّ تأثير إقبال بقذائفه الصائبة يفوق تأثير جيش مدجّج بالسلاح؛ لأنّه مع عاطفته الحارّة كان مسلّحاً بالمنطق الصارم والحقّ الملجم، وإنّ خصمه لا يستطيع منازلته صريحاً؛ إذ لا بدّ معه من الاحتيال الشديد».

وقد تحدّث إقبال عن الفقر مريداً به خلوص النفس من الرغبات الجسمية التي تطفئ جذوة العمل، وتدعو إلى الكسل والخمود، لا سيّما أنّ المسلم فقير بنصّ الكتاب العزيز، إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ (سورة فاطر :١٥)، وفرق لدي إقبال بين الفقر والزهد، فالزهد اعتزال، ولكن الفقر دعوة للصمود ووثبة إلى الكفاح.

(انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية ٢: ٧٦٦، موسوعة المورد ٥: ٢٠٣، موسوعة أعلام الفلسفة ١: ١٠٩، الموسوعة العربية العالمية ٢: ٤١٠، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٣٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ١٤٧ـ ١٦٢، موسوعة مشاهير وعظماء: ٩٩، عظماء الإسلام: ٤٤٠ ـ ٤٤١، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩١٠ ـ ٩١٣، شخصيات من التاريخ: ٥٨ ـ ٦٣، الإسلام والمذاهب الفلسفية: ١٨٥ ـ ٢٠٢، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣١٤ـ ٣٢١، رجالات التقريب: ١٥٧ ـ ١٦٧، موسوعة الأعلام ١: ١٥٨ ـ ١٥٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٧٩ ـ ٨٠).

محمّد أمين زين الدين

الشيخ محمّد أمين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن زين الدين بن مكّي بن بهاء البحراني البصري: عالم، فقيه، أديب، شاعر.

ولد في نهر خوز (البصرة) سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م)، ونشأ بها على والده، وقرأ مقدّماته هناك، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٥١ هـ، وأكمل دروسه على: الشيخ محمّد طاهر الخاقاني، والشيخ عبد الحميد الخاقاني، والشيخ محمّد حسن الصغير، والسيّد جواد التبريزي، والسيّد حسن البجنوردي.. ثمّ حضر الأبحاث العالية على: الشيخ ضياء الدين العراقي سبع سنين، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والسيّد محسن الحكيم، وعلى السيّد حسين البادكوبي والسيّد علي القاضي في الحكمة والعرفان، والسيّد أبي القاسم الخوئي، والشيخ محمّد جواد البلاغي في التفسير.

استقلّ بالبحث والتدريس، وتخرّج على يديه جملة من الأفاضل، كالسيّد مصطفى جمال الدين، والشيخ علي زين الدين، والسيّد حسين بحر العلوم، والسيّد إبراهيم

الزنجاني، والشيخ عبد الهادي الفضلي، والشيخ مهدي السماوي، والسيّد محمّد مهدي الحكيم. كما شارك في الأندية الأدبية، ونظم الشعر الرقيق، وبرز شيئاً فشيئاً، وكان كاتباً من الطراز الأوّل.

له بحوث إسلامية مختلفة نشرت في بعض الصحف العراقية والعربية. رجع إليه بالتقليد أهالي البحرين والخليج وبعض أهالي البصرة، وطُبعت رسالته العملية «كلمة التقوىٰ» في تسعة مجلّدات.

يروي بالإجازة عن: الشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين النائيني، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد أبي القاسم الخوئي.

ويروي عنه: الشيخ بشير حسين الباكستاني النجفي، والسيّد محمّد سعيد الحكيم، والدكتور حسين علي محفوظ.

من مؤلّفاته: المسائل المستحدثة، الأخلاق عند الإمام الصادق ﷺ، رسالات السماء، إلىٰ الطليعة المؤمنة، العفاف بين السلب والإيجاب، من أشعّة القرآن، مع الدكتور أحمد أمين، الإسلام.. ينابيعه ـ مناهجه ـ غاياته، تقريرات الأُصول للعراقي، تقريرات الفقه، ديوان أمّالي الحياة.

توفّي بالنجف الأشرف في ٢٩ / صفر / ١٤١٩ هـ (١٩٩٨م)، ودفن فيها، وأُقيمت له الفواتح في عدّة مدن.

كان له حسّ تقريبي واضح، أبرزه في الرسالة التي بعثها إلىٰ الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري سابقاً، وذلك بمناسبة اعتراف حكومة مصر بالمذهب الجعفري مذهباً رسمياً عام ١٩٦٣ م، وإعلان وزارة الأوقاف ذلك، ونشرها لكتاب «المختصر النافع في فقه الإمامية» للمحقّق الحلّي، وإدخال تدريس هذا المذهب في مناهج الجامع الأزهر الشريف. يقول فيها: «... تحية الإيمان وثناء العلم وشوق الأُخوّة. أخي، والله يعلم أنّها أحبّ نسبة إلىٰ قلبي، وألمسها لعاطفتي، وأبقاها أثراً في نفسي، أخي، والله يعلم أنّها ألذّ دعوة في فمي، وأعزّ جامعة يناضل عنها قلمي. أخي، والله يعلم أنّها

أصدق النعوت في رأيي، وأرفع المنازل في ديني، وأبرّ الدعوات عند ربّي... أخي، آن لنا أن ننظر ببصر يخرق الحجب، وببصيرة تمزّق الغشاوات، وبصبر يتحدّى المعوّقات. آن لنا أن نستيقن أنّ حُجباً فارقت بيننا في الصورة لا تقوى على أن تباعد ما بيننا في الجوهر، ولا تشجع أن تخالف ما بيننا في الروح، لا تملك شيئاً من ذلك، ولن تملكه أبداً مادامت ضالّتنا الهدى، ومادام قائدنا الرسول الكريم، ورائدنا القرآن العظيم. وقضية السنّة والشيعة كما قلتم قضية إيمان وعلم معاً، واذا كانت كذلك فمن أولىٰ بحلّها من العالم المؤمن ؟! من أولىٰ بحلّها من العالم المؤمن إذا كان يستطيع أن يقول ويستطيع أن يعمل ؟! وقد بدأتم الشوط، وكانت خطوتكم موفّقة مبرورة، يباركها الله ويباركها العلماء المؤمنون... يباركها الله؛ فهي غايته سبحانه لمّا شرّع الدين ونهى عن التفرّق فيه، ويباركها العلماء المؤمنون؛ لأنّ القضية قضيتهم، والشوط شوطهم، والمدى مداهم، ومن يبخل من العلماء المؤمنين أن يكون نصيراً لله على غايته ورداً للعلم والإيمان في قضيتهما ؟! بدأتم الشوط وكانت خطوتكم موفّقة مبرورة...».

(انظر ترجمته في: شعراء الغري ٧: ٢٩٤ ـ ٣٠٤، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٦٥٠ ـ ٦٥١، شخصيات من الخليج: ٥٢٧ ـ ٥٣٣، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٤٧ ـ ٥٤٨، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٣٩٨ ـ ٣٩٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٠ ـ ٨٢).

محمّد أمين المصري

محمّد أمين المصري: عالم من العلماء الدعاة الأتقياء الشجعان.

ولد في دمشق سنة ١٩١٤م، وبعد إنهاء دراسته الثانوية عمل في سلك التدريس، ونشأ مع فتية من جيله على حبّ الإسلام، ومطالعة كتبه.. وأثّر فيه كتاب «إحياء علوم الدين» كثيراً حتّى آخر حياته، وكان يتميّز بإرادة صلبة جعلته يطبّق كثيراً ممّا يمرّ معه في الإحياء، مهما كان هذا الذي يطبّقه صعباً! وقد أنشأ مع هؤلاء الفتية أوّل حركة إسلامية حديثة في بلاد الشام، وساهم في الندوات العلمية إسهاماً جيّداً، وحضر دروس عالم الشام محمّد بدر الدين الحسني، ودروس الشيخ أبي الخير الميداني، وغيرهم.

في عام ١٩٤١م ذهب إلى القاهرة للدراسة في كلّية أُصول الدين في جامعة الأزهر، حصل بعدها على الشهادة الجامعية، ثمّ عاد مدرّساً في ثانويات دمشق لمدّة عام واحد، رجع على إثرها للقاهرة مرّة ثانية، فحصل على تخصّص التدريس، وعاد مدرّساً في ثانويات دمشق. وكانت له صلة طيّبة بالحركة الإسلامية في مصر، ويحرص على حضور محاضرات الأُستاذ حسن البنّا، والعلّامة محمّد الخضر حسين، ويلقي بعض الخطب في الحفلات الإسلامية التي كانت تقام. وكان يركّز على سورة الأنفال وتفسيرها كثيراً، فألقى فيها دروساً ومحاضرات عديدة في مسجد المرابط بحي المهاجرين في دمشق، وفي مسجد الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.. حتّى ظنّ الظانّون أنّه لا يُحسن غيرها، وكان يمازح من يعرفه ويقول: «أنا لا أعرف إلّا تفسير سورة الأنفال»! يريد من وراء الأنفال أنّ يذكر بدراً، ومن وراء بدر أن يذكر القلّة المؤمنة.. القلّة التي تنقذ الموقف.

وكان توّاقاً إلى تخريج دعاة ومجاهدين لا موظّفين وأصحاب شهادات، فكان كثير الاهتمام بعلم التربية، يرى أنّ المشكلة الأساسية والأُولى هي: كيف نربّي؟ هل نربّي الأطفال والشباب على خوف وحبّ الوظيفة أم على الجهاد؟ ويذكر دائماً السيّدة عفراء التي قدّمت للإسلام سبعة من أولادها الشباب، استشهدوا في المعارك الأُولى بالإسلام.

وفي عام ١٩٥١م عيّن ملحقاً ثقافياً للسفارة السورية في باكستان، وبقي هناك خمس سنوات، وقد اضطلع خلال هذه الفترة بجهود طيّبة في نشر اللغة العربية بين أبناء باكستان، وله كتاب في تعليم اللغة العربية لغير أهلها. وفي عام ١٩٥٦م سافر إلى بريطانيا للتحضير لرسالة الدكتوراه، وحصل عليها عام ١٩٥٩م، وكان موضوعها «معايير النقد عند المحدّثين»، ورجع مدرّساً في كلّية الشريعة بجامعة دمشق. وممّا يذكر هنا أنّ المستشرقين أبوا أن يكون موضوع دراسته نقد «شاخت»، فاختار موضوعاً في «معايير نقد الحديث عند المحدّثين»، وعندما ترأس قسم الدراسات العليا في كلّية الشريعة بمكّة المكرّمة كان يحذّر من ابتعاث أبناء المسلمين إلى ديار الكفّار.

وكان له نشاط في إذاعة السعودية وتلفزيونها، ففي عام ١٩٦٥م سافر إلى السعودية

للتدريس في جامعة الملك عبد العزيز «كلّية الشريعة» في مكّة المكرّمة، وقد شارك في تأسيس قسم الدراسات العليا فيها، وقبل وفاته بثلاث سنوات انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة رئيساً للدراسات العليا فيها، وكان له دور في وضع مناهجها.

توفّي في شهر رمضان سنة ١٣٩٧ هـ(١٩٧٧ م) على إثر عملية جراحية أُجريت له في أحد مستشفيات سويسرا، ونقل جثمانه إلى مكّة المكرّمة، ودفن هناك.

من كتبه: الطرق الخاصّة للتربية الإسلامية، من هدي سورة الأنفال، سبيل الدعوة الإسلامية، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، طريقة جديدة في تعليم العربية، المسؤولية، المجتمع الإسلامي: وجهة التعليم في العالم الإسلامي، الطفل السوي وبعض حالات شذوذه (ترجمه عن الفرنسية بالاشتراك مع غيره، ونشر في عدد خاصّ من مجلّة «المعلّم العربي» التي تصدر في دمشق)، محاضرات في فقه السيرة، محاضرات في العقيدة.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١٢٧، إتمام الأعلام: ٣٤٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠٧٢ - ١٠٧٤، موسوعة الأعلام ٤: ١٧٦).

محمّد باقر الحكيم

السيّد محمّد باقر بن محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد بن محمود الحكيم: شهيد المحراب، وأحد روّاد التقريب.

ولد في النجف الأشرف بتاريخ ٢٥ / جمادي الأوّل / ١٣٥٨ هـ، وتلقّى علومه الأوّلية في كتاتيب النجف الأشرف، ثمّ دخل في مرحلة الدراسة الابتدائية في مدرسة «منتدى النشر» الابتدائية، حيث أنهى فيها الصفّ الرابع، فتركها بعد أن نشأت عنده الرغبة في الدخول في الدراسات الحوزوية بصورة مبكّرة، حيث بدأ بالدراسة الحوزوية عندما كان في الثانية عشرة من عمره، وخلال خمس سنوات نهل علوم النحو والمنطق والفقه والأُصول، ليصل إلى دروس (السطح العالي) سنة ١٣٧٥ هـ، فدرس «الرسائل» عند السيّد محمّد حسين الحكيم، والجزء الأوّل من «الكفاية» عند أخيه الأكبر السيّد يوسف الحكيم،

وواصل دراسة الجزء الثاني من «الكفاية»، وكذلك جزء من «المكاسب» عند الشهيد الصدر أيضاً. وبعد أن تجاوز هذه المرحلة من الدراسة حضر درس (خارج الفقه والأُصول) لدى كبار المجتهدين، ومنهم السيّد أبو القاسم الخوئي والسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر.

وقد عرف منذ سنّ مبكّرة بنبوغه العلمي وقدرته الذهنية والفكرية العالية، فحظي باحترام كبار العلماء، والأوساط العلمية، كما نال في أوائل شبابه من المرجع الشيخ مرتضى آل ياسين شهادة اجتهاد في علوم الفقه وأُصوله وعلوم القرآن، وذلك في عام ١٣٨٤ هـ.

كما ساهم في تأسيس الحركة الإسلامية في العراق ورعايتها، وعندما تأسّست جماعة العلماء في النجف الأشرف في أواخر الخمسينيات الميلادية، اختير عضواً في اللجنة المشرفة على مجلّة «الأضواء» الإسلامية، وهي مجلّة إسلامية ساهمت كثيراً في تشكيل الوعي الفكري والسياسي الإسلامي لدى جيل الخمسينيات من القرن المنصرم.

ومع ذيوع صيته العلمي، ومن أجل تحقيق نقلة نوعية في العمل الاجتماعي والثقافي لعلماء الدين في انفتاح الحوزة العلمية على الجامعة من ناحية، وتربية النخبة من المثقّفين بالثقافة الدينية الأصيلة والحديثة، قد أصبح عام ١٩٦٤م أُستاذاً في كلّية أُصول الدين في بغداد، يدرّس علوم القرآن والشريعة والفقه المقارن، وقد استمرّ في ذلك النشاط حتّى عام ١٩٧٥م، وتوقّف عن التدريس في الكلّية بعد مصادرتها من قبل نظام حكم حزب البعث العراقي في ذلك العام.

وإلى جانب نشاطه العلمي في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والتدريس في كلّية أُصول الدين ببغداد، فقد كان يشعر بالحاجة إلى وجود المبلّغين الإسلاميّين وضرورة اطّلاعهم على العلوم الحديثة، فتحرّك وبتأييد من الإمام الشهيد الصدر وتعاون مجموعة من العلماء الأفاضل نحو تأسيس «مدرسة العلوم الإسلامية» في النجف الأشرف سنة ١٣٨٤ هـ، وقد أثمرت تلك المدرسة فعلاً في تخريج عدد من الدارسين، حملوا فيما بعد راية نشر الوعي الإسلامي في العراق وفي مختلف بقاع العالم الإسلامي.

كما قام شخصياً وبطلب من والده المرجع الأعلى السيّد محسن الحكيم بالتبليغ

الإسلامي ووظيفة العالم الديني في مدينة الكوت لمدّة شهرين تقريباً بعد ذهاب عالمها الشيخ سليمان اليحفوفي .

وقد شارك في مؤتمرات فكرية كثيرة، مثل مؤتمر الفكر الإسلامي، والوحدة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، وأهل البيت ، ومؤتمرات الحجّ، كما كان يلقي الدروس والمحاضرات في التفسير، والفقه، والتاريخ ، والسياسة، والمجتمع .

واستلم بعض المهام، كرئاسة المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورئاسة الهيئة العامّة لمجمع أهل البيت العالمي .

من مؤلّفاته : علوم القرآن ، القصص القرآني ، منهج التزكية في القرآن ، المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن ، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ثورة الإمام الحسين ، الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية ، النظرية السياسية للشهيد الصدر ، الكفاح المسلّح في الإسلام ، الصراع الحضاري والقضية الفلسطينية ، العلاقة بين القيادة الإسلامية والأُمّة .

وقد بادر إلى تأسيس مركز دراسات تاريخ العراق الحديث، ومقرّه في مدينة قم ، كما قام بتأسيس مؤسّسة « دار الحكمة » التي تضمّ مدرسة دينية حوزوية ومركزاً للنشر ، ومركزاً آخر للبحوث والدراسات، ومكتبة علمية تخصّصية. كما قام بتأسيس مجمع الكوادر الإسلامية لتربية الكوادر الإسلامية والقيام بالنشاطات الثقافية والسياسية .

استشهد سنة ٢٠٠٣ م في النجف الأشرف ، وأُقبر هناك .

إنّ فكرة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، وبالأحرى فكرة التعايش المذهبي بين المسلمين ، والاحترام المتبادل بين اتّجاهاتهم المذهبية والاجتهادية، من الأفكار التي كانت موضع الاهتمام الخاصّ للسيّد الحكيم .

فقد كان يؤمن بأنّ الإسلام هو الإطار الأفضل الذي يمكنه أن يوحّد حركة الشعب العراقي، ويضمن الحقوق الكاملة لجميع القوميات والمذاهب والأقلّيات، وأنّه يمثّل هوية الشعب العراقي المسلم .

كما كان يؤمن أيضاً بضرورة احترام الأقلّيات القومية والدينية وحقوقها العامّة، وضمان وحدة العراق وبالطرق الدستورية.

ويرى ضرورة التقريب وأهمّيته على كافّة الأصعدة. وخير شاهد على ذلك كتابه «الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين».

هذا، ولا يكفي الإيمان بالتقريب على المستوى النظري، والسيّد الحكيم إذ يبيّن إيمانه المبدئي بالتقريب يواجه سؤالاً عمّا فعله هو من مشاريع عملية في التقريب، فيجيب على هذا السؤال ويعدّد نشاطاته التقريبية كما يلي: «١ـ نشر ثقافة التقريب، فلا يمكن أن نقطع أيّة خطوة على طريق توحيد المسلمين دون أرضية ثقافية تحوّل قضية التقريب إلى ثقافة متبنّاة من قبل المسلمين بكافّة مذاهبهم. وأعتقد أنّ أفضل إطار لنشر هذه الثقافة هو إطار أهل البيت ﷺ بما كانت لهم من أفكار وآراء ونشاطات استهدفت توحيد صفوف المسلمين كما ألمحنا إليه سابقاً. ومن الواضح أنّ هذه النشاطات أثمرت عن عاطفة جيّاشة يحملها المسلمون في مختلف عصور التاريخ وحتّى يومنا هذا اتّجاه هذا البيت الكريم. وليس هناك من لم يحمل هذه الحرمة وهذه العاطفة تجاه آل البيت من المسلمين سوى نفر قليل من النواصب عُرفوا ببغضهم لآل البيت، وهي حالة شاذّة لم تدم طويلاً، فقد انقرض هؤلاء. جدير بالذكر أنّ أهل البيت عاشوا مجتمعاً مليئاً بالتناقضات الحادّة والصراعات التي تحوّلت أحياناً إلى شكل مواجهة دموية، كما حدث في واقعة كربلاء. ومع ذلك كان موقف آل البيت من هذا المجتمع موقف الدعوة إلى الوحدة والتآلف والتعايش والتعاون، ممّا جعل هذا البيت الكريم ينال كلّ هذه الحرمة بين المسلمين. وممّا تقدّم نفهم أنّ أفضل طريق لجمع مودّة المسلمين على صعيد واحد هو تعريف أهل البيت للمسلمين بمضمونهم الفكري والثقافي والأخلاقي. فإذا تمكنّا أن نعرض فكر أهل البيت وطريقتهم ومواقفهم وأخلاقهم في مختلف القضايا فذلك أفضل طريق لتقريب المسلمين حول محور واحد. ولكن هذا لا يعني أنّ المسلمين جميعاً سيلتزمون بالضرورة بمدرسة آل البيت، بل يعني أنّهم سيقفون جميعاً موقف الاحترام من المشروع المطروح. وعلى هذا الأساس قمت بعدّة

خطوات: تأليف كتب تعرض نظرية أهل البيت في المجالات الحسّاسة الهامّة من أجل نشر ثقافة التقريب كما ذكرت. من هذه الكتب: «الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق»، فقد عرضت مضمون نظرية أهل البيت في الحكم على الصعيد النظري، ودرست التطبيق العملي الراهن لهذه النظرية في إطار الدولة الإسلامية القائمة في إيران. كما ألّفت كتاب «الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين»، وهو على ما أعتقد من المؤلّفات النادرة في موضوعه، وفيه حاولت أن أستخرج نظرية الإسلام في الوحدة مستنبطة من القرآن الكريم ومن السنّة ومن أخبار أهل البيت. ٢ـ الاهتمام بالقرآن الكريم على مستوى التفسير أو على مستوى الدراسات القرآنية، وهو اهتمام يصبّ في حقل التقريب؛ لأنّ القرآن الكريم موضع احترام واتّفاق جميع المسلمين. وكلّما ازداد الاهتمام بهذا المحور من قبل جميع المسلمين ازداد تقاربهم وتفاهمهم. ولا بأس أن أشير إلى أنّ مدارسنا وحوزاتنا العلمية، بسبب ظروف متعدّدة بعضها سياسية وبعضها اجتماعية وبعضها تنظيمية، لم تولِ الدراسات القرآنية الاهتمام اللازم. ومع أنّ علماء الشيعة ألّفوا قديماً وحديثاً أسفاراً هامّة في التفسير، أذكر منها في عصرنا الحديث «تفسير الميزان»، ولكن الاهتمام بالدراسات القرآنية ضمن مناهج الدراسة في الحوزة العلمية ضعيف. لذلك بذلت جهوداً خاصّة في حقل القرآن في النجف الأشرف ومدرستها العلمية، فقد دوّنت دروساً في علوم القرآن وألقيت فيها محاضرات في المعاهد العلمية التي أُسّست لتنظيم دراسات الحوزة العلمية في النجف، وواصلت هذا العمل العلمي في إيران بعد الهجرة التي حدثت بسبب الظروف السياسية. ٣ـ مساهمتي في المؤتمرات، فقد اشتركت في مؤتمرات عقدت لقضية فلسطين، ومؤتمرات الوحدة الإسلامية التي عقدت لدراسة مسائل التقريب، كما حضرت عدداً من المؤتمرات التي عقدت في أرجاء العالم الإسلامي. ٤ـ عملي في مواسم الحجّ، حيث إنّ الإمام الحكيم أوّل من بادر لتأسيس بعثة حجّ دينية في موسم الحجّ في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وكنت مسؤول هذه البعثة لمدّة تسع سنوات، وكانت البعثة تعمل في أوساط أتباع أهل البيت وأوساط عامّة المسلمين. ٥ـ المساهمة الجادّة في تأسيس المجمع العالمي للتقريب

بين المذاهب الإسلامية وفي كلّ نشاطات هذا المجمع، وتقديم أُطروحات عملية أعتقد أنّها ـ لو نفّذت ـ سوف تساهم مساهمة كبيرة في موضوع التقريب. ٦ـ المساهمة في تأسيس جامعة المذاهب الإسلامية على مستوى وضع المناهج وبيان الهيكلية وأُمور التنفيذ. ٧ـ مجلّة «رسالة التقريب» أعطيت من وقتي لمتابعة إصدارها والإشراف على موضوعاتها. وهي مجلّة رائدة في مجال التقريب، آمل أن تتطوّر أكثر على طريق أداء رسالتها في المستقبل. هذا إلى جانب خطوات ومشاريع أُخرى يطول الحديث عنها. ولا بدّ من التأكيد على أنّ ما قمت به حتّى الآن هو قليل بحقّ هذا الهدف الكبير والمشروع الكبير، ونسأل الله التوفيق لأداء المزيد من الأعمال الصالحة في هذا المجال».

وكان يقول: «العراق كما هو واضح له تاريخه الخاصّ وتركيبته الاجتماعية والثقافية الخاصّة. وهو بهذه الخصوصية يعتبر من البلاد الفريدة في العالم الإسلامي، وأخذاً بنظر الاعتبار هذه الخصائص فإنّ نموذج التقريب لو نجح في العراق فسيكون له تأثير كبيرة على كلّ العالم الإسلامي. هذا البلد نسب التقسيم المذهبي فيه تكاد تكون متقاربة، كما أنّه ينطوي على التعدّدية القومية إضافة إلى التعدّدية المذهبية، أضف إلى ما سبق تاريخ العراق بما له من عراقة وما كانت له من مركزية في العالم الإسلامي، حيث كانت بغداد عاصمة المسلمين السياسية، كما كانت الكوفة والبصرة عاصمتي المسلمين الفكرية، ومدرسة الكوفة بشكل خاصّ وتطوّرها إلى مدرسة النجف لها أهمّيتها الفائقة في تاريخ هذا البلد، ووجود مراقد أئمّة آل البيت في العراق.. كلّ ذلك وقضايا أُخرى تعطي لأرض الرافدين أهمّية خاصّة. ومن هنا كان العراق مستهدفاً أكثر من غيره في التآمر الاستعماري والهجوم الاستكباري. وعملية التفريق والتمزيق في العراق أُريد منها تصوير حالة التمزّق في جميع الأُمّة. والإنجليز كرّسوا اهتمامهم في العراق بعد هيمنتهم عليه لإيجاد التفرقة المذهبية والطائفية بين أبناء الشعب العراقي، تماماً كما فعلوا في شبه القارّة الهندية، حيث أسفرت خططهم بين المذاهب والطوائف بل حتّى بين أبناء الطائفة الواحدة في شبه القارّة الهندية إلى تمزّق فظيع. ولا تزال هذه الحالة قائمة حتّى الآن. ويسقط جرّاءها بين آونة وأُخرى القتلى

والضحايا باستمرار. نفس الشيء حاولوا تطبيقه في العراق، لكن علماء الإسلام في العراق، وخاصّة علماء النجف، وقفوا ضدّ هذا المخطّط وأفشلوه على المستوى الشعبي. ويمكن القول الآن: إنّ العلاقات بين فصائل الأُمّة في العراق علاقات مودّة وأُخوّة، حتّى لم يعد الإنسان يشعر بوجود اختلافات طائفية بين أبناء الشعب. الشيعة يتزوّجون من بنات أهل السنّة، بل إن بعض العشائر العراقية تجد أبناء عشيرة واحدة نصفها من أهل السنّة ونصفها الآخر ينتمي إلى مذهب أهل البيت. والمدن فيها اختلاط بين أبناء المذاهب، وكثير من المؤسّسات الثقافية والمشاريع التجارية يشترك فيها أهل السنّة وأهل الشيعة، وهكذا في مختلف المجالات نجد هذا الاشتراك موجوداً وهذا التداخل قائماً، ولا يكاد الإنسان يشعر بوجود اختلاف».

وللأُستاذة وفاء جواد الجيّاشي كتاب حول حياة السيّد بعنوان «من النجف إلى النجف»، كما أنّ للسيّد منذر الحكيم كتاباً آخر حول حياته بعنوان «قبس من حياة وسيرة شهيد المحراب».

(انظر ترجمته في: مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٥٣ ـ ٥٥٤، تلامذة الشهيد الصدر: ٣٠٣ـ ٣٠٥، رجالات التقريب: ١٢٦ ـ ١٤٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٢ـ ٨٤).

محمّد باقر الصدر

محمّد باقر بن حيدر بن إسماعيل بن محمّد (صدر الدين) بن صالح الموسوي الكاظمي النجفي الصدر المعروف بالشهيد الصدر أو الشهيد الرابع: من أبرز علماء الإسلام في العصر الحديث.

ولد في الكاظمية سنة ١٩٣٣ م، وتوفّي والده وله من العمر أربع سنوات، فتولّت والدته الفاضلة تربيته، وتلقّى في ريعان صباه العلوم الإسلامية على يد أخيه السيّد إسماعيل الصدر، وعندما أتمّ دراسته التمهيدية هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٣٦٥ هـ لمواصلة دراساته العليا، فدرس على يد كبار العلماء، والذين من جملتهم: الشيخ محمّد رضا آل ياسين (خال المترجم)، والشيخ عبّاس الرميثي، والسيّد أبو القاسم الخوئي،

وحصل على إجازة الاجتهاد وهو في سنّ مبكّرة، وقام بتدريس أُصول الفقه سنة ١٣٧٨ هـ وهو ابن ستّ وعشرين سنة، وبدأ بتدريس الفقه سنة ١٣٨١ هـ، وأصبح علماً بارزاً في النبوغ والتحقيق والتدقيق، وواحداً من مراجع الدين المرموقين.

كان حريصاً على المصالح العامّة، راسخ الإيمان، شديد الثقة بالله، مائلاً إلى التقشّف والبساطة في العيش، ذا عاطفة جيّاشة صادقة وعزيمة ملتهبة وشجاعة نادرة.

وقد كانت له قدرة فائقة في طرح الأفكار والنظريات في المجالات العلمية والفكرية التي تناولها، كالفقه وأُصوله والتفسير والفلسفة والاقتصاد والمنطق وغيرها، فأوجد مدرسة إسلامية تتمتّع بمواصفات الشمولية والأصالة والعمق والحركة والحيوية والإبداع والأُسلوب المشرق وتلبية حاجات الأُمّة ومتطلّبات عصرها الحاضر، الأمر الذي جعلها موضع إعجاب وتقدير العلماء والمفكّرين وحملة الأقلام في العالم العربي والإسلامي.

ويعدّ السيّد الفاتح لميدان الدراسات الاستقرائية في دائرة الفكر الإسلامي، والمجدّد في مجال علم الأُصول، والمطوّر لأساليب دراسته ودراسة علم الفقه، والمكتشف للأُسس العامّة للمذهب الاقتصادي في الإسلام. فذاع صيته وأصبح مناراً فكرياً شامخاً في شتّى ميادين المعرفة.

وكان له نشاط سياسي بارز، حيث أبدى شجاعة فائقة في مواجهة الحكومة، قدّم على أثرها نفسه الزكية في سبيل ذلك، حيث أقدم النظام على إعدامه وأُخته بنت الهدى سنة ١٩٨٠ م. ففقد العالم الإسلامي أحد أبرز رجال الفكر والعلم والإصلاح.

من مؤلّفاته: فدك في التاريخ، غاية الفكر في علم الأُصول، فلسفتنا، اقتصادنا، الأُسس المنطقية للاستقراء، البنك اللاربوي في الإسلام، بحوث في شرح العروة الوثقى، الفتاوى الواضحة، دروس في علم الأُصول، المدرسة الإسلامية، الإسلام يقود الحياة، التفسير الموضوعي للقرآن، بحث حول المهدي، بحث حول الولاية، تعليقة على منهاج الصالحين، موجز أحكام الحجّ، منابع القدرة في الدولة الإسلامية، المعالم الجديدة في الأُصول.

وقد كان له إيمان بضرورة تدعيم الوحدة الإسلامية، وركّز على وحدة الشعور التي ينبغي أن تقود إلىٰ وحدة الموقف عند الأُمّة إزاء قضاياها المصيرية، ورأى ضرورة الاستعلاء على حالة التمحور حول الذات (شخصية كانت أم مذهبية أم إقليمية) والارتقاء إلىٰ مستوى الاهتمام بالكيان الكلّي للأُمّة، ودعا إلىٰ زجّ الأُمّة الإسلامية في حركة جهادية واحدة تقف وجهاً لوجه أمام قوى الكفر العالمي ومخطّطاته الرامية إلىٰ تجزئة الأُمّة، حيث يقول في نداء له وجّهه إلىٰ الشعب العراقي: «إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلىٰ أبنائنا البررة من السنّة أنّ المسألة مسألة شيعة وسنّة؛ ليفصلوا السنّة عن معركتهم الحقيقية ضدّ العدوّ المشترك».

والمتأمّل في البحوث التي أنجزها الشهيد الصدر يجد مصداقية التقريب والوحدة، فقد انطلق في دراساته وبحوثه لأكثر القضايا خطورة وحسّاسية من أُفق الإسلام، وما تمليه مقتضياته وروحه ومنطقه العامّ، وقام بالتعرّض لدراسات في حقول المعرفة الإسلامية، تهدف إلىٰ تأسيس قناعات مشتركة بين أبناء الإسلام، أو تثبت أُسس ومقرّرات شرعية مقبولة تصحّ منطلقاً لقيام دراسات ذات سعة تقريبية، وتهيئ لتحقيق أرضية وقناعات مشتركة يتحرّك عليها المسلمون الواعون وينطلقون منها جميعاً في عملية المواجهة وفي بلورة المواقف الموحّدة أو الحلول العملية لإشكاليات الحياة المعاصرة.

وقد كان له ﷺ منهج خاصّ جرى عليه في تأصيل النظريات وتقرير الأحكام، وهو منهج يقوم على مبدأ «البدائل الاجتهادية»، والإفادة من آراء فقهاء الأُمّة وعلمائها، والانفتاح على الآراء الناضجة، وقد قدم الشهيد كتاب «اقتصادنا» كنموذج على ذلك. وقد استفاد فيه من عدّة مصادر سنّية: «الأحكام السلطانية» للماوردي، و«المغني» لابن قدامة المقدسي، و«الأُمّ» للشافعي، و«المحلّى» لابن حزم، و«المدوّنة الكبرىٰ» لمالك، و«نهاية المحتاج» للرملي، و«مواهب الجليل» للحطّاب، وغيرها.

والذي يقرأ خطابات الشهيد الموجّهة لأطياف الشعب العراقي يجد بوضوح ما كان يدور في خلد هذا الرجل العظيم من أفكار ورؤى وحدوية وتقريبية.

وكان يقول: «أيّها الشعب العظيم، إنّي أُخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية، بكلّ فئاتك وطوائفك، بعربك وأكرادك، بسنّتك وشيعتك؛ لأنّ المحنة لا تخصّ مذهباً دون آخر.. وإنّي منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأُمّة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسنّي على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء، حين دافعت عن الرسالة التي توحّدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمّهم جميعاً..». وفي مقطع آخر يقول: «فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي... إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السنّة أنّ المسألة مسألة شيعة وسنّة؛ ليفصلوا السنّة عن معركتهم الحقيقية ضدّ العدوّ المشترك. وأُريد أن أقولها لكم ـ يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر ـ: إنّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم السنّي، إنّ الحكم السنّي الذي مثّله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل حمل علي السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردّة تحت لواء الخليفة الأوّل أبي بكر، وكلّنا نحارب عن راية الإسلام وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي. إنّ الحكم السنّي الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصاً من أجل الحفاظ على راية الإسلام ومن أجل حماية الحكم السنّي الذي كان يقوم على أساس الإسلام...».

وممّا لا ريب فيه أنّ هذه الوثيقة تعتبر من أهمّ الوثائق التي يمكن أن تساهم في معالجة الحواجز النفسية بين أبناء الأُمّة الإسلامية، وذلك لأنّ السيّد الصدر حينما أصدر هذا البيان كان قد صمّم على الاستشهاد في سبيل الله؛ لايمانه بأنّ المرحلة الجهادية والسياسية تتطلّب ذلك، بل كان يهدف حقّاً إلى معالجة مشكلة الفرقة والتشتت من جانب، وتوحيد الأُمّة في إطار الإسلام من جانب آخر.

وممّا لا شكّ فيه أنّ لهذا التخاطب الأبوي والأخوي أثراً إيجابياً فعّالاً في تمزيق الحاجز النفس وتبديد قوّته. فما أجمل أن تجد الأُمّة بمختلف مذاهبها قائداً شيعياً بل علماً

من أعلامها يخاطب الجميع بروح الأُبوّة والأُخوّة، فيقول: «أنا لكم جميعاً».

وذكر السيّد أنّ الخلاف العقائدي والسياسي في إطار الدين لا يجوز أن يحول دون التعاون والتكاتف في سبيل خدمة الإسلام والدفاع عنه. واستشهد لذلك بمثالين: أوّلهما: ما كان في صدر الإسلام، حيث قال: «حمل علي السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردّة تحت لواء الخليفة الأوّل أبي بكر ..»، وثانيهما: حينما تعرّض الحكم العثماني لضربات الإنجليز، فوقف علماء الشيعة إلى جانب الحكم العثماني، وأفتوا بوجوب الدفاع عنه؛ لأنّه رافع لراية الإسلام، فقال: «إنّ الحكم السنّي الذي كان يحمل راية الإسلام قد أفتى علماء الشيعة قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من أجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصاً من أجل الحفاظ على راية الإسلام..»، لماذا؟ لأنّ الهدف «أن نحارب عن راية الإسلام وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي».

والموضوعية تقتضي الاعتراف بأنّ هذا الخطاب المفتوح والصريح لا يحلّ مشكلة الخلافات المذهبية بين المسلمين، ولكنّه يشكّل البوّابة الكبيرة التي يمكن الدخول من خلالها والقضاء على المشكلة النفسية وفتح آفاق الحوار الموضوعي للاتّفاق ولو على الحدّ الأدنى من الوفاق والائتلاف.

ثمّ بيّن (رضوان الله عليه) أنّ من أهمّ أسباب تعميق الخلافات وتهويلها هو الاتّجاهات السياسية والقادة الذين تحكمهم مصالحهم الخاصّة، فقال: «إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السنّة أنّ المسألة مسألة شيعة وسنّة؛ ليفصلوا السنّة عن معركتهم الحقيقية ضدّ العدوّ المشترك، وأُريد أن أقولها لكم ـ يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر: إنّ المعركة ليست بين الشيعة والحكم السنّي..».

ومن المؤكّد أنّ الإمام الشهيد الصدر قد لا يؤمن بالكثير من اجتهادات الصحابة أو مواقفهم من مختلف القضايا ويعتبرها اجتهاداً في مقابل النصّ، والتي منها: الموقف من قضية النصّ على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد النبي ﷺ، فهو يعتقد أنّه الوريث الحقيقي للنبي والحارس الأمين لمسيرة الإسلام من بعده، إلّا أنّ هذا الاعتقاد لم يجعله في

موقف الرافض للكيان الآخر، ولم ير في ذلك مبرّراً لعدم توحّد الأُمّة تحت راية «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله» العقيدة التي أجمعت الأُمّة على الإيمان بها.

هذا، وقد كتب السيّد الشهيد الصدر ﷺ في أوائل شبابه بحثاً عن فدك أسماه «فدك في التاريخ» عالج فيه قضية فدك علاجاً موضوعياً فريداً. ولعلّ أهمّ ما ميّز البحث في إطار ما نحن فيه من معالجة الحواجز النفسية أنّه لم يستعمل عبارات من شأنها جرح عواطف ومشاعر السنّة، فنراه يعبّر عن الخلفاء بعبارات مناسبة اعتادوها عند ذكرهم لهم، وهو يريد أن يعبّر عن الأُسلوب الأمثل في كيفية التخاطب بعيداً عن كلّ ما من شأنه تفريق المسلمين أو جرح مشاعرهم أو الإساءة إلى معتقداتهم.

يقول سماحة الشيخ التسخيري: «إنّي وفّقت للاستفادة من أساتذة كبار وعلماء أفذاذ، لكنّ أُستاذين جليلين منهم تركا أكبر الأثر في حياتي العلمية والفكرية بل والروحية، وهما: الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، والمرحوم آية الله الشهيد المطهّري.

ولقد كانا شبيهين إلى حدّ بعيد في كثير من الخصائص، ومنها: تقارب الشهادتين، الجهاد حتّى آخر نفس وعن وعي، التنظير والانتقال من المفردة إلى القانون، الموسوعية والتأليف في مختلف الجوانب، العمق والاستدلال المتين، الاهتمام الجادّ بالفلسفة الإسلامية وعرضها بشكل واضح وبنّاء، التضلّع في الفقه، التعبّد العرفاني، الولاء لأهل البيت، الاهتمام بقضايا الأُمّة الفكرية والعلمية، الصحوة الإسلامية العالمية، الإصلاح الحوزوي في النجف وقم، التخطيط المستقبلي لبناء المجتمع الإسلامي المطلوب، الخلق والتواضع الكامل وخصوصاً للعلم والعلماء، العمل في سبيل الوحدة الإسلامية، حبّ ودعم الثورة الإسلامية والإمام الخميني الراحل، الوقوف بوجه الأفكار اليسارية واليمينية والهجينة وردّ دعاياتها، إقامة الجسور مع المفكّرين والشباب والجامعات وتغذيتهم بالثقافة الإسلامية الأصيلة، التجديد في الفكر الديني.

ويمكن تلخيص هدف عملية التجديد الديني عندهما في أمرين:

١ ـ اكتشاف النظرة الأصيلة للدين في مجمل قضايا الحياة.

٢ ـ استبعاد الرواسب الدخيلة نتيجة العادات والتقاليد، والبعد الزمني عن عصر النصّ، والفهم الخاطئ، وغير ذلك. وكان الشهيد المطهّري يطرح جملة الإمام أمير المؤمنين: «ولبس الإسلام لُبس الفرو مقلوباً» (نهج البلاغة، الخطبة: ٧).

وقد رسما لتحقيق ذلك خطوطاً كثيرة، منها:

١ ـ التأكيد على قدسية الوحي والنصّ الديني، وفتح المجال أمام نقد الفكر المبتني عليه.

٢ ـ التركيز على العقل والبرهنة الصدرائية والتجديد في علم الكلام والربط بين العقل والعلم والدين مع تحديد مجال كلّ منها.

٣ ـ التأكيد على فلسفة العلوم والأخلاق والتاريخ والعلاقات الاجتماعية، بل وفلسفة أصل الاتّجاه الديني.

٤ ـ التأكيد على العودة للمصادر الأصيلة.

٥ ـ تفعيل عملية الاجتهاد في كلّ النواحي، وتخليصه من ضيق الأُفق، وإعطاؤه المرونة اللازمة.

٦ ـ التأكيد على الهدف الإنساني للشريعة والحكمة العملية والعدالة الاجتماعية والحرّية الإنسانية والاجتماعية والمعنوية وحقوق الإنسان والفطرة وغير ذلك.

٧ ـ التأكيد على التمييز بين المتغيّر والثابت، وبين رؤية الإسلام وسلوك المسلمين.

٨ ـ التأكيد على إصلاح التعليم الديني والارتقاء بالحوزات العلمية.

٩ ـ التأكيد على شمولية الإحياء لمختلف العلوم الإسلامية.

١٠ ـ التأكيد على تحسيس المجتمع بالسلوكيات الضارّة، والأفكار الدخيلة، والشعارات الباطلة، والتفاسير القشرية للإسلام أو التسطيحية للفكر الإسلامي.

١١ ـ مناقشة الأفكار والاتّجاهات اللاإسلامية، من قبيل: القومية الضيّقة، الاتّجاهات اليسارية، الاتّجاهات الالتقاطية التركيبية الغربية، المناهج المتأثّرة بالفلسفات الغربية، والحداثة، وأمثالها.

١٢ ـ التخطيط لإقامة الجسور بين الدراسات الدينية التقليدية والدراسات الجامعية، ونقل إيجابيات كلّ منهما للآخر.

١٣ ـ الانفتاح على الأفكار المطروحة، وبناء عملية حوارية منطقية معها لاكتشاف المشتركات والإفادة من التجارب الفكرية.

١٤ ـ تعميق قضية الوحدة الإسلامية والاهتمام بقضايا الأُمّة المصيرية كقضية فلسطين، ودفع العلماء للقيام بدورهم كورثة للأنبياء.

والمقصود بعملية التجديد في فكر الشهيدين احتواؤها على المعاني الإيجابية التالية:

١ ـ تغيّر الأحكام بتغيّر الموضوعات.

٢ ـ استنباط رأي الإسلام في الموضوعات المستحدثة أو الأفكار الحديثة كالتعدّدية والديمقراطية أو حتّى بعض النظريات العلمية.

٣ ـ المرونة في تطبيق الإسلام.

٤ ـ التصرّف الأفضل للحاكم الشرعي في منطقة المباحات أو حتّى التكليفيات وفقاً للمصلحة.

٥ ـ مراعاة مقاصد الشريعة الكبرىٰ والعدالة والحقّ والاتّجاه الإنساني في الشريعة.

٦ ـ مناقشة بعض المسلّمات، كالإجماعات المعلّلة، وتوجيه النقد للفكر الديني الإسلامي.

٧ ـ التفريق بين ما صدر عن المعصوم كإمام وما صدر عنه كحكم شرعي عامّ.

٨ ـ ملاحظة الترابط بين الأحكام، وعدم التركيز على البعض دون ملاحظة الآخر، والنظر للإسلام كأُطروحة.

٩ ـ التأكّد من عدم تدخّل الشروط النفسية والزمكانية عند النقل بالمعنى، والتأكّد من عدم وجود قرائن صارفة، وملاحظة دور الزمان والمكان في الأحكام.

١٠ ـ إعمال الذوق الشرعي المسلّم به، والمعتمد على الأدلّة الأُخرى في ترجيح النصوص.

١١ ـ تأويل النصّ إذا خالف عقلاً أو إجماعاً أو سيرة قطعية معتبرة.

١٢ ـ ملاحظة أقسام الأحكام الأوّلية والثانوية والسلطانية، وتقديم ما حقّه التقديم».

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٩: ١٨٤ ـ ١٨٥، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٨٠٩ ـ ٨١١، ملحق موسوعة السياسة: ٤٨٢، شخصيات من الخليج: ٥٣٤ ـ ٥٤١، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٤٨ ـ ٥٥٣، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٠٦ ـ ٦٠٩، تتمّة الأعلام ٢: ١٣٠ و٣: ٢٣٤، إتمام الأعلام: ٢٤٢، كفاح علماء الإسلام: ٢٨٥ ـ ٢٩٨، فقهاء ومناهج: ٣٩ ـ ١٤٦، رجالات التقريب: ٩٣ ـ ١٠٥ و٤٠١ ـ ٤٠٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٥ ـ ٨٦).

محمّد بخيت المطيعي

محمّد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي: علم من أعلام الإصلاح، ومفتي الديار المصرية، وأحد كبار فقهائها، ورائد من روّاد التقريب.

ولد ببلدة المطيعة من أعمال أسيوط عام ١٨٥٦م، وتعلّم في الكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم، والتحق طالباً بالأزهر، وأخذ بدراسة المذهب الحنفي والمالكي متتلمذاً على يد كبار علماء الأزهر آنذاك، كالشيخ الدمنهوري، والمهدي، والشربيني، والحلواني، والرفاعي، والبحراوي، والبسيوني. كما تلقّى العلوم الفلسفية على يد السيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ حسن الطويل.

ومن بعد ذلك انتقل إلى القضاء الشرعي سنة ١٨٨٠م، وعيّن عضواً أوّل في محكمة مصر الشرعية ورئيساً للمجلس العلمي للمحكمة، ثمّ فُصل عن عمله سنة ١٩٠٥م. وكان معروفاً بعلمه وكفاءته ونزاهته وتحرّيه الحقّ والعدل.

عيّن مفتياً للديار المصرية في آخر شهر من سنة ١٩١٤م، وظلّ يشغل هذا المنصب الرفيع حتّى سنة ١٩٢١م، وقد أصدر خلال هذه السنوات السبع نحو «٢٠٢٨» فتوى. وشغل وقته بالقضاء والإفتاء و التدريس والتأليف وإلقاء المحاضرات والخطابة والمناظرة.

وكان من جملة تلاميذه: الشيخ حسنين محمّد مخلوف، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمّد مصطفى المراغي، والشيخ محمّد مأمون الشنّاوي، والشيخ الأحمدي

الظواهري، وغيرهم.

توفّي في القاهرة سنة ١٩٣٥م تاركاً جملة من المؤلّفات، منها: القول المفيد على وسيلة العبيد، الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، إرشاد الأُمّة إلى أحكام أهل الذمّة، إرشاد أهل الملّة إلى إثبات الأهلّة، حقيقة الإسلام وأُصول الحكم، القول الجامع، أحسن الكلام فيما يتعلّق بالسنّة والبدع من الأحكام، حسن البيان في دفع ما ورد منه الشبه على القرآن، إزاحة الوهم، البدر الساطع على جمع الجوامع.

وقد كان الشيخ رجلاً اجتماعياً ومجاهداً مصلحاً، له بصماته في مجال القضايا السياسية منذ شبابه حتّى الأعوام الأخيرة من عمره، فقد بارك لمصطفى كامل إنشاءه للحزب الوطني، ووقف إلى جانب حزب الوفد في ثورته عام ١٩١٩م، وموقفه من لجنة «ملنر» معروف للمصريّين. كما كان له أثر كبير في حقن دماء المسلمين في المعارك التي جرت بين السعودية واليمن خلال خمس سنوات (١٩٢٩م ـ ١٩٣٤م).

وكان فقيهاً لا يعرف التعصّب المذهبي، ولا يفرّق بين مذهب ومذهب، ويرى أنّ التراث الفقهي بكلّ مذاهبه ملك للأُمّة وعلى العلماء أن ينتفعوا بهذا التراث دون تعصّب، فالتعصّب آية على الانغلاق الفكري والجمود المذهبي.

وقد ردّ على «رينان» في افترائه بأنّ أُمّة الفرس شيعية وليسوا بمسلمين! وكان على اطّلاع بالمذهب الإمامي وعلى معرفة بعلمائه وشخصياته، ولا يرى بأساً في العمل على طبقه باعتبار أن لا فرق جوهري بين أُصول المذاهب بنظره.

(انظر ترجمته في: كنز الجوهر: ١٧٢ ـ ١٧٤، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١: ٥٣٨ ـ ٥٣٩، الفكر السامي ٢: ٢٠١ ـ ٢٠٢، الفتح المبين ٣: ١٨١ ـ ١٨٧، الأزهر في ألف عام ٢: ٤٦ ـ ٤٨، الأعلام للزركلي ٦: ٥٠، معجم المؤلّفين ٩: ٩٨ ـ ٩٩، معجم الأُصوليّين: ٤٣٥، معجم المفسّرين ٢: ٤٩٨ ـ ٤٩٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٢٧ ـ ٣٤٦، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٢٤ ـ ٦٢٦، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠٧٨ ـ ١٠٨٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩١٧ ـ ٩١٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٧).

محمّد بديع

محمّد بديع عبد المجيد سامي: داعية إسلامي مرموق.

ولد في المحلّة الكبرى بمصر سنة ١٩٤٣م، وحصل على بكالوريوس طبّ بيطري من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٥م، وعيّن معيداً بكلّية الطب البيطري بجامعة أسيوط عام ١٩٦٥م، وحصل على ماجستير طبّ بيطري من جامعة الزقازيق، وغدا مدرّساً مساعداً في جامعة الزقازيق سنة ١٩٧٧م، وحصل على دكتوراه طبّ بيطري من نفس الجامعة سنة ١٩٧٩م، وارتقى إلى درجة مدرّس، ثمّ أصبح أُستاذاً مساعداً طبّ بيطري سنة ١٩٨٣م بجامعة الزقازيق، وأُستاذاً لطبّ بيطري سنة ١٩٨٧م بجامعة القاهرة فرع بني سويف، ورئيس قسم الباثولوجيا بكلّية الطبّ البيطري بجامعة بني سويف سنة ١٩٩٠م لدورتين، ووكيلاً لكلّية الطبّ البيطري في بني سويف لشؤون الدراسات العليا والبحوث سنة ١٩٩٣م لدورة واحدة.

انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، فاعتقل مع سيّد قطب سنة ١٩٦٥م، وحُكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، قضى منها ٩ سنوات، وخرج من السجن في ٤ / ٤ / ١٩٧٤م، وعاد لعمله بجامعة أسيوط، ثمّ نقل إلى جامعة الزقازيق، وسافر بعدها لليمن، حيث أسّس هناك معهدها البيطري، عاد بعدها إلى جامعة بني سويف. كما سُجن لمُدّة ٧٥ يوماً في قضية جمعية الدعوة الإسلامية ببني سويف عام ١٩٩٨م، حيث كان يشغل منصب رئيس مجلس إدارة جمعية الدعوة ببني سويف بعد اعتقال الحاجّ حسن جودة.

وأيضاً حكمت عليه المحكمة العسكرية في قضية النقابيّين سنة ١٩٩٩م بالسجن خمس سنوات، قضى منها ثلاث سنوات وثلاثة أرباع السنة وخرج بأوّل حكم بثلاثة أرباع المدّة سنة ٢٠٠٣م.

وهو رئيس مجلس إدارة جمعية الباثولوجيا والباثولوجيا الإكلينيكية لكلّيات الطبّ البيطري على مستوى الجمهورية المصرية، ورئيس هيئة مجلّة «البحوث الطبّيّة البيطرية» لكلّية الطبّ البيطري ببني سويف لمدّة ٩ سنوات، ورئيس مجلس إدارة مركز خدمة البيئة بكلّية الطبّ البيطري ببني سويف، وقام بإنشاء المعهد البيطري العالي بالجمهورية العربية

اليمنية (صنعاء) لمدّة أربع سنوات خلال الإعارة من ١٩٨٢م ـ ١٩٨٦م، وإنشاء المزرعة الداجنة والحيوانية أيضاً.

كان منذ سنة ١٩٩٣م عضواً في مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين، تمّ انتخب مرشداً عامّاً للجماعة في ١٦/يناير/٢٠١٠م ليصبح المرشد الثامن للجماعة خلفاً لمحمّد مهدي عاكف المرشد العامّ السابق في سابقة هي الأُولى على مرّ تاريخ الجماعة في مصر باختيار مرشد عامّ للجماعة بالانتخاب في ظلّ وجود مرشد عامّ على قيد الحياة، وليصبح محمّد مهدي عاكف صاحب لقب أوّل مرشد عامّ سابق للجماعة. ويقول البعض: إنّ عاكف قرّر الانسحاب في أُكتوبر ٢٠٠٩م بعد انتهاء فترة ولايته بسبب ما وصفه بالخلافات بين من يوصفون بالمحافظين والإصلاحيّين داخل الجماعة، في حين نفى عاكف ذلك، وكان يذكر مسبقاً أنّه سيتنحّى عندما تكتمل مدّة الولاية الأُولى ولن يجدّد لفترة أُخرى، وأنّه اشترط ذلك على الإخوان عندما قبل أن يكون مرشداً لهم.

وبديع يعمل كأُستاذ متفرّغ بقسم الباثولوجيا بكلّية الطبّ البيطري بجامعة بني سويف. كما كان أميناً عامّاً للنقابة العامّة للأطبّاء البيطريّين لدورتين، وأميناً لصندوق اتّحاد نقابات المهن الطبّية لدورة واحدة. وهو واحد من أعظم مائة عالم عربي وفقاً للموسوعة العلمية العربية التي أصدرتها الهيئة العامّة للاستعلامات المصرية سنة ١٩٩٩م.

وهو زوج لسمية الشنّاوي ابنة الضابط الطيّار محمّد علي الشنّاوي من الرعيل الأوّل لجماعة الإخوان المسلمين، وأبناؤه: عمّار (مهندس كمبيوتر)، بلال (طبيب أشعّة)، ضحى (طالبة صيدلة)، والأحفاد: رؤى، وحبيب، وإياد.

محمّد البشاري

محمّد البشاري: مفكّر إسلامي مرموق، وداعية وحدة، ورئيس الفيدرالية العامّة لمسلمي فرنسا.

ولد سنة ١٩٦٧م بمدينة وجدة المغربية، وهاجر إلى فرنسا، ونال جنسيتها.

وهو رئيس جامعة ابن رشد الإسلامية بإسبانيا سابقاً، وعضو المجلس الإسلامي

العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو المجلس الإسلامي العالمي بكراتشي، وعميد معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية بمدينة ليل بفرنسا، وأمين عامّ المؤتمر الإسلامي الأوروبّي (IEC/CIE)، ورئيس الفدرالية العامّة لمسلمي فرنسا (FNMF)، ونائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية (CFCM)، وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة (OCI)، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الأزهر في القاهرة، وعضو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـ تريبولي، وعضو رابطة الجامعات الإسلامية ـ القاهرة، وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وعضو المنتدى العالمي للحوار بجدّة.

من إصداراته: «أبحاث ومقالات»: الأقلّيات الإسلامية في الغرب: الواقع ـ التحدّيات ـ والآفاق.. أوروبّا نموذجاً، الإسلام والإعلام الغربي وتحدّيات ما بعد أحداث ١١/ سبتمبر/ ٢٠٠١م، قراءة نقدية في القراءات العربية لمفهوم العولمة، مفهوم التنمية: بؤس الأُسس المعرفية وانزلاق التطبيقات الميدانية، التسامح الإسلامي بين الحقيقة والافتراء، الفقه الإسلامي المعاصر ومطلب التجديد الديني، العقل الإسلامي المعاصر وتحدّيات المرحلة، الإسلام والمسلمون في المناهج الدراسية الأوربّية، حقوق الإنسان بين الكونية والخصوصية: نموذج الأقلّيات الإسلامية، إشكالية وتبعات الحوار العربي ـ الأوروبّي على واقع الديمقراطية في المنطقة العربية، التناول المفاهيمي لواقع المرأة بين المنظور الإسلامي والمنظور المادّي، المسلمون والغرب بين الخوف على الهوية والخوف منها، أدوار المجتمع المدني في المجتمعات العربية: الواقع والمآل، حوار الحضارات عوض صدام الثقافات، الأُمّة الإسلامية بين تحدّي الأمن الفكري والأمن الروحي، العالم الإسلامي وتحدّيات ١١/ سبتمبر، صورة الإسلام في الإعلام الغربي.

يقول: «لقد جاء ميثاق الوحدة الإسلامية ـ كما توصّلنا بمسوّدته الأُصلية ـ عميقاً ودقيقاً في رصد العديد من التحدّيات التي تواجهها الأُمّة الإسلامية، سواء كانت تحدّيات داخلية، أي: تتعلّق بطبيعة العلاقات السياسية والمذهبية والثقافية بين أبناء الأُمّة الإسلامية، أو كانت تحدّيات تتعلّق بطبيعة العلاقة بين الأُمّة وباقي الثقافات والحضارات.

إنّنا نتحدّث عن ظرفية زمنية حرجة جداً على الأُمّة الإسلامية، وترتبط بالدرجة الأُولى بأهمّ المتغيّرات الدولية التي يشهدها العالم، والتي اندلعت أو برزت بعد العديد من المحطّات الدموية بدءاً على الخصوص ممّا حصل يوم ١١/سبتمبر/٢٠٠١م، ونهاية بآخر عملية دموية تمّت في المنطقة العربية، أي: أحداث ومنعطفات وصمت التأريخ بكلّ التداعيات التي تلتها، سواء كانت سياسية أو استراتيجية أو دينية أو ثقافية.. ولكن يبقى أهمّ هذه التداعيات بالنسبة لنا شنّ الإدارة الأمريكية حروباً على دول إسلامية ذات سيادة، حيث تمّ إسقاط نظامي أفغانستان والعراق، مقابل استمرار الضغوط على أنظمة أُخرى في الشرق الأوسط. ومن بين التداعيات الأُخرى هناك تصاعد الضغوط الأمريكية على الدول العربية و الإسلامية من أجل تعديل وتغيير المناهج الدراسية، وخاصّة المناهج المتعلّقة بتدريس المناهج والمقرّرات الدينية إلى درجة أنّ قراءة الآيات القرآنية في شاشات الفضائية العربية أصبحت تتحاشى قراءة الآيات التي تتعرّض لليهود والنصارى، بل وامتدّ الأمر إلى درجة حذف العديد من سور القرآن الكريم في بعض المناهج الدراسية في دول مجلس التعاون، حتّى بدا أنّنا أمام ضغوط تهدف لأن يتحوّل الإسلام إلى طقوس وعبادات لا بدّ أن تسطّر خطوطها العريضة وأهدافها من قبل الغرب، وليس من قبل الدول والمؤسّسات الإسلامية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الظروف فليس معنى ذلك أن نتحدّث عن تقريب أخلاقيات الوضع الحالي إلى أخلاقيات عصر الرسالة، أو نشر مذهب الاعتدال والوسطية والتوازن بشتّى الوسائل فقط من خلال تبنّي الضغوط الغربية وخاصّة الأمريكية، ولكن نؤكّد على أهمّية هذه الظروف من أجل التحذير من أيّ تنازلات عن ثوابت دينية، قد يؤدّي التفريط فيها إلى تمييع المفاهيم، وتبنّي أُطروحات تشوّه مقاصد الإسلام الحنيف».

محمّد البشير الإبراهيمي

محمّد بشير عمر الإبراهيمي: عالم جزائري شهير، ورجل من رجال الإصلاح الإسلامي.

ولد سنة ١٨٨٩ م بريف الجزائر (القسنطينة)، ودرس العلوم الإسلامية، وأصبح شيخاً وهو في سنّ الصبا، وزار عدّة بلدان إسلامية كالمدينة ودمشق لغرض التفقّه والاطّلاع على أُمور المسلمين وإصلاح شؤونهم.

أسّس بالاشتراك مع رفيق دربه الشيخ عبدالحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين سنة ١٩٣١ م لمناهضة الاستعمار الفرنسي الذي كان جاثماً على صدر الجزائر آنذاك، وغدا نائباً لها. فاعتقل في سجن آفلو بصحراء وهران سنة ١٩٤٠ م، وأُطلق سراحه عام ١٩٤٣ م بعد وفاة ابن باديس، فانتخبه رجال الجمعية رئيساً لها.

وبهدف نشر اللغة العربية أنشأ في عام واحد ٧٣ مدرسة ومكتبة، فزجّ به في السجن العسكري سنة ١٩٤٥ م وعذّب، ثمّ أُفرج عنه، فزار مصر واستقرّ بها سنة ١٩٥٢ م، ثمّ عاد إلى بلاده بعد استقلالها.

كان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وله ملحمة شعرية في ٣٦ ألف بيت بعنوان «تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاتتماء».

من كتبه: شعب الإيمان، التسمية بالمصدر، أسرار الضمائر العربية، كاهنة أوراس، نشر الطي من أعمال عبد الحي.

رَأَسَ تحرير جريدة «البصائر»، وتوفّي سنة ١٩٦٥ م.

يعدّ من روّاد التقريب ورجالات الإصلاح في العالم الإسلامي، وقد كانت له مراسلات مع الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء ﷺ.

هذا، والإصلاح أمر فطري تسعى إليه النفوس جاهدة من أجل تحقيقه في حياتها الفردية والاجتماعية؛ للوصول إلى سعادة دنيوية وأُخروية باستخدام كلّ السبل الإنسانية المشروعة.

لكن شعار الإصلاح سيف ذو حدّين، فهو شعار القادة المصلحين الواعين، والناشرين شرعة الحقّ، والمبلّغين لرسالات الله، والأُمناء الأخيار أو الأولياء الصلحاء والعلماء الأبرار الذين بذلوا الجهد والمهج من أجل تغيير النفوس ثمّ المجتمعات لإقامة العدل والإنصاف

ونبذ الظلم والإجحاف وبثّ الوعي في عقول أبناء أُمّتهم والإيمان في قلوبهم. والإصلاح أيضاً كان شعار المستعمرين الغزاة الذين قتلوا العباد وخرّبوا البلاد ونشروا الفساد ونهبوا الثورات وزرعوا الفرقة والشتات باسم الإصلاح وأسقطوا الدولة الإسلامية وحوّلوا الوطن الإسلامي إلى دويلات والأُمّة الاسلامية إلى شعوب، تُفترَس كلّ يوم من سبع استعماري ضارٍ، تحت عناوين مختلفة كالقومية تارةً والشيوعية أُخرى والديمقراطية.. وما إلى ذلك من وجوه وصور مبرّزة لما يسمّونه الطغاة والغاصبون بالإصلاح الذي ليس هو إلّا الإفساد الاجتماعي والثقافي والحضاري بكلّ ما تحمل الكلمات من معانيها.

فما زالت الصرخة الإصلاحية للإمام البشير الابراهيمي تدوّي في سماء الأحرار والمصلحين من بعده: «يا ويح الجهلة، أيريدون من كلمة الإصلاح أن تقول للمسلم قل: لا إله إلّا الله مذعناً طائعاً، وصلّ لربّك أوّاهاً خاشعاً، وصم له مبتهلاً ضارعاً، وحجّ بيت الله أوّاباً راجعاً، ثمّ كن ما شئت نهبة للناهب، وغنيمة للغاصب، ومطية ذلولاً للراكب؟! إن كان هذا ما يريدون كلّا، ولا قرّة عين! وإنّما نقول للمسلم إذا فصّلنا: كن رجلاً عزيزاً، قوياً، عالماً، هادياً، محسناً، كسوباً، معطياً من نفسك، آخذاً لها، عارفاً بالحياة، سبّاقاً في ميادينها، صادقاً، صاراً، هيّناً إذا أُريد منك الخير، صلباً إذا أُريد منك الشرّ. ونقول به إذا أجملنا: كن مسلماً كما يريد من القرآن، وكفى».

وعن دوره الإصلاحي في المجتمع الجزائري يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: «وكان هدف الشيخ الإبراهيمي من عمله الإصلاحي الكبير الذي بدأه مع ابن باديس ورفقائه في الدرب، هو إعداد الشعب الجزائري المسلم ليوم لاريب فيه، وهو يوم التحرّر من الاستعمار الفرنسي الاستيطاني المتغطرس الذي طال ليله وطمّ سيله. ولن يحرّر الوطن الجزائري من نير الاستعمار إلّا الشعب الجزائري، ولن يتمّ ذلك إلّا إذا حرّرنا نفسية الشعب من الخنوع للمستعمر، ومن التبعية لثقافته، ومن اليأس من مقاومته. وحينئذٍ سيتحوّل هذا الشعب كلّه إلى جنود للكفاح، بل إلى أبطال تنشد الجهاد والاستشهاد، حين تحلّ العقدة، وتتحكّم العقيدة، وتتضح الغاية، وتستبين الطريق، وتستحكم العزيمة، ويسود قبل ذلك

كلّه: الإيمان بالله، والثقة بنصره، والإيمان بأنّ الحقّ مع الشعب المجاهد، وأنّ الباطن مع العدوّ والمستعمر، وأنّ الحقّ لا بدّ أن ينتصر على الباطل ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٨)، كان لا بدّ من غرس العزّة في الأنفس، واليقين في السرائر، والأمل في القلوب، والبغض للذلّ والخنوع، والشعور بالسيادة، والتوق إلى الحرّية».

ويرى الشيخ مختار السلامي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في تونس سابقاً أنّ آراء الإصلاح كانت إحدى ركائز شخصية الإمام الإبراهيمي، وجد فيها صدى نفسه، ومتنفّس، وصورة أمينة لما بلغته مداركه، فامتزج بها، ودافع عنها، وجعلها إحدى ركائز في الجهاد، يقول: «لا نزاع في أنّ أوّل صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، وأنّه أندى الأئمّة المصلحين صوتاً، وأبعدهم صيتاً في عالم الإصلاح.. كانت تلك الصيحة الداوية في فم ذلك المصلح العظيم صاخّة لآذان المتربّصين بالإسلام، ولآذان المبطلين، ولآذان الجامدين من العلماء».

وفي الحديث عن الدور الإصلاحي للإمام البشير الإبراهيمي يستطرق المفكّر الإسلامي الدكتور محمّد عمارة قائلاً: «إنّ الإصلاح الديني بواسطة العلماء المخلصين هو الذي يجعل لصولة العلماء الأولوية والغلبة على صولة الملك.. وهو الذي يجعل للعلم سلطنته وسلاطين يغالبون ويغلبون سلاطين الجور والفساد.. وهو الذي يجعل تجديد الدين السبيل إلى تجديد الدنيا، وهو الذي يهيّئ النفوس ومن ثمّ المجتمعات لتقبّل السياسات والقوانين والنظم وبرامج الأحزاب والحكومات؛ لأنّها جميعاً آليات لإشاعة الأُصول وترسيخها في المجتمعات، وما البدء بعكس هذا المنهاج ـ أي: تقديم الفروع على الأُصول والاكتفاء بسياسات الفروع في تجديد الثوابت وتأكيد الهويات ـ إلّا حرث في البحر، ونقش على الماء، وبناء في الهواء، مهما حسنت نوايا الذين ينحرفون إلى هذا السبيل».

هذا، ويشيد الإمام البشير بالعلماء الحقيقيّين الذين هزّوا النفوس الجامدة، وحرّكوا العقول الراكدة، قوّالون للحقّ لا يخافون في الله لومة لائم. ويكتب بمناسبة الاحتفال بذكر الإمام جمال الدين الأفغاني الأسد آبادي عام ١٩٥٧م قائلاً: «إنّ البرّ بأنفسنا أن نذكر مع كلّ شارقة عظماءنا ومصلحينا الذين كان لهم أثر مشرق في تاريخنا، وأن نحيي ذكرياتهم؛ لنحيا بها، ونأخذ العبر منها، وندعلها دليلنا إذا اظلمّت علينا السبل، وقدوتنا إذا أعوزنا الإمام القائد..».

يقول أحد المفكّرين: «كان الإسلام هو المرجعية الأُولى بل المرجعية الوحيدة للإبراهيمي وجماعته، وهو أمر طبيعي لا غرابة فيه ولا دهشة منه، بل الغريب أن تكون له مرجعية أُخرى غير الإسلام! فالرجل عالم مسلم، حفظ القرآن منذ صباه، وقرأ الحديث ودرس التوحيد والفقه والأُصول وسائر علوم الإسلام، ونبغ فيها، وأمسى معلّماً لها وداعياً، فلا يتصوّر منه أن يتّخذ مرجعاً غير الإسلام. ولكن ما مفهوم الإسلام الذي يؤمن به الشيخ ويدعو إليه ويذود عن شبهات المرتابين وأكاذيب المفترين؟ إنّه ليس الإسلام الذي شابته شوائب الأزمنة والأمكنة والأعراق المتباينة، فكدّرت صفاءه وغبّشت ضياءه.. إنّه ليس للإسلام مذهب من المذاهب، ولا طائفة من الطوائف، ولا قطر من الأقطار، ولا عصر من الأعصار.. إنّه «الإسلام الأوّل» إسلام القرآن الكريم والسنّة الصحيحة، إسلام الرسول الكريم وصحابته الميامين وتلاميذهم الأخيار من التابعين.. إنّه إسلام القوّة لا الضعف، وإسلام التجديد لا الجمود، وإسلام الحرّية لا القيود، وإسلام القوّة والكرامة لا الذلّة والمهانة. لقد حرص الإبراهيمي أن يبيّن باستمرار رسوخ الإسلام في الجزائر رسوخ الجبال الشمّ، وأنّه أصل أُصول حياتها، وأنّه منها بمثابة الروح من الجسد، إذا انفصل أحدهما عن الآخر فمعناه الموت. يقول في مقالة له: «إنّ الاسلام في الجزائر ثابت ثبوت الرواسي، متين القواعد والأواسي، قد جلىٰ الإصلاح حقائقه فكان له منه كفيل مؤتمن، واستنار بصائر المصلحين بنوره فكان له منهم حارس يقظ، وأعاد كتابه «القرآن» إلى منزلته في الإمامة فكان له منه الحمى الذي لا يطرق والسياج الذي لا يخرق»...».

ويقول الشيخ مختار السلامي ـ وذلك بعد ذكره لأهمّ ركائز شخصية الإمام الإبراهيمي ـ : « تكاملت شخصية الإمام محمّد البشير الفكرية والعلمية بكلّ ما قدّمناه، وقد بدأ يخرج من محيط التلقّي إلى يفاع الإفادة منذ بواكير شبابه في الجزائر قبل أن يرحل إلى المدينة، وكذلك في المدينة المنوّرة، فقد كان يجلس إلى الشيوخ للأخذ عنهم، ويقوم بالتدريس، ويأخذ عنه طلبة العلم. وقد تتبّعت كثيراً ممّا جاد به قلمه وجرى على لسانه، فتبيّن لي أنّه ﷺ يصدر عن ثوابت لا تكاد تخفىٰ فيما كتبه ونشره وحاضر به وقرّره، لا تكاد تتمثّل هذه الثوابت في :

أوّلاً : القرآن الكريم، لقد أَلِفَ القرآن الكريم وأَلِفَهُ القرآن، وامتزجت روحه ومداركه بحقائقه، وصقل ذوقه وفكره بأُسلوبه وبيانه، وأثرت لغة القرآن زاده اللغوي، فالكلمات القرآنية المشحونة المدوّية المزلزلة تتأتّى له أنيسة طبعه وكلامه، والحجج القرآنية تسرع إليه تتنزّل في منزلتها غير نابية ولا مفتعلة، فإذا هي قوّته المؤيّدة في الدعوة والبيان، وسلاحه الماضي في إفحام خصومه، وسريان سلطان الحقّ الداحض للباطل والشبه والظلم والتعسّف، والقرآن يحلّي بيانه بما يقتبسه من كلام ربّ العزّة، فيدخله في النسيج العامّ بقوي إشعاعه وبديع جماله.

ثانياً : التمسّك بالدين مصفّى ممّا امتزج به من البدع عبر العصور، فهو ملتزم بالمنهج الإسلامي المستند إلى السنّة النبوية، يدافع عنه ويعلنه إعلاناً واضحاً، ويرجع دوماً إلى تلكم الطريقة في فهم الدين والدعوة إليه.

ثالثاً : إيمانه بالعربية لغة وجامعة وحمّالة دقيق المعاني وأعمق ما يجري في باطن الإنسان من مشاعر وأحاسيس وتفكير.

رابعاً : إيمانه بالأُخوّة الإسلامية مع تجذّره في المنبت الجزائري، فقد كانت قضية الجزائر ومقاومة الظلم الاستعماري وافتكاك الحقّ الجزائري من براثن التسلّط الفرنسي وعمله على أن تبقى الجزائر حرّة مسلمة عربية، قد استقرّ ذلك في نفسه استقراراً لازمه ولا يكاد يغفل عنه، ودافع عنه دفاعاً هو هالة من شرف الجهاد يبقى حيّاً وإن تقلّبت الظروف

وتحوّلت الأحوال.

خامساً: إيمانه بأنّه يتحمّل مسؤولية إصلاح أوضاع العالم الاسلامي بصفة عامّة والجزائر بصفة خاصّة، فهو لا يرقب الأحداث من الخارج، وإنّما يقدّر دوره أنّه أحد عمد التأثير فيها.

سادساً: إيمانه بأنّ سنن الكون هي سنن ثابتة تقتضي ممّن يتحمّل المسؤولية أن يتأمّل في الطريقة التي تجري عليها الأحداث، فلا يخدع بما يضلّل الناظر من الفقاقيع التي تتعجّل بالبروز إلى السطح».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦: ٥٤، موسوعة السياسة ٦: ٧٧، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٢٥١ ـ ٢٦٨، عظماء الإسلام: ٣٢٢، من أعلام الإحياء الإسلامي: ١٢١ ـ ١٥٨، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ٩٨٣ ـ ٩٨٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠٨٥ ـ ١٠٨٦، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٣٤٣ ـ ٣٤٤، رجالات التقريب: ١٠٦ ـ ١٢٥، موسوعة الأعلام ١: ٨ ـ ٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٧).

محمّد البشير صفر

أحد روّاد الإصلاح الإسلامي، من أنصار الوزير خير الدين التونسي، ومن غير الزيتونيّين، ورئيس بعثة «المدرسة الصادقية» إلىٰ فرنسا، وقد ترك مواصلة الدراسة بها ليتولّى بنفسه التوسّط بين الأقلام العربية في الإدارة التونسية والقلم الفرنسي في إدارة الحماية، وعهد إليه بإدارة فرع «المدرسة الصادقية»، وقد أنشأ علي بوشوشة صحيفته الأسبوعية «الحاضرة» في ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٨م)، فكان محمّد البشير صفر ركن التفكير والتحرير في هذه الصحيفة إلىٰ جانب مؤسّسها.

ومن أبرز أعماله خدمته للنهضة الفكرية، وسعيه في تأسيس «الجمعية الخلدونية» سنة ١٨٩٦ م. وقد اضطلعت هذه الجمعية بمهام كبيرة، والتي منها دروسها الحرّة لما كان من العلوم مهجوراً في التدريس بالجامع الأعظم من علوم رياضية وطبيعية واجتماعية.

وقد تزاحم طلّاب الزيتونة على دروسها، وأقبلوا على محاضرات الأُستاذ محمّد

البشير صفر في التاريخ، فكانت تغصّ بهم القاعة الكبرىٰ للجمعية.

وبرز دور هذا الأُستاذ المصلح العملي بسدّ الثغرات وحسن التوجيه للطلبة في مجالات الحياة، حتّىٰ نال الزعامة المطلقة والإجلال الكبير من الشبيبة الصادقية وطلبة الجامع الأعظم جميعاً.

ويعدّ هذا المصلح أحد العلماء المصلحين الذي تأثّر بهم العلّامة محمّد الطاهر ابن عاشور وسار على خطاهم.

ولد البشير صفر بتونس سنة ١٨٦٣ م، وهو أصيل المهدية، تعلّم بجامع الزيتونة، وانتسب إلى تلاميذ الفوج الأوّل للمدرسة الصادقية. توجّه في بعثة إلى فرنسا لمواصلة دراسة الهندسة والرياضيات، غير أنّه انقطع سنة دخول الاستعمار الفرنسي في صائفة عام ١٨٨١ م، ودخل الإدارة التي كانت تشكو ضعفاً واضحاً، وعند استقراره بتونس ساهم في تأسيس جماعة الحاضرة. كما كان البشير صفر المؤسّس الحقيقي للجمعية الخلدونية التي تداول على رئاستها مع محمّد الأصرم.

أمّا على الصعيد الإداري فقد أشرف البشير صفر على قسم المحاسبات بالوزارة الكبرى بين عامي ١٨٨٢م و١٨٩١م، ثمّ تولّى مسؤولية أموال الأوقاف وحساباتها، وسمّي بذلك رئيساً لجمعية الأوقاف في عام ١٩٠٠م، وبقي بها حتّى سنة ١٩٠٨م موعد تعيينه على رأس عمالة سوسة.

توفّي إثر عملية جراحية أُجريت له في عام ١٩١٧م. وقد ترك بعض المؤلّفات، منها: مفتاح التاريخ، الجغرافيا عند العرب.

يقول الأُستاذ أبو زَيان السعدي: «حاولنا في المقالين السابقين التعريف بكتاب «مفتاح التاريخ» للأُستاذ محمّد البشير صفر بمناسبة ظهور طبعته الثانية بتحقيق وتقديم المؤرّخ الأُستاذ حمادي الساحلي ﷺ، كما حاولنا إضاءة جوانب من شخصية وفكر ونشاط صاحبه في حقول الإصلاح الفكري والتربوي والعلمي والثقافي، ممّا كان له دوره البارز في نشر الوعي بحقيقة الذاتية التونسية العربية الإسلامية، وتوفّرها على عناصر أصيلة من قيم

الفكر والتحضّر والتمدّن، تلهمها باستمرار أن تكون في مستوى أحداث عصرها وتطلّع أبنائها المصلحين قبل انتصاب الحماية وبعد إلى الرقي بالإنسان والنهضة بالمجتمع، والأخذ بأساليب التحديث في علاقة المواطن بالدولة وفق ما انتهت إليه فلسفة الحكم في العصر الحديث من أنّ الشعب هو مصدر السلطات، وأنّ الدستور هو الفيصل الذي ينتهي لديه كلّ إشكال، وهو المرجع الذي يحدّد بعدالة معنى الحقّ والواجب، ومعنى المساواة أمام القانون، ومعنى أداء الدولة مهامها الواجبة في كلّ الميادين، وقلت بالحرف: وقد أثبت محمّد البشير صفر عبر جريدة الحاضرة والخلدونية أنّه خليق بالزعامة الإصلاحية الفكرية بعد خير الدين، ولذلك كان طبيعياً أن يسند إليه لقب «أبو النهضة الثاني». لقد كتبت ما كتبت عن الأُستاذ البشير صفر، وأنا مطمأن إلى مصادري التي بين يديّ، وهي كتاباه: «مفتاح التاريخ»، و«الجغرافيا عند العرب»، وجملة مقالاته التي نشرها في جريدة «الحاضرة» وأعاد نشرها الأُستاذ علي العريبي في كتاب له صدر منذ سنوات قريبة عن سلسلة «ذاكرة وإبداع» التابعة لوزارة الثقافة، ثمّ ما كتب عنه من مقالات للأساتذة: محمّد الفاضل ابن عاشور، والشاذلي خير الله، والصادق الزمرلي، ومحمّد البشروش.. وقد أدرجها الأُستاذ حمادي الساحلي في القسم الثاني من كتاب «الجغرافيا عند العرب»، وهو الكتاب الذي تولّى تقديمه وتعريبه؛ لأنّ الأُستاذ البشير صفر كتبه بالفرنسية ليلقى محاضرة في مؤتمر الجمعية الفرنسية للجغرافيا التجارية المنعقد بتونس في ٥ أبريل سنة ١٩٠٤م».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٨).

محمّد بهجة الأثري

محمّد بهجة بن محمود بن عبد القادر الأثري: كاتب موسوعي، علّامة، أديب، لغوي، شاعر.

ولد ببغداد سنة ١٩٠٤م، وقيل: سنة ١٩٠٢م، ونشأ فيها، ودرّب على التجارة والفروسية، ودخل الرشدية العسكرية، فلم تقو بنيته على التدريب العسكري، فأمضى دور النقاهة مداوماً في محكمة الاستئناف يتدرّب على الإنشاء التركي، وترك الوظيفة ليتفرّغ

للتخصّص في العربية وعلومها، وتعلّم الفرنسية والإنجليزية والتركية، وأخذ عن علماء العراق الكبار، ولازم محمود شكري الآلوسي الذي لقّبه بالأثري؛ لولعه بالحديث النبوي الشريف، وقرأ علوماً كثيرة، فتضلّع منها.

أخذ يكتب ويؤلّف وينظّم ويحقّق ولمّا يبلغ العشرين من عمره.

أسّس «جمعية الشبّان المسلمين»، واشتغل بالصحافة، فترأس تحرير مجلّتي «البدائع» و«العالم الإسلامي»، وأشرف عى مجلّة المجمع العلمي العراقي، واختير عضواً فيه ونائباً لرئيسه، كما كان عضواً في «جمعية المؤتمر الإسلامي»، و«الجمعية الخيرية الإسلامية»، و«جمعية الطيران العراقية»، والمجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي لجنة التأليف والنشر بوزارة المعارف العراقية، وفي المجلس الأعلى الاستشاري بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، ومجلس شورى الأوقاف العراقي.

وعيّن مديراً عامّاً للأوقاف، وعلّم في مدارس بغداد وثانوياتها عشرة أعوام، ثمّ عيّن مفتشاً للّغة العربية.

شارك في ثورة مايس سنة ١٩٤١م، فأخفقت واعتقل على أثرها ثلاث سنوات وحرم من الوظائف حتّى عام ١٩٤٧م.

حصل على عدد من الأوسمة الرفيعة من بلاده ومن لبنان وسورية والمغرب، ومنح جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.

توفّي عام ١٩٩٦م تاركاً بعض المصنّفات، منها: أعلام العراق، المجمل في تاريخ الأدب العربي، مأساة الشاعر وضاح اليمن، ديوان الأثري، ملاحم وأزهار، المدخل في تاريخ الأدب العربي، مقالات نقدية، الاتّجاهات الحديثة في الإسلام، محمود شكري الآلوسي وآراؤه اللغوية، الجغرافية عند المسلمين والشريف الإدريسي، كاتب الدولتين النورية والصلاحية، الآلة والأداة، ذرائع العصبيات العنصرية، معجم الأقاليم، شرح مقامات ابن ماري البصري.

كما حقّق عدداً من كتب أُستاذه الآلوسي، كبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،

وتاريخ نجد، والضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناشر.

وله أيضاً مئات الأبحاث المنشورة في أمّهات المجلّات العلمية.

كتب عنه: صالح السهرودي، وأدهم الجندي، وأنور الجندي، وعزيز أباظة، وأحمد مطلوب، ورؤوف الواعظ، وعبد الله الجبوري، وعدنان الخطيب، ومحمّد مهدي علّام. كما كتبت عنه أكثر من رسالة جامعية. ولحميد المطبعي «العلّامة محمّد بهجة الأثري» في سيرته.

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ١: ١٩٦، أدباء وشعراء العرب ٢: ٢٨٠، إتمام الأعلام: ٣٤٤ ـ ٣٤٥، الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ٩٨٦ ـ ٩٨٧، أعلام التراث: ٢٠٤ ـ ٢٠٥، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٣٤٨ ـ ٣٤٩، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ٨٤ ـ ٨٧).

محمّد بهجة البيطار

أبو اليسار محمّد بهجة بن محمّد بهاء الدين بن عبد الغني البيطار: بحّاثة، علّامة، شاعر.

ولد سنة ١٨٩٤م في دمشق لأُسرة علم وفضل يرجع أصلها إلى الجزائر، وتلقّى العلم عن والده، وجدّه لأُمّه الشيخ عبد الرزّاق البيطار، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ بدر الدين الحسيني، وقرأ في بعض المدارس، وتولّى الإمامة والخطابة والتدريس في جامع القاعة في حي الميدان، ثمّ في جامع كريم الدين المعروف بالدقّاق بحي الميدان أيضاً خلفاً لوالده، ولم ينقطع إلّا لسفر أو مرض، وعيّن معلّماً، ثمّ سافر سنة ١٣٥٤ هإلى الحجاز مشاركاً في مؤتمر العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة، واستبقي للإشراف على المعهد العلمي السعودي، فبقي مديراً له خمس سنوات، ثمّ غلبه الحنين إلى وطنه، فعاد إلى دمشق مدرّساً في ثانوياتها وفي كلّيتي الآداب والشريعة بجامعتها، ومن بعد ذلك سافر إلى بيروت، حيث درّس في مدارس المقاصد الخيرية بعض الوقت، ورجع إلى دمشق مدرّساً في الكلّية الشرعية ودار المعلّمين العليا، ثمّ أُوفد إلى الطائف ثلاث سنوات، تولّى فيها إدارة دار التوحيد. وعاد بعدئذٍ للتدريس في كلّية الآداب بالجامعة السورية، حيث كان يدرّس

مادّتي التفسير والحديث، إلى أن أُحيل على التقاعد، فقصر نشاطه على محاضرات كلّيّة الشريعة والتدريس بوزارة الأوقاف، بالإضافة إلى بثّ أحاديثه الإذاعية.

انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بدمشق، وشارك في عدّة مؤتمرات إسلامية مهمّة.

يقول عنه الأُستاذ كامل سلمان الجبوري: «كان واسع الاطّلاع، سديد البحث، أُصولي النزعة، حاضر البديهة، باسم الثغر، ليّن القول، يستمتع بالنكتة ويقولها، وكان رقيق الشعور، وكان إذا اضطرّ للأكل عند من يشتبه برزقه أو عند بعض الرسميّين أيّام الانتداب الفرنسي خرج حالاً وتصدّق بضعف قيمة ما أكل حسب تقديره. وكان يرى أنّ ذهاب ريح المسلمين من ذهاب أخلاقهم، وأنّ معظم بلائهم من كبرائهم وأثريائهم وعلمائهم».

توفّي عام ١٩٧٦م تاركاً بعض المؤلّفات، منها: نقد عين الميزان، نظرة في النفحة الزكية، النفحة على النفحة والمنحة، الكوثري وتعليقاته، الرحلة النجدية الحجازية، كلمات وأحاديث، حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي، الإنجيل والقرآن في كفّتي الميزان، الاشتقاق والتقريب، المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا، السنّة والشيعة، تاريخ فكرة إعجاز القرآن الكريم.

ومن محقّقاته: أسرار العربية للأنباري، قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي، حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر لعبد الرزّاق البيطار، الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي.

وله مقالات كثيرة نشرت في عدد من المجلّات.

وللدكتور عدنان الخطيب «الشيخ محمّد بهجة البيطار .. حياته وآثاره» في سيرته، وهو في الأصل مقالة في مجلّة مجمع دمشق.

(انظر ترجمته في: تاريخ علماء دمشق ٢: ٩١٨ ـ ٩٢٥، إتمام الأعلام: ٣٤٣ ـ ٣٤٤، أعلام التراث: ١٤٢ ـ ١٤٤، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٣٤٩ ـ ٣٥٠، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ٧٦ ـ ٨٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٠٩٥ ـ ١٠٩٦).

محمّد البهي

مفكّر إسلامي وداعية إلىٰ التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي. يقال: كان العالم الوحيد الذي جهر في مؤتمر علماء المسلمين المنعقد في القاهرة سنة ١٣٩٢هـ قائلاً: «الإسلام دعوة وليس ثورة.. وإنّ الإسلام لا يقرّ الانقلابات العسكرية ولا التأميم لممتلكات الناس».

ولد محمّد كامل البهي في قرية أسمانية التابعة لمركز شبراخيت في محافظة البحيرة سنة ١٩٠٥ م، وبعد أن حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد دسوق الديني طالباً سنة ١٩١٧ م، ونال شهادة العالمية النظامية عام ١٩٢٨ م، ثمّ شهادة التخصّص في الأدب والبلاغة عام ١٩٣١ م، وانضمّ إلىٰ بعثة الإمام محمّد عبده في جامعة «هامبورغ» بألمانيا، وحصل خلالها على دبلوم عال في اللغة الألمانية سنة ١٩٣٤م إلىٰ جانب الدكتوراه في الفلسفة وعلمي النفس والاجتماع عام ١٩٣٦، وكان متأثّراً بأفكار السيّد جمال الدين الأفغاني.

وقد عيّن مدرّساً في كلّية أُصول الدين عقب عودته من الخارج، فرئيساً لقسم الفلسفة بكلّية اللغة العربية، ورئيساً لقسم اللغة العربية بالأزهر، وأُستاذاً زائراً بجامعة «ماكجل» بكندا عام ١٩٥٦م وبجامعة الرباط الحديثة عام ١٩٦٠ م، كما مثّل الأزهر في ندوات، وتولّىٰ إدارة جامعة الأزهر عام ١٩٦١ م، ومن بعدها وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر الشريف عام ١٩٦٢ م.

وقد كان ينادي بضمّ الدراسات الأكاديمية إلىٰ الدراسات الدينية في الأزهر عام ١٩٣٦ م، وتحقّق له ما أراده عام ١٩٦٢ م.

وكان زواجه من ابنة الشيخ علي الغاياتي صاحب جريدة «منبر الشرق» الذي عاش منفياً في جنيف أكثر من ربع قرن مدافعاً عن مصر ومصدراً كتابه «وطنيتي» دفاعاً عن آمال مصر في الحرّية والاستقلال، الأمر الذي تأثّر به الدكتور البهي في بعض مؤلّفاته، والتي يأتي في مقدّمتها كتابه المشهور «الدين والحضارة الإنسانية»، وغيره من كتبه. ومن مؤلّفاته الأُخرى: غيوم تحجب الإسلام، مشكلة الأُلوهية بين ابن سينا والمتكلّمين، الفكر

الإسلامي والمجتمع المعاصر، الإسلام والرقّ، القرآن في مواجهة المادّية، الإسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر، القرآن والمجتمع، الإسلام في حياة المسلم، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الإسلام والاقتصاد، تفسير سور من القرآن الكريم، الإسلام والإدارة، تهافت الفكر المادّي والتاريخي بين النظرية والتطبيق، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، الأخلاقية والصوفية، الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام منه، نحو القرآن، الإسلام واتّجاه المرأة المسلمة المعاصرة، الفكر الإسلامي وتطوّره، الإسلام كنظام للحياة، الأزهر.. تاريخه وتطوّره، التفرقة العنصرية والإسلام، من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك، رأي الدين بين السائل والمجيب.

كما وضع مؤلّفين آخرين باللغة الألمانية، ومؤلّف آخر باللغة الإنجليزية، بالإضافة إلىٰ ٦٠ رسالة في شؤون الفكر والفقه والمجتمع الإسلامي وإصلاح الأزهر.

وقد ترجمت بعض مؤلّفاته إلىٰ الإنجليزية والتركية والأندنوسية.

وقد تناول في كتاباته تاريخ الفكر الإسلامي، وكشف عن زيف الفكر الإغريقي وتهافت الفكر المادّي.

توفّي سنة ١٩٨٢م.

يتّضح من كتابات الدكتور محمّد البهي في فترة الستّينيات من القرن الماضي أنّه كان يبدو متحمّساً للاشتراكية بمعناها الإسلامي الصحيح بوصفها نظاماً حتمياً لإعادة الوضع الإسلامي، وكان يذهب إلى القول بأنّه: لا سبيل إذاً للمجتمعات الإسلامية المعاصرة من أمرين معاً يحتّمهما الإسلام:

أوّلاً: تسلّم مال الأعداء، وهو رأس المال الأجنبي الذي حماه الأجنبي باستعماره.

ثانياً: إبقاء رأس المال ملكية عامّة، وطريق ذلك هو التأميم.

ولكنّه كان يفهم الاشتراكية العربية على أنّها نظام يجمع بين الملكية العامّة في مصادر الإنتاج الرئيسية، والملكية الخاصّة، والإيمان بالله وبدينه، والمساواة، وعلاقات الأُخوّة والتعاون مع الشعوب النامية.

ومن هنا كانت دعوته لعلماء المسلمين أن يشاركوا في مساندة هذا النظام بالفقه، وبالفلسفة الإسلامية، وبالنصيحة، وبتحرير الاقتصاد القومي. ولكن أمله خاب في الاشتراكية العربية بعد أن أثبتت التجربة فشل كلّ الشعارات التي رفعتها. وقد تمّ حذف الكثير ممّا كتبه عن الاشتراكية العربية من كثير من كتبه عند إعادة طبعها، وأصبح لا يؤمن إلّا بحلول إسلامية خالصة.

وقد وقف الدكتور البهي موقفاً صارماً ضدّ تيّار الفكر المادّي التاريخي «تهافت الفكر المادّي التاريخي» ١٩٧٥م. وقد بيّن في هذا الكتاب مدى تخلّف الفكر الماركسي اللينيني وإفلاسه في تحقيق العدالة الاجتماعية، ومدى بعده عن إيجاد مجتمع إنساني عديم الطبقات، ومدى نفاذه في الاحتفاظ بالسلطة عن طريق استخدام الإرهاب والتعذيب والتجويع والإذلال. فالتقدّمية التي يدّعيها لا صلة لها بالتقدّم في إنسانية الإنسان، وهو إذ يدّعي العدالة يحقّق الظلم، ويخلق طبقة بدل طبقة، ويحارب الدين، ويمنع المجتمع الماركسي أن يطل على الفكر الإنساني الآخر غير الماركسي.

وكما وجّه الدكتور البهي نقده للفكر الماركسي وجّه أيضاً سهام نقده للفكر الغربي الاستعماري الذي يريد إبقاء المسلمين في موقع التخلّف.. ومن هنا كان كتابه «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» الذي قصد به كما يقول: «بيان السبيل لمن يحرص في الشرق الإسلامي على الاستقلال في التفكير وفي السياسة من مفكّري الإسلام وزعماء السياسة بينهم. وهذا السبيل ليس هو سبيل الغرب الذي يدعونا إليه؛ لأنّ في سبيل الغرب قبول الاستعمار والمذلّة والدعوة إلى التخلّف، وإنّما هو سبيل الشرق «الإسلامي» الذي يريد أن يتحرّر من استعمار الغرب وإذلاله وحرصه على أن يبقى متخلّفاً».

ولم يكن الدكتور البهي يترك فرصة إلّا ويهاجم بشدّة الفكر المادّي في مختلف أشكاله وصوره. وهذا ما يلحظه المرء بوضوح في معظم كتبه، حتّى مؤلّفاته في تفسير القرآن الكريم راح يبيّن فيها أنّ الوحي المكّي قد حارب مادّية الفكر التي كانت تسيطر على عقول العرب المكّيين، وما المادّية المعاصرة إلّا شكل آخر من أشكال المادّية لا يختلف في

أساسه عن المادّية القديمة.

ويرى الدكتور البهي أنّ حلّ مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة يكمن في الحلول الإسلامية، وليس في الحلول المستوردة من الشرق أو الغرب. وقد حاول أن يوضّح ذلك في كتابه «الإسلام في حلّ مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة»، تناول فيه الرأي الإسلامي في حلّ عدد من المشكلات التي تسود المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وهي مشكلات: العلمانية، والديمقراطية، ومشكلة الاقتصاد في المجتمع، ومشكلة العمل في المصانع، ومشكلة التأمين والبنوك، ومشكلة ازدياد السكان، والإسلام في تجربة الحياة الصناعية المعاصرة.

وهكذا كان حريصاً على عرض وجهات النظر الإسلامية في مواجهة التيّارات المعاصرة. ويشير إلى ذلك في سيرته الذاتية بقوله: «وأعتقد أنّي قد ساهمت إلى حدّ ما في عرض الإسلام في مواجهة التحدّيات الآيديولوجية الماركسية والمنطقية الوضعية».

ولكن الدكتور البهي في نقده للفكر الماركسي من جانب والفكر الغربي الرأسمالي من جانب آخر، وفي نقده لتيّارات الفكر الإغريقي، لم يكن يدعو إلى انغلاق الفكر الإسلامي على نفسه، ولكنّه كان يدعو إلى التأنّي في القبول أو الرفض، ويعبّر عن هذا الموقف بقوله: «إنّ الأُمّة الإسلامية في حاضرها لا ينبغي أن تغلق النوافذ دون الفكر المعاصر، كما لم تغلقها دون الفكر الإغريقي في الماضي، ولا الفكر الفارسي أو الهندي أو الديني المسيحي اليهودي، ولكن يجب أن تتريّث في قبوله، ولا تتوانى في ردّه إن كان يحمل خطراً يهدّد وجودها واستقلال ذاتيتها كما فعلت بالأمس».

هذا، وقد كتب البهي بعض المقالات في مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية، والتي منها: الثنائية في الوجود، حاجة القانون إلى الدين، الاحتراف بالقيم، الإنسان في سلوكه، الفضيلة بدون دعوة، حياتنا بين الشرق والغرب، الحرّية في الإسلام، تراثنا الروحي.

كان الدكتور البهي من المنادين بضرورة التقريب بين المذاهب، وممّن تربطه مع بعض الشخصيات الشيعية أواصر الصداقة والإخاء.

وكان يقول: «إنّ الجماعة في الإسلام هي في واقع أمرها ذات صلة بعضها ببعض، وقوّة الجماعة في قوّة وحداتها وأفرادها: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف»».

حلّت العصبيات الشعوبية محلّ الرباط الإسلامي العامّ، وبرزت الحدود والفواصل، وخلقت خلقاً في الوطن الإسلامي، دون أن تعتمد اعتماداً دقيقاً على المكان الجغرافي أو خصائص الجنس، وإنّما تعتمد أوّلاً وبالذات على الحدود «المفترضة» التي وضعها المستعمر وقوّاها حتّى يحول بذلك دون الترابط النفسي بين الشعوب الإسلامية في الآمال والكفاح، قبل أن يحول دون الاختلاط المكاني أو الزماني.

«لولا التعدّد في الإنسان لما كان له كفاح، ولكن فرض عليه الكفاح، فكفاحه من أجل الوحدة، فالتعدّد فيه إذاً أساس الوحدة، ولولا اعتبار أنّه ذو شرّ وذو خير معاً لما كان له كفاح أيضاً، وحيث وجب عليه الكفاح فكفاحه للخير، فالشرّ كذلك إذاً أساس الخير.

والقدامى يشتركون في نظرتهم الازدواجية للإنسان على هذا النحو، والأُسرة قائمة على الازدواج أيضاً، أساسها ذكر وأُنثى، وهدفها إضعاف ما في أصل تكوينها من ازدواج أو تعدّد عن طريق التقارب النفسي بين الاثنين أو عن طريق ما يسمّى بالانسجام بينهما، هدفها إضعاف الفوارق الفردية بين الطرفين إضعافاً يقترب بينهما من أن يكونا نفساً واحدة وذاتاً واحدةً.

فالتعدّد في الأُسرة يهدف إلى الوحدة إذاً أو هو أساسها، كما يصحّ بالتالي أن يكون أساس السعادة أو الخير وإن كان في طبيعته يحمل معنى الشقاء أو الشرّ.

والقوم جماعة إنسانية متعدّدة الأفراد كذلك. وهدف كلّ قوم تماسك أفراده أو صيرورة عدده الكثير إلى وحدة منسجمة، هدف أيّ قوم أن يكون قوياً بحكم ما يمليه عليه حفظ بقائه بين الأقوام الأُخرى، وقوّته في تضامنه بحيث إذا اشتكى أحد أفراده تداعى له جميع الأفراد بالحمّى والسهر، ومنتهى قوّته في وحدته، وفي وحدته اطمئنانه. إذن لما يقع عليه من أحداث خارجية إذ يستطيع عندئذٍ ردّها، في وحدته الخير كلّه له، وفي بقائه متفرّق الأفراد متفرّق الكلمة والتوجيه عدم اطمئنانه واستقراره، وليس عدم الاطمئنان لأيّ

قوم على كيانه، كقوم أو جماعة إلّا ما يوصف باسم الشرّ في الجماعة.

فطبيعة تعداد الأفراد لأيّ قوم توحي بالسعي إلى الوحدة بينهم، وفي الوحدة يرى كلّ قوم مضى الخير له كما يرى الشرّ في بقائه منثوراً غير موحّد على أمل وغاية. وإذاً التعدّد في القوم أساس الوحدة، والشرّ فيه أساس الخير. والعالم وهو متعدّد كبير يسعى للوحدة؛ لأنّ أيّ كائن فيه يسعى إلى الوحدة بحكم ما فيه من ازدواج واثنينية، أو في صيرورة العالم إلى الوحدة ينتهي به الأمر إلى الخير؛ لأنّ الخير ليس أكثر من إضعاف معنى التعدّد في الكائن، وبالتالي في العالم والوجود كلّه ينتهي حتماً إلى الوحدة وفيها خيره أو هي والخير سواء، والوحدة إذاً منشودة للإنسان بطبعه وللأُسرة يتبعها، وللقوم بطبيعته وللعالم بطبعه، ولولا أنّ التعدّد هو طبيعة كلّ أمر من ذلك لما هدف كلّ واحد منها للوحدة. فالتعدّد أمارة ودليل على الوحدة. فالوحدة والخير قمّة الوجود أو مطلوب كلّ كائن فيه، ولأنّها العنصر الباقي فيه كانت أسمى كائناته. إن اتّجه إليها الإنسان يتّجه بطبيعته، وإن ميّزها في الوجود ميّزها لا عن رغبة وهوى، بل عن ضرورة من واقع الوجود نفسه، وليس تقديسه لها سوى الاعتراف بميزتها، وليست عبادته للواحد سوى إيمانه بانفراده بالبقاء. والدين عبادة. إذاً هو من ضروريات الحياة أو الوجود. وأسمى الأديان ما كان معبوده الواحد الباقي، وخير المذاهب والاتّجاهات ما دعا إلى الوحدة».

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٩٧ـ٤٩٨، تتمّة الأعلام ٢: ١٣٣ـ١٣٤، إتمام الأعلام: ٤٠٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٣٤٧ ـ ٣٥٨، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩١٩ ـ ٩٢٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٢٩ ـ ٢٠٣١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٩ـ٩٢).

محمّد بو سليماني

محمّد بو سليماني: داعية مجاهد من أهالي الجزائر.

ولد بالبليدة سنة ١٩٤١م، وتعلّم القرآن الكريم وعلوم العربية، وشارك في الثورة التحريرية الكبرى ولمّا يجاوز السادسة عشرة، وعمل في حقل التعليم، واعتقل، ثمّ أُفرج

عنه ليعود إلى نشاطه في الدعوة، وأسّس «جمعية الإرشاد والإصلاح» سنة ١٩٨٩م، وشارك في تأسيس «رابطة الدعوة الإسلامية» سنة ١٩٩٠م، و«حركة المجتمع الإسلامي» سنة ١٩٩١م.

تمّ اختطافه وقتله سنة ١٩٩٤ م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٦٦، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٥٩).

محمّد بيرم التونسي

محمّد بيرم (الخامس) بن مصطفى بن محمّد بن بيرم (الثالث) من بني بَيْرَم: من علماء تونس ووجهائها، ومن أكثر المسلمين تفانياً في نصرة الإسلام.

ولد في تونس سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م، ويتّصل نسبه ببيرم، أحد قوّاد الجند العثماني الذي جاء تونس بقيادة سنان باشا سنة ٩٨١ هـ.

تفقّه في جامع الزيتونة، ونشأ حرّ الضمير يكره الاستبداد، فسرّه إنشاء مجلس الشورى في الحكومة التونسية على عهد الصادق باشا، وكان من أكبر نصرائه، وتولّى رئاسة المجلس الوزير خير الدين باشا.

وتعيّن بيرم سنة ١٢٨٧ هـ مدرّساً في الجامع المذكور، وبعد سنتين توفّي والده عن ثروة طائلة، وظهرت في أثناء ذلك فتنة عمومية في الإيالة التونسية على إثر انحلال مجلس الشورى، فشقّ ذلك عليه، وتمكّنت علائقه مع خير الدين باشا من ذلك الحين؛ لاتّفاقهما في النقمة على الحكومة.

وفي سنة ١٢٩٠هـ عاد خير الدين باشا إلى الوزارة الكبرى في تونس، فجاهر بيرم بنصرته وصرّح بآرائه السياسية على صفحات الجرائد، وهو أوّل من تجاسر على ذلك هناك. وأُعجب الوزير بنشاطه وتعقّله، فعهد إليه إدارة الأوقاف سنة ١٢٩١ هـ، فأحسن إدارتها ونظمها.

وأُصيب في السنة التالية بانحراف حمله على السفر إلى أوروبّا للاستشفاء، ولقي في باريس المارشال مكماهون فأكرمه، وحضر المعرض العامّ، وشاهد كثيراً من ثمار قرائح

أهل هذا التمدّن. فلمّا عاد إلى تونس أخذ في تنظيم مستشفاها على نحو ما رآه في مستشفيات أوروبّا.

ووقع في أثناء ذلك بين قنصل فرنسا الكونت دوسانسي والحكومة التونسية نزاع على قطعة أرض كانت الحكومة منحته إيّاها لتربية الخيل على شروط أخلّ بها. فأرادت استرجاعها فأبى، وبينما هي تنازعه وتجادله عليها ذهب الوزير ـ وهو يومئذٍ مصطفى بن إسماعيل ـ إلى تلك الأرض ودخلها عنوة في زمرة من أعوانه. فاغتنم القنصل هذا التعدّي لتمكين سيادة دولته في تونس، فرفع أمره إليها، وطلب عزل الوزير، فخاف هذا وأسرع إلى الترضية، فعيّنوا لجنة تحكيم كان بيرم أحد أعضائها. فأخذ جانب الدفاع عن الحكومة بكلّ قواه، وكان نحيف البنية مصاباً بمرض في الأعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم. يستخدم المورفين لتسكين آلامه، فأثّر ذلك في صحّته، واضطرّ أن يشخص إلى باريس للاستشفاء، وأمّا اللجنة فصدر حكمها لمصلحة القنصل.

ونهض التونسيّون على إثر ذلك يطلبون الجنوح من الحكم الاستبدادي إلى الشورى، وسعوا في ذلك سعياً حثيثاً لم يأتِ بنتيجة؛ لأنّ أمير البلاد يومئذٍ لم يعضد مطالبهم. ويقال: إنّ ذلك كان بتحريض فرنسا؛ لأنّها تعتقد أنّ الحكومة الدستورية تخالف مصلحتها هناك. وأمّا بيرم فقد كان في مقدّمة الراغبين في الشورى، وعاتبه الأمير على تعضيده الأهالي في مطالبهم، فأجابه بحرّية لم يعهد مثلها، وبيّن له خطأه.

وتوجّه تلك السنة إلى باريس كالعادة. واغتنم وجوده هناك، فرفع إلى غمبتّا تقريراً مسهباً يشكو فيه سوء تصرّف القنصل ووقوفه في سبيل كلّ مشروع نافع للبلاد. وبلغ خبر ذلك إلى القنصل، فزاد غضباً ونقمةً. واتّفق في أثناء طلب التونسيّين الشورى أنّ الدول كانت مشغولة بخلع إسماعيل باشا خديوي مصر، وكان الصدر الأعظم في الآستانة يومئذٍ خير الدين باشا، ونظراً لما يعلمونه من علائق بيرم بخير الدين استنتج الفرنسيّون أنّ مطالب التونسيّين لم يكن الغرض منها إلّا فتح السبيل لمداخلة الباب العالي، واتّهموا صاحب الترجمة أنّه الواسطة بذلك. ولمّا بلغه الخبر استعفى من منصبه في تونس، وعزم على البقاء

بعيداً عنها. لكنّه عاد إليها بعد إلحاح أصدقائه. وكان قد فهم ـ وهو في باريس ـ رغبة فرنسا في ضمّ تونس إلى أملاكها ضمّاً كلّياً، وأنّها أغرت الوزير مصطفى، فمالأها طمعاً بالترقّي، فذهبت آمال صاحب الترجمة بإنقاذ بلاده، فعزم على الخروج منها، فلم تأذن الحكومة بسفره، فاحتال بطلب الرخصة للحجّ، فأُذن له، فخرج سنة ١٢٩٦هـ وجاء مصر، وسافر منها إلى الحرمين، ثمّ يمّم سوريا فالقسطنطينية، فأحسنت الدولة وفادته. ولكن الوزير التونسي كتب إلى الباب العالي بإرجاع الشيخ بيرم؛ لأنّه لم يقدّم حساباً عن إدارة الأوقاف التي كانت في عهدته، فنصره خير الدين ولم يسلمه. ولما تمّ لفرنسا ضمّ تونس إلى أملاكها سنة ١٢٩٨هـ عزلت الوزير مصطفى وعاملته معاملة الخائن.

واشتغل الشيخ محمّد بيرم في أثناء إقامته في الآستانة بالكتابة والتحرير، وراعى صحّته فتحسّنت كثيراً وقلّ استعماله للمورفين. وكانت وجهته النظر في ما آل إليه حال البلاد الإسلامية من طمع الأجانب، ووصف الأدوية لملافاة ذلك، ولم يجد الكلام نفعاً.

ولمّا تحقّق رسوخ قدم فرنسا بتونس يئس من العودة إليها، فأراد أن يكون قريباً من أهله، فانتقل إلى مصر بعد الحوادث العرابية سنة ١٨٨٤م، وقد باع أملاكه في تونس ونقل عائلته منها. وأنشأ في مصر جريدة سياسية اسمها «الأعلام» تصدر ثلاث مرّات في الأُسبوع، ثمّ صارت أُسبوعية، وكانت خطّتها محاسنة الإنجليز والاستفادة منهم، فانتقد بعضهم عليه هذه الخطّة؛ لأنّها تخالف ما كان عليه في تونس، وأنّه إنّما هجرها فراراً من الحكم الأجنبي، فكيف يكلّف المصريّين عكس ذلك؟ ولكن الذين يرون رأيه كانوا يعتذرون بأنّه إنّما حثّ على محاسنة الإنجليز والاستفادة منهم؛ لأنّ معاكستهم ـ وأمر البلاد في أيديهم ـ لا يجدي نفعاً، وأنّ مجافاة الفرنسيّين أوجدت أسباباً ساعدتهم على ضمّ تونس إلى بلادهم. وقد ألجأه إلى انتهاج هذا المسلك أيضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي في تونس، وما آنسه من العوامل المحرّكة في مصر بإغراء بعض الأجانب الذين يغرون صدور الناس على حكّامهم ممّا يعود بالضرر.

واضطرّ بعد إقامته سنتين بمصر أن يعود إلى أوروبّا، فتمّم سياحاته فيها. وعاد إلى

مصر، فعيّنته الحكومة سنة ١٨٨٩م قاضياً في محكمة مصر الابتدائية. وكثيراً ما كلّفته الوزارة كتابة ملاحظاته على القضاء الشرعي؛ لأنّه كان واسع الاطّلاع فيه. وما زال عاملاً مجتهداً رغم ما يعتوره من المرض حتّى توفّي سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م.

وقد خلّف آثاراً كتابية، أكبرها كتاب «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار»، طبع بمصر في خمسة أجزاء، وهو عبارة عن رحلة عامّة في أوروبّا ومصر والشام والحجاز وغيرها، وذكر فيها كثيراً من الحقائق التاريخية والاجتماعية عن بلاد العرب وتونس والجزائر لا تجدها في كتاب آخر، وأكثرها شاهده بنفسه أو كان داخلاً فيه ولا سيّما تاريخ تونس والجزائر.

وله ما خلا ذلك: رسالة «تحفة الخواصّ في حلّ صيد بندق الرصاص»، «مختصر في فنّ العروض»، رسالة في «التحقيق في شأن الرقيق»، بحث فيها عن كيفية معاملة الرقّ عند المسيحية، وأنّ منع الحكومات الإسلامية لتجارة الرقيق شرعي، كتاب «تجريد الأسنان للردّ على الخطيب رينان»، ردّ فيه على ما كتبه رينان في الإسلام والعلم، رسالة في جواز ابتياع أوراق الديون التي تصدرها الممالك الإسلامية، حتّى تبقى أموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها اشتباه الربا، وهو لا ينطبق في هذه الحالة عليها. وألّف كتاباً مسهباً في شأن التعليم بمصر، ذهب فيه إلى وجوب انتشاره باللغة العربية؛ لسهولة تناوله وتعميمه بين طبقات الناس.

يقول الأُستاذ يوسف المرعشلي: «وله كتابات أُخرى لم نقف على أسمائها، ويؤخذ من مجملها أنّ صاحب الترجمة كان من محبّي الإصلاح وتقريب المسلمين إلى عوامل التمدّن الحديث وإزالة ما قد يعترضهم من أشباه الموانع الدينية، على نحو ما كان يفعله الشيخ محمّد عبده».

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١: ٦١٣ ـ ٦١٤، اكتفاء القنوع: ٤١٤، الأعلام للزركلي ٧: ١٠١، الأعلام الشرقية ٢: ٤٩٩، معجم المؤلّفين ١٢: ٣٥ ـ ٣٦، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٥٩٠ ـ ٥٩١، نثر الجواهر والدرر ٢: ١١٠٠ ـ ١١٠٢، موسوعة الأعلام ٢: ٤٥).

محمّد تقي الجعفري

محمّد تقي بن كريم الجعفري: من فلاسفة إيران المشهورين في العصر الحاضر، وداعية وحدة.

ولد الشيخ الجعفري عام ١٣٤٥ هـ بمدينة تبريز في إيران، وأكمل دراسته الابتدائية في مدينة تبريز، وبعد الانتهاء من دراسته التمهيدية سافر إلى العاصمة طهران لإكمال دراسته، ثمّ ذهب إلى مدينة قم المقدّسة، وبقي فيها حوالي سنة، وفي نهاية عام ١٣٦٤ هـ سافر إلى مدينة النجف الأشرف لمواصلة دراسته، وبقي فيها لمدّة اثنتي عشرة سنة، ثمّ سافر إلى قم المقدّسة عام ١٣٧٨ هـ، ثمّ إلى مدينة مشهد المقدّسة، وبعدها عاد إلى العاصمة طهران، وبقي فيها يواصل البحث والتحقيق والتأليف في الفلسفة والعرفان والفقه حتّى آخر حياته.

من أساتذته: السيّد حسين الطباطبائي البروجردي، والسيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني، و السيّد محمود الحسيني الشاهرودي، والسيّد محسن الطباطبائي الحكيم، والشيخ محمّد كاظم الشيرازي، والسيّد عبد الأعلى السبزواري، والسيّد جمال الدين الكلبايكاني، والسيّد عبد الهادي الشيرازي، والشيخ محمّد رضا التنكابني، والشيخ مرتضى الطالقاني، والسيّد أبو القاسم الخوئي، والشيخ مهدي الأشتياني، والسيّد محمّد الروحاني.

ومن مؤلّفاته باللغة الفارسية: شناخت إنسان در تصعيد حيات تكاملي، موسيقي از ديدكاه فلسفي ورواني، طرّاحي براي انقلاب فرهنكي، زيبايي وهنر أز ديدكاه إسلام، ترجمة وتفسير نهج البلاغة، علم ودين در حيات معقول، تعبّد وتعقّل در فقه إسلامي، تفسير ونقد وتحليل مثنوي، ترجمة كامل نهج البلاغة، ارتباط إنسان ـ جهان، فلسفة وهدف زندكي، إنسان در أُفق قرآن، مجموعة مقالات، آفرينش وإنسان، جبر واختيار، رسائل فقهي، فلسفة دين.

ومن مؤلّفاته باللغة العربية: نهاية الإدراك الواقعي بين الفلسفة القديمة والحديثة، الأمر بين الأمرين، الرضاع.

توفّي الشيخ الجعفري في السادس والعشرين من شهر رجب سنة ١٤١٩ هـ بإحدى

مستشفيات لندن، ودفن بجوار مرقد الإمام الرضا عليه السلام في مشهد المقدّسة.

يقول الشيخ الجعفري في مقابلة أجرتها معه الباحثة اليابانية «كورودا» حول موضوع الوحدة الإسلامية: «المنشأ الحقيقي لوحدة الأُمّة الإسلامية هو الدين الإسلامي، وهو يتّخذ جذوره من الفطرة الإنسانية السليمة، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أودعها في صلب المجتمعات البشرية. وما حصل من بعض التغيّرات في دين الفطرة على مدى التاريخ هو ما يرتبط به إشعاعات الأحكام الجزئية النابعة من تنوّع المواقع في الحياة الإنسانية في مختلف المجتمعات. أمّا الأُصول والمبادئ الكلّية فتعتبر النصّ الديني الإلهي موحّداً على مدى التاريخ، لذلك نعتقد أنّ مبدأ وحدة الأُمّة الإسلامية يستند إلى الدين الذي جاء به جميع الأنبياء إلى البشرية، والنصّ الكامل لهذا الدين جاء به إبراهيم الخليل عليه السلام من بعد نوح والأنبياء الأقدمين، واليهودية والمسيحية تنسب نفسها إلى ذلك الدين. فأركان هذا الدين الفطري وأجزاؤه التي لا بدّ للأُمّة الإسلامية من معرفتها يمكن التوصّل إليها بطريقين:

ألف: القرآن الكريم الذي يشتمل على:

١ ـ إثبات التوحيد الخالص «الاعتقاد بوحدانية الله، وعدم وجود شريك له بشكل مطلق، والاعتقاد بالصفات الكمالية، وسلب صفات النقص والتبعية عنه».

٢ ـ المعاد والخلود الذين بدونهما لا يمكن أن نرى مبرّراً مقنعاً للحياة الإنسانية في عالم الدنيا.

٣ ـ احتياج الإنسان للأنبياء لمعرفة حقائق فوق الأحاسيس والعقل للوصول إلى الكمال الواقعي «هدفه في الحياة الدنيا»، وهذا الاحتياج لا يرتفع إلّا بواسطة الأنبياء والأوصياء الذين حملوا على عاتقهم واجب التبليغ والهداية.

٤ ـ العبادات والتكاليف الضرورية الموجبة للارتباط بالمقام الربوبي، كالصلاة والحجّ.

٥ ـ فعل الخير، وأهمّه السعي لقضاء حاجات الناس المادّية والمعنوية المعقولة.

ب: فهذه الأُصول والأركان والأجزاء «دين الفطرة» قام الدليل عليها من خلال العقل

السليم، وفي الكتب الفلسفية والكلامية جاءت الدراسات عنها بشكل تفصيلي. فإنّ هذه الأُصول والأركان والأجزاء في منظومة وحدوية عالية لإيصال القدرات الإنسانية إلى الفعلية، وما هي إلّا الدين الفطري الذي أوحاه الله إلى نبيّه إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (سورة الحجّ: ٧٨). وهناك آيات أُخرى في القرآن الكريم تدلّ على أنّ دين إبراهيم هو الدين الفطري الذي نزل على جميع الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَشَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (سورة الشورى: ١٣). والأمر القطعي هو أنّ الفطرة الإنسانية في منطقة «هكذا يكون» حقيقة لا غبار عليها، فهي كذلك في منطقة «هكذا ينبغي أن يكون» الواصلة إلى الشخصية المثالية «النفس المطمئنة»، حقيقة لا غبار عليها أيضاً. فإنّ تجزئة الفطرة الشخصانية وانهدامها دليل على عدم القدرة للعبور عن ساحة القوانين الجبرية والمادّية غير الواعية في مجرى التجزئة والتركيب، وكلّما تعالت وارتفعت الشخصية اقتربت إلى الوحدة المتعالية.

الانتباه الدقيق والجادّ إلى اتّحاد الحقائق الإنسانية المتعالية التي جسّدت في شخصية إبراهيم عليه السلام عملاً بعللها وأسبابها استوجب اتّصافه بالصفات الإنسانية المتعالية، وقد نسبها الله سبحانه إلى خليله إبراهيم عليه السلام في قرآنه المجيد، فهذا الاتّصاف بهذه الصفات دليل قاطع على أنّ إبراهيم عليه السلام لاعتقاده بالأُصول والحقائق المتعالية في الدين والعمل بجميع التكاليف الدينية المكلّف بها أصبح مستحقّاً للإمامة الإلهية العامّة، ودينه أصبح النصّ الأساسي لجميع الأديان السماوية، ولأنّ الإمامة هي أعلى الكمال لذا أبرزت وحدة الشخصية في أعلى انسجام للصفات الفاضلة.

نظراً للجذور الأصلية للأُمّة الإسلامية والنصّ المشترك الذي ليس فقط هو عامل وحدة جميع المذاهب والفرق الإسلامية، بل لا بدّ وأن يكون عامل التنسيق بين جميع الأديان التوحيدية الإبراهيمية، فالاختلاف غير مسموح له أن يخلّ بالعيش المشترك

المعقول بين أبناء الديانات التوحيدية ؛ لأنّ النصّ المشترك بإمكانه أن يؤمّن الحياة الإسلامية المعقولة . إضافة إلى الآيات الواردة في القرآن الكريم الداعية إلى اتّباع الديانة الإبراهيمية ، هناك آيات تبيّن الأرضية المشتركة لجميع أصحاب الديانات المحقّة : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٦٤). والملحوظ أنّ مع كلّ ما ورد من نصوص مشتركة وجذور مشتركة بين الأديان التوحيدية هو أنّ الاختلاف برز إلى منصّة الظهور . لا شكّ أنّ الاختلافات النظرية في الأُمّة ظاهرة طبيعية ، كما أنّ الاختلاف النظري فيما بين النخب الفكرية من الظواهر البديهية في طريق المعرفة المتكاملة . فإنكاره والترديد فيه إمّا ناتج من عدم الاطّلاع أو عدم القدرة على المواجهة الفكرية للمسائل النظرية ، فهو ظاهرة متفشّية ، بحيث من غير الممكن أن تجد اثنين من العلماء في مادّة من العلوم يتّفقان في جميع التعاريف ومواد الاستدلال والطرق . مع هذا هناك من الأُصول الكلّية ما هو متّفق عليه لدى العلماء في المباحث النظرية ، سواء في العلوم أو الفلسفة أو الأخلاقيات أو الحقوق والاقتصاد أو السياسة والفنّ والأدب و...

لو كان اختلاف الرأي في تفسير وتطبيق تلك الأُصول الكلّية بعيداً عن الأغراض الشخصية والحيل المصطنعة لما توجّه أيّ ضرر إلى اتّفاق الآراء على الأُصول الكلّية المشتركة ، بل يوجب الدقّة وكثرة التوسّع في المعارف المتعلّقة والاستفادة أكثر من هذه الأُصول الكلّية . فالتاريخ الإسلامي شاهد على كثير من اختلاف الآراء والنظريات ، ومادام هذا الاختلاف لم يخلّ بالأُصول الكلّية المشتركة فهو متداول ولا ضير فيه ، بل يعتبر أمراً ضرورياً لا مناص منه ، وحتّى في الأُصول الكلّية المشتركة ، كالتوحيد والنبوّة والقيادة بعد النبي والمعاد وصفات الله والقرآن أيضاً ، توجد دراسات نظرية متفاوتة ، ولم تكن في الغالب موجبة لتكفير العلماء بعضهم للبعض الآخر ، بل كانت عنصر اتّساع وتعميق للمعارف الحكمية والكلامية . أمّا الاختلاف في الفروع المتّفق عليها ، كالصلاة والصوم والحجّ

والجهاد والأبواب الاقتصادية والجزائية الأُخرى «الحدود والديات» وغيرها الكثير، فهو أمر بديهي وفي غنى عن الذكر.

على كلّ حال، بإمكاننا تقسيم الاختلاف إلى نوعين:

ألف: الاختلاف المعقول، فهو ناتج عن نوعية المعلومات والقدرات، خصوصاً النبوغ وكافّة المواقف الطبيعية القانونية التي يتّخذها الأفراد اتّجاه الحقائق.. على سبيل المثال: اختلاف الرأي في فهم واقع عالم الوجود وفقاً لرؤية عملية وفلسفية. فهذا هو الاختلاف المعقول، فهو ليس فقط غير قابل للإنكار والترديد فيه، بل يوجب اتّساعاً وتعميقاً أكثر في المعارف البشرية. فالحديث المعروف القائل: «اختلاف أُمّتي رحمة» يشير إلى هذا النوع من الاختلاف وفقاً لهذه الرؤية. فإنّ الأكثرية الساحقة الغالبة من علماء الإسلام لهم آراء مختلفة في العلوم العديدة كالفقه والأُصول وفهم الحديث والفلسفة والكلام والأدب وغيرها، ولم يتّهم أحدهم الآخر بالخروج عن الإسلام. لو راجعنا التاريخ الإسلامي سوف نجد أنّ كثيراً من العلماء درسوا على علماء يخالفونهم في الرأي، وقد شرح بعضهم كتب البعض الآخر.. مثلاً: كتاب «تجريد الاعتقاد» تأليف خواجه نصير الدين الطوسي أحد كبار علماء الشيعة شرحه ملّا علي القوشجي من علماء السنّة، وكتاب «المحجّة البيضاء» لملّا محسن فيض من مشاهير علماء الشيعة جاء في شرح ودراسة كتاب «إحياء العلوم» للغزالي من مشاهير علماء السنّة. وأنا أيضاً قمت بشرح أفكار جلال الدين محمّد مولوي لسنين متمادية.

ب: الاختلاف اللامعقول، وهو عبارة عن: اختلاف ناتج عن عناصر انحرافية وغير قانونية كاتّباع الهوى، ومن أبرز تجلّياتها الأنانية والتظاهر وطلب الشهرة.. على مدى التاريخ هناك أفراد أرادوا الشهرة لأنفسهم ورفعوا شعار حرّية الفكر والإرادة والبيان، لكنّهم في الحقيقة تحرّكوا حبّاً للقدرة، الحبّ الذي يكشف منتهى ضعف الإنسان، كما نلاحظ في صانعي ومروّجي المذاهب الكاذبة أنّهم استخدموا عناصر الاقتدار الكاذب في التاريخ لزرع الاختلاف في اعتقادات المجتمع، فهذا التيّار ليس فقط يقوم بتشتيت الأفكار

والاعتقادات والأفكار الموحّدة للمجتمع، بل ربّما يصبح سبباً لأشدّ الخصومات والنزاعات في أوساط أبناء مجتمع أو مجتمعات عديدة لديها عناصر مشتركة كثيرة في عمق أفكارهم وعقائدهم؛ لأنّ الاعتقادات والتطلّعات تفسّر هدف الحياة الإنسانية وفلسفتها. فاللعب بها بواسطة بثّ الفرقة اللامعقولة بين الناس للوصول إلى الاقتدار يعتبر أبشع طريق لا إنساني لدى طلّاب السلطة. فعليه يمكن القول بصراحة: إنّ الاختلاف في مسيرة التنافس البنّاء أفضل عنصر لتطوّر المعرفة، والعمل بدونه سوف لا تكون له حركة تكاملية في حقلي الحقيقتين المذكورتين «المعرفة والعمل»، ولا توجد في الإسلام أوامر تدعو المسلمين إلى النشاط الدماغي الموحّد والوصول إلى نتيجة واحدة من جهة أُخرى، فالإسلام يشدّد على الدراسة والجهد والاجتهاد الدائمي والمستمرّ. وهذا الشقّ الثاني لا يتحقّق إذا لم يبرز الاختلاف، فلذا أنّ اختلاف الآراء يعتبر ظاهرة طبيعية معلولة لحيوية المعارف الإسلامية، لكن هذا الاختلاف لا بدّ وأن يقع في طريق التنافس البنّاء وليس في النزاعات الهدّامة، وربّما يستغلّ هذا التنافس الإيجابي من قبل أصحاب السلطة بتحويله إلى نزاعات توجب الركود والسقوط المدمّر بدلاً من السير نحو التطوّر والكمال.

أمّا الخلافات اللامعقولة القائمة لتسلّم السلطة واستخدام القوّة فهي سطحية وزائلة وغالبيتها تكرارية، كالكتب المؤلّفة لإيجاد الاختلاف بين السنّة والشيعة في عالمنا المعاصر، وغالباً هذه الكتب توجب السخرية والأسف عند النخب والعلماء الإسلاميّين، وتأثيرها على البسطاء مقطعي ومنسي وزائل. ومن جهة أُخرى كلّما أشعلوا نار فتنة الاختلاف في مكان ما حرقت نارهم أغصاناً فتية في حدائق الخالق، لكنّها أضاءت نوراً للعلماء ليكتشفوا الزوايا الخفية والأبعاد الأُخرى للمعارف الإسلامية تحت أضواء ذلك النور، وتفضح نيّات المفرّقين بشكل أوضح. كلّما وجدت قضية واقعية وصحيحة وكلما هاجمها المغرضون ترتفع قدراتها التدافعية ويتوسّع سطحها وأبعادها وتتّضح أكثر فأكثر، وهذا الأمر على عكس ما يهدف إليه المغرضون».

(انظر ترجمته في: المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤١٤).

محمّد تقي الحكيم

عالم متميّز، ورائد من روّاد التقريب.

ولد السيّد محمّد تقي بن محمّد سعيد الطباطبائي الحكيم في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٢١ م، ونشأ نشأة علمية بتوجيه من والده وأعلام أُسرته، فحضر دروس المقدّمات والسطوح عند بعض الأجلّاء، كأخيه السيّد محمّد حسين الحكيم، والشيخ نور الدين الجزائري، والسيّد يوسف الحكيم، والشيخ محمّد رضا المظفّر، والسيّد حسن الحكيم. ومن بعد ذلك حضر دروس البحث الخارج على يد السيّد محسن الحكيم، والسيّد الخوئي، والشيخ حسين الحلّي، والسيّد محمّد حسن البجنوردي.

درّس البحث الخارج فقهاً وأُصولاً سنوات عديدة في النجف الأشرف، وكذلك علم أُصول الفقه المقارن والقواعد الفقهية.

أسّس مع عدد من الأعلام جمعية منتدى النشر والمجمع الثقافي لمنتدى النشر وكلّية الفقه في النجف، ودرّس فيها فقه اللغة والتاريخ الإسلامي وعلم الاجتماع وعلم النفس وغير ذلك، وانتخب عميداً لكلّية الفقه سنة ١٩٦٥ م، ودرّس أُصول الفقه المقارن بمعهد الدراسات الإسلامية العليا بجامعة بغداد، ومنحته جامعة بغداد درجة الدكتوراه الفخرية بدون امتحان بقرار من مجلس الجامعة عام ١٩٦٤ م.

انتخب عضواً في عدّة جهات علمية، كالمجمع العلمي العراقي، ومجامع اللغة العربية في مصر وسوريا والأردن، ومجمع الحضارة الإسلامية الأردني، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية في البلاد العربية وغيرها.

من مؤلّفاته: القواعد العامّة في الفقه المقارن، مالك الأشتر، الأُصول العامّة للفقه المقارن، فكرة التقريب بين المذاهب، التشيّع في ندوات القاهرة، من تجارب الأُصوليّين في المجالات اللغوية، عبدالله بن عبّاس، مشكلة الأدب النجفي، تعليقة على كفاية الأُصول، تعليقة على مستمسك العروة الوثقى.

توفّي سنة ١٤٢٣ هـ، ودفن في النجف الأشرف.

وللسيّد الحكيم توجّهات تقريبية واضحة المعالم، تبرز من خلال نشاطاته في مجال التدريس مثلاً، حيث درّس القواعد الفقهية المقارنة وعلم أُصول الفقه المقارن سنوات عديدة، وكذلك في مجال التأليف، حيث ألّف عدّة كتب تقريبية، كالأُصول العامّة للفقه المقارن، والقواعد العامّة في الفقه المقارن، وفكرة التقريب بين المذاهب، وكذلك في مجال المشاركة الفاعلة في عدّة ندوات ومؤتمرات إسلامية في الباكستان والعراق ومصر وسوريا والجزائر. وكان يدعو دائماً إلى إقرار الأُخوّة والودّ بين أبناء المذاهب الإسلامية وإلغاء التعصّب المؤدّي إلى التفرقة والتشرذم.

ولمنهج السيّد الحكيم في باب المقارنة المذهبية خصائص معيّنة، منها: استقراء النصوص وتتبّع أدلّتها عند جميع الأطراف والتماس كيفية دلالتها عندهم، وتقويم هذه الأدلّة وإقرار ما كان ملزماً بالحجّية، والتزام الموضوعية ـ وذلك بمعنى: تجرّد الباحث من الرواسب والقناعات السابقة واتّباع ما يقود إليه البحث العلمي من نتائج ـ في عرض الرأي أو في بيان الأدلّة عليه وكذلك في مناقشته، واعتماد المصادر الأصلية عند أصحاب كلّ اتّجاه أو مذهب فقهي لا المصادر الثانوية أو الحاكية. ومن ثمّ يمكن ترتّب الثمرات التالية للمنهج المذكور: تقديم الطريقة المثلى لمن يتصدّى لمهمّة التقريب، وذلك عن طريق معالجة الأُصول والمباني بأُسلوب علمي رصين ممّا من شأنه تفهّم المباني وتقريب وجهات النظر، ووضع الأُسس السليمة للاحتجاج والمناقشة الموضوعية ممّا يبعد الأُسلوب الجدلي المثير، ونقل الدراسة الفقهية من مرحلة الدراسة المبسترة وإطار علم الخلاف إلى محلّ الدراسة الفقهية المقارنة وفق المنهج العلمي الحديث، والكشف عن أُصالة الكثير من آراء مختلف المدارس الفقهية ومدى قيمتها العلمية والعملية وبخاصّة ما يتّصل بالفقه الجعفري، والكشف كذلك عن مساحات الاتّفاق التي هي أكثر من مساحات الاختلاف.

(انظر ترجمته في: الذريعة ١٣: ٥، معجم مؤلّفي الشيعة: ١٤٠، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٥٨، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٢١، رجالات التقريب: ٨٦ ـ ٩٢ و٣٥٧ ـ ٣٦٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٩٢ ـ ٩٤).

محمّد تقي القمّي

القمّي: عالم كبير، ومؤسّس دار التقريب بالقاهرة، ورائد من روّاد الوحدة والتقريب.

ولد الشيخ محمّد تقي بن أحمد القمّي في مدينة قم سنة ١٩١٠ م وسط عائلة متديّنة وعلمية، وتلقّى دروسه الابتدائية في طهران، وحفظ القرآن الكريم، وتعلّم اللغة العربية وآدابها، وكانت آثار النبوغ بادية عليه في مراحل طفولته. وعندما أنهى المرحلة الثانوية التحق بالمدرسة العليا للآداب، وتعلّم خلالها اللغة الفرنسية. وفي نفس الوقت واصل دراسته الدينية من فقه وأُصول وكلام وغير ذلك على يد أساتذة متخصّصين.

سافر إلى لبنان، ثمّ توجّه إلى مصر عام ١٩٣٨ م مريداً طرح فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في أوساط الأزهر، فاتّصل بطائفة كبيرة من العلماء والأُدباء والمثقّفين المصريّين والذين أُعجبوا به أيّما إعجاب.

وفي سنة ١٩٤٧ م تمّ تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة نتيجة الجهود الحثيثة التي بذلها الشيخ القمّي، وعيّن سكرتيراً عامّاً للدار.

وكان من ضمن سجايا الشيخ وأخلاقه: الانفتاح وسعة الأُفق، والصلابة والحزم في المواقف، وبساطة العيش والتعفّف، والاتّزان الفكري، والاستقلالية في العمل.

ولقد لبّى الشيخ نداء ربّه عام ١٩٩٠ م في باريس نتيجة دهسه بسيّارة حمل كبيرة وفي ظروف مريبة، ممّا حدا بعضهم إلى اعتبار الحادثة حادثة عمدية مدبّرة من قبل جهات أجنبية. وقد نقل جثمانه الطاهر إلى طهران، ودفن هناك بمقبرة عائلته وبجنب أبيه.

والحديث عن تقريبيات العلّامة القمّي يطول كثيراً، غير أنّنا نقتصر هنا على إيراد بعض كلماته في هذا المجال، حيث يقول في مقالة له منشورة بمجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية ما نصّه:

«جرى الحديث بيني وبين العلّامة الشهير المغفور له الإمام الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر، وكأنّي أرى الحديث أمامي كما لو كان بالأمس القريب، والحال أنّه قد مرّ عليه زمان لا يقلّ عن عشرة أعوام. كان موضوع الحديث هو المشكل الخطير الذي على

المسلمين أن يعالجوه إذا أرادوا نهضة موحّدة تشمل جميع شعوبهم وبلادهم، وهو توحيد المسلمين ثقافياً. كان الكلام بيننا في أنّ المسلمين لا يعرف بعضهم البعض، وأنّ الصلة منقطعة بينهم، ولا بدّ من تقرّبهم ثقافياً؛ ليعرف كلّ ما عند الآخر، وبذلك يحصل التوحيد المنشود، وترتفع المنازعات والخلافات في كلّ المسائل أو في أكثرها، أو تقف على الأقلّ عند حدودها الحقيقية ... لسنا في هذا المقام بصدد بيان ما دار في هذه الجلسة أو في جلستنا الممتعة التي كنت اجتمع فيها بفضيلة الإمام المراغي، ولسنا أيضاً بصدد بيان ما وصلنا إليه في نفس تلك الجلسة من إقرار تدريس بعض اللغات الإسلامية كوسيلة للتفاهم بين البلاد الإسلامية المختلفة. كما أنّنا لسنا بصدد أن نقول: هل واصلنا السير إلى الأمام منذ ذلك الوقت أو رجعنا القهقرى ؟ ومهما يكن من شيء فإنّ أمامنا في اللجنة الثقافية لجماعة التقريب مشروعاً يرمي إلى توحيد المسلمين ثقافياً، أو إن شئت فقل: توحيد الثقافة الإسلامية بين المسلمين، فكرة ضخمة ومشروع جليل، ينظر إلى المسلمين كأُمّة واحدة، لغاتها محترمة عند الجميع، آدابها للجميع، رجالها للمسلمين عامّة. ليس أحد ينكر على المسلمين أن يعرف الأدب الغربي، لكن عليه في الوقت نفسه أن يعرف شيئاً عن أدب رجال نشأوا في الإسلام، ونبغوا في البلاد الإسلامية، لا مانع يمنع المسلمين أن يعرف اللغة الغربية، ولكن ممّا ينكر عليه ألّا يعطي قسطاً من اهتمامه للّغات الإسلامية، ولعلّ منها ما يتكلّم به أكثر من مائة مليون من المسلمين، فتكون لغة التخاطب بين كثير من المسلمين بعضهم وبعض إحدى اللغات الغربية؛ لأنّ كلا الطرفين المسلمين لا يعرف من لغة الآخر شيئاً. ليس بمنكر على المسلم، بل المستحسن أن يعرف كثيراً عن القارّة الأُوروبّية أو الأمريكية أو غيرهما، غير أنّه بوصفه مسلماً عليه أن يعرف أكثر ممّا يعرفه الآن عن البلاد الإسلامية وأقطارها. إنّ توحيد المسلمين ثقافياً لا ينافي أن تعمل كلّ طائفة من الطوائف الإسلامية بما ثبت عندها واعتقدته ما دام هذا لا يمسّ العقائد الأساسية التي يجب الإيمان بها، ولكن من الواجب أن تعرف كلّ طائفة من المسلمين حقيقة عقائد الآخرين، لعلّها تجد فيها ما تستفيد منه أو على الأقلّ إذا أراد أحد باحثيها أن يكتب عنهم شيئاً أو ينقل بعض

فتاواهم فلا يكتب: (وأمّا ما سمعنا عنهم أنّهم يقولون كذا وكذا أو أنّه يقول عنهم كذا وكذا). ولعمري إنّ هذا لسبّة في جبين العلم أن لا يتعب رجاله أنفسهم بالبحث عن كتاب يجدون فيه كلّ ما يبحثون عنه، من غير أن يسندوا أقوالهم إلى السماع، وكثيراً ما يجيء هذا القول المسموع من ذوي الأغراض الخبيثة، وممّا هو واضح أنّه ليس معنى توحيد الثقافة توحيد اللغة، وليس هذا أمراً ممكناً، ولعلّه لا يفكّر في هذا ولا يفوه به إلّا من يرد أن يبعث التعصّب للّغات أيضاً، أو يريد أن يستعمر الآخرين. ولكن المهمّ هنا أن يفهم بعضنا بعضاً، وهذا ممكن جدّاً إذا وجد في البلاد العربية مثلاً رجال يعرفون لغات الآخرين، وعند الآخرين من يعرف اللغة العربية ويتحدّث بها، وهذا ما كان في العصر الذهبي للإسلام، شعوب لم يصطبغوا بالصبغة العربية، واحتفظوا بلغتهم القومية، إلّا أنّ رجالاً منهم ـ وهم علماؤهم عامّة ـ كتبوا ودوّنوا العلوم العربية، وخدموا اللغة العربية نفسها أيّة خدمة، من دون أيّ تعصّب أو أقلّ تحيّز. ألا وإنّ الترجمة ممّا لا بدّ أن يهتمّ بها، وكثيراً ما تترجم آثار من الغربيّين بأنواعها فنجد فيها ما يفيد ولا ننكره، ونجد فيها ما يفسد الأخلاق وينشر الخلاعة حيناً، والإلحاد والمادّية حيناً آخر. ولا يشكّ مسلم من خطر هذا النوع على الدين والآداب الإسلامية فنتجنّبه. ومادام عندنا هذا الاستعداد للترجمة، وليس لدينا مانع من أن نعطي لفكرة نشأت في بيئة مغايرة لبيئتنا وصيغت في جوّ تقاليدنا الدينية والقومية صورة مناسبة أو أقلّ بعداً، نقول: مادام عندنا هذا الاستعداد أليس من الخير أن نوجّه إلى الصحيح من الأدب الغربي وأفكار أهله، وإلى الآثار الإسلامية بما في ذلك ترجمة الكتب والدواوين والحكم والقصص وأخبار التاريخ السائرة بين الشعوب الإسلامية، وإنّ منها لكتباً لو كان أحدها هو الكتاب الوحيد في لغته ولم يكن سبيل لترجمته إلّا بتعلّم اللغة لكان على الإنسان أن يتعلّم تلك اللغة ليعرف هذا أو ذاك الكتاب ويلتذّ بما فيه. إنّ في البلاد الإسلامية معادن وكنوزاً، وإنّ للمسلمين رجالاً نابغين وعلماء أكفّاء عاملين، وآباء قديرين، فهل يعرفهم العالم الإسلامي؟ وهل يعرف عنهم عشر ما يعرف عن بعض علماء المادّة وكتّاب السوء؟! وهل سمع عن آثارهم؟ وهل عرف أنّ منهم مؤلّفين خلّفوا مجلّدات من الكتب، يعدّ كل واحد منها

مرجعاً من المراجع قائماً بذاته لفكرة ناضجة عند المسلمين ؟ إنّ للمسلمين جامعات علمية كبرى في مختلف البلدان، وإنّ فيها لما يجتمع به أكثر من ألفين من طلّاب العلوم الدينية، وإنّ النظام الدراسي فيها نظام حرّ، فهل عرفت الأغلبية بين المسلمين عنهم شيئاً ؟! لو أنّ التعارف بين المسلمين تمّ على أساس توحيد الثقافة، بما في ذلك التبادل الثقافي، وتأليف كتب عن كلّ طائفة لإعطاء صورة صحيحة عنها، وتعليم اللغات الإسلامية في جامعاتهم، وترجمة آثارهم ورجالهم، لعرف المسلمون أنفسهم وعلموا قوّتهم، وأنّهم مسلمون قبل كلّ شيء، مسلمون في كتابتهم وتآليفهم، مسلمون في قصصهم وأشعارهم، وأنّهم أُمناء فيما يكتبون».

هذا، وإذا كانت المذاهب الإسلامية نشأت في ظلّ الاجتهاد وتأسّست في ضوء القرآن والسنّة فلا دعوة لدمجها؛ إذ في التعدّد المذهبي ثراء معرفي وتراثي للحضارة الإسلامية.. لذلك ينعى الشيخ القمّي على الذين يفهمون غير ذلك: «... ممّن لا يعرف مهمّة التقريب على حقيقتها، ولم يدرس برامجها، بل غاب عنه مدلول الاسم فحسب، إنّ التقريب توحيد... ليست جماعة التقريب تريد القضاء على كلّ خلاف، ولا تفكّر في ذلك، ولا تبتغي أن يتشيّع السنّي، أو يتسنّن الشيعي... إنّ التقريب لأسمى من هذا وأجلّ شأناً، إنّه -على العكس ممّا يتخيّلون أو يريدون أن يخيّلوا للناس - ينادي بوجوب أن تبقى المذاهب وأن يحتفظ المسلمون بها، فهي ثروة علمية وفكرية وفقهية لا مصلحة في إهمالها ولا في إدماجها».

ولا شكّ أنّ التقريب بين المسلمين لا يتأسّس أو يتماسك إلّا على أساس العلم، فإصلاح العلاقات بين المذاهب الإسلامية لا يتحقّق إلّا بإصلاح المعرفة بين هذه المذاهب، والمعرفة لا تعني بالضرورة الاتّفاق معها، وإنّما الاتّفاق والاختلاف الشرط فيهما أن يكون على أساس العلم أوّلاً. فالمعرفة العلمية بين المذاهب الإسلامية بإمكانها أن تساهم في التقريب حتّى على قاعدة الاختلاف، كما يقوله القمّي، وقد تنبّه الشيخ القمّي إلى هذا الأمر «المعرفة العلمية بين المسلمين»، بل اعتبر هذه القضية هي ما جاء التقريب من أجله،

يقول: «لقد جاء التقريب على أساس فكرة التعارف العلمي، وأوجد مركزاً لمن يريد أن يعرف كثيراً أو قليلاً عن المذاهب الإسلامية... إنّ من غايات التقريب أن يعرف المسلمون بعضهم بعضاً. وإنّ أوّل من يجب عليهم التعارف هم العلماء وأهل الفكر في كلّ طائفة، والعلم لا يصادر ولا يكتم، فلا بأس على الشيعة أن يعلّموا علم السنّة، وهم يدرسونه فعلاً، وكثير من مجتهديهم يتوسّع في درسه ويتعمّق في بحثه، ولا بأس على أهل الأزهر أن يعلّموا علم الشيعة، بل ذلك واجبهم الذي يدعوا إليه الإخلاص العلمي، ولا يكون النظر تامّاً إلّا به...».

وعلى الرغم ممّا قد يتصوّره البعض من «نخبوية فكرة التقريب» واقتصارها على العلماء فقط، فإنّ الشيخ القمي ينفي ذلك، بل يرى «أنّ فكرة التقريب ليست فكرة جماعة بذاتها مركزها دار التقريب، وإنّما هي فكرة كلّ مناصر لها في أيّ بلد من البلاد، وإنّ أيّة دار تلقى فيها محاضرة أو يجتمع فيها مؤتمر أو غير ذلك لتعريف المسلمين بعضهم إلى البعض لهي دار التقريب».

ويضع القرآن الكريم قضية التعارف بين البشر في مكانها الإنساني الهامّ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّـهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣). فالمعرفة بين البشر تساهم في كلّ الكثير من المشكلات التي تنشأ بسبب الجهل.. يقول القمّي: «فكثيراً من الخلافات تحلّ في ظل التعارف: إمّا لأنّها نشأت ـ أي: الخلافات ـ عن اعتقاد الطائفتين خطأً أنّ الأُخرى تعتقد أُموراً يتّضح بعد التعارف خطأ نسبتها إليها، أو لأنّها جاءت نتيجة دليل معقول أو أصل مقبول فتقبلها الأُولى، أو لأنّها تستند إلى أساس وأدلّة أن لم يكن مقبولة عند الأُولى فقد ثبت عندها اعتبارها، وعندئذٍ تلتمس عذراً لمن يعمل بها...».

إنّ هذا «المنحى العلمي» الذي تنبّه إليه الشيخ القمّي من شأنه أن يضع كلّ قضايا الخلاف موضع الطرح والبحث العلمي، كما يوفّر للمسلمين التفكير الحرّ الذي يعتمد على طرح العصبيات والأوهام التي وضعت على العقل المسلم فترات طويلة. وهو لا يدعو إلى

مناقشة القضايا الخلافية بصورة علمية أكثر ممّا يدعو العقل المسلم إلى التحرّر من أغلال التقليد والجهل اللذين تلازمانه منذ عهود ليست ببعيدة، ويتمنّى له أعداؤه أن يظلّ فيها لعهود أكثر وأكثر.

كما يساهم هذا المنحى العلمي أيضاً إلى توظيف حالة من الحوار الإسلامي ـ الإسلامي الذي يعتبر من القواعد الأساسية لأيّ فكرة أو مشروع نهضوي.

وبعد أن يسرد الشيخ القمّي كيفية بناء قصر الثقافة الإسلامية والذي اشترك في تشييده السنّة والشيعة بل وطوائف المسلمين جميعهم، يشير إلى ذلك «الجهل» الذي أدّى إلى انشطار التراث انشطاراً عنصرياً. ويكشف القمّي عن الدور الجديد الذي يمكن أن تلعبه ثقافتنا في التقريب، يقول: «فلو أنّنا فتحنا صدورنا من جديد، واعتبرنا الثقافة الإسلامية مجموعة يكمل بعضها بعضاً، وتفاهمنا فيما بيننا على هذا الأساس، وأدركنا أنّ هذه الثقافة إسلامية بُنيت على أن تكون للإسلام قبل كلّ شي، وليست ملكاً لفرد ولا لمذهب أو طائفة، كما أنّها ما أُوجدت لتكون عنصرية، لجدّدنا بناء هذا القصر المنيف، ولمحونا عن كلّ طائفة باطل الاتّهامات الموجّهة إليها، ولأخرجنا من بيننا من ليسوا بمسلمين، كأُولئك الأدعياء الذين انتسبوا كذباً إلى الإسلام وهم معاول هدم في البناء الإسلامي.. إنّ ثقافة إسلامية موحّدة ـ إذا التفّ حولها المسلمون ـ كفيلة بتوحيد صفوفهم، ومادامت هذه الثقافة موجودة فإنّه من الميسور بلوغ هذا الهدف الذي نسعى إلى تحقيقه».

ويوضّح العلّامة القمّي بعض الجوانب التي ترتبط بـ«مشروعه الثقافي التقريبي»:

فمنها: أنّ توحيد الثقافة ليس معناه توحيد اللغة، يقول: «ليس هذا أمراً ممكناً.. ولكنّ المهمّ أن يفهم بعضنا بعضاً، وهذا ممكن جدّاً إذا وجد في البلاد العربية مثلاً رجال يعرفون لغات الآخرين وعند الآخرين من يعرف العربية ويتحدّث بها».

ومنها: الترجمة، يقول: «ففي البلدان الإسلامية معادن وكنوز وإنّ للمسلمين رجالاً نابغين، وعلماء أكفّاء عاملين، وأُدباء قديرين، فهل يعرفهم العالم الإسلامي؟ وهل يعرف عنهم عشر ما يعرف عن بعض علماء المادّة وكتّاب السوء؟ وهل سمع عن آثارهم؟ وهل

عرف أنّ منهم مؤلّفين خلّفوا مجلّدات من الكتب، يعدّ كلّ واحد منها مرجعاً من المراجع ودليلاً قائماً بذاته لفكرة ناضجة عند المسلمين ؟!».

إنّ تأكيد القمّي على المشروع الثقافي وإعطاءه الأولوية كمحور رئيسي للتقريب يؤكّد لنا استشفاف حركة المستقبل الإسلامي واحتياجاته عنده، ويتجلّى ذلك في موقفين:

أوّلاً: عدم توجيه الجهود إلى مجال التقريب بين المذاهب الفقهية. يقول: «لأنّه جهاد في غير الميدان الحقيقي الأولى بالجهاد، أو على أحسن الفروض هو جهاد في الميدان الأسهل الذي لا يمثّل المشكلة الحقيقية في الخلافات بين المذاهب الإسلامية وبين السنّة والشيعة على وجه التحديد». أمّا الميدان الصعب الذي أعطاه الشيخ أولوياته فهو «الميدان الثقافي».

ثانياً: ظهور الحاجة لتعلّم لغات الأُمم الإسلامية وبدء عودة نشاط حركة الترجمة. وقد بدأ إشباع هذه الحاجة بإنشاء أقسام لدراسة لغات الأُمم الإسلامية بالجامعات الكبرى المصرية وبعض الجامعات الإقليمية، وتغطّي هذه الأقسام مراحل الليسانس والدراسات العليا والماجستير والدكتوراه، وفي ظلّ نشاط هذه الأقسام بدأت العودة لحركة الترجمة وإن كان مقتصراً على الجوانب الأدبية فقط، كما ازدهرت المؤتمرات والندوات التي تناقش أبحاثها قضايا الدراسات اللغوية والأدبية بين الأُمم الإسلامية. وعلى الرغم من وجود تقدّم في قنوات الاتّصال بين العالم الإسلامي، إلّا أنّه يوصف بأنّه بطيء. فالعالم الإسلامي لا يزال يعاني [من] «تغييب قنوات الاتّصال بين العالم العربي الإسلامي والعالم الإسلامي الفارسي والهندي والتركي والآسيوي بوجه عامّ»، كما يقول القمّي. ولم يكن اهتمام القمّي بـ«المشروع الثقافي الإسلامي» من أجل التقريب فقط، بل كان أيضاً لمواجهة «المشروع الثقافي الغربي» الذي ظهر في حركتين رئيسيتين: الاستشراق، والتغريب.. وعلى الرغم من اختلاف طريقة عمل هاتين الحركتين، إلّا أنّهما اتّفقتا في اختراق الثقافة الإسلامية وإضعاف المسلمين عقائدياً.

(انظر ترجمته في: رجالات التقريب: ١٩٧ ـ ٢١٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٩٤ ـ ٩٧، و١٩٤).

محمّد توفيق الشمّاع

محمّد بن توفيق الشمّاع: قاضٍ، وفقيه، ومصلح.

ولد بدمشق سنة ١٩٢٦م وانتسب إلى معهد العلوم الشرعية، ولازم دروس العلم على كبار الشيوخ، وعلّم في مدارس دمشق، وانتسب إلى دار المعلّمين، فكلّية الحقوق في الجامعة السورية، ولمّا تخرّج أتبعها بسنة تخصُّص في الحقوق الخاصّة «القضاء الشرعي»، ثمّ تولّى القضاء في مختلف المدن السورية، ونقل إلى دمشق فتدرّج في المناصب حتّى صار مستشار محكمة النقض.

انتدب للتدريس في الكلّية الشرعية التابعة لجمعية العلماء، وفي كلّية الشريعة بجامعة دمشق، والمعهد العالي للقضاء الشرعي.

تولّى رئاسة جمعية «الهداية الإسلامية» وجمعية «النهضة الإسلامية»، وكان خبيراً في الأمانة العامّة لمجلس وزراء العدل العرب بالرباط، وممثّلاً لسوريا، وشارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية والفقهية والقانونية.

سافر إلى الإمارات العربية المتّحدة قاضياً في مدينة دبي، وخلال ذلك كان أُستاذاً في المعهد العالي للقضاء هناك، وأُستاذاً في كلّية الدراسات العربية والإسلامية بدبي.

وانتدب خبيراً للأمانة العامّة لدول مجلس التعاون الخليجي بالرياض، وممثّلاً لدولة الإمارات فيها، وشارك في وضع القانون العربي الموحّد للأحوال الشخصية.

من كتبه: المفيد في أحكام الزواج والطلاق والميراث، المذكّرة التوضيحية في شرح قانون الأحوال الشخصية، أحكام الوصية الواجبة.

توفّي في دبي، ودفن بها بعد مرض لازمه مدّة، وذلك في سنة ١٩٩٤م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٤٧، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٣٣).

محمّد جاسم الساعدي

ولد كاتب السطور بتاريخ ٧ / ١١ / ١٩٧١م من أب بغدادي وأُمّ نجفية في الرصافة ببغداد، ونشأ وتلقّى العلوم الأكاديمية في مدينة النجف الأشرف، وكان لوالدته الأثر الكبير

في حياته الدينية والعلمية، وانخرط عام ١٩٩٠ م في صفوف كلّية الهندسة بجامعة الكوفة / قسم الميكانيك / فرع هندسة الطائرات، وكان يقوم في ذلك الحين بتقديم بعض الدروس الخصوصية لطلبة الثانوية في مادّتي الكيمياء والفيزياء، بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية، إلّا أنّ نشوب حرب الخليج الأُولى سنة ١٩٩١ م وحدوث الانتفاضة الشعبانية ضدّ النظام الحاكم آنذاك حال دون إكمال الدراسة الهندسية، فهاجر في تلك السنة بمعية عائلته إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتمّ قبوله بعد حين في كلّية الطبّ بجامعة أربيل التي كانت مدينتها آنذاك تحت الحكم الذاتي للأكراد، غير أنّ فقدان والدته وكونه أكبر أعضاء عائلته منعه من الدخول في تلك الجامعة وقرّر البقاء في إيران لمراعاة أُخوته وأخواته الصغار والقيام بشؤونهم.

وفي عام ١٩٩٣ م التحق بالحوزة العلمية في مدينة قم، ودرس «المقدّمات والسطوح» محرزاً أعلى معدل دراسي على مستوىٰ تلك الحوزة من بين أكثر من ٢٠ ألف طالب ولمدى تسع سنوات متتالية، وحضر بحوث الخارج على بعض المشايخ، كالشيخ محمّد باقر الإيرواني، والشيخ علي المروّجي القزويني، وغيرهما.. وفي عام ٢٠١٠ م حصل على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية (قسم الفقه والأُصول المقارن) من جامعة المصطفىٰ العالمية عن رسالته: «نفي النسب في الفقه الإسلامي وأثر البصمة الوراثية في ذلك».

وقد أُغرم منذ صغره بمطالعة روائع الآداب والعلوم والفكر الإسلامي، فقرأ لـ: طٰه حسين، وعبّاس محمود العقّاد، ومحمّد البهي، ومحمّد عمارة، وتولستوي، وفيكتور هوغو، ودوستوفسكي، وتشيخوف، وجان بول سارتر، وأغاثا كريستي، ومحمّد الحسين كاشف الغطاء، وعبد الرحمان بدوي، وإدغار ألن بو، وأبي الحسن الندوي، وإقبال اللاهوري، وبنت الشاطئ، ومحمّد باقر الصدر، وعبد الرحمان الكواكبي، ومالك بن نبي، ومحمّد جواد مغنية، ومحمّد الغزالي، ومرتضى المطهّري، وتوفيق الحكيم، ومصطفىٰ لطفي المنفلوطي، وشوقي ضيف، وصالح مرسي، وعبد الحليم محمّد عبد الله، ومصطفى صادق

الرافعي، ومصطفى محمود، ونجيب محفوظ، وجبران خليل جبران، وتشارلز ديكنز، ومارون عبّود، وميخائيل نعيمة، وعبد الرحمان الشرقاوي، وعبد الرحمان منيف، وأرنست همنغواي، ومارك توين، ويوسف أسعد داغر، وغيرهم.

من مؤلّفاته: أهل البيت في تراجم أهل السنّة (مجلّدان)، الحكومات الشيعية عبر التاريخ (مجلّدان)، كاشف الغطاء إمام الوحدة والإصلاح، عبد الرحمان الكواكبي رجل الكفاح والإصلاح، النورسي أُمّة في رجل، عبّاس محمود العقّاد، الجمع بين الصلاتين، البناء على القبور، عصمة الأنبياء والأئمّة، إيمان أبي طالب، الإمام المهدي في أحاديث الفريقين، الرياضيات العالية لطلّاب كلّية الهندسة (الحلقة الأُولى)، شرح مسند سهل بن سعد الساعدي (مجلّدان)، اللغة الفارسية .. نماذج تطبيقية، التأمين في الصلاة، محمّد إقبال الفيلسوف المصلح، هبة الدين الشهرستاني المفكّر المصلح، محمّد أبو زهرة، محمّد رشيد رضا، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب (مجلّدان)، المساجد وأحكامها في الشريعة الإسلامية (مجلّدان)، رسالة في تكليف الكفّار بفروع الدين (منتهىٰ المقال في قاعدة تكليف الكفّار)، رسالة في الإشهاد في النكاح، بحوث في الفقه المعاصر (تعليقاً على بعض مقالات الشيخ التسخيري الفقهية في حقل المسائل المستحدثة)، موسوعة أعلام الدعوة والوحدة والإصلاح (مجلّدان)، الحجاب بين فلسفة الفقه والاجتماع.

ومن محقّقاته: تحرير المجلّة للشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (خمسة مجلّدات)، الدين والإسلام للشيخ المزبور (ثلاثة مجلّدات)، أبو الشهداء للأديب المصري عبّاس محمود العقّاد، فاطمة الزهراء وتر في غمد للأديب اللبناني سليمان كتّاني، تنقيح المكاسب للشيخ علي الغروي التبريزي (مجلّدان)، محمّد بخيت المطيعي الفقيه الأُصولي المفتي للدكتور محمّد الدسوقي، كنز العرفان للفاضل السيوري (مجلّدان بالمشاركة)، أحكام البنوك للشيخ محمّد إسحاق الفيّاض، نهج الفقاهة للسيّد محسن الحكيم (مجلّدان)، منهاج الناسك للشيخ علي المروّجي القزويني (إلى الآن ثلاثة مجلّدات)، هداية الناسك للشيخ مهدي المصلّي (مجلّدان)، رسالة الجمع بين الحكم الواقعي والظاهري للشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، وغيرها.

كما قام باستدراك وتحقيق المجموعة المعروفة بـ« سلسلة روّاد التقريب » الفارسية ذات الأجزاء السبعة والتي تضمّ حياة سبعة من روّاد التقريب والوحدة (محمّد الغزالي ، محمود شلتوت ، سيّد قطب ، محمّد عبده ، موسىٰ الصدر ، محمّد جواد مغنية ، حسين البروجردي) ، حيث كُتبت أوّل الأمر باللغة الفارسية ثمّ تمّ تعريبها ، فأُوكلت إليه مهمّة المشاركة والإشراف على التعريب وكذلك الاستدراك والتحقيق .

وقد قام بمراجعة وتقييم وتصحيح بعض المؤلّفات ، والتي منها : كتاب الزكاة للشيخ محمّد إسحاق الفيّاض ، المنتهى في فروع العلم الإجمالي للشيخ علي المروّجي القزويني ، الأحاديث القدسية المشتركة ، المرأة في أحاديث الفريقين ، الإمام جعفر الصادق لعبد الحليم الجندي ، الأحاديث الأخلاقية ، الجهاد في الأحاديث المشتركة ، لباب النقول (الجزء الثاني منه فقط) ، الوحدة الإسلامية ، الأحاديث المشتركة حول النبي عيسى ﷺ ، الأحاديث المشتركة حول النبي موسى ﷺ ، المجمع العالمي للتقريب ، الخصائص العلوية للنطنزي ، أعلام الوحدة الإسلامية في البحرين والحجاز ، وغيرها .

له كذلك مجموعة من المقالات التقريبية والفكرية قامت بنشرها مجلّة « رسالة التقريب » ومجلّة « رسالة الثقلين » في بعض أعدادهما .

يعمل حالياً (سنة ٢٠١٠ م) مقيّماً للبحوث العلمية في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، وعضواً في الهيئة العلمية للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ .

وقد طبعت بعض مؤلّفاته وتحقيقاته أكثر من مرّة ، وتُرجم قسم منها إلى بعض اللغات ، كالفارسية والإنجليزية والتركية والأوردية ، وحاز بعضها على عدّة جوائز .

(انظر ترجمته في : المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢ : ٩٧ ـ ٩٩) .

محمّد جميل غازي

محمّد جميل أحمد غازي : داعية من أهالي مصر .

ولد سنة ١٩٣٦م ، ونشأ في بيت علم ، وتخصّص باللغة العربية حتّى نال الدكتوراه في النقد بعد دراسته في الأزهر ، ونظّم ندوة أدبية للشباب تأثّراً بندوة أبيه الفكرية ، وشارك في

عدد من الجمعيات العاملة في الدعوة، فكان نائباً للرئيس في جمعية «أنصار السنّة المحمّدية»، وتولّى الرئاسة العامّة للمركز الإسلامي العامّ لدعاة التوحيد والسنّة بالقاهرة، وهو العضو المؤسّس لجمعية «رعاية حديثي العهد بالإسلام» في السودان. كما شارك في اللقاء الذي عقد بالسودان لمحاورة ثلاثة عشر قسّيساً أدّت إلى دخولهم في الإسلام دفعة واحدة، ووقف موقفاً عنيفاً من الصوفية.

له: من أحاديث الوجدان، الصوفية: الوجه الآخر، آلة من ذهب، لن يصلبوا التاريخ، ثمّ أذن الفجر، ثائر من بلدنا، جولات مع المفكّرين، مفردات القرآن، المنافقون كما يصوّرهم القرآن الكريم، تفسير سورة إبراهيم، الطلاق شريعة محكمة لا أهواء متحكّمة، عقبات على طريق المسيرة الإسلامية، دموع قديمة، أسماء القرآن في القرآن.

وحقّق «الأوائل» لأبي هلال العسكري «أُطروحة الدكتوراه»، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، والداء والدواء، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، وزاد المهاجر إلى ربّه.. وهذه الأربعة لابن قيّم الجوزية، وكذلك حقّق كتاب «استشهاد الحسين».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٤٩).

محمّد جواد البلاغي

محمّد جواد بن حسن بن طالب بن عبّاس بن إبراهيم البلاغي الربعي النجفي: فقيه إمامي، مفسّر، باحث في الأديان، كاتب، شاعر، مصلح.

ولد في النجف سنة ١٢٨٢ هـ، وطوى بها بعض مراحله الدراسية، وسافر إلى الكاظمية، فمكث فيها ستّة أعوام، وعاد إلى النجف، فحضر على الأعلام: محمّد طه نجف، وآقا رضا الهمداني، ومحمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد الهندي.

وتوجّه إلى سامرّاء سنة ١٣٢٦ هـ، فلازم بحث الشيخ محمّد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية مدّة عشر سنوات.

ومهر في الفقه، وتضلّع من العلوم الأدبية والفلسفية والكلامية، وشرع في تأليف بعض كتبه.

ثمّ بارح مدينة سامرّاء بعد احتلالها من قبل الجيش البريطاني، فقصد الكاظمية، وأقام بها سنتين، مشاركاً في الدعاية للثورة، ومسانداً رجالها، ومحرّضاً على طلب الاستقلال.

ورجع إلى بلدته النجف، فواصل بها نشاطه في التأليف في شتّى الفنون والموضوعات، وكرّس أوقاته للدفاع عن الإسلام، والذبّ عنه أمام تيّار الغرب الجارف، ومعالجة الكثير من المسائل والمشكلات، وحاز شهرة واسعة في العراق وخارجه، واتّصل به بعض أعلام الدول الأوروبّية.

وعرف البلاغي بعلمه الجمّ، وآرائه المبتكرة، ومعرفته ببعض اللغات غير العربية، كالإنجليزية والعبرية والفارسية، وإلمامه الواسع بالكتب السماوية والمذاهب الفلسفية. وكان ـ كما يقول واصفوه ـ مجدّاً في المطالعة والبحث والكتابة، متواضعاً للغاية، غير مبال بالقشور ولا محترم للأنانيات والعناوين الفارغة، ابتعد عن حبّ الشهرة والمظاهر ابتعاداً غريباً، بحيث إنّه كان لا يقبل أن يضع اسمه على كتبه، وكان يقول: «إنّي لا أقصد من عملي إلّا الدفاع عن الحقّ، ولا فرق عندي بين أن يكون قد جئت به أنا أو غيري!».

توفّي في النجف سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة وألف للهجرة، وترك مؤلّفات كثيرة، منها: آلاء الرحمٰن في تفسير القرآن، رسالة في صلاة الجمعة، رسالة في فروع الرضاع على مذهب الإمامية والمذاهب الأربعة، رسالة في الرضاع، رسالة في الغُسالة، رسالة في ذبائح أهل الكتاب، رسالة في حرمة مسّ المصحف على المحدث، رسالة في العول والتعصيب، تعليقة على «العروة الوثقى» في الفقه للسيّد محمّد كاظم اليزدي، تعليقة على مباحث البيع من «المكاسب» للأنصاري، رسالة في التقليد، رسالة في الأوامر والنواهي، رسالة في وضوء الإمامية وصلاتهم وصومهم (بالإنجليزية)، الهدى إلى دين المصطفى، الرحلة المدرسية، البلاغ المبين بين الإلهيّين والمادّيّين، أنوار الهدى في إبطال بعض الشبه الإلحادية، أعاجيب الأكاذيب (في بيان مفتريات النصارى)، التوحيد والتثليث (في الردّ على النصارى)، نصائح الهدى (في الردّ على البابية)، أجوبة المسائل البغدادية (في أُصول الدين)، أجوبة المسائل التبريزية، رسالة في الردّ على الوهابية،

رسالة في الردّ على الدهرية، وغير ذلك.

من شعره قصيدة يردّ بها على الشاعر العراقي معروف الرصافي في قصيدته التي أوّلها:

أيا علماء العصر يا من لهم خبر ... بكلّ دقيق حار من دونه الفكرُ

وأوّل قصيدته قوله:

أطلتُ الهوى فيهم وعاصاني الصبر ... فها أنا ما لي فيه نهيٌ ولا أمرُ

ومنها:

وكم لذّ لي خلع العذار وإن يكن ... بحبّي لآل المصطفى فهو لي عذر

علقتُ بهم طفلاً فكانت تمائمي ... مودّتهم لا ما يقلّده النحر

ومازج دزّي حبّهم يوم ساغ لي ... فعن ناظري غابوا وفي خاطري قرّوا

فمن نازحٍ قد غيّب الرمس شخصه ... ومن غائب قد حال من دونه الستر

(انظر ترجمته في: تكملة أمل الآمل: ١٢٤، معارف الرجال ١: ١٩٦ - ٢٠٠، الكنى والألقاب ٢: ٩٤ - ٩٥، أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥ - ٢٦٢، شعراء الغري ٢: ٤٣٦ - ٤٥٨، الأعلام للزركلي ٢: ١٤٢، معجم المؤلّفين ٣: ١٦٤، أدب الطفّ ٩: ١٤٧ - ١٥٠، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٢٥٣ - ٢٥٤، معجم مؤلّفي الشيعة: ٧٥، معجم تراجم الشعراء الكبير: ٣٢٤، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٨١، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٤٤ - ٦٤٧، قادة الفكر الديني والسياسي: ٩٣ - ١١٣).

محمّد جواد الشري

الشيخ محمّد جواد بن عبد الهادي الشري البغدادي النجفي: أحد أعلام العلماء، وأحد روّاد التقريب، ورئيس المركز الإسلامي في أمريكا سابقاً.

ولد في لبنان حدود سنة ١٣٢٥ هـ، وتدرّج في المدارج العلمية حتّى أصبح علماً يشار إليه بالبنان.

من مؤلّفاته: «الرياض في علم أُصول الفقه»، «كتاب الوصايا»، و«الخلافة والدستور الإسلامي» في إثبات خلافة علي ﷺ بالأدلّة التاريخية المتقنة، طُبع كُتيّبه هذا في بيروت

سنة ١٣٦٦ هـ، وعدد صفحاته (٦٠) صفحة. كما له مؤلّف بعنوان: «أمير المؤمنين أُسوة الوحدة».

من أساتذته: السيّد حسن بن محمود الحسيني الشقرائي، والشيخ أبو الحسن المشكيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني.

وقد عدّه الدكتور محمّد علي الزعبي في كتابه «لا سنّة ولا شيعة» ممّن ساهموا في دعم مسيرة الوحدة الإسلامية.

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ١٠: ٤٣٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٩٩).

محمّد جواد مغنية

محمّد جواد مغنية: أحد مشاهير علماء الإمامية، ورائد من روّاد التقريب، ومصلح اجتماعي، وكاتب متميّز.

ولد شيخ الفقراء الشيخ محمّد جواد بن محمود بن محمّد بن مهدي آل مغنية العاملي في قرية «طيردبا» الجنوبية بقضاء صور عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وتعلّم في بلاده، ثمّ ارتحل إلى النجف الأشرف، ودرس على أخيه الشيخ عبدالكريم، واختصّ بالسيّد حسين الحمّامي، ولازمه ستّ سنوات. كما تتلمذ على فريق من العلماء. كالسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيّد باقر الشخص، والسيّد الخوئي، والسيّد جمال الدين الكلبايكاني.

وبعد أن نال حظّاً وافراً من العلم والأدب والشهرة عاد إلى بلاده سنة ١٣٥٤ هـ، فاستقرّ في قرية «معركة» الجنوبية، وبارحها بعد أقلّ من ثلاث سنوات إلى بلدة «طيرحرفا» التي أقام فيها أكثر من تسع سنوات، وانتقل إلى بيروت، فعيّن قاضياً شرعياً، فمستشاراً للمحكمة الشرعية العليا، فرئيساً لها بالوكالة.

كان كثير المطالعة والتفكير ذا ثقافة واسعة، وانصرف بكلّ كيانه نحو التأليف وتحرير المقالات وإلقاء الخطب، وتمكّن بأُسلوبه الشيّق وآرائه الناضجة من استقطاب الشباب والنفوذ إلى قلوبهم، وتوضيح المفاهيم والأفكار والحقائق الإسلامية، وإزاحة الشبهات

والشكوك التي انتشرت في البلاد الإسلامية آنذاك.

وقد سافر الشيخ مغنية إلى عدد من البلاد العربية والإسلامية، ودرّس بدار التبليغ الإسلامي في مدينة قم لمدّة خمس سنوات، ثمّ عاد إلى وطنه، وواصل به نشاطاته دون فتور أو كلل، إلى أن أدركه الحمام ببيروت سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٧٩)، ودفن في النجف الأشرف.

وقد ترك العديد من المؤلّفات، كالفقه على المذاهب الخمسة، وفقه الإمام جعفر الصادق، وأُصول الإثبات في الفقه الجعفري، وعلم أُصول الفقه في ثوبه الجديد، والتفسير الكاشف، والتفسير المعين، والحسين والقرآن، وفي ظلال نهج البلاغة، ومذاهب ومصطلحات فلسفية، وفلسفة الأخلاق في الإسلام، ونفحات محمّدية، ومن زوايا الأدب، والإمام علي والعلم الحديث، والله والعقل، والإسلام بنظرة عصرية، وصفحات لوقت الفراغ، والفصل الشرعية على مذهب الإمامية، والنبوّة والعقل، والوجودية والغثيان، وفصول في الفلسفة الإسلامية، والآخرة والعقل، والشيعة في الميزان.

لقد بذل الشيخ مغنيّة جهوداً حثيثة في سبيل تحكيم الوحدة الإسلامية، وكان يستغلّ كلّ فرصة للانفتاح على علماء أهل السنّة ومحاورتهم في خصوص الوحدة والسبل والآليات الكفيلة بتحقيقها على أرض الواقع. ومن جملة لقاءاته التقريبية لقاؤه الشيخ محمّد أبو زهرة، والشيخ محمود شلتوت، والدكتور مصطفىٰ محمود، والشيخ محمّد الفحّام، والدكتور أحمد الشرباصي، والشيخ الحصري.

يقول الشيخ محمّد مهدي شمس الدين في حديث له عن الشيخ مغنيّة: «كان هاجس الشيخ محمّد جواد مغنيّة في سني الفتنة هذه التي تجرر فينا ونجرر فيها، كان هاجسه الوحدة الوطنية والوحدة الإسلامية والجنوب». وبعض مؤلّفاته شاهدة بوضوح على فكره الوحدوي.

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٩: ٢٠٥ ـ ٢٠٦، شعراء الغري ٧: ٤٣٢ ـ ٤٣٥، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٦٦ ـ ٦٧، ملحق موسوعة السياسة: ٦٣٧ ـ ٦٣٨، أُدباء وشعراء العرب ٢: ٣١٦، المنتخب من

أعلام الفكر والأدب: ٤٤١ـ٤٤٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٨٢ـ٣٨٣، المفسّرون للأيازي: ٥٦٨ـ ٥٧٢، تتمة الأعلام ٢: ١٤٣ـ ١٤٤ و٣: ٢٣٧، إتمام الأعلام: ٣٤٩ـ ٣٥٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٥١ـ ٦٥٤، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٣٧٥ـ ٣٧٧، موسوعة الأعلام ٤: ١٩٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٩٩ـ ١٠١).

محمّد الحامد

محمّد محمود الحامد: أحد أعلام الدعاة المجاهدين في الديار الشامية، ومؤسّس أوّل جمعية إسلامية في سوريا.

ولد سنة ١٩١٠ م في مدينة حماة، ونشأ في أُسرة متديّنة فاضلة يتيماً فقيراً، فكان يشتغل في مهنة الخياطة نهاراً، ويدرس على العلماء في المساجد ليلاً. تلقّى العلوم الشرعية على: خاله الشيخ سعيد الجابي، وعلى الشيخ محمّد سعيد النعساني، وتوفيق الصبّاغ، وغيرهم.. ثمّ التحق بدار العلوم الشرعية بحماة سنة ١٩٢٤م، ثمّ توجّه إلى المدرسة الخسروية الشرعية بحلب سنة ١٩٢٨م، وكانت تضمّ جماعة من العلماء المحقّقين، أمثال: الشيخ أحمد الزرقا، وأحمد الكردي مفتي الحنفيّة، وعيسى البيانوني، وإبراهيم السلقيني، وراغب الطبّاخ، ومحمّد الناشد.. وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أبي النصر سليم خلف الحمصي، وسلك طريقة التصوّف، ورحل إلى القاهرة لإكمال دراسته في الأزهر، ونال العالميّة في العلوم الشرعيّة سنة ١٩٤٢م، وتخصّص في القضاء.

وحبّب الله إليه طلب العلم، فكان لا يقتصر على الكتب المدرسية المقرّرة، بل يُقبل بشغف عظيم على كتب العلم يحلّ عويصها، ويتمثّل معارفها، ولقد قال عن نفسه: «وإنّي أحمد الله على توفيقه وتيسيره إيّاي للتوسّع العلمي، ووضعه الشغف به في قلبي، حتّى إنّي لأوثر العلم على اللذائذ المادّية التي يقتتل الناس عليها. ولو أنّي خيّرت بين الملك والعلم لاخترت العلم على الملك والسلطان».

اتّصل خلال إقامته في مصر بالإمام حسن البنّا، وصحبه وتتلمذ في العمل الحركي الدعوي عليه، واشتهر بين الإخوان المصريّين بالشيخ الحموي، وعندما غادر مصر إلى

حماة سنة ١٩٤٤م كان شديد الحزن على فراق إخوانه بها، وبكى على هذا الفراق في عدّة قصائد، ومنها قوله:

ذبت يا مصر مذ عزمت رحيلاً ولو استطعت عشت فيك طويلاً

وعبّر عن علاقته بالإمام فقال: «والذي أثّر في نفسي تأثيراً من نوع خاصّ وله يد في تكويني الشخصي سيّدي وأخي في الله وأُستاذي الإمام الشهيد حسن البنّا (أُغدق عليه غيوث الإحسان والكرم)، صحبتُه في مصر سنين، وحديثي عنه لو بسطته لكان طويل الذيل، ولكانت كلماته قطعاً من قلبي، وأفلاذاً من كبدي، وحُرقاً من حرارة روحي، ودموعاً منهلّة منسابة تشكّل سيلاً من فاجع الألم وعظيم اللوعة».. وكان الحامد يذكر الإمام البنّا ويقول: «كم أنا مشتاق إلى وقفة على قبره الشريف أُناجيه عن قرب، وأبثّه أشواقي وأشجاني عن كثب، فإنّ للقرب معناه عند المحبّين».

وكان رفيق رحلة الدرس بمصر مع الحامد بمصر الشيخ مصطفى السباعي، والذي قاد الحركة الإسلامية في سورية بجدارة وتجرّد وإخلاص.

وفي حماة تفرّغ لتعليم العلوم الشرعية وتربية الناشئين ورعاية أهل التقوى، فنشأ على يديه جيل من الشباب المؤمن. وكان يعلم أنّ إعداد الرجال الذين يحملون الفكرة ويثبتون عليها ويُنافحون عنها هو الأساس الذي لا محيد عنه في انتصار الفكرة.. لذلك ما فتئ يبذل الجهود في تربية أبناء شعبه على الإيمان والوعي والصلاح والجهاد.

عرف أسرار التشريع وحكمته، ودعا إلى الالتزام بالسنّة ومحاربة البدعة، و حمل السلاح في وجه الاستعمار الفرنسي، وكان في مقدّمة المطالبين بالاستقلال والحرّية لبلاده.

وقد وصف بأنّه داعية خير ووئام بين مواطنيه، يكره الفتن، ويحارب الانحراف بلسانه وقلمه، ويحرص على تطبيق الشريعة في جميع شؤون الحياة.. وشهد له أعداؤه قبل أصدقائه بالإنصاف، والجرأة، والأمانة، والورع، ويعود له الفضل في إعادة السلام إلى حماة والمدن السورية سنة ١٩٦٤م عندما اعتصم مروان حديد في جامع السلطان الذي هدم فوق

أهله وسقطت مئذنته، ثمّ ما تبع ذلك من أحداث، فقام بتهدئة الخواطر على رأس وفد من أهل المدينة، وتصدّى لموجات الإلحاد التي فشت في الجيل الصاعد، وعمل على ردّ الشاردين عن الحقيقة إليها، وعمل على تغذية الشاردين بالعلم الواقي والمعرفة الدارئة، كي تقوى فيهم ملكة المناعة الإيمانية، وكان يرى أنّ الرجوع إلى الإسلام الصحيح هو طريق الخلاص من الانحراف والاختلاف.

وتحدّث الشيخ سعيد حوّى عن صفاته وسجاياه وعبادته وتقواه، فقال: «كان دائم التلاوة لكتاب الله، مداوماً على الذكر اليومي، وكان غزير العبرة كثير البكاء، لم أر بين علماء المسلمين ممّن رأيت وقابلت من ينطبق عليه قول القرآن: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (سورة مريم: ٥٨)، إلّا شيخنا الحامد، وشيخنا عبد الفتّاح أبو غدّة.. ربّى إخوانه على التمسّك بالنصوص والفقه، كما ربّاهم على حبّ الإمام الشهيد حسن البنّا، وحبّ «الإخوان المسلمين» وحبّ جميع المسلمين، وكان يرى أنّ حسن البنّا مجدّد قرون، وليس مجدّد هذا القرن فحسب، ولقد واطاه على ذلك الأُستاذ الندوي، وكان آية في التحقيق العلمي، وبحراً في العقائد، وفي الفقه، وفي التصوّف، وفي الأُصول، وفي التفسير، والحديث، والتاريخ، وكان بحراً في العلوم كلّها لا تطرق باباً من العلم إلّا وقد أخذ بذؤابته، ويعرف دخنه، وينبّه على الأخطاء المحتملة فيه.. وكان شاعراً فصيحاً إذا خطب لا يعدّ عليه خطأ، عفّ اللسان، متأدّباً مع العلماء، وكان لا يسكت على مخطئ يقول أمامه كلمة، بل كان ينصح ويصحّح، وكما كان مع المذهبية ومع التحقيق كان يخشى من دعوى الاجتهاد من كلّ أحد وما يترتّب على ذلك من فوضى في الفتوى، فكان متشدّداً في الفتوى، لا يفتي إلّا إذا درّس ودارس واطمأنّ، وكان مستوعباً لمذاهب أهل السنّة والجماعة في العقائد والفقه، كما كان داركاً لضلالات العصر، عارفاً ببدع الاستغراب، عارفاً بوجهات المستشرقين والمستغربين.. وكان ناصحاً مشفقاً يحسّ كلّ مسلم بشفقته ورحمته وخلوص نصيحته، لا يقابل السيّئة بمثلها.. وكان حريصاً على وحدة المسلمين، لا يرى أنّ هناك تناقضاً بين المسلمين يبيح لهم أن يدخلوا في خصومات بعضهم مع بعض، وينسوا

الردّة والمرتدّين».

يقول الشيخ علي الطنطاوي عن رحلة صحبه فيها إلى مصر: «وجدته صاحب نكتة، وفي روحه خفّة على القلب، وفي سلوكه أُنس للنفس، وأنا أكره المتزمّتين الذين يتكلّمون الجدّ دائماً، أو يحرصون على «المشيخة» والمشيخة غير العلم، وغير التدريس والتهذيب».

من مؤلّفاته: نقده كتاب «اشتراكية الإسلام» للسباعي في كتابه «نظرات في اشتراكية الإسلام»، وردود على أباطيل، والتدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر، وحكم اللحية في الإسلام، ورسالة حكم الإسلام في الغناء، والقول في المسكرات، وحكم الإسلام في مصافحة المرآة الأجنبية، وغيرها.

توفّي بحماة سنة ١٩٦٩م، ودفن بها.

كتب في سيرته الذاتية «العظات والمحامد في سيرة الشيخ محمّد الحامد»، وألّف في سيرته عبد الحميد طهماز «المحامد من حياة العلّامة المجاهد الشيخ محمّد الحامد»، وكتب ابنه الشيخ محمود الحامد «الشيخ محمّد الحامد: حياته وعلمه وجهاده»، وألّف عبد الله الطنطاوي «الإمام المجاهد محمّد الحامد»، والدكتور الشيخ محمّد سعيد رمضان البوطي أفرد فصلاً من كتابه «من الفكر والقلب» للحديث عن سيرة الشيخ محمّد الحامد وتجربته معه.

محمّد حامد أبو النصر

محمّد حامد أبو النصر: المرشد العامّ الرابع لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، وداعية إسلامي.

ولد في ٦ / ربيع الآخر / ١٣٣١ هـ الموافق ٢٥ / آذار / ١٩١٣م في منفلوط التابعة لمحافظة أسيوط في مصر. وتنتمي أُسرته إلى الشيخ علي أحمد أبو النصر، أحد روّاد الحركة الأدبية في مصر، وواحد من علماء الأزهر الشريف المعدودين في عصره.

حصل أبو النصر على شهادة إتمام الدراسة الثانوية العامّة، ثمّ تفرّغ لرعاية أملاك

الأُسرة التي كانت واسعة الثراء. والتقى بالشهيد حسن البنّا مؤسّس دعوة الإخوان في أواخر عام ١٩٣٣م، حيث بايعه على العمل في سبيل الله تحت راية هذه الدعوة، فكان أوّل من انضمّ إلى صفوف الإخوان في صعيد مصر، ثمّ تدرّج في مواقع المسؤولية من نائب شعبة منفلوط حتّى أصبح عضواً في الهيئة التأسيسية (مجلس الشورى العامّ)، ثمّ عضواً في مكتب الإرشاد العامّ للجماعة.

تعرّض أبو النصر للاعتقال والسجن، وحكم عليه في أحداث ١٩٥٤م بالأشغال الشاقّة المؤبّدة، قضى منها عشرين عاماً في السجون المصرية، صامداً كالجبل، صلباً لا يتزحزح، قوياً لا تلين له شوكة، حتّى خرج في منتصف عام ١٩٧٤م ليواصل عطاءه وجهاده لرفع راية الإسلام، وظلّ وفياً لدعوته وقيادته حتّى اختير مرشداً عامّاً للجماعة خلفاً للمرشد الثالث الأُستاذ عمر التلمساني، وكان ذلك في آذار سنة ١٩٨٦م.

كان من الرعيل الأوّل الذي لازم مؤسّس الجماعة، وكان من دعائم الحركة منذ الثلاثينيات من القرن المنصرم، وعاش معها محنتها، بل محنها، صابراً محتسباً لم تضعف عزيمته في سجنه ولم تلن من شدّة المحن شكيمته، فكان قدوة في الإخلاص وصدق الإيمان، وظلّ وفياً لبيعته، مجاهداً لفكرته، حاملاً عبء رسالته رغم أنّه قد فاق الثمانين من عمره.

يقول فيه أحد الكتّاب الإسلاميّين: «كنت ترى فيه حمية المؤمن، وحماس الشباب، وشجاعة الأبطال، وحكمة الشيوخ، وحنكة المجرّب، ونور الإيمان.. وتلحظ فيه حنو الأب، وحبّ الأخ، ومجاملة الصديق، وبراعة المعلّم، وحسن القدوة، وإخلاص المربّي.. يعطيه سَمته وقاراً، وأدبه جلالاً، وسابقته كمالاً.. ترى في وجهه هموم الدعوة مع مسحة من الجدّ وإشراقة التفاؤل.. وفي سجاياه كثير من الشموخ، مع حنو وحبّ وشهامة وكرم وعفّة وإباء».

وقد عاشت جماعة الإخوان المسلمين في عهده أحداثاً بارزة على الصعيد السياسي، كان أهمّها ترسيخ الوجود الفعلي لرموزها في العديد من النقابات المهنية، ونوادي التدريس الجامعية، والجمعيات الأهلية. خاضت الجماعة في عهده الانتخابات النيابية في نيسان

١٩٨٧ م متحالفة مع حزب العمل والأحرار، ممّا أتاح لها دخول (٣٦) نائباً إخوانياً لأوّل مرّة في تاريخ الجماعة إلى مجلس الشعب، وأدّى إلى قيادتها للمعارضة بشكل فعلي. كما خاضت الجماعة التجديد النصفي لمجلس الشورى عام ١٩٨٩ م، وقاطعت انتخابات البرلمان سنة ١٩٩٠ م، وتبعتها بقية أحزاب المعارضة احتجاجاً على استمرار العمل بقانون الطوارئ، وعدم وجود ضمانات كافية لنزاهة الانتخابات.. وفي عام ١٩٩٢ م خاضت الجماعة انتخابات المجالس المحلّية.. وفي عام ١٩٩٣ م رفضت قيادة الجماعة منح التجديد للرئيس مبارك لفترة رئاسية ثالثة، ممّا أثار غضب السلطة عليها. وأحال (٨٢) رجلاً من قياداتها إلى المحاكم العسكرية عام ١٩٩٥ م، والتي قضت بسجن (٤٥) عضواً من الرموز المعروفة في محاكمة غير قانونية، ثمّ شاركت الجماعة أيضاً في انتخابات مجلس الشعب التي جرت في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩٥ م.

أمّا أبرز الإنجازات على المستوى الداخلي للجماعة فكانت نجاح القيادة في استكمال الهيكل الإداري والتنظيمي من خلال تنفيذ مبدأ الشورى في اختيار القيادات على جميع المستويات حتّى عضوية مكتب الإرشاد، وذلك لأوّل مرّة منذ دخول الجماعة عصر المحن قبل أكثر من أربعين عاماً.

شارك أبو النصر في بداية حياته في العمل الاجتماعي والإسلامي، فكان: عضواً في جمعية الإصلاح الاجتماعي في منفلوط سنة ١٩٣٢ م، وعضواً في جمعية الشبّان المسلمين سنة ١٩٣٣، وعضواً في جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٤ م، وعضواً في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، ومرشداً عامّاً للإخوان بعد وفاة الأُستاذ عمر التلمساني في سنة ١٩٨٦ م.

توفّي في القاهرة فجر يوم السبت ٢٠ / يناير / ١٩٩٦ م عن عمر ناهز ٨٣ عاماً تاركاً بعض المؤلّفات، منها: «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر»، وله شعر.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٥٠، عظماء الإسلام: ٣١٥، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٣٧٩).

محمّد الحبش

محمّد الحبش: أُستاذ جامعي سوري معروف، وقارئ ممتاز، وداعية وحدة.

ولد في دمشق سنة ١٩٦٢م، وحصل على بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة دمشق سنة ١٩٨٦م، وعلى بكالوريوس في الأدب العربي من جامعة بيروت سنة ١٩٨٧م وعلى بكالوريوس في الدعوة الإسلامية من كلّية الدعوة الإسلامية سنة ١٩٨٧م، وعلى الإجازة العليا في إتقان القرآن الكريم وحفظه من دائرة الفتوى السورية سنة ١٩٧٩م، وعلى الماجستير في الدراسات الإسلامية من كراتشي سنة ١٩٩٧م، وعلى الدكتوراه في علوم القرآن من جامعة القرآن الكريم ـ الخرطوم.

وهو أُستاذ علوم القرآن في كلّية الدعوة الإسلامية سنة ١٩٨٨م، وأُستاذ التفسير في كلّية أُصول الدين سنة ١٩٩٦م «قسم الدراسات العليا»، ومحاضر في جامعة دمشق سنة ١٩٩٣م بكلّية الشريعة، ومدير معاهد القرآن الكريم في سوريا منذ سنة ١٩٨٩م وحتّى ٢٠٠١م، ومدير مركز الدراسات الإسلامية بدمشق منذ سنة ١٩٨٧م وحتّى الآن (٢٠١٠م)، وخطيب جامع الزهراء بدمشق منذ سنة ١٩٨١م وحتّى الآن (٢٠١٠م).

انتخب عضواً في مجلس الشعب السوري في آذار ٢٠٠٣م، وانتخب عضواً في مكتب مجلس الشعب «هيئة الرئاسة» في آذار ٢٠٠٣م، ومثّل سوريا في سبعة وخمسين لقاءً دولياً. له ٣١ كتاباً مطبوعاً، وعشرات المقالات في صحف محلّية وخارجية، وعشرات البرامج واللقاءات الإذاعية والتلفزيونية.

مثّل المجمع الإسلامي ووزارة الأوقاف السورية، وشارك في المؤتمرات واللقاءات الخارجية التالية: مسابقة القرآن الكريم ـ الرياض ١٩٨١م (وزارة الأوقاف)، المسابقة القرآنية الأُولى طرابلس ١٩٨٢م (وزارة الأوقاف)، مهرجان القرآن الكريم طهران ١٩٨٢م (وزارة الأوقاف)، مؤتمر الحوار الإسلامي ـ المسيحي نيويورك ١٩٩٠م (المجمع الإسلامي).

من مؤلّفاته: رسالة التجديد، ألف يوم في مجلس الشعب، أنبياء على أرض العرب، المرأة بين الشريعة والحياة، المسلمون وعلوم الحضارة، المشترك أكثر ممّا تعتقد، المعتمد

في أُصول الفقه، المؤمن والربيع، الحوار أو الدمار، الشيخ أحمد كفتارو ومنهجه في الإصلاح والتجديد.

يقول في مقالة له لمجلّة «رسالة التقريب»: «تستجدّ الحاجة بين الحين والآخر إلى مراجعة موقف الأئمّة (عليهم رضوان الله) فيما يتّصل بسلامة النصّ القرآني، وما يروّجه بعض الكاتبين من تهم ملفّقة بهدف الإساءة إلى فريق من الأُمّة بدافع من التعصّب الطائفي، ولكنّها في المآل ليست إلّا إساءة واضحة للقرآن الكريم الذي أكّد الله تعالى معصوميته من أن يصيبه تحريف أو تبديل، وذلك بنصّ الكتاب العزيز ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩).

وقد كثر الجدل في مسألة سلامة النصّ القرآني عند علماء الشيعة، واتّخذها بعض الناس سبباً للطعن في إيمان القوم، ووصمهم بالزندقة، واعتقاد النقص والزيادة في كتاب الله! ولا بدّ من القول هنا: بأنّ الحديث في سلامة النصّ القرآني مروي عن علماء من الطائفتين، وهناك خلط بين ثلاثة أنواع من الروايات: الرواية في تعدّد القراءات، والرواية في محاولة التحريف والتبديل التي عصم الله منها الكتاب العزيز، والرواية التي يدلّ ظاهرها على وقوع التحريف والتبديل، ولا بدّ من مناقشة كلّ على حدة للوصول إلى اليقين فيه».

ويقول: «منذ بدأت فكرة التقريب في رحاب الأزهر الشريف قبل نحو سبعين عاماً يتّجه الحديث عادة إلى التقريب بين السنّة والشيعة على أساس أنّهما الطائفتان الأعظم بين المسلمين، وقد تحقّق قدر غير قليل من إنجاز ذلك التقارب، أو قل: إنّ المسألة صارت أكثر وضوحاً وتمايزاً. فمن اختار التقريب ـ وهم الكثرة الغالبة من أبناء الأُمّة بحمد الله ـ يدركون أدبه ومقاصده، ومن رفض التقريب ـ وهم القلّة القليلة ـ أصبحوا اليوم أكثر عزلة وأخفض صوتاً، وأدرك المسلمون أنّه لاخيار لهم إلّا في الوحدة والجماعة.

وهكذا فإنّ مسألة التقريب بين السنّة والشيعة نضجت واكتملت، وأصبح المطلوب أن نتحدّث عن مرحلة ما بعد التقريب من العمل الجماعي، والمشاريع المتكاملة، والموسوعات العلمية المشتركة. وأعتقد أنّ المرحلة اليوم تتطلّب موقفاً أكثر وعياً

بحاجات التقريب وشروطه، فثمّة تيّارات أُخرى في العالم الإسلامي اليوم تنتظر منّا دعوة التقريب، وهذا ما جعلني أختار الحديث عن أُفق آخر في مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي انعقد في طهران منتصف شهر آيار بمشاركة واسعة من علماء العالم الإسلامي وقادته الدينيّين، وكانت مشاركتي في المؤتمر إلى جانب العلّامة الدكتور وهبة الزحيلي والشاعر مصطفى عكرمة مناسبة لطرح التقريب بين المذاهب الإسلامية من رؤية أُخرى.

إنّ تصنيف العالم الإسلامي اليوم إلى سنّة وشيعة لم يعد تصنيفاً دقيقاً، والمطلوب الآن إدراك المدارس الفكرية الأُخرى التي نشأت في المجتمع الإسلامي والتي اصطبغت بالطابع العلماني، وهي تيّارات تمارس دوراً حيوياً في المجتمع الإسلامي، والمطلوب توفير آلية حقيقية لفتح حوار جادّ معها على أساس أنّها نسيج من المجتمع الإسلامي وليس كياناً طارئاً عليه، وتمييز التيّارات العلمانية التي طوّرت نفسها وتمسّكت بإيمانها من تلك التيّارات التي وقفت موقفاً عدائياً من الفقه الإسلامي.

علينا أن نتجاوز التفكير الذي كان سائداً في الستّينيات والسبعينيات من القرن الماضي، والذي كان يصبغ علاقات التيّارات السياسية في العالم الإسلامي بالحدود الدموية، حين كانت كلمة «علماني» ترادف كلمة «كافر»، وفي المقابل كان العلمانيّون يستخدمون تعبير «الظلاميّين» و«الرجعيّين» على أُولئك الذين يريدون أن يبعثوا الفقه الإسلامي في الحياة كمعلم هدى ونور وبرّ وخير».

محمّد الحبيب ابن الخوجة

محمّد الحبيب بن الشاذلي بن الهادي بن الخوجة: الأمين العامّ السابق لمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة، وأحد دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي.

ولد بتونس في ٣ / ربيع الأوّل / ١٣٤١ هـ الموافق لـ ٢٤ / أُكتوبر / ١٩٢٢م، وتخرّج من كلّية الشريعة بالجامعة الزيتونية، وحصل على شهادة العالمية في الشريعة سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦م)، وعلى شهادة الحقوق، و شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة

السوربون الفرنسية عام ١٣٨٤ هـ(١٩٦٤م).

وهو مدير عامّ الدار التونسية للنشر، وعميد الكلّية الزيتونية للشريعة وأُصول الدين (١٩٧٠ م ـ ١٩٧٦م)، ومفتي الديار التونسية (١٩٧٦م ـ ١٩٨٤م)، وأمين عامّ مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة في سنة ١٩٨٤ م.

كما أنّه عضو سابق بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٩٧١م، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة ١٩٧٢م، وعضو المجمع العلمي العراقي ببغداد، وعضو هيئات الاختيار في لجنة خدمة الإسلام ـ جائزة الملك فيصل الخيرية بالرياض، وعضو بأكاديمية المملكة المغربية سابقاً، وعضو مؤسّسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي الأردن منذ سنة ١٩٨٢م، وعضو مؤسّس لبيت الحكمة بتونس سنة ١٩٨٣م، وعضو اللجنة التحضيرية لمحكمة العدل الإسلامي بمنظّمة المؤتمر الإسلامي، وعضو في مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو في مركز أخلاقيات الطبّ والعلوم والبيولوجيا بمستشفى الملك فيصل بالرياض، وعضو في مجمع الفقه الإسلامي بالهند، ورئيس الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وعضو المجلس الأعلى لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية ـ لندن، ومؤسّس معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

من مؤلّفاته: مواقف الإسلام، يهود المغرب العربي، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر ابن عاشور، بين علمي أُصول الفقه ومقاصد الشريعة، مجموعة الفتاوى.

من تحقيقاته: إفادة النصيح في رجال الجامع الصحيح، والسنن الأبين في السند المعنعن، وملء العيبة، (وهذه الكتب الثلاثة لابن رشيد)، ومنهج البلغاء وسراج الأُدباء، وقصائد ومقطّعات، (وهذان الكتابان لحازم القرطاجني)، ومقاصد الشريعة الإسلامية لمحمّد الطاهر ابن عاشور.

وشارك في مؤتمرات دولية كثيرة، بالإضافة إلى المشاركة في الدروس الحسنية بالرباط، وقد ألقى العديد من المحاضرات في مختلف المؤسّسات والجامعات بالكلّية

الزيتونية بتونس، وبالقاهرة، وفاس، والرباط، ومراكش، والجزائر، وبنغازي، وعمّان، وجدّة، ومكّة المكرّمة، وباريس، وبلغراد، وأبو ظبي، والعين، والكويت، وداكار.

يقول في مقالة له: «انطلق المسلمون في هذا العالم يحملون مشاعر النور والهداية بما حباهم الله به من تعاليم إسلامية تتلخّص في جملة من المبادئ والأُصول، نعدّ منها: حرّية الرأي والتعبير، وحرّية الاجتهاد والبحث العلمي، واستعمال العقل الذي هو من نور الله والاحتكام إليه، واستخدام العلم ومناهجه. وإنّهم بما اكتسبوه من ذلك هيّأوا أنفسهم للاستخلاف في الأرض، والقيام بإصلاحها وإعمارها، كما أسهموا إسهامهم العظيم في نشر العلوم الدينية والشرعية واللغوية والآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية والتجريبية.. اتّخذوا طريقهم إلى الابتكار والتصنيع في العلوم المختلفة الطبيعية والرياضية والفلكية والطبّية والهندسية، ووضعوا قوانينها، فنشروا في أطراف العالم ما ضبطوه من أحكام، واكتشفوه من نواميس، وما قاموا به من اختبارات وتجارب. قال مؤرّخ علم المنطق «برانتل» في معرض حديثه عن الفكر العربي والإسلامي: «إنّ باكون ورث عن علماء العرب المسلمين ما توصّلوا إليه من أنّ التجربة هي أساس البحث في العلوم الطبيعية»، وقد صنّف علماء المسلمين كتباً متنوّعة في مختلف العلوم، وكتبوا بحوثاً كثيرة ودراسات، وقاموا بإجراء تجارب واختبارات في القرون الوسطى. وإنّها للنقلة النوعية الحضارية من الإغريق واليونان والهند والسريان، اكتسبوها بالبحث عنها والوقوف عليها، وبالدرس والاكتشاف في العصر الحديث. وما من تطوّر وتقدّم علمي وتجريبي توصّلوا إليه في تلك المجالات إلّا كانت أُصوله راجعة إلى جهود أسلافهم الحضارية من العرب المسلمين.

وحين يتملّكنا الأسى لما فقدناه من تقدّم فكري وازدهار علمي وتفوّق حضاري نجد أنّ سبب ذلك هو التحوّل عن القيم والمبادئ الإسلامية، والتفريط في مقوّمات وحدتنا وأساس نظامنا، وإنّ الصدوف عن مقوّماتنا الذاتية قد لمسناه في الفتن والصراعات التي استمرّت دهراً طويلاً، والويلات التي دكّت صروحنا مع تعدّدها وتجدّدها، فكان سببها

الإهمال للعقيدة، والانصراف عن التربية الذاتية، ونبذ القوانين والأحكام الشرعية، وترك أسباب التقدّم والرقي، والاحتكام إلى العقل والعلم. وهذا ما بنت العلمانية عليه مـذهبها، وقام به الفلاسفة من قبل. وفي هذا يتمثّل التحدّي العقدي للهدي الديني، ونشر المذاهب الإلحادية. وهل التحدّي إلّا إلجاء إحدى قوّتين للأُخرى بما يكون لها من سلطان تـحمل معها الثانية على الانكماش والشعور بالضعف وعدم القدرة على المزاحـمة والمـنافسة؟! وفي هذا تكمن أشدّ صور المحادّة والتحدّي، وهي المباراة في الأمر، والحديا والمنازعة، يظهر بها القوي على الضعيف، فيحوّله عن طريقه، ويملي عليه سلوكاً ومنهجاً آخر يفضّله ويرضاه.

فخصوم الإسلام ليسوا الإلحاديّين أو العلمانيّين وحدهم، بل من انضمّ إليهم من جهلة، ضلّوا الطريق، وغابت عن مداركهم حقائق الإسلام عقيدةً وتشريعاً وسلوكاً، وإن كان بعض هؤلاء معدوداً في أهلنا، لكن ذلك لم يتمّ لهم إلّا عـن طـريق الوراثـة والانـتماء الوهـمي المعطّل.

والعلمانية التي تتحدّى جميع الأديان، وفي مقدّمتها الإسلام، منها ليّنة وصلبة في نشر تعاليمها بين كلّ الأُمم والشعوب، تحقيقاً لأن تصبح الأداة الفاعلة في تدمير العقائد وسلب أصحاب الديانات أيّ مظهر من مظاهر القيادة للإنسان.

والتخلّص من أوضاع التأخّر والتخلّف يضعنا أمام تطهير التعليم في مجاليه الشرعي والعلمي الرياضي والتقني، فإنّ الحاجة إلى ذلك شديدة، والدعوة إليه ملحّة.

فالأخذ بالعلوم النافعة الكفيلة في هذا العصر بضمان الرقي والقوّة والعزّة، تغني عـن الالتفات إلى أمجاد الماضي والاغترار بـها، فـليس إلّا الكـدّ واخـتيار الأيـدي المـاهرة والأفكار المبدعة لإنجاز التحوّلات والتطوّرات الصالحة والمفيدة.

وكذلك التخلّص من أوهام ثراء مواردنا المادّية، فمعظم بلاد الوطن العربي صـحراء، ومن الضروري تطوير مواردنا؛ لأنّنا نعدّ بحقّ من الدول الفـقيرة بـالمقاييس الاقـتصادية المتعارف عليها. وبذل الجهود اللازمة لتحقيق التنمية، فإنّ التنمية عمل إرادي يـرمي إلى

إحداث التغييرات التي تحوّل المجتمعات من وضع التخلّف إلى وضع أحسن وأفضل، وهو حال النموّ المطّرد.

والحرص على التكامل الاقتصادي ببناء الوحدة المنشودة بين البلاد العربية الإسلامية، وتجاوز الأُطر القطرية دون إهمال خصائص كلّ قطر وظروفه. وتوحّد الوطن والأمّة بمشاركة العرب المسلمين أفراداً وجماعات، أحزاباً وعلماء، رجال أعمال وأكاديميّين، مثقّفين ومصلحين، في الأعمال الإيجابية التي تستهدف تحقيق الوحدة.

وتحقيق الوحدة الاقتصادية بتوافر الإرادات السياسية والاقتصادية العربية والإسلامية للنهوض بالتنمية من خلال المشروعات المتعدّدة. فهذا السبيلان من المواجهة للتحدّيات العقدية والاقتصادية هما الواجب الحتمي الذي يتعيّن على الأمّتين الإسلامية والعربية الأخذ به، وهو الذي ينبغي أن يكون موضع عناية وعزم بين الشعوب وحكّامها وقادة البلاد ومواطنيها».

(انظر ترجمته في: مجلّة «رسالة التقريب» /العدد: ٣٩، صفحة: ٢٩ / والعدد: ٦٥، صفحة: ٢١٧).

محمّد حبيب الله مختار

محمّد حبيب الله بن محمّد مختار حسن الطبيب: علّامة محدّث.

وهو باكستاني الجنسية، كان رئيساً لمجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي بكراتشي، ورئيساً لجامعة العلوم الإسلامية فيها.

قُتل سنة ١٩٩٧م، وترك بعض المؤلّفات، منها: كشف النقاب عمّا يقوله الترمذي: (وفي الباب)، السنّة النبوية ومكانتها في ضوء القرآن الكريم.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٥١).

محمّد حسن آل ياسين

محمّد حسن بن محمّد رضا بن عبد الحسين بن باقر بن محمّد حسن آل ياسين الكاظمي: عالم، أديب، شاعر، مصلح.

ولد في النجف سنة ١٣٥٠ هـ(١٩٣١م). ونشأ به على والده الحجّة المتوفّى سنة ١٣٧٠ هـ، فقرأ مقدّماته على والده وغذّاه من روحه العلمي والأدبي، وعلى الشيخ محمّد رضا العامري.

دخل مدرسة «منتدى النشر»، وبعد تخرّجه فيها حضر على: الشيخ عبّاس الرميثي، والشيخ محمّد طاهر آل راضي، والأبحاث العالية على: الشيخ مرتضى آل ياسين، والسيّد أبي القاسم الخوئي، ووالده الحجّة في درسه الليلي الخصوصي.

انتدب إلى مدينة الكاظمية ليحلّ محلّ عمّه الشيخ راضي آل ياسين بعد وفاته سنة ١٣٧٢ هـ، ونزل بينهم مرشداً ومبلّغاً لأحكام الدين وإمامة الجماعة.

وكان نابهاً ذكياً، وكاتباً مكثراً، وله ولع في إحياء التراث العلمي الإسلامي، وقد حقّق الكثير من المخطوطات بأحسن تحقيق، ولا زال جاداً في طريقه هذا.

شارك ببحوثه في عدّة مؤتمرات وندوات ثقافية تراثية أُقيمت داخل العراق وخارجه، وأربت النصوص التراثية التي حقّقها على الخمسين، عدا المقالات والبحوث القصيرة.

اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٠م، والمجمع العلمي الأردني سنة ١٩٨٠م أيضاً.

أصدر مجلّة «البلاغ» سنة ١٣٨٧ هـ، ودامت مدّة طويلة، وكانت من المجلّات الرصينة فيما ينشر فيها من بحوث ومقالات وشعر، وله فيها بحوث قيّمة وشعر رقيق.

من مؤلّفاته المطبوعة: على هامش كتاب العروة الوثقى، في رحاب القرآن، هوامش على كتاب «نقد الفكر الديني»، العدل الإلهي، النبوّة، المهدي المنتظر، منهج الشيخ الطوسي في التفسير والإمامة، الله بين الفطرة والدليل، الإسلام ونظام الطبقات، بين يدي المختصر النافع، التخطيط القرآني للحياة، الحمزة بن عبد المطّلب، مالك بن نويرة.. حياته وشعره، ديوان شعر، الشباب والدين، المعمّى والأحاجي والألغاز، المشهد الكاظمي، معجم النبات والزراعة، شعراء كاظميّون، المادّة بين الأزلية والحدوث، نهج البلاغة لمن؟، الإنسان بين الخلق والتطوّر، تاريخ الصحافة في الكاظمية، الصاحب بن عبّاد، مفاهيم

إسلامية عامّة، المبادئ الدينية للناشئين، الإسلام بين الرجعية والتقدّمية، الإسلام والرقّ، الإسلام والسياسة، محمّد بن محمّد بن النعمان الشيخ المفيد، سعد بن الربيع، عبد الله بن رواحة، نصوص الردّة في تاريخ الطبري، في رحاب الإسلام.

ومن تحقيقاته: «إيمان أبي طالب» للشيخ المفيد، «مسألة في خبر مارية القبطية» للشيخ المفيد، «التنبيه على حدوث التصحيف» للأصفهاني، «شرح قصيدة الصاحب بن عبّاد» للبهلولي، «المحيط في اللغة» للصاحب بن عبّاد، «شرح مشكل أبيات المتنبّي» لابن سيده، «العباب الزاخر» للصنعاني، «ديوان أبي الأسود الدؤلي»، «الإقناع» للصاحب بن عبّاد، «ديوان الصاحب بن عبّاد»، «معاني الحروف» للرمّاني، «الشافي» للسيّد المرتضى، «ديوان الشيخ جابر الكاظمي».

كتبت مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب بمصر في إحدى أعدادها قائلة: «بعث إلينا حضرة الأُستاذ العلّامة الشيخ محمّد حسن ابن الشيخ الأجلّ محمّد رضا آل ياسين من النجف الأشرف بمقال ممتع، عنوانه: «من وحي التقريب»، بدأه بالثناء على مجلّة «رسالة الإسلام» وما تقوم به من خدمة للعلم والدين، ثمّ ذكر أنّه اطّلع على مقال حضرة صاحب الفضيلة والسماحة الأُستاذ الشيخ محمّد تقي القمّي الذي نشر في العدد الأوّل من السنة الثالثة بعنوان: «جولة بين الآراء»، فوجده يرى في هذا المقال أنّ التقريب بين الطوائف الإسلامية محقّق لا محالة إذا ما فهم الجميع حقيقة ما تدعو إليه هذه الجماعة المباركة، وأخذ كلّ كاتب من كلّ طائفة نفسه بالتزام الحسنى والنقد النزيه في كلّ ما يكتب ويحكم من طريق الاطّلاع على كتب سائر الطوائف، ليسلك «في تأليفه مستقبلاً طريقة لا تحصر تداول مؤلّفاته في محيط طائفته، وتصرف عنها بقية الطوائف لما تشتمل عيه من طعون وافتراءات»، ثمّ قال: «هذه خلاصة ما جعله فضيلة الأُستاذ القمّي علاجاً لمشكلة التقاطع الموجود بين الطوائف الإسلامية، ودرءاً للتباغض والتفسّخ الذي ابتلي به المسلمون، وأنت ترى أنّه فرض الكتّاب والمؤلّفين من أهمّ الأُسس في الموضوع، وعلّق كلّ أمله عليهم إذا ما التزموا الحسنى والنقد النزيه في الكتابة والحكم. وهنا أرجو أن

تسمح لي جماعة التقريب و«رسالتها» أن التزم الصراحة في تعليقي هذا؛ ليكون معرباً حقّاً عمّا يجول في الخاطر ويختلج طي خفايا النفس. ويجمل تلك الصراحة أنّ هناك أُموراً لم يذكرها فضيلة الأُستاذ أظنّها تفوق في تأثيرها ـ وتأثيرها التقاطع طبعاً ـ كلّ ما يكتب الناقدون وجميع ما يحرّر المغرضون، ذلك لأنّ لكلّ طائفة من طوائف الإسلام شؤوناً تعتبرها مقدّسة في نظرها محترمة عندها، وإن لم تعتبرها طائفة أُخرى كذلك، ومعلوم بديهي أنّ التعرّض لمثل هذه المقدّسات والاعتداء عليها أمر له نتائجه الوخيمة وعواقبه المؤلمة في التأثير على الوحدة التي تدعو إليها هذه الجماعة بالحكمة الموعظة الحسنة».. ثمّ تناول أمراً يتّصل بإخواننا النجديّين وما عملوه بالحجاز والمشاهد المعظّمة، واقترح على الجماعة أن تتّصل في شأنه بالحكومة السعودية».

(انظر ترجمته في: شعراء الغري ٧: ٥٤٥ ـ ٥٥٣، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٧٤، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٥٣ ـ ٤٥٤، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٤٠٠ ـ ٤٠١).

محمّد حسن الشيرازي

أبو محمّد معزّ الدين محمّد حسن بن محمود بن إسماعيل بن فتح الله بن عابد الحسيني الشيرازي النجفي المعروف بالمجدّد وبالميرزا الشيرازي. كان المرجع الأعلى للطائفة الإمامية في عصره، فقيهاً، أُصولياً، جامعاً للفنون، من مشاعير الرجال، ومن أعلام الإصلاح الإسلامي.

ولد في شيراز سنة ثلاثين ومائتين وألف للهجرة، (١٨١٥ م)، وشرع بدراسة العلوم العربية والفقه والأُصول.

وتوجّه إلى أصفهان سنة ١٢٤٨ هـ، فقرأ على محمّد تقي بن محمّد رحيم الإيوان كيفي صاحب «حاشية المعالم» مدّة قليلة، وبعد وفاة المذكور في هذه السنة اختصّ بالسيّد حسن بن علي البيد آبادي الأصفهاني المدرّس. وحضر درس الشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي.

ثمّ ارتحل إلى العراق، فورد النجف سنة ١٢٥٩ هـ، واختلف إلى حلقات درس الأعلام:

الشيخ محمّد حسن بن باقر النجفي صاحب «الجواهر» والشيخ حسن بن جعفر كاشف الغطاء، والشيخ مشكور بن محمّد الحولاوي.

ولازم بحث مرجع عصره الشيخ مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري، وانتفع به كثيراً. ونبغ في حياة أُستاذه الأنصاري، وحظي باحترامه وتقديره، وصار يشار إليه بين تلاميذه.

ولمّا توفّي الأنصاري سنة ١٢٨١ هـ أجمع زملاؤه على تقديمه للدرس والصلاة، وأرشدوا الناس إلى الرجوع إليه في التقليد. وأخذت مرجعيته وحلقة درسه تتّسع يوماً فيوماً، على الرغم من توافر أكابر المجتهدين في عصره.

وسافر في سنة ١٢٩١ هـ إلى مدينة سامرّاء، فعزم على الإقامة فيها، ولحق به جمع من العلماء والطلّاب، وشرع في البحث والتدريس.

وبذل جهوداً كبيرة في عمران سامرّاء، فبنى بها مدرسة فخمة، وجسراً، وسوقاً كبيراً، وعدّة بيوت للمجاورين، وغير ذلك.

وأخذت الوفود العلمية والبعثات من سائر الأقطار الإسلامية تترى عليه، وازدهرت الحياة الأدبية في أيّامه، حيث اشتهر بحبّه للشعر وإنشاده، وبإكرامه للشعراء.

وذاع أمر المترجم، وطار صيته، حتّى نال الزعامة الكبرى، وانتهت إليه رئاسة أكثر الإمامية في عصره.

وكان قوي الحافظة، فكوراً، بعيد النظر، حسن التدبير، واسع الصدر، مهتمّاً بشؤون الأُمّة الإسلامية متتبّعاً لأخبارها، وقد أقام في كلّ بلد ممثّلاً عنه.

وكان يباشر الأُمور بنفسه، ويستشير أعلام تلامذته وأهل التدبير في القضايا السياسية.

ولمّا أعطى شاه إيران ناصر الدين القاجاري امتياز التنباك لشركة إنجليزية شاع بين الناس أنّ المترجم أفتى بتحريم التدخين، فترك أغلب أهل إيران التدخين، الأمر الذي اضطرّ الشاه إلى فسخ الامتياز.

وقد تخرّج بالمترجم عدد كبير من العلماء، يعسر عدُّهم، منهم: المحدّث الشهير

حسين النوري، والسيّد إسماعيل الصدر، وحسن بن محمّد مهدي الشاه عبد العظيمي، وفضل الله النوري الطهراني، والسيّد محمّد القشاركي الأصفهاني، ومحمّد حسن بن محمّد صالح كبّة البغدادي، والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، وهادي المازندراني الحائري، والسيّد حسن الصدر، وأبو الفضل بن أبي القاسم الطهراني الكلانتري، وفتح علي السلطان آبادي، والسيّد إبراهيم الدامغاني.

ألّف كتباً ورسائل، منها: كتاب في الطهارة إلى الوضوء، كتاب من أوّل المكاسب إلى آخر المعاملات، حاشية على «نجاة العباد» لأُستاذه صاحب الجواهر (وهي رسالة فتوائية أيضاً)، حاشية على «النخبة» لمحمّد إبراهيم الكلباسي (وهي رسالة فتوائية أيضاً)، رسالة في الرضاع، رسالة في اجتماع الأمر والنهي، رسالة في المشتقّ، تلخيص إفادات أُستاذه الأنصاري.

توفّي في سامرّاء سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، ورثته الشعراء.

ومن أنشطته الإصلاحية مواقفه في التآلف بين الشيعة والسنّة في العراق، فعندما نقل حوزة درسه وسدّة رئاسته الدينية إلى مدينة سامرّاء التي يسكنها أكثرية مسلمة سنّية، وقد عرفت هذه المدينة بعض الشقاق والنزاع الطائفي، وحينما استقرّ فيها الميرزا محمّد حسن الشيرازي حاول بكلّ جهده أن يسوّد روح السلم والتعايش والتآلف بين الشيعة والسنّة، وما إن يحصل شقاق حتّى كان يبادر على الفور إلى تطويقه وحلّه بالحسنى؛ لأنّه كان يعلم جيّداً أنّ القوى الأجنبية الطامعة تتربّص وتتحيّن الفرص لاستغلال أيّ نزاع أو تصارع بين الطوائف الإسلامية في تحقيق غاياتها الاستعمارية وفرض هيمنتها على المسلمين جميعاً، ومن هنا كان يحرص على وحدة الكلمة الإسلامية.

وعندما شرع ببناء مدرسته الدينية العلمية الكبرى في مدينة سامرّاء، وهي من جملة المنشآت التي أقامها في هذه المدينة خلال سنوات إقامته فيها، تشجّع المسلمون السنّة بدورهم لبناء مدرسة دينية لعلمائهم، ولكنّهم لم يتمكّنوا من إتمام بنائها نظراً لأنّهم كانوا يفتقدون المال اللازم لها، ولم يكن أمامهم من حيلة سوى الرجوع إلى السيّد الشيرازي

لطلب مساعدة مالية منه، وعندما التمسوا منه مثل هذه المساعدة قام على الفور بتلبية طلبهم وزوّدهم بمنحة مالية سخية، وكانت هذه اللفتة الكريمة منه عاملاً من عوامل الانسجام والوئام بين سكّان المدينة.

وحصل مرّة أن تشاجر مسلم سنّي مع رجل دين شيعي في سامرّاء واشتدّ النزاع بينهما لتدخّل آخرين في الصراع، ممّا أدّى إلى تفاقم الموقف، ووصل الأمر إلى أنّ بعض الجهّال قاموا برشق بيت السيّد الشيرازي بالحجارة والإساءة اليه، فشاع الخبر في أنحاء البلاد، وكاد أن يتطوّر الموقف إلى نزاع مسلّح وفتنة طائفية عويصة لولا حكمة وتبصّر السيّد الشيرازي وقيامه بتطويق الأزمة وتهدئة الحالة بنفسية الزعيم المسالم والصالح الرؤوف الذي يضع مصلحة الأُمّة والدين فوق كلّ اعتبار، وأرادت جهات أجنبية طامعة أن تستغلّ الموقف لصالحها، ومن هنا قام القنصلان البريطاني والروسي في بغداد بالسفر إلى سامرّاء لإعلان تأييد حكومتيهما للسيّد الشيرازي؛ لكسب ودّه ولتحقيق غاياتهما في النكاية بالحكومة العثمانية، وعندما وصل القنصلان إلى سامرّاء رفض الشيرازي استقبالهما والاجتماع بهما وأبلغهما بالواسطة أن ليس هناك ما يدعو للقلق! لقد حصل شيء ما بين أبنائنا ونحن قادرون على تجاوزه بالحسنى ولسنا بحاجة لمساعدة أحد.

ومن جانب آخر أعلن رؤوساء العشائر العربية القاطنة في منطقة الفرات الأوسط ـ وهي تدين بالمذهب الشيعي ـ تأييدهم للسيّد الشيرازي، وأبلغوه أنّ ثمانين ألف رجل مسلّح مستعدّون لخوض المعركة إلى جانبه، فردّ عليهم السيّد بالقول: «ليست هناك حاجة لذلك، فنحن كفيلون بحلّ ما وقع بين أبنائنا وتجاوزه بالسلم والمصالحة». وبهذه الصورة استطاع السيّد الشيرازي أن يهدّئ الموقف ويحول دون تأزّمه، وأن يسدّ الطريق على المتربّصين الدوائر ضدّ المسلمين ومصالحهم العليا. وعندما علم والي بغداد العثماني بهذا الموقف النبيل للسيّد الشيرازي سافر إلى سامرّاء ومعه كتاب شكر من السلطان العثماني، وحالما وصل إلى سامرّاء استقبله السيّد الشيرازي، وأعرب الوالي شكر حكومته وتقديرها لمساعيه الحميدة في تجنّب البلاد الإسلامية من الوقوع في فتنة طائفية لا تحمد عقباها.

(انظر ترجمته في: تكملة نجوم السماء ٢: ١٤٧ ـ ١٥٣، طرائف المقال ١: ٥٤، الفوائد الرضوية:

٤٨٢ ـ ٤٨٥، الكنى والألقاب ٣: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، معارف الرجال ٢: ٢٣٣ ـ ٢٣٨، أعيان الشيعة ١: ١٤٧، معجم المؤلّفين ٣: ٢٩٢ ـ ٢٩٣، مع رجال الفكر والأدب ٢: ٧٦٩ ـ ٧٧٠، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٩٣ ـ ٣٩٤، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٤٩، خطاب الوحدة الإسلامية: ١٠٩ ـ ١١٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٧٠ ـ ٦٧٣).

محمّد حسنين مخلوف

محمّد حسنين محمّد علي مخلوف العدوي المالكي: أوّل عضو في هيئة كبار العلماء بالأزهر، وأوّل مدير للأزهر، والمفتش الأوّل للمعاهد الدينية، وأحد المصلحين.

نبت في أرومة عريقة في الحسب والنسب ببني عدي إحدى قرى مركز منفلوط بمديرية أسيوط.

ولد في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٧٧ هالموافق ١٨٦١م، وكان والده العلّامة الشيخ حسنين محمّد علي مخلوف من كبار علماء الأزهر. أقام به سنين، ثمّ عاد إلى بلده يعلّم أهلها الفقه والدين وعلوم القرآن، وجدّه لأُمّه العلّامة الشيخ محمّد خضاري أحد أعلام الأزهر في مستهلّ القرن الثالث عشر الهجري.

وفي أوّل فبراير سنة ١٨٩٧م عيّن أميناً لمكتبة الأزهر، وعنى بأمرها كثيراً حتّى تمّ إنشاؤها على نظام بديع. وكانت الصلة وثيقة بينه وبين الأُستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، فكان عضده الأقوى من الأزهريّين في مشروعاته الإصلاحية.

كان أوّل من اختير عضواً في هيئة كبار العلماء بعد صدور قانون الأزهر رقم« ١ » لسنة ١٩٠٨م، ثمّ القانون رقم« ١٠ » لسنة ١٩١١م.

عيّن مفتشاً أوّل للأزهر والمعاهد الدينية، ولم يكن للأزهر عهد بهذه الوظيفة من قبل، فأخذ ينفّذ الإصلاحات والنظم التي سنّها القانون الحديث في الأزهر ومعاهد طنطا ودسوق ودمياط، ثمّ عيّن شيخاً للجامع الأحمدي، فاقترح إنشاء معهد على النظام الحديث، وتمّ ذلك، فوضع أساسه في ١١ فبراير سنة ١٩١١م. وهو أوّل معهد عرفته المعاهد الدينية يدرس فيه الطلّاب في فصول وعلى مقاعد وبنظام مدرسي جامع بين القديم والحديث.

وارتقى المعهد الأحمدي في عهده ارتقاء ضارع به الأزهر، بل فاقه كثيراً.. ثمّ عيّن مديراً للأزهر والمعاهد الدينية في ١٥سبتمبر سنة ١٩١٣م. ولم يكن لهذه الوظيفة وجود في الأزهر من قبل، فقام بتنفيذ قانون المعاهد وبالإصلاح الهامّ فيها، واتّجه في ذلك إلى ترقية التعليم بالوسائل الصحيحة، فلقى من الأزهريّين مقاومة عنيفة، ودسّ له ذوو الأغراض كثيراً من الدسائس، فاعتزل الوظائف الإدارية في عهد السلطان حسين كامل سنة ١٩١٦م.

كان طوال عهده معروفاً بعلوّ النفس، وبعد الهمّة، والجود، والسخاء، وصدق الوفاء، ومساعدة البائسين والفقراء. وكان أبياً لا يعرف الضراعة والخنوع، وقوراً حسن الحديث، يترفّع عن الغيبة وذكر المثالب والتسمّع إليها، ويدعو إلى الفضائل ومكارم الأخلاق، وكان كثير التعبّد وتلاوة القرآن الكريم تلاوة تدبّر وإمعان.

عاد بعد اعتزاله المناصب سيرته الأُولى في الدراسة والتأليف، فعكف عليهما عكوفاً منقطع النظير، وكانت دروسه بعد الغروب غاصّة بالعلماء ومتقدّمي الطلّاب، وقد عنى كثيراً بتدريس أُصول الفقه، فقرأ «جمع الجوامع» مرّتين في أربعة عشر عاماً، وكتب عليه حاشية كبيرة قيّمة تبلغ مجلّدين، لم تطبع للآن. وألّف كتاباً قيّماً سمّاه «بلوغ السول في مدخل علم الأُصول»، عرض فيه للقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وأوضح فيه المنهج الأُصولي والفقهي والخلافي في استنباط الأحكام الشرعية. وكان «تفسير البيضاوي» آخر كتاب يدرّسه للطلّاب، وتوفّي بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٣٦م.

يقول الدكتور علي جمعة محمّد عن المترجم: «وقد حفظ القرآن الكريم بعد وفاة والده، وحفظ المتون، وتلقّى مبادئ العلوم على الأُستاذ الجليل الشيخ حسن الهواري، ثمّ رحل إلى الأزهر فجدّ واجتهد في تلقّي العلوم الأزهرية المعروفة، وسمت همّته إلى كثير من العلوم غير المقرّرة بالأزهر، كالحساب والجبر والمساحة والهيئة والفلسفة. فتلقّى أكثرها على شيخيه الجليلين الشيخ حسن الطويل، والشيخ أحمد أبي خطوة. وقرأها لإخوانه وتلاميذ بالأزهر ومسجد محمّد بك أبي الذهب، وممّا قرأه رسالة بهاء الدين العاملي التي

كتب عليها حاشية طبعت إذ ذاك، وكتاب الجغميني في الهيئة، حيث استفاد منها تلاميذ عديدون: منهم الأعلام: الشيخ محمّد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر، والسيّد محمّد عاشور الصدفي، والشيخ عبد الفتّاح المكّاوي، والشيخ علي إدريس العدوي، والشيخ إبراهيم الجبالي، والشيخ محمّد زيد بك، والشيخ عبد الرازق القاضي بك، والشيخ محمّد عزّ العرب بك، وكثير غيرهم ممّن لا يحصون عداً.

ومن أجلّ شيوخه بالأزهر المشايخ: الطويل، وأبو خطوة، وأحمد الرفاعي الفيّومي المالكي، ومحمّد خاطر العدوي، وحسن داود، ومحمّد عنتر المطيعي، وعرفة، وأُستاذه في الطريق العارف بالله تعالى أبو المعارف الشيخ أحمد شرقاوي الخلوتي المتوفّى سنة ١٩١٦م، وكان أثيراً عنده، ولقبّه أبا الفتوح، وفي ساحته المباركة بدير السعادة من أعمال فرشوط ألّف المترجم كثيراً من رسائله في التوحيد والتصوّف والفلسفة. وقد نال شهادة العالمية من الدرجة الأُولى في ٥ شعبان سنة ١٣٠٥ هـ في أوّل امتحان أجراه الشيخ الإنبابي شيخ الجامع الأزهر إثر تولّيه المشيخة».

(انظر ترجمته في: الأعلام الشرقية ١: ٣٧٦ـ ٣٧٩، الأعلام للزركلي ٦: ٩٦، معجم المؤلّفين ٩: ٢٣١، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٥٠٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٣٠ ـ ٩٣٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١١٣٥ ـ ١١٣٧، موسوعة الأعلام ٤: ١٥٢ ـ ١٥٣).

محمّد حسين البهشتي

البهشتي: من أبرز رجال العلم والفكر والجهاد والسياسة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ولد آية الله الدكتور محمّد حسين الحسيني البهشتي عام ١٩٢٨ م من عائلةٍ دينيةٍ في مدينة أصفهان، وتخرّج من جامعتها، وبعدها توجّه إلى الحوزة العلمية في قم المقدّسة، حيث استفاد من جلسات دروس الأساتذة الكبار هناك في استقاء العلوم الدينية والفلسفية. وحصل على شهادة العلوم الدينية والفلسفة، وحصل أيضاً على شهادة البكالوريوس والدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة طهران. وكان يتقن عدّة لغات عالمية.

بدأ الشهيد نشاطه الثقافي والسياسي منذ عام ١٩٥٠ م، وتابع الاهتمام بتربية الكادر اللازم من أجل الكفاح الفكري والثقافي منذ عام ١٩٥٤ م وحتّى عام ١٩٦١ م. وقد عهدت إليه عضوية مجلس قيادة الثورة من قبل الإمام الخميني ﷺ، وهو أحد مؤسّسي الحزب الجمهوري الإسلامي والأمين العامّ له، وفي سنة ١٩٧٩ م عهدت إليه رئاسة المحكمة العليا للبلاد، كما كان رئيساً لمجلس خبراء صيانة الدستور.

من أهمّ مؤلّفاته: ما هي الصلاة، الله من وجهة نظر القرآن، حديث عاشوراء، حديث الشهر، مراجع الإسلام وعلماؤه ومذهب الشيعة، المعرفة بلغة الفطرة، تفسير القرآن.

استشهد مع كوكبة من أنصار الجمهورية المخلصين عام ١٩٨٢ م في حادث تفجير مروّع.

يعدّ الشهيد المظلوم آية الله السيّد محمّد حسين الحسيني البهشتي الفقيه والعارف والفيلسوف والمتكلّم المبرّز في عصرنا الحاضر من خيرة المفكّرين الذين تبنّوا مشروع التقريب والوحدة الإسلامية باعتباره ضرورة ملحّة لا يمكن تجنّبها، فكان الشهيد فقيهاً لامعاً متفتّحاً بكلّ ما في الكلمة من معنى، وله مواقف خالدة في مواجهة التخلّف الفكري السائد ومعالجته.

لم يكن الشهيد البهشتي ينظر إلى الوحدة الإسلامية باعتبارها منفعةً للمسلمين، بل كان يؤمن بها باعتبارها ضرورةً ملحّة لا بدّ من تحقيقها. واستناداً لهذا الإيمان الراسخ بهذه الضرورة نجده يقيم شبكةً من العلاقات الوديّة الأخويّة الواسعة مع أهل السنّة، وكان يرىٰ أنّ سرّ ديمومة الأُمّة الإسلامية مرهون بإدامة هذه العلاقات، ولم يكن يعتبر ذلك تكتيكاً مرحلياً.

كان الشهيد كثير الاهتمام بالمبادئ الفكرية وآراء فقهاء الفريقين، ويعتبر هذا الاهتمام عاملاً أساسياً في تحقيق التقريب، كما كان ذا اعتقادٍ راسخٍ بأنّ الكثير من الخلافات السائدة بين أتباع المذاهب الإسلامية منشؤها جهلهم بوجهات نظر الآخرين على الأصعدة كافّة، لهذا فإنّ حثّ طلبة العلوم الدينية والباحثين على التعرّف على تعاليم ومعتقدات الفرق

الأُخرى يعتبر من أهمّ أساليب ومتبنّيات الشهيد البهشتي في محاضراته العلمية ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الشهيد بالرغم من تمسّكه الشديد بالقيم والمعتقدات الدينية والمعنوية كان مجرّداً من التعصّب الطائفي الأجوف ؛ إذ كان ﷺ كثير الالتزام بالأُسلوب المنطقي لتلاقح الأفكار وإنارة الأذهان، حتّى لدى احتكاكه ومناقشاته مع الأعداء الحاقدين على الإسلام والمسلمين ؛ لأنّه كان يؤمن إيماناً راسخاً بأنّ الأُسلوب المنطقي المعقول هو الطريق الوحيد لإيصال الأفكار والمعتقدات ، وفي هذا الإطار كانت لقاءاته بعلماء السنّة وفقهائهم مفعمةً بأجواء ودّية وأخوية خالصة ، وكان يولي هذا الأمر اهتماماً بالغاً .

إنّ اختيار الساحة الأُوربيّة كميدان عملٍ مناسبٍ من قبل الشهيد البهشتي كان اختياراً موفّقاً ومدروساً ويدخل ضمن إطار انفتاحه الفكري ، فقد بذل جهوداً حثيثةً في تحقيق الوحدة بين المسلمين خلال الأعوام الخمسة التي أمضاها إماماً للمركز الإسلامي في مدينة « هامبورغ » الألمانية (١٩٦١ م ـ ١٩٦٦ م) . فإنّ أهم إنجازٍ حقّقه الشهيد البهشتي في تلك الفترة هو ترسيخ فكرة كون الوحدة الإسلامية هي العامل الوحيد الذي سيكفل المحافظة على بيضة الإسلام ، وأنّ تحقيق هذه الوحدة أمر ممكن .

وكان ذات مرّة يقول : « عندما توجّهت إلى أُوروبّا بلغني أنّ هناك مؤامرة فكرية محبوكة حاكها المستشرقون الأُوربيّون تستهدف تفسيق الفريقين ، ومن ثمّ تفسيق رجالات صدر الإسلام والصحابة الأجلّاء ؛ ليتوصّلوا بعد ذلك إلى أنّ الشخص الذي يحيط به صحابة فاسقون غير جديرٍ بأن يكون نبيّاً مرسلاً ! فكانوا ينكرون رسالة الرسول الكريم ﷺ ويروّجون لهذه الأفكار » . وأضاف الشهيد البهشتي قائلاً : « لقد عاهدت الله منذ ذلك التاريخ بأنّي سوف لا آلو جهداً في التقريب بين المذاهب الإسلامية حتّى إحباط هذه المؤامرة الدنيئة » .

وقد أوفىٰ الشهيد بعهده الذي قطعه لله ونذر عمره الكريم في هذا الطريق المقدّس .

وإضافة لجهوده الفكرية الحثيثة كان الشهيد ذا علاقاتٍ وطيدةٍ وواسعةٍ مع أهل السنّة ، والتزم بهذا الأُسلوب في أُوروبّا وإيران حتّى بلغ بالعناصر الحاقدة والمتخلّفة فكريّاً أن

توجّه إليه سيلاً من التهم الجائرة، فكان من الشهيد المظلوم أن يغضّ الطرف عن كلّ هذه التهم ويواصل الطريق الذي عاهد الله عليه.

قال السيّد البهشتي في خطبةٍ له يوم القدس: «إنّ مراسم يوم القدس هي في الحقيقة إحياء لالتزامنا جميعاً نحن المسلمين تجاه تحرير القدس الأرض الربّانية».

إنّ المادّة الحادية عشرة من دستور الجمهورية الإسلامية التي تنصّ ـ وذلك استناداً للآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢) ـ على أنّ المسلمين أُمّة واحدة (وعلى الجمهورية الإسلامية أن تبذل كلّ جهدها السياسي لتوحيد الشعوب الإسلامية سياسياً واقتصادياً وثقافياً)، التقت معها أفكار الشهيد المظلوم في مجال الوحدة الإسلامية، وقد كان الشهيد البهشتي رئيساً لمجلس خبراء دستور الجمهورية الإسلامية، وقد جاءت هذه المادّة بالغة الأهمّية في تحقيق التقريب والوحدة ثمرة من شعار الجهود السخية التي بذلها من أجل تحقيق الوحدة العملية للأُمّة الإسلامية.

(انظر ترجمته في: الأصابع الخفية ٢: ٨١ ـ ٨٨، تتمّة الأعلام ٢: ١٣٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٠٢ ـ ١٠٥).

محمّد حسين الطباطبائي

محمّد حسين بن محمّد بن محمّد حسين الطباطبائي: عالم إمامي شهير، ومفسّر بارع، وفيلسوف كبير.

ولد سنة ١٩١٢م بمدينة تبريز، فنشأ على أفاضل أُسرته، وتعلّم مقدّمات العلوم في مسقط رأسه، ثمّ انتقل إلى النجف الأشرف لاستكمال دروسه ومعارفه، فحضر عند أكابر العلماء، كالشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين النائيني، ودرس الرجال عند الحجّة الكوهكمري، والفلسفة على السيّد حسين البادكوبي، والرياضيات العالية على السيّد أبي القاسم الخوانساري. ومن بعد ذلك رجع إلى تبريز ماكثاً فيها عشرة أعوام، ثمّ انتقل إلى قم، فاشتغل فيها بالتدريس، حتّى غدا علماً يشار إليه بالبنان في علمي التفسير والفلسفة، إضافة إلى تبحّره في الفقه والأُصول والرجال، وقد أقبل عليه المستشرقون من

خارج إيران فضلاً عن الطلّاب.

توفّي عام ١٩٨٢م، ودفن في مقام السيّدة فاطمة المعصومة بمدينة قم.

من جملة تصانيفه: أُسس الفلسفة والمذهب الواقعي، بداية الحكمة، نهاية الحكمة، رسالة الولاية، الشيعة في الإسلام، سنن النبي ﷺ، علي والفلسفة الإلهية، المرأة في الإسلام، نظرية السياسة والحكم في الإسلام، مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي، محمّد ﷺ في مرآة الإسلام، برهان، الميزان في تفسير القرآن، القرآن في الإسلام، رسالة في الصفات، رسالة في القوّة والفعل، رسالة في إثبات الذات، رسالة في الأفعال، رسالة في الوسائط، الإنسان قبل الدنيا، الإنسان في الدنيا، الإنسان بعد الدنيا، رسالة في التحليل، رسالة في التركيب، تعليقة على كفاية الأُصول، تعليقة على الأسفار، الوحي، رسالة في الحكومة الإسلامية، رسالة في الإعجاز، رسالة في المغالطة، رسالة في الاعتباريات، رسالة في أنساب السادات الطباطبائيّين في آذربيجان.

وللسيّد الطباطبائي أفكار إصلاحية كثيرة يجدها الباحث متناثرة في مواضيع من كتابه «الميزان في تفسير القرآن».

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٩: ٢٥٤ ـ ٢٥٦، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ٩٦٥ ـ ٩٦٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٦٢ ـ ٥٦٣، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، المفسّرون للأيازي: ٧٠٣ ـ ٧١١، تتمة الأعلام ٣: ٢٤١، إتمام الأعلام: ٣٥٣، تذكرة الأعيان: ٤٣١ ـ ٤٥٧).

محمّد حسين فضل الله

محمّد حسين فضل الله: أحد مشاهير العلماء، وداعية كبير من دعاة التقريب.

ولد السيّد محمّد حسين بن عبدالرؤوف بن نجيب الدين بن محيي الدين فضل الله الحسني العاملي في النجف الأشرف سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)، ودرس في الكتاتيب، ثمّ في مدرسة دينية أنشأتها جمعية منتدىٰ النشر على الطريقة الحديثة. ثمّ انتقل إلى الحوزة عام ١٣٦٣ هـ، وأكمل المقدّمات والسطوح على والده وبعض الأساتذة كالشيخ صدرا البادكوبي والسيّد محمّد الروحاني، وبعد ذلك درس البحث الخارج على: السيّد الخوئي، والسيّد

محسن الحكيم، والسيّد محمود الشاهرودي، والشيخ حسين الحلّي. كما درس شيئاً من الفلسفة على الشيخ ملّا صدرا البادكوبي، واستمرّ في الحوزة تعلّماً وتعليماً حتّىٰ عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٦ م)، حيث نال قسطاً وافراً من العلم على صغر سنّه، وكان نابه الفكر حادّ الذكاء، نظم الشعر وأجاد فيه، وعاد إلى لبنان واستقرّ في «النبعة» من ضواحي بيروت، وقام بتأسيس المعهد الشرعي الإسلامي في لبنان لتدريس العلوم الدينية، وله نشاطات مرجعية وسياسية واجتماعية واسعة.

من مؤلّفاته: من وحي القرآن، الدين بين الأخلاق والقانون، الإسلام ومنطق القوّة، مفاهيم إسلامية عامّة، رسالة التآخي، من أجل الإسلام، بحوث في الوحدة الإسلامية، على شاطئ الوجدان، في آفاق الحوار الإسلامي ـ المسيحي، المسائل الفقهية، دليل المناسك، رؤى ومواقف، الحوار في القرآن، تأمّلات في آفاق الإمام الكاظم، خطوات على طريق الإسلام، المشروع الحضاري الإسلامي، والاجتهاد وحركة التطوّر، يا ظلام الإسلام، دنيا الشباب، أُحد وحُنين والخندق، دور المرأة السياسي، قضايانا على ضوء الإسلام.

توفّاه الله تعالىٰ في أوائل شهر تمّوز سنة ٢٠١٠ م، ودفن في بيروت.

وللسيّد نشاطات تقريبية كبيرة، حيث جاهد بالقلم واللسان في هذا المجال، وهو أحد أعضاء الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

من أقواله في هذا المجال: «إنّنا نعتقد على الرغم من كلّ ضجيج الخلافات والمقولات المحبطة التي نرى آثارها في الواقع المحيط بنا أنّ الأُمّة تتقدّم نحو هدفها، وستصل إليه إن شاء الله تعالى رغم وعيها أنّ العقبات لن تكون بسيطة وسهلة، وأنّ ما يضجّ به هذا الواقع هو نتيجة مئات السنين من الصراع، وما أنتج من أحقاد وضغائن ومن عدم نضج في التعامل مع الاختلاف، ومن جهل السبيل الأمثل لعلاجه، واستمرار سعي البعض إلى إعادة عقارب الزمن إلى ما وراء الوحدة والتآلف والودّ... لذلك تحتاج الأُمّة إلى مزيد من الوقت كي تستطيع أن تخطو خطوات واسعة باتّجاه الغايات المنشودة.

من هذا المنطلق لا بدّ من التقدير الكبير للمبادرات التي تقوم بها الدول والحكومات

والتجمّعات العلمائية والمؤسّسات والمرجعيات الدينية والشخصيات الوحدوية من أجل تعزيز الوحدة الإسلامية والتقريب بين مذاهبها، وأن نؤكّد من خلالها على جدوائية هذا العمل والتحرّك، وعلى إمكانية تطبيق هذا الفكر في كلّ الواقع، خصوصاً أنّ الرصيد الفكري لخطّ الوحدة لا يستهان به، فضلاً عن هذه الوجوه والطاقات الحاضرة والفاعلة هنا وهناك، ناهيك عن المصالح الكبيرة التي ستعبّر عنها حالات التقريب والوحدة في هذا المجال أو ذاك... إنّنا ندعو إلى دراسة التجارب الإسلامية الوحدوية ونقلها إلى المواقع المختلفة في العالم الإسلامي الذي يراد له أن تلتهب فيه الفتن المذهبية والطائفية والسياسية، سيّما وأنّ هناك أكثر من تجربة ناجحة نعتزّ بأهمّيتها في لبنان ومصر وإيران والعراق وغير ذلك من بلدان العالم الإسلامي... كلّ هذا لا يعني الاستكانة لكلّ هذه الآمال ولا التجارب والنجاحات المتحقّقة؛ إذ لا بدّ من العمل الحثيث لفتح كلّ النوافذ التي لا تزال نصف مفتوحة أو مغلقة، وأن نستمرّ في السعي إلى فتحها أمام اللقاء والحوار والتلاقي، كي لا تستمرّ مسيرة التمزّق وسياسة الاختلاف التي تحكم واقعنا.

وكم هو حريٌّ بنا أن نقتدي بمسيرة رسول الله ﷺ وسيرته؛ لنعيش معه الحرص الكبير على الوحدة، وعلى استنفار الطاقات والتدخّل السريع عندما كانت تنطلق الأحداث لتهزّ وحدة المسلمين... إنّ حجم التحدّيات التي لا تزال تواجه الوحدة الإسلامية تفرض البقاء في الساحة لمعالجة كلّ الثغرات التي يستفيد منها الساعون لهزّها وكلّ ما يستحدث من أجواء تسيء إلى هذه الوحدة وإلى التقريب بين كلّ تنوّعات الواقع الإسلامي، وهذا ما يحتاج إلى استنفار دائم... استنفار كلّ الواعين في المساحة، وعدم ترك الأُمور تتفاعل وتتضخّم لتوسّع الشرخ بين المسلمين وتعمّق جراحهم، كالذي يحدث في العراق، أو في لبنان، أو بين إيران والمحيطين بها، أو في ما يثار من الأفكار الخلافية الملتهبة والتي لا تطرح في الإطار العلمي، وغير ذلك من القضايا التي لا يوجد من يتعامل معها بمسؤولية تساهم في تبريد الأجواء وتخفيف التوتّر وتمهيد الطريق لاستعادة الوحدة... وهذه المسؤولية جعلها القرآن همّاً دائماً للمسلمين عندما قال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات: ٩ ـ ١٠). لذلك نعتقد أنّنا بحاجة في هذه المرحلة إلى النظر بجدّية إلى عدّة من العقبات التي تنتصب أمام مسيرة وحدة المسلمين».

(انظر ترجمته في: شعراء الغري ٨: ٣٠٦ ـ ٣٣١، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٩٤٣، ملحق موسوعة السياسة: ٥٥٨ ـ ٥٥٩، فقهاء ومناهج: ٢٠١ ـ ٢١٨، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٦٣ ـ ٥٦٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٦٢، المفسّرون للأيازي: ٧٥٣ ـ ٧٦١، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٤١٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٠٥ ـ ١٠٧).

محمّد الحسين كاشف الغطاء

محمّد الحسين كاشف الغطاء: مرجع دين شهير، ورائد من روّاد التقريب، ومصلح كبير، ومؤلّف مكثر، وأديب متمكّن.

ولد الشيخ محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسىٰ بن جعفر المالكي النجفي آل كاشف الغطاء في النجف الأشرف عام ١٨٧٦ م، ونشأ وترعرع في كنف أُسرة تعدّ من ألمع الأُسر العلمية والأدبية في العراق، وتتلمذ في الفقه والأُصول على مجموعة من الفطاحل، كالسيّد محمّد كاظم اليزدي، والشيخ رضا الهمداني، والميرزا الشيرازي، والآخوند الخراساني، وغيرهم. كما تتلمذ على يديه الكثير من الفضلاء، كالشيخ كاظم موسى كاشف الغطاء، والشيخ محمّد جواد مغنيّة، والشيخ محمّد تقي الفقيه، والسيّد محمّد رضا شرف الدين، والشيخ مهدي صحين الساعدي.

جال في الأقطار الإسلامية، واتّصل بكبار العلماء وقادة الفكر. وألقىٰ المحاضرات والخطب الملهبة داعياً المسلمين إلى الوفاق وإعمال اليقظة والنهوض.

وساهم بشكل فعّال في المؤتمرات الإسلامية المهمّة، وساند الحركات التحرّرية، وكتب في أُمّهات الصحف العربية بحوثاً قيّمة وقصائد متينة.

كان مضرب المثل في الخلق الرفيع، والسلوك الاجتماعي الرزين، والقدرة العلمية الفائقة، والحنكة السياسية المميّزة، والذوق الشعري الممتاز.

من مؤلّفاته: تحرير المجلّة، الدين والإسلام، دائرة المعارف العليا، المراجعات الريحانية، تنقيح الأُصول، عقود حياتي، حاشية العروة الوثقىٰ، جنّة المأوى، الآيات البيّنات، الوجيزة، أصل الشيعة وأُصولها، النفحات العنبرية، حاشية على التبصرة، الفردوس الأعلىٰ، عين الميزان، ديوان شعر، حاشية على الأسفار، حاشية على الكفاية.

توفّي عام ١٩٥٤ م، ودفن في وادي السلام بالنجف الأشرف.

وقد دعا الشيخ كاشف الغطاء إلى الوحدة، وبارك وأثنى على كلّ خطوة تدعو إلى الاتّحاد والتقريب، وطلب من العلماء والمفكّرين والمثقّفين أن يبحثوا بحثاً موضوعياً في الوحدة بعيداً عن جميع التراكمات التي خلقتها الفرقة المذهبية، وقام بنفسه الشريفة بالسفر إلى عدّة بلدان عربية وإسلامية في سبيل هذا الهدف، فخفّف من النزعات اللاإنسانية، وعرّف الأُمّة بحقيقة الإسلام بعيداً عن المنحى الطائفي والتعصّب العرقي والمذهبي، وندب إلى الوحدة الأخلاقية والإيمانية ووحدة الإخاء والمودّة، ودعا إلى بذل الجهد في هذا المجال وأن لا يُقتصر على المقولات والآمال فقط، بل يُترجم ذلك إلى واقع عملي ملموس، وحذّر المسلمين من حيتان الغرب وأفاعي الاستعمار كما كان يسمّيها. ومن أجمل كلماته في هذا المجال قوله: «إنّ الإسلام بُني على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، فإذا لم تتوحّد الكلمة ـ يا أيّها المسلمون ـ فعلى الإسلام السلام!».

يمثّل الإمام كاشف الغطاء الحركة الهادفة والمعطاءة من أجل تثبيت دعائم الإسلام وتركيز مفاهيمه في قلوب الناس، وكان يعتصر قلبه ألماً وحرقة لما يعاني منه المسلمون من الفرقة والتناحر والابتعاد عن الإسلام. ولم تكن تحرّكاته في نشر مفاهيم الإسلام والدعوة إلى الله مقتصرة على النجف الأشرف، بل امتدّت إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي، كما كان يتّصل برؤساء الدول والسياسيّين، ويزرع في نفوسهم روح الخير والفضيلة، والتأكيد على دور الإسلام في توحيد الصفوف ونبذ الخلاف والفرقة.

لقد كان للإمام آل كاشف الغطاء حضور واسع وفعّال في الساحة السياسية، حيث عرف أنّه كان متتبّعاً لجميع الأحداث التي مرّت على المسلمين من خلال مواقفه وكتاباته وأسفاره.. فيرى أنّ تدهور حياة الأُمم وانحلال هيكليتها وتماسكها سببه الاستعمار، فهو يعمل على تمزيق الأُمّة وتشتتها؛ لتسهل سيطرته عليها، وهذا العمل ـ وذلك في رأيه ـ يقع ضمن دائرتين، هما:

١ ـ الإفساد الخلقي: فقد أكّد على أنّ السبب الرئيسي للفساد الخلقي في بلاد المسلمين يعود إلى الاستعمار، لذا نجده يقول: «أفسدوا أخلاق كلّ قطر من الأقطار، وسلبوا كلّ عزّة وكرامة ونبل وشهامة...».

٢ ـ زرع الاضطرابات والفتن داخل كلّ بلد مستعمر، ويقول بهذا الصدد: «وهكذا الدول الاستعمارية تصنع معنا ـ معاشر المسلمين ـ إذا اشتكينا إليهم يضربون بعضنا ببعض، ويلقون بأسنا بيننا، ثمّ يسلّطون اليهود علينا...».

وقد أشار الشيخ المجاهد إلى المساعدات الحربية للاستعمار والتي تعتبر الأدوات لاقتتال الأُخوة بقوله: «إنّ أمريكا تبذل الأسلحة الفتّاكة لإسرائيل نقداً ولا وعداً، تدفعها بلا قيد ولا شرط بأن لا ولو تقاتل بها العرب، بل على أن تقاتل بها العرب. أمّا العرب فتبذل لهم الأسلحة الرمزية العاطلة وعداً لا نقداً، وبشرط أن لا تقاتل بها إسرائيل»، ويضيف قائلاً: «ما أدري، إذا لم نقاتل بها إسرائيل فمن نقاتل؟! وأيّ عدوّ لنا أمرّ وأدهى من إسرائيل؟! ومن خلق وأنشأ دولة إسرائيل؟! نعم، تقول أمريكا بلسان الحال الذي هو أبلغ من لسان المقال: أُعطيكم السلاح على أن يقاتل بعضكم بعضاً حتّى تهلكوا جميعاً!».

وقد نبّه الشيخ الأُمّة الإسلاميّة على ضرورة الاستقلال وعدم الميل للشرق أو الغرب، حيث يقول: «فلسنا مع اليمين ولا مع اليسار، بل جعلنا الله «أُمّة وسطاً» شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، وهذا من أهداف الإسلام ومثله العليا».

كما يشير الإمام كاشف الغطاء إلى ثلاثة شياطين أو عفاريت ـ حسب تعبيره ـ تكيد للإسلام والمسلمين وتخطّط لإمرار مشاريعها المنحرفة، وهذه الشياطين هي: الشيوعية،

والصهيونية، والاستعمار.

يصرّح الشيخ المجاهد بأنّ اختلاف كلمة المسلمين وعدم توحّدهم هو السبب الرئيسي لتدهورهم على مرّ العصور، ويستشهد بالأمثلة التاريخية التالية:

١ ـ سبب حدوث الحرب الصليبية.

٢ ـ غلبة المغول والتتر على الممالك الإسلامية.

٣ ـ الاستعمار الأوروبّي للبلاد الإسلامية.

٤ ـ «إنّ اختلاف دول العرب هو الذي أدّى إلى الكارثة، ولا يتمكّن العرب من إيقاف نمو إسرائيل أو القضاء عليها إلّا بتضامنهم واتّحادهم...».

ويلفت الشيخ أنظار المسلمين إلى سرّ انتصار المسلمين بوحدتهم وتكاتفهم، فيقول: «عرفنا أنّ الداء العضال والمرض القتّال إنّما هو التفرقة الناشئة من توغّل الأنانيات، والعصبيات الباعثة على التفاخر، ثمّ التنافر، فالتقاطع، فالتدابر، فدكّ العنصريات، وسحق القوميات، واستهلاك العصبيات. فصرّح الوحي على لسان الرسول الكريم ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّـهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣)، ثمّ زاد وأوضح البيان: «الناس كلّهم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلّا بالتقوى»، «ليس منّا من دعا إلى عصبية»، يعني: لا فخر بعجمية، ولا عربية، ولا هندية، ولا تركية، وإنّما الفخر بالعمل الصالح والمزايا الطيّبة، فالعصبية والأنانية هي كلّ الداء، والاعتماد على الفضيلة هو منتهى الدواء. لقد كان الرسول ﷺ ينادي في كلّ ملأ ومجتمع: «أما والذي نفس محمّد بيده، إنّكم لن تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتّى تجتمعوا، ولن تجتمعوا حتّى تتحابّوا»، ثمّ مضى على ذلك صحبه الكرام، فساروا على خطّه ومنهجه واحداً بعد واحد، فكانوا إخواناً على صفاء... حتّى خاضوا البحار وملكوا الأقطار، وهم أعراب بادية، لا درس ولا مدرسة، ولا كتاب ولا مكتبة! وبنفس المضمون يقول الإمام علي عليه السلام: «إيّاكم والفرقة، فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان

تحت عمامتي هذه»، ويعني بهذا الشعار: شعار التفرقة.

يرى الإمام كاشف الغطاء أنّ هناك أُفقاً أوسع للوحدة، يشمل الوحدة بين المسلمين وغيرهم من الكتابيّين، حيث يقول: «وحدة الإيمان تدعو إلى وحدة اللسان، ووحدة اللسان واللغة رابطة، والرابطة إخاء، وأُخوّة الأدب فوق أُخوّة النسب، وهي التي توحّد العناصر المختلفة والمذاهب المغايرة، فالنصراني واليهودي والمجوسي والصابئي الذين يخدمون لغتنا وثقافتنا، ويسالموننا ويواسوننا في السرّاء والضرّاء، ولا يساعدون الأعداء علينا، ويحامون عن أوطاننا، هم إخوان المسلمين، وداخلون في ذمّتهم، ويلزمهم حمايتهم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وتجمعنا معهم الوحدة القومية، والقرآن الكريم ينادي ويشهد بذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الممتحنة: ٨)، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٧). وينطلق الإمام كاشف الغطاء في ذلك إلى وحدة اللسان، ووحدة اللغة، ووحدة الإيمان بالله، حتّى لو كانوا يدينون بدين آخر، ينطلق بذلك من الرواية المأثورة عن الإمام علي عليه السلام في شأن النصراني، حيث تذكر الرواية: أنّه عليه السلام مرّ بشيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين: «ما هذا؟» فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنّه نصراني، فقال الإمام: «استعملتموه، حتّى إذا كبر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال».

أمّا بخصوص مسألة تعميق الإيجابيات في الأُمّة فنلاحظ في سيرة كاشف الغطاء ما يأتي:

١ ـ التركيز على تطوير وجود المرجعية، وتجذيرها في الأُمّة من خلال أداء دورها العملي والحقيقي الكامل.

٢ ـ التركيز على نشر مفاهيم الإسلام وأحكامه في أوساط الجماهير الإسلامية، وتوضيح المواقف من الأحداث الجارية في الساحة باعتباره متصدّياً للمرجعية آنئذٍ.

٣ ـ التركيز على الجانب العلمي والابتعاد عن إثارة الشعارات المجرّدة والأفكار

النظرية .. لذا نجد أنّ بعض ممارساته قد وصلت إلى مرحلة الصراع المسلّح والسياسي، وذلك من خلال مشاركته في الحرب العالمية الأُولى إلى جانب الدولة العثمانية آنذاك ضدّ الدول المستعمرة والكافرة كبريطانيا، وكذلك مشاركته في ثورة النجف ضدّ القوّات البريطانية، بالإضافة إلى تأييده لحركة مايس عام ١٩٤١م ضدّ الإنجليز.

٤ ـ الملاحظ في حياته سعة تحرّكه السياسي خارج العراق بشكل هادف، حيث قام بزيارة مختلف البلدان الإسلامية باتّجاه تعميق الأهداف الإسلامية، وذلك لشعوره بأنّ العالم الإسلامي وحدة متّصلة متداخلة وأنّ موقعه القيادي لا يعرف الحدود التي صنعها الاستعمار، فقام بزيارة المراكز المهمّة والحسّاسة في الصراع السياسي، وكانت زياراته من أوّليات اهتماماته، فقد زار كلّاً من: الجزيرة العربية، وبلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين)، ومصر، وإيران، وباكستان، واتّصل بأهل الحلّ والعقد، ورفض النظرية القائلة بضرورة ابتعاد رجل الدين عن السياسة .. ولعل أوّل باب فتحه خارج النجف الأشرف كان عن طريق المراسلات التي جرت بينه وبين الأديب أمين الريحاني.

٥ ـ الاهتمام بأُسلوب الكتابة والتأليف، حيث نهج فيه نهجاً يختلف عمّا تعارف عليه العلماء الذين سبقوه، فلم يقتصر في كتاباته على البحوث الفقهية والأُصولية، بل توجّه في تحرّكاته ونشاطاته العلمية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية إلى معالجة قضايا الأُمّة المعاصرة.

كما حذّر الشيخ المجاهد من خطر التبشير على الأُمّة الإسلامية، وله كتاب قيّم بهذا الصدد موسوم بـ«التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح» يردّ به ردّاً علمياً دقيقاً وشاملاً على المبشّرين، وكان يفتتح خطاب التحذير بجمل من قبيل: «أيّها المسلم، إذا وسوس لك المبشّر بأباطيله، ودعاك إلى الإيمان بأناجيله، ودفع لك المنشورات والجزوات من أضاليله، فارمها تحت قدميك، وقل له: أتدعوني إلى الإيمان بالكتب المشحونة بالأكاذيب؟!».

ولم يقصد الإمام التهجّم على المسيحيّين، فهو يحترمهم بحكم احترام الإسلام لأهل

الكتاب ، ولكنّه الدفاع عن النفس والواجب الشرعي .

وكما يحذّر الشيخ كاشف الغطاء الدول الإسلامية من توقيع المعاهدات مع الدول الاستعمارية والدخول في أحلاف معها ، فإنّه في الوقت نفسه يؤكّد على أنّ سموّ الأُمّة الإسلامية ورفعتها هو في وحدتها ، وبهذا الصدد يقول : « ولو أنّ هذه الشعوب والممالك أخلصت لله نيّتها ، وأحكمت وحدتها ، ووحّدت كلمتها ، وسحقت الأطماع وسياسة الخداع ما بينها ، عارفة حقّ اليقين أنّ مصارع العقول تحت بروق المطامع ، وأنّ الاتّحاد قوّة ، والاجتماع ثروة ... » .

وعلى صعيد آخر يقول الشيخ : « نعم ، من الواجب واللازم إنشاء حلف صادق بين الدول العربية والإسلامية ، مشروط بعدم دخول دول الاستعمار فيه » .

لقد كان الشيخ كثيراً ما يؤكّد على أهمّية الاتّحاد بين الجمهور والإمامية تحت لواء الإسلام ومبادئه الأساسية الحقّة ، وللشيخ رسالة صغيرة سمّاها : « كيف يتّحد المسلمون ؟ » بيّن فيها أفكاراً مهمّة لتوحيد المسلمين ، منها : وحدة أبناء التوحيد تحت شعار : « لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله » ، والاتّحاد من خلال العمل .

وقد أرسل الإمام كاشف الغطاء رسالة لدار التقريب مشجّعاً فيها فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وفيها يقول : « فضيلة العالم الجليل الشيخ محمود شلتوت (أيّده الله) : اطّلعت على كلمة لكم في بعض الصحف كان فيها لله رضى وللأُمّة صلاح ، فحمدناه تعالى على أن جعل في هذه الأُمّة وفي هذا العصر من يجمع شمل الأُمّة ، ويوحّد الكلمة ، ويفهم حقيقة الدين ، ويزيد الإسلام لأهله بركة وسلاماً ، وما برحنا منذ خمسين عاماً نسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الإسلامية وندعو إلى وحدة أهل التوحيد ... » .

كما يقول : « ودبّت في نفوس المسلمين تلك الروح الطاهرة ، وصار يتقارب بعضهم مع بعض ، ويتعرّف فريق لفريق ، وكان أوّل بزوغ لشمس تلك الحقيقة ونمو لبذر تلك الفكرة ما حدث بين المسلمين قبل بضعة أعوام في المؤتمر الإسلامي العامّ في القدس الشريف من اجتماع ثلّة من كبار المسلمين وتداولهم في الشؤون الإسلامية ... » .

وقد طلب الشيخ من المفكّرين والعلماء، والمثقّفين أن يبحثوا بحثاً علمياً موضوعياً بعيداً عن كلّ التراكمات والخلفيات النفسية التي خلقتها الفرقة المذهبية. كما طلب منهم أن يعملوا بكلّ جدّ وإخلاص على تهدئة الجوانب العاطفية المتأجّجة في المجال الشعبي التي تقف أمام الخلافات بحدّة، وأن يوضّحوا للأُمّة بأنّ الخلافات ما هي إلّا اجتهادات اقتنع بها كلّ مجتهد من خلال اجتهاده، والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب، ولا تكون الخلافات في الرأي مصدر تضليل، ولا هي العقدة، فهناك أكثر من رأي يتبنّاه الناس في هذه الدائرة الأُخرى من دون أن يشعروا بالعقدة، فذلك عندنا في الدوائر الإسلامية وفي دوائر المذهب السنّي أو الشيعي».

وأخيراً هاك ـ عزيزي القارئ ـ مقتطفات من أقواله وكلماته في الوحدة والتوحيد:

* إنّ الاتّفاق والاتّحاد ليس من مقولة الأقوال، ولا من عالم الوهم والخيال، ويستحيل أن توجد حقيقة الاتّفاق والوحدة في أُمّة ما لم يقع التناصف والعدل بينها بإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، والمساواة في الأعمال والمنافع، وعدم استئثار فريق على آخر.

* قد بني الإسلام على دعامتين: توحيد الكلمة، وكلمة التوحيد.. توحيد الخالق، وتوحيد بين الخلائق. وحرام وأفظع من كلّ حرام أن يحارب المسلم أخاه المسلم من أيّ عنصر كان ومن أيّ بلاد يكون.

* إنّ العناصر المختلفة والشعوب المتفرّقة من: إيراني أو تركي أو هندي أو صيني أو غيرهم إذا دانوا بدين الإسلام، وحافظوا على لغة القرآن والحديث، فهم إخواننا بجامعة الإسلام، بل وبالوحدة القومية بمعناها الواسع. كما أنّ الواجب الأكيد على جميع المسلمين أن يلتفّوا حول راية الإسلام، ويكونوا قلباً واحداً ويداً واحدةً، ولا يتركوا مجالاً للحزازات الطائفية والمذهبية في نفوسهم.

* أما آن لهذه الحكومات والشعوب أن تستيقظ من رقدتها، و تنشر من موتتها، وتتدارك أمرها؟! أما أيقنت وأذعنت أنّ هذا الاستعمار الأعمى الظالم بل المجنون العارم يستحيل التخلّص منه إلّا بالاتّحاد العميق والاتّفاق الوثيق؟!

* تربط الأُمّة الإسلامية ثلاث أواصر: إله واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة.

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ٢: ٢٧٢ـ ٢٧٦، ريحانة الأدب ٣: ٣٤٣، نقباء البشر ٢: ٦١٢ـ ٦١٩، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٦٤٩، الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٠٤ ـ ٢١٠، شعراء الغري ٨: ٩٩ ـ ١٨٣، معجم مؤلّفي الشيعة: ٣٣٩، أدب الطفّ ١٠: ٤٦ ـ ٦١، الأعلام للزركلي ٦: ١٠٦ـ ١٠٧، معجم المؤلّفين ٩: ٢٥٠، موسوعة النجف الأشرف ١١: ٣٠٣ـ ٣٠٤، موسوعة العتبات المقدّسة ٦: ١٨١ـ ١٨٢ و ٢١٠ و ٣٢٤، هكذا عرفتهم ١: ٢٢٧ـ ٢٥٢، دائرة المعارف الشيعية العامّة ١٦: ٣٣٠ـ ٣٣١، معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيّين ٧: ١٦٢، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث: ١١٠ ـ ١١٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٠٢ ـ ٤٠٣، معجم الأُدباء للجبوري ٥: ٢٥٣ ـ ٢٥٤، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٤٢٢ ـ ٤٢٤، موسوعة أعلام العرب ١: ٤٥٦ـ ٤٥٨، مخزن المعاني: ٣٣٣، كفاح علماء الإسلام: ١٨٩ ـ ١٩٤، أساطين المرجعية العليا: ١٧٣ ـ ٢٦٢، معجم مؤرّخي الشيعة ٢: ١٧٧ ـ ١٧٨، فهرس التراث ٢: ٤١٣ـ ٤١٧، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٨٣ـ ٦٨٦، رجالات التقريب: ٣٣٧ـ ٣٥٢، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٠١ـ ١٠٢).

محمّد حسين النائيني

محمّد حسين بن عبد الرحيم بن محمّد سعيد بن عبد الرحيم النائيني المنوتشهري النجفي: من أعلام الإمامية، وأحد المصلحين وكبار مراجع التقليد والفتيا.

ولد في بلدة نائين (من توابع يزد) سنة سبع وسبعين ومائتين وألف للهجرة، وتعلّم بها. وواصل دراسته في أصفهان متتلمذاً على: محمّد باقر بن محمّد تقي الأصفهاني، وأبي المعالي الكلباسي، ومحمّد تقي المعروف بآقا نجفي، ومحمّد حسن الهزارجريبي الشهير بالنجفي، وجهانكير خان القشقائي.

وقصد العراق، فهبط سامرّاء سنة ١٣٠٣ هـ، واختلف فيها إلى حلقات بحث الأعلام: المجدّد السيّد محمّد حسن الشيرازي، والسيّد محمّد الفشاركي الأصفهاني، والسيّد إسماعيل بن صدر الدين الصدر. وأخذ التفسير والحديث عن: فتح علي الكنابادي، والميرزا حسين النوري.

وانتقل إلى كربلاء سنة ١٣١٤ هـ بعد وفاة المجدّد الشيرازي بصحبة أُستاذه السيّد الصدر، ولازمه عدّة سنين. ثمّ قطن النجف، فاتّصل بالفقيه الشهير الشيخ محمّد كاظم الخراساني (المتوفّى سنة ١٣٢٩ هـ)، وآزره في مهمّاته الدينية والسياسية، وأيّده في موقفه الداعم للحركة الدستورية في إيران (المشروطة)، وصار من أعضاء مجلس الفتيا الذي كان يعقد برئاسة الخراساني للبحث في المسائل المشكلة، حتّى لقّب النائيني بـ«كواكبي الشيعة»؛ لآرائه الإصلاحية وكفاحه السياسي، قيل: كان هو الآمر بترجمة كتاب المفكّر الإسلامي عبد الرحمان الكواكبي «طبائع الاستبداد» إلى اللغة الفارسية سنة ١٩٠٧ م بقلم تلميذه الشيخ حسين الحلّي.

واستقلّ بعد وفاة الخراساني بالبحث والتدريس، فأبدى مقدرة وكفاءة عالية.

وذاع صيته بعد وفاة المرجعين الكبيرين: الميرزا محمّد تقي الشيرازي (١٣٣٨ هـ) وشيخ الشريعة الأصفهاني (١٣٣٩ هـ)، واتّجهت أنظار المقلّدين إليه وإلى السيّد أبي الحسن الأصفهاني حتّى استقامت لهما الرئاسة العلمية في العراق، بل انحصرت فيهما على ما قيل.

ولمّا وقع العراق تحت سيطرة الإنجليز بعد الحرب العالمية الأُولى، وأُقيم الملك فيصل ملكاً على العراق، وأرادوا تشكيل مجلس تأسيسي، دعا المترجم مع سائر كبار الفقهاء إلى مقاطعة انتخابات المجلس وإزالة أيّة سلطة أجنبية عن الحكومة العراقية، ممّا حدا بالحكومة إلى إبعاده إلى إيران في أواخر سنة ١٣٤١ هـ، فأقام في قم مدّة، تصدّى خلالها للبحث والتدريس، ثمّ عاد إلى العراق.

وكان الميرزا النائيني متضلّعاً من الأدب الفارسي والعربي، ذا قدم راسخة في الحكمة والفلسفة، ماهراً في أُصول الفقه محقّقاً فيه وله فيه آراء مبتكرة.

حضر بحثه ثلّة من العلماء، أبرزهم: السيّد جمال الدين بن حسين الكلبايكاني، وموسى الخوانساري، ومحمّد علي الجمالي الكاظمي، وحسين بن علي الحلي، والسيّد محمود الشاهرودي، والسيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، والسيّد حسن البجنوردي، والميرزا باقر الزنجاني، والسيّد علي نقي النقوي.

ووضع مؤلّفات، منها: حاشية على «العروة الوثقى» في الفقه للسيّد محمّد كاظم الطباطبائي، رسالة فتوائية لعمل المقلّدين، رسالة في الخيارات، حاشية «نجاة العباد»، رسالة في المعاطاة، رسالة في البيع الفضولي، رسالة في اللباس المشكوك، رسالة في أحكام الخلل في الصلاة، أجوبة مسائل المستفتين (جمعها بعض تلاميذه)، رسالة في التعبّدي والتوصّلي، رسالة في المعاني الحرفية، رسالة في التزاحم والترتّب، رسالة في قاعدة لا ضرر، رسالة في الشرط المتأخّر، تنبيه الأُمّة وتنزيه الملّة (بالفارسية)، وغير ذلك.

توفّي يوم السبت في ٢٦ جمادي الأُولى سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وألف للهجرة، ودفن في النجف الأشرف.، ورثي بمراث كثيرة.

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ١: ٢٨٤ـ٢٨٨، أعيان الشيعة ٦: ٥٤ـ٥٦، الأعلام للزركلي ٢: ٢٤، معجم المؤلّفين ٤: ١٦، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٢٦١ـ١٢٦٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٠٠ـ٤٠١، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٦٨٠ـ٦٨٢، كلشن أبرار (روضة الأبرار) ٢: ٥٤٧ـ٥٥٢، عبد الرحمان الكواكبي للساعدي: ١٠١).

محمّد حلمي عيسى

محمّد حلمي عيسى: حقوقي، من وزراء مصر وفضلائها، وأحد المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة.

ولد في قرية «أشمون» بالمنوفية، وحصل على إجازة الحقوق بالقاهرة سنة ١٩٠٢م، وتولّى أعمالاً قضائية وإدارية، منها وكالة الإدارة القضائية للمحاكم الأهلية، ثمّ كان من أعضاء مجلس النوّاب، وتولّى وزارة المواصلات، فالمعارف، وغيرها، وتوفّي بالقاهرة سنة ١٩٥٣م عن نيّف وسبعين عاماً.

له «شرح البيع في القوانين المصرية والفرنسية وفي الشريعة الإسلامية».

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» ثلاث مقالات، هي: الحرّية والإخاء والمساواة من المبادئ الأساسية في الإسلام، حقّ الشعوب الإسلامية على نفسها، إنّما المؤمنون

إخوة.

كان يقول: «آمنت كما يؤمن كلّ مسلم بأنّنا إخوان متوادّون متحابّون، تجمعنا جامعات كثيرة، أهمّها تآخي المسلمين جميعاً من سائر الأقطار... إنّ المسلمين أفراداً وجماعات يريدون جمع كلمتهم ولمّ شملهم ورفعة شأنهم والسمو بمكانتهم في هذا الخضم المتلاطم الأمواج المتنافر الشعور المتناقض الغايات؛ لأنّ كلّ فريق يسعى إلىٰ استغلال البلاد المستضعفة لحسابه وإلىٰ بسط نفوذه لمصلحته؛ ليستثمر كلّ ما حباه الله من خيرات وأرزاق بتلك البلاد».

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٦٥١، الأعلام للزركلي ٦: ١٠٩، معجم المؤلّفين ٩: ٢٦٧ـ٢٦٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٠٧ـ١٠٨).

محمّد الخالصي

محمّد بن محمّد مهدي بن حسين بن عبد العزيز الخالصي الكاظمي الأسدي: عالم مجاهد، وداعية إصلاح معروف.

والده آية الله العظمى الشيخ محمّد مهدي الخالصي قائد حركة الجهاد عام ١٩١٤م وأحد قوّاد ثورة عام ١٩٢٠م الإسلامية في العراق ضدّ الاحتلال البريطاني.

ولد عام ١٨٨٨م في مدينة الكاظمية المقدّسة الواقعة شمالي مدينة بغداد، وتوفّي في ٢١ / ١٢ / ١٩٦٣م في مستشفى الرازي جوار مسجد براثا العظيم في بغداد الكرخ، حيث غسّل فيه وتمّ تشييعه محمولاً على الأكتاف تشييعاً مهيباً لا سابق له في العراق إلى مدينة الكاظمية مروراً بمدينة بغداد عبر جسر الصرّافية والأعظمية وجسر الأئمّة فالكاظمية، ودفن في حجرته الخاصّة في الصحن الكاظمي المطهّر، وهذه الحجرة كانت محلّ دراسته أيّام بدايات عمره الشريف.

أنهى دراساته العلمية والفلسفية في مدّة قصيرة على يد علماء زمانه، وخاصّة والده الإمام الخالصي الكبير والميرزا محمّد تقي الشيرازي، ودرس العلوم الحديثة على يد مدرّسين خصوصيّين، إضافة إلى الفلسفة الغربية واللغات الأجنبية، وكتاب «المعارف

المحمّدية » نموذج على نشاطه العلمي المبكّر ، حيث ألّفه في بدايات أيّام شبابه ، وطبع في مصر عام ١٩٢٢م ، وتقرّر تدريسه في مدرسة والده آية الله العظمى الخالصي في الكاظمية .

شارك في جميع النشاطات السياسية الإسلامية في بلده ، وكانت له مشاركة في الحركة الدستورية الإيرانية بالتعاون مع الآخوند الملّا كاظم الخراساني ، وكانت له مشاركة فعّالة في مشاريع إصلاح الدول العثمانية ، ومنها مشروع إصدار دستور للدول . كما كانت له مشاركة فعّالة إلى جانب والده في الجهاد الإسلامي ضدّ هجوم الروس على إيران وهجوم الإيطاليّين على طرابلس الغرب « ليبيا اليوم » .

شارك شخصياً إلى جانب والده في معارك الجهاد ضدّ الغزو البريطاني للعراق ، وكانت جبهة الحويزة في جنوب العراق هي التي شهدت جهاده ضدّ الإنجليز . وبعد سقوط بغداد عام ١٩١٧م اضطرّ مع المجاهدين إلى الانسحاب إلى الموصل ، وبقي فيها مدّة عامين يدير الجهاد ضدّ الإنجليز ويخطّط لتحرّك جديد ضدّهم بالتعاون مع العشائر العراقية وحتّى تهيئة الأُمور لقيام ثورة العشرين .

وعندما قرّرت قيادة الثورة المتمثّلة بالخالصي الكبير والميرزا الشيرازي القيام بالثورة عُهِدَ إليه إعلان ذلك ، وتمّ الأمر في خطابه الشهير التاريخي الذي ألقاه في الاجتماع الحاشد في صحن العبّاس عليه السلام في مدينة كربلاء المقدّسة بتاريخ ١٢/٦/١٩٢٠م الذي ضمّ إضافة إلى القائدين الكبيرين جموع هائلة من المجاهدين وشيوخ العشائر وغيرهم ، والخطبة مثبتة بالكامل ضِمنَ وثائق الثورة .

بعد أن أخفقت الثورة في تحقيق أهدافها عمد الإنجليز إلى لعبة سياسية ، وهي تنصيب الملك فيصل الأوّل ملكاً على العراق لإضفاء الشرعية على استعمارهم ، فثابر الخالصي على مخالفة ذلك وجاهد حتّى لا يتحقّق هذا الأمر ، ممّا أثار حفيظة الحاكم السياسي الإنجليزي للعراق « برسي كوكس » ، فسارع إلى نفيه خارج العراق ، وتمّ ذلك في ٢٢/٨/١٩٢٢م ، وذلك قبل نفي والده الخالصي الكبير بتسعة أشهر ، والذي أدّى إلى احتجاج المراجع الآخرين ومن ثمّ نفيهم إلى خارج العراق ، كالسيّد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ

النائيني وغيرهما.

وعندما وصل الخالصي إلى طهران رأى أنّ رضا خان بهلوي ـ وهو في بدايات حكمه قبل أن يصبح ملكاً ـ يعدّ العدّة لإعلان الجمهورية بدعم من الإنجليز على غرار جمهورية أتاتورك في تركيا، فقاوم هذه المخطّطات، ممّا جعله في مواجهة رضا شاه والإنجليز مرّة أُخرى، ووقف مواقف مشهودة، ومنها قيادته للمسيرة الجماهيرية الكبرى في المسجد الكبير في طهران «المسجد السلطاني» إلى مجلس النوّاب الإيراني لإنقاذ العلماء المجاهدين من يد طغيان رضا شاه، واصطدامه برضا شاه الطاغية في المجلس مباشرة، وهذه قصّة طويلة مذكورة بتفاصيلها في الكتاب المؤلّف عن حياته.

مكث رضا شاه البهلوي فترة يتحيّن الفرصة للإيقاع بالخالصي حتّى حدثت قضية مقتل «جون إمبري» القنصل الأمريكي في طهران. فما كان من رضا شاه البهلوي إلّا أن أسرع لإلقاء تبعة ذلك على الإمام الخالصي، وتمّ اعتقاله في سجن طهران، ومن ثمّ نفيه إلى مدينة «خواف» على حدود أفغانستان واعتقاله في قلعتها الرهيبة، وأثناء نفيه وسجنه هذا تمّ تعيين رضا شاه ملكاً على إيران.

بعد أن سيطر رضا شاه على السلطة تنقّل الخالصي بعد منفى وسجن خواف إلى سجون ومنافي طهران ونهاوند وملاير وتويسركان وكاشان وطهران مرّة أُخرى ويزد ومن ثمّ طهران، وبقي مدّة ٢٧ عاماً متنقّلاً في المنافي والسجون!

وسمح له لأوّل مرّة بالعودة إلى وطنه العراق. وعاد في ٤/ ١١/ ١٩٤٩م إلى وطنه، ووجد أنّ هناك اتّجاهين في العراق أحدهما متعاون مع الغرب ومتفاعل معه، وكان هذا الاتّجاه ممثّلاً بالسلطة الملكية، وآخر ذا اتّجاهات يسارية ويلعب الحزب الشيوعي دوراً فيه، فشمّر ساعد الجدّ ليعيد العراق إلى الإسلام الأصيل محاولاً تجديد روح ثورة العشرين الإسلامية الوطنية في الأُمّة رافعاً شعار «لا شرقية ولا غربية»، ودام هذا الأمر حتّى قيام ثورة ١٤/ تمّوز/ ١٩٥٨م. وبعد هذه الثورة وسيطرة عبد الكريم قاسم والشيوعيّين على الحكم وما ارتكبوه من مجازر فظيعة وحمّامات دم تقشعرّ لهولها الأبدان، تصدّى ببطولة

نادرة للوقوف بوجه هذا الحكم الأهوج ودموية الشيوعيّين وإجرامهم في مواقف يشهد لها العراقيّون جميعاً، ولعب دوراً هامّاً في إسقاط عبد الكريم قاسم وعدم السماح للحزب الشيوعي بالسيطرة على الأُمور وإعادة المجازر الدموية من جديد.

بعد تسلّط العفالقة على الحكم عام ١٩٦٣م رأى الإمام الخالصي أنّ من واجبه التصدّي للانحراف الجديد المتمثّل بالحزب، وأوضح مراراً من على منبر الجمعة أنّ هذا الاتّحاد الاستعماري الجديد ينبغي مقاومته والجهاد ضدّه، وأعلن صرخته قائلاً: «قل أعوذ بربّ الفلق، من شرّ ما خلق، ومن شرّ ميشيل عفلق!».

وتصدّى الإمام الخالصي بكلّ شجاعة وفداء لأيّ انحراف عن الإسلام، سواء كان شرقياً أم غربياً، فكرياً أم عقائدياً أم سلوكياً. لذلك حارب الغرب والشيوعية وعملاءهم والمنحرفين من المتزيّين بزيّ الدين والمروّجين للبدع والخرافات والضلالات، لذلك استقطب أحقاد كلّ هذه الفئات وإمكانياتها الهائلة التي ما فتئت تستعمل سلاح الإشاعة ضدّه، ولكنّه وقف بشجاعة فائقة وكان طوداً شامخاً لا يأبه لهذه الترهات والسفاسف. ومثال ذلك الإشاعات التي تقول: إنّه يحارب الانجليز لأنّه واقع تحت تأثير البلاشفة، أو تلك التي تفتري بأنّه يحارب الشيوعية بداوفع غربية. وتتضخّم الإشاعات أكثر فأكثر عندما يدعو إلى نهج ديني إصلاحي وتنزيه الدين من البدع والخرافات والأهواء وإرجاعه إلى أصله الأصيل في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ. وقد لعب المعمّمون الجاهلون الذين غلبت عليهم صفة التخلّف دوراً كبيراً في ترويج الإشاعات الكاذبة.

كان يعتقد جازماً أنّ واجب علماء الإسلام هو قيادة الأُمّة ورعاية شؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعدّ التخلّي عن ذلك تخلّياً عن واجب أساسي من الواجبات الشرعية لعالم الدين، وفي سبيل ذلك تحمّل السجن والتشريد والنفي مدّة ٢٧ عاماً في إيران حتّى لا يعطي مع والده تعهّداً خطّياً للإنجليز وفيصل الأوّل بعدم التدخّل في السياسة، وعاد إلى وطنه العراق من دون أن يعطي مثل هذا التعهّد المذلّ، على خلاف من وقّعوا وعادوا، وبقي مع والده في إيران متحمّلين العذاب من أجل ألّا يتخلّوا عن واجبهم الشرعي، هذا في وقت ركنت الأغلبية من أهل الشأن إلى القعود والانزواء والابتعاد عن تحمّل المسؤوليات

الشرعية.

نظراً للتخلّف الذي كان سائداً في أجواء الحوزات العلمية فقد بذل الخالصي جهوداً مكثّفة لإصلاح الحوزات العلمية ونقلها إلى أجواء العصر الحديث داعياً علماء وطلبة الحوزات العلمية إلى تعلّم العلوم الحديثة واللغات الأجنبية، وقد ألقى خطابين هامّين جدّاً بهذا الخصوص: أحدهما في صحن السيّدة معصومة بمدينة قم، والآخر في المدرسة الفيضية، وذلك بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٤٣م، ضمّنه هذه المقترحات، هذا إضافة إلى بحوثه ومؤلّفاته التي نهج بها نهج التطوّر والتحديث.. وعلى هذا الأساس أسّس حوزته العلمية في مدينة الكاظمية المقدّسة باسم «جامعة مدينة العلم للإمام الخالصي الكبير» لتخريج علماء دين حضاريّين يحملون الإسلام بلباسه الحضاري العظيم، ولولا كيد الأعداء وجهل الأبناء فإنّه كان يُرجى دور عظيم لهذه الجامعة لخدمة العالم الإسلامي وحمل الإسلام رسالة عالمية إلى العالم، علماً بأنّ هذه الجامعة استولى عليها النظام الحاكم آنذاك وصادروا مكتبتها الثمينة العريقة وبقية محتوياتها.

لقد استند الخالصي في دعوته إلى الإسلام وهداية الناس من أجل عودة المسلمين إلى الأصل الأصيل للإسلام (الكتاب والسنّة)، وكما أكّد ذلك ووضّحه أئمّة أهل بيت النبي محمّد ﷺ.. وكان يرى أنّ هذا هو الطريق الوحيد لوحدة العالم الإسلامي.

وبذل جهداً كبيراً ومتميّزاً في محاربة البدع والخرافات التي أُلصقت بالمسلمين عموماً وبأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام «الشيعة الإمامية» خاصّة، وجسّد يراعه ذلك في كتب ومؤلّفات وبحوث قيّمة وممارسات عملية، هذا إضافة إلى خطبه وأحاديثه الأخّاذة.

وكان داعية كبيراً للوحدة الإسلامية، دعا إليها بجدّ وحماس، وكان يراها الطريق الوحيد للوقوف بوجه مكائد المستعمرين، وسعى سعياً حثيثاً لتحقيق الوحدة بين المسلمين كافّة.. وبناءً على ذلك فهو يتمتّع بمكانة خاصّة لدى عامّة المسلمين الواعين سنّة وشيعة وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي.

(انظر ترجمته في: علماء الشيعة: ٢٣ـ ٢٩ (المقدّمة)، الذريعة ١٨: ١٠ و٢٥: ١١٥، ٢٠٤، الأعلام للزركلي ٧: ٨٦، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٥٩٢ ـ ٥٩٤).

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر، ومصلح معروف.

ولد الشيخ محمّد الخضر بن حسين بن علي بن عمر الحسني التونسي عام ١٨٧٦ م بمدينة «نفطة» جنوب تونس، والتحق بجامع الزيتونة عام ١٨٨٧ م، فحصل على شهادة التطويع عام ١٨٩٨ م.

وفي عام ١٩٠٤ م أنشأ أوّل مجلّة عربية أدبية علمية في شمال أفريقيا هي مجلّة «السعادة العظمى»؛ لنشر محاسن الإسلام وفضح أساليب الاستعمار، لكنّ سلطات الاحتلال الفرنسي أغلقتها بعد عامين من صدورها، وتولّى عام ١٩٠٥ م قضاء بلدة «بنزرت»، ودرّس بجامع الزيتونة وبالمدرسة الصادقية.

رحل إلى الشرق عام ١٩١٢ م، وأقام في دمشق، وذلك بعد أن حكمت عليه سلطات الاحتلال بالإعدام غيابياً نتيجة لجهاده، ورحل إلى الآستانة وبرلين، وفي عام ١٩٢٠ م استقرّ في مصر وحصل على جنسيتها عام ١٩٣٢ م، وامتدّت فترة إقامته فيها حتّى وفاته سنة ١٩٥٨ م، وفي مصر ظهرت قيمته العلمية وبرزت مكانته الثقافية على حدّ تعبير سعادة الدكتور محمود حمدي زقزوق.

وفي عام ١٩٢٨ م أسّس بمعية بعض العلماء «جمعية الهداية الإسلامية»، فكان أوّل رئيس لها، وأصدرت الجمعية مجلّة حملت اسم الجمعية نفسها، إلى أن توقّفت أثناء الحرب العالمية الثانية.

وقد كان الشيخ محمّد الخضر حسين مع صديقه الحميم أحمد تيمور باشا في طليعة المؤسّسين لجمعية «الشبّان المسلمين» عام ١٩٢٨ م، وعندما أصدر الأزهر مجلّة «نور الإسلام» (مجلّة الأزهر فيما بعد) عام ١٩٣٠ م أُسندت إليه رئاسة تحريرها، وصار مدرّساً في كلّية أُصول الدين، كما أسّس مجلّة «لواء الإسلام» ورأس تحريرها.

وأصبح الشيخ عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩١٩ م وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٣٣ م، كما عيّن عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر عام ١٩٥٠ م،

وانتخب رئيساً لجبهة الدفاع عن شمال أفريقيا في مصر، وتولّى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢ م حتّى استقالته عام ١٩٥٤ م بعد خلافه مع جمال عبد الناصر بسبب إلغاء الأخير للمحاكم الشرعية.

وقد كان الشيخ صاحب غيرة دينية ونزعة إصلاحية معتدلة تجلّت في مقالاته وبحوثه ومؤلّفاته، واهتمّ بمجالات الدين والأخلاق والاجتماع، وركّز على أهمّية الدين في المجتمعات الحديثة وبخاصّة الدين الإسلامي الحنيف، ودعا إلى التخلّص من التفكّك والانحلال وضرورة الوحدة والتماسك، وهاجم قضية فصل الدين عن السياسة، حيث يقول: «إنّ فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلّا بعد أن يكونوا غير مسلمين»، وكان من دعاة الاجتهاد والمحافظة على نظام الخلافة.

من مؤلّفاته: القياس في اللغة العربية، رسائل الإصلاح، آداب الحرب في الإسلام، حياة اللغة العربية، تونس وجامع الزيتونة، السعادة العظمى، بلاغة القرآن، القاديانية والبهائية، الخيال في الشعر العربي، محمّد رسول الله وخاتم النبيّين، نقض كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، نقض كتاب «في الشعر الجاهلي». كما له ديوان شعري بعنوان «خواطر الحياة».

كان محمّد الخضر حسين علماً من أعلام الفكر المغربي الإسلامي، مكافحاً وطنياً، ومغترباً في سبيل الحفاظ على حرّية الكلمة، وأقام بقية عمره في مصر، ورقي فيها إلى أعلى المناصب، وعمل في ميدان الإصلاح الإسلامي والقياسي اللغوي، وعمل في التدريس والصحافة والكفاح الوطني. ولقد أُتيح له أن يقاوم حركات التغريب بدعوته إلى إنشاء جمعية الشبّان المسلمين، وكانت مجلّته وقلمه من ألسنة الدفاع عن المغرب وقضاياه، ومُعلماً قوياً يستصرخ المشارقة حين يكشف لهم عن مؤتمرات الاستعمار ويدعوهم إلى مقاومة التغريب والتجنيس والفرنسة، فهو منذ أقام في مصر بعد الحرب العالمية الأُولى يحمل هذه الرسالة، ويعمل في كلّ هذه الميادين: الإسلام، واللغة، والكفاح السياسي.

وكان محمّد الخضر حسين مستنيراً متفتّح الذهن يدعو إلى الإصلاح على أساس قاعدة علمية واضحة، فهو يعتمد الرأي حيث يثبته الدليل، ويتقبّل الحكم متى لاحت بجانبه حكمة، ويثق بالرواية بعد أن يسلّمها النقد إلى صدق الغاية.

ومن رأيه أنّ على العلماء قول كلمة الحقّ لأهل الحلّ والعقد دائماً وعدم التوقّف عنها.. يقول: «لا ينبغي لأهل العلم أن يغفلوا عن سير أرباب المناصب والولايات، فمن واجبهم أن يكونوا على بيّنة من أمرهم، حتّى إذا أبصروا عوجاً نصحوا لهم بأن يستقيموا، أو رأوا حقّاً مهمّاً لفتوا إليه أنظارهم وأعانوا على إقامته. ومن أدب العلماء أن ينصحوا للأُمّة فيما يقولون أو يفعلون، ويحتملوا ما ينالهم في سبيل النصيحة من مكروه، وكم من عالم قام في وجه الباطل فأُوذي فتجلّد للأذى».

وقد كانت حياة محمّد الخضر حسين رمزاً على هذا المعنى، معنى طلب الحرّية والهجرة من بيئة الظلم، فقد فرّ من تونس ومن الشام ومن تركيا، وكان فراره ليحتفظ لنفسه بحقّه في الكلمة.. يقول: «نشأت في بلدة من بلاد الجريد بالقطر التونسي يقال لها «نفطة»، وكان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهبّ من مجالس علمائها.. كان حولي من أقاربي وغيرهم من يقول الشعر، فتذوّقت الأدب من أُولى نشأتي. وحاولت ـ وأنا في سنّ الثانية عشرة ـ نظم الشعر. وفي هذا العهد انتقلت أُسرتي إلى مدينة تونس، والتحقت بطلّاب العلم بجامع الزيتونة»، وكان ذلك عام ١٨٩٩م، أحبّ أُستاذه الشيخ سالم أبو حاجب الذي كان يحثّه على البحث، ويلاقي السؤال المهمّ بابتهاج، ويدعو للطالب بالتفتّح.. يقول: «كان يقول الشعر مع كونه يغوص على المسائل العلمية بفكر ثاقب»، وكان الشيخ أبو سالم قد رفض وسام السلطان ووسام الباي، فأحبّ منه الشيخ الخضر هذا الاعتداد بالنفس، «بعد أن نلت درجة العالمية أنشأت مجلّة علمية أدبية، وهي أوّل مجلّة أُنشئت بالمغرب، فأنكر عليّ بعض الشيوخ، وظنّ أنّها تفتح باب الاجتهاد، وشجّعني على إنشائها شيخنا أبو حاجب، كما شجّعني عليها الوزير محمّد أبو عتّور».

كانت خطّته الإصلاح الاجتماعي والديني والعمل لإعادة مجد الإسلام، ولكنّه لم

يلبث أن اختلف مع السلطات بشأن العمل في القضاء، بعد أن وليه في بنزرت سنة ١٩٠٥م، إذ فضّل العودة إلى التدريس في الزيتونة. فلمّا خاطبته المحكمة الفرنسية سنة ١٣٢٥ هـ بالعمل في المحكمة عضواً ليحضر حكمها بين الوطني والفرنسي، امتنع ولم يقبل أن يصدر الحكم الجائر.

واستقرّ رأيه إثر ذلك على الهجرة إلى الشرق، فاستوطن دمشق عام ١٩١٢م، وكانت تحت سلطات العثمانيّين، فنصّب للتدريس في المدرسة السلطانية في كرسي الشيخ محمّد عبده، ثمّ اعتقله جمال باشا حاكم الشام، ورحل إلى الآستانة، فأُسند إليه التحرير بالقسم العربي بوزارة الحربية، وحين احتلّ الحلفاء الآستانة رحل مع زعماء الحركة الإسلامية، كعبد العزيز شاويش وعبد الحميد سعيد والدكتور أحمد فؤاد. وعاد إلى دمشق سنة ١٩١٨م في عهد الحكومة العربية لفيصل، وعهد إليه بالتدريس في المدرسة السلطانية. ولكن فرنسا لم تلبث أن بسطت سلطانها على سوريا، فترك دمشق إلى القاهرة سنة ١٩١٩م، وفي مصر عرف الشيخ أحمد تيمور باشا الذي كان خير رفقائه. وكان له فضل واضح في إنشاء جمعية الشبّان المسلمين مع السيّد محبّ الدين الخطيب صاحب «الفتح». كما أنشأ من بعد جمعية «الهداية الإسلامية» ومجلّة «الهداية الإسلامية»، وتولّى ثمّة مجلّة «لواء الإسلام» ومجلّة «الأزهر»، واتّصل بالأزهر ونال إجازته، وعمل في كلّياته، واختير عضواً في جماعة كبار العلماء، فشيخاً للأزهر عام ١٩٥٢م، وعضواً في مجمع اللغة العربية، كما تقدّم ذكر بعض ذلك.

(انظر ترجمته في: الفتح المبين ٣: ٢١٣ ـ ٢١٤، الأعلام للزركلي ٦: ١١٣ ـ ١١٤، معجم المؤلّفين ٩: ٢٧٩ ـ ٢٨٠، الأزهر في ألف عام ١: ٣٢٨ ـ ٣٣٦، الموسوعة العربية العالمية ١٠: ٧٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٥١ ـ ٦٦، عظماء الإسلام: ٤٠٩ ـ ٤١٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٣٧ ـ ٩٤٠، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٤٤٠ ـ ٤٤١، نثر الجواهر والدرر ٢: ١١٤٨ ـ ١١٥٣، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٢١٩ ـ ٢٢٢، موسوعة الأعلام ٢: ١٣٥، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة التقريب ٢: ١٠٨ ـ ١٠٩).

محمّد خليفة التونسي

أحد شيوخ اللغة العربية، كاتب، باحث، مفكّر، مصلح.

ولد سنة ١٩١٥م في قرية «تونس» في قلب صعيد مصر لأب مزارع ينتهي نسبه إلى الأدارسة الذين ينتمون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمّه من أصل تركي.

تعلّم في كتّاب القرية مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وحفظ القرآن الكريم قبل العاشرة من عمره، كما حفظ خلال ذلك كثيراً من القصائد والمقطوعات النثرية، وقرأ بعض كتب الأدب والتصوّف، وحفظ أجزاء من علوم الفقه والتجويد والنحو.

في سنة ١٩٢٧م التحق بالقسم الابتدائي بمعهد أسيوط الديني، وتخرّج في كلّيّة دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٣٩م، وحصل على دبلوم الدراسات العليا عام ١٩٥٥م.

عمل بالتدريس في مصر من عام ١٩٣٩م حتّى ١٩٦٤م، وتدرّج حتّى أصبح موجّهاً للّغة العربية.

شارك في لجنة تطوير الأزهر ووضع مناهج أقسامه الابتدائية والإعدادية والثانوية، وندب للإشراف على التجربة التعليمية في المعهد النموذجي للأزهر عام ١٩٦١م.

عام ١٩٦٤م أُعير للتدريس بالعراق، ثمّ انتدب إلى وزارة الأوقاف العراقية لإصلاح أحوال التعليم الديني في مدارسها، فبقي فيها حتّى عام ١٩٧٢م.

عمل محرّراً في مجلّة «العربي» منذ عام ١٩٧٢م حتّى وفاته سنة ١٩٨٨م، وكان رئيساً للقسم الأدبي بها.

اتّصل بالكاتب الكبير عبّاس محمود العقّاد، وكان من أبرز مريديه من عام ١٩٣٢م حتّى وفاته في ١٢/مارس/١٩٦٤م.

توفّي التونسي بتاريخ ٢٢/ جمادى الأُولى/ ١٤٠٨ هـ، ودفن بمقبرة الصليبيخات بالكويت، حيث أوصى أن يُدفن في مكان موته.

بدأ يكتب في الصحف العربية ومجلّاتها منذ عام ١٩٣٢م حتّى وفاته، فكتب في مجلّات: «الرسالة، والثقافة، وتراث الإنسانية، والكتاب العربي، والعربي، والكويت،

والبلاغ»، كما كتب لكثير من الصحف العربية، مثل: جريدة «الضياء، والصرخة، والأساس، والجمهورية، والقبس، والرأي العامّ، والوطن».

أكثر مؤلّفاته ما زال مخطوطاً، وقد طبع منها: العواصف «ديوان شعر»، بروتوكولات حكماء صهيون «ترجمة»، فصول في النقد عند العقّاد، التسامح في الإسلام، العقّاد دراسة وتحية (بالاشتراك مع آخرين)، رباعيات التونسي، تأمّلات حرّة في الدين والفلسفة والأدب والفنّ، أضواء على لغتنا السمحة، كنوز التلمود «ترجمة».. وأمّا ما لم يطبع فهو: العناصر النفسية لليهود، الزندقة.. أُصولها وتطوّرها، حول فلسفة الصيام، أُسرة النبي ﷺ، المدينة: لماذا اختارها النبي ﷺ موطناً لهجرته؟، الأنوار المحمّدية «حول لواء النبي» وهو ملحمة شعرية، الفيصليات «شعر»، الخليل بن أحمد.. عبقريته الرياضية، بشّار بن برد أوّل شاعر كبير في العربية، سماحة اللغة العربية، ثورة الحسين بين الواقع والفنّ، المختار بن عبيد الثقفي، من سادات العرب، مع الشعراء، قال الراوي «قصص تراثية»، أسئلة وأجوبة، كتب ومؤلّفون، حول لواء العقّاد «أحاديث صحفية»، عبقريّة المهلّب، شاعر مجرم.. مالك بن الريب المازني، ما أعتقد /برتراند رسل «ترجمة».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١٤٩ ـ ١٥٠، إتمام الأعلام: ٣٥٥ ـ ٣٥٦، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٦٥، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٤٤ ـ ٢٠٤٥، معجم الشعراء للجبوري ٤: ٤٤٢ ـ ٤٤٤).

محمّد خير الدين

محمّد خير الدين: أحد كبار العلماء في الجزائر، وأحد الأعضاء المؤسّسين لجمعية العلماء فيها.

ولد سنة ١٨٩٥م بولاية بسكرة، وحفظ القرآن الكريم، ثمّ التحق بقسنطينة وتتلمذ للشيخ عبد الحميد بن باديس، ثمّ كان معه ومع الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي.

انتخب بعد استقلال الجزائر من الاحتلال الفرنسي عضواً في المجلس الوطني.

وقد اهتمّ بخدمة الإسلام والدعوة إليه، ونشر اللغة العربية، ومحاربة الفرانكوفونية

(Francophonie) وهي : اعتبار اللغة الفرنسية حاملة للمثل العليا لفرنسا وهي اللسان الأكثر قدرة على التعبير عن التضامن الإنساني من خلال التبادل الثقافي ـ والتغريب .

انقطع في آخر حياته عن الناس ، وكتب ذكرياته ونشرها .

قضى نحبه سنة ١٩٩٤م .

(انظر ترجمته في : تتمّة الأعلام ٢ : ١٥١ ، إتمام الأعلام : ٣٥٦ ، نثر الجواهر والدرر ٢ : ٢٠٤٦) .

محمّد الدسوقي

الدكتور محمّد السيّد الدسوقي من : الأساتذة المصريّين المرموقين ، وهو أُستاذ بقسم الشريعة الإسلامية في كلّية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ويعمل كذلك أُستاذاً لمادّة أُصول الفقه في كلّية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر ، وهو عضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية . وله مؤلّفات تربو على ستّة وعشرين كتاباً ، منها : التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه ، حديث الإفك ، والأُسرة في التشريع الإسلامي ، والفكر الاستشراقي ، ومناهج البحث في العلوم الإسلامية ، والحلّ الإسلامي بين النظرية والتطبيق ، ومقدّمة في دراسة الفقه الإسلامي ، والتقريب بين المذاهب الفقهية من أجل الوحدة الإسلامية .

كما له عدّة بحوث ومقالات في مجلّات مختلفة ، كمجلّة « رسالة التقريب » ، ومجلّة « وعي الإسلام » ، ومجلّة « التقريب » ، ومجلّة « التوحيد » ، وغيرها . وقد كان للأُستاذ الدسوقي سعي حثيث في مجال التقريب تمثّل في إقامة عدّة ندوات تقريبية في جامعة قطر بالتنسيق مع صديقه الدكتور أحمد عبدالرحيم السائح والدكتورة عائشة المناعي ، وقد كان لهذه الندوات صدىً واسع . كما أنّه الآن بصدد إنشاء وتأسيس جماعة التقريب في القاهرة مجدّداً بالتعاون مع الأُستاذ عبدالله محمّد تقي القمّي .

يقول الدكتور الدسوقي في مقالةٍ له نشرتها « رسالة التقريب » في عددها السادس والستّين ، بعنوان « عقبات في طريق الوحدة الإسلامية » ما نصّه : « إنّ الوحدة الإسلامية بالحكم الفقهي واجبة شرعاً ، فليست عملاً ترغيبياً يُدعى إليه ، وإنّما هي أمر واجب يلزم كلّ

مسلم يشهد بأنّ الله واحد فرد صمد، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وهذا الواجب يطوّق عنق كلّ مسلم سيسأل عنه يوم الدين.

والوحدة فضلاً عن أنّها واجبة شرعاً تؤكّد علاقة الأُخوّة الإسلامية التي كان المسلمون بها كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً.

وإذا قلنا: إنّ المجتمع الإسلامي جسم واحد، فإنّ الأُخوّة الإسلامية هي روح هذ الجسم، فإن تحقّقت بالوحدة كان هذ الجسم حيّاً ينبض بالحياة، وإذا لم يتحقّق كان هيكلاً ميّتاً لا نماء فيه ولا حياة.

فوحدة الأُمّة الإسلامية أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يماري فيه مؤمن، ولا ينبغي أن يجادل فيه مسلم، والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تقرّر هذه الحقيقة كثيرة... إنّ هذه الأُخوّة الإسلامية تجعل الأُمّة كتلة متماسكة ينحدر عنها السيل، ولا يرقىٰ إلىٰ الطير، ويرتدّ عنها كلّ من أرادها بسوء خاسئاً وهو حسير.

على أنّ الوحدة الإسلامية وحدة إنسانية غايتها تحقيق التقدّم والرفاهية للناس جميعاً، فليست وحدة عنصرية طائفية متعصّبة تعيش في دائرة مغلقة، وتؤمن بأفكار منحرفة فاسدة، تجلب على الإنسانية الضرّ والشرّ، كما نرى لدى بعض الشعوب والأُمم في العصر الحاضر.

إذا كان من المقرّرات الثابتة أنّ الأُمّة الإسلامية لا يصلح آخرها إلّا بما صلح به أوّلها، ولا تستطيع أن تعود إلى ماضيها العزيز الكريم إلّا إذا أخذت بالأسباب التي قام عليها ذلك الماضي، فإنّ العرب قبل الإسلام كانوا أوزاعاً بأسهم بينهم شديد، ومن ثمّ لم يكونوا مصدر قلق لغيرهم من الأُمم، ولكن العرب بالإسلام أصبحوا أُمّة جديدة في عقيدتها وسلوكها، أُمّة توحّدت كلمتها وقويت إرادتها، فهزمت أكبر قوّتين في العالم في القرن الأوّل، وقادت البشرية إلى حضارة إنسانية، وأذهلت العالم بفتوحاتها في شتّىٰ الميادين.

وإذا كانت وحدة الأُمّة عبر تأريخها الطويل قد أصابها الوهن والفتور في بعض العصور، فإنّ الأُمّة في حاضرها في أمسّ الحاجة إلى بناء وحدتها؛ لأنّ أعداءها تكالبوا

عليها من كلّ جانب، وتواطأوا على تمزيقها، والسعي لزحزحتها شيئاً فشيئاً عن أُصول عقيدتها وخصائص هويتها، ولا سبيل إلى أن تستردّ الأُمّة عافيتها وتحول بين أعدائها وما يخطّطون له للهيمنة عليها ونهب ثرواتها إلّا بالوحدة الجامعة، فهي طريق القوّة والعزّة والكرامة؛ لأنّ عماد هذه الوحدة الإسلام، دين الأُخوّة الإنسانية ودين العدالة الحقيقية؛ لانّها لا تفرّق بين جنس وجنس ولا لون ولون، ودين المساواة ومكارم الأخلاق، وأخيراً دين الحقّ والقوّة.

على أنّ الوحدة المنشودة لا تعني أن تكون هناك قيادة واحدة للأُمّة، فهذا أمل لا سبيل إلى بلوغه في ظلّ الأوضاع السياسية المعاصرة. وإنّما يكفي في المرحلة الحالية أن يكون بين الشعوب الإسلامية سياسة ثقافية ذات أُصول واحدة. وهذا ما دعا إليه البيان الختامي للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، فقد شدّد على أهمّية وحدة الأُمّة الإسلامية، ودعا إلى العمل الجاد لإصلاح أوضاع هذه الأُمّة، وتعزيز وحدتها، وإعداد العدّة للدفاع عن نفسها، وعقد اتّفاقيات أمن مشتركة بين الدول الإسلامية لحمايتها من الأخطار المحيطة بها».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٠٩ ـ ١١١).

محمّد رأفت عثمان

محمّد رأفت عثمان: عميد كلّية الشريعة والقانون بجامعة القاهرة.

حصل على الإجازة العالية «الليسانس» من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٦١ م، وعلى العالمية مع إجازة التدريس من كلّية الدراسات العربية «اللغة العربية حالياً» عام ١٩٦٣م، وعلى الماجستير في الفقه المقارن من كلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٦٧م، وعلى الدكتوراه في الفقه المقارن مع مرتبة الشرف الأُولى من كلّية الشريعة والقانون عام ١٩٧١م.

عيّن مدرّساً بالمعاهد الأزهرية من ١٩٦٣/١١/٤، إلى ١٩٧٦/٣/٨م، ومعيداً بقسم الفقه بكلّية الشريعة والقانون من ١٩٦٧/٤/٣، ومدرّساً بقسم الفقه المقارن بكلّية الشريعة

والقانون من ١٩٧٢/١/٣١م. وأُستاذاً مساعداً بقسم الفقه المقارن بكلّية الشريعة والقانون من ١٩٧٧/١٢/٣١ م.

قام برئاسة قسم الفقه المقارن من ١٩٨١/٩/١٤، وهو أُستاذ بقسم الفقه المقارن بكلّية الشريعة والقانون بالقاهرة من ١٩٨٣/٥/٤ م، وعميد لكلّية الشريعة والقانون بطنطا من ١٩٨٩/٩/٢ م لمدّة ستّ سنوات، وأُستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بكلّية الشريعة والقانون بالقاهرة من سنة ١٩٩٥ م، وعميد كلّية الشريعة والقانون بالقاهرة حالياً.

من كتبه وأبحاثه: رياسة الدولة في الفقه الإسلامي.. دراسة مقارنة، العلاقات الدولية في الإسلام، عقد الزواج.. أركانه وشروط صحّته في الفقه الإسلامي.. دراسة مقارنة، الحقوق الزوجية المشتركة في الفقه الإسلامي.. دراسة مقارنة، الاستمتاع بين الزوجين في الصوم والاعتكاف والحجّ.. دراسة مقارنة، الحجّ والعمرة.. دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي، سلطة القاضي في التفريق بين الزوجين بالأُمور التي تمنع الاستمتاع.. دراسة مقارنة، الزوجة وما يتّصل بها من قضايا في الفقه الإسلامي.. دراسة مقارنة، فقه النساء في الخطبة والزواج، عقد البيع في الشريعة الإسلامية: أركانه وشروط صحّته، النظريات العامّة في الفقه الإسلامي «نظرية الحقّ»، فقه المواريث في الشريعة الإسلامية «بالاشتراك»، القضايا الثلاث، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، زكاة حلي النساء والأواني والتحف الذهبية والفضّية، بحث في الفقه الإسلامي المقارن، الزكاة في مال الصبي والمجنون.. بحث في الفقه الإسلامي المقارن، رؤية هلال رمضان في بعض البلاد دون الآخر.. بحث في الفقه الإسلامي المقارن، حكم الاستعانة بغير المسلمين في الحرب، المبادئ العامّة للإدارة في الإسلام، الإمام الشافعي أوّل واضع لعلم أُصول الفقه، الأحكام الدينية لوسائل تنظيم الأُسرة، حقوق الطفل والأُمّ في الإسلام، المرأة والعمل في ضوء الفقه الإسلامي، أهمّ أبعاد أزمة الخليج الدينية والاجتماعية والاقتصادية، الربا وبعض المعاملات المصرفية، موارد الدولة ونفقاتها، الإجهاض من وجهة نظر إسلامية، النواحي الشرعية لممارسات طبيب التكاثر البشري.

وقد اشترك في عدّة مؤتمرات وندوات دولية، وأشرف وناقش مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه تربو على الثلاثين رسالة في جامعات: القاهرة، والأزهر، والزقازيق، ومعهد الدراسات الإسلامية، وجامعة أمّ القرى.

وهو مقرّر اللجنة العليا الدائمة لترقية الأساتذة في الفقه المقارن بجامعة الأزهر، وقد قام بفحص وتقويم النتاج العلمي لعدد كبير من طلّاب الترقية إلى درجات أعلى من أعضاء هيئات التدريس في جامعات مصر وغيرها من الجامعات العربية، وهو أيضاً عضو لجنة المعادلات بكلّية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة، وعضو لجنة التشريعات الاقتصادية بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وعضو بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، وعضو مجلس إدارة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، وعضو مؤسّس بجمعية الخصوبة والعقم بمصر، وعضو مجموعة العمل الحكومية المؤقّتة المقرّر تشكيلها وفقاً لقرار مؤتمر القمّة الإسلامي بشأن المرأة ودورها في تنمية المجتمع الإسلامي.

يكتب الدكتور محمّد رأفت في الصحف المصرية والعربية، في: «الأخبار، والأهرام، والجمهورية، واللواء الإسلامي، وعقيدتي، والرأي العامّ، والاتّحاد، والمسلمون، والأنباء»، في الموضوعات الفقهية والاجتماعية التي تحتاج إلى بيان الأحكام الإسلامية فيها، ويسهم بأحاديثه الدينية في إذاعة وتلفزيون جمهورية مصر العربية، وغيرها من الدول العربية.

رشّحته جامعة الأزهر الشريف مرّتين لجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٩٥م ولعام ١٩٩٧م، واختاره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لمؤسّسة صحيفة «الأهرام» في تقريره عن الحالة الدينية في مصر الصادر عام ١٩٩٨م، أحد أربعة مجدّدين، كانوا أساتذة أو تخرّجوا من كلّية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف، هم طبقاً لترتيبهم في التقرير: ١ ـ صاحب الفضيلة الإمام الكبير الشيخ محمود شلتوت «شيخ الأزهر السابق». ٢ ـ صاحب الفضيلة الدكتور نصر فريد واصل «مفتي مصر». ٣ ـ الدكتور محمّد رأفت عثمان. ٤ ـ الأُستاذ خالد محمّد خالد.

محمّد رجب البيّومي

محمّد رجب البيّومي: أديب مصري معروف.

ولد في سنة ١٩٢٣م بقرية الكفر الجديد المنزلة التابعة لمحافظة الدقهلية، وحصل على الدكتوراه في الأدب والنقد بمرتبة الشرف الأُولى، وكتب في مجلّة «الرسالة» الشهيرة منذ عام ١٩٤٨م، وكان صديقاً شخصياً لأحمد حسن الزيّات والدكتور عبد الحليم محمود والشيخ محمود شلتوت والدكتور محمّد سيّد طنطاوي. كما كان تلميذاً لمحمّد فريد وجدي.

عمل مدرّساً بالإسكندرية عام ١٩٤٨م، ثمّ بالفيّوم، وقد لفت انتباه وزير التعليم آنذاك، ثمّ عمل أُستاذاً بجامعة الأزهر، وأُعير إلى السعودية، وعندما كان هناك توفّيت زوجته تاركةً له سبع بنات وولداً واحداً هو الدكتور حسام، فتأثّر عليها كثيراً وكتب ديوانه «حصاد الدمع»، وبعد أن عاد إلى بلاده عيّن عميداً لكلّية اللغة العربية بالمنصورة لمدّة عشر سنوات.

وهو منذ الخمسينات من القرن الماضي يكتب في مجلّة «الأزهر»، و«الهلال» و«الرسالة»، و«الثقافة»، و«الكتاب»، و«الفيصل»، و«المجلّة العربية»، و«الأقلام»، و«منار الإسلام»، و«الحجّ»، و«الضياء»، و«المنهل»، و«علامات»، و«رابطة العالم الإسلامي»، و«الأدب الإسلامي»، و«الأديب» اللبنانية، وجريدة «صوت الأزهر».

وهو أُستاذ متفرّغ بقسم الآداب والنقد بجامعة الأزهر، ومقرّر لجنة البلاغة لترقية الأُساتذة بجامعة الأزهر، وعضو لجنة الأدب والنقد لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر. كما كان أُستاذاً بالجامعات العربية، يحاضر في مواد الأدب والبلاغة والنقد عدّة سنوات، واشترك في مؤتمرات علمية في عواصم مختلفة بالدول العربية. وأشرف على كثير من الرسائل الجامعية، واشترك فاحصاً في كثير من هذه الرسائل.

نال جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر سنة ١٩٦١م عن المسرحية الشعرية «انتصار»، ونال جائزة مجمع اللغة العربية الأُولى عن المسرحية الشعرية «فوق

الأُبوّة » سنة ١٩٦٢م، ونال جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٣م عن ديوانه الشعري « صدى الأيّام »، وجائزة مجمع اللغة العربية الأُولى بالقاهرة سنة ١٩٦٤م في الدراسات الأدبية عن كتاب « الأدب الأندلسي بين التأثّر والتأثير »، وجائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م في التراجم الأدبية عن حياة « محمّد توفيق البكري »، وجائزة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٢م عن المسرحية الشعرية « بأيّ ذنب »، وجائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨م عن المسرحية الشعرية « ملك غسّان ».

من التأليف الخاصّ بالدراسات الأدبية العلمية وضع الدكتور البيّومي هذه الكتب: ١ـ البيان القرآني، أصدره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. ٢ـ خطوات التفسير البياني، أصدره كذلك مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. ٣ـ البيان النبوي، أصدرته دار الوفاء للنشر. ٤ـ أدب السيرة النبوية عند الروّاد المعاصرين، أصدرته اللجنة العليا للدفاع عن الإسلام بالأزهر. ٥ـ الأدب الأندلسي بين التأثّر والتأثير، أصدره المجلس العلمي لجامعة الإمام محمّد بن سعود بالرياض. ٦ـ النقد الأدبي للشعر الجاهلي، أصدر أيضاً المجلس العلمي لجامعة الإمام محمّد بن سعود بالرياض. ٧ـ أحمد حسن الزيّات بين البلاغة والنقد، أصدرته دار الأصالة بالرياض. ٨ـ دراسات أدبية، أصدرته دار السعادة بمصر. ٩ـ نظريات أدبية « ٤ أجزاء »، أصدرته دار زهران بمصر. ١٠ـ حديث القلم، أصدره النادي الأدبي بجدّة. ١١ـ قطرات المداد، أصدره أيضاً النادي الأدبي بجدّة. ١٢ـ التفسير القرآني، أصدرته المؤسّسة العربية الحديثة.

أمّا كتب الإبداع الأدبي فهي: ١ـ ديوان صدى الأيّام « شعر ». ٢ـ ديوان حنين الليالي « شعر ». ٣ـ حصاد الدمع « شعر ». ٤ـ من نبع القرآن « شعر ». ٥ـ فاتنة الخورنق « قصّة أدبية ». ٦ـ مسرحية « انتصار ». ٧ـ مسرحية « فوق الأُبوّة ». ٨ـ ملك غسّان « مسرحية شعرية ». ٩ـ في قصور الأُمويّين « مشاهدة تاريخية ».

ومن الكتب التاريخية والتراجم: ١ـ الأزهر بين السياسة وحرّية الفكر. ٢ـ مواقف خالدة لعلماء الإسلام. ٣ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين « ٥ أجزاء ».

٤ـ ابن حنبل. ٥ـ مع الأبطال. ٦ـ صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي. ٧ـ من القصص الإسلامي «جزءان». ٨ـ ظلال من حياتي. ٩ـ أحمد أمين. ١٠ـ صلاح الدين الأيّوبي. ١١ـ محمّد فريد وجدي. ١٢ـ مصطفى صادق الرافعي. ١٣ـ محمّد حسين هيكل. ١٤ـ مع الأبطال.

ومن سلسلة «إسلاميّات»: ١ ـ في ميزان الإسلام «جزءان». ٢ ـ من منطلق إسلامي «جزءان». ٣ ـ مجالس العلم في حرم المسجد. ٤ ـ المثل الإسلامية. ٥ ـ في ظلال السيرة. ٦ ـ من شرفات التاريخ. ٧ ـ قضايا إسلامية «جزءان».

ومن مجموعة قصص الأطفال في أجزاء متوالية أصدرتها دار الأصالة ودار القاسم بالرياض: ١ ـ المغامر الشجاع. ٢ ـ المهمّة العالية. ٣ ـ مؤامرة فاشلة. ٤ ـ الفارس الوفي. ٥ ـ يوم المجد. ٦ ـ دجّال القرية. ٧ ـ الحبل الأسود. ٨ ـ الفتاة المثالية. ٩ ـ إلى الأندلس. ١٠ ـ رحلة الخير. ١١ ـ الله معي. ١٢ ـ بطل شيبان. ١٣ ـ إلى الإسلام. ١٤ ـ لست وحدي. ١٥ ـ حكمة الله. ١٦ ـ الأصل الطيّب.

وقد أعدّت عنه الباحثة عزّة محمّد البكري رسالة ماجستير بعنوان «محمّد رجب البيّومي: حياته وشعره» بإشراف الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان، في جامعة الأزهر بالمنصورة ـ كلّية الدراسات الإسلامية والعربية «بنات» ـ سنة ١٩٨٩م.

زار الدكتور البيّومي الجمهورية الإسلامية الإيرانية عام ١٤٢١ هـ برفقة وفد رفيع المستوى من الأزهر للمشاركة في المؤتمر العالمي الذي عقد لتكريم شخصيتي الشيخ محمود شلتوت والسيّد حسين البروجردي، وتجاذب مع بعض الشخصيات الشيعية أطراف الحديث حول الوحدة والتقريب وهموم العالم الإسلامي.

يقول في وصفه الدكتور محمّد حلمي القاعود: «يتميّز الرجل بميزتين مهمّتين للغاية: الأُولى: ذاكرته الدقيقة الواعية، والأُخرى: قدرته الأدبية على التدفّق مثل نهر حين يكتب أو يحكي، ولقد رأيته يشير إلى قصائد وموضوعات في مجلّدات «الرسالة» و«الثقافة» و«المنار» «الفتح» وغيرها، فيذكر رقم الجزء أو العدد وتاريخه، بل يذكر رقم الصفحة

أحياناً، وقد أسعفتني ذاكرته «حفظها الله له» كثيراً في جمع المادّة عند إعدادي للدكتوراه. ولعلّ ذاكرته الواعية من وراء كشفه لسرقات أدبية، أو سبق أدباء في موضوعات بعينها، أو تجلية قضايا غائمة أو شائكة.

أمّا قدرته الأدبية على التدفّق في الكتابة الأدبية فحدّث عنها ولا حرج، ويكفي أنّه كان ـ ولعلّه ما زال ـ يكتب شهرياً مقالين معاً لمجلّة «المنهل» التي تصدر في جدّة، أحدهما باسمه الصريح، والآخر باسم «أبو حسام»، وهذا يضمّ شذرات أدبية وفكرية وثقافية مهمّة يمتاح في كتابتها من ذاكرته القوية التي تسعفه فيما يطلبه، بالإضافة إلى مقالاته الأُخرى الدائمة في مجلّة «الأزهر»، ودوريات أُخرى.

رجل في مثل مكانة الدكتور البيّومي كان يمكن أن تستهويه الأضواء والشهرة، ولكنّه غنيّ عنهما، لسبب بسيط، وهو الامتلاء الروحي الذي يجعل صاحبه في غنى عن البريق الزائف والوميض الخادع، يدلّ على ذلك حياته الهادئة البسيطة التي تعطي أكثر ممّا تأخذ، وتشمل بتعاطفها وحنوها جميع من حولها دون انتظار لجزاء أو شكر.

ولأنّه يعرف عمق محبّتي له ورغبتي في عدم إحراجه فقد هنّأته حين تولّى رئاسة تحرير مجلّة «الأزهر» عبر صديق مشترك، وتمنّيت له التوفيق في قيادتها، ورحت أنتظر مطلع كلّ شهر عربي لأقرأ ما يبدعه يراعه من مواجهة مع واقع ثقافي فاسد، ساد فيه الغثّ والرديء، ولكنّه بقلمه الواعي يمضي ومعه كتيبة الإخلاص بتطهير هذا الواقع وبثّ الثقافة الأصيلة».

(انظر ترجمته في: وجوه عربية وإسلامية: ١١٠ ـ ١١٤، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ١٠١٠ ـ ١٠١١، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٤٥٩ ـ ٤٦٢).

محمّد رشيد رضا

محمّد رشيد رضا: باحث شهير، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي.

ولد محمّد رشيد بن علي رضا بن محمّد شمس الدين بن محمّد بهاء الدين بن منلّا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب سنة ١٨٦٥ م في «قلمون» من أعمال طرابلس الشام، وتعلّم فيها وفي طرابلس (المدرسة الرشيدية)، وتنسّك، ونظم الشعر في

صباه، وتعلّم التركية، وأخذ عن حسين الجسر، وكتب في بعض الصحف، ثمّ رحل إلى مصر سنة ١٨٩٨ م، فلازم الإمام محمّد عبده وتتلمذ له، وكان قد اتّصل به قبل ذلك في بيروت.

ومن بعد ذلك أصدر مجلّة «المنار» لبثّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، على حدّ تعبير الزركلي.

ولما أُعلن الدستور العثماني زار بلاد الشام، وخطب خطبة إصلاحية من على منبر الجامع الأُموي بدمشق، فاعترضه أحد أعدائه، فكانت فتنة عاد على أثرها إلى مصر.

أنشأ مدرسة «الدعوة والإرشاد»، ثمّ قصد سوريا أيّام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري، وغادر سوريا سنة ١٩٢٠ م عند دخول الفرنسيّين إليها، فأقام في مصر مدّة، ثمّ رحل إلى الحجاز والهند وأُوروبّا، وعاد إلى مصر، وتوفّي فجأة في سيّارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة سنة ١٩٣٥ م، ودفن بالقاهرة.

أشهر آثاره: مجلّة «المنار» التي أصدر منها ٣٤ مجلّداً، وتفسير القرآن الكريم، وتاريخ الأُستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ونداء للجنس اللطيف، والوحي المحمّدي، ويسر الإسلام وأُصول التشريع العامّ، والخلافة، وذكرى المولد النبوي، ورسالة السنّة والشيعة، ومحاورات المصلح والمقلّد.

يقول الدكتور محمّد عمارة: «وفي المرحلة الأُولى من تكوينه الفكري غلب عليه منهاج المنقول والمأثورات، وتأثّر كثيراً بكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، فمال إلى الزهد والتصوّف، وانخرط مريداً في الطريقة النقشبندية، ومارس الوعظ والإرشاد في قريته والقرى المحيطة بها، وعيّنه متصرّف طرابلس ـ والذي أُعجب بخطابته ـ عضواً في شعبة المعارف.

لكن يظلّ الإنجاز الأعظم لرشيد رضا على الجبهة الفكرية إصداره وتحريره مجلّة «المنار»، وإذاعته لفكر محمّد عبده وجمال الدين الأفغاني، ومواصلته جهود محمّد عبده في تفسير القرآن «تفسير المنار»، وتأريخه لحياة محمّد عبده ومدرسته، والكتب الكثيرة

والفتاوى العديدة التي واصل فيها وبها حركة التيّار التجديدي، والتي خاض بها الكثير من المعارك الكبرى التي شهدها العالم الإسلامي في مرحلة الزحف الاستعماري والفكر التغريبي على عالم الإسلام.

وفي سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) حدث له تحوّل في توجّهه الفكري، إذ بينهما هو يقلّب في أوراق والده عثر على بعض أعداد مجلّة «العروة الوثقى» التي أصدرها من باريس جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده في سنة ١٨٨٤م، فأحدث فكرها في عقله انقلاباً عميقاً وشاملاً، وبدأ بهذا الفكر مرحلة من حياته أصبح فيها ـ وعلى امتداد أكثر من أربعين عاماً ـ ترجمان فكر هذا التيّار الإصلاحي في اليقظة الإسلامية الحديثة، وقد تحدّث هو نفسه عن هذا التحوّل الذي أحدثته في فكره أعداد «العروة الوثقى» فقال: «لقد كان كلّ عدد منها كسلك من الكهرباء اتّصل بي فأحدث في نفسي من الهزّة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بي من طور إلى طور ومن حال إلى حال.. وتعلّمت منها أنّ الإسلام ليس روحانياً أُخروياً فقط، بل هو دين روحاني جسماني، أُخروي دنيوي، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحقّ، ليكون خليفة الله في تقرير المحبّة والعدل، فتعلّقت نفسي بوجوب إرشاد المسلمين عامّة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الأُمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة، فطفقت أستعدّ لذلك استعداداً...».

ومنذ ذلك التاريخ سعى رشيد رضا لصحبة الأفغاني، فلمّا لم يتيسّر له ذلك هاجر إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)، فلقى الإمام محمّد عبده، واتّفق معه على أن يكون تلميذه وترجمان فكره، وأصدر مجلّة «المنار» التي ظلّت منبر هذا التيّار التجديدي لأكثر من أربعين عاماً.

وبعد وفاة الإمام محمّد عبده سنة ١٩٠٥م واستقلال رشيد رضا بالقيادة الفكرية لهذا التيّار، زاد اقترابه من «العمل السياسي»، فاهتمّ بمعالجة علاقات العرب بالأتراك، والمسألة الشرقية، والتدخّل الاستعماري الغربي في الشرق الإسلامي، وشؤون الخلافة الإسلامية، والخطر الصهيوني على فلسطين، وكان أحد أقطاب «حزب اللامركزية» الذي أراد إصلاح الإدارة العثمانية على نحو يحفظ وحدة الدولة ويستجيب للطموحات العربية

المشروعة في إطارها، وهو الحزب الذي تكوّن سنة ١٣٣٠ هـ(١٩١٢م)، كما كانت له علاقات بالمشاريع السياسية للشريف حسين بن علي، والملك عبد العزيز آل سعود».

كان له نشاط وحدوي، ترجمه عن طريق تصريحاته المنشورة في «المنار» وغيره من مؤلّفاته، ومن خلال حضوره للمؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس سنة ١٣٥٠ هـ، ومن خلال ارتباطه بكبار رجال الإصلاح الإسلامي كالشيخ محمّد عبده الذي تتلمذ لديه ولازمه وتأثّر بأفكاره الإصلاحية، ومن خلا وضعه لـ«القاعدة الذهبية في التقريب»، وهي قاعدة للتعامل بين المختلفين من أهل القبلة، مؤدّاها: (التعاون في المتّفق عليه، والتعذير في المختلف عليه).

وقد قام بتحوير هذه القاعدة الباحث المصري عبدالحليم محمّد أبو شقّة صاحب موسوعة «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، فجعلها بصيغة: (التعاون في المتّفق عليه، والتحاور في المختلف عليه)، حيث يرى أنّ كلّ مختلف فيه قابل للحوار إذا كان الحوا جاداً ومخلصاً في طلب الحقيقة وبعيداً عن التعصّب والانغلاق.

(انظر ترجمته في: المعاصرون: ٣٢٤ ـ ٣٣٧، الأعلام الشرقية ٣: ١٠٧٥، الأعلام للزركلي ٦: ١٢٦، الأزهر في ألف عام ٢: ٣٤ـ ٤٢، معجم المفسّرين ٢: ٥٢٩، موسوعة السياسة ٢: ٨١٧، الموسوعة العربية العالمية ٢٢: ٣٦٨، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٤٢، عظماء الإسلام: ٢٩٤ ـ ٢٩٥، أعلام التراث: ٦٠ ـ ٦٢، المفسّرون للأيازي: ٦٦٥ ـ ٦٧٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٢٣٥ ـ ٢٥٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧٠٣ ـ ٧٠٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٤٦ ـ ٩٤٧، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ١٩٣ ـ ١٩٦، من أعلام الإحياء الإسلامي: ٢١ ـ ٦٢، رعاة الإصلاح: ١١٦ ـ ١٦٠، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٠٧ ـ ٣١٣، موسوعة الأعلام ٢: ٢٦٣ و٢٦٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة التقريب ٢: ٧ و١١٢).

محمّد رضا الشبيبي

محمّد رضا بن محمّد جواد بن محمّد بن شبيب بن إبراهيم بن صقر الجزائري النجفي الشبيبي: عالم، أديب، شاعر، من دعاة الحرّية والاستقلال.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٨٨٩م، وبها نشأ وتعلّم مبادئ العلوم، وحضر الأبحاث العالية على: السيّد حسين الحمامي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ محمّد كاظم الخراساني.

قرض الشعر وأجاد فيه، وشارك في بعض العلوم كالفلسفة والبلاغة واللغة والتاريخ، وكان من مشاهير رجال الأدب وفرسان القريض ومن حاملي مشعل الحركة الفكرية والنهضة الوطنية في العراق، وله مواقف إصلاحية جريئة تناولتها مذكّرات القادة السياسيّين.

وبعد الحرب العالمية الأُولى سافر إلى الحجاز حاجّاً، ومرّ بدمشق في طريق عودته، فأقام إلى سنة ١٩٢٠م، وشارك في الثورة العراقية.

وبعد تأسيس المملكة في العراق أقام ببغداد، وتولّى منصب وزير المعارف خمس مرّات، أوّلها سنة ١٩٢٤م، وأصبح عضواً في مجلس الأعوان، فرئيساً له سنة ١٩٣٧م، ثمّ عضواً في مجلس النوّاب، فرئيساً له، وبعد ثورة ١٩٥٨م انتخب رئيساً لأوّل مجمع علمي عراقي، وبعد سنتين تخلّى عنه، ثمّ أُعيد انتخابه رئيساً له سنة ١٣٨٣ هـ، وفي سنة ١٣٦٧ هـ اختير عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وكذلك في المجمع العلمي العربي بدمشق.

منحته جامعة القاهرة مرتبة الدكتوراه الفخرية في الأدب والتاريخ.

وقد نشر عدّة مقالات قيّمة في حقل الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع، وكلّها تنمّ عن ذوق رفيع وإحساس صادق. وكانت لديه مكتبة فيها بعض النفائس المخطوطة.

قال الأُستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع العلمي في القاهرة مؤبّناً الشيخ الشبيبي: «إنّ المجمع يبكي فيه عالماً من أعلام العروبة، وركناً من أركان النهضة الفكرية العربية، وداعية من دعاة الحقّ والخير والسلام».

توفّي ببغداد سنة ١٩٦٥م، ودفن في النجف. وقد ترك بعض المصنّفات، منها: أدب المغاربة والأندلسيّين، تراثنا الفلسفي، التربية في الإسلام، رحلة في بادية السماوة، مؤرّخ

العراق ابن الفوطي، القاضي ابن خلّكان.. منهجه في الضبط والإتقان، مذكّرات الشبيبي، تاريخ النجف، المأنوس من لغة القاموس، أُصول ألفاظ اللهجة العراقية، بين مصر والعراق في ميدان العلاقات الثقافية، رحلات إلى المغرب الأقصى، مع الأُستاذ أحمد لطفي السيّد في المجمع اللغوي، ديوان شعر، فنّ المناظرة، فلاسفة اليهود في الإسلام، المسألة العراقية، الفكر الشيعي، تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها، الرحلات الداخلية في عهد الأتراك.

يقول في مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» القاهرية، استهلّها بوصف «غراب البين»: «... هذه نبذة ممّا قيل في تعريف «غراب البين»، ولم تكن مقصودة بالذات، وإنّما عنيت أن أُمهّد بها للتعريف بعلّة وبيلة من عللنا الاجتماعية الفتّاكة، ألا وهي علّة المنادة بالتفرقة، والدعوة إلى تمزيق الوحدة الاجتماعية بين المسلمين، وهذه الوحدة هي أسمى وأرفع من الوحدة السياسية؛ إذ لا قيمة لأيّ وحدة سياسية إذا لم تقم على أساس وطيد من وحدة اجتماعية متينة.. أردت أن أُشبّه هؤلاء الأئمة الذين يعملون أقلامهم وألسنتهم في هذه الناحية بالغربان الناعقة أو غربان البين، وقصدت أن أُدلّل على أن كثيراً من المصائب والمحن التي عاناها المسلمون في ماضيهم وحاضرهم إنّما تردّ إلى التفرّق والانقسام وإلى سياسة التمزيق والتشتيت.

أدّى انقسام المسلمين وتخاصمهم فيما بينهم إلى ضعفهم، حتّى طمع فيهم أعداء الإسلام، وهذا التاريخ يحدّثنا أنّ أُولئك الأعداء كانت فرائصهم ترتعد من ذكر المسلمين، لمّا كانت كلمتهم مجتمعة، ولمّا كانوا كالبنيان المرصوص.

كان الروم البيزنطيّون في عصور الدولتين الأُموية والعبّاسية ينتهزون الاختلاف والشقاق الداخلي في بلاد المسلمين فرصة لغزوهم، وكان لهم في صميم بلاد الإسلام وعلى حدودها عيون توافيهم بما يجدّ من خلاف وما ينشب بين أبنائها من فتن، فينشطون لغزو البلاد الإسلامية والهجوم على المرابطين من أهل الثغور، وقد يتغلغلون إلى قلب البلاد، فلمّا وقعت فتنة الأخوين العباسيّين عبد الله المأمون ومحمّد الأمين، ولمّا احترب الأخوان، ولمّا التحمت الجيوش العبّاسية والأحزاب السياسية في بغداد وفي غير بغداد من

الأقطار شرقاً وغرباً، هجم البيزنطيّون على ثغور المملكة العبّاسية، واستولوا على شطر منها، وارتكبوا في أهلها من القتل والسلب والسباء ما تقشعرّ له الأبدان وتتفطّر منه القلوب، على أنّ المأمون تمكّن بعد ذلك من القيام بغزوة تاريخية عظيمة، لم يكتف فيها باسترداد ما أخذه البيزنطيّون، بل سار والنصر حليفه بفتح قلاع القوم ومعاقلهم حصناً حصناً ومعقلاً معقلاً، حتّى وصل إلى قلب المملكة الرومية، وفي إحدى هذه الغزوات عاجلت المأمون منيته، فمات في ثغر من تلك الثغور يعرف بطرسوس، وقبره هناك، وطرسوس اليوم من ملحقات ولاية حلب السورية، ويؤسفنا أن نقول: كأنّ طرطوس لا يوجد فيها جدث لخليفة عبّاسي عرف ببلائه في جهاده للروم.

هذا وكيف تمّ للتتار في القرن السابع للهجرة استصفاء العالم الإسلامي في الشرق وتدمير حضارته من تركستان إلى سمرقند وبخارى والبلاد المعروفة بما وراء النهر، إلى ققفاسية والبلاد الفارسية والأذربيجانية والعراق، إلى الجزيرة والشام؟ ما تمّ ذلك للمغول إلّا بأسباب، في طليعتها هذا الشقاق والتطاحن والاختلاف بين الدول الإسلامية، وهي أُمور شجّعت المغول على غزو الشرق والأقطار المذكورة. ويزعم بعض المؤرّخين أنّ لبعض خلفاء بني العبّاس المتأخّرين صلة بالمغول، وكان هذا الخليفة يحثّهم على غزو الدول الخوارزمية.. وليس من السهل فيما نرى إثبات ذلك.

هذا التاريخ الحديث ينبّئنا بكيفية استيلاء دول الاستعمار الأوروبّي على الشرق وعلى ديار الإسلام الخاصّة، وإذلال أهلها، وامتصاص دمائهم، وابتزاز ثروتهم.

وكان الشقاق والانقسام بين المسلمين عوناً للمستعمرين على استغلال البلاد المذكورة، وقد تسنّى لهذه الدول المستعمرة إثارة النعرات، وضرب بعض فرق المسلمين ببعضهم، وتعكير صفو بلادنا، ليتسنّى لهم الاصطياد.

أليس من الغريب بعد هذا أن نرى قوماً ينتسبون إلى العلم وينتمون إلى الدين، ثمّ لا يعتبرون ولا يتّعظون بمآسي المسلمين، وما جلبه عليهم الشقاق كلمتهم من الذلّ والهوان، فيصرّون في عصرنا هذا على بذر بذور الشقاق والخلاف؟!

هؤلاء قوم يلذّ لهم امتهان إخوانهم في الدين، بل إنّي أعرف فيهم من مضى عليه خمسون عاماً وأسلّة قلمه مغموسة بالدماء، لم يكتب كلمة في سبيل الوفاق والوئام، وإنّما يعنى بالكتابة في سبيل اللدد والخصام وفي سبيل نشر المثالب والمطاعن بين فرق الإسلام!

لقد آن لهؤلاء أن يعلموا أنّ الإلحاد والمروق يطغيان الآن على كثير من النشء المسلم، وأنّ مردّ ذلك في كثير من الأحيان إلى ما يشاهد من اندفاع بعض المنتسبين إلى الدين المتظاهرين بالغيرة عليه إلى الدعوة لتمزيق شمل الأُمّة وإيقاد نار الفتنة بتوجيه ضروب من الطعون والتجريح من هذه الطائفة إلى تلك، ومن تلك إلى هذه، في عصرنا هذا، العصر العصيب، فيتوهّم نشؤنا الساذج أنّ هذا هو الإسلام، وأنّ قادة الرأي في العالم الإسلامي لا عمل لهم إلّا الهدم والتخريب، فيمرق من يمرق، وينشز من ينشز، ويلحد من يلحد، والمسؤول عن ذلك دعاة الفتنة والتفريق.

ثمّ نقول لهم: أليس لدى الملل الأُخرى من مسيحية ويهودية فرق وطوائف، فلماذا لا نراها تتناحر وتتطاحن كما يطيب لهؤلاء المكابرين أن تتطاحن فرق المسلمين أحوج ما يكونون إلى الائتلاف والوئام؟!

يزعمون أنّهم دعاة الإصلاح وروّاد الخير، وما هم إلّا روّاد الخرائب! ويقولون: إنّهم أُولاء على الحقّ، ومتى كان غراب البين دليلاً هادياً للناس؟!

إذا كان الغراب دليل قوم يدلّهم على دار الخراب».

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٩: ٢٨٧ ـ ٢٨٩، الأعلام للزركلي ٦: ١٢٧ ـ ١٢٨، شعراء الغري ٩: ٣ ـ ٩٣، هكذا عرفتهم ٢: ١٠٩ ـ ١٤٢، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧١٨، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٢٩٣ ـ ٣٠٦، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ١: ١٨٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٨٢ ـ ٤٨٣، دراسات وتراجم عراقية: ٩ ـ ٣٩، معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيّين ٧: ١٧٧، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث: ١٤٩ ـ ١٥٦، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٦ ـ ٧، الشعراء العرب في القرن العشرين: ٤١٠ ـ ٤١٣، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ١٠٨٤ ـ ١٠٨٦، قادة الفكر الديني والسياسي: ٢٤٥ ـ ٣١٤).

محمّد رضا الكلبايكاني

محمّد رضا بن محمّد باقر الموسوي الكلبايكاني: فقيه إمامي معروف، ومرجع ديني كبير.

ولد سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) في ناحية «كوكد» إحدى نواحي كلبايكان في إيران، وفيها نشأ وترعرع، وسافر إلى خوانسار، ودرس العلوم الدينية عند بعض العلماء، كالسيّد محمّد حسن الخوانساري، والشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، والسيّد أحمد الخوانساري، والميرزا النائيني، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد رضا مسجد شاهي الأصفهاني، والسيّد حسين البروجردي، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

وقد قام ـ وذلك بعد إجازته بالاجتهاد من قبل الشيخ الحائري ـ بالتدريس في حوزة قم العلمية، وتخرّج على يديه بعض الأعلام، كالشهيد مرتضى المطهّري، والسيّد محمّد علي العلوي الكركاني، والشيخ محمّد المؤمن، والشيخ محمّد واعظ زادة الخراساني، والشيخ جعفر السبحاني، وغيرهم.

من جملة تصانيفه: كتاب الحجّ، كتاب القضاء، الدرّ المنضود في أحكام الحدود، رسالة في المحرّمات بالنسب، مسائل الحجّ، إفاضة العوائد، كتاب الطهارة، كتاب الشهادات، بلغة الطالب في شرح المكاسب، مجمع المسائل، نتائج الأفكار في نجاسة الكفّار، الهداية إلى من له الولاية.

وقد كانت له مبارزات سياسية في وقتها مع النظام البهلوي الحاكم آنذاك في إيران، وأصبح مرجعاً من مراجع التقليد، وقام بتأسيس بعض المراكز الإسلامية العلمية والمؤسّسات الخيرية.

وبعد عمر قضاه في التدريس والتأليف والعبادة وافته المنية في مدينة قم سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٣ م).

كان ﷺ يركّز في خطاباته كثيراً على مسألة الوحدة، حيث يقول: «لا يفوتني أن أُذكر

إخواني وأبنائي الأعزّاء من الشيعة والسنّة بضرورة وحدة كلمة الأُمّة الإسلامية بجميع مذاهبها ومشاربها، خاصّة في عصرنا الذي اتّحدت فيه كلمة الكفر العالمي رغم اختلافها في السياسة مع أتباعهم حكّام الجور وأعلام النفاق في بلاد المسلمين. نعم، اتّحدت من أجل ضرب كيان الإسلام وعقيدته وشريعته وأنصاره، ولذا أُوصيكم جميعاً بالندبة إلىٰ ذلك بتوحيد الكلمة والصفّ في مواجهة الكفر والنفاق العالمي، وإذا أراد أحدكم أن يبيّن مسائل مذهبه فليبيّنها بروح الأُخوّة والمودّة مع حفظ احترام أخيه وعدم جرح شعوره».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٣: ٢٤٦، إتمام الأعلام: ٣٥٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٠١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١١٣).

محمّد رضا المظفّر

محمّد رضا بن محمّد بن عبدالله بن محمّد المظفر النجفي: أحد علماء الإمامية البارزين، ومن الشخصيات التقريبية والإصلاحية. كان فقيهاً مجتهداً، وكاتباً مجدّداً، وشاعراً مجيداً.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢ هـ(١٩٠٢ م)، وطوى المراحل الدراسية متتلمذاً على: أخويه الشيخ محمّد حسن المظفّر، والشيخ محمّد حسين المظفّر، والشيخ محمّد طٰه الحويزي، والشيخ مرتضى الطالقاني، حتّىٰ حضر الأبحاث العالية فقهاً وأُصولاً على المشاهير، كأخيه الشيخ محمّد حسن المظفر، والميرزا النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيّد حسين الحمامي، والسيّد عبد الهادي الشيرازي. وتلقّى الحكمة والفلسفة عن الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وحاز ملكة الاجتهاد، وتضلّع في العلوم الإسلامية، ونال قسطاً وافراً من البراعة في الأدب والكتابة، وعرفته الأندية الأدبية شاعراً له وزنه بين أخدانه.

وكان في طليعة العلماء المجدّدين الذين سعوا إلىٰ إصلاح نظام الدراسة الدينية، وتطوير المناهج بما ينسجم ومتطلّبات العصر، وإصلاح المنبر الحسيني، وتعميم الثقافة الإسلامية، وتطوير أساليب التبليغ والتوجيه والإرشاد.

من جملة تلاميذه: السيّد موسى بحر العلوم، والسيّد محمّد جمال الهاشمي، والشيخ عبد الهادي الفضلي، والسيّد حسين بحر العلوم، والسيّد عدنان البكّاء، والشيخ أحمد الوائلي، والشيخ محمّد مهدي الآصفي.

أسّس سنة ١٣٥٤ هـ جمعية منتدى النشر، وكلّية منتدى النشر سنة ١٣٦٢ هـ، ثمّ كلّية الفقه عام ١٣٧٦ هـ، وتولّىٰ أمانة سرّ الجمعية فرئاستها وعمادة الكلّيتين الآنفتي الذكر.

وحضر عدّة مؤتمرات إسلامية، كمؤتمر الباكستان المنعقد سنة ١٣٧٦ هـ، ومؤتمر جامعة القرويّين بمراكش المنعقد سنة ١٣٧٩ هـ.

وانضمّ عام ١٣٧٩هـ لحركة جماعة العلماء التي تشكّلت في النجف الأشرف في تلك السنة نفسها لتوعية الأُمّة ومواجهة الغزو الثقافي والتيّارات الإلحادية الوافدة.

توفّي ليلة ١٦ رمضان سنة ١٣٨٣ هـ (١٩٦٤ م) بالنجف تاركاً جملة من المؤلّفات القيّمة، منها: أُصول الفقه، عقائد الإمامية، المنطق، السقيفة، فلسفة ابن سينا، أحلام اليقظة، حاشية خيارات المكاسب، رسائل في علم الكلام، رسالة في حياة الملّا صدرا، ديوان شعر. كما قام بتحقيق بعض الكتب، كتذكرة الفقهاء للعلّامة الحلّي، وجامع السعادات للفاضل النراقي، وتحفة الحكيم للسبزواري.

وقد كان الشيخ المظفّر من المصلحين الذين ساندوا ودعموا مشروعات الوحدة الإسلامية، ووقفوا مع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، وممّن انتقد الدعوات الرامية إلىٰ تفريق كلمة المسلمين وإثارة الضغائن والأحقاد في قلوبهم.

وعن رأيه في التقريب يقول: «ولا يجهل خبير مقدار الحاجة اليوم خاصّة إلىٰ التقريب بين جماعات المسلمين المختلفة ... إن لم نستطع أن نوحّد صفوفهم وجمعهم تحت راية واحدة». كما كان يقول: «إنّي لواثق بأنّ فكرة التقريب بين المذاهب أصبحت اليوم حاجة ملحّة وهدفاً رفيعاً لكلّ مسلم غيور على الإسلام مهما كانت نزعته المذهبية ورأيه في المخلّفات العقائدية، وليس شيء أفضل في التقريب من تولّي أهل كلّ عقيدة أنفسهم كشف دفائنها وحقائقها».

(انظر ترجمته في: شعراء الغري ٨: ٤٥١ ـ ٤٨٤، الأعلام للزركلي ٦: ١٢٧، هكذا عرفتهم ٢: ١١ ـ

٤٨، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٢١٧ ـ ١٢١٨، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ١: ١٨٩ ـ ١٩٠، معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيّين ٧: ١٧٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٤٠٥ ـ ٥٠٥، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧١٠ ـ ٧١٢، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٨ ـ ٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١١٤ ـ ١١٥).

محمّد زكريا البرديسي

الشيخ محمّد زكريا البرديسي: أُستاذ الشريعة بكلّية الحقوق بجامعة القاهرة، وداعية تقريب، ومؤلّف الكتاب المعروف «أُصول الفقه».

يقول: «إنّ التقريب أمر ممكن، بل تحتّمه علينا مقتضيات الأحوال، فكلّ هذه المذاهب ترجع إلى الكتاب وإلى السنّة، واختلاف الناس في بعض المسائل الفقهية يرجع إلى الاختلاف في الفهم.

والواقع أنّ الأزهر بمجمع البحوث الإسلامية قد بدأ خطوة عظيمة بتقسيم المباحث الفقهية إلى عدّة أقسام، ورأس كلّ قسم فقيه من الفقهاء الذين يشار إليهم بالبنان، وقد اختار كلّ فقيه من يعاونه في كتابة البحث الذي وكّل إليه، وعلى ما سمعت أنّهم قسّموا الأبحاث إلى أروقة، فمثلاً: رواق «السير»، ورواق «العبادات»، ورواق «المعاملات»، وهكذا.

فلو تحقّق هذا لأسدوا إلى الفقه الإسلامي خدمات جليلة، وجعلوه نهلاً يأخذ الناس منه كلّ ما يريدون دون عناء، خصوصاً أنّهم كما علمت سيتعرّضون للمسائل الجديدة التي يمكن أن تساير عصرنا الحاضر.

وأنا من الذين ينادون بهذا التقريب، لا سيّما وقد أُخذنا في القوانين الجديدة للأحوال الشخصية في جواز الوصية للوارث بمذهب الشيعة، وتركنا المذاهب الأربعة التي لا تجيز الوصية لوارث، وذلك مسايرة لمصالح الناس، والعمل على كلّ ما فيه مصلحة المسلمين مادمنا لا نخرج عمّا رسمه الكتاب وما رسمته السنّة النبوية».

(انظر ترجمته في: دعوة التقريب: ٢٤٠ ـ ٢٤١).

محمّد زكي إبراهيم

محمّد زكي الدين بن إبراهيم الخليل : داعية مصري.

ولد بالقاهرة سنة ١٩١٦ م ، وتعلّم بالأزهر ، وحصل منه على الشهادة العالمية القديمة ، وقدّم دراسات عليا في التصوّف والفقه المقارن ، وعمل بوظائف التربية ، وكان أُستاذاً بمعهد إعداد الدعاة ، واختير عميداً له.

وهو رائد العشيرة المحمّدية ، وشيخ الطريقة الشاذلية.

أسّس مجلّة «المسلم» ، واختير عضواً في عدد من المجالس واللجان ، وخدم الدعوة وطور قطاع التصوّف ، وتوفّي سنة ١٩٩٨ م.

له : أبجدية التصوّف الإسلامي ، أهل القبلة كلّهم موحّدون ، مراقد أهل البيت في القاهرة ، المجتمع النسائي في الإسلام ، البيت المحمّدي ، أُصول الوصول ، ديوان البقايا ، ديوان المثاني ، الإفهام والإفحام بأحكام الوسيلة والقيود في الإسلام ، أدلّة التصوّف الشرعي من صريح الكتاب وصحيح السنّة ، وغير ذلك من المصنّفات.

(انظر ترجمته في : إتمام الأعلام : ٣٦٢ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢ : ١١٥).

محمّد سرور الصبّان

محمّد سرور الصبّان : أحد روّاد الحركة الفكرية والأدبية بالمملكة العربية السعودية ، وأوّل أمين لرابطة العالم الإسلامي عند تأسيسها ، و وزير سابق للمالية السعودية.

ولد سنة ١٨٩٩م في القنفذة لأب زنجي ، وانتقل مع أُسرته إلى مكّة ، ثمّ إلى جدّة عام ١٩٠٣م ، وأخيراً عاد إلى مكّة ، حيث درس في مدرسة الخيّاط ، وعمل مع والده في التجارة ، ثمّ أضحى معاوناً لبلدية مكّة ، وتدرّج بعد ذلك في الوظائف الحكومية حتّى نال أرقى المناصب فيها.

كان للصبّان أثر مهمّ في فجر النهضة الأدبية بالسعودية ، فقد كان بمثابة قطب الدائرة ، تجمّع حوله الأُدباء الشبّان وجعل بيته منتدىً لهم. ودفعه حماسه المبكّر ووعيه بأهمّية

التجديد وضرورته إلى الإسهام بجهده وماله في كلّ ما من شأنه أن يساعد على النهضة.

قام بإصدار أوّل كتاب مع بدء توحيد المملكة يجمع بين دفّتيه نماذج شعرية ونثرية لأُدباء الحجاز، وهو كتاب «أدب الحجاز» أو «صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً»، وذلك في عام ١٩٢٤م، وأنشأ أوّل مكتبة للطبع النشر في بلده، وهي المكتبة الحجازية التي صدر عنها كتابه الثاني «المعرض» سنة ١٩٢٦ م، وهو كتاب جمع فيه آراء عدد كبير من الأُدباء في كيفية تطوير اللغة والأدب في المملكة.

وللصبّان مقالات نثرية وقصائد قليلة تكشف عن موهبة ونبوغ شعري ورؤية واعية وعميقة.

توفّي عام ١٩٧٢م.

وقد وضع الشاعر محمّد علي الحوماني اللبناني ـ وكان ممّن اتّخذ الأدب وسيلة للتكسّب ـ ديواناً كاملاً في مدح محمّد سرور الصبّان، أسماه «معلّقات»، طبعه سنة ١٩٦٠م، وللأُستاذ حسن الأمين تعليق لطيف على ذلك، فمن أراد فليراجعه في المجلّد الأوّل من «مستدركات أعيان الشيعة».

هذا، وقد جاء في كتاب أرسله الشيخ محمّد سرور الصبّان إلى صاحب الفضيلة الأُستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر بمناسبة عودته إلى مشيخة الأزهر ما نصّه: «إنّ لفضيلتكم مكانة سامية في العالم الإسلامي؛ لما يعرفه عنكم من جهاد في سبيل الحقّ، وسيبقى المسلمون أجيالاً عديدة وهم يذكرون جهودكم التي تبذلونها للتقريب بين المذاهب الإسلامية بكلّ تقدير، وهذا ولا ريب يجعل الفرحة بعودتكم إلى الأزهر الشريف فرحة عامّة».

وجاء في الكتاب الذي بعث به الشيخ عبد المجيد سليم إلى الصبّان ردّاً على كتابه: «لقد نوّهتم بجهودي المتواضعة في خدمة الحقّ وما أعمل له جاهداً من التقريب أو تقديراً لعملي، ولكن لأنّي أعلم أنّ من الخير للإسلام والمسلمين أن يؤمن أمثالكم من كبار رجالهم وأصحاب التوجيه فيهم بهذه الدعوة التي هي أساس الإسلام وقوّة أهله، فإنّه لا صلاح

للأمّة إلّا بائتلاف قلوبها، واتّحاد أبنائها، وتعاونهم على البرّ والتقوى، ونسيانهم ما كان سبباً في فرقتهم، وتمكين أعدائهم منهم. وإنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا بما صلح به أوّله، حين كان المسلمون أمّة واحدة، لا يعرفون العصبية، ولا يدعون الجاهلية، ولا همّ لهم إلّا أن تكون كلمة الله هي العليا».

(انظر ترجمته في: مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢١٨، الموسوعة العربية العالمية ١٥: ٣٧، الشعراء العرب في القرن العشرين: ٤١٤ ـ ٤١٥، مشاهير الشعراء والأدباء: ٢١٢، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ١١٠٥، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٢٠ ـ ١٢٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١١٨٤ ـ ١١٨٦).

محمّد سعيد باه

محمّد سعيد باه: مربّ صوفي، من الدعاة الإسلاميّين السنغاليّين.

تعلّم في عدد من البلدان الأفريقية، وأخذ الطريقة التيجانية، وقرأ الفقه على المذهب المالكي، وأنشأ نهضة علمية في قرية قناس بجنوبي السنغال، فوفد إليه كثير من طلبة العلم من أنحاء القارّة السوداء، فأثّر ذلك فيها، فتحوّلت إلى مدينة وأشتهرت. وأخذ يرسل طلّابه إلى القرى والبلدان للدعوة، كما كان يقوم بالدعوة في كلّ مكان، حتّى كان له أثره في نشر الإسلام بغرب أفريقيا.

توفّي سنة ١٩٨٠م في داكار بالسنغال، ودفن بمدينة كناس.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٦٤).

محمّد سعيد رمضان البوطي

محمّد سعيد رمضان البوطي: عالم مشهور، وداعية إصلاح، ينحدر من أصل كردي.

ولد عام ١٩٢٩م في قرية جيلكا التابعة لجزيرة بوطان «ابن عمر» الواقعة في تركيا شمال الحدود العراقية التركية، ثمّ هاجر مع والده ملّا رمضان البوطي إلى دمشق في عام ١٩٣٣م، وأنهى دراسته الثانوية الشرعية في معهد التوجيه الإسلامي بدمشق، والتحق عام ١٩٥٣م بكلّية الشريعة في جامعة الأزهر، وحصل على شهادة العالمية منها عام ١٩٥٥م،

والتحق في العام الذي يليه بكلّية اللغة العربية من جامعة الأزهر، ونال دبلوم التربية في نهاية ذلك العام، وعيّن معيداً في كلّية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٦٠م، وأُوفد إلى كلّية الشريعة من جامعة الأزهر للحصول على الدكتوراه في أُصول الشريعة الإسلامية، وحصل على هذه الشهادة عام ١٩٦٥م. عيّن مدرّساً في كلّية الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٦٥م، ثمّ وكيلاً لها، ثمّ عميداً لها.

اشترك ـ ولا يزال ـ في مؤتمرات وندوات عالمية كثيرة. وهو عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمّان، وفي المجلس الأعلى لأكاديمية أُكسفورد، والمجلس الاستشاري الأعلى لمؤسّسة طابة بـ«أبو ظبي».

يتقن اللغة التركية والكردية، ويلمّ باللغة الإنجليزية.

يعدّ البوطي من علماء الدين السنّة المتخصّصين في العقائد والفلسفات المادّية بعد أن قدّم رسالته في الدكتوراه في نقد المادّية الجدلية. لكنّه من الناحية الفقهية يعتبر مدافعاً عن الفقه الإسلامي المذهبي والعقيدة السنّية الأشعرية في وجه الآراء السلفية. وله كتاب في ذلك «اللامذهبية أكبر بدعة تهدّد الشريعة الإسلامية»، وآخر بعنوان «السلفية مرحلة زمنية مباركة وليست مذهباً إسلامياً»، ولم تكن علاقته أيضاً بجماعة الإخوان المسلمين في سوريا بالجيّدة. وكان أبداً من نابذي التوجّهات السياسية والعنف المسلّح، وقد سبّب ظهور كتابه «الجهاد في الإسلام» عام ١٩٩٣م في إعادة الجدل القائم بينه وبين بعض التوجّهات الإسلامية.

ظهر البوطي في بداية التسعينات ضمن وسائل الإعلام السورية، وبدا نوع من التقارب بينه وبين الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، ويرى مراقبون أنّ تقارب البوطي مع السلطة السياسية في سوريا كان له تأثير في المحافظة على سياسة سوريا المتعلّقة بدعم حركات المقاومة في وجه الاحتلال الإسرائيلي في ذات الوقت الذي كان فيه معارضي أفكاره يقفون موقفاً سلبياً من تلك الحركات.

للبوطي أُسلوب مميّز ونادر في التأليف، وكتاباته تتميّز بالموضوعية والمنهجية، فهو

يناقش جميع الاحتمالات والأفكار دون تحيّز أو تأثّر برأي مسبق أو توجّه معيّن. وتحظى دروسه بمساجد دمشق باهتمام شعبي واسع؛ لأنّه يتناول فيها شرح عدد من كتب السيرة والتزكية بأُسلوب يصفه محبّوه بالمؤثّر.

من مؤلّفاته: البدايات باكورة أعمالي الفكرية، التعرّف على الذات هو الطريق المعبّد إلى الإسلام، المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، لا يأتيه الباطل «حول الشبهات المثارة على القرآن»، الحكم العطائية، كلمات في مناسبات، دراسات قرآنية، مع الناس «مشورات وفتاوى»، هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، منشورات اجتماعية، يغالطونك إذ يقولون، الإسلام والعصر.. تحدّيات وآفاق، أوربّة من التقنية إلى الروحانية، كبرى اليقينيات الكونية.

يقول: «هناك منهج هو عبارة عن مجموعة قواعد حيادية تنبثق من أُصول الدلالات اللغوية وفقهها أو المنطق العامّ وأُصول الدراية والنظر.. ومن ثمّ فهو الميزان الوحيد الذي يكشف عن التزام المسلم واستقامته على سنن الهداية والرشد، كما يكشف عن زيغ أصحاب الأهواء وانحرافهم عن سنن الصراط المستقيم وضوابطه.

ويتجلّى دور هذا المنهج في تحقيق النقاط التالية:

١ ـ تذويب الخلافات في اجتهادات موحّدة بالنسبة لسائر المسائل المتّصلة بقواعد أُصولية متّفق عليها. فقد كان لتلك القواعد أثر كبير في جمع الآراء المتناثرة والقضاء على الخلافات. ومن دقّق النظر يفهم أنّ ذوبان كثير من الفرق الإسلامية الشاردة في إطار أهل السنّة والجماعة، كالمعتزلة، والمعطّلة، والمرجئة، والجهمية، والمجسّدة، إنّما يعود الفضل فيه إلى هذا الميزان، لا سيّما قواعده المتّفق عليها.. فلقد كان اتّفاقهم عليها ـ ولم يكن لهم في ذلك من خيار ـ موجباً لاتّفاقهم فيما تفرّع عنها من مسائل وجزئيات. ومن ثمّ ضمرت ثمّ اختفت المسائل الخلافية التي أبرزت الهويات المتناقضة لتلك الفرقة وجسّدها مدّة قرنين تقريباً من الزمن. ولكن ها هو التاريخ يشهد كيف انطوت واختفت تلك الهويات في منهج السواد الأعظم لهذه الأُمّة الإسلامية الواحدة. ولولا هذا المنهج الجامع متوّجاً بمشاعر

الإخلاص لوجه الله لاستمرت تلك الفرق في رسوخ وتباعد، ولعادت عقائد الإسلام أمشاجاً من الآراء والمذاهب المتناقضة.

٢ ـ تحويل الخلافات المتقاطعة الحادّة إلى اختلافات تعاونية، يعذّر فيها صاحب كلّ رأي واجتهاد إخوانه من ذوي الآراء المخالفة، وذلك بالنسبة للمسائل المتّصلة بقواعد أُصولية بقيت هي نفسها محلّ نظر وخلاف.

من ذلك اختلافهم في كيفية فهم وتطبيق القاعدة العربية القائلة: «إذا كثر المجاز لحق الحقيقة»، فلقد فسّر بعضٌ منهم كثرة المجاز وشيوعه بأن تصبح الحقيقة مهجورة، كقول الرجل: «أكلت من هذه الشجرة»، وفسّر ذلك آخرون بتعارف الناس على فهم المعنى المجازي للكلمة ومبادرته إلى الذهن وإن لم تكن الحقيقة مهجورة، وذلك كقول الرجل: «شربت من النهر»، أو: «ما وضعت قدمي في دار فلان».

ومن ذلك خلافهم في الاعتداد بمفهوم المخالفة، وهل الدلالة أصل في اللغة العربية؟ ومن ذلك خلافهم ـ كما ذكرنا ـ في دلالة اللفظ العامّ عند الاستعمال: أتبقى قطعية كما هي في أصل وضعها اللغوي، أم تصبح ظنّية؛ نظراً إلى أنّ أكثر العمومات عند الاستعمال يلحقها التخصيص؟

فلقد كان بقاء الاحتمال في هذه القواعد وأمثالها موجباً لإعذار كلّ فريق صاحبه في مجال الاختلاف الذي لا بدّ منه في الفروع التطبيقية لهذه القواعد. وهذا يعدّ من أهمّ مظاهر التقارب.

٣ ـ الكشف عن المواقف الناجمة عن اتّباع الأهواء والتعصّب للانتماء.. فقد بقيت رواسب من المسائل الخلافية التي كانت ـ ولا تزال ـ تغذّي التباعد المذهبي».

محمّد سليم العوّا

محمّد سليم العوّا: أُستاذ مصري مرموق، وداعية وحدة.

ولد في مصر بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ١٩٤٢م، وحصل على ليسانس الحقوق من كلّية الحقوق بجامعة الإسكندرية عام ١٩٦٣م، وعلى دبلوم الشريعة الإسلامية من الكلّية

المذكورة عام ١٩٦٤م، وعلى دبلوم القانون العامّ من نفس الكلّية عام ١٩٦٥م، وعلى دكتوراه الفلسفة في القانون المقارن من جامعة لندن عام ١٩٧٢م.

يشغل منصب الأمين العامّ للاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، وقد قدّم استقالته من هذا المنصب حالياً، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي ـ منظّمة المؤتمر الإسلامي، وعضو عامل في أكاديمية مؤسّسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي ـ الأردن، ورئيس جمعية مصر للثقافة والحوار، وعضو المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران، وعضو مؤسّس في الفريق العربي للحوار الإسلامي ـ المسيحي، وعضو لجنته الإدارية، وعضو المجلس الأعلى ومجلس الخبراء لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية في مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي ـ لندن، وعضو من الخارج في مجلس كلّية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات الإسلامية بجامعة القاهرة «مركز تابع لكلّية دار العلوم»، وعضو مؤسّس وعضو اللجنة التنفيذية لمركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطة، وعضو هيئة تحرير مجلّة «السلم المعاصر»، وعضو الهيئة الاستشارية لمجلّة (LAW & RELIGION) التي تصدرها كلّية الحقوق بجامعة (HAMLINE) في ولاية (MINNESOTA) الأمريكية، و عضو الهيئة الاستشارية لمجلّة «الحياة الطيّبة» التي يصدرها معهد الرسول الأكرمﷺ العالي للشريعة والدراسات الإسلامية ـ بيروت، وعضو مجلس أُمناء المنظّمة المصرية لحقوق الإنسان «١٩٩٤م ـ ٢٠٠٠م»، وأُستاذ محاضر بكلّية الحقوق جامعة عين شمس «دبلوم التحكيم وبرنامج الزمالة في التحكيم التجاري الدولي»، وأُستاذ غير متفرّغ بحقوق الزقازيق «١٩٨٥م ـ ١٩٩٤م»، ومستشار مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض «١٩٧٩م ـ ١٩٨٥م»، وأُستاذ للفقه الإسلامي والقانون المقارن ـ قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الرياض «الملك سعود حالياً» ـ الرياض «١٩٧٤م ـ ١٩٧٩م»، وأُستاذ مساعد للقانون المقارن ـ كلّية عبد الله بايرو ـ جامعة أحمد وبللو ـ كانو ـ نيجيريا «١٩٧٢م ـ ١٩٧٤م»، وطالب بحث «متفرّغ» بقسم

الدكتوراه ـ مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ـ جامعة لندن «١٩٦٩م ـ ١٩٧٢م»، ومحام بإدارة الفتوى والتشريع بمجلس الوزراء الكويتي «١٩٦٧م ـ ١٩٦٩م» (في إعارة من هيئة قضايا الدولة المصرية)، ومحام في هيئة قضايا الدولة بمصر «١٩٦٦م ـ ١٩٧١م»، ووكيل النائب العامّ «١٩٦٣م ـ ١٩٦٦م».

من نشاطاته العلمية: أُستاذ زائر في القانون المقارن لكلّية الدراسات الاجتماعية بجامعة أُمّ درمان الإسلامية ـ السودان «١٩٧٦م ـ ١٩٧٧م»، وعضو اللجنة الفنّية لتعديل القوانين السودانية بما يتّفق مع الشريعة الإسلامية «١٩٧٧م ـ ١٩٨٠م»، وعضو المجلس التنفيذي في المعهد العالمي للاقتصاد والبنوك الإسلامية «١٩٨١م حتّى انتهاء عمل المعهد في ١٩٨٥م»، وممتحن خارجي لدراسات برنامج الأنظمة «القوانين» في معهد الإدارة العامّة بالرياض في السنوات من «١٩٧٤م ـ ١٩٨٣م».

قدّم استشارات لجامعة قطر لإعداد مشروع قانونها ولائحتها التنفيذية عام ١٩٨٢م، وقدّم استشارات لتعديل مناهج الدراسات الإسلامية والعربية لجامعة محمّد الخامس ـ المغرب عام ١٩٨٥م. وكلّف بإعداد إعلان مكتب التربية العربي لدول الخليج لأخلاق مهنة التعليم «صدر عن مؤتمر وزراء التربة بدول الخليج» سنة ١٩٨٥م. وكلّف بإعداد ميثاق الدوحة للناشرين الخليجيّين «صدر عن مؤتمر وزراء التربية بدول الخليج» عام ١٩٨٥م. وشارك في إعداد وكلّف بتحرير كتاب «مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية» ـ المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربية لدول الخليج عام ١٩٨٥م، وهو عضو المجموعة القانونية الاستشارية لبنك فيصل الإسلامي المصري «١٩٨٥م ـ ١٩٩٤م»، و أشرف على واشترك في مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه في الشريعة الإسلامية والقانون المقارن والعلوم السياسية بجامعات الرياض «الملك سعود»، والإمام محمّد بن سعود الإسلامية، والقاهرة، وعين شمس.

كما أنّه عضو مجلس أُمناء جامعة الخليج العربية ـ البحرين «ضمن ثلاث من الشخصيات العربية ذات الوزن الدولي في مجال التعليم العالي طبقاً للنظام الأساسي

للجامعة » «١٩٨٦م ـ ١٩٨٩م»، وعضو اللجنة الدولية لإعادة النظر في قوانين السودان الإسلامية «١٩٨٦م ـ ١٩٨٧م» (لجنة من ثمانية من العلماء ورجال القانون شكّلتها حكومة السودان بعد الرئيس جعفر نميري للنظر في القوانين الإسلامية واقتراح تعديلها بما يجعلها أكثر اتّفاقاً مع الشريعة الإسلامية وملاءمة لواقع السودان، وقد قدّمت اللجنة تقريرها إلى الحكومة السودانية وتمّ اعتماد توصياتها بقرار الجمعية التأسيسية في السودان). وهو عضو الجمعية الدولية للعلماء الاجتماعيّين المسلمين في الولايات المتّحدة الأمريكية.

من مؤلّفاته: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، في أُصول النظام الجنائي الإسلامي، تفسير النصوص الجنائية، الأقباط والإسلام، العبث بالإسلام في حرب الخليج، الأزمة السياسية والدستورية في مصر، أزمة المؤسّسة الدينية في مصر، الحقّ في التعبير، الفقه الإسلامي في طريق التجديد، طارق البشري فقيهاً، الإسلاميّون والمرأة، شخصيات ومواقف عربية ومصرية، النظام السياسي في الإسلام، للدين والوطن، القاضي والسلطان، بين الآباء والأبناء، دور المقاصد في التشريعات المحاصرة، ثورة يوليو والإسلام، الدين والدولة في التجربة المصرية، في ظلال السيرة، دراسات في قانون التحكيم، الإسلام والعصر، الوسطية السياسية، مقاصد السكوت، أُسرتنا بين الدين والخلق، العلاقة بين السنّة والشيعة.

له نظرات ممتازة في مجال التقريب والوحدة الإسلامية، وقد نشرت مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية في عددها الثاني والخمسين سنة ٢٠٠٦م حواراً معه حول التقريب بعنوان «التقارب فريضة إسلامية»، تتبيّن من خلال الحوار رؤاه التقريبية، حيث يقول: «أنا أرى التقريب ليس بين المذاهب، ونحن نقرّب بين أبناء المذاهب لا بين المذاهب... نحن نحتاج إلىٰ مائة مجمع، في كلّ قرية إلىٰ مجمع، إنّ كلّ عالم يكون عارفاً أنّ علاقته بأُخوانه الشيعة على هذا المحمل، الدور الذي يقوم به المجمع في مسألة المشتركات في الروايات وفي الجهد الفقهي شيء رائع، والدور الأكبر هو جمع العلماء إلىٰ بعضهم، والدور الشخصي

الذي يقوم به أعضاء المجمع دور عظيم، لكن نحتاج إلىٰ أدوار مماثلة في البلدان الأُخرىٰ، لا يكفي فقط إيران لتطلب التقارب، يعني لا يكفي التقارب فقط من قبل إيران، يعني لا يكفي التقارب فقط من قبل الشيعة الإمامية، بل يجب أن يكون من قبل كلّ المسلمين».

وللدكتور العوّا كتاب تقريبي بعنوان «العلاقة بين السنّة والشيعة»، وهو جهد تقريبي محمود له.

يقول في ثنايا الكتاب: «إنّ التمسّك بالتعدّدية الإسلامية مع الاحترام المتبادل، التعدّدية مع احترام كلّ ذي رأي وكلّ ذي فكر، هو أساس حياتنا وقوّتنا. ومحاولة فرض الرأي والفكر على الآخر بالقوّة والقهر هي سبيل ضعفنا وموتنا. والذي يبصر يدرك ما أقول... واجبنا ليس أن نرفع شعار الوحدة الإسلامية، واجبنا هو أن نحقّق هذه الوحدة؛ لأنّنا بغير تحقيقها لن نضلّ ممّا نريد ونحبّ إلى شيءٍ أبداً. إنّنا ندعو إلى الحوار والتقريب بين أهل المذاهب لا بين المذاهب نفسها؛ لأن المذاهب أوضاع فكرية وفقهية مستقرّة لا يمكن تغييرها، لكن التعارف والتعاون بين أهلها هو الذي نعنيه بالحوار والتقريب لتحقيق الوحدة والقوّة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١١٥ ـ ١١٦ و ٣٨٠ ـ ٣٨١).

محمّد السنوسي

أبو عبد الله محمّد بن عثمان بن محمّد السنوسي: مصلح تونسي شهير.

في بيت من بيوت العلم التونسية العريقة ولد محمّد السنوسي في ٢٢ من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٦ هـ / ١٨ من سبتمبر عام ١٨٥١ م، وتعهّدته أُسرته بالتربية والتهذيب، ثمّ التحق بجامع الزيتونة، حيث تتلمذ على عدد من أعلامه، مثل: أحمد بن الخوجة، وعلي بن أبي القاسم العفيف، ومحمّد بيرم الخامس، ومحمّد الطاهر النيفر.

ولزم محمّد السنوسي شيخين جليلين كان لهما أكبر الأثر في حياته وتفكيره، هما: الشيخ محمود قابادور، والشيخ سالم بوحاجب، وعن طريقهما تعرّف إلى رجال الإصلاح من الضبّاط ورجال الإدارة في الحكم، وفي مقدّمتهم خير الدين التونسي والجنرال حسين.

وبعد أن صار محمّد السنوسي من أنجب خرّيجي جامع الزيتونة جلس للتدريس به سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م).

ولمّا ذاع صيته عيّنه المشير الثالث محمّد الصادق باي تونس معلّماً للأمير محمّد الناصر باي، فاتّبع معه أُسلوباً جدّياً في التعليم يجمع بين السنن القديمة والموروثة والمتطلّبات الحديثة في التربية، ثمّ اختاره محمّد بيرم الخامس ليعاونه في بعض المهام الكبيرة في أثناء تولية خير الدين التونسي الوزارة الكبرى، فعيّنه في سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) كاتباً أوّل لمجلس جمعية الأوقاف التي كان يتولّى رئاستها. وأضاف إليه تحرير جريدة «الرائد التونسي» في سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م)، وفي هذين العملين أعان رئيسه على تنظيم إدارة الأوقاف، وكتابة افتتاحيات الجريدة، والإشراف على طبع الكتب بالمطبعة الرسمية.

وظلّ محمّد السنوسي يعمل في هاتين المؤسّستين حتّى بعد استقالة خير الدين التونسي من الوزارة، حتّى إذا احتلّت فرنسا البلاد التونسية سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) فُصل السنوسي عن تحرير جريدة «الرائد»، وبقي في منصبه في جمعية الأوقاف التي بدأت تعبث بها الأهواء، وتدخّل الحماية الفرنسية فيها، فلم يطق ذلك وقرّر مغادرة البلاد.

استطاع محمّد السنوسي أن يحصل على إذن بالسفر للحجّ بعد لأي وتعب، فسافر إلى إيطاليا في رجب / ١٢٩١ هـ (مايو / ١٨٨٢ م)، والتحق بالجنرال حسين، وكان من محبّي الإصلاح، ورافقه في زيارة عدّة مدن إيطالية، ثمّ اتّجه إلى إستانبول، والتقى هناك بخير الدين التونسي الذي كان قد استدعاه السلطان عبد الحميد ليتولّى الصدارة العظمى، وأقام عند محمّد بيرم الخامس الذي غادر تونس بعد الاحتلال الفرنسي.. ولم تطل مدّة إقامة السنوسي في عاصمة الخلافة، فقصد الحجاز في ذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ (سبتمبر / ١٨٨٢ م)، وأدّى فريضة الحجّ، واجتمع بعدد من العلماء هناك، ثمّ سافر إلى دمشق والتقى بالأمير عبد القادر الجزائري قائد حركة المقاومة والجهاد ضدّ فرنسا في الجزائر، (٢٦ من ربيع الأوّل ١٣٠٠ هـ / ١٥ من فبراير ١٨٨٣ م)، وقد سجّل السنوسي هذه الرحلة في كتابه

«الرحلة الحجازية»، ودوّن فيها مشاهداته وما رآه في إيطاليا من علوم ومخترعات، وتعرّض لطرح بعض المسائل الفقهية والأخلاقية، كالتي تتعلّق بالإجهاض، والتمثيليّات المسرحية، ومسابقات الخيل والرماية، وطعام أهل الكتاب، وأجرى مقارنات بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي المسيحي، وضمّن كتابه التعريف بخمسة وعشرين رجلاً من أعلام الأدب والفقه والسياسة والحرب الذين التقى بهم في رحلته.

وبعد عودته إلى تونس استأنف محمّد السنوسي نشاطه في جمعية الأوقاف، وانخرط في عمله مع أهل الرأي والفكر الذين قُيّدت حركاتهم بعد انتصاب الحماية الفرنسية التي رسّخت أقدامها في البلاد، وكان السنوسي يطالع باهتمام مجلّة «العروة الوثقى» التي كان يصدرها في باريس جمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده، وكانت هناك مراسلات بين السنوسي والشيخ عبده.

ويبدو أنّ السنوسي كان من مؤسّسي الفرع التونسي للجمعية السرّية الإسلامية التي كانت تسمّى «جمعية العروة الوثقى»، وقد زاره الشيخ محمّد عبده في تونس بتاريخ ١٩ / صفر / ١٣٠٢ هـ (٦ / ديسمبر / ١٨٨٤ م)، واستُقبل هناك استقبالاً حسناً من قبل الحكومة وكبار رجالها وعلمائها، وأُقيم له عدد من الاحتفالات احتفاءً به، وكانت إقامته مناسبة لمحادثات ومناقشات في كثير من أُمور الدين والحياة والتطلّع إلى النهوض والتقدّم بدأت مقصورة على الأندية الخاصّة، ثمّ امتدّ صداها ليشمل طوائف كثيرة من أطياف الشعب التونسي.

اشتعلت في تونس بتاريخ ١٦ / جمادي الأُولى / ١٣٠٢ هـ (٣ / مارس / ١٨٨٥ م) حركة احتجاج على السلطة الفرنسية، أثارها عدد من الإجراءات اتّخذتها قوّات الاحتلال، والتي استهدفت التغيير في نظم الحياة في العاصمة التونسية، وفرضت على الناس ضرائب جديدة، وقد استمرّت هذه الحركة شهراً كاملاً. تعدّدت في أثنائها الاجتماعات التي عقدت في جامع الزيتونة المعمور وفي غيره، وانتظمت المظاهرات أمام قصر الباي حاكم تونس، وكُتبت العرائض.

ونجحت قوّات الاحتلال في السيطرة على الموقف واتّخاذ إجراءات قمعية، كان من بينها عزل السنوسي عن وظيفته لمشاركته في هذه الحركة الاحتجاجية، وإبعاده إلى مدينة «قابس». ولم تطل مدّة نفيه أكثر من ثلاثة أشهر، عاد بعدها إلى العاصمة بعد صدور عفو من الباي. وقد سجّل محمّد السنوسي أحداث هذه الحركة في كتابه «خلاصة النازلة التونسية» الذي ألّفه سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م)، لكنّه لم يرَ النور إلّا في سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٦ م) حين نشره محمّد الصادق بسيّس في تونس.

عيّن السنوسي بعد رجوعه من منفاه سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) كاتباً للمجلس العقاري المختلط، وحاول أن يخدم وطنه في ظلّ الاحتلال بعدما شاهد من اضطراب الصفوف وخور العزائم في أثناء الحركة الاحتجاجية، ثمّ انتقل إلى العمل في عدّة مناصب قضائية، واشترك في تأسيس جريدة «الحاضرة» إلى جانب جريدة «الرائد»، ثمّ سافر إلى فرنسا في سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٩ م) لزيارة المعرض الدولي في باريس. وقد وصف السنوسي رحلته هذه في كتابه «الاستطلاعات الباريسية في معرض سنة ١٨٨٩»، دوّن فيه إعجابه بالحضارة العصرية الجديدة، وعقد مقارنات بين الحالة التي كانت عليها ديار الإسلام من تخلّف وفقر وما عليه أهل الغرب من تقدّم وازدهار، وأسباب ذلك، وسجّل ما شاهده في فرنسا من نظم الحكم ومؤسّسات التعليم والثقافة، وكان كلّما تعرّض لشيء ممّا شاهده وأُعجب به ذكّر قارئه بمثيله ممّا كان عند المسلمين في أوج حضارتهم، فحين وصف المكتبة العامّة بباريس أشار إلى ما كان عليه بعض خلفاء المسلمين من شغف في جمع الكتب مثل المأمون في بغداد والحكم الأُموي في قرطبة، وحين ذكر عناية الدولة في فرنسا بالتعليم وكثرة المدارس وبخاصّة العليا أشار إلى عناية الإسلام بنشر المعارف والعلوم وطلب تعلّمها.

وبعد عودته من باريس تعرّض لسخط الحماية الفرنسية عليه بسبب مواقفه الوطنية.

أمّا آثار محمّد السنوسي فهي متنوّعة شملت الأدب والقانون والتاريخ والدين، فلم تشغله أعباؤه عن مواصلة الكتابة والتأليف، وتضمّ مؤلّفاته:

١ ـ مجمع الدواوين التونسية . استوعب فيه شعر نحو خمسين شاعراً من فحول الشعراء بتونس . وطُبع من الكتاب جزءان ، وتضمّ دار الكتب الوطنية بتونس ثلاثة أجزاء لا تزال مخطوطة .

٢ ـ تفتّق الأكمام . وهي رسالة في المرأة يوضّح فيها ما للمرأة المسلمة من حقوق وواجبات ، ولا توجد إلّا مترجمة بالفرنسية ، نقلها من العربية محيي الدين السنوسي ابن المترجم .

٣ ـ الروض الزاهر في إسناد الحبس للإسلام الزاهر . ويقصد بالحبس الأوقاف ، تحدّث في هذا الكتاب عن دور الأوقاف في البلاد التونسية مبرزاً ما لها من مزايا في مكافحة الفقر من جهة ونشر العلم والعناية بأهله من جهة أُخرى .

٤ ـ مسامرات الظريف بحسن التعريف . ويقع في ثلاثة أجزاء ، يتعرّض فيه لتاريخ فقهاء الدولة الحسينية بتونس ، من فقهاء وقضاة .

٥ ـ الأجنّة الدانية الاقتطاف بمفاخر سلسلة السادة الأشراف . وهي قصيدة في المدح تشتمل على ٢٥١ بيتاً ، نظّمها محمّد السنوسي في سلسلة الأشراف بتونس .

٦ ـ تحفة الأخيار بمولد المختار . وهو مؤلّف مفقود .

٧ ـ النبذة التاريخية في منشأ وزارة مصطفى بن إسماعيل .

٨ ـ مطلع الدرارتي . شرح فيه القانون العقاري .

٩ ـ الرحلة الحجازية .

١٠ ـ الاستطلاعات الباريسية .

١١ ـ خلاصة النازلة التونسية .

وقد استخدم السنوسي في تأليفاته المتنوّعة مصدرين رئيسيين ، هما : ثقافته في المنقول والمعقول مستعيناً بكتب الفقهاء ، وثقافة أُخرى حصل عليها من مطالعته للصحف العربية والمجلّات المصرية التي كانت تصل تونس ، والتي تأثّر بها عدد غير قليل من قادة الحركة الفكرية في تونس .

ومحمّد السنوسي يمكن عدّه من رجال الإصلاح في العالم العربي، وإن لم يقم بدور بارز مثل ما فعله خير الدين التونسي أو الأفغاني أو محمّد عبده، ولا يمكن إغفال تأثيره باعتباره داعية ماهراً، أذاع تصوّرات عصره المتعلّقة بيقظة الإسلام، وساعد على تنبيه المسلمين وإيقاظهم من غفلتهم، والسعي إلى التحرّر من الهيمنة الغربية، واعتمد في نشر أفكاره على المقالات التي كانت تنشرها له جريدة «الرائد»، مستنداً إلى الدقّة في العرض، والمنطق في الإقناع.

تعرّض الشيخ محمّد السنوسي لمرض عضال لم يشف منه حتّى وافته المنية في ٢٤ / رجب / ١٣١٨ هـ (١٧ / نوفمبر / ١٩٠٠ م)، ودفن في بلاده.

(انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية: ٤١٦ـ٤١٧، الأعلام للزركلي ٦: ٢٦٣، معجم المؤلّفين ١٠: ٢٨٥ـ٢٨٦، ملحق موسوعة السياسة: ٤٤٦، معجم الشعراء للجبوري ٥: ١٣١).

محمّد سيّد طنطاوي

محمّد سيّد عطية طنطاوي حسين: شيخ الجامع الأزهر (١٩٩٦م ـ ٢٠١٠م)، وداعية وحدة.

ولد بقرية سليم الشرقية في محافظة سوهاج عام ١٩٢٨م، وتعلّم وحفظ القرآن في الإسكندرية، وحصل على الدكتوراه في الحديث والتفسير عام ١٩٦٦م بتقدير ممتاز، وعمل كمدرّس في كلّية أُصول الدين، ثمّ انتدب للتدريس في ليبيا لمدّة أربع سنوات ابتداءً من سنة ١٩٨٠ م، وعمل في المدينة المنوّرة كعميد لكلّية الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وعيّن مفتياً للديار المصرية في ٢٨/ أُكتوبر/ ١٩٨٦م، وعيّن شيخاً للأزهر في العام ١٩٩٦م.

تولّى الكثير من المناصب القيادية في المؤسّسة السنّية الأُولى في العالم، وله تفسير سور كثيرة من القرآن. لكن هناك من اعتبر بعض مواقفه السياسية ليست موفّقة وأنّها طغت أكثر على الجانب العملي والعلمي في حياته.

توفّي صباح يوم الأربعاء ٢٤/ ربيع الأوّل/ ١٤٣١ هـ الموافق ١٠/ مارس/ ٢٠١٠م

في الرياض عن عمر ناهز ٨١ عاماً إثر نوبة قلبية تعرّض لها في مطار الملك خالد الدولي عند عودته من مؤتمر دولي عقده الملك عبد الله بن عبد العزيز لمنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام للفائزين بها عام ٢٠١٠ م. وقد قال وكيل شيخ الأزهر نقلاً عن ابن المتوفّي بأنّه سيصلّى عليه في المدينة المنوّرة وسيوارى الثرى في مقبرة البقيع.

من مؤلّفاته: معجم إعراب القرآن الكريم، بنو إسرائيل في القرآن والسنّة، التفسير الوسيط، معاملات البنوك وأحكامها الشرعية، القصّة في القرآن الكريم.

يقول طنطاوي: «إنّ الإنسان منّا يشعر بالسعادة الغامرة ويشعر بالارتياح النفسي العميق ويشعر بالانشراح القلبي عند يجد نفسه بين إخوانه وبين زملائه، وهذا الوجود ليس من أجل متعة فانية، بل من أجل خدمة ديننا ومن أجل خدمة أُمّتنا الإسلامية، ونلتقي جميعنا لكي نتناصح ولكي نتعاون ولكي نزداد تعارفاً وتآلفاً، فإنّ القرآن الكريم بيّن لنا أنّه من المقاصد التي أوجدنا الله تعالى من أجلها أن نتعارف: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

والقرآن الكريم يصف الأُمّة الإسلامية بأنّها أمّة واحدة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، وفي آية ثانية نجد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠)، فهذا التلاقي لو لم يكن له من فائدة سوى أنّه يزيد المحبّة والمودّة والتآلف والتعارف والتآخي لكفاه شرفاً ولكفاه فخراً.

إنّ التقارب بين المذاهب الإسلامية من الأُمور الواقعة؛ لأنّ الخلاف ليس في ركن من أركان الدين ولا في أصل من أُصوله، وإنّما قد توجد خلافات بين أصحاب المذهب الواحد، ولكنّها خلافات في أُمور فرعية اجتهادية، ولكلّ إنسان رأيه، وهذا أمر ثابت ونراه في جميع المذاهب الإسلامية، ولكنّنا جميعاً كمسلمين ـ والحمد لله ـ نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونؤمن بالقدر خيره وشرّه.

إذاً فهذه الندوة ليس معناها أنّ بيننا اختلافاً في الأُصول، إنّما معناها أنّه قد يوجد عند إنسان اجتهاد يختلف عن الاجتهاد الذي يوجد عند شخص آخر، وهذا الاجتهاد نراه بين الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وبين الحكماء وبين الأئمّة وبين أُولي العلم بصفة خاصّة.

إنّ الخلاف فيما يتعلّق بالأُمور الاجتهادية يعدّ من الأُمور التي قصّها علينا القرآن الكريم على ألسنة بعض الأنبياء وعلى ألسنة بعض الحكماء وعلى ألسنة بعض الصالحين، وهكذا فنحن نحمد الله سبحانه وتعالى أنّه لا يوجد خلاف حول الأُصول، وإذا وجد فهو في الفروع. أمّا إذا وجد خلاف في غير الفروع فعلينا أن نوضّح وأن نبيّن وأن نتحاور وأن نتناقش وأن نتناصح، ومادامت النوايا طيّبة ومادامت المقاصد سليمة فلا بدّ أن نصل لمحلّ للاتّفاق بيننا جميعاً؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي بيّن لنا أنّ من سنّته التي لا تتغيّر أنّه لا يضيع أجر من أحسن عملاً».

(انظر ترجمته في: المفسّرون للأيازي: ٧٦٢ـ٧٦٧، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٥٠٨ـ٥٠٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١١٦ـ١١٧).

محمّد الشاذلي النيفر

محمّد الشاذلي النيفر بن محمّد الصّادق بن محمّد الطاهر النيفر: من كبار العلماء الأعلام، وأحد المصلحين بتونس.

ولد بحاضرتها سنة ١٩١١م لبيت علم وشرف، وتعلّم بها، وحفظ القرآن الكريم، ثمّ التحق بجامعة الزيتونة، فحصل على شهادته العليا بعد أن قضى فيه جميع مراحل التعليم متتلمذاً على كبار شيوخه ـ ومنهم والده ـ وانتفع بهم، ثمّ عيّن مدرّساً فيه، وأخذ يترقّى، حتّى وصل إلى رتبة أُستاذ ممارس ذي كرسي، إلى جانب تقلّده وظائف أُخرى إدارية مع الخطابة في المساجد والإمامة. كما انتخب عميداً للكلّية الزيتونية للشريعة وأُصول الدين.

عرف بنشاطه الوطني في الجمعيات الثقافية والأدبية منذ كان طالباً، كجمعية طلبة شمال إفريقية المسلمين بفرنسا، وجمعية الشبّان المسلمين التي تولّى رئاستها مدّة.

وشارك بإنشاء جمعية الزيتونيّين سنة ١٩٣٦م بهدف توطيد الروابط بين أعضائها،

وتولّى وظيفة الكاتب العامّ فيها، وشارك بإنشاء جمعية الشبيبة الزيتونية أيضاً سنة ١٩٣٧م. وعمل على تنشيط رابطة الجمعيات القرآنية حتّى أواخر حياته.

وزاد نشاطه الوطني ضدّ الفرنسيّين، فلاحقوه، فتوارى.

فاز في انتخاب أعضاء المجلس القومي التأسيسي عام ١٩٥٦م مرشّحاً بقائمة الجبهة القومية، وساهم مساهمة فعّالة بوضع دستور الجمهورية، ثمّ انتخب كذلك عضواً في مجلس الأُمّة الأوّل عام ١٩٥٩م، وأُعيد انتخابه عضواً بمجلس النوّاب مرّتين متتاليتين. وفي هذه المجالس كلّها عرف بمواقفه الثابتة المستمدّة من مبادئ الإسلام.

اهتمّ بالصحافة من أجل نشر الثقافة والأدب، فشارك بتأسيس مجلّة «الجامعة» التي توقّفت وشيكاً بسبب مضايقة الفرنسيّين، وشارك بتأسيس جريدة «الزيتونة» سنة ١٩٥٣م تحت شعار «الوطن قبل كلّ شيء»، ثمّ «خدمة الوطن والدين»، فعطّلت كذلك مرّتين، خصوصاً لمساندتها الحزب الدستوري الجديد.

وكان للشاذلي حضوره العلمي في مختلف الدول الإسلامية، وشارك في كثير من الندوات الفكرية والملتقيات، وكان عضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وبمجمع الفقه، وفي المجلس العلمي التابع للمؤسّسة الوطنية التونسية للترجمة والتحقيق والدراسات، وفي هيئة جمعية بيت الحكمة.

حصل على عدد من الأوسمة والجوائز التقديرية، كالوسام العلوي المغربي، ووسام الاستحقاق الثقافي، والدرجة الأُولى من وسام الكفاءة الفكرية من المغرب، وجائزة بلدية تونس التقديرية الكبرى للفكر والأدب والفنون.

خدم المكتبة العربية الإسلامية بمؤلّفاته ودراساته وتحقيقاته التي جاوزت الثلاثين، منها: البوصيري.. حياته وأدبه في المديح النبوي، المازري الفقيه المتكلم، مناسك الحجّ، حكم التجنّس، مختصر تاريخ الزيتونة، حمّودة بن عبد العزيز الأديب الوزير، مناقب الشيخ محرز بن خلف، شرح همزية البوصيري، تفتّح الفقه الإسلامي على الحياة الإنسانية، المصلحة المرسلة، علماء قفصة، ابن راشد القفصي، أُدباء سالفون، علماء سوسة، التجديد

في الإسلام، مساهمة القرويّين في اللقاح العلمي بين المغرب وتونس، آراء المازري، تاريخ بني خرسان، ابن الكرديوس، دور الجامعة العربية في نهضة العالم الإسلامي، الحركة العلمية والأدبية بتونس في القرن الرابع عشر، الأُسطول في اللغة والأدب والتاريخ، عمل أهل المدينة.. معناه وحجّيته.

وحقّق عدداً من الكتب، منها: تنبيه الغافلين، قطعة من موطّأ ابن زياد، المعلم للإمام المازري، مسامرات الظريف لمحمّد السنوسي، عوالي الإمام مالك للحاكم الكبير، رسائل ابن عبدون المكناسي، نصيحة ابن عمّار الكلاعي.

وله أشعار جمعها في ديوان بجزءين.

فتح خزانة كتبه في السنوات الأخيرة، فوضعها بين أيدي الباحثين والطلّاب، وأسماها: «مكتبة آل النيفر»، فكان بيته مرتاداً لهم. ووضع نسخة من فهارسها في دار الكتب الوطنية.

توفّي عام ١٩٩٨م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٦٧ـ٣٦٨).

محمّد الصادق بسيّس

محمّد الصادق بن محمود بن محمّد بسيّس: مفكّر إسلامي، ومصلح تونسي.

استقبلت تونس العاصمة مولد محمّد الصادق في ١٥ من ذي الحجّة سنة ١٣٣٢هـ الموافق للثاني من نوفمبر عام ١٩١٤م، ونشأ في أُسرة شريفة الأصل كريمة العرق، عنيت بولدها، فحفظ القرآن في سنّ مبكّرة، وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، ثمّ تلقّى تعليمه بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونيّة، وواصل تعليمه حتّى نال شهادة العالمية من جامع الزيتونة.

وفي أثناء دراسته بالزيتونة انضمّ إلى الحزب الحرّ الدستوري الذي كان يطالب بالجهاد، وعرف بنشاطه الوافر في الحزب، وإلقاء الخطب النارية في المجتمعات، فأُلقي القبض عليه وأُدخل السجن وهو لم يتجاوز العشرين من عمره.

ولم ينسَ المجاهدون في تونس قضية فلسطين رغم انشغالهم بقضيتهم الوطنية

وسعيهم إلى التحرّر، فكانوا يبصّرون الناس بخطورة اليهود في فلسطين، وخططهم الماكرة لإقامة كيان لهم على أرضها، وكانت الخطابة وسيلتهم للاتّصال بالناس، ونظّم زعماء الجهاد برنامجاً لهذا الغرض في المدن والقرى لتعريف الناس بالقضية الفلسطينية وتفنيد دعاوى اليهود.. وكان محمّد الصادق واحداً من الخطباء الذين اختيروا لهذا الغرض، فتحرّك في القرى والمدن خطيباً ثائراً مدافعاً عن قضية فلسطين، وبلغ من عنايته بها أن لُقّب بالشيخ الفلسطيني! ولمّا كثر تخلّفه عن حضور دروسه في الزيتونة لانهماكه في هذه القضية استدعاه شيخ الجامع الطاهر ابن عاشور، ولامه على تغيّبه عن دروسه وإخلاله بواجبه في طلب العلم، وبيّن له أنّ ما يقوم به من عمل ليس مبرّراً لأن يهمل دروسه أو يتغيّب عنها.

وبعد تخرّجه في الزيتونة تنازعته ميادين كثيرة للعمل في تونس، فعمل بالتدريس في الزيتونة، والكتابة في الصحف، وإلقاء المحاضرات، وتأليف الكتب.. ساعده على ذلك ثقافة عربية وإسلامية واسعة، وإلمام بالتاريخ التونسي، ومعرفة وتتبّع لمجهود المصلحين في العالم الإسلامي، وقلم مشرق الأُسلوب، ولسان بليغ.. كلّ ذلك ساعده على نقل أفكاره إلى الناس في سهولة ويسر.

واشتهر محمّد الصادق بحبّه للسنّة النبوية، وتبحّره فيها، واطّلاعه الواسع على دواوينها، وبمعرفته الواسعة برجال الحديث وأحوالهم ومواقفهم، فكان يرويها في دروسه ومجالسه، ويستنبط منها الأحكام، ويفسّر ما فيها من غريب اللغة. وجمع إلى جانب القراءة والمطالعة في كتب السنّة الرغبة في الحصول على الإجازات من المحدّثين على الطريقة المعروفة في الرواية، ففي إحدى زيارات عبد الحي الكتّاني ـ وهو من نوابغ المحدّثين في المغرب والعالم الإسلامي ـ اجتمع به محمّد الصادق، فأجازه بجميع مروياته بخطّه.

واشتغل بالصحافة منذ عهد مبكّر، حيث كتب فيها منذ سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م)، وعالج في كتاباته الشؤون الاجتماعية والثقافية، والترجمة لأعلام تونس وغيرهم من رجال الفكر والإصلاح، وخاض معارك فكرية مع بعض المخالفين لنهج الإسلام الذين

يحاولون تشكيك الناس في ثقافتهم وتسميم عقولهم بمناهج وافدة، وكان نزيهاً في خصومته لا يميل إلى الإسفاف والتجريح.

وكان معجباً بتفكير الشيخ محمّد عبده وتلميذه محمّد رشيد رضا ومتأثّراً بهما وبمنهجهما في الإصلاح، فعرض لهما فيما يكتب في الصحافة، معرّفاً الناس بجهودهما وأثرهما في النهضة.

ولمّا قامت دعوة جماعة الإخوان المسلمين في مصر ـ وهي امتداد للحركات الإصلاحية التي ظهرت في أرض الكنانة ـ عمل محمّد الصادق على تعريف الناس بها، فألقى محاضرة في سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٤٦م) لهذا الغرض، وكانت جماعة الإخوان قد تجاوزت شهرتها مصر إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي، وعرف مؤسّسها الإمام حسن البنّا بين جماهير المسلمين المتطلّعة إلى النهوض والإصلاح.

وقام الشيخ بتقديم صورة موضوعية عن جماعة الإخوان وأسباب نشأتها وأغراضها وأهدافها ووسائلها في العمل وتنظيماتها، ولم يكن للشيخ سابقة اتّصال بها أو معرفة بقادتها، وإنّما نجح في تكوين صورته عنها من خلال ما طالعه في الصحف والمجلّات التي تأتي من بلاد المشرق، فعكف عليها وقرأها بعناية حتّى وفّق في عرضه المنظّم لجماعة الإخوان وتقديمها للناس.

وكانت للشيخ أحاديث إذاعية في تبسيط تفسير القرآن بما لا يعلو عن أذهان الجمهور، ويقبله المثقّفون وأهل العلم، وفي تقديم الآداب والقيم الإسلامية.

شارك محمّد الصادق بالتأليف في موضوعات مختلفة تشمل: الأبحاث الفقهية، والدفاع عن السنّة، والتصوّف، والترجمة لبعض الأعلام في المشرق والمغرب، ولم يعقه كثيراً انشغاله بالتدريس والعمل في الصحافة عن مواصلة التأليف..

ومن الكتب التي ألّفها: محمّد السنوسي.. حياته وآثاره (وهذا العالم من الرعيل الأوّل الذي سافر إلى المشرق، واتّصل بجمعية «العروة الوثقى» التي أنشأها جمال الدين في كلكتّا، وصار من أعضائها، فلمّا رجع إلى تونس نشر أفكارها هناك، والشيخ السنوسي هو

أوّل من أنشأ جريدة في المغرب العربي باسم «الرائد التونسي»، وكانت لتوجيه الأمّة والنهوض بها)، التصوّف في العصر الحفصي، شكيب أرسلان وصلاته بالمغرب العربي (وكانت لمحمّد الصادق صلات بالمراسلة منذ أن كان طالباً مع أمير البيان العربي شكيب أرسلان؛ لإعجابه الشديد بجهاده السياسي وجهوده الصادقة في خدمة قضايا الأمّة والإسلام)، خطّة الحسبة في تونس، الرعاية الصحّية في الإسلام، دفاعاً عن السنّة النبوية، مكانة الاجتهاد في الإسلام، نظرة في حياة الإمام الرازي وآثاره.

وإلى جانب ذلك حقّق كتاب «خلاصة النازلة التونسية» للشيخ محمّد السنوسي، وصدّره بمقدّمة نفيسة.

قضى الشيخ حياته كلّها باحثاً وكاتباً وخطيباً، لا يترك فرصة للتعلّم إلّا انتهزها، فحين ذهب إلى فرنسا للعلاج من كسر أصابه، وطالت فترة إقامته هناك، استغلّ هذا الوقت في تعلّم اللغة الفرنسية حتّى أتقنها، وجمع إلى جانب الثقافة الواسعة حسن الأخلاق والبعد عن الشبهات ومواطن الإسفاف، والتنزّه عن المغالاة في الخصومة مع مخالفيه في الرأي وإن كانوا ممّن يعادون النهج الإسلامي. وظلّ الشيخ موفور النشاط عالي الهمّة حتّى لقي الله تعالى في يوم الخميس الموافق للعاشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٩٨ هـ (١٢ من أكتوبر عام ١٩٧٨ م).

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٦٩).

محمّد صالح الفرفور

محمّد صالح بن عبد الله الفرفور: علّامة، مربّ، خطيب، أديب، أُستاذ لأجيال من العلماء والأُدباء والمفكّرين. دمشقي المولد والوفاة، من الأُسرة الفرفورية، ينتهي نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثمّ إلى الإمام الحسين بن علي ﷺ.

ولد سنة ١٩٠١ م، وأخذ القرآن الكريم على شيخ القرّاء الشيخ محمّد سليم الحلواني، وقرأ على العلّامة محمّد بدر الدين الحسيني علوماً كثيرة، ثمّ على العلّامة صالح أسعد الحمصي، والشيخ عبد القادر القصّاب، وغيرهم، وأجازوه، وكذلك بعض شيوخ الطرق

الصوفية .

اعتزل قرابة عشر سنين ليقرأ المطوّلات، ويتبحّر في نهايات العلوم، وفتح الله عليه في عزلته تلك، فكان معلمة شاملة في شتّى العلوم والفنون.

طلب إلى بيروت، فدرّس في الكلّية الشرعية فيها في الثلاثينات، ثمّ استقام في دمشق، وأنشأ بها نهضة علمية ممتازة، فأقرأ عدداً من الطلّاب، وسلّكهم، وربّاهم..

وجعل من الجامع الأُموي مركزاً لتعليمه وبثّ منهجه التربوي، وكذلك بعض المساجد المحيطة به، كجامع فتحي القلانسي وغيره، ثمّ قام بتأسيس «جمعية الفتح الإسلامي الخيرية التعليمية» بدمشق.. وانتقى من الطلبة الذين ربّاهم في المسجد وتخرّجوا به هيئة تدريسية.

كان نابغة بزّ أقرانه في أدبياته ومحفوظاته الشعرية والنثرية، وإحاطته بفقه العربية وأسرارها، وشعره الجزل الرصين.. زاد على ذلك معرفته بأُصول الفقه وبالفقه الحنفي وبأسرار التشريع، وفهم عميق للفتوى وأُصولها، ولواقع العصر ومشكلات معاصريه.

وحسبه شرفاً ـ كما يقول فيه ابنه محمّد عبد اللطيف ـ أنّه ما نافق لحاكم، ولا قبض مالاً أبداً من أحد، ولا هدية من مسؤول، ولا باع دينه ولا ضميره أبداً، بل كان يقول لرئيس البلاد آنئذٍ: «أيّها الرجل، اتّق الله».

واشترك في الثورة السورية بنفسه وماله، وشارك في جمعية العلماء، وكان فيها من المؤسّسين، ثمّ في رابطة العلماء، وكان عضواً عاملاً في الهيئتين، وانتدب ممثّلاً لسورية في مؤتمر البحوث الإسلامية في القاهرة سنة ١٩٧٢م، وله صلة بأُدباء عصره وشعرائه الصالحين، وبعلماء المسلمين في أقطار العالم الإسلامي.

شغل الإمامة في جامع المناخلية «سنان آغا»، وظلّ فيها لآخر يوم من حياته، وشغل الخطابة كذلك في الجامع المذكور، ثمّ انتقل في الخمسينات إلى جامع السادات أقصاب بدمشق، وهو مدرّس ديني في دمشق في وزارة الأوقاف منذ ١٩٤٤م لآخر حياته، ودرسه مقرّر في الجامع الأُموي تحت قبّة النسر كأجداده آل الفرفور، ودرّس كذلك في الكلّية

الشرعية بدمشق، ثمّ استقال منها لمّا أنشأ الفتح ليتفرّغ له، وهو مؤسّس جمعية الفتح الإسلامي ورئيسها وعميد معاهدها لآخر حياته.

توفّي سنة ١٩٨٦م.

ومن مطبوعات كتبه: الدرّ المنثور شرح الضياء المبين للشطّي في تراجم الأُسرة القرفورية، من نفحات الخلود، من نسمات الخلود، من رشحات الخلود، مشكاة النبوّة، النسائيات من الحرم النبوي، المحدّث الأكبر الشيخ محمّد بدر الدين الحسني كما عرفته، رسالة في العقيدة الإسلامية.

ونشرت له بعض المجلّات مقالات، مثل مجلّة «التمدّن الإسلامي» بدمشق، ومجلّة «الهداية»، وغيرها.

(انظر ترجمته في: تاريخ علماء دمشق ٣: ٥٠٧ ـ ٥٢٠، تتمّة الأعلام ٢: ١٧٠، إتمام الأعلام: ٣٧١، أعلام التراث: ١٦١ ـ ١٦٣، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٦١، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٦٣).

محمّد صالح القزاز

محمّد صالح بن عبد الرحمان القزّاز: الأمين العامّ لرابطة العالم الإسلامي.

ولد سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) بمكّة المكرّمة، ودخل في وظائف الدولة العالية، وشغل منصب المدير العامّ المساعد في أوّل إدارة للحجّ عام ١٣٦٥ هـ، وكان مديراً للزراعة، فمديراً لمشروع توسعة الحرم المكّي، وأسّس مشروع تحفيظ القرآن الكريم بالحرم أيضاً، وتولّى إدارته، ومنح رتبة وزير مفوّض لجهوده، ثمّ عيّن وكيلاً للأمين العامّ لرابطة العالم الإسلامي عند تأسيسها عام ١٣٨١ هـ، ثمّ أصبح أمينها العامّ، فقام بإنجازات عادت بالخير على المسلمين في أرجاء العالم، ومن ثمّ تقاعد لكبر سنّه.

منحه رئيس جمهورية موريتانيا أعلى وسام تمنحه دولة لشخصية إسلامية عالمية.

وقد توفّي سنة ١٩٨٩م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٧٢، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٢٤ ـ ١٢٥، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٦٧).

محمّد صالح المازندراني

الشيخ محمّد صالح بن فضل الله بن محمّد حسن النوري الحائري المازندراني: فقيه إمامي مشهور، ومن دعاة الوحدة.

ولد في كربلاء سنة ١٢٩٧ هـ، ونشأ بها على والده، وأخذ الأدب والمقدّمات عن الأخوين: الشيخ علي سيبويه، والشيخ عبّاس الأخفش الحائري، وقصد النجف الأشرف، فحضر البحوث العالية على: الشيخ حسين الخليلي، والشيخ محمّد كاظم الخراساني.

وفي سنة ١٣٢٤ هـ توجّه نحو مازندران، فدرّس فيها وألّف، وبذل نشاطاً واسعاً في الإرشاد والتوجيه.

وانتقل إلىٰ مشهد، فواصل فيها التدريس والتأليف وبثّ الوعي في صفوف الناس، ممّا دعا السلطات الحاكمة آنذاك إلىٰ إبعاده ونفيه إلىٰ مدينة «سمنان»، فأقام فيها مدّة، ثمّ أُعيد إلى مشهد، فواصل بها نشاطاته.

يروي بالإجازة عن والده، ويروي عنه: السيّد شهاب الدين المرعشي، والسيّد أحمد الروضاتي، والشيخ محمّد الشيرازي.

توفّي في سمنان، ودفن فيها سنة ١٣٩١ هـ.

من مؤلّفاته: سبائك الذهب في شرح الكفاية، حجّية الاستصحاب، اللوح المحفوظ، كتاب الوقف، ظلامة العترة الطاهرة، الانتصار لأهل البيت الأطهار، شرح دعاء السحر، ديوان الأدب، تخميس قصيدة مارون عبّود، الذروة في الفقه الاستدلالي، رسالة الكلّي الطبيعي، مشقص المصيب في العول والتعصيب، ابن سينا، ودائع الحكم، حجّية الاستصحاب، اليد البيضاء في الوجود الذهني، الصحيفة السجّادية السادسة.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية التي تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية مقالاً سنة ١٩٥١م (في العدد الرابع) تحت عنوان «إلىٰ إخواننا المسلمين»، أعرب في بدايته عن تقديره لجهود شيخ الأزهر آنذاك الشيخ عبد المجيد سليم في مجال التقريب، وأثنى عليها، وذكّره بعظمة المسؤولية التي تقع على عاتقه في هذا

المجال بحكم مقامه كشيخ للأزهر وكأحد مؤسّسي دار التقريب.

وقد ضمّن هذه المقالة نظريته ومقترحاته بشأن التقريب بين المذاهب الإسلامية، حيث يشير إلىٰ أنّ اختلاف المسلمين إنّما هو في ثلاثة مجالات رئيسية: قضية الخلافة والإمامة، المسائل العقائدية وهوية المرجع فيها، المسائل الفقهية.

ويذكر المازندراني: أنّه بالنسبة إلىٰ المسائل العقائدية لا ضرورة للتفاصيل المذكورة في الكتب الكلامية، ويكفي عامّة المسلمين الأُصول العامّة التي كان الصحابة وعلماء صدر الإسلام يعتقدونها، فإنّ المسائل الكلامية التي ظهرت بعد صدر الإسلام بحوث علمية ينبغي حصرها في إطار الأجواء العلمية والمدارس، ولا يجب على عامّة المسلمين معرفتها على نحو التفصيل.

أمّا ما يتعلّق بالمسائل الفقهية فإنّ جميع الفرق الإسلامية تؤمن بوجوب الرجوع إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه، وهي تجمع على صحّة القرآن الموجود بين الدفّتين، والجميع يتّفقون على مرجعية السنّة النبويّة الشريفة، والاختلاف إنّما هو في الطريق إليها، فأهل السنّة يتلقّونها عن الصحابة، والشيعة يتلقّونها من طريق أهل البيت ﷺ.

والطريق العلمي للتقريب هو أن يستفيد علماء كلتا الطائفتين في مدارسهم ونشاطهم الاجتهادي العلمي عملياً من كلا الطريقين، وذلك بذكر آراء الفرقتين في المسألة الواحدة والموازنة فيما بينها، وبتخصيص كرسي أو درس بفقه المذاهب عند الطرفين، حتّىٰ يتعرّف كلّ طرف آراء وأدلّة الطرف الآخر، وبمراجعة المجاميع الروائية المعتمدة لدى الفريقين.

أمّا ما يتعلّق بقضية الخلافة والإمامة فهو يدعو إلىٰ التفريق بين قضية الخلافة ـ والتي هي مسألة سياسية محضة ـ وبين قضية الإمامة التي هي زعامة روحية وعلمية، ويذهب إلىٰ أنّ الإمام علياً ؑ قد رضي في نهاية المطاف بخلافة من سبقه، وعليه لا يجب أن يتصدّى علماء الشيعة لأمر الحكومة بأنفسهم، بل يكفي أن يأتوا بحكومة عادلة يرضون بها.

هذه هي خلاصة آراء الشيخ المازندراني، ولا يخفى أنّ قسماً منها قابل للمناقشة

والأخذ والردّ، وليس هذا الموضع المناسب لذلك.

(انظر ترجمته في: معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١١٤٠، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٣١ ـ ٥٣٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧٣٦ ـ ٧٣٨، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٦٢ ـ ٦٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١١٧ ـ ١١٩ و ٣٧٢ ـ ٣٧٦).

محمّد صالح المبارك

الشيخ محمّد صالح بن علي بن سليمان بن علي آل حميدان المبارك الصفواني التميمي القطيفي: من أعلام الشيعة في المملكة العربية السعودية، وداعية تقريب.

ولد سنة ١٣١٨ هـ (١٨٩٨ م) لأُسرة علمية برز فيها الكثير من الأجلّاء، وبدأ دراسته الدينية وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وتدرّج في مدارج الكمال حتّىٰ بلغ مرتبة عالية في العلم والفقاهة.

وكان من جملة أساتذته: الشيخ علي الخنيزي، والشيخ محمّد الخطيب، والشيخ عبد الكريم الزنجاني، والشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء. ومن جملة تلاميذه: الشيخ فرج القطيفي، والشيخ منصور البيات، والشيخ أحمد السنّان.

تولّى منصب القضاء الجعفري في مدينة القطيف ابتداءً من سنة ١٣٧٦ هـ حتّى سنة ١٣٩٤ هـ.

كان من الذين دعوا إلىٰ الوحدة الإسلامية والتقارب والتآلف بين المسلمين الشيعة والسنّة، وله كتاب بهذا الصدد تحت عنوان «الدعوة إلىٰ كلمة التوحيد»، حيث يوجّه فيه دعوة صادقة للوحدة والتقارب ونبذ الفرقة والخلاف.

وعن ذلك يقول: «فيا أُخواني من دعاة الطرفين وعقلاء الفريقين، قد عرفتم المضرّة في الاختلاف، والضرورة اللازمة في الاتّحاد وشدّ أركانه وإحكام أساسه، فلا حياة للإسلام والمسلمين إلّا به».

وفي نهاية كتابه يوجه نداءً عامّاً للمسلمين يؤكّد فيه على التمسّك بالوحدة وصيانتها وحمايتها في الأُمّة، وأن لا حياة للأُمّة إلّا بها.

توفّي الشيخ المبارك عام ١٣٩٤ هـ(١٩٧٤ م) في القطيف، ودفن في مقبرة الحباكة.

ترك بعض المصنّفات، منها: القضاء في الإسلام، هداية العقول في فقه آل الرسول ﷺ، حاشية على اللمعة الدمشقية، حاشية على المكاسب، حاشية على كفاية الأُصول، ديوان شعر.

(انظر ترجمته في: خطاب الوحدة الإسلامية: ١١٢، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٣٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١١٩).

محمّد الصالح النيفر

الشيخ محمّد صالح بن محمّد الطيّب بن علي بن صالح بن أحمد النيفر: فقيه داعية، من رجال الإصلاح الإسلامي والصحوة في تونس.

ولد سنة ١٩٠٢ م في تونس لأُسرة علم وصلاح، وتعلّم في جامع الزيتونة، ودرّس فيه، وتولّى إدارة فرعه للبنات. وكان من جملة أساتذته: محمّد النخلي، ومحمّد الصادق النيفر، ومحمّد الطاهر بن عاشور، ومحمّد العزيز جعيط.

ولمّا ساء وضع مدرّسي الجامع أسّس نقابة لهم وخاض بها أوّل إضراب وأطوله في تاريخ تونس استمرّ أشهراً، حتّى رضخ الفرنسيّون لمطالبه، وأضحت شهادات جامع الزيتونة تعادل شهادات الجامعات الفرنسية.

أسّس «جمعية الشبّان المسلمين» التي انطلقت بكثير من الأعمال الخيرية كتعليم الدين وتحفيظ القرآن ومحو الأُمّية وإنشاء دور للإيتام، وأصدر مجلّة «الجامعة» سنة ١٩٤٧ م، ودعا إلى إصلاح التعليم الزيتوني، وطلب إصدار مجلّة خاصّة بالنساء، فرفض طلبه!

تزوّج عام ١٩٣٥ م من السيّدة سعاد ختّاش، فأنجبت له ثمانية أبناء.

وبعد الاستقلال سنة ١٩٥٦ م ضيّق عليه الخناق من قبل الحبيب بورقيبة، فهاجر إلى الجزائر عام ١٩٦٣ م مدرّساً في معاهد قسنطينة ومدارسها، وكانت له صلة بجمعية العلماء المسلمين الجزائرية، وأسّس هنالك «جمعية الإصلاح الأخلاقي»، وعاد إلى بلاده بعد

بضع سنوات (عام ١٩٧٠ م)، واحتضن في بيته الاجتماع التأسيسي لحركة الاتّجاه الإسلامي عام ١٩٨١ م، واعتقل مع قادة الحركة، ثمّ ما لبث أن أُفرج عنه.

توفّي عام ١٩٩٣ م تاركاً مقالات كثيرة وعدّة مؤلّفات، كالصلاة وفوائدها، ودور المرأة المسلمة، والردّ على مجلّة الأحوال الشخصية، وغيرها.

كان من جملة المنادين بضرورة الوحدة الإسلامية وأهمّيتها، وشارك في بعض المؤتمرات الإسلامية التي دعي لحضورها، وكان منها مؤتمر طهران المنعقد عام ١٩٨٢ م.

يقول: «إنّ الديانة الإسلامية التي نشأت بين عشية وضحاها بين قوم أُميّين ووسط منهار كوّنت من أُولئك البسطاء السذّج هداة مرشدين وساسة ناجحين وقوّاداً عظاماً، وأنبتت في أسرع وقت حضارة إنسانية واقعية أقضّت مضاجع حضارتين عظيمتين سايرتا التاريخ وسادتا العالم وأنجبتا أساطين في عالمي العلم والعمل، فقضت هذه الحضارة الإسلامية كحضارة إنسانية عالمية عليهما، وأنزلتهما إلى الحضيض أو ما يقاربه، وابتلعت الكثير الغالب من أساطينها... فإذا ما ذهبت عن الشرع الحصانة الإلهية ومزج بتوجيه البشر هانت زعزعة أركانه وتهوين أمره. ذلك ممّا أدركه أُولئك الأئمّة الذين قرب عهدهم من عهود مطلع التشريع الإسلامي وتذوّقوا مقاصد الشريعة وزكّتهم السنّة النبوية، فكان موقف من جاء بعدهم لمّا خافوا أن يسند الأمر إلى غير أهله وأن يستعين الحكّام بأهل العلم لتمكين سلطانهم، فاحتاطوا للتشريع، ولم يركنوا إلى العالم الذي اقترب إلى ذوي السلطان، واقتصروا على نصوص السلف وأقوالهم، خصوصاً لمّا وجدوا أنّ الفقه السلفي الذي استنبطه أُولئك الصفوة من علماء القرون الأُولى من كتاب الله وسنّة رسوله قد جمع فأوعى، فلا تكاد تجد حادثة لا يطبّق عليها ذلك القانون التشريعي. وقد استخرج أُولئك العلماء المتفقّهون في مقاصد الشريعة قواعد منبثّة في الكتاب الحكيم والسنّة المبيّنة، فسمّوها «أُصولاً للتشريع» يستند إليها المتتبّعون لأحكام الفقه وحكمة التشريع. وكم بهرت دقّتها وعمقها رجالات القوانين الغربيّين!

وقد نبّه القرآن الحكيم إلى الأمراض النفسية الراسخة في الضعف البشري، مثل: ﴿ إنّ

ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ (سورة المعارج: ١٩ ـ ٢١). ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (سورة العاديات: ٦ ـ ٨). ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٧). ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (سورة هود: ٩ ـ ١٠). ﴿كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ (سورة العلق: ٦ ـ ٧). وبمثل هذه الآيات الحكيمة نبّه الله تعالى المؤمنين إلى عيوب النفس الكامنة في الإنسان الملازمة له. وأرشده إلى العلاج، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (سورة الشمس: ٩ ـ ١٠). ولكن العلاج صعب، وقليل من الناس من يصبر عليه، والهوى غلّاب: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (سورة ص: ٢٦). ولمثل ذلك أقفل المسلمون أبواب الاجتهاد بعدما وجدوا فيما عندهم من فقه السلف الصالح المؤتمنين في دينهم الكثير المغني ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ﴾ (سورة يونس: ٣٢). ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ﴾ (سورة البقرة: ٤٢). وبهذه الحصانة سلم التشريع الإسلامي من المزايدات السياسية وعبث العابثين، ولكنّ الغربيّين والمتغرّبين الذي أقضّ مضجعهم الإسلام بصلابته رغم زوال سلطانه يتهامسون أنّ حضارة الغرب رغم بهرجتها أخذت تتآكل ودواعي الفناء تسري في شرايين وجودها. فإذا ما وجدت هذه الصحوة الإسلامية المجال أمامها فسيحاً فستقضي على الغرب وسلطان حضارته، كما كانت قضت من قبل على حضارتي فارس وبيزنطة واحتوت على مفكّريهما. فلنقضِ على هذه الصحوة في المهد، ولنعمل بجدّ ومراوغة على أن نطعم الحضارة الإسلامية التي عمادها الإيمان بالله وأنّه على كلّ شي قدير والإيمان باليوم الآخر والتهوين من هذه المعتقدات، وأن يمزج معها حياة الحضارة الغربية التي تقوم على المادّة وإرضاء الشهوات، خصوصاً وأدمغة المتعلّمين فتياناً وفتيات قد وقع احتلالها، وإقصاء التوجيه الحضاري الإسلامي. والفقه الإسلامي أُغفل في مواد العلوم، وحتّى كتبه تكاد تفقد في الأسواق والمكتبات العامّة. وأمّا الحضارة الغربية بلهوها ومجونها وتجنّيها على الأخلاق قد دخلت

كامل المجتمعات وحتّى البيوت والمخادع عن طريق الإذاعة والتلفزة. ورغم كلّ ذلك فإنّ الذين يلغون ويتقوّلون على الإسلام وتشريعه يجدون أمامهم الصحف والإذاعات مفتوحة في وجوههم مع الدعم الماديّ والأدبي. من أراد بياناً وتوضيحاً للتشريع الإسلامي لا يجد ولو صحيفة تنشر له فضلاً عن الإذاعة والتلفزة. هذا إذا لم يطرد وتسدّ السبل في وجهه!

وهل يمكن لعالم ـ مع ضعف البضاعة العلمية ـ أن يقول لحكّام بلاده: أخطأتم، وشرع الله مخالف لما تشرّعون؟! وفي هذا الجوّ وأمثاله وربّما أشدّ منه تتعالى أصوات غريبة أن افتحوا أمام الناس أبواب التشريع والاجتهاد، حتّى أنّ العدالة الاجتماعية التي دعا إليها الإسلام وحدّد ضوابطها ومفهومها لمّا أثنى الغرب على أبعادها في بعض ما قرؤوا من كتبهم ولم يرق لهم الأمر ـ وهم المتهالكون على أعتاب الغرب المنهار ـ استحدثوا ألفاظاً تملّقوا فيها حضارة الغرب، ولم يوفّقوا حتّى في تملّقهم هذا، إذ قالوا: اشتراكية إسلامية! ورغم تقديمهم لما انتحلوا من حضارة الغرب الاشتراكية على ما يتظاهرون به من إسلام فإنّ الغرب نفسه قد مجّها لمّا رأى أسواءها عند التطبيق. والإسلام في كامل الغنى عن هذا التملّق حين يقول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (سورة النحل: ٩٠)، ويقول: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (سورة البقرة: ٥٩).

أمر إدارة الحكم في البلدان العربية غريب، إذاعاتها وتلفزاتها تتحدّث عن هجرة الأدمغة. فالنابغة في علم الحساب لا يجد متّسعاً لجهوده في بلاده، فلمّا ارتحل عنها إلى الغرب وجد المناخ الطيّب والمتّسع لنبوغه والمعين على ابتكاراته، مثل ذلك الطبيب النابغ والجيولوجي المنتج. وهكذا في سائر أوجه الابتكار والإنتاج، ولكنّه يكبت نبوغه ويقضي على حيويته ويعطّل نشاطه، فينتج ويثمر في الغرب، وينسب نتاجه إلى حضارة غريبة عنه. هذا في غير ما ينسب في ظاهره إلى الإسلام، فإذا جاء من الأمر ما يتّصل بالإسلام مباشرة تضافرت جهود حكومات الغرب على كبته والوقيعة به، وحكومات البلاد العربية كلّ همّها أن يبيت الغرب راضياً عن سيرهم وعملهم! في هذا الجوّ الذي يدركه الجميع تتعالى أصوات منّا داعية إلى تطوير التشريع الإسلامي حتّى يواكب ما عليه الغرب من

تشريع ونظام وحياة، أليس من الغريب الذي تحار الأفكار في تعليله بمنطق العقل أن تبرز في هذا الحصار الشامل أصوات مادّية من فتيان وفتيات تدعو في حرارة وشوق إلى الإسلام وهم لم يدرسوه في مدارسهم وجامعاتهم، بل قدّمت لهم تلك المدارس والجامعات علمانية شهوانية في وسط لهو عابث وتحمّلوا في الصبر على دعوتهم هذه الأذى والكبت والمقاومة، ممّا دعا الكثير من أساطين الصحافة الباحثة أن ترسل من روّادها من يعمل على تقصّي أسباب هذه الصحوة الإسلامية من شباب كان الظنّ به أنّه لا يعرف الإسلام وهو لم يتعلّمه في دروسه بعدما تقدّم للساحة كتّاب تزيّوا بزي العلوم الإسلامية مشفقين ناصحين يقولون: إنّهم يعملون للإسلام وشبابه.. فطوراً يدعون لتطهيره من دنس الحكم، وما ورد في القرآن من أحكام إنّما هي نماذج لتطهير النفوس، وإنّما الغاية من الدين أن تتطهّر النفوس وتتسلّى، وتشريع القانون يبقى للناس يشرّعون فيه كيف يشاؤون! وآخرون يقولون: إنّ غاية القرآن في أحكامه إقامة الحقّ والعدل، فإذا تطوّرت الأزمان فلنترك قوانينه التي رسمها إلى ما هو خير منها! وآخرون يقولون: إنّ قصص القرآن يراد منها الأمثال، ولا يلزم صحّة ثبوتها! وآخرون يقولون: لا يصلح بنا أن نتعبّد بحرفية القرآن، بل ننظر للغاية منه، فإذا ما تلا الأقدمون قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (سورة الأنفال: ٦٠) لا حرج علينا أن نبدّل إلى ما هو أنفع، فنقول: من قوّة ومن دبّابات وطائرات.. وهم لا يستمعون إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الفرقان: ٦)، وهذا هو الإسلام المتفتّح العصري الذي يسهل قبوله! وكان من حقّهم أن يقولوا: ويرضى عنه الغرب! وكان من حقّنا أن نسائل هؤلاء وأمثالهم إذا كان الإله الذي أنزل القرآن لا يعلم استعدادات خلقه وهو في حاجة لأن يصلح له هؤلاء المجتهدون الناصحون نقصه فهم آلهة أعلم منه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٣٠)، والمكر: توجيهك غيرك إلى ما يفسد عليه غايته وأنت توهمه أنّك تعمل لصالحه. فإنّ هؤلاء الغربيّين الناصحين يشيرون على من اتّصلوا به أو اتّصل بهم من المأجورين أو السذّج المغرورين أن يطوّروا الإسلام ويميعوه حتّى يندمج في بوتقة المادّية الغربية، وبمثل هذا يهون عليهم إرضاء شهواتهم ولذّاتهم في وضح النهار،

وكسب عطف الغربيّين وعونهم، ولهم في فتح باب الاجتهاد المطلق مجال فسيح يوجّهونه حيث يشاؤون ويسدلون أستاراً سميكة على الفقه السلفي البالي. وما كان عثرة في سبيلهم من نصوص القرآن والسنّة فهم في حلّ منه بتأويله أو تبديله، وبذلك يبرؤون من التحجّر والجمود. والغرب يعينهم بما يريدون من دعاية وتأييد، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ (سورة إبراهيم: ٤٦). وفي هذا المجال الشاسع من التأييد والإعانة تبرز الشبيبة المسلمة تدعو لإخراج الإسلام مخبآته ونفض الغبار عليه: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾ (سورة الأنفال: ٣٠)، فيخرج من تلك الأدمغة التي عملتم لتكوينها وتلك الشبيبة التي علّمتموها من يفسد عليكم خططكم ويعمل لتعطيل مسيرتكم مثل الشهيدين عبد القادر عودة وسيّد قطب. فتراكم تلجؤون إلى القوّة وتسلّون سيف النقمة، وما سيف الإرهاب والنقمة بمفيد!».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١٧٢، إتمام الأعلام: ٣٧٢، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٦٦ ـ ٦٧، الشيخ محمّد الصالح النيفر (٤ مجلّدات)، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٦٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٠).

محمّد صلاح الدين المستاوي

محمّد صلاح الدين بن الحبيب المستاوي: الأمين العامّ للمجلس الإسلامي الأعلى بتونس، وداعية وحدة.

ولد سنة ١٩٥٢م بتطاوين في تونس، ووالده الشيخ الحبيب المستاوي من كبار علماء تونس والمغرب العربي.

تخرّج الشيخ محمّد صلاح الدين من كلّية الشريعة بجامعة الزيتونة، وهو متحصّل على شهادة الدراسات المعمّقة في الفقه المالكي، وله نشاط دعوي واسع في مختلف بلدان العالم، كما له العديد من المؤلّفات باللغتين العربية والفرنسية تتناول تجديد الخطاب الإسلامي والمحافظة على الثوابت والقيم الإسلامية والقضايا المعاصرة للإسلام.

من مؤلّفاته: حوار مع شاب يبحث عن الحقيقة، من توجيهات الإسلام في إصلاح

الفرد والمجتمع، موقف الإسلام من الاستنساخ، موقف الإسلام من التبرّع بالأعضاء، السماحة في الإسلام، الوسطية والاعتدال، الخطاب الديني الموجّه إلى المسلمين في الغرب، الإسلام والغرب، الإسلام والعولمة، تراجم لأعلام الثقافة الإسلامية القدامى والمعاصرين، متابعات لما يكتب عن الإسلام باللغة الفرنسية والردّ على ما فيه من شبهات لفترة تقارب ثلاثة عقود.

ومن مؤلّفاته بالفرنسية:

L'islamet, l'occident, L' islam et le don، L'islam et le clonage, L'islam religion de to lerance, Discourt religieux a d'organes I,occident.

والدكتور المستاوي عضو بمجلس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وعضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية بطرابلس، وخبير لدى منظّمة «اليونسكو» بباريس، وإمام وخطيب بالجامع الكبير بمقرين العليا منذ سنة ١٩٧٥م، وعضو المجلس العلمي لمركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ومدير ورئيس تحرير مجلّة «جوهر الإسلام» منذ سنة ١٩٧٥م إلى ١٩٨٦م، وعضو رابطة الجمعيات القرآنية بتونس، وعضو اللجنة الوطنية لمراجعة برامج التربية الإسلامية بتونس.. وقد شارك في المؤتمرات والملتقيات والندوات المختلفة في كلّ من: الجزائر، المغرب، ليبيا، مصر، المملكة العربية السعودية، سوريا، الإمارات العربية المتّحدة، السنغال، مالي، الكاميرون، بنين، إيران، أندونيسيا، فرنسا، بلجيكا، إسبانيا، إنجلترا، البوسنة والهرسك، الدانمارك، إيطاليا، مالطا، روسيا، بولونيا، اليابان.

ويقول ضمن مقال له نشرته جريدة «البيان» بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٢م: «إذا كان الحوار بين الحضارات والأديان قد قطع أشواطاً لا بأس بها بحكم ما جدّ من أحداث مؤلمة وحوادث إرهابية تسارعت وتيرتها، جعلت الاقتناع حاصلاً بضرورة الحوار تجنّباً للصدام الذي تنبّأت بحتميته بعض الأطراف، فإنّ حواراً آخر لا بدّ منه، لعلّه المقدّمة التي ينبغي الانطلاق منها. هذا الحوار تدعو إليه بإلحاح مبادئ الدين الحنيف ويفرضه الواقع، إنّه

الحوار بين المذاهب والفرق الإسلامية .

لا ينبغي أن ننكر حقائق نعيشها على امتداد الساحة الإسلامية ومنذ القرن الأوّل للهجرة ، وهي أنّنا أُمّة الإسلام وإن كان ربّنا واحداً ونبيّنا واحداً وكتابنا واحداً وقبلتنا واحدة ، فإنّنا نتوزّع إلى مذاهب وفرق ، فمنّا السنّي ومنّا الإباضي ومنّا الشيعي ، وفي الشيعة مذاهب شتّى ، ومنّا داخل السنّة ، المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي ، وفينا السلفي ، وفينا الصوفي والطرقي ، إنّها فسيفساء ، ولو مضينا في تتبّع فروع الفرق والمذاهب والطرق لبلغ العدد إلى المئات دون مبالغة !

ومع هذا الاختلاف والتنوّع الذي ليس كلّه مذموماً ؛ إذ فيه الثراء والإضافة ، وفيه توسيع الآفاق ، وفيه الفرص الأكثر لإيجاد الحلول والأجوبة على بعض الاسئلة الحادّة التي لم تعد تقبل التأجيل .

وقد أثبتت بعض التجارب المتواضعة فوائد هذا التلاقي والتعاون والتكامل حتّى مع وجود بعض الاختلافات ، فمجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظّمة المؤتمر الإسلامي والذي يتّخذ من مدينة جدّة مقرّاً له والذي يتولّى أمانته العامّة فضيلة الشيخ محمّد الحبيب ابن الخوجة سابقاً ، توصّل إلى صيغة من التعاون والتكامل بين علماء الأُمّة الإسلامية على مختلف مذاهبهم ، حيث عرضت عليهم في دورات المجمع المتلاحقة ـ والتي استضافتها عديد من الدول الإسلامية ـ قضايا مستحدثة تشغل الضمير الإسلامي حيثما كان في ديار الإسلام وخارج ديار الإسلام ليدلوا فيها بآرائهم ، ويقدّموا الإجابات المقنعة والحلول الواقعية التي تجسّد في حيّز الواقع مقولة : « الإسلام صالح لكلّ زمان ولكلّ مكان » ، وباجتهاد جماعي يتسامى على الفوارق المذهبية ، أصدر المجمع قرارات جريئة يمكن أن يعاد النظر فيها كلّما جدّ في مجالها جديد مفيد ، ولكنّها تبقى إجابات علميّة لا تدّعي الكمال ، وتلك طبيعة كلّ عمل بشري .

هذه التجربة الناجعة في المجال الفقهي العملي لا ينبغي الوقوف عندها ، بل لا بدّ أن تكون دافعة لنا كي تنزل بها إلى المسلمين حيثما كانوا ، ونجعلها عنواناً للتمشّي الصحيح

الذي ينبغي علينا أن نسلكه ونزيد الوعي به بين الناس، ونقيم على صحّته وسلامته الحجج والبراهين التي لا تعوزنا من كتاب الله الداعي إلى الوحدة واجتماع الكلمة ونبذ التنازع والاختلاف: ﴿واعْتَصِموا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، ﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ﴿إِنّما المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحُجرات: ١٠) ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)، وفي سنّة رسول الله ﷺ وسيرته التي تشبّه المسلمين بالجسد الواحد والبنيان المرصوص وبراكبي السفينة الواحدة والمتوعّدة لمن يكون سبباً في الفرقة والفتنة والاختلاف بين المسلمين بالعذاب الشديد.

إنّ النجاح في المجال العلمي والفقهي بالخصوص والمتمثّل فيما أُعدّ من أعمال علمية جادّة وما أُصدر من فتاوى وقرارات هامّة كانت سبباً في إزالة الكثير من الضيق والحرج على المسلمين ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (سورة الحجّ: ٧٨)، هذا النجاح يحتاج إلى المزيد من التعريف به وإشاعته وإذاعته بين الناس؛ إذ هو خطاب المرحلة التي تعيشها الأُمّة اليوم، هذا النجاح ينبغي المضي فيه إلى آخر مداه، أي: ينبغي أن نمسّ به المسلم أينما كان ومهما كان مذهبه ومهما كانت فرقته، ولا بدّ أن يحلّ التفتّح والتكامل والتسامح محلّ الانغلاق والتزمّت والتعصّب وادّعاء امتلاك الحقيقة، ينبغي أن تزول إلى غير رجعة ـ ولو كان ذلك شيئاً فشيئاً ـ نبرات التشنّج والاشمئزاز من الآخر وتحقيره والتشنيع به ورميه بشتّى أوصاف الزيغ والضلال والتكفير.

إنّ العالم اليوم حول المسلمين في سعي جاد إلى رؤى كونية ونظرات شمولية تجاوزت في حيّز الواقع المادّي كلّ الحدود والقيود، والمسلمون هم فقط الذين تفرّق بينهم المذهبية الضيّقة والفرقة المتعصّبة، جاعلة منهم أدياناً داخل الدين الواحد الذي يجمع بينهم. حرام على أُمّة الإسلام أن تتخلّف عن ركب البشرية، وحرام عليها أن تضرب عرض الحائط بدعوات ربّها ونداءاته المتكرّرة في الكتاب العزيز إلى اجتماع الكلمة ووحدة الصفّ.

ولا يفهم ممّا أقوله أنّني أدعو إلى اللامذهبية، معاذ الله، وكلّا، وألف كلّا، إنّما الذي أتمنّاه هو أن يستفيد المسلمون من تاريخهم الطويل وما عانوه من الانقسامات والفتن، وأن يوظّفوا ممّا توفّر للإنسانية جمعاء من أسباب التواصل والقرب وما وفّرته ثورة المعلومات من فتوحات علمية تفوق الخيال، وأن يوظّفوا ذلك لجعل الاختلافات الاجتهادية عوامل إثراء وإغناء، يجد فيها معاشر المسلمين الحلول لما يعيشونه في كلّ ديارهم وحيثما كانوا من تحدّيات وصعوبات للتوفيق بين ما يدعوهم إليه دينهم وما يقتضيه واقع حياتهم من التزامات.

إنّ بوادر عمل من هذا القبيل برزت في الآونة الأخيرة هنا وهناك، تمثّلت في عقد ندوات ومؤتمرات للتقريب بين المذاهب الإسلامية وجعلها تتعاون فيما تتّفق فيه، وهو كثير وكثير جدّاً، وفي تجنّب إثارة ما يمكن أن يتسبّب في فرقتهم واختلافهم وتنازعهم، وهو قليل وقليل جدّاً، وهو في الغالب ممّا يدخل في طي التاريخ والماضي الذي ليس كلّه مجيداً وليس كلّه مشرقاً، والذي لا يجوز ولا يمكن أن يقرّ عليه الشرع الحنيف في مقاصده وأبعاده العميقة، إنّما هي توظيف اختلافات وانقسامات الماضي لتعكير صفو الحاضر، وتسميمه وعرقلة فرص الاجتماع والتوحّد، لا بدّ أن يلتفت كلّ طرف إلى ما حوله وما وراءه، فينقّيه من كلّ أسباب بثّ الفرقة والنزاع والفتنة والتعصّب المقيت، ليكن ذلك من الماضي وليكن الحاضر والمستقبل: تصاف وتآخ وتعاون على البرّ والتقوى وتكامل في الجهود».

محمّد الطاهر ابن عاشور

محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الشاذلي بن عبد القادر بن محمّد بن عاشور: رئيس المفتين المالكيّين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وأحد روّاد الإصلاح والتقريب.

ولد بتونس سنة ١٨٧٩م، وتعلّم مبادئ العلوم، وحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، والتحق عام ١٨٩٣م بجامع الزيتونة لتلقّي العلوم، ودرس على يد: الشيخ عبد

القادر التميمي، والشيخ محمّد النخلي، والشيخ محمّد صالح الشريف، والشيخ عمر ابن عاشور، والشيخ محمّد النجّار الشريف، والشيخ سالم بوحاجب، ، وغيرهم. وحصل على شهادة التطويع سنة ١٨٩٩ م، كما حصل على العديد من الإجازات العلمية، وبلغ الذروة في العلم والفقاهة، وتتلمذ على يده الكثير من طلبة العلم في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية وغيرهما.

وتقلّد عدّة مناصب إدار ٢٣ية، حيث عيّن عضواً في مجلس إدارة الجمعية الخلدونية سنة ١٩٠٥ م، ونائباً للدولة لدى النظارة العلمية سنة ١٩٠٧ م، وعضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم سنة ١٩٠٨ م، وعضواً بمجلس المدارس، ورئيساً للجنة فهرسة المكتبة الصادقية سنة ١٩١٠ م، وعضواً بمجلس الأوقاف الأعلى سنة ١٩١١ م، وشيخاً للجامع الأعظم سنة ١٩٣٢ م، وعميداً لجامعة الزيتونة سنة ١٩٥٦ م. كما تسنّم عدّة وظائف قضائية شرعية، حيث اختير حاكماً بالمجلس المختلط العقاري، وقاضياً بالمجلس الشرعي، ومفتياً، وكبيراً لأهل الشورى، وشيخاً للمالكية. كما اختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٥٠ م، والمجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٥ م.

وقد أدخل إصلاحات مهمّة على نظام التعليم، كما أدخل مواد جديدة في الدراسة كالفيزياء والكيمياء.

وكتب عدّة مقالات لبعض المجلّات، كمجلّة «الهداية الإسلامية» بالقاهرة، ومجلّة «السعادة العظمى» بتونس، ومجلّة «المنار».

كان متزوّجاً بابنة السيّد محمّد محسن نقيب الأشراف بتونس، ورزق بنتين وثلاثة أبناء، هم: العلّامة محمّد الفاضل، وعبد الملك، وزين العابدين.

توفّي بتونس سنة ١٩٧٣ م، ودفن في مقبرة الزلّاج.

من مصنّفاته: قضايا وأحكام شرعية، الفتاوى، التوضيح والتصحيح، آراء اجتهادية، غرائب الاستعمال، مقاصد الشريعة الإسلامية، أُصول النظام الاجتماعي في الإسلام، تفسير التحرير والتنوير، الوقف وآثاره في الإسلام، أُصول الإنشاء والخطابة، موجز

البلاغة. كما قام بتحقيق ونشر ديوان بشّار بن برد في أربعة أجزاء.

وقد دعم الشيخ ابن عاشور الأُخوّة الإسلامية التي تمثّل الدعم الروحي والتأييد النفسي لأفراد الجامعة الدينية، وما الأُخوّة الإسلامية إلّا رابطة وثيقة بين المسلمين، أبطل بها الحكيم العليم عصبيات ثلاث: النسب، والحلف، والوطن. وقد تحقّق على اعتبارها من مظاهر القوّة والعزّة ما يشهد له التعارف والتواصل بين المسلمين، ويؤكّده الاتّحاد النامي بينهم رغم اختلاف الأُمم الداخلة في الإسلام. قال الشيخ ابن عاشور: «فلم يحفظ التاريخ لدين ولا لدولة ولا لدعوة استطاع واحد منها أن يضمّ إليه مختلف الأُمم ويجعلهم أُمّة واحدة لا يرى بعضهم فارقاً بينهم، مثل ما للإسلام من ذلك».

ومن ثناء العلماء عليه ما نعته به صديقه الإمام الأكبر الشيخ محمّد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر بقوله: «وللأُستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان. ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر صفاء الذوق وسعة الاطّلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق، وسريرة نقيّة من كلّ خاطر سيئ، وهمّة طمّاحة إلى المعالي، وجدّاً في العمل لا يمسّه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقلّ من إعجابي بعبقريته في العلم».

وذكره العلّامة الشيخ العالم اللغوي الأديب محمّد البشير الإبراهيمي قائلاً: «علم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره.. فهو إمام متبحّر في العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحمّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطّلاع على المنقول منها.. أقرأ وأفاد، وتخرّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي».

وأمّا عن دوره الإصلاحي المتميّز فقد ذكر البشير الإبراهيمي أنّ الذين يثيرون في وجهه الغبار أو يضعون في وجهته العواثير لمجرمون، وإنّا ـ إن شاء الله ـ للأُستاذ الأكبر في طريقه الإصلاحي لمؤيّدون وناصرون.

قال عنه الداعية المصلح الشيخ محمّد الغزالي: «هو رجل القرآن الكريم، وإمام

الثقافية الإسلامية المعاصرة.. الرجل بدأ يتكلّم عن اللغة، ويتكلّم بها أديباً.. أقرأ كلماته في «التحرير والتنوير» فأستغرب؛ لأنّه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفة، وحرّر الجملة العربية من بعض الخبات الذي أصابها في أيّام انحدار الأدب في عصوره الأخيرة. ولكن الرجل لم يلق حظّه... ابن عاشور لا يمثّل صورة من اللحم والدم، إنّما يمثّل تراثاً أدبياً علمياً عقائدياً أخلاقياً».

وتحدّث الأُستاذ الدكتور مصطفى زيد عنه بعد سبع سنين من إصداره الطبعة الأُولى من كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية»، معجباً بتصرّفاته وطريقته في الحديث عن المصلحة قائلاً: «وتمضي الأعوام فلا نرى في المصلحة كلاماً ذا وزن، حتّى خرج علينا شيخ جامع الزيتونة السيّد محمّد الطاهر ابن عاشور بكتابه المقاصد».

وعن الكتاب نفسه يقول الأُستاذ الدكتور البوطي: «من أهمّ ما يمتاز به هذا الكتاب فيما أعتقد أنّه أوّل مؤلّف يعالج موضوعاً من أبرز وأهمّ الموضوعات في أُصول الفقه، ألا وهو مقاصد الشريعة الإسلامية، ويفرده بالبحث والتحليل... لا ريب أنّ صنيع العلّامة المرحوم ابن عاشور يعدّ تأسيساً كبيراً لذاتية هذا العلم ورسماً لإطاره الذي ميّزه عن غيره».

أمّا الأُستاذ الدكتور سعيد الأفغاني فقد كتب عنه قائلاً: «هو خطوة سديدة نحو إنشاء علم أُصول الأُصول في الفقه».

وقفّا على هؤلاء الأُستاذ عبد المجيد النجّار الذي وصف كتاب المقاصد بأنّه تطوير وتهذيب.

ودعا البحث في مقاصد الشريعة والنظر في جملة ممّا كتب عنها إلى الانتهاء إلى مقالة الأُستاذ الدكتور إسماعيل الحسني في مقارنته بين مقاصد الشاطبي في «الموافقات» و«مقاصد الشريعة الإسلامية» عند ابن عاشور.. قال: «فقد اعتقدت أنّه لم يعد هناك مجال للبحث في مقاصد الشريعة كبحث متميّز في علم الأُصول؛ لأنّ الإمام الشاطبي لم يترك جانبا من جوانبه إلّا استوفاه وأتقنه. واستقرّ في ذهني بسبب ذلك أنّ البحث في المقاصد لن

يتجاوز توضيح ما سطّره روّاد الفكر المقاصدي من الأُصوليّين وخاصّة الشاطبي... إلّا أنّي ازددت شكّاً في هذا التصوّر كلّما أمعنت في دراسة فكرة المقاصد الشرعية عند الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور من خلال أهمّ مؤلّفاته... واقتنعت اقتناعاً كاملاً بأنّي إزاء نظرية في المقاصد الشرعية بعدما تردّد أُصولها إلى تراث المقاصد، تعمل أيضاً على مراجعته وتكميله».

وممّا يمكن أن تفسّر به حياة العلم والجدّ التي لازمها ابن عاشور طول حياته ما يُنقل عن ابن عاشور قوله عن نفسه: «إنّ مزية العلم وشرف الانتساب إليه أمر بلغ من اليقين والضرورة مبلغاً يقصر عنه البيان، وينقص قدره محاولة إقامة البرهان، بعد أن توجّه الله تعالى به إلى نبيّه الكريم، وهو الذي علّمه ما لم يكن يعلم، وزكّاه بأنّه على خلق عظيم وعلى صراط مستقيم، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (سورة طه: ١١٤)، قولاً جعل طلب العلم والحرص عليه والاستزادة منه أعظم مطلوب لأشرف موجود.. وبذلك كان العلم تاج نبوّته، وشعار ملّته. وإنّي أحمد الله على أن أودع فيّ محبّة العلم، والتوق إلى تحصيله وتحريره، والأُنس بدراسته ومطالعته، سجيّة فطرت عليها، فخالطت شغاف قلبي، وملأت مهجتي ولبّي، وغرزت فيّ غريزة نمّتها التربية القومية التي أخذني بها مشايخي (طيّب الله ثراهم، وطهّر ذكراهم)، ممّن جمع أُبوّة النسب وأُبوّة الروح، أو ممّن اختصّ بالأُبوّة الروحية وحدها، حتّى أصبحت لا أتعلّق بشيء من المناصب والمراتب تعلّقي بطلب العلم، ولا آنس برفقة ولا حديث أُنسي بمسامرة الأساتيذ والإخوان في دقائق العلم ورقائق الأدب، ولا حبّب إليّ شي ما حبّبت إليّ الخلوة إلى الكتاب والقرطاس، متنكّباً كلّ ما يجري حولي من المشاغل. فلا تكاليف الحياة الخاصّة، ولا أعباء الأمانات العامّة التي حُمّلتها فاحتملتها في القضاء وإدارة التعليم حالت بيني وبين أُنسي في دروس تضيء منها بروق البحث الذكي والفهم الصائب بيني وبين أبنائي من الطلبة الذين ماكانوا إلّا قرّة عين وعُدّة فخر، ومنهم اليوم علماء بارزون، أو في مطالعات وتحارير أخلص فيها نجياً إلى الماضين من العلماء والأُدباء الذي خلّفوا لنا في آثارهم الجليلة ميادين فسيحة ركضنا فيها بالأفهام والأقلام،

ومرامي بعيدة سدّدنا إليها صائب السهام. فالحمد لله الذي بوّأنا بين الماضين من أسلافنا والآتين من أخلافنا منزلة من تلقّى الأمانة فأدّاها، وأُوتي النعمة فشكرها ووفّاها».

(انظر ترجمته في: هدية العارفين ٢: ٣٧٨، الأعلام للزركلي ٦: ١٧٤، معجم المؤلّفين ١٠: ١٠١ـ ١٠٢، معجم المفسّرين ٢: ٥٤١ ـ ٥٤٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧٤٣ـ ٧٤٤، المفسّرون للأيازي: ٢٤٠ ـ ٢٤٦، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٢٨٠ ـ ٢٩٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٢٦٢ـ ١٢٦٤، موسوعة الأعلام ١: ٥٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٠ ـ ١٢٢).

محمّد طاهر القادري

الشيخ محمّد طاهر القادري هو: مؤسّس حركة منهاج القرآن العالمية، وهي المنظّمة التي تهدف إلى التأسيس للوحدة والتفاهم بين المجتمعات، كما تهدف لتعليم الشباب العلوم الإسلامية من أجل نشر السلام، وهو داعية إسلامي كبير، ومؤمن بفكرة التقريب.

ولد الشيخ طاهر القادري في ١٩ فبراير عام ١٩٥١م لأُسرة علمية، فأبوه هو الدكتور فريد الدين القادري الجيلاني أحد علماء الشريعة الباكستانيّين.. جمع الشيخ طاهر خلال ٣٦ عاماً من عمره بين ألوان من التعليم الحديث والتعليم التقليدي، حيث تلقّى تعليمه الابتدائي والثانوي في الفترة من ١٩٥٥م ـ ١٩٦٢م بمدرسة القلب المقدّس بمنطقة جهانج سادار، وفي عام ١٩٦٣م تلقّى تعليماً دينياً في المدينة بالمملكة السعودية على يد ضياء الدين مدني، وفي عام ١٩٦٦م أتمّ تعليمه الثانوي العالي من المدرسة الإسلامية العليا في جهانج، وفي عام ١٩٧٠م تلقّى دورة نظامية في الحديث على يد والده، كما حصل على الدرجة الجامعية من جامعة البنجاب في لاهور، ثمّ حصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من نفس الجامعة عام ١٩٧٢م، ثمّ على درجة الدكتوراه في الشريعة من نفس الجامعة عام ١٩٨٦م حول «العقوبات في الإسلام.. تصنيفها وفلسفتها»، وإلى جوار ذلك واصل تعليمه التقليدي، فحصل على إجازة في سند الحديث من السيّد أحمد سعيد كاظمي عام ١٩٧٩م، ثمّ على الإجازة العلمية من الشيخ محمّد علوي المالكي عام

١٩٩١م.

وخلال رحلة حياته تولّى العديد من المناصب العلمية والعملية إضافة لما ذكر، فإنّه ومنذ عام ١٩٨٦م يعمل مستشاراً ونائباً لرئيس جامعة البنجاب، كما يعمل رئيساً لجمعية «المنهاج التعليمية» في باكستان، ونائباً لرئيس المؤتمر العالمي الإسلامي، وأميناً عامّاً للاتّحاد العالمي الإسلامي، كما أنّه رئيس مجلس علماء منهاج القرآن في باكستان، وقد انتخب عضواً بالبرلمان الباكستاني عام ٢٠٠٢م، غير أنّه ما لبث أن استقال احتجاجاً على ممارسات الحكومة المنافية للدستور وللديمقراطية الحقيقية، وهو أيضاً عضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

«الإسلام ليس دين عزلة وليس دين انفصال، وأيّ قاتل لمواطن غير مسلم مصيره جهنّم.. من يرتكبون أعمالاً إرهابية من باكستان وأفغانستان ويزعمون أنّ هذا جهاد لا يعلمون ما هو الجهاد.. هذا حرام.. لن يكون مثواهم الجنّة»، بهذه الكلمات التي نقلها تقرير وكالة رويترز عبّر القادري عن ملامح من فكره، فالقادري، كما تقول عنه موسوعة ويكيبيديا، سنّي صوفي ملتزم بالقواعد الصارمة للشريعة، قدّم أعمالاً فكرية وعلمية تتناول المرجعيات الإسلامية الكبرى، حيث قام بترجمة القرآن الكريم باللغة الأردية أسماها «عرفان القرآن»، وهي الترجمة التي تتميّز بسهولة الفهم، إضافة إلى ما بها من أدب وتعظيم للأُلوهية والرسالة المحمّدية، كما قام القادري بترتيب الأحاديث النبوية بأُسلوب جديد حسب مقتضيات العصر، وذلك في كتابيه «المنهاج السوي من الحديث النبوي»، و«جامع السنّة فيما يحتاج إليه آخر الأُمّة»، وعلاوة على ذلك فقد قام بتأليف كتاب ضخم حول حياة النبي ﷺ بعنوان «سيرة الرسول ﷺ» باللغة الأُردية، كما أنّ له ـ إضافة إلى ذلك ـ أكثر من ٣٢٥ كتاباً حول مختلف الموضوعات المتعلّقة بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم والتصوّف وغيرها.

وفضلاً عن هذه المجهودات في المجال العلمي فقد بذل القادري جهوداً في تطوير وتنمية التعليم، حيث قام من خلال حركته بتأسيس شبكة تعليمية تعدّ الأكبر في باكستان،

وتقوم هذه الشبكة بإدارة عدّة معاهد ومدارس وكلّيات ومؤسّسات علمية في البلاد، إضافة إلى تأسيسه لـ «جامعة المنهاج» بمدينة لاهور، وتسهم هذه المؤسّسات كلّها في تربية الطلّاب علمياً وفكرياً وروحياً، وتمنحهم فرصة للاستفادة من العلوم الشرعية والعصرية الحديثة.

كما أسّس القادري «حزب باكستان الشعبي» بهدف تنمية النظم السياسية والديمقراطية، إضافة إلى تحقيق الأمن والسلام في باكستان، وقد كرّس القادري جهوده ومساعيه من خلال الحزب لنبذ الخلافات الفئوية والتنافر والشقاق بين المسلمين، وحثّهم على تحقيق الوحدة بينهم، إضافة إلى الأخذ بأسباب التآلف والتضامن وضمّ الشمل وتوحيد الكلمة، كما دعا إلى ضرورة الحوار بين الأديان بهدف تحقيق الأمن والسلام على المستوى العالمي، وأكّد ضرورة الاهتمام بحماية حقوق الأقلّيات في البلاد، وبناءً عليه قام بإقامة منتدى الحوار بين المسلمين والمسيحيّين تحت رعاية حزب باكستان الشعبي، وذلك لإظهار التضامن مع المسيحيّين.

والشيخ القادري الآن مستوطن في بريطانيا.

محمّد الطباطبائي

محمّد بن صادق الحسيني الطباطبائي: عالم ومصلح إمامي.

كثيراً ما يقترن اسم هذا العالم المجاهد باسم رفيق دربه في الكفاح السيّد عبد الله البهبهاني، حيث وسّع هذان العالمان المجاهدان من نشاطاتهما، ودخلوا في مراحل أكثر جدّية وتأثيراً في تاريخ إيران وحركة الدستور، فقد حضرا اجتماعاً شعبياً عظيماً في مسجد الشاه ليتحدّثا عن مضار الحكومة الدكتاتورية ومحاسن الحكومة الشعبية والدستورية، غير أنّ جماعة من عملاء الشاه وخدم البلاط تغلغلوا بين الناس ـ وذلك طبقاً لخطّة معدّة مسبقاً ـ من أجل تفريق هذا الاجتماع الهائل، وبدأوا بإيذائهم وإهانتهم، حتّى أنّهم أهانوا العالمين المجاهدين الجليلين، وتفاقم الحال في مسجد الشاه ذلك اليوم حتّى انتهى إلى المشاجرة والصِدام والجراح، فاضطرّ الناس إلى التفرّق للخلاص من هذه الفتنة.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر آذر ١٢٨٢ هـ. ش اعتصم العالمان المجاهدان بمعيّة جماعة من العلماء والتجّار كالحاجّ الشيخ مرتضى متولّي مدرسة خان مروي، وصدر العلماء، والسيّد جمال الدين الأفجئي، والميرزا مصطفى ابن الحاجّ الميرزا محمّد حسن الآشتياني، والشيخ محمّد صادق الكاشاني، والشيخ محمّد رضا القمّي، وجماعة من تجّار طهران، في صحن السيّد عبد العظيم الحسني ليعلنوا بذلك احتجاجهم ومعارضتهم.

وفي أثناء الطريق وقف جماعة من أزلام النظام بوجههم، وسعوا إلى صدّهم عن هذه الحركة، وبلغ الأمر حدّ المصادمات وإطلاق النار، ولكن نتيجة لإصرار التجّار وضغوطهم وإغلاقهم محالهم التجارية، واحتمال ازدياد الاضطراب أمر عين الدولة، الحاكم العسكري لطهران آنذاك، أفراد الشرطة وعملاء الحكومة بالكفّ عنهم والسماح لهذه الجماعة أن تكمل مسيرها نحو صحن السيّد عبد العظيم، لكنّه أمر من ناحية أُخرى بأنّه إذا ما استمرّ الذين أغلقوا محلّاتهم بهذه المناسبة في إغلاقها ولم يفتحوها فإنّها ستنهب من قبل أفراد الشرطة، وفعلاً فإنّ بعضاً من التجّار لم يكترثوا لهذا الأمر الصادر، فنهب أزلام النظام بضائع محلّاتهم وسيطروا عليها.

أمّا رجال الدولة الذين كانوا مرتبطين بالأجانب، وكان كلّ منهم تحت حماية السفير الروسي أو الإنجليزي، فإنّهم ـ ومن أجل الحفاظ على مصالح أسيادهم الأجانب ـ سعوا إلى فصم عروة الاتّحاد بين السيّدين العالمين المجاهدين محمّد الطباطبائي وعبد الله البهبهاني، فاستخدموا التهديد تارةً، والأطماع أُخرى، فكانوا كلّ يوم يرسلون إليهما رسالة تهديد أو وعد بمال ومنصب، وأنّهما يلقيان بأنفسهما إلى التهلكة عبر هذا الطريق الذي اختاراه. لكن هؤلاء غفلوا عن أنّ رجال الحقّ لا يهابون في طريق إيمانهم وعقيدتهم التهديد والموت والشهادة، ولا ينحرفون عن الصراط المستقيم عبر ترغيبهم ووعدهم بالمال والمنصب والجاه، وكما يقول الإمام علي عليه السلام: «فإنّهم زهّاد الليل وليوث النهار».

وقد هزّت إقامة المجاهدين الشجاعين بالري معربين عن اعتراضهما ومخالفتهما للحكومة أعماق الجماهير؛ نظراً لامتلاكهما قلوب الناس ولمكانتهما الخاصّة فيها، ومنذ

اليوم الأوّل الذي اتّجه فيه هذان العالمان نحو الري رافقهما جماعة من أنصارهما، أمّا بعد استقرارهما بالري فقد بدأت مجموعات جديدة من الجماهير تتّجه إلى الري كلّ يوم، وقاموا يلتحقون بالعالمين المجاهدين وأنصارهما، وبذلك كانت أعدادهم تزداد يوماً بعد يوم، واستمرّت بالازدياد لتكوّن سيلاً جارفاً يقوى على تحطيم جدران الخصم والمخالف في ساعة الصفر.

وقد بلغ الأمر أن خالف بعض شباب العوائل الفخمة المتّصلة بالبلاط، بل وحتّى جماعة من رجال الدولة وأولاد الأُمراء القاجار، النظام الحاكم آنذاك، ولذلك غضب عليهم الملك المستبدّ وأعوانه الانتهازيّون، ففارقته تلك الطائفة وقصدوا الري والتحقوا بذلك الجمع.

وأدّى تزايد أعداد هذه الجماهير يوماً بعد آخر ولحظة بعد أُخرى، والتفافها حول قائديها المحبوبين إلى رعب الجهاز الحاكم وقلقه شيئاً فشيئاً، حتّى أنّ عين الدولة رئيس الوزراء الدكتاتور المستبدّ، ورجل بلاط القاجار المستميت الذي لم يأتِ أحداً من باب السلام والصلح أبداً، عندما رأى أنّه لا يقوى على مواجهة هذه الجماهير عن أيّ طريق كان قد فكر جدّياً بتهديد الشعب وإرعابه، فأرسل أحد عسكرييه القساة الذين كان يعتمد عليهم مع مئات الفرسان المسلّحين إلى الري للقيام بهذا التهديد والإرهاب. غير أنّ المقاتلين المسلمين الشجعان لم يخافوا من مواجهة الفرسان المسلّحين وأفراد الجيش الذي يعملون تحت إمرة الأجانب، فهم ضعفاء أمام القوى الأجنبية، وشجعان جلّادون أمام شعبهم المحروم المضطهد الأعزل وأبناء وطنهم الحفاة! وثبتوا بكلّ جرأة وصلابة أمام هذا الجحفل، وبيّنوا بقول صريح بليغ مشاكل الشعب وحرمانه، وعدّدوا مفاسد الحكومة الدكتاتورية واحدة فواحدة، وانتقدوا بشدّة إجحاف الدولة بحقوق الجماهير وتعدّيها عليها.

وأخيراً نظّم هذا الجمع بياناً ذكروا فيه مطالبهم التي أشرف عليها وأيّدها العالمان المجاهدان، وأوردوها في ثماني موادّ وأرسلوها إلى الشاه بواسطة السفير العثماني. وكانت

هذه المواد التي ثبتت جزئيّاتها في التاريخ كأوّل مطالبة بالحقوق مدوّنة، وأوّل طلب منظّم دقيق بقيام الحكومة الدستورية، عبارة عن:

١ ـ إيجاد (دار العدالة) في أنحاء إيران، سواء في المدن أم القرى.

٢ ـ عزل علاء الدولة من حكومة طهران.

٣ ـ إرجاع الحاجّ الميرزا محمّد رضا ـ وهو أحد العلماء المجاهدين في أوائل نهضة الدستور وقد نفي بسبب عقائده التحرّرية ـ من رفسنجان إلى كرمان.

٤ ـ إعادة سدانة مدرسة خان إلى سادنها الأصلي.

٥ ـ تطبيق القوانين الإسلامية وتوسعة نطاقها في أنحاء البلد الإيراني.

٦ ـ عزل المسيو (نوز) البلجيكي عن رئاسة الكمرك والمالية، حيث لم يكن له همّة وهو في هذا المنصب المهمّ إلّا إيذاء الناس والتبذير بما في بيت المال وإتلافه.

٧ ـ تقليل الرواتب الحكومية بمقدار عشر شاهيات من كلّ تومان، والذي سنّ قبل عام واحد.

٨ ـ وأخيراً عزل عسكر كاريجي عن إدارة العربات على طريق قم. وكان هذا الرجل قد حصل على امتياز إدارة عربات طريق قم من الدولة، لكنّه كان يسيء معاملة المسافرين وخاصّة علماء قم وطلّابها، فكان يشكونه ويتظلّمون منه إلى علماء طهران. فأراد قادة نهضة الدستور أن يستميلوا علماء قم وطلّاب حوزتها وإشراكهم معهم في الثورة عبر إدراج مطلبهم ضمن هذه المطالب.

أخذ السفير العثماني مطاليب العلماء التي أصدرها ووافق عليها المئات من المتحصّنين بالري، وذهب بها إلى البلاط وسلّمها بيد الشاه، غير أنّ الشاه ـ وكعادته ـ رماها جانباً ولم يعرها أدنى اهتمام! لكن مقاومة المعتصمين في صحن السيّد عبد العظيم وطول مكوث العلماء بينهم أثار القلق لدى الشاه؛ لأنّه أُبلغ بتأزّم أوضاع هذا الاعتصام، وبأنّ جماعات جديدة تلتحق كلّ يوم بالمعتصمين، حتّى أنّ الكثير منهم قد جاؤوا من مدن بعيدة للاشتراك في هذه النهضة، وليقفوا إلى جانب المجاهدين. فخاف الشاه من ذلك وفكّر

بطريق خلاص، فأشار عليه مشاوروه ومن حوله بالموافقة على مطاليب الثائرين فوراً.

وهذا ما فعله الشاه، بل وأرسل عربته الخاصّة إلى الري لتأتي بالسيّدين المجاهدين ومرافقيهما إلى طهران بكلّ حفاوة وتكريم. بل وطلب مشاوروا الشاه منه أن يكتب رسالة يعد فيها بتأسيس دار العدل وتطبيق أحكام الإسلام.

وبهذا أنهى العلماء، وعلى رأسهم السيّد محمّد الطباطبائي والسيّد عبد الله البهبهاني، اعتصامهم واتّجهوا إلى طهران، وتبعهم على ذلك من كان معهم.

أمّا العلماء فإنّهم انتظروا كثيراً بعد رجوعهم إلى طهران أن يفي الشاه بوعوده، ولكن لم يتمّ ذلك، ولذلك كتب السيّد محمّد الطباطبائي بعد مدّة رسالة إلى عين الدولة رئيس الوزراء المخالف للحكومة الدستورية في إيران يتجلّى من مضمونها ومحتواها طلب استقلال البلاد ومحبّة الشعب وعشقهم للحرّية وشموخ الشعب وافتخار الوطن وعمرانه.. ومن جملة ما كتب السيّد في رسالته:

«أين تلك العهود والمواثيق؟ إنّكم تعلمون جيّداً بدمار هذا الوطن واستئصال هذا الشعب والأخطار التي تحيط به، وتعلمون جيّداً أنّ إصلاح كلّ ذلك لا يمكن إلّا بتأسيس المجلس واتّحاد الحكومة والشعب ورجال الدولة والعلماء، والعجب من أنّ المرض معلوم وطريق علاجه معلوم، ثمّ لا تقدمون على ذلك!

إنّ هذه الإصلاحات التي يطالب بها الشعب ستقع عن قريب، لكنّنا نريدها أن تتمّ على يد ملكنا ورئيسنا، لا على يد الروس والإنجليز والعثمانيّين! نحن لا نريد أن يكتب التاريخ أنّ الدولة قد انقرضت مع مظفّر الدين شاه، وأنّ إيران في عهده قد ذهبت أدراج الرياح.. الخطر قريب والوقت ضيّق، والآن وقد أشرف هذا المريض على الموت أيحسن تأخير العلاج؟

أُقسم بالله وجميع أنبيائه وأوليائه بأنّ إيران ستفنى بأدنى تهاون ومهادنة. وإذا كنت قد تعدّيت الحدّ أو سأتعدّاه فإنّي معذور؛ لأنّ إيران وطني، وكلّ اعتباري بهذا الوطن خدمتي للإسلام في هذا الوطن، وعزّتي مرتبطة تماماً بهذه الدولة.

إنّي أرى هذه الدولة تسقط بيد الأجانب فتذهب كلّ شؤوني واعتباراتي ! وسأبقى محافظاً على هذه الدولة ما دام فيَّ عرق ينبض ونفس يصعد، بل وسأُقدّم نفسي قرباناً في هذا السبيل إن اقتضى الأمر.

اليوم يجب أن تلقى الأغراض الشخصية جانباً، التضحية لله وحده، فلِمَ هذه الأعمال باسم فلان وفلان ؟!

الوقت قصير، والمطلب مهمّ، ولات حين أوهام وخيال. إنّي مستعدّ أن أتجاوز كلّ شيء، وأضع شأني واعتباري جانباً، وإذا توقّف القيام بهذا العمل على أن أكون مرتّباً للأحذية في بيتكم، أو أكون بوّاباً لداركم، فإنّي مستعدّ لذلك !

أُقسم عليكم بالله ورسول الله أن لا تجعلوا أبناء هذا الشعب أسرى بيد الروس والإنجليز والعثمانيّين، فأين العهد ؟ وأين القرآن ؟ لقد كان عهدنا تأسيس المجلس.

لم يبق من عمري إلّا اليسير، ولا أحظى بشيء، فحظّي في هذا العمر هو الإقدام على هذا العمل، ومنتهى أملي هو تحقيق هذا الأمر، فإمّا أن أبذل نفسي في هذا السبيل ـ وهو مبعث عفو وافتخار لي ولأبنائي ـ وإلّا فإنّ هذا الأمر إن لم يتمّ فسوف تلعننا أجيالنا القادمة، كما أنّنا لم نرضَ عن آبائنا ولا نمدحهم.

أطلب منكم بتواضع أن تقدموا على هذا الأمر ـ يعني تأسيس المجلس ـ فإنّ لتأخيره ـ ولو ليوم واحد ـ أثراً قاتلاً. لا يمكن الآن اتّقاء شرّ العثمانيّين إلّا بتأسيس هذا المجلس واتّحاد الشعب والحكومة ورجال الدولة والعلماء. ولا أُطيل عليكم أكثر من هذا».

تعقيباً للهدف السامي الذي كان ينشده العالم المجاهد السيّد محمّد الطباطبائي، والذي كان يمثّل الآمال القلبية للمجاهدين وأبناء الشعب الإيراني المسلم الواعي، أرسل السيّد الطباطبائي في نفس تلك الفترة رسالة أُخرى إلى مظفّر الدين شاه، وطلب فيها من ملك البلاد أن يقدم على تنفيذ هذا الأمر المهمّ.

وجاء في هذه الرسالة :

«حضرة الملك: لمّا كنت قد أخبرتني بأنّي إذا ما دهمني أمر فلي أن أعرضه عليك مباشرة، فإنّي أُرسل هذه الرسالة. ولمّا كانت سبل الوصول إليك مغلقة بوجود ذوي الحاجات ولا يدعون مطالبهم تصل إليك، فإنّي أخبرك - أيّها الملك - بأنّ البلاد خربةٌ، والشعب قلق، والحكّام وأفراد النظام أحرارٌ في تعدّيهم على أموال الرعية وأعراضهم، وظلم الحكّام وأعوانهم لا حدّ له، فهم يأخذون من أموال الشعب ما شاؤوا، ويتبعون ما تحكم به شهواتهم وغضبهم، من الضرب والقتل وقطع الأعضاء، فمن أين حصلوا على كلّ هذه العمارات والأخشاب والأموال والأملاك في مدّة قصيرة؟! كلّ ذلك من أموال الرعية الضعفاء.

في العام الماضي أخذوا الفتيات القوجانيات مقابل ثلاثة أخماس محصول الحنطة يعطينها كضرائب، وباعوا تركمانيي وأرامنة عشق آباد بثمن باهض! فرّ عشرة آلاف قوجاني من الظلم ولجأوا إلى الروس. هاجر آلاف الرعايا الإيرانيّين إلى الدولة الخارجية فراراً من ظلم الحكّام والمأمورين، وهم يشتغلون كحمّالين، ويبذلون شرفهم وماء وجههم، ويموتون بذلٍّ وحقارة. لا يمكن تبيان ما يعانيه هذا الشعب من ظلم الظلمة في هذه الرسالة المختصرة. إنّهم يخفون كلّ هذه القضايا عنكم، ولا يدعونكم تطّلعون عليها. وعمّا قريب ستكون هذه الدولة جزءاً من الدول الخارجية، ومن المسلّم أنّكم لن ترضوا أن يكتب في التاريخ أنّ إيران قد انتهت في عهدكم، وأنّ الإسلام قد ضعف والمسلمين قد ذلّوا في ظلّ حكومتكم.

حضرة الملك: إنّ مجلس العدل، أي: المجلس المكوّن من جميع طبقات الشعب وأصنافهم، وفيه تجاب طلبات الناس، ويتساوى فيه الملك والشحّات، هو القادر على أن يقضي على كلّ هذه المفاسد، والملك يعلم أكثر من الجميع بفوائد هذا المجلس. إذا وجد مثل هذه المجلس فسترفع هذه الظلامات، وتعمر الخرائب، ولن يطمع الأجانب في البلد، ولن يستوليَ الإنجليز على سيستان وبلوجستان، ولن يحتلّ الروس المكان الفلاني، ولن يقوى العثمانيّون على التعدّي على إيران. إنّ الخبز واللحم اللذين يشكّلان قوّة الناس

الغالب وبه استمرار الحياة رديئان جداً ومغشوشان، وأغلب الشعب محرومون منهما. لقد أمر حضرة الملك بتحسين هذين القوتين، واستجاب بعض طلّاب الخير، لكن وللأسف لم يدع أُولئك الذين يأخذون كلّ يوم مبالغ طائلة من الخبّاز والقصّاب أن يتمّ مطلوب الخيّرين ليستريح الناس ويترفّهوا. ولا يخفى عليكم حال الجندي الذي يحافظ على الوطن والشعب، ومع هذا فلا يعطونهم حتّى نصيبهم من الرواتب والعطايا والمؤن.

لقد قضينا ثلاثين يوماً كأشدّ ما تكون في زاوية من صحن السيّد عبد العظيم حتّى صدر الكتاب بخطّ يدكم يعد بتأسيس المجلس المقصود، فشكرنا ذلك وأُقيم حفل بهيج استبشاراً بهذا الإقدام، ثمّ بقينا بانتظار الوفاء بذلك العهد المبارك، فلم نرَ للوفاء أثراً، وإنّما يتكلّمون بغير ما نريد ويهتمّون بالهوامش، بل قالوا صريحاً: إنّ هذا الأمر لا يتمّ، فإنّ تأسيس المجلس ينافي السلطنة، ولم يعلموا أنّ الحكومة الصحيحة الثابتة إنّما تكون بوجود المجلس، فبدون المجلس لا معنى للحكومة، وستكون معرّضة للزوال.

حضرة الملك: لا تجعل الأبناء الذين تولّدوا عن سلالة الملوك أباً عن جدّ أسرى فرد واحد. المطالب كثيرة، ولا أُطيل أكثر من هذا. أرجوا أن تطالعوا هذه الرسالة بدقّة، وأن تتفضّلوا بطريقة حلّ قبل انقطاع السبل؛ لئلّا تخرج البلاد من قبضتكم، ولئلّا يصبح أفراد الشعب المساكين الذين هم بمثابة أبنائكم أسرى الأجانب وأذلّاء بين أيديهم. أمركم مطاع».

وبعد أن قرأ مظفّر الدين شاه رسالة السيّد الطباطبائي أرسل له الجواب، وكان بهذا المضمون:

«حضرة السيّد محمّد المجتهد، قرأنا رسالتكم وأوكلنا تنفيذ مطالبكم إلى أتابك، وأنتم أيضاً لا تقصّروا في أداء واجبكم، واشتغلوا بالدعاء، وأطفئوا فتن الأشرار بنصحكم وموعظتكم، وأخمدوا الفوضى، وإن لم تفعلوا ذلك فسيعمّ غضبنا الجميع».

إنّ هذه الرسالة بأُسلوبها الجافّ وعباراتها المتناثرة ومحتواها ومضمونها غير المترابط والذي لا يدلّ على أدنى وجه للربط بين مطالب الرسالة، وعدم الجواب الذي ينبغي أن

يجاب به على رسالة الطباطبائي، توحي بأنّ الرسالة لم تصل بيد مظفّر الدين شاه، ويحتمل قوياً بما يقرب من اليقين أنّ عين الدولة رئيس الوزراء المستبدّ الشرس هو الذي كتب الجواب، فعبّر به عن رأي الشاه، خاصّة وأنّ العبارة الأخيرة كانت عبارة تهديد شديد، وأُولئك الذين يعرفون أخلاق الشاه العجوز وطبائعه اللطيفة، ويعلمون بالذات مدى احترامه للعلماء وأئمّة الدين بسبب معتقداته الدينية، كانوا على يقين من أنّه لا يمكن أن يكتب مثل هذا الجواب.

أمّا السيّد المجاهد، فإنّه لم يعبأ بهذا الجواب الجافّ غير المترابط والمتضمّن للتهديد، ولم يخل الساحة، بل واستمرّ في طريقه الجهادي بتصميم أقوى وإرادة أشدّ استحكاماً، فبعد ذلك لم يكتف السيّد محمّد الطباطبائي بإرسال الرسائل النارية والمثيرة إلى الشعب الإيراني في أقصى نقاط البلاد، يدعو فيها الشعب، وخاصّة الطبقة المحرومة المضطهدة إلى الثورة على الظلم، ويشجّعهم على الصمود في مطالبتهم بتأسيس المجلس، بل كان يجمع الناس حوله عدّة مرّات في اليوم، في داره أو خارجها، في المحافل والمجالس، وحتّى في الأزقّة والشوارع، ثمّ يرتقي المنبر ويوضّح ببيانه القاطع وخطابه الملتهب سبيل النجاة من الظلم والجور والتحرّر من قيود الحكّام وأزلام النظام وأفراد الحكومة واستعمار الدول الأجنبية، وكان يطلب من الناس الصمود من أجل الوصول إلى الهدف وإن بُذلت النفوس، وأن لا يخافوا الموت والشهادة التي تبعث على الفخر، وأن لا يتراجعوا حتّى النفس الأخير.

وفي جميع هذه المجابهات كان السيّد عبد الله ـ رفيقه القريب والمجاهد إلى جانبه في مواضع الجهاد ـ ملازماً له، فلم يكتفِ باطّلاع الناس على مستوى واسع برسائل صديقه ورفيقه الكبير في الجهاد، بل كان هو أيضاً كالطباطبائي يخطو خطوات ثابتة في هذا الطريق، وكان يدعو الشعب المحروم كلّ يوم إلى أن يكون أكثر ثباتاً وقدرةً في مطالبته الحقّة بحقوقه المشروعة.

ومع أنّ السيّد عبد الله البهبهاني كان أصغر من السيّد الطباطبائي بسنوات، لكنّه هو الآخر كان طاعناً في السن، مطّلعاً على العالَم، ذاق مرّ الحياة وحلوها، والأهمّ من ذلك أنّه

كان أحد مراجع الشيعة الكبار، وقد تصدّى لقيادة فئة عظيمة من الشعب المسلم المجاهد في ثورة الدستور، ويُعدّ أحد قادة ثورة الدستور العظماء الذين ضحّوا بأرواحهم في سبيل الجهاد ضدّ الظلم والظالمين، والعمل ضدّ الاستبداد وعمّال الاستعمار، والسعي من أجل تثبيت حكومة الدستور.

توفّي السيّد الطباطبائي سنة ١٣٣٧ هـ تاركاً بعض المؤلّفات، منها: منظومة في الحبوة، أُرجوزة في قاعدة لا ضرر (سمّاها بـ«عقد الدرر في قاعدة لا ضرر»).

(انظر ترجمته في: الذريعة ١: ٤٩٢ و٢٣: ١٠٢، كفاح علماء الإسلام: ٧٣ـ٨٦).

محمّد طيّب القاسمي النانوتوي

محمّد طيّب بن محمّد أحمد بن محمّد القاسمي النانوتوي: من كبار العلماء بـالهند، وأحد الدعاة إلى الإسلام.

ولد في الهند سنة ١٨٩٧ م، وتعلّم بدار العلوم في ديوبند، ثمّ درّس فيها ورأسها أكثر من نصف قرن من الزمان، وأدّى لها خدمات جليلة.

وهو عضو المجلس الأعلى لندوة العلماء، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند.

اشترك في تأسيس ورئاسة عشرات المجالس والجمعيات والجماعات والمدارس الإسلامية والتعليمية والاجتماعية التي أُنشئت في بلاده لمصلحة الدعوة الإسلامية واستخدام طاقات الشباب لخدمة الإسلام والمسلمين.

ومع إتقانه اللغة العربية، غير أنّ مؤلّفاته كلّها باللغة الأوردية، وقد ترجم بعضها إلى اللغات الأُخرى.

وهو شاعر وخطيب مفوّه من الدرجة الأُولى.

توفّي سنة ١٩٨٣.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٧٥، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٧٠ ـ ٢٠٧١).

محمّد العاصي

محمّد العاصي: رئيس المركز الإسلامي في أمريكا، وإمام مسجد واشنطن سابقاً، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

وهو سوري الأصل، استوطن أمريكا منذ زمن، وله نشاط دعوي هناك.

يقول عن نشاط «المركز الإسلامي» بواشنطن: «إنّ المساجد والمراكز الإسلامية في أمريكا، خصوصاً في الأجواء السياسية والاجتماعية التي يمرّ بها المسلمون والمجتمع الأمريكي والعالم كلّه، هي مورد اهتمام، كما في قضايا المسلمين الأُخرى، ويجب بذل الجهود الكبيرة لتبيين الموقف الإسلامي للجاهلين بالحقائق الإسلامية ومن لا يعرف موقف العالم الإسلامي من هذه القضايا المعاصرة، فبناءً على ذلك هناك دعوات كثيرة من جامعات، وحتّى من مراكز إسلامية طلّابية وغير طلّابية، لتوضيح وإلقاء الضوء على الموقف الإسلامي لكثير من هذه القضايا الداخلية داخل أمريكا والخارجية، أي: خارجها، فلذلك من الحين إلى الحين نرتبط بكثير من إلقاء المحاضرات والكتابة عن شؤون المسلمين من زاوية إسلامية محضة، ونعدّ لتفسير القرآن الكريم لأوّل مرّة، سيكون باللغة الإنجليزية، وهو تقديم الآيات القرآنية والسور المنزلة على نحو يفهمها المسلم وغير المسلم، وهذه عملية شاقّة جدّاً؛ لأنّ كثيراً من الأدبيات الإسلامية تكلّم المسلمين فقط، وقليلاً منها بأدبيات غير مسلمة، فنحن نعدّ هذه المعاني بلغة عصرية، بحيث يفهمها غير المسلم الأمريكي، أزو أيّ طالب باللغة الإنجليزية أيضاً، فتكون معاني القرآن بتناول الأيدي».

ويقول عن حوار الحضارات: «من حيث النظرية الحوار بين الحضارات فكرة برّاقة وجميلة ومحبّبة، الحوار هي صفة المسلم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ (سورة آل عمران: ٦٤)، ولكن الحوار بحاجة إلى طرف آخر مستعدّ لهذا الحوار، والمشكلة التي تعترضنا واقع الأمر أنّ الطرف الآخر ليس مستعدّاً لحوار مفتوح وبعقل مفتوح وبقلب مفتوح، ثمّ إنّ هناك علامة استفهام حول قضية الحضارة.. أرى أنّ الغرب لا يشكّل حضارة،

طبعاً عنده مدنية، ولكن نحن لا يلتبس علينا الأمر، يجب أن نفرّق بين المدنية والحضارة، فهذه من ناحية. فإذا انتفت صفة الحضارة عن الغرب، ونحن المسلمون أيضاً ليس عندنا حضارة، قد تكون عندنا ثقافة إسلامية، وقد يكون عندنا تراث إسلامي أو تاريخ إسلامي، ولكن ليست عندنا درجة الحضارة، عندنا أخلاق إسلامية إلى آخره.. فعندما تنتفي صفة الحضارة عن الغرب وصفة الحضارة عن المسلمين فلا نستطيع أن نقول: إنّ هناك حواراً بين حضارات، فلا وجود للحضارة هنا وهناك.. نستطيع أن نقول: حوار ثقافات أو سياسات أو كتل بشرية. هذا إذا اعترفنا بأنّ الطرف الآخر مستعدّ بأن يحاور المسلمين، وهذا الاستعداد نحن لا نلمسه في أمريكا ولا في الغرب».

ويقول حول التعصّب المذهبي: «التعصّب بهذا الشكل وبهذا المفهوم يمكن أن لا يحصل في عصر واحد، إنّه بدأ يتشكّل من خلال العصور حتّى وصلنا إلى الحضيض في بعض العصور الماضية في بعض الأقطار المختلفة! والأسباب يمكن أوّلاً: أن تتعلّق بالجهل، أن يجهل أصحاب المذاهب المذاهب الأُخرى، والسبب الثاني قد يعزى إلى السلطان أو إلى الحكّام الذين من طبيعتهم أن يؤجّجوا الخلاف حتّى يبقوا على كراسي الحكم، فهذا باختصار تشكيلة التعصّب في النسق التاريخي الإسلامي. وأهمّ آثار التعصّب المذهبي: التفرقة بين المسلمين وإساءة المسلمين بعضهم لبعض، ويستطاع أن يتلاعب بهم الأعداء في داخل المجتمع الإسلامي، ويستطيع أيضاً أن يستفيد من ذلك الأعداء من خارج الصفّ الإسلامي، وهذا ما حصل».

وحول التقريب يقول: «أبناء المجتمع الإسلامي ليسوا وحدة واحدة، فهناك ثقافات بين المسلمين، وهناك طبقات معرفية بين المسلمين، ويجب أن تقدّم ثقافة التقريب للمسلمين على قدر عقولهم، أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، وهذا ينطبق أيضاً على التقريب. التباعد بين المسلمين ــ وهو عكس التقريب ــ حصل في مئات السنوات، فيتبادر لي أنّ بعض المسلمين يريدون أن يقضوا على مئات السنوات في بضع سنوات! لا يمكن، فتلك استراتيجية كانت، واليوم نحن بحاجة إلى استراتيجية ونفس طويل للتغلّب

على قرون وأجيال من الجهل ومن سوء التفاهم وأيضاً من التعصّب. نحن بحاجة إلى وقت، والحمد لله مجمع التقريب في إيران اتّخذ الخطوات الأُولى في هذا السبيل. وبدأت الآن تتجاوب معه قطعات إسلامية وشخصيات إسلامية. وحتّى من الرسميّين الإسلاميّين بدأوا يتجاوبون مع هذه الفكرة. فالمستقبل يبشّر بخير. هناك فئات عديدة تشترك في تأجيج سوء التفاهم بين المسلمين، وبعد ذلك يأخذون هذه القضية إلى تمحور عدائي بين المسلمين سنّة وشيعة.. في العراق لا يستفيد من هذا المسلمون. فلا نستطيع أن نعمّم، ونقول: إنّ هناك سنّة أو إنّ هناك شيعة يحرصون على الاقتتال بينهم. هذا كلام غير صحيح. إذا أراد أن يعمّمه بعض الناس فيجب أن يردّ عليهم، وأن نبرز الحجّة عليهم.. إنّما قضية العراق هي في الاستراتيجية الأمريكية، وأيضاً هذا يخصّ الأمن القومي الصهيوني. فهذه العوامل تداخلت في الشعب العراقي للأسف.. إنّ هناك بعض هم الآن أدوات فيما يخصّ الأمن القومي الإسرائيلي والمصلحة الأمريكية. فيما يسوّق بعولمة. هؤلاء الآن ينفّذون هذا التقاطع. الأمن القومي الإسرائيلي مع المصلحة الاقتصادية الأمريكية في العراق، وهناك من يوظّفون أنفسهم في هذا المجال. سواء من الماضي أو من الحاضر. فأعداء الماضي يلتقون مع أعداء اليوم ويموّلون ويدعون من تقاطع المصلحة الأمريكية مع المصلحة الصهيونية. وهؤلاء لا يعترفون بطوائف ولا بمذاهب. إنّما كلّما يعرفونه هي المصلحة. مصلحتهم فوق كلّ شيء. وهي قبل كلّ شيء! وللأسف بعض الذين ينتسبون لهذه القبليات المذهبية وظّفوا في هذا المجال. ولا نستبعد أن يكون بينهم عملاء بكلّ معنى الكلمة ينفّذون أعمال مثل تفجير مساجد أو مراكز إسلامية وحسينيات إلى آخره. ونحن نرى في باكستان في السنوات العشر الماضية يقومون بتفجير مسجد سنّي ويتّهمون الشيعة، وبالمقابل يقومون بتفجير مسجد شيعي ويتّهمون به السنّة. وهذا السيناريو بدأ يطبّق في العراق. فيجب علينا أن نتمهّل قبل أن نعمّم هذه القضية. فنصبح كلّنا ضحايا هذه الخطّة المرسومة في واشنطن وتل أبيب».

محمّد عاكف

محمّد عاكف: شاعر الوحدة الإسلامية في تركيا، ومصلح ديني.

كان والد عاكف مدرّساً في مدرسة الفاتح بإسطنبول، وذا نزعة دينية حميدة، فحين وُلد نجله الشاعر سنة ١٨٧٣م اهتمّ بتربيته وألحقه بالمدارس النظامية، فنال قدراً من التعليم المدني أهّله إلى الالتحاق بكلّية الطبّ البيطري، فتخرّج منها ظافراً بشهادتها النهائية، وفي الوقت نفسه زاوج تعليمه، فحفظ القرآن، وروى الحديث، ودرس اللغة العربية والفارسية والفرنسية مع التركية، فكانت دراسته الشخصية ذات أثر بالغ في حياته؛ لأنّه حين دعا إلى الوحدة الإسلامية كان يغترف من قراءاته الخاصّة.

وكان هناك رجلان طغيا على تفكيره في صدر شبابه، فأثّر كلاهما بشخصيته تأثيراً قوياً في نفس الشاعر:

أمّا الرجل الأوّل فجمال الدين الأفغاني، وهو أُستاذ المصلحين في ربوع الإسلام، فتح عيونهم على الهوّة العميقة التي تنحدر إليها ممالك الإسلام بتكالب أوروبّا ومكايد أحقادها الثائرة، ورسم الطريق إلى الخلاص بإيضاح حقوق الحاكم وواجباته، وتحقيق سعادة الرعية ورفاهتها، والانضواء تحت ألوية المعرفة والحضارة بعيداً عن الجمود والقنوط والاستسلام، ثمّ الدعوة إلى وحدة شاملة عزيزة تجمع ممالك الإسلام نحو هدف واحد!

هذه الآراء قد لمست من قلب عاكف وتراً حسّاساً، فهام بها واعتنقها، وأصدر جريدتين كبيرتين للدعاية لها، ورسم طريقه في الإصلاح على نهجها، منجذباً إلى تلاميذ جمال الدين ممّن يجتمعون معه في الرأي والاتّجاه، فترجم كثيراً من آراء محمّد عبده إلى اللغة التركية، لا سيّما ردّه المفحم على «هانوتو» وبعض تفسيراته العصرية لآيات من كتاب الله.. كما كان معجباً أكثر الإعجاب بالمدافعين عن الإسلام في العربية من أمثال محمّد فريد وجدي؛ إذ أفرد لمقالاته الذائعة جانباً في جريدته، يترجم منها ما يفيد حركة الثقافة والإصلاح، وقد ترجم كتابه «المرأة المسلمة»؛ إذ لمس الحاجة الماسّة إلى إيقاف الرأي العامّ التركي على منزلة المرأة في الإسلام، وموقفها من الثقافة والمعرفة والمنصب،

والحدود الفاصلة بين السفور والحجاب والتبرّج والاحتشام.

أمّا الرجل الثاني صاحب التأثير البعيد في نفس عاكف فقد كان أبا الهدى الصيّادي ذا النفوذ البعيد لدى عبد الحميد، فقد تزيّى بزيّ رجال الدين، ونصّب نفسه حامياً للشرع والخليفة، وهو في أطواء نفسه أفّاق محتال يعمل لرغبات شخصية، لا يبالي أن تتجاوز حدود الله، ناصباً شتّى المؤامرات لإبادة من يجبهه بكلمة الحقّ!

هذا الداهية الوصولي قد أثّر في نفس عاكف تأثيراً لا يقلّ عن أثر جمال الدين، وإن اختلف اتّجاه التأثيرين إلى درجة التناقض، حيث إنّ محمّد عاكف قد عزّ عليه أن يكون الإسلام السمح بعدله وإنسانيته ستاراً يحتمي به الممخرقون من أدعياء الولاية والتصوّف! وهاله أن يعدّ هذا الأفّاق المحترف مع أشياعه من كبار حماته وأساطين أعلامه، ثمّ يقترفون الأوزار، فترجع في نظر الناس إلى دينهم البريء لا إلى فسوقهم الشائن، فصمّم على أن يقوم بدعوة الإصلاح الديني؛ ليفضح هؤلاء الفجرة المارقين.

وكان طريقه في مفتتح حياته شاقّاً تهبّ به الأعاصير في كلّ اتّجاه، ولكنّه استطاع أن يكون ذا أنصار وأتباع بجهاده الصابر ودفاعه المستميت!

وقد كان إلى ذلك كلّه أُستاذاً في الجامعة التركية، وعضواً في المجلس الوطني، وصاحب مجلّتي «الصراط المستقيم، وسبيل الرشاد»، وكلّ ذلك يجعله ممّن يقولون فيسمعون، بل إنّه ما وصل إلى مكان القيادة في الجامعة والمجلس الوطني إلّا بما عُرف عنه من سداد وإخلاص.

ولم يخدم الفكرة الإسلامية بقلمه الثائر وحده، بل بدواوينه الخمسة التي توالت حارّة قوية نفّاذة، تحت عنوان واحد هو «الصفحات»، وإذا كان الشعر أخلد من النثر؛ لكثرة رواته وعظيم تأثيره، فإنّ الكاتب المصلح محمّد عاكف قد شاء له القدر أن يدخل حرم التاريخ من باب الشعر على أن يذكر جهاده الإصلاحي الدائب وكفاحه العلمي الثائر من بين معارجه الرفيعة التي حملته إلى ذروة الوحي فتلقّى أشعّة الإلهام ليترنّم بها أبناء اللغة التركية في فخر وإكبار.

وقد كان ادّعاء أبي الهدى الصيّادي سمت التصوّف دافعاً للشاعر أن يبحث عن أُصول التصوّف الحقيقي في الإسلام، فدرس فطاحل المتصوّفين في العربية والفارسية والتركية، واشتدّ إعجابه بابن الفارض في العربية وبسعدي الشيرازي في الفارسية، حتّى ترجم عنه أكثر أشعاره في صدر شبابه بمجلّة «ثروت فنون»، ففتح عيون القارئين على بحر عميق الغور، ووصل بين الفارسية والتركية بأسباب أكيدة فوق ما عرف عن اللغتين من الامتزاج المتقارب في بعض الوجوه والسمات.

على أنّ أكبر أديب احتلّ شعوره وملك عليه منافذ تفكيره كان الشاعر المعاصر محمّد إقبال؛ إذ أنّ صيحات إقبال العظيم في إيقاظ الشعور الإسلامي قد وجدت صداها الرنّان في نفس عاكف، فكانت دواوينه الرائعة سلوى نفسه ومثار عواطفه.. يتحدّث عنه صديقه الكبير الدكتور عبد الوهّاب عزّام حين ودّع الحياة في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٦م، فيقول بالعدد (١٨٧) من مجلّة «الرسالة» الغرّاء: «وكم تحدّثنا وقرأنا في سيرنا وجلوسنا في الآداب الثلاثة العربية والفارسية والتركية. وكنت أُحبّ أن أقرأ عليه شعره، وكان يسرّه أن يستمع إليه. وكانت كلّ أحاديثنا وقراءاتنا متعة نجتمع فيها على الفكر والذوق والأمل والألم. وكان أطيب المجالس مجلساً نفرغ فيه إلى شعر محمّد إقبال، فقد عرّفني ﷺ بإقبال يوم أعارني ديوانه «بيام مشرق»، فإذا صفا الوقت عمدت إلى أحد كتب إقبال فقرأت، واستمع مُقبلاً مستغرقاً، يقطع إنشادي في الحين بعد الحين بالاستعادة أو الاستحسان أو التعجّب أو التأوّه، وشدّ ما كان يثير إقبال نفسه أو يثلج صدره وشدّ ما كان يحزنه أو يفرحه، وأذكر أنّنا بدأنا كتاب إقبال «أسرار خودي». فوالينا الجلسات حتّى أنهيناه إنشاداً، ثمّ أتبعنا به أخاه «رموز بي خودي»، فختمناه على شوق إلى الإعادة».

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «تطرّق بعض الباحثين إلى الموازنة بين شعر إقبال وشعر عاكف، وما قرأته في هذا الصدد يشير إلى أنّ إقبال كان إنشائياً إيجابياً في شعره، فهو متفائل يلتمس القوّة في ذات المسلم ويرى روحه الوثّابة طاقة كبيرة تستطيع القيام بعمل ضخم كبير لو فطن إلى ذخائرها النفيسة واكتشف عناصرها الفتية، مع أنّ الشاعر

المتفائل ليست له أُمّة متماسكة، بل مسلمو الهند لعهده أبادید هائمة في جماعات متنازعة متناحرة، ممّا كان يدعو إلى التشاؤم، لولا أنّ إقبال قد آلى على نفسه أن ينفخ في الصور ليستيقظ النائمون من أجداثهم إلى بعث جديد.

أمّا عاكف فقد أمضّه تقلّص الظلّ الإسلامي واقتطاع أجزائه وسوء الواقع في تركيا وما ترعاه من ممالك، فاكتفى بالنواح والبكاء، ونظم زفراته الحارّة أبياتاً باكية ذات شجن ملتاع! مع أنّه يعيش في وطن متماسك ذي حيّز، يدعو إلى التفاؤل لو كانت له روح إقبال وعزيمته! وفي رأينا أنّ البكاء النائح نفخ في الصور من لون آخر، فهو يدعو القارئ إلى تفهّم المأساة، ويبصّر عينيه بالكارثة الحاقّة؛ ليهبّ هبّة عاتية، ينتقم من أعدائه ويثأر من غاصبيه! وإذاً فلعاكف أثره الملموس في إيقاظ الهمم وبعث العزائم، وإن كان لا يُقاس بأثر إقبال إذا قِيسَ به! لأنّ كلّ شاعر يخطّ مجراه وفق منزعه الوجداني واستعداده النفسي، ولا يعقل أن يكون شعراء الإسلام جميعاً على جادّة واحدة، وإن كانوا جميعاً على طريق سواء!».

كان عاكف يقول في ديوانه ما ترجمته: «سَلني أيّها القارئ الحبيب أُنبئك، سَلني: ما هذه الأشعار الماثلة أمامك؟ إنّها أكداس من الكَلِم لا براعة فيها إلّا الإخلاص، لست أعرف التصنّع، لأنّي لست صانعاً، يقال: إنّ الشعر دمع العين، لا علم لي بهذا، ولكنّي أرى أنّ كلّ ما أُسطّر هو بكاء العجز، أنا أبكي فلا أستطيع أن أبكي، وأشعر فلا أستطيع أن أُبيّن، وإنّ الشقاء أن يُحرَم القلب الشاعر لساناً، اقرأ إن كنت تنشد قلباً حسّاساً، اقرأ فما كتبت كلمتين إلّا سطّرت هذا القلب».

كما يقول: «ما كنت لأقف معقول اللسان أُقلّب الطرف فيما حولي، لم يكن لي بدٌّ أن أنوح لأُوقظ الإسلام، إنّما أُريد أن تفور القلوب المرهفة الحسّ الراسخة الإيمان، وأمّا التفكير الطويل فقد هجرته منذ أمد بعيد، إنّي أنوح، ولكن لمن؟ أين أهل الدار؟ أُقلّب طرفي فلا أظفر إلّا بأُمم نائمة! لقد خنقت صرخاتي، وحملت نعشها، ثمّ مزّقتها تمزيقاً، ودفنتها في شعري المنهمر، أسيله في غير هدير كالدموع الخفية، لا أجد في هذه القبّة

الصمّاء لآلامي أثراً، فليثنّ الخسران الذي في صفحاتي دون حسٍّ ولا ركز».

لقد قدم محمّد عاكف القاهرة سنة ١٩١٢م زائراً المشتى الجميل بـالأقصر، وواصـل الخطو في ديار الإسلام، فوجد نفسه غريباً بين أهله وذويه، عن يمينه وشماله أوروبيّون من إنجليز وفرنسيّين وألمان يملؤون الكؤوس ثملين، ويُواصلون السمر ضـاحكين، وأمـامه معابد الفراعنة تُشير إلى مجدٍ عفا وسلطان أدبر، وواقع العالم الإسلامي من حوله يشير إلى ظلمات تتراكم وتمتدّ حتّى يسود الأُفق وتهمد الأنفاس، كلّ ذلك قد هاج لواعـه، فـنظم قصيدة طويلة جعل عنوانها «في الأقصر»، بدأها بوصف الطبيعة الهادئة سـاعة الأصـيل بالصعيد الأعلى عند غروب الشمس، فرسم مناظر بديعة للنيل بزوارقه ومجاديفه وللنخل السامق الباسق وللفلّاح الكادح اللاغب، ثمّ انفجر يقول نقلاً عن ترجـمة الأُسـتاذ أكـمل الدين إحسان بالعدد الرابع من مجلّة «الشِعر»: «ورأيت أمامي نحو ثلاثة عشـر نـفراً مـن السائحين، ما بين فرنسيّين وإنجليز وألمان، مجتمعين زُرافات ووحداناً، وللكؤوس بينهم رنين.

فالفرنسيّون يضحكون؛ لأنّ كيسهم المملوء يهزّ الدنيا المدنية لهم هزّاً عنيفاً، وليس في الدنيا ما يُحزنهم إلّا هزيمة «سيدان»، ومع ذلك فإنّ الرغد والرفاهية يُنسيان الإنسان أنكى الجروح.

والإنجليز يضحكون، وما أجدرهم بالضحك؛ لأنّ الدنيا كلّها رهن إشارتهم، إن قالوا لها: موتي، فستموت، يؤلّبون شعوب الأرض بعضها على بعض، وينظرون عن بُعْد فرحين، فبينما يصطدم الحجر والفولاذ يُشعلون غليونهم.

والألمان يضحكون؛ لأنّ قوّة عضدهم كفيلة بأن يصدّق العالم جميع ما يقولون، ومـا دام البشر لا يعطي الحقّ إلّا للقوّة، فما الحيلة في الوصول إلى الحقّ بغير القوّة؟!

أضَعيف أنت إذن؟ فالنحيب أولى بك!

نعم، في هذه الساحة من الصخب، صخب الحبور، وجَلَبَة السرور، أنا وحدي اليأس الذي لا يبتسم! قد أخذت أبكي، وما أجدرني بالبكاء! فأنا كالغريب من ديار ديني! لا من

تراب هذه الديار ولا من نهرها .

هذه السهول لا ترجّع حديثي ! أيّها الشرق العظيم ، أيّها العالم المترامي الأطراف ! ليت شعري في أيّ بقعة من بقاعك نجد أبناءك السعداء ؟ ! إنّ رأسك ترزخ تحت الشدائد وعضدك واهٍ وذراعيك مغلولتان ! ولمّا يهبّ نسيم الاستقلال على قلبك بعد ! قد طفت في أرجائك كلّها لأرى أمامي داراً للإسلام ، فكلّت قدماي !

وكلّما تناهت إليّ من سبيلي أصوات الأجانب لم تفض روحي الباكية إلّا بخيبة الأمل ! فهل كان نصيبي أن أكون غريباً في قلب الإسلام ! إنّ هذه العاقبة لأقصى انتقام للأيّام ! والآن وقد تقدّمت بي السنون ووهت قدماي فعلى بنيَّ أن يجاهدوا ويأخذوا بثأري ! » .

يقول الدكتور البيّومي : « ولنا أن نوضّح الآن نصيب محمّد عاكف في معركة الإصلاح الديني ، فنذكر أنّه كان زعيم الحركة الإصلاحية التي ترى قيام الإصلاح السياسي والاجتماعي على سنن من هدي الدين الخالص بعيداً عمّا أضافته الأجيال المتعاقبة من قيود مذهبية تكبّل حركة التطوّر الفقهي وتقفل باب الاجتهاد استناداً إلى ما عُرِفَ بالإجماع ، دون نظر إلى ما في أُصول الشرع من مرونة واتّساع ، تجعل دين الإسلام صالحاً للزمان والمكان على تناسل الأحقاب ، والإجماع بمدلوله المتحجّر عند الجامدين يُلزِم الناس بالوقوف لدى ما انتهى إليه أصحاب المذاهب دون أن يتعدّى القرن الثالث الهجري ، ولكنّه بمعناه الأصيل يشمل كلّ إجماع للعلماء في كلّ عصر ؛ لأنّ لكلّ وقت ظروفه وملابساته التي تدعو إلى أحكام خاصّة ، يجتهد في أمرها ويُصدر إجماع بشأنها .

وقد كان مذهب عاكف يعارض مذهبين مختلفين في تركيا : مذهب الرجعيّين من رجال القصر ، والمنتفعين بغنائم الحكم ممّن يرون في استبداد الحاكم مَغنَماً شخصياً تتحقّق رغائبهم في ظلّه ، فهم يتمسّكون بالأوسمة والألقاب والرتب والنياشين ، وقد جعلوا وظائف الدولة مقصورة على المسلمين ، فكلّ مثقّف من أبناء هؤلاء يبحث عن الوظيفة ويجعلها هدفه الأخير والأوّل ، منشغلاً عن ميادين النشاط في البلاد من تجارة وصناعة وزراعة ! حتّى وقر في الأذهان أنّ المسلم كسول متواكل لا يُغامر في معاش أو يهدف

إلى جديد!

أمّا المذهب الثاني فمذهب الإصلاح القومي، وقد تزعّمه المفكّر الكبير ضياء جاك آلب، وصاحبه أديب شاعر ممتاز نشأ في ظروف متشابهة لنشأة عاكف، وكان ذا غيرة وطنية وحماسة قومية، نادى بالإصلاح عن صدق وغيرة، ولكنّه تطرّف تطرّفاً كبيراً، حين دعا إلى القومية الطورانية مُعارِضاً بها فكرة الوحدة الإسلامية.

ومن سوء حظّه أنّ دعوته فُهمت على غير وجهها حتّى حسبه بعض الباحثين عنصرياً طائفياً، مع أنّ الذي يتعمّق أفكاره ويدرس آراءه يراه يعدّ الدين عاملاً هامّاً من عوامل القومية؛ إذ أنّ الشعب في رأيه ليس مجموعة تربطها أواصر الجنسية أو المناخ أو الإدارة، ولكنّه مجموعة من الأفراد تجمع بينهم روابط الدين واللغة والأدب والأخلاق المشتركة.. وقد صرّح أنّه لا يؤمن بالقومية ما لم تكن قائمة على أساس ديني قويم، فاليهود الأتراك في رأيه ليسوا قوميّين وإن سكنوا تركيا سنين كثيرة وتجنّسوا بالجنسية التركية، وإنّما هم (وطنداشي) أي: بنو الوطن.

وإنّما يرجع خطأ ضياء جاك آلب إلى أنّه نسي أنّ الدين الإسلامي الذي يعتبره عاملاً هامّاً في القومية لا يعترف بالجنسية والدم، حتّىٰ يجوز له أن يدعو إلى القومية الطورانية في ظلاله. كما أنّه تزعّم الدعوة إلى لغة شعبية لا تحترم تقاليد النثر والشعر، بل ترفض قواعد التأليف منحدرة إلى مستوى الحديث العلمي أُسلوباً وتركيباً!

وزاد الطين بلّة حين فهم مدلول كلمة (علماني) بمعنى (لا ديني) واهماً أنّ العلم في الإسلام لا يتّفق مع الدين في كلّ وجوهه، ومن أجل هذا التطرّف في آراء ضياء جاك آلب كانت حركة مذهب الإصلاح الديني التي تزعّمها محمّد عاكف ذات صدىً رنّان في توضيح مبادئ الإسلام ومُثُله! فلولا أنّه ترأس جماعة تقوم بهذه الرسالة الخطيرة وتضمّ أمثال جناب شهاب الدين وتوفيق فكرت لشاهت معاني الإسلام في أذهان الجيل الصاعد ممّن تربّوا بعد صدور الدستور سنة ١٩٠٦م وشهدوا الصراع بين الشرق والغرب في معركته الساخنة ذات المدد الحفيل.

لقد كتب الأُستاذ الألماني «ريشارد هرتمان» رسالة موجزة عمّا سمّاه «أزمة

إسلامية» تشمل عرضاً لدعوات التجديد في الحجاز والهند ومصر وتركيا. فكان من الطبيعي أن يبرز دور عاكف ويتعرّض للموازنة بينه وبين أنصار المذهب القومي، فيما ترجمه الدكتور علي حسن عبد القادر بقوله: «ومن الممكن على احتمال قليل أن تميّز المذهب القومي بأنّه سياسي ثقافي، والمذهب الإصلاحي بأنّه ديني إصلاحي، والمهمّ هنا هو أنّ كليهما قد وضع لمسألة الدين طريقاً واحداً للسير فيه، فكلّ منهما يرفض الإسلام التاريخي ويطلب الرجوع إلى الإسلام الأوّل، وكلّ منهما يرفض اعتبار الشريعة للوقت الحاضر ويطلب حرّية الاجتهاد».

وفي هذا الكلام غموض يستدعي الإيضاح، فالمراد بالإسلام التاريخي هو قول «هرتمان» هو ما أُضيف إلى الإسلام على مدّ العصور من آراء وفتاوى لا تحمل عناصر بقائها، بحيث حُمِلت عليه وظنّ أنّها من تعاليمه، وهي أحكام جزئية لعلماء يُصيبون ويُخطئون! أمّا رفض اعتبار الشريعة للوقت الحاضر فمعناه أنّ أقوال الفقهاء التي كوّنت ما ورثناه من كتب الفقه لا تُقبَل على علاتها كقانون جازم لا محيد عنه، بل لا بدّ من النظر في هذه الأقوال من ناحية والاجتهاد المطلق في إصدار أحكام أُخرى تناسب أُصول الإسلام وتصلح لأبناء هذا الزمن.

وقد فصل «هرتمان» ذلك بقوله عن مذهب عاكف فيما بعد: «فهو مع إحاطته على العموم بالحياة الثقافية والسياسية يتعمّق من الوجهة الإصلاحية في الدين، وما يعنيه من الرجوع إلى الإسلام يعني به الرجوع إلى الإسلام القديم، لا بإبعاد الأُمور التي غيّرت منه أثناء تطوّره التاريخي فحسب، بل أيضاً وقبل كلّ شيء يريد الوقوف ضدّ هؤلاء العصريّين المندفعين في تيّار الغرب، وضدّ دعاة المذهب القومي، فهي حركة دينية تريد أن يكون الدين قوّة تخضع لها كلّ الحياة المدنية في غير إضرار بحركة الفرد».

هذا هو عاكف العظيم، وتلك أضواء تشير إلى بعض مواقفه! (طيّب الله ذكراه، ونضّر بالرحمة مثواه)».

أقول: وأدعو له أنا أيضاً بما دعا له الدكتور البيّومي.

(انظر ترجمته في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٣٧٥ ـ ٣٨٧).

محمّد عبد الرحمان بيصار

محمّد عبد الرحمان بيصار: من مشايخ الأزهر، وأحد المفكّرين المصلحين.

ولد بالسالمية من أعمال مركز فوه التابع لكفر الشيخ بمصر سنة ١٩١٠م، وحفظ القرآن الكريم، والتحق بمعهد دسوق الديني، ثمّ التحق بمعهد طنطا، وبمعهد الإسكندرية حيث حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية، ثمّ التحق بكلّية أُصول الدين بالأزهر الشريف، فتخرّج منها ونال الشهادة العالمية سنة ١٩٣٩م، ثمّ نال درجة الأُستاذية «الدكتوراه» في العقيدة والفلسفة سنة ١٩٤٥م، وتمّ تعيينه مدرّساً بكلّية أُصول الدين سنة ١٩٤٦م.

وفي سنة ١٩٤٩م رحل في بعثة علمية إلى إنجلترا، ودرس في جامعة كمبردج، ثمّ استقرّ في جامعة أدنبرة، ونال منها شهادة الدكتوراه سنة ١٩٥٤م بتفوّق في الفلسفة بموضوع تناول فيه حجّة الإسلام الغزالي والفيلسوف الفرنسي ديكارت وفلسفتهما.

وعاد أُستاذاً سنة ١٩٥٥م بكلّية أُصول الدين، ثمّ رشّحته مواهبه ليكون مديراً للمركز الإسلامي بواشنطن سنة ١٩٥٥م، واستطاع أن يحظى بالاحترام من كلّ الطوائف، وعاد سنة ١٩٥٩م إلى كلّية أُصول الدين، ثمّ رأس البعثة التعليمية بليبيا سنة ١٩٦٣م.

وعيّن سنة ١٩٦٨م أميناً عامّاً للمجلس الأعلى للأزهر، ممّا أتاح له المشاركة والتوجيه وتحقيق أهدافه الإصلاحية. ومن بعد ذلك عيّن سنة ١٩٧٠م أميناً عامّاً لمجمع البحوث الإسلامية، فحرص على أن يجدّد الثقافة الإسلامية في أوساط الدارسين، وأن يجرّدها من الشوائب وآثار التعصّب السياسي والمذهبي، على حدّ تعبير الدكتور محمّد عبد المنعم الخفّاجي.

وفي سنة ١٩٧٤م عيّن وكيلاً للأزهر، وساعد الدكتور عبد الحليم محمود في كلّ ما يعنّ له من مسائل وقضايا وهموم إصلاحية.

وقد عيّن وزيراً للأوقاف المصرية وشؤون الأزهر سنة ١٩٧٨م، وكذلك شيخاً للأزهر سنة ١٩٧٩م. وأضحى أميناً عامّاً لمؤتمر علماء المسلمين أربع سنوات متتالية.

ولمّا كان يجيد الإنجليزية والفرنسية فقد أطلّ على الثقافة الأوروبّية، وعرف غثّها وسمينها، وغذّى علوم الإسلام بما يفيدها، وكان هو المنظّم للدراسات العليا بجامعة أمّ درمان الإسلامية.

وكان حيياً شديد التواضع طلق الوجه والمحيّا، وهو إداري من الطراز الأوّل وصاحب فكر منظّم.

عرض على المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٠م ـ والذي ضمّ في ثناياه خيرة علماء المسلمين ـ بحثاً فيّاضاً حول إثبات العقائد الإسلامية بين النصيّين والعقليّين.

وكما عني بالدراسة الفلسفية فقد عنى كذلك بالسلوك وألقى محاضرات قيّمة في هذا الموضوع.

توفّي بالقاهرة عام ١٩٨١م تاركاً بعض المؤلّفات، والتي منها: الوجود والخلود في فلسفة ابن رشد، العقيدة والأخلاق في الفلسفة اليونانية، الحقيقة والمعرفة على نهج العقائد النسفية، تأمّلات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، العالم بين القدم والحدوث، الإسلام بين العقائد والإيمان، الإسلام والمسيحية، الحرب والسلام في الإسلام (بالإنجليزية)، رجلان في التفكير الإسلامي، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، بؤس اليتامى (رواية)، الفلسفة اليونانية، مقدّمات ومذاهب.

يذهب الدكتور بيصار إلى القول بأنّ القضايا التي أُثيرت في الفكر الإسلامي حول الألُوهية لم تكن مجرّد نقل عن حضارات أو ثقافات غريبة عن المجتمع الإسلامي، أو نتيجة للتأثّر بعوامل خارجية، كما يذهب إلى ذلك كثير من المستشرقين، وإنّما كانت هناك عوامل داخلية هامّة ساعدت على إثارة هذه المشكلات. وتتلخّص هذه العوامل في: الحرّية الفكرية التي منحها الإسلام لأتباعه في شؤون عقيدتهم، ومطالبة القرآن للإنسان بالتأمّل والتفكير في ملكوت السماوات والأرض لإدراك حقائق الكون وكشف أسراره وتحديد مركز الإنسان فيه، وإشادة الإسلام بفضل العلم والمعرفة وتعظيمه لشأن العلماء.

وذلك بالإضافة إلى ردّ شبهات الوافدين على الإسلام والمنحرفين عنه بمنطق عقلي رشيد.

ويؤكّد الدكتور بيصار أنّ الهدف لأصحاب الآراء المختلفة من المسلمين في أيّ مشكلة من مشاكل الألوهية كان السمو بالذات الإلهية والمبالغة في تنزيهها. ومن هنا فلا ينبغي أن نوجّه لوماً إلى أحد هؤلاء الباحثين بالكفر والمروق، بل علينا أن ندرس آراءه بأُسلوب علمي دقيق؛ لإبراز ما قد يكون قد وقع فيه من خطأ قد يكون غير مقصود.

وينبّه الدكتور بيصار في هذا الصدد إلى ضرورة مراعاة التفرقة الواضحة بين الإسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنّة الصحيحة، وبين فهمنا نحن للإسلام أو محاولاتنا لتفسير قضاياه وشرح نصوصه. ويرى أنّ عدم التمييز بين هذين الوجهين كان السبب في الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون في الكثير من الأحكام التي يصدرونها على الإسلام وهو منها براء.

وفي تناوله لقضية النزاع بين الدين والفلسفة بصفة عامّة يرى الدكتور بيصار أنّ هذا النزاع قد انتهى في الفلسفة الحديثة باتّفاق رجال الدين ورجال الفلسفة على (أن يختصّ الدين بعلم المغيّبات والحقائق اللامادّية، وأن يسدّ هذا الفراغ في الناحية المادّية من محيط المعرفة الإنسانية كذلك، ويُعدّ هذا التصافي بين الدين والفلسفة رفعاً لما قد يبدو بينهما من تناقض أو خلاف)، ويشير إلى أنّ رفع التناقض بين الدين والفلسفة قد سبق إليه ابن رشد في كتابه «فصل المقال».

ويذهب الدكتور بيصار إلى مخالفة الرأي القائل بأنّ محاربة الغزالي للفلسفة في المشرق قد قضت على الفلسفة، وأنّ الغزالي كان سبباً في انحطاط الفلسفة في المشرق، ويرى أنّ في ذلك مبالغة. فالفلسفة في المشرق ظلّت قائمة بعد الغزالي وكثر طلّابها والمؤلّفون فيها، وضاقت الفجوة بينها وبين علم الكلام حتّى اختلطت مسائلها بمسائله وجمعتا في مؤلّف واحد.

ولكن الدكتور بيصار يعترف في الوقت نفسه بأنّ الفلسفة مع هذا لم تستطع بعد الغزالي أن تحرز لنفسها المكانة الأُولى والحرّية الكاملة التي كانت تحظى بهما أيّام ابن سينا، وذلك

فضلاً عن انعدام التجديد في الميدان الفلسفي في المشرق بعد الغزالي.

ويرفض الدكتور بيصار ما يذهب إليه بعض الباحثين من أنّ ابن رشد لم يكن من القائلين بقدم العالم، وأنّه عندما كان يقرّر قدم العالم لم يكن يعدو في ذلك أن يكون شارحاً لآراء أرسطو في هذه المسألة. ويرى أنّ كتب ابن رشد الأُخرى ـ والتي لا تعدّ شروحاً لآراء أرسطو مثل كتاب «التهافت» و«فصل المقال» ـ تدلّ على أنّ ابن رشد كان من القائلين بقدم العالم.

وقد كان الدكتور بيصار ـ وذلك عندما كان شيخاً للأزهر ـ من مؤيّدي التعديلات الإصلاحية التي أُدخلت على قانون الأحوال الشخصية في عهد الرئيس السادات، رغم المعارضة الشديدة التي قوبلت بها هذه التعديلات حينذاك من بعض علماء الأزهر. وقد أعلن تأييده للتعديلات الجديدة في ندوة تليفزيونية اشترك معه فيها الشيخ جاد الحقّ (مفتي الجمهورية حينذاك) والشيخ عبد المنعم النمر (وزير الأوقاف حينذاك).

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٢: ٣٩٧ ـ ٣٩٩، إتمام الأعلام: ٣٧٩، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٦٦ ـ ٩٦٨، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٨٠).

محمّد عبد العلي الندوي

محمّد بن عبد العلي بن عبد الحي الندوي الحسني: عالم وداعية إسلام من أهالي الهند، وأحد كبار الصحفيّين الإسلاميّين.

ولد سنة ١٩٣٦ م في لكنو لأُسرة علم ترجع نسبتها إلى الإمام الحسن المجتبى ﷺ، وهو ابن أخي العلّامة السيّد أبي الحسن الندوي.

بدأ دراسته في بيته بإشراف والده الذي ربّاه على التربية الإسلامية المهذّبة. وعكف على المطالعة بنهم، وظهرت قدرته على الكتابة في سنّ الثالثة عشرة من عمره، وحضر دروس الحديث في ندوة العلماء.

أراد والده أن يعلّمه الطبّ، فلمّا رأى ميوله في غيره تركه.

أسّس جمعية «المنتدى الأدبي» سنة ١٣٧٤هـ، وأصدر مجلّة «البعث الإسلامي» سنة

١٣٧٥هـ التي صارت ترجمان ندوة العلماء ولسان الدعوة في العالم الإسلامي، كما أسّس جمعية «الرابطة الإسلامية الدولية» سنة ١٣٧٩هـ التي أصدرت نشرة شهرية في ثلاث لغات: العربية، والإنجليزية، والأوردية، وكان لها أعضاء في مختلف البلاد الإسلامية. وأسندت إليه ندوة العلماء رئاسة تحرير صحيفتها الأوردية «تعمير حيات»، فبقي فيها حتّى وفاته سنة ١٩٧٩م.

عرف بالنزاهة والهدوء والاتّزان وحبّ العزلة وعفّة اللسان وكثرة الصمت ولزوم الزهد. وقد توفّي في لكنو على أثر علّة، ونقل إلى وطنه رائي بريلي، ودفن عند والده.

وله من المصنّفات: مصر تتنفّس، إلى القيادة العالمية، العالم الإسلامي بين التبعية والذاتية، المنهج الإسلامي السليم، تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسرّ به المؤمنون.

وقد جمع مقالاته الافتتاحية في مجلّة «البعث الإسلامي» التي كتبها طيلة ٢٣سنة في كتاب سمّاه «الإسلام الممتحن». وقد نقل كثير من الكتب إلى الأوردية. وكتب كثيراً من المقالات في جريدة «الرائد» الهندية تحت عنوان «الأضواء».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ١٨٧ ـ ١٨٨، إتمام الأعلام: ٣٨١).

محمّد عبدالغني حسن

محمّد عبد الغني حسن: أديب، وشاعر، وداعية تقريب مصري.

ولد في المنصورة بمصر عام ١٩٠٧م، وتخرّج بكلّية دار العلوم سنة ١٩٣٢م، وحصل على إجازة في اللغة الفرنسية، والتحق بجامعة «إكستر» البريطانية وجامعة «بيزانسون» الفرنسية، وعاد إلى وطنه، فعيّن أُستاذاً منذ سنة ١٩٣٧م بالمعهد العالي للتمثيل وبكلّية الشرطة ومديراً عامّاً لمؤسّسة المطبوعات الحديثة، فمديراً للنشر بوزارة الثقافة، وفي سنة ١٩٦٧م عيّن عضواً منتدباً بمجلس إدارة دار القلم ومديراً للنشر بها. كما اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق، وترأس تحرير مجلّة «المقتطف»، و«البلاغ الأُسبوعي»، و«الثقافة»، و«الهلال»، و«الأديب»، و«المعرفة الدمشقية»، و«المعرفة السعودية»، و«قافلة الزيت»، و«الناشر المصري»، و«بريد الكتّاب»، ومنح عدداً من

الجوائز، كنيشان النيل من الطبعة الخامسة، ووسام الجمهورية من الطبعة الثالثة، وجائزة الدولة التشجيعية في فنّ التراجم والسير.

توفّي «شاعر الأهرام» عام ١٩٨٥ م تاركاً عدداً من المؤلّفات، منها: الشعر العربي في المهجر، غرائب في الرحلات، من أمثال العرب، الخطب والمواعظ، المقامة، التراجم والسيَر، أحمد فارس الشدياق، ابن الرومي، ملامح من المجتمع العربي، بطل السند، بين السطور، الشريف الرضي، سائر على الدرب، علم التاريخ عند العرب، حسن العطّار، الموشّحات والأزجال، فنّ الترجمة في الأدب العربي، المقري صاحب «نفح الطيب»، معرض الأدب والتاريخ الإسلامي، عبد الله باشا فكري، تيجان تهاوت، ابن سعيد المغربي، تميم بن المعزّ، مي أديبة الشرق والعروبة، آمنة بنت وهب.

كما ترك بعض الدواوين الشعرية، كديوان «وراء الأُفق»، و«ماض من العمر»، و«من نبع الحياة»، و«من وحي النبوّة».

له مشاركات ومحاضرات في بعض المراكز الثقافية الإسلامية، كما كانت له مشاركات في بعض المهرجانات واللجان.

وكان ينتصر للشيعة الإمامية في أهمّ قضية تأريخية عندهم، وهي الغدير فيما أُثر عنه من الشعر والنشر، وكان يقول: «ولمّا كان حديث الغدير قد بلغ من الصحّة والتوتر وقوّة السند مبلغاً لا يحتاج معه إلى إثبات مثبت، أو تأييد مؤيّد، فقد كان المؤلّف الجليل [أي: الشيخ الأميني] في غنى عن أن يخصّ صحّة إسناد الحديث بفصل، فإنّه لا يصحّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل، ولكنّه جرى في المنهج العلمي على سفن الجادّة واستقامة القصد».

من شعره الوحدوي:

إنّا لتجمعنا العقيدة أُمّة ... ويضمّنا دين الهدى أتباعاً

ويؤلّف الإسلام بين قلوبنا ... مهما ذهبنا في الهوى أشياعاً

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، الشعراء العرب في القرن العشرين: ٤٣٠، معجم

الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ١٠٣٣، تتمّة الأعلام ٢: ١٨٨، إتمام الأعلام: ٣٨١، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٩٩ ـ ١٠٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٢ ـ ١٢٣).

محمّد عبد الفتّاح العناني

محمّد عبد الفتّاح العناني: عضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف، وزعيم المالكية في وقته، ورئيس لجنة الفتيا في الأزهر، وأحد الأعضاء المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة.

كان يذهب إلى انسداد باب الاجتهاد وحصر الرجوع إلى خصوص المذاهب الإسلامية المعروفة.

من جملة تلامذه الشيخ أحمد فهمي أبو سنّة.

(انظر ترجمته في: الأُصول العامّة للفقه المقارن: ٥٨١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٣).

محمّد عبد القادر المبارك

أبو هاشم محمّد عبد القادر محمّد المبارك الحسني: مفكّر، داعية، عالم، وزير.

ولد في دمشق سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٢م، ونشأ في أُسرة معروفة بالعلم والتقوى والصلاح، فجدّه محمّد المبارك كان من علماء اللغة العربية، له نثر وشعر وله آثار مروية تدلّ على فضله وملكته، ووالده الشيخ عبد القادر المبارك علّامة دمشق في اللغة والأدب، كان من أعضاء اللجنة التي أُلّفت في عهد الملك فيصل الأوّل لتعريب المصطلحات العسكرية، كما اختير عضواً في المجمع العربي بدمشق حين تأسيسه، وكان كذلك عالماً بالسيرة ووقائعها وبتراجم الرجال ومشاركاً في العلوم الإسلامية ومتقناً للّغة التركية وعارفاً بالإنجليزية، وله رسائل أدبية مطبوعة وشرح لعشر من مقامات الحريري. وأصل أُسرته من الجزائر، هاجر منها والد جدّه أثناء الاحتلال الفرنسي حوالي سنة ١٨٤٥م.

درس محمّد المبارك المرحلة الابتدائية، ثمّ الثانوية في مدارس دمشق، وكان متفوّقاً في دراسته، خاصّة في اللغة العربية والرياضيات، وكان له ميل واضح إلى العلوم العربية

والعلوم الإسلامية، ثمّ تابع الدراسة الجامعية في دمشق في كلّية الحقوق وفي الآداب، وأنهى الدراستين معاً في سنة ١٩٣٥م.

كان محمّد المبارك ينتظم في الصباح في الدراسة النظامية، وفي المساء يدرس على شيخ علماء الشام في عصره الشيخ محمّد بدر الدين الحسيني، وقد استفاد المبارك من علمه وقرأ عليه النحو والصرف والتفسير والمصطلح والفرائض وأُصول الفقه والكلام والبلاغة والحساب والجبر والهندسة. كما كان يدرس على الشيخ سليم الجندي وعلى والده العلّامة اللغوي الشيخ عبد القادر علوم اللغة العربية.

وكان المبارك في هذه الفترة متأثّراً بالأمير شكيب أرسلان وبمؤلّفاته، وما كان ينشره في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتحرّر من الاستعمار. وقد أُتيح له الالتقاء بالأمير في باريس عندما كان طالباً في جامعتها.

وبعد أن تخرّج محمّد المبارك من الجامعة السورية أوفدته الدولة مع من أوفدتهم إلى جامعة السوربون في باريس ليدرس في كلّية الآداب وفي معهد الدراسات الإسلامية التابع لها ثلاث سنوات. درس في السنة الأُولى الأدب العربي والثقافة الإسلامية، وعرف المستشرقين عن كثب، وكثيراً ما كان يصحّح لهم معلوماتهم. وخصّص السنة الثانية من دراسته لدراسة الأدب الفرنسي وعصوره وفنونه وأعلامه، وكان من أبرز أساتذته الأُستاذان المستشرقان المشهوران: مارسيه وماسينيون. أمّا السنة الثالثة فخصّصها لدراسة علم الاجتماع، وكان أساتذته من كبار علماء الاجتماع الفرنسيّين. وقد استفاد المبارك من فرعي الأدب الفرنسي وعلم الاجتماع استفادة كبيرة جداً مكّنته من الولوج في صميم الثقافة الغربية والتفكير الغربي ومذاهبه الفكرية والأدبية من منابعها الأصيلة وعن طريق الاختصاص من أهلها.

ولم يكن يقتصر المبارك على محاضرات الجامعة، بل كان يحضر المنتديات والمحاضرات العامّة ويتردّد على مختلف المعاهد العلمية والنوادي على تعدّد اتّجاهاتها وألوانها. وقد تعرّف في باريس إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، وكان يتردّد على

نواديهم، ويتعاون معهم في مجال الدعوة الإسلامية التي كانت أشمل من محاربة الاستعمار والتحرّر والاستقلال.

عاد محمّد المبارك من باريس مجازاً في الأدب العربي وفي علم الاجتماع، وتمّ تعيينه عام ١٩٣٨م أُستاذاً للأدب العربي في المدرسة الثانوية بمدينة حلب، وخلال وجوده في هذه المرحلة من حياته في حلب تزوّج زوجته الحلبية من عائلة آل البيانوني المعروفة بالعلم والصلاح، وهي أمّ أولاده. وظلّ في حلب سنتين، ثمّ انتقل إلى دمشق وتابع فيها مهمّته حيث درّس في ثانويتها الكبرى الأدب العربي والأخلاق والمنطق والنصوص الفلسفية، ودرّس كذلك في دار المعلّمين العليا، وكان له نشاط ملحوظ في المحاضرات العامّة في مختلف نوادي العاصمة في شتّى الموضوعات في اللغة والأدب والقضايا الاجتماعية والإسلامية.

وفي عام ١٩٤٥م تمّ جلاء القوّات الأجنبية عن سورية، وكانت بداية الحكم الوطني المستقلّ، وجرت في وزارة المعارف تنظيمات جديدة، كان من جملتها إحداث لجنة فنّية عليا في الوزارة تتألّف من مختلف الاختصاصات لوضع الخطط والمناهج والأنظمة، كما تمّ إحداث هيئة تفتيشية للتعليم الثانوي في عموم سورية، فعيّن الأُستاذ محمّد المبارك عضواً في اللجنة الفنّية للتربية ومفتشاً اختصاصياً لسورية لمادّتي اللغة العربية والدين. وعن هذا الطريق عرف جميع المحافظات السورية التي كان يزورها، وكثيراً ما كان يكلّف بتفتيش مواد اللغة الفرنسية والفلسفة؛ لعدم وجود مفتشين لهذه المواد يومئذٍ. وفي تلك الفترة كلّف بوضع مناهج اللغة العربية والدين للمدارس الثانوية منفرداً وعمل في ذلك عملاً جادّاً استغرق نحو شهرين أنجز خلالهما وضع مناهج المادّتين لجميع سنوات التعليم الثانوي الستّ.

وفي سنة ١٩٤٦م أُقصي المبارك عن التفتيش واقتصر عمله على عضوية اللجنة الفنّية، وذلك بسبب ما قام به من نشاط إسلامي في المحافظات التي كان يزورها للتفتيش، وذلك بإلقاء المحاضرات العامّة في أهمّ الموضوعات المتعلّقة بالإسلام والتعريف بدعوته

أو بالقضايا الإسلامية المعاصرة .

وفي عام ١٩٤٧م قدّم استقالته من وزارة التربية ليتمكّن من ترشيح نفسه للانتخابات النيابية عن مدينة دمشق تلبية لرغبة رابطة العلماء والجمعيات الإسلامية ، وقد انتخب ثلاث مرّات عن مدينة دمشق خلال الفترة من ١٩٤٧م ـ ١٩٥٨م . كما عيّن المبارك خلال الفترة ١٩٤٩م ـ ١٩٥٢م وزيراً للأشغال العامّة ، ثمّ وزيراً للمواصلات ، ثمّ وزيراً للزراعة . واستمرّ نشاطه الإسلامي السياسي حتّى عام ١٩٥٨م الذي تمّت فيه الوحدة بين مصر وسورية ، وحينئذٍ انصرف إلى العمل الجامعي العلمي ، وفضّل التدريس والكتابة وإلقاء المحاضرات ليرفع مستوى الوعي الإسلامي العامّ عند الجماهير الإسلامية .

لم يمنع نشاط محمّد المبارك السياسي منذ أواخر عام ١٩٤٧م عن استمراره في التدريس ، فقد كلّف في أوائل عام ١٩٤٨م بتدريس مادّة فقه اللغة ثمّ الدراسات القرآنية في قسم اللغة العربية في كلّية الآداب بجامعة دمشق ، واستمرّ في تدريس هذه المواد نحواً من عشر سنوات ، وانقطع فترة ثمّ عاد لتدريس فقه اللغة حتّى عام ١٩٦٦م . كما عيّن أُستاذاً في كلّية الشريعة في جامعة دمشق منذ تأسيسها سنة ١٩٥٤م ، وشارك مشاركة أساسية في وضع خطّتها ومناهجها . وحين أُنشئت الأقسام في الكلّية كان رئيس قسم العقائد والأديان . كما تولّى عمادة كلّية الشريعة في جامعة دمشق (١٩٥٨م ـ ١٩٦٣م) ، وذلك بعد عميدها الأوّل الدكتور مصطفى السباعي . وكان مجلس جامعة دمشق قد اختاره عام ١٩٦٠م ممثّلاً له في المجلس الأعلى للتخطيط الجامعي للجمهورية العربية المتّحدة في القاهرة لذلك العام .

وتمّ انتدابه من جامعة دمشق إلى جامعة أُمّ درمان الإسلامية في السودان تلبية لطلب مديرها ، فعمل فيها من ١٩٦٦م ـ ١٩٦٩م أُستاذاً ومشاركاً في التخطيط ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية ، وفي خلال هذه المدّة عام ١٩٦٨م قدّم استقالته من جامعة دمشق . كما أنّه درّس في كلّية الحقوق بجامعة الخرطوم مادّة السياسة الشرعية . وفي عام ١٩٦٩م اقترح عليه وزير المعارف في المملكة العربية السعودية العمل فيها ، فقبل واختار الإقامة

في مكّة المكرّمة . وعُيّن أُستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية في كلّية الشريعة بمكّة المكرّمة ، وكان عارفاً بوضعها ؛ لأنّه كان قد اشترك في وضع خطّتها وبعض مناهجها في عام ١٩٦٤م ، وبقي في هذا العمل أربع سنوات ، ثمّ عُيّن أُستاذاً باحثاً ومستشاراً في جامعة الملك عبد العزيز بجدّة ، وفي أثناء تلك الفترة عمل أُستاذاً زائراً في الجامعة الأردنية خلال الفصل الدراسي الثاني لعام ١٩٧٧م وفي فصول دراسية أُخرى ، وبقي يمارس التدريس في الجامعات حتّى وفاته .

كان المبارك عضواً في مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي) بدمشق ، وعضواً في المجلس الأعلى الاستشاري في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة .

ومحمّد المبارك عالم متمكّن وداعية مفكّر ، عمل في حقل الدعوة الإسلامية منذ ريعان شبابه ، ووهب نفسه لها ، وجعلها هدف حياته ، وقد اختار مهنة التدريس ليشارك في إعداد الأجيال ، وكان خلال فترة تدريسه إذا توسّم في فتى خيراً اتّصل به ورعاه وغذّاه بالنصائح ، وكانت له حلقات يعالج فيها موضوعات إسلامية عملية ومشكلات اجتماعية مع طلّاب ومدرّسين وعمّال ، كما كان له نشاط متواصل في إلقاء محاضرات عامّة في مختلف المستويات . ولم يقتصر نشاطه على المدن ، بل كثيراً ما كان يخرج مع فريق من الشبّان إلى القرى للدعوة والتوعية .

وكان للأُستاذ المبارك مشاركة في نشاط وتأسيس عدد من الجمعيات الإسلامية ، فعندما تأسّست جمعية الشبّان المسلمين في دمشق كان هو رئيسها ، ولمّا أسّس الدكتور مصطفى السباعي مدرسة الدعوة في دمشق سنة ١٩٤٧م / ١٩٤٨م كان المبارك يحاضر فيها هو والسباعي وثلّة من الأساتذة المرموقين . وهو من مؤسّسي جماعة الإخوان المسلمين في سورية ، وكان يمثّلهم في البرلمان السوري ، وكان الساعد الأيمن للسباعي ومستشاره السياسي والتنظيمي والاجتماعي . وكان دائماً عضواً في إدارة مركز دمشق أو رئيساً للإدارة ، وكان يتناوب مع السباعي في إلقاء المحاضرات في المركز العامّ للإخوان في حي الشهداء بدمشق أو في باب الجابية ، وكان يصحب السباعي في رحلاته وزياراته

لمركز الجماعة. وبعد أن غادر سورية بقي المبارك على صلات طيّبة مع الإخوان حتّى آخر لحظة من حياته.. كان مع الإخوان السوريّين حيث يوجد إخوان سوريّون، وكان مع الإخوان في سائر الأقطار التي يزورها أو يقيم فيها، يقدّم لهم إرشاداته ونصائحه، ويعطيهم تجاربه العلمية التي اكتسبها طوال عمره السياسي والتنظيمي. وكان له دور في ترشيد الحركة الإسلامية، وتقديم النصح والمساعدة المادّية والمعنوية من خلال عمله في ميدان الدعوة الإسلامية على الصعيدين الشعبي والثقافي. وكانت له اتّصالات بعدد من الشخصيات الإسلامية والعربية، ومشاركات مستمرّة في المؤتمرات العالمية في ميدان الثقافة والدراسات الإسلامية والعربية والدولية، وساهم بفاعلية في توضيح مفهوم الإسلام ودوره الحضاري في عالم اليوم، كما كان له دور بارز ضمن الوفود الإسلامية التي شاركت في المؤتمرات الدولية لا سيّما في الحوار الإسلامي ـ المسيحي.

من أهمّ مؤلّفاته: فنّ القصص في كتاب «البخلاء» للجاحظ، من منهل الأدب الخالد، عبقرية اللغة العربية، فقه اللغة وخصائص العربية، الأُمّة العربية في معركة تحقيق الذات، المجتمع الإسلامي المعاصر، الأُمّة والعوامل المكوّنة لها، جذور الأزمة في المجتمع الإسلامي، نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع، نحو إنسانية سعيدة، العقيدة في القرآن الكريم، نظام الإسلام.. العقيدة والعبادة، نظام الإسلام.. الحكم والدولة، نظام الإسلام.. الاقتصاد، نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد، نظرة الإسلام العامّة إلى الوجود وأثرها في الحضارة، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، القرآن عربي الخطاب، نحو وعي إسلامي جديد، المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي، مذكّرات في الثقافة الإسلامية، الإسلام والفكر العلمي، بين الثقافتين: الغربية والإسلامية، دراسة أدبية لنصوص من القرآن.

وله عشرات البحوث والمقالات المنشورة عن موسوعة الفقه الإسلامي، وعن تاريخ الرياضيات عند المسلمين، والتجارب العلمية عند المسلمين، ومذكّرات في التشريع الإسلامي مع مقارنته بالتشريع الغربي... إلخ، فضلاً عن الكثير من المحاضرات في: مكّة

المكرّمة، والجزائر، ولاهور، ودمشق، والرياض، والخرطوم، وأمريكا، وقطر، وباريس، والرباط، وجدّة، وإسطنبول، و(أبو ظبي)، وعمّان، وغيرها، بالإضافة لزيارته المتعدّدة للمدن السورية، وإلقاء المحاضرات والدروس، وعقد المؤتمرات والندوات لشرح الفكرة الإسلامية وبيان منهج الإسلام الحقّ.

من أقواله: «لا بدّ لنا ـ ونحن في ميدان العلوم المادّية والحياة العلمية في الحضارات الغربية الأجنبية المعاصرة ـ أن نستفيد من تجربة اللغات الأجنبية ما يعيننا في تجربتنا، على أن نعرف لكلّ لغة خصائصها وطرائقها في الاشتقاق والتوليد، مع الحذر من التقليد الحرفي، والنقل الآلي، والخلط بين خصائص اللغة أو فنون آدابها، والانسياق في تيّار نظريات المستشرقين وأصحاب المذاهب الاجتماعية.

ولو نظرنا إلى اللغات الأُخرى التي كانت حين ظهور الإسلام كالفارسية واليونانية، لوجدنا أنّها تبدّلت على مرّ العصور، حتّى غدت اليوم لغة أُخرى، ولو نظرنا كذلك إلى اللغات المنتشرة في عصرنا ـ والتي هي لغة الثقافة والعلم كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية ـ لوجدنا أنّها لا تكاد تفهم من أصحاب اللغة أنفسهم؛ لشدّة ما أصابها من التبديل الأساسي في ألفاظها وفي معاني ألفاظها، وليس ذلك في العربية التي تميّزت من سائر اللغات بخاصّية عظيمة النتائج جليلة الفوائد، ذلك أنّ ألفاظها كلّها ترجع إلى أُصول ثابتة، ومهما يكن تطوّر الكلمة العربية في معناها فإنّها ترجع إلى أصل ثابت في معناه الإصلي العامّ.

إنّ الإسلام ثابت في مفاهيمه العامّة واتّجاهاته والمعالم الكبرى التي رسمها للحياة الإنسانية، قابل لتنوّع الأساليب في التطبيق ومراعاة مختلف الأحوال والمراحل والشروط الاجتماعية.. وكذلك اللغة العربية، فهي ثابتة الأُصول والجذور، قادرة على متابعة تطوّر الإنسان في التعبير عن مختلف حالاته، وبذلك يلتقي الإسلام على أنّه رسالة، والعربية على أنّها وسيلة للتعبير، وتلك هي الحكمة في نزول القرآن بالعربية، وفي النصّ على ذلك في محكم الكتاب: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(سورة يوسف: ٢) مع أنّ خطاب

القرآن عامّ للناس جميعاً، ولم يرد فيه تخصيص كونه للعرب، واللغة العربية هي التي حملت رسالة الإسلام، فغنيت بألفاظ كثيرة جديدة للتعبير عن المفاهيم والأفكار والنظم وقواعد السلوك التي جاء بها الإسلام.

ولقد آثرت ـ ولا سيّما بعد اشتغالي بالتدريس الجامعي ـ أن أُحافظ على خطوط فكرية ثلاثة، كنت دوماً أتنقّل بينها وأُتابع الدراسة والبحث في آفاقها، وهي: اللغة، والفكر الإسلامي، وخصائص الأُمّة العربية.. وذلك حفاظاً على لغة القرآن التي هي أداة تفكيرنا، وفنّ تعبيرنا، ووسيلة أدائنا لرسالاتنا، والتي بها توارثنا مكارم أُمّتنا، وبها نزل كتاب الله علينا، وفيها يكمن الكثير من قوّتنا والثمين من تراثنا. فالأُمّة العربية بمكانها الثقافي والجغرافي وموقعها القيادي في العالم الإسلامي تستطيع أن تقوم بدور المنقذ، وأن تكون رائدة للحضارة الإنسانية المقبلة وطليعتها.

فلا بدّ من التحرّر من آثار التشويه والانحراف الذي أصاب الإسلام في فهم المسلمين له، والتحرّر من نقائص الحضارة الأوروبّية الحديثة الفلسفية الفكرية والعملية السلوكية، مع استبقاء مكاسبها الصالحة النظرية والعملية، وإحلال الإسلام باعتباره نظاماً عقائدياً كاملاً محلّ ذلك.

ولقد كانت الأحداث التي عاصرتها تشهد الصراع بين أنصار الدين وأنصار الإلحاد والعلمانية والصراع عن الاستعمار، وكانت الثورة السورية على فرنسا من الأحداث التي عشت في أجوائها، كما كان لكثير من الأحداث في شتّى البلدان الإسلامية أصداء قوية، كإلغاء أتاتورك للخلافة، وإمعانه في محاربة أيّ صلة للأتراك بالإسلام واللغة العربية، وكالظهير البربري، أعني: المرسوم الفرنسي القاضي بفصل البربر عن العرب في المغرب لقد كنّا نعيش بعواطفنا وعقولنا في جانب المناصرين للدين، والثائرين على الاستعمار، والداعين إلى وحدة المسلمين، فضلاً عن وحدة العرب».

يقول الأُستاذ مصطفى الزرقا: «كان الأُستاذ محمّد المبارك أوّل من فكر بضرورة إعادة النظر في علم الاجتماع الذي يدرّس بوضعه الحالي الذي يؤدّي إلى الإلحاد، حيث يرى

ضرورة كتابة علم اجتماع إسلامي متّفق مع مسلّمات الإسلام وثوابته في القرآن والسنّة النبوية .. وقد كلّف في آخر حياته في الجامعة الأردنية بتدريس علم الاجتماع الإسلامي على صعيد الجامعة للطلّاب من جميع الكلّيات ».

ويقول الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي : «كان الأُستاذ محمّد المبارك أحد الذين يفكّرون بالإسلام، ويفكّرون للإسلام، وهكذا عاش لهذا الدين، وعاش بهذا الدين، فهو أحد العقول القلائل في هذا العالم الإسلامي التي تفكّر بالإسلام وتفكّر للإسلام .. إنّ من خصائص تفكير الأُستاذ المبارك النظرة الشمولية للإسلام، فالإسلام وحدة لا تتجزّأ، الإسلام كلّ شامل .. كذلك يتميّز الأُستاذ المبارك بالاعتدال والتوازن، إنّه لا يقف على طرف ضدّ طرف آخر، إنّه يحاول أن يقف الموقف الذي وصف الله به أُمّة الإسلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (سورة البقرة : ١٤٣).

ويقول الأُستاذ أنور الجندي : « من خلال التأمّل في شخصية الأُستاذ محمّد المبارك تبدو لنا ملامح شخصية باحث عربي إسلامي نابه، يلفت النظر بأصالته ومرونته وعمقه في تناول القضايا المصيرية للعالم العربي والأُمّة الإسلامية، وهو واحد من روّاد المدرسة التأصيلية التي تجمع بين التجديد والبناء على أساس من القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ».

ويقول الأُستاذ عبد الله الطنطاوي : «كان الأُستاذ محمّد المبارك يحبّ الناس ويمشي في حاجاتهم، ولمّا كان وزيراً كان الوزير القدوة في كلّ وزارة دخلها، يخدم إخوانه ويدعو إلى جماعته بسلوكه الإسلامي المتّزن وبلسانه العفّ الذي اعتاد على أن يقول الخير أو يصمت، وفي الجامعة كان مثال الأب الحاني على أبنائه الطلّاب والطالبات، وكان الذين يعملون بإمرته يحبّونه ويجلّونه؛ ولما يرون فيه من استقامة .كان يعيش حياة وسطاً، حتّى إنّه عندما كان وزيراً لم يكن يملك سوى معاشه الشهري الذي ينفقه على أُسرته، ولم يكن له بيت يملكه إلّا في عام ١٩٦٣م بفضل قطعة أرض اشتراها منذ زمن طويل، ثمّ ارتفع ثمنها فتفاوض مع بعض الناس على أن يعمّروها ويعطوه شقّة فيها ! وكان من أبرز مفكّري

الإخوان المسلمين، ليس على مستوى سورية وحدها، بل على مستوى العالم الإسلامي، وكتبه جديرة بإعادة طباعتها والترويج لها ودراستها، ففيها ما ليس في سواها من كتب الدعاة.. فيها وعي عميق، وثقافة نادرة، في أُسلوب عربي قرآني متميّز».

ويقول الأُستاذ حسني أدهم جرّار: «العالم المفكّر، والسياسي المتمرّس، والداعية المربّي، الأُستاذ محمّد المبارك، كان فقيهاً باحثاً، وأديباً متميّزاً، ورائداً من روّاد الفكر العربي الإسلامي المعاصر. كان عالماً متفتّح الذهن.. آتاه الله علماً واسعاً، وذكاءً حادّاً، ورأياً سديداً، وبصيرةً نافذةً، وقدرةً على الحوار. وكان من الناس الذين جمعوا بين الثقافتين: الثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الغربية، وجمع بين الدراسة الدينية وبين الدراسة المدنية، وكان لهذا الجمع أثر واضح في وعيه وتفكيره ونشاطه».

كان من عادة الشيخ محمّد المبارك أن يتوجّه من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة بين فترة وأُخرى للصلاة في المسجد النبوي. وفي إحدى المرّات، وهو متوجّه من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، بعد محاضرة ألقاها في جامعة الملك عبد العزيز في جدّة يوم الإثنين ٤/ ٢/ ١٤٠٢هـ، وبعد مكوثه لمدّة يومين بالمدينة المنوّرة مع أُسرته، وفيما كان الشيخ المجذوب يستعدّ لاستضافته على طعام الغداء في منزله يوم الخميس ٧/ ٢/ ١٤٠٢هـ، إذا بالهاتف ينقل له خبر وفاة الأُستاذ المبارك وهو في طريقه إلى مستشفى المدينة المنوّرة إثر نوبة قلبية بعد وقت قصير من عبارة قالها وهو يمرّ من أمام مقبرة البقيع: «هنيئاً لمن يُدفن في البقيع» قبل وصوله للمستشفى، وقد صلّي عليه في مسجد (قباء) عقب صلاة الجمعة، ودُفن في مقبرة البقيع بالمدينة، حيث كان يتمنّى ذلك.

وقد رثاه الشاعر الإسلامي ضياء الدين الصابوني بقصيدة قال فيها:

أبكي الشمائل والفضائل والنهى
أبكي الأُخوّة والوداد الأكملا
فلقد عرفتك مخلصاً متواضعاً
ولقد عرفتك في المكارم أوّلا

ما مات من ترك المفاخر بعده
أبداً ولا نال العلا من أهملا
راض الصعاب بهمّة جبّارة
وحلا له مُرّ الحياة وما حلا
ولا راعنا فيك الزمان فأنتم
أمل الشباب إذا القضاء تنزّلا
فاهنأ أخي بجيرة محمودة
جُعلت لكم جنّات عدن منزلاً.

(انظر ترجمته في: تاريخ علماء دمشق ٣: ٤٢١ـ٤٢٧، موسوعة السياسة ٦: ١٠٠، تتمّة الأعلام ٢: ١٨٨ـ١٨٩، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٥١ـ١٥٥، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢٠٨٤ـ ٢٠٨٧، موسوعة الأعلام ٤: ١٢٤ـ ١٢٥).

محمّد عبد اللطيف دراز

محمّد عبد اللطيف دراز: من علماء الأزهر السياسيّين، وأحد الأعضاء المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة.

ولد سنة ١٨٩٠م في قرية «محلّة دياي» بمحافظة كفر الشيخ، وحفظ القرآن في قريته، ثمّ أرسله والده إلىٰ معهد الإسكندرية الديني، وحصل على شهادة العالمية عام ١٩١٦ م، ودرّس بعض الوقت، ثمّ فصله إسماعيل صدقي أربع سنوات ابتداءً من سنة ١٩٣١ م لعلاقة دراز مع النقراشي الذي كان وقتئذٍ من أقطاب الوفد، وشارك في مظاهرات عام ١٩٣٥ م، وانتخب عضواً لمجلس النوّاب في عام ١٩٤٥ م، وتصدّى لمشروع قانون يقيّد من حرّية الصحافة.

وبعد ثورة يوليو عيّن وكيلاً للأزهر الشريف عام ١٩٥٢ م، فمديراً له وللمعاهد الدينية، كما انتخب عن قريته لمجلس الأُمّة عام ١٩٥٧ م.

وهو أحد مؤسّسي «جمعية الشبّان المسلمين»، ومن أنبه تلاميذه الشيخ أحمد حسن

الباقوري الذي تزوّج من ابنته.

وقد عرف عن الشيخ دراز كفاحه وبطولته في مواجهة الاحتلال الإنجليزي على جميع الجبهات في ساحة الأزهر، وكان أوّل من رفع شعار الهلال مع الصليب أثناء ثورة ١٩١٩م لتحقيق الوحدة الوطنية بين عنصري الأُمّة، فاعتقل وأُبعد عن القاهرة أكثر من مرّة.

وله باع طويل في السياسة المصرية على مدى نصف قرن، منذ أن بدأ حياته السياسية عام ١٩١٠م بالحزب الوطني القديم حتّىٰ كوّن جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية، وتولّىٰ منصب «حكمدار» القاهرة إلىٰ جانب عمله كقائد للحرس الوطني الذي أنشأته ثورة ١٩١٩م، على الرغم من أنّه ظلّ مرتبطاً ومتحمّساً للحزب الوطني القديم بعد انتهاء ثورة ١٩١٩م بإعلان استقلال مصر وإعلان دستور ١٩٢٣م، فذهب في تحمّسه هذا إلى أبعد مدى، حتّى إنّه خاصم كلّ الأحزاب وكلّ الزعماء، وعلى رأسهم سعد زغلول.

توفّي سنة ١٩٧٧م.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية بعض المقالات، منها: الإسلام ـ الأزهر ـ التقريب، الأزهر ووزارة المعارف، الحروب الصليبية في شكل جديد.

وقد كتب داعياً إلىٰ ضرورة العمل على جمع كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتصفية الخلافات بينهم بعرضها على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الأوّل من المؤمنين.

وذكر: أنّ المسلمين متّحدون في الواقع غير مختلفين، فالأُصول واحدة، والوسائل واحدة، وما الخلاف إلّا في التطبيق، وإذا جاز اختلاف المسلمين في الفقه والفروع، فكان منهم الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي والزيدي والإمامي، وأزال الله تعالى في هذا العصر ما كان بينهم من عداوة وبغضاء، فلم لا يجوز بينهم اختلاف هادئ فيما هو وراء الأُصول المتّفق عليها من ألوان المعارف الفكرية التي ليست من العقائد؟!

وله في التقريب: «بزغت شمس الهداية الإسلامية من هذا المشرق على حين فترة من الرسالات وضلالة من الناس، واختلاف بالأهواء والشهوات، وظلم من الأقوياء للضعفاء،

واستبداد من الحاكمين بالمحكومين، وسيطرة لقوى الفساد وعوامل الضعف والانحلال، وتردٍّ في مهاوي الرذيلة، أصبح به الإنسان الناطق أحطّ درجة من الحيوان الأعجم، واضطربت به شؤون الحياة، واختلفت موازينها، ووقف به العلم على شفا حفرة من النار والدمار.

فلمّا بزغت هذه الشمس الساطعة بدّد الله بها هذا الظلام الدامس، وأحيا بها تلك القلوب الميّتة، وسلّط شعاعها الوهّاج على كلّ ناحية من نواحي الحياة، وألّف بها بين المتنافرين، وأصلح بين المتخاصمين، وأسفل العداوات التي أنهكت القوى، وأنزع السخائم التي عطّلت المواهب وطغت على العقول، فإذا أُمّة ناشئة فتية متّحدة متعاونة، ترفع بيمينها راية الإصلاح العالمي في العقيدة والشريعة والنظام والسياسة والعلم والأخلاق، وتهدي للتي هي أقوم، وتنادي بالحقّ والعدل، وتحارب الفساد والظلم، وتعلن لأوّل مرّة حقّ الإنسان في أن يعيش حرّاً كما خلقه الله، وحقّ العقل في أن ينطلق حرّاً في مجال الكون يفكّر ويتتبّع ويستقري فيستدلّ ويستنبط، وحقّ المجتمع في نعمة الأمن والطمأنينة والقرار.

انطلق المسلمون يحملون هذه الراية، وينشرون هذه الرسالة، فتفتّحت أمامهم أبواب العالم، وانطوت فيهم المدنيات. وتمثّلت في ثقافتهم الثقافات كما تتمثّل في جني النحل أزاهير النبات وأعاصير الثمار، وولجوا بالقرآن كلّ باب، واستجلّوا بالسنّة المطهّرة كلّ غامض، وكانت عقولهم صافية، وقلوبهم صافية، فلم تعبث الأوهام والخرافات بالأُولى، ولم تفسد الأضغان والأحقاد بالثانية، فكانوا في العلم والفكر هداة راشدين، وفي التعاون والتضافر على الحقّ والخير مثلاً عالياً للمتّقين، ووقف العالم ينظر إليهم مذهولاً مشدوهاً، وأحسّ أرباب السلطان وأعوان الطغيان بالأرض تميد تحتهم وتضطرب بهم، وأدرك الباطل والفساد أنّ قوّة لا تقاوم تزلزل عليهما عرشهما وتقوّض بناءهما، وأنّ مصيرهما أمام هذه القوّة الانهزام والاندحار أو التسليم والاستخذال، فآثر الأُخرى على الأُولى، وخفضا رأسيهما إلى حين، حتّى إذا واتتها الفرصة حين أثمرت عوامل التفرّق الأوّل بين المسلمين

ثمارها وتقطّعت الأواصر واستلّت سيوف الأُخوة على الأُخوة، بدا قرن الفتنة، وتحرّكت الأفاعي الكامنة المتلبّدة، وانطلقت من مكامنها، تلبس لباساً يواري سوآتها، وتظهر في صور شتّى وألوان مختلفة، مرّة في السياسة بإثارة الأحقاد وبثّ الفتن والمكائد وإذكاء نيران العصبية وتخوّف كلّ فريق من الآخرين، ومرّة بإفساد العلم والفكر عن طريق الوضع والافتراء والتأويل الفاسد وإثارة الشبه والخوض فيما نهى الله ورسوله عنه وتحرّج المسلمون الأوّلون منه، وبهذه وجدت الأحزاب السياسية، وانبعثت العداوات القديمة والإحن الماضية من مراقدها، وتفرّقوا شيعاً، فكلّ قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر!

وقد شهدت الأُمّة الإسلامية مع هذا نوعاً من أنواع الخلاف والتفرّق هو خلاف الأتباع والمتعصّبين للأُمّة الذين التزموا مذهب من المذاهب بعينه ديناً لا يجوز للمسلم أن يخالفه، وأدرجوا ذلك في حكم العقائد، ورتّبوا عليه مسائل بحثوا فيها حكم من قلّد غير الأربعة، ومن قلّد غير إمامه حتّى من الأربعة، ومن لفّق في العبادة أو المعاملة بين مذاهب عدّة، ومن أفتى بغير الراجح أو المعلول عليه أو المفتى به، أو بتعبير أدقّ: بغير ما وصف في الكتب بأنّه كذلك، إلى غير ذلك من المسائل التي ما آثارها إلّا العصبية المذهبية، والتي قامت بنصيبها في تفريق الأُمّة الإسلامية.

بات المسلمون من ذلك كلّه في ضعف، وقاسوا منه أهوالاً شداداً، وأدرك المخلصون من أبناء هذه الأُمّة أن لا نجاة لها ممّا وقعت فيه إلّا إذا عادت إلى ما كانت عليه في عهدها الأوّل، حين كان الشمل مجتمعاً، والعلم صافياً، والدين واضحاً، والمرجع كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ التي صحّت روايتها واستقامت دلالتها، ينزل على حكمتها المختلفون، ويصطلح عليها المتخاصمون».

(انظر ترجمته في: موسوعة ألف شخصية مصرية: ٥١٣، تتمّة الأعلام ٢: ١٨٩ ـ ١٩٠، إتمام الأعلام: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٣٢٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٣ـ١٢٦).

محمّد عبد الله الخليلي

أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخروصي الخليلي: من أئمّة الإباضية في عُمان، وأحد دعاة الوحدة.

ولد في سنة ١٨٨٢م في قرية (سمائل)، وتفقّه في شرقية عُمان، وانتخب للإمامة سنة ١٣٣٨هـ(١٩٢٠م)، واستمرّ إلى أن توفّي في (نزوى) عاصمة عمان آنذاك سنة ١٩٥٤م عن نيّف وسبعين عاماً.

كان المرجع الأعلى لبلاده في القضاء والإدارة وسياسة الدولة، يبرم الأحكام بعد أن ينظر فيها (مجلس الشورى) المؤلّف من كبار رجاله. وله في كلّ يوم مجلس عامّ في حصن (نزوى) يدخله من شاء من رعاياه لعرض أُمورهم عليه.

وفي أيّامه (مطلع سنة ١٣٣٩هـ) عقدت معاهدة (السيب) بين بعض رجاله والقنصل البريطاني بمسقط نائباً عن حكومتها. وأقرّها الخليلي باعتبارها استقلالاً تامّاً عن سلطة مسقط.

وكان شديد الحذر من الأجانب، يمتنع عن مقابلتهم ما استطاع، ويحاول جهده الحيلولة بينهم وبين التجوّل في بلاده.

زحف سنة ١٣٤٤هـ(١٩٢٥م) بجيش من بدو عمان وحضرها، يقصد واحة (البريمي)، فوصل إلى مدينة (عبري) ولم يتجاوزها؛ لخلاف دبّ في صفوف رجاله، ولأخبار انتشرت بينهم بأنّ قبيلة (نعيم) القاطنة في (البريمي) أرسلت تطلب النجدة من عبد الله بن جلوي عامل الملك عبد العزيز آل سعود في الأحساء، مالاً ورجالاً وسلاحاً، استعداداً للمقاومة، وعاد إلى (نزوى)، وأصبحت مدينة (عبري) من ذلك الحين الحدّ الغربي لأراضي الإمامة في عمان.

كان فقيهاً عادلاً، أحبّه شعبه، وساد الأمن في أيّامه.

وضعف بصره، ولازمته حمّى (الملاريا) في أعوامه الأخيرة، إلى أن توفّي، وخلّفه

الإمام غالب بن علي الهنائي.

وهو من المنادين بضرورة الوحدة الإسلامية ونبذ الخلاف والفرقة. يقول من جملة كلام له: «ومن الأمر بالمعروف السعي في توحيد كلمة المسلمين، وفي إلغاء الانتساب إلى المذاهب وإظهار التعصّب لها اللّذين قضيا على الإسلام، وتسلّط على أبنائه عبدة الأصنام الأجانب الأكالب. وإنّ لزوم ماكان عليه السلف الصالح والسير بالمسلمين سيرهم هو الذي يعيد علينا عزّنا الشامخ ومجدنا الباذخ».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦: ٢٤٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٨٨ـ ٨٩).

محمّد عبدالله دراز

فقيه متأدّب مصري أزهري، كان من أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

ولد في قرية محلّة دياي بمصر، وانتسب إلى معهد الإسكندرية الديني، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية وعلى شهادة العالمية، ثمّ تعلّم اللغة الفرنسية، واختير للتدريس بالقسم العالمي بالأزهر، ثمّ أُرسل في بعثة علمية إلى فرنسا، فحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون الفرنسية عن رسالة له بعنوان «دستور الأخلاق في القرآن الكريم.. دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن»، وعاد إلى بلده، فعمل مدرّساً في جامعة القاهرة، وفي دار العلوم، وفي كلّية اللغة العربية، ونال عضوية جماعة كبار العلماء، وأصبح عضواً في اللجنة العليا لسياسة التعليم، وفي مجلس الإذاعة، وفي اللجنة الاستشارية الثقافية في الأزهر. اشترك في المؤتمر العلمي الإسلامي بلاهور (الباكستان). ومن كتبه: تاريخ آداب اللغة العربية، منهل العرفان في تقويم البلدان، في مبادئ علم الأخلاق، تفسير آيات الأحكام (بالاشتراك)، الدين.. دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام.

توفّي سنة ١٩٥٨ م. وله عدّة مقالات منشورة في مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية، منها: مبادئ القانون الدولي العامّ في الإسلام، والربا في نظر القانون الإسلامي، وأساس الشعور بالمسؤولية، وغيرها.

يقول ضمن مقال له نشرته مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية: «الإنسان حين يأخذه النوم كيف تساوره الأحلام، وحين تتقلّب عليه المؤثّرات كيف يسرّ ويحزن، ويخاف ويأمن، ويرضى ويغضب؟ لأنّه ذو نفس تسري عليها أحوال النفوس وأعراضها الجبليّة.

الإنسان في هذه الميادين كلّها أمير طبيعته، وسجين فطرته. لا جرم وضعت عنه فيها كلّ الأحمال والأعباء؛ لأنّه يستوي هو وسائر الأشياء.

لكن له من فوق هذه الميادين ميداناً أعلى، يمتلك فيه حرّيته، ويبرز فيه سلطانه، وتتقرّر فيه مسؤوليته، وذلك حيث تسلس له الطبيعة قيادها. وتملكه زمامها. وتمهّد له سبلها المختلفة ينتقي منها وينتخب، تحليلاً أو تركيباً، تعميراً أو تدميراً. وذلك حيث تأذن له قواه البدنية والنفسية وعلائقه الخاصّة والعامّة أن يتصرّف فيها قبضاً أو بسطاً، رفعاً أو خفضاً، قطعاً أو وصلاً، يؤاسي ويأسي، أو يجرح ويقسو، أو يألف ويؤلف، أو يتجبّر ويتكبّر. يضيع أمانته أو يصونها، يحمي أوطانه أو يخونها، يرفع رأسه إلى السماء طلباً للمثل العليا، أو ينكس بصره إلى الأرض سعياً وراء زخرف الدنيا..

الإنسان في هذا كلّه وفي سائر تصرّفاته الاختيارية سيّد مسؤول، ومسؤوليته مشتقّة من سيادته، إنّه سيّد بتسويد الله إيّاه منذ جعله خليفة في الأرض، فمكّنه منها واستعمره فيها، وإنّه مسؤول بموجب هذه السيادة أن يؤدّي حقّها.

كم من مرّة سمعنا الكلمة المأثورة: «إنّ من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم»، غير أنّنا عند سماع هذه الكلمة كنّا نفهمها على صورة ضيّقة وفي نطاق محدود؛ إذ كان يبدو لنا أنّ صاحب المال أو صاحب الجاه هو الذي ينبغي أن يعدّ نفسه في نعمة؛ لقدرته على قضاء حاجة المحتاجين. أمّا الآن فإنّنا نفهمها في أوسع معانيها، ونستطيع أن نناشد بها الناس جميعاً قائلين: إنّ من نعم الله عليكم حاجة المجتمع، بل حاجة الكون إليكم. ذلك أنّ مطالب الحياة والصحّة والعلم والقوّة والأمن والرخاء والعدل والبرّ والرحمة والإحسان وسائر القيم الكبرى والمثل العليا لا غنى لها طرفة عين عن تضافر القوى البشرية. وتماسك أيديها وسواعدها، وتعاون عقولها وقلوبها، فنحن جميعاً شركاء في المسؤولية، لا فضل لكبير

على صغير، ولا لقوي على ضعيف، كلٌّ على قدر وسعه وفي حدود متناوله مُطالبٌ بنصيب قلّ أو كثر في عمارة هذا الكون بالصلاح والإصلاح، وإنّ كلّ سهم تبخل به عزيمة من العزائم تنقص به لبنة أو لبنات في بناء المجتمع الصالح الذي يُطلب منّا إقامته بمقتضى خلافتنا في الأرض، والذي لولا يد الإنسان ما ارتفع له بنيان، بل لولاها ما تغيّر وجه التاريخ في هذا العالم. فقديماً قال بعض الحكماء: [وهو الفيلسوف بوسويه في كتاب «معرفة الله»]: «أروني ماذا أضافت العجماوات إلى ما وهبته لها الطبيعة منذ نشأة العالم إلى اليوم، بينما نرى الإنسان قد غيّر وجه الأرض ونقّب في أحشائها، واليوم وقد أمضى العقل الإنساني أُلوف السنين في بحث وتنقيب لايزال معينه جارياً لم ينضب، ولا يزال يبتكر الجديد المفيد.. إنّه لا شيء يقف أمام العقل الإنساني، ولا شيء يضع حدّاً لكشفه وابتكاره إلّا شيء واحد كسله وتراخيه».

هكذا كلّ شيء في الكون ينادينا منذ نشأتنا بأنّنا مسؤولون، لا بمعنى أنّنا متّهمون محاسبون، بل بمعنى أنّنا مقصودون مأمولون، وإنّ من أكبر دواعي الفخار للإنسانية أن تكون هي محطّ هذا السؤال العالمي ومناط ذلك الأمل الكوني. وهكذا يتبيّن لنا أنّ المسؤولية في أساسها ليست خطاب تعنيف وتخويف، وإنّما هي لقب تشريف وخطاب تكليف؛ وهي تشريف من حيث هي تكليف؛ إذ لا يكلّف بحمل الأعباء إلّا من هو أهل لحملها.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

نعم، إنّنا بفطرتنا مسؤولون، لا سؤال اتّهام ومناقشة حساب، بل سؤال التماس ودعاء ورجاء، وليس الإنسان المسؤول هو الذي يلتمس ويرجو، بل هو المدعو المرجو، فالمصالح المادّية والأدبية تلتمس منه أن يقوم بأدائها، والقيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية تدعوه أن يتدخّل بإرادته وعزيمته لتحقيقها. ثمّ تناشده مؤهّلاته ومرشّحاته نفسها أن يسرع إلى تلبية هذا النداء السرّي العميق الذي تبسطه الكائنات بلسان حالها قبل أن تبسط الأنبياء والرسل بلسان مقالها: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٠٥).

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦: ٢٤٦، معجم المؤلّفين ١٠: ٢١٢ـ٢١٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ٢٣٩ـ٢٥٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٦).

محمّد عبدالله العمري

القاضي محمّد بن عبدالله بن حسين بن علي العمري (١٣٢٤ هـ ـ ١٣٨٠ هـ): وكيل وزارة خارجية المملكة المتوكلّية اليمنية، وأحد الأعضاء المؤسّسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة سنة ١٩٤٧ م، وكان يمثّل مع صديقه الشيخ علي بن إسماعيل المؤيّد الشيعة الزيدية في مجلس إدارة تلك الدار.

من مؤلّفاته «سفينة الأدب والتاريخ» الذي نشرته دار الفكر المعاصر البيروتية ودار الفكر الدمشقية سنة ١٤٢٢ هـ بتحقيق الدكتور حسين بن عبدالله العمري في ثلاثة مجلّدات.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية في عددها الرابع سنة ١٩٤٩م مقالاً بعنوان «هل من جامعة إسلامية؟»، يقول فيه: «أوّل واجب على المسلمين في سبيل تحقيق هذا المقصد الشريف أن تصفو منهم القلوب، وتستلّ منهم العداوات. وأنّ يتخفّفوا من الخلافات المضنية التي فرّقت بينهم ومكّنت الخصوم والأعداء من أعناقهم، فإنّه لا قوّة مع خلاف، ولا هيبة مع نزاع وشقاق. ولا تجدي دعوة من الدعوات يوجّهها إلى العالم قوم هم أنفسهم عنها معرضون ولطريقها السوي متنكّبون... لقد بلّغ رسول الله ﷺ رسالته، وأدّاها كما يجب، ونصح بالاعتصام بالوحدة، كما أشار إلى المشاق التي تعترض المتمسّك بدين الإسلام وفضائل الإسلام... إذا كان الله قد أوصى المؤمنين الأوّلين بهذه الوصية الجامعة الحكيمة [أي: الاعتصام وعدم التفرّق] التي تجمع عناصر النجاح والسياسة والحكمة، فإنّ المسلمين اليوم في حاجة أمسّ وضرورة أشدّ للاعتصام بحبل الله واطّراح التفرّق وعوامل الضعف في أيّة صورة؛ لأنّ أعداءهم اليوم أكثر وأقدر وأصبر من أعداء آبائهم الأوّلين، ولأنّ العالم اليوم يمضي قدماً، فلا يعذر المتخلّفين، ولا يستمع إلى خلاف المختلفين وجدال المتجادلين. فهل يصيغ المسلمون إلى هذا النداء الذي ينبعث من قلب

يؤمن بالله وكلماته وينطوي على أعظم الحبّ لدينه وأُمّته؟ هل يتوسّعون في تآلفهم وتقاربهم وتعاونهم بإيجاد جامعة إسلامية تلمّ الشعث، وتحيي الأمل، وتخيف العدوّ، وتسرّ الصديق؟».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٧).

محمّد عبد الله محمّد المحامي

الدكتور محمّد عبد الله محمّد المحامي: مفكّر إسلامي، وشاعر متميّز، ورئيس جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة.

كان الأوّل على دفعته عندما تخرّج في كلّية الحقوق عام ١٩٣٠م، ويعتبر كبير المحامين في مصر، وهو صاحب تاريخ ومنزلة رفيعة بين القضاة والمحامين. بدأ حياته بالنيابة العامّة، إلى أن صار مستشاراً ومحامياً عامّاً بمحكمة النقض قبل أن يترك القضاء إلى المحاماة.

وقد روى الأُستاذ عبد الرحمان السايح أنّه عندما ترك الحكومة كتب استقالة غير مسبوقة في تاريخ الاستقالات، فقد أرسل ورقة إلى المسؤول مكتوب فيها: «استقلت من وظيفتي»، ولم يزد!

يعدّ كتابه «في جرائم النشر» واحد من أعظم الكتب التي أثرت المكتبة القانونية في هذا القرن، وكتابه «في بسائط علم العقاب» وعشرات من المقالات التي نشرت له على مدار خمسين عاماً.

وبتاريخه في القضاء والمحاماة شيّد مكانته كعملاق من عمالقة جيل الأساتذة العظام.

وكتابه «معالم التقريب بين المذاهب الإسلامية» من أفضل وأعمق ما كتب في موضوعه، ينير عقول وقلوب المسلمين، ويوجّه أنظارهم إلى معالم الطريق السوي الصحيح للمستقبل.

ويعدّ من الشعراء العرب البارزين، وله ديوانان شعريان، هما «العارف» و«الطريق»، وما يزال على قيد الحياة وقد تجاوز عتبات التسعين.

يقول: «التقريب إجمالاً هو: اتّجاه جادّ داخل الإسلام مجرّد تماماً من اللون الطائفي أو الإقليمي؛ للتخلّص من العداوة المتبادلة بين أهل المذاهب الإسلامية المختلفة، وصيانة وحدة المسلمين.

ويخرج من نطاق هذا التعريف التبشير بالإسلام عند غير المسلمين، وكذا التبشير بمذهب من المذاهب الإسلامية عند أهل مذهب آخر منها، كما يخرج التقارب بين أهل الأديان المختلفة سواء أكان الإسلام من بينها أو لم يكن، كما يخرج منه ردّ الغلاة الذين ينتسبون للإسلام بالاسم مع الإخلال بركن أو أكثر من أركانه، ويخرج كذلك منه ردّ المقصّرين من المسلمين، وأخيراً يخرج منه المدارس والمذاهب الإسلامية، وكلّ اختلاف في الرأي بين المسلمين لا يصحبه عداوة تحدث انقساماً في وحدة الجماعة الإسلامية.

ذلك أنّ التقريب مرتبط ارتباطاً تامّاً بوحدة المسلمين؛ إذ هو محاولة للدفاع عن هذه الوحدة واستنقاذها.

ووحدة المسلمين تدور على محورين:

أوّلهما: التسليم بحقوق عامّة للمسلم في كلّ مكان من بلاد الإسلام بغض النظر عن مذهبه وطبقته وجنسه ولونه ولغته، وأهمّها عصمة دمه وماله وعرضه وألّا يظنّ به السوء.

وثانيهما: اعتقاد أُخوّة المسلم للمسلم تبعاً لأُخوّتهما في الله.

فليس التقريب حركة تبشيرية بأيّ وجه، ولا يدخل في رسالته الدعوة للإسلام بين غير المسلمين، ولا الدعوة لنشر هذا المذهب أو ذاك بين المسلمين في أيّ مكان؛ لأنّه لا ينشد إزالة المذاهب الإسلامية، ولا إضعاف ولاء المسلمين لمذاهبهم، وإنّما ينشد إزالة العداوة المتبادلة بين أهل المذاهب؛ لأنّه لا تلازم بين وجود المذهب والولاء له وبين عداوة المنتسبين إلى المذاهب الأُخرى وبغضهم.

ولا يدخل في مهمّة التقريب التقارب بين أهل الأديان المختلفة توحيداً لمساعيها فيما تتّفق عليه مبادئها من البرّ والخير والفضيلة والاهتمام بروح الإنسان، وفي دفاعها ومقاومتها للمذاهب والحركات المادّية التي انتشرت في هذا الزمن.

ولا يشتغل التقريب بمحاولة ردّ الغلاة من الفرق والطوائف الغالية إلى الإسلام الحقّ؛ لأنّ هذه المحاولة مع وجوبها مهمّة قائمة بذاتها تحتاج لمن يتوفّرون عليها ولا يشتغلون بسواها.

كذلك ليس من اختصاص التقريب ردّ المقصّرين من المسلمين عن تقصيرهم في أداء الالتزامات التي يوجبها الإسلام على المسلم في العبادات والمعاملات؛ فهذا مع لزومه عمل ضخم يتناول كلّ جوانب حياة المسلم الحديث وظروفه وظروف العالم الذي يحيا فيه.

ثمّ لا شأن للتقريب باختلاف المسلمين في الرأي ولا بالمذاهب ومدارس الفكر عندهم مادام الاختلاف الفكري لا ينقلب إلى عداء وانشقاق وعزلة أو لا يصحبه شيء من ذلك؛ لأنّ وجود المذاهب ومدارس الفكر المختلفة داخل الإسلام شيء طبيعي مرغوب فيه ليس منه بدّ مادام الإسلام ديناً حيّاً لأحياء لكي يزدادوا حياة، وليس ديناً ميتاً لأموات لكي يهيّئ لهم الانسحاب من الدنيا.

والإسلام نفسه شحنة هائلة من النشاط العقلي الروحي تأبى أن يتحوّل المسلمون إلى مجرّد نسخ متطابقة تتكرّر باستمرار وبلا اختلاف من عقل واحد أيّاً كان هذا العقل، حتّى لا يهلك المسلمون من الإجداب والرتابة والركود والشعور بالقدم ومقت أنفسهم ودنياهم، فالمسلم ليس نسخة من أحد، وإنّما هو أصل فذّ يعقد عليه الإسلام آماله ويضنّ به على الدنيا بأسرها، وليس يرضى الإسلام أن تلد المسلمات إمّعات مكرّرة معتمة، وإنّما يرضيه ويعلّيه إنجاب العقول الجديدة اليقظة النشطة التي تتسلّم دينها ودنياها بشغف وحماس، وتحلّل بلّوراتها الصافية المتنوّعة الطاقات والأبعاد ضياء الإسلام إلى ما لا حدّ له من الألوان المبهجة الملهمة.

ستظلّ المذاهب ومدارس الفكر في الإسلام توجد ما بقي للمسلمين حاجة إلى التعبير عن ثرائهم العقلي والروحي، وإلى استدامة الصلة بين أُصول دينهم وبين واقع الحياة في العصر والمحيط اللذين يعيشون فيهما.. ليس من مصلحة الإسلام والمسلمين كبت النشاط العقلي والروحي داخل الإسلام؛ لأنّ من أجلّ ما يقدّمه المسلم لدينه أن يفكّر فيه ويشعر به،

والإسلام يندثر ويدرس إذا لم يعد يفكّر فيه ويشعر به إلّا الحمقى والجهلاء، والمسلم لا شكّ يفقد روحه إذا خاف من التفكير وتهيّب عقله ورهب كلّ تجربة روحية عميقة، وترك الضحالة والمحاكاة والرتابة والآلية تطمر أعماقه وتأكل إرادته وتحيله إلى مسلم تافه سطحي معدوم الروح والشجاعة.

ليس الإسلام دين الآليّين المملين، ولا هو إيمان العجائز وأشباه العجائز من الغائبين الذاهلين، وإنّما هو دين الأيقاظ الأفذاذ، وإيمان الشجعان القادرين الصابرين.

وبديهي أنّ الخلاف الفقهي بين المدارس والمذاهب الإسلامية ليس ممّا تشتغل أن تنظر فيه العامّة، ولا نعني هنا بالعامّة العوام، وإنّما نعني كلّ من لا يهتمّ بمعرفة فقه المذاهب، وهم معظم القارئين الكاتبين، وفي زمننا هذا معظم المثقّفين المتعلّمين.

وهؤلاء يلتقطون عادةً نتفاً ونكتاً عن المذاهب من هنا وهناك، لا يتحرّون أصلها ولا صدقها، وهم ـ لو وجدوا الفرصة ووجدوا من أنفسهم الاهتمام الكافي ـ قادرون بلا شكّ على تحصيل صورة صحيحة عن المذاهب الإسلامية.

أمّا العوام والدهماء فلا يقوون على النظر لأنفسهم في هذه الأُمور، ولا يستطيعون إلّا أن يقلّدوا ما يمكنهم تقليده. والخلاف المذهبي لا يمكن أن يصل إلى العوام والجهلاء والدهماء إلّا عن طريق الدعوة والدعاة، ولا يصل إليهم عادة إلّا بعد أن يفقد كلّ ما فيه من فكر وفقه، ويتحوّل أكثره إلى دعاوى عريضة ساذجة واتّهامات صارخة منكرة تردّدها ألسنة ناعقة في رؤوس فارغة على أنّها حقائق لا تحتاج إلى بيان أو برهان! وللباطل دائماً حيوية تتناسب مع عدد معتنقيه ومصدّقيه، ومع أمد بقائه بين ظهرانيهم، ومبلغ اختلاطه بأحداث حياتهم، فإذا توالدوا انتقل من الآباء إلى الأبناء، وكساه هذا على مرّ الزمن عراقة وقداسة، فحفظته الصدور والسطور، وتبارت في تأييده وتمجيده العقول، وبذلت في نصرته المهج والأعمار!

والفكر الإسلامي، شأن كلّ فكر، مفتوح الأبواب، وقد مارسه الخيّرون في نزاهة وحسن قصد واحتياط وتحرّ للصدق ما وسعهم، كما مارسه المفسدون واستغلّه ذوو

المصالح والأهواء.

وزاد مسعى هؤلاء سهولة وخطورة اتّصال الفقه الإسلامي بالدين، ويسر الخلط بينه وبين الدين ذاته، وشدّة حسّاسية عامّة الناس في أُمور الدين، وقلّة رؤيتهم وصبرهم فيما يتّصل بها، لهذا وغيره لابست مدارس الفكر الإسلامي من قديم في كثير من بلاد المسلمين عصبيات تجمّعت حولها طوائف من الناس جعلت في ظلّ الانتماء إلى هذه المدارس والمذاهب الإسلامية تتناحر على أسباب الرزق والجاه، وعلى النفوذ السياسي والاجتماعي. فلم يعد الخلاف بين هذه العصبيات خلافاً بين فكر وفكر وفقه وفقه، وإنّما صراع على النفوذ والقوّة بين مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية لا يهمّها خير الإسلام والمسلمين، تختفي وراء عداوة جاهلة سافرة تذكّي نارها باستمرار بين الكتل المنتمية إلى هذا المذهب أو ذاك.

لقد تداول الناس في بلاد الإسلام تلك الدعاوى والاتّهامات الحمقاء عن طوائفهم جيلاً بعد جيل قروناً وأحقاباً، كرهوا على أساسها وأحبّوا، ومدحوا وذمّوا، وعظّموا وأهانوا، ودعوا ولعنوا، ووصلوا وقطعوا، ونصروا وخذلوا، وأعطوا وحرّموا، وهاجموا وهوجموا، وقاتلوا وقوتلوا، حتّى اختلطت هذه الركائز الشائهة بعواطفهم وتفكيرهم، وصارت جزءاً من عقليتهم وسلوكهم، يستغلّه ذوو الأغراض، ويستخدمه أعداء الإسلام في محاربة الإسلام!

وهذا الاعتياد القديم على تبادل العداوات بعد أن جرّ على المسلمين الويلات في الماضي يوشك في الظروف الحرجة التي يمرّ بها الإسلام الآن أن يعصف بالإسلام نفسه، وهو اعتياد ماكر مخادع يتلوّن ويتشكّل، وتختلف صوره باختلاف الأشخاص وظروف المكان والزمان، بين تبادل الاسترابة وتبادل الازدراء في الخفاء، والترحيب بالأراجيف، وتغليب ظنّ السوء، ورفض التواصل والتعاون والاشتراك، وتخذيل مساعي الأُخوّة بين المسلمين، وتعطيل المشروعات وإفسادها، وبين المجاهرة بالاتّهام والمقت واللعن والتكفير والعدوان على الأنفس والأموال والتحريض عليه، وبين الاستعانة على المسلمين

بأعداء الإسلام، وقطع الروابط الباقية بالجماعات الإسلامية الأُخرى، وتمجيد العزلة عن بقية المسلمين، ومحاولة الانفراد بمصير ووجهة غير مصيرهم ووجهتهم!

والتقريب يحارب هذا الاعتياد الماكر في جميع صوره وكافّة ألوانه، ولا غرض للتقريب ولا غاية إلّا محاربته واقتلاعه وإزالته.

ولا يبحث التقريب عمّن هو المسؤول عن تلك العداوة، ولا يهمّه هذا البحث؛ لأنّه لا فائدة منه للغرض الذي يسعى إليه، لا يبحث التقريب في المسؤوليات سالفة أو حاضرة، ولا يقف من أيّ فريق من الناس موقف القاضي أو الحكم، ولا يفاضل بين سلوك جماعة وسلوك جماعة أُخرى، ولا يحاول مراجعة الماضي ولا إعادة كتابة تاريخه؛ لأنّ التقريب كما يبيّن من اسمه أداة تقارب وجمع شمل ورأب صدع، ولأنّه لا يستطيع أن يشغل نفسه بمسائل معظمها شائك خلافي تضيع فيها جهوده وتصرفه عن غرضه الأساسي، بل يقف التقريب بكلّياته لمشكلة لا يتركها ولا يشتغل عنها، ومشكلته قبل كلّ شيء مشكلة اعتياد لا تحلّ إلّا باعتياد مضادّ. فالتقريب من هذه الزاوية هو محاولة لتعويد عامّة أهل المذاهب الإسلامية على اختلافها كفّ أذى بعضهم عن بعض في السرّ والعلن، وتبادل حسن المعاملة في السرّ والعلن، والتواصل والاشتراك والتعاون في السرّ والعلن.

ونقطة البداية في إقناع عامّة أهل هذه المذاهب بأنّهم جميعاً ليس بينهم أيّ خلاف في الأساسيات: إلههم واحد، وكتابهم واحد، ونبيّهم واحد، وقبلتهم واحدة، لا يختلفون على أيّ ركن من أركان الإسلام، وإفهامهم أنّ هذا القدر المجمع عليه بينهم هو جوهر الإسلام ورأس مال المسلم أيّاً كان مذهبه، ولا ينقص هذا أو ذاك بانتماء المسلم لأحد المذاهب وتعلّقه به، أو نظرته في الأصلح للقيام بأمر المسلمين، وأنّه متى تحقّق جوهر الإسلام لإنسان فقد انعقدت بينه وبين سائر المسلمين في كلّ مكان أُخوّة في الله ورسوله، يحرم معها عليه أن يخذلهم أو يعاديهم أو يؤذيهم أو ينحاز إلى من يعاديهم أو يؤذيهم.. وليست نقطة البداية هذه من الهيّنات؛ لأنّ عامّة أهل المذاهب يعتقدون في الغالب أنّهم هم وحدهم الذين فيهم تحقّقت حقيقة الإسلام، وكثيراً ما يتصوّرون أنّ الآخرين من المنتمين لمذاهب

أُخرى لا يعبدون نفس الربّ ، أو لا يتبعون نفس النبي ، أو لا يقرأون نفس القرآن ، أو ليست صلاتهم صلاة ، ولا زكاتهم زكاة ، ولا حجّهم حجّاً ، وأنّهم إمّا كفرة أو زنادقة على الجملة ! وتلك حال نشأت من العزلة الطويلة التي فرضها تبادل العداوات من قديم ، فصارت كلّ طائفة تجهل حقيقة إسلام أُختها ، وتصدّق في شأنها أراجيف وترهات ، وتتمثّلها في صور غريبة من الانحطاط الفكري والروحي .

قد يقال كما قيل : إنّ الحديث عن تلك العزلة وآثارها لم يعد له الآن موضع بعد أن زحفت المدنية الحديثة على بلاد الإسلام ، وقدّمت إليها المطبعة والصحافة والإذاعة والسيّارة والطيّارة والكهرباء والآلات والمصارف والبورصات والتعليم المدني والعلوم الوضعية ومشاركة المرأة في الأعمال والسياسة ، وبعد أن تغيّرت عادات المسلمين من حيث مأكلهم ومشربهم ومسكنهم وملبسهم وزينتهم وأشغالهم وفنونهم ولهوهم وحزنهم والاحتفال بموتاهم تغييراً أدّى إلى تقريبهم بعضهم من بعض ، وإلى إبعادهم عمّا اعتاده آباؤهم وآباء آبائهم ، بحيث إنّ العين لتجد مثلاً بين الإيراني والمصري الآخذين بالعادات الحديثة من وجوه المشابهة والتقارب ما لا تجده بين كلّ منهما وبين جدّه لو كان في المقدور رؤية جدّه بأكثر من عين الخيال ، وإنّ ما يرجوه التقريب ويسعى له ويستعجل حصوله حاصل فعلاً بلا ضجّة ودون أن تتلفّت إليه الأنظار بقوّة التقدّم الحضاري الذي يكتسح بلاد الإسلام ، وإنّ من وصلت إليهم المدنية الحديثة من المسلمين لم يعودوا يهضمون الخلافات الدينية ، أو ينظرون إلى ما يحدث بسببها من شغب وعنف إلّا على أنّه حمق مخجل وبقايا متخلّفة لعناصر غير متطوّرة ، وإنّ الفكرة العالمية عن الإنسان وحقوق الإنسان تشجب التفرقة الدينية أو المذهبية ، وهذه الفكرة تجد طريقها مع المدنية الحديثة والتعليم الحديث إلى عقول المسلمين في كثير من بلادهم ، ولم يعد الكثيرون منهم يقبلون أن يتّهموا بالتفرقة الدينية ، أو بعداوة أحد من أجل دينه أو مذهبه مخافة أن يتّهموا بالتخلّف والتأخّر والرجعية .

وهذا الاعتراض مردود أساساً : بأنّ المسلمين لا يستغنون عن الإسلام بالمدنية

الحديثة أو بالمطبعة والصحافة والإذاعة والسيّارة والطيّارة إلى آخر القائمة. كما أنّهم لم يتركوا الإسلام؛ لأنّهم غيّروا عاداتهم في المأكل والمشرب والملبس إلى آخر القائمة أيضاً. وليس في حساب الإسلام ألّا يغيّر المسلمون عاداتهم أو ألّا ينتفع المسلمون بالمخترعات والمكتشفات والعلوم التي توجد في زمانهم؛ إذ المسلم ابن زمانه، ولا يمكن إلّا أن يكون كذلك. ولكن ليس من شكّ في أنّ تيّار المدنية الحديثة قد غيّر من اهتمامات المسلمين الآن، فلم يعودوا في كثير من بلاد الإسلام يهتمّون بكلّ ما كان يهتمّ به آباؤهم في الجيل الماضي، أو بنفس الدرجة التي كان يهتمّ بها آباؤهم، وهذا طبيعي؛ لأنّ لكلّ جيل اهتماماته تبعاً لعقليته وظروفه، ومع ذلك لا يستطيع منصف أن يقول: إنّ المسلمين الآن لا يهتمّون بالإسلام بعامّة ولا يحبّونه، وهم في الواقع يهتمّون بدينهم ويحبّونه، وإنّما على طريقتهم وعقليتهم لا على طريقة آبائهم وعقليتهم، فهم من خلال المطبعة والصحافة والإذاعة والسينما والمسرح والسيّارة والطيّارة والكهرباء والآلات، ومن خلال العادات الجديدة والعلوم الوضعية العصرية وأنواع النشاط الحديثة، يمارسون إسلامهم ويهتمّون به ويحبّونه، وهم لا يعتقدون أنّ المدنية يمكن أن تغني عن الإسلام أو تلغيه، ولا يصدّقون أنّ هذه المدنية يمكن أن تحلّ مشاكل العالم الإسلامي، ولا يرتقبون منها أن تساعد عامدة على حلّ مشاكله؛ لأنّهم يعلمون أنّ أصلها غير إسلامي، وأنّها في جوهرها نهضة تطبيقية تكنولوجية قائمة إلى حدّ المغالاة على تدريب العقول والجوارح على المهارات والكفايات الموصلة إلى السيطرة على العالم المادّي تكاد تغفل وتهمل ما عدا ذلك من الجوانب الروحية الشعورية في الإنسان، وأنّ هذه المدنية في اندفاعها إلى إيجاد المهارات والكفايات المفيدة في السيطرة على المادّة أوجدت وتوجد باستمرار مجاعة أو مجاعات روحية ونفسية تكتسح هذا الكوكب يعاني منها ملايين البشر فقدان التوازن الداخلي والجوع إلى الاستقرار النفسي والشعور بالضياع وانعدام المعنى، وعدّة المسلمين في هذه المجاعة أو المجاعات إسلامهم وإدراكهم لأُخوّتهم في الإسلام.

ثمّ إنّ امتداد المدنية الحديثة إلى بلاد الإسلام لا يستتبع عادةً أيّ تنقية في الأفكار

والاعتقادات الدينية لدى المتأثّرين بالمدنية ، بل تقلّ لديهم فرص تنقية هذه الأفكار والعقائد بتلقّي العلوم الحديثة الوضعية وممارسة أساليب الحياة العصرية في العمل أو في المعيشة ، ولا يجعل الإنسان أقدر على تصحيح أفكاره الدينية ، بل يجعله أميل إلى التقليد واتّباع من يظنّ فيهم التخصّص ؛ إذ المغالاة في الإيمان بالتخصّص من سمات المدنية الحديثة ، ومثل هذا الإنسان قد تلقّى أفكاره المتعلّقة بطائفة وموقفها من غيرها من الطوائف الإسلامية بلا بحث نقلاً عمّن يظنّ أنّهم أكثر علماً بها منه ، وتلقّى معها شحنة الكراهية والعداوة المصاحبة لهذه الأفكار ، وكلّ ما يميّزه عن سواه أنّه يتحاشى ما أمكنه الجهر بهذه العداوة ، بينما يمارسها في الخفاء كلّ يوم على صور شتّى ، ومثله في حاجة إلى جرعة من التقريب قد لا تقلّ عن الجرعة التي يحتاج إليها من لم يتأثّر بالمدنية .

على أنّه ممّا يستوقف النظر في المدنية الحديثة قدرتها الغريبة على إضعاف نفوذ الآباء والأُمّهات في جميع البلاد ، وهذا قد لا يكون شرّاً محضاً لو أتاح فرصة للأجيال الحديثة من أبناء المسلمين أن تتخلّص من تعصّب آبائها الطائفي وعداواتهم غير المعقولة .

وإذاً ثمّة عزلة روحية ما تزال موجودة بين بعض طوائف المسلمين على الأقلّ مشحونة بالكراهية والعداوة برغم انتشار المدنية الحديثة وطرق النقل والتواصل والإعلام ، وبرغم ممارسة أساليب الحياة العصرية في العمل والمعيشة ، وليس لنا أن نعوّل في إصلاح ما بين المسلمين على تطوّر المدنية الحديثة بين طوائفهم ؛ لأنّ تطوّرها لا يسير في اتّجاه الإسلام ، وإنّما يسير في اتّجاه المذاهب والحركات المادّية ، ولو ترك المسلمون للمدنية الحديثة مهمّة إزالة التعصّب والعداوة بين طوائفهم فإنّها ستزيلهما مع إزالة الإسلام نفسه لتحلّ محلّهما تعصّباً أشدّ ضراوة هو تعصّب المذاهب والحركات المادّية .

وقد قيل في نعي التقريب على تلك العزلة الروحية وما يصاحبها من اجترار العداوات والأحقاد : إنّ التقريب يطلب العسير حين يطلب أن يتناسى أهل هذا المذهب أو ذاك أجزاء من ماضيهم الطائفي وتاريخهم المذهبي عزيزة على نفوسهم فيها مواقف وحوادث وتضحيات وبطولات ونماذج يعيش عليها ولاؤهم لمذهبهم وتعلّقهم به ، والتقريب لا

يكلّف أحداً إلّا اليسير الميسور، ولا يطلب إلّا ما يتطلّبه السلام والعقل من كلّ جماعة تريد أن تحسن العيش في هذا العالم، وإذا كانت الحروب والفتن والاضطهادات والمذابح والعداوات أحياناً يضيء في ظلمتها وسوادها وحمقها وقسوتها وفسادها وشرّها تضحيات ومواقف وبطولات ونماذج من الإيثار والثبات على العهد، فذاك أمر عرضي لا يهوّن من تلك الكوارث، ولا يجعلها شيئاً يرغب في بقائه وبقاء أسبابه، فالذي يبيع السلام بالحرب، والوفاق بالفتنة، والأُخوّة بالعداوة، والعمار بالخراب من أجل فرص للبطولة، ونماذج للثبات والإيثار، أحمق قد بلغ غاية الحمق! وتعويل المذهب في استبقاء ولاء أنصاره وتعلّقهم به على عداوتهم للمذاهب الأُخرى أمر لا يشرّفه ولا يشرّفهم، وهو بعد أمارة ضعف وقصر نظر وقرب إدبار، والنسيان الذي يتطلّبه التقريب من أهل المذاهب أمر لا بدّ منه لأيّ سلام حقيقي، فما يمكن أن يقوم سلام أو أمن يبقى إذا ظلّ الجانبان صباح مساء يردّدان أناشيد الحرب، ويقلّب كلّ منهما كلّ يوم صحف الماضي كي لا ينسى ما فيها من المثيرات والأحقاد والعداوات! إنّما يريد التقريب من أهل المذاهب أن يعطوا أنفسهم عمداً أو قصداً فرصةً لنسيان الماضي بعض النسيان تتّجه خلالها عيونهم وقلوبهم صوب المستقبل المشرق الذي ينتظر المسلمين إذا تآخوا واتّحدوا».

(انظر ترجمته في: معالم التقريب: ٦١ ـ ٦٨).

محمّد عبد المنعم الخفاجي

محمّد عبد المنعم الخفّاجي: من كبار دعاة الإصلاح والتجديد الأزهريّين.

ولد في قرية «تلبانة» من قرى المنصورة عام ١٩١٥ م، وفي سنة ١٩٢٧ م رحل إلى مدينة الزقازيق لتلقّي الدراسة الابتدائية حتّى الشانوية التي تخرّج منها عام ١٩٣٦ م، فالتحق بكلّية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وتخرّج منها بعد أربعة أعوام، وكان في ذلك الوقت يكتب في الصحف والمجلّات، ويعمل في الصحافة، ويشترك في الحركة الوطنية.

وممّن تأثّر بهم في حياته العلمية والإصلاحية: الشيخ محمّد عبده، والشيخ محمّد عرفة، والشيخ إبراهيم حمروش.

نال في عام ١٩٤٦ م شهادة العالمية بدرجة أُستاذ في البلاغة والأدب والتي تعادل الدكتوراه الفخرية، وقام بالتدريس في معهد أسيوط الكبير وفي معهد الزقازيق وفي جامعة الأزهر. تزوّج عام ١٩٤٨ م، وله ولد هو ماجد الخفّاجي، وتوفّيت له ابنة اسمها وفاء.

انتخب عضواً في شتّىٰ الهيئات العلمية والأدبية في مصر والعالم، وأضحى رئيساً لرابطة الأدب الحديث في القاهرة.

له آثار كثيرة، منها: الإسلام دين الإنسانية الخالد، الإسلام وحقوق الإنسان، الذكر الحكيم، قصّة التصوّف في مصر، الأزهر في ألف عام، مذاهب الأدب، فصول في النقد، قصّة الأدب في مصر، قصّة الأدب المعاصر، الشعراء الجاهليّون، نداء الحياة، الإيضاح في البلاغة، أبو عثمان الجاحظ، الإسلام رسالة الإصلاح والحرّية، الذكر الحكيم، فصول في الأدب (بالاشتراك). كما حقّق عدّة كتب، منها: «البديع» لابن المعتز، «فحولة الشعراء» للأصمعي، «قواعد الشعر» لثعلب، «إعجاز القرآن» للباقلاني.

له في مجال التقريب ـ وهو يتحدّث عن كتاب «وسائل الشيعة» للحرّ العاملي ـ قوله: «عندما نمعن في قراءة الفقه الشيعي فسوف نجد أنّه هو وفقه المذاهب الأربعة يكوّنون ثروة ضخمة لا مثيل لها في أيّ تشريع من التشريعات، ويتيح لنا أن نستمدّ منه أُصول تشريعاتنا الحديثة، وأن نبني على أُسسه حياتنا الاجتماعية الحاضرة. إنّ هذا الفقه وتشريعاته المفصّلة لا يماثلها تشريع آخر حتّى عند أعظم الدول رقياً وحضارة. وما بالك بهذا التشريع الإسلامي الفقهي الذي يستمدّ خطره من الدين الإسلامي الحنيف ومن كتاب الله الحكيم الخالد الذي يعدّ الأصل في التشريع عند جميع المسلمين، وهو كما قال رسول الله الكريم: «حبل الله المتين»، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي من عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم. والشيعة تشترط أن تكون رواية الحديث من طريق أهل البيت ؑ؛ لأسباب كثيرة، منها: اعتقادهم أنّهم أعرف الناس بالسنّة، وأشدّهم فيها لأسرار الدين. والشيعة تأتسي بآل البيت، وتقتدي بهم، وتعتبرهم أئمّة هداة إلى الخير

والحقّ وإلى سواء السبيل، وذلك لما ثبت من فضلهم، وما أُثر من دقيق فطنتهم ورفيع فهمهم، على أنّ مبدأ الخلافة والإمامة هو الذي ميّز بين السنّة والشيعة، هاتين الطائفتين التي حاول الكائدون أن يفرّقوا بينهما على طول العصور خدمةً لأغراضهم الخبيثة، ولكنّ الله بالمرصاد لهم ولكلّ من يكيد للإسلام والمسلمين، وإن كان بالإمكان أن تحافظ كلّ طائفة على صبغتها مع رعاية الأُخوّة العامّة والأُخوّة الإسلامية، واحترام كلّ فريق للآخر. ونحن ندعو الله أن يجمع المسلمين كافّة على كلمة الحقّ والخير والسلام».

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٣: ٤١٧ـ ٤٣٦ و٤٧٧ ـ ٤٨٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب: ١٢٨ـ ١٢٩).

محمّد عبده

عالم شهير، ومفتي الديار المصرية، وأحد كبار رجال الإصلاح والوحدة والتجديد.

ولد الإمام الشيخ محمّد بن عبدُه بن حسن خير الله المصري في قرية «محلّة نصر» من توابع محافظة البحيرة سنة ١٢٦٦ هـ، ونشأ في تلك المحلّة، وتعلّم بالجامع الأحمدي بطنطا، والتحق بالأزهر عام ١٢٨٢ هـ، فأخذ من علمائه، وأكبّ على المطالعة والتحصيل بنفسه، واتّصل بالمصلح الكبير السيّد جمال الدين الأفغاني الذي ورد مصر سنة ١٢٨٨ هـ، فحضر عليه في الكلام والفلسفة والمنطق، وتأثّر بآرائه في السياسة والاجتماع.

انخرط في سلك المدرّسين بالمدارس الأميرية، فعزلته الحكومة مخافة انتشار أفكاره وآرائه بين التلاميذ. وتولّى تحرير جريدة «الوقائع المصرية»، وسعى إلى بثّ الوعي وإلهاب العواطف بقلمه ولسانه ضدّ طغيان الحكّام وفساد أجهزتهم، وناصر الحركة الوطنية على عهد أحمد عرابي، فسجن ثلاثة أشهر، ثمّ حكم عليه بالنفي عام ١٢٩٩ هـ، فاختار الإقامة في سوريا، ثمّ سافر إلى باريس، فأصدر مع أُستاذه وصديقه السيّد الأفغاني صحيفة «العروة الوثقى».

رجع إلى مصر سنة ١٣٠٦ هـ، فتولّى منصب القضاء، ثمّ عيّن مستشاراً في محكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩١ م، وعضواً في مجلس الأزهر الأعلى، ثمّ أُسندت إليه رئاسة

الإفتاء في الديار المصرية عام ١٣١٧ هـ. كما كان عضواً في مجلس شورىٰ القوانين سنة ١٣١٧ هـ. وعضواً مؤسّساً في «الجمعية الخيرية الإسلامية» سنة ١٣١٠ هـ. ورئيساً لها سنة ١٣١٨ هـ. ومؤسّساً لجمعية «إحياء الكتب العربية» سنة ١٣١٨ هـ.

كان يلقي المحاضرات في التفسير والمنطق والفلسفة، ولا يكفّ عن الدعوة إلى تحرير الأفكار من نير التقليد وإلى تحرير الشعب فكرياً ووطنياً من قيود الاستعمار والجهل والاستبداد والجمود، وذلك من خلال إحداث نهضة علمية ودينية في الأزهر. وقد لاقىٰ في سبيل نشر أفكاره هنتاً وكيداً من المتزمّتين والجامدين، الأمر الذي اضطرّه إلى الاستقالة من منصبه في الأزهر عام ١٣٢٣ هـ. ووافاه أجله في العام المتقدّم نفسه.

وقد ترك الإمام عبده مجموعة من المصنّفات، منها: تفسير القرآن الكريم، شرح نهج البلاغة، الإسلام والردّ على منتقديه، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، مقتبس السياسة، التربية، رسالة التوحيد، علم الاجتماع والعمران، إصلاح المحاكم الشرعية، شرح مقامات البديع الهمذاني.

وقد كانت آراء الشيخ الفقهية تتميّز بالحرّية في اختيار الأقوال، فلم تكن تتميّز بالتعصّب لطائفة دون أُخرى، فقد سعى إلى التقريب بين المذاهب نابذاً الحسّاسية، وكان يدعو إلى وحدة الأديان فضلاً عن وحدة المذاهب. ومن هنا أسّس في بيروت مركزاً تحت عنوان «جمعية التقريب بين الأديان والمذاهب». فاستقطب شخصيات كبيرة من علماء وأُدباء ومثقّفين من شتّى المذاهب والأديان.

وكان عبده رجل تثقيف واعتدال في العمل، ويرى أنّ السبيل لحرّية المسلمين يتمّ من خلال التربية الأخلاقية والدينية، وكان يؤمن بضرورة العودة إلى المنابع الأصلية للفكر الديني وتنسيق الأحكام مع متطلّبات العصر، والابتعاد عن التكتّل الطائفي، والتأكيد على إحياء الاجتهاد.

لقد اتّبع الشيخ عبده في حياته الفكرية أُسلوباً وسطاً ومحافظاً في طريق الوحدة، فهو الفقيه البنّاء الذي يُؤثر تربية العقول على تجييش الغضب، لكن في فكرة عمله المشترك مع

أُستاذه السيّد جمال الدين تأثّر بأُسلوبه. ومع ما يقال فإنّ الشيخ لن يتخلّى يوماً عن الأهداف السياسية العامّة لأُستاذه.

ونظراً لما يحمل من عمق فكري وتجربة عملية ورأي وقّاد نهج الأُسلوب التعليمي والتثقيفي لإقامة تغيير فكري وإصلاح ثقافي في أوساط المجتمع الإسلامي ببذل الجهد المتواصل في طريق إقامة الحكومة الإسلامية وتوحيد الصفّ بين أبناء الأُمّة الإسلامية.

برأي الشيخ عبده ـ وذلك كما جاء في «رسالة التوحيد» ـ أنّ المسلمين الأوائل بعد إعلامهم التآخي بين العقل والدين بأمر من القرآن الكريم وصلوا إلى مرتبة التوحيد. ونظراً لانشغال المسلمين (في زمن الخليفتين الأوّلين) في بناء الحكومة الإسلامية وتثبيت أركانها لم تتح لهم الفرصة لتقوية المبادئ العقلية الإيمانية. وفي حين ظهور أيّ اختلاف في المسائل العقائدية والفقهية الفرعية التي هي الأكثر كان الرجوع فيها إلى الخليفة ثمّ الحلّ.

لكن الحوادث التي وقعت في زمن الخليفة الثالث والتي نتيجتها الفتنة الكبرىٰ كما قد تسمّىٰ ممّا أدّى إلى تخطّي الحدود الشرعية وقتل الخليفة، عند ذلك وقع الاختلاف والانقسام بين المسلمين، كما يرى الشيخ، فازدهر سوق جعل الحديث واختراع الروايات والتأويلات، وقام البعض بتكفير البعض الآخر، وقد حصل هذا الأمر في زمن كان الإسلام قد دخل إلى الشعوب الأُخرى وأصبحت جزءاً من الجسد الإسلامي الكبير. لكن رغم نشاط كثير من الشخصيات العلمية المتمسّكة بالعقل والنقل نلاحظ أنّ بعض العناصر المتظاهرة بالصلاح والإصلاح جلبت أفكار منحرفة متداولة قبل الإسلام، وأقاموا الشبهات والشكوك في أوساط المجتمع الإسلامي، ممّا استوجب النزاع بين أصحاب العقل والنقل آنذاك. فالإفراط والتفريط في تقديم الحلول لكلا الطرفين أوجد تقابلاً بين العقل والشرع أو العقل والإيمان. وبعد مزج الفلسفة بعلم الكلام وإنتاج علم واحد كانت أرضية التقليد قد استحكمت شيئاً فشيئاً، وأخذ التقليد مكان العقل، وأدّى إلى التوقّف في مسيرة التطوّر العلمي لدى المسلمين. فإنّ الطرح الذي قدّمه الشيخ عبده بشكل بسيط وبعيداً عن الزوائد والتمظهر نال إعجاب المفكّرين والعامّة؛ لأنّ القصد منه التأكيد على أنّ التعقّل والتفقّه

فريضة على كلّ مسلم؛ فالحديث عن الوجود والقدرة والتوحيد أو الحديث عن النبوّة والوحي أو حرّية الإرادة الإنسانية والعمل الصالح والمحبّة و... كلّها تنبع من المقدّمات والمبادئ العقلية.

يقول الشيخ محمّد عبده: «إنّ في الإسلام من ضروب الهداية ما يعدّ من الأُصول الخاصّة بالإسلام كبناء العقائد في القرآن على البراهين العقلية، وبناء الأحكام الأدبية والعملية على قواعد المصالح والمنافع ودفع المضار».

لقد أدرك عبده ما تدركه الأُمّة كلّما كرثتها كارثة ألّا نجاة لها إلّا الرجوع إلى شريعتها والحفاظ على قيمها الذاتية ومقاومة الفساد.

بذل الشيخ محمّد عبده جهداً كبيراً في طريق تعليم وتهذيب المجتمع الإسلامي، وكشف الموهومات والبدع الواردة في الدين التي هي من أهمّ عوامل اختلاف الأُمّة، والسعي في رفعها تمهيداً لعودة وحدة المسلمين وقدرتهم على مواجهة تحدّيات العصر الجديد؛ فكان لا يألو جهده في طريق إصلاح المراكز العلمية كالأزهر الشريف، والقضاء وتعديل القوانين، ووفّقه الله ليعمل تحت مظلّة القضاء أعظم الأعمال في تاريخه. فكانت من أهمّ أعماله: تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية، وإصلاح الأزهر، وإصلاح القضاء الشرعي.

وبخصوص تأسيس الجمعية الخيرية يقول الشيخ: «... ويبعثنا على الثقة بحسن مستقبلنا ما نراه من إقدام أبناء قطرنا على الأعمال الخيرية، وجدّهم ونشاطهم في تأليف الكلمة وضمّ الشمل واتّحاد المقصد لنجاح البلاد وتقدّمها، وأخذهم بالوسائل الحقيقية التي تؤدّي إلى ذلك، وإلّا لسبقنا إلى ذلك الممالك المتمدّنة وبلغوا بها آمالهم من الثروة والقوّة وكمال السطوة، وهي إنشاء الجمعيات الخيرية». وقد انبثق من هذه الجمعية مدارس كان الغرض الأساس منها: العناية بالتربية الدينية ومقاومة مدارس التبشير التي نشرها المبشّرون، والعناية باللغة العربية وتصحيح عيوب التعليم الذي فرضه الإنجليز في المدارس الحكومية.

أمّا بالنسبة إلى عجلة الإصلاح في الأزهر فقد كان الشيخ منشئاً للنظم مدركاً للأولويات، فاستصدر قانوناً بالإصلاح سنة ١٨٩٦ م جعل للأزهر أطبّاء وصيدلية، وألزم مصلحة الصحّة برعاية الظروف الصحّية فيه وفي مساكن التلاميذ، فزادت مراتب الشيوخ ومرتّباتهم وثبتت، بعد إذ كانت تزيد وتنقص، أو لا تجيء أبداً، حسب ما يتحصّل من ريع الأوقاف، ووضع «نظام» لاستحقاق الدرجات وكسوة التشريفات. وأصبح التلاميذ يحضرون الدروس بعد إذ كانوا لا يحضرون، ويدخلون الامتحان بعد إذ لم يكونوا يدخلون، أو يدخلون حين يشاؤون! بل كان منهم من يقيّد اسمه ليصيب نصيباً في كشوف الجراية ولا يواصل التعليم.

وانتقل الإصلاح إلى العلوم ودروس الحساب والجبر والمقابلة والتاريخ والجغرافيا، فعرفت الكتب النافعة طريقها إلى عقول الناشئة، وارتفع مستوى الدروس، وأصبح مجلس الإدارة ينعقد بانتظام في الرواق العبّاسي بالأزهر. وأُلحق المعهد الأحمدي ومعهدا دمياط والإسكندرية بالأزهر، وجاء الشيخ بكتب جديدة وعديدة لتدرّس في الأزهر، «رسالة التوحيد» كانت واحدة منها.

وأمّا بالنسبة لإصلاح القضاء الشرعي فبعد تعيينه مفتياً للديار المصرية في ٣ يونيو سنة ١٨٩٩ م ألهمته السماء أن يضيف إلى مسؤولية الإفتاء مسؤولية إصلاح القضاء الشرعي وقوانينه، وهو أكبر أهل عصره إدراكاً بمكانة الشريعة التي صنعت أُمّة الإسلام، بعد العمل الطويل الجليل في تطبيق الشرائع الأجنبية، وفي جواره جماعة من رجال القانون العالميّين مجمعون على إصلاح الأُمّة. والشريعة تقيم الأُمّة على أساس الأُسرة، لا الفرد. وبهذا يمتاز المجتمع الإسلامي بالتماسك من مجتمعات أوروبّا التي عراها التفكّك، وتنجرّ أنفس المسلمين في إصلاح حالهم صوب قوانين الأُسرة، وهي الغذاء اليومي للعمل القضائي في المحاكم الشرعية.

قدّم الشيخ تقريراً يشتمل على ثلاث وثمانين صفحة كبيرة على ثلاثين باباً حول أوضاع القضاء الشرعي، وبادرت الحكومة فطلبت إليه إعداد قانون بالإصلاح من واقع

التقرير، فصنع وقدّم قانوناً من أحد عشر مادّة أعلن تأييدها شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري بخطاب مؤرّخ ٦ ربيع الأوّل سنة ١٣١٩ (١٩٠١م)، وأدخلت الحكومة فحوى هذه المواد جميعها في إصلاحاتها المتوالية للمحاكم الشرعية.

وللشيخ أثر عظيم في شكل النظام القضائي، إذ كان الإنجليز يسوقونه شيئاً فشيئاً ليصير إنجليزي النظام، فقرّر إلغاء النيابة العامّة وإحالة عمل النائب ووكلائه على القضاء.

وبخصوص التلفيق في أمر القضاء والاستعانة بالمذاهب الإسلامية يقول الشيخ: «وإنّي أُحبّ أن أُصرّح بأمر ربّما يغضب أهل الأثرة من أهل العلم الحنفية، وهو أنّنا مسلمون، وليس الزمن زمن التعصّب لمذهب دون مذهب.. ومن درس فقه الشافعية أو المالكية لا يعسر عليه فقه أبي حنيفة؛ فإنّ الأُصول متقاربة، والاختلاف في الفروع مذكور في كتب الفريقين، وحصر التعيين في الحنفية يضيّق دائرة الانتخاب ويلجئ إلى تعيين الضعفاء في العلم والعزيمة، فلِمَ لا يطلق الانتخاب من هذا القيد؟!».

فهذه الرؤية ولّدت نظاماً حقوقياً جديداً في العالم الإسلامي كان لها الدور الكبير في تأسيس «جمعية دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» على أيدي جماعة من العلماء الذين كان منهم كبار تلامذة الشيخ محمّد عبده.

بدأ الشيخ محمّد عبده في كنف السيّد جمال الدين أوّل تأليف له عام ١٢٩٠ هـ سمّاه «رسالة الواردات»، وهي عبارة عن جزئيات أومأ إليها السيّد بكتابتها سنة ١٢٨٨ هـ كما قال، تبدأ بعد البسملة والحمد بالثناء على جمال الدين «كالغيث أُرسل لإحياء نعمة التفكير في العلوم الحقيقية»، وتنتهي بقوله: «هلّا تفطّنت فيما أُدرجت لك من هذه الأقوال إلى أنّه وقع الصلح بين الطائفتين العظيمتين في الأفعال هل هي لله خاصّة أو بقدرة العبد، فإنّه لا تخالف بينهما في الحقيقة، فالله فاعل من حيث العبد فاعل والعبد فاعل من حيث الربّ فاعل، الوجود في جميع مراتبه مختار».

(انظر ترجمته في: المعاصرون: ٣٤٣ ـ ٣٦٦، زعماء الإصلاح: ٢١٠ ـ ٢٥٢، الأعلام للزركلي ٦: ٢٥٢ ـ ٢٥٣، معجم المؤلّفين ١٠: ٢٧٢ ـ ٢٧٥، الأزهر في ألف عام ٢: ١٣ ـ ٢٦ و٣: ٣٠٥، موسوعة السياسة ٦: ٩١ ـ ٩٢، عمالقة وروّاد: ٩٢ ـ ٩٥، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٥١٤، موسوعة مشاهير

وعظماء: ٢٢٦ ـ ٢٢٧، كفاح علماء الإسلام: ١٩٥ ـ ١٩٨، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٥٤٠ ـ ٥٤١، المفسّرون للأيازي: ٦٦٤ ـ ٦٦٥ و ٦٦٦ ـ ٦٧٣، مشاهير الشعراء والأدباء: ٢١٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٦٩ ـ ٩٧١، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ١٨٨ ـ ١٩٢، خمسون شخصية أساسية في الإسلام: ٣٠٠ ـ ٣٠٦، رعاة الإصلاح: ٨٢ ـ ١١٣، تجديد الخطاب الديني: ٩٤ ـ ٩٦ و ١٨٤ ـ ٢٠٧، رجالات التقريب: ١٨٢ ـ ١٨٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٢٩ ـ ١٣٠).

محمّد عرفة

محمّد عرفة: عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وداعية تقريب.

لقد خدم الشيخ محمد عرفة الثقافة في الأزهر مدّة طويلة، ومنذ عام ١٩٣٠ م اختير أُستاذاً للشريعة الإسلامية بكلّية الشريعة، ثمّ وكيلاً للكلّية، ثمّ عضواً في هيئة كبار العلماء التي أُلّفت لنشر الدعوة في سبيل الله ولمقاومة التبشير، ثمّ اختير أُستاذاً للفلسفة بكلّية اللغة العربية، ثمّ أُستاذاً للبلاغة في تخصّص الأُستاذية بالكلّية نفسها، واختير عضواً في مجلس إدارتها، ثمّ اختير مديراً للوعظ عام ١٩٤٦ م، وأُنعم عليه بكسوة التشريف العلمية من الدرجة الأُولى، ثمّ اختير مديراً لمجلّة «الأزهر»، ثمّ أُستاذاً فخرياً في كلّيات الأزهر الشريف.

وله كثير من المؤلّفات والبحوث الذائعة، منها: نقض مطاعن في القرآن الكريم، تفسير آيات الأحكام، السرّ في انتشار الإسلام، النحو والنحاة، والذي منح به عضوية جماعة كبار العلماء، وآخر كتاب له «مشكلة اللغة العربية»، هذا بالإضافة إلى كثير من البحوث والمحاضرات والمقالات.

والأُستاذ عرفة بحقّ عالم متضلّع، وباحث دقيق، ومفكّر واسع التفكير كثير الإحاطة بآثار القدامى وشتّى الثقافات الحديثة. وهو من صفوة العلماء الذين يفخر بهم الأزهر ويعتزّ بمهادهم العلمي ومكانتهم العلمية الكبيرة، ويجمع إلى ذلك كلّه التواضع والنبل وحسن الخلق وجلال العلماء ووقار المرشدين.

وقد توفّي في مصر عام ١٩٧٣ م.

له في مجال التقريب بحوث كثيرة نشرت في مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية. يقول في مقالة له: «هل من شكّ في أنّ أعظم نعمة امتنّ الله بها على المسلمين هي الأُلفة بعد المعرفة، والمحبّة بعد العداوة، كما قال: ﴿وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٦٣ ـ ٦٤)؟! وهل من شكّ في أنّ الله يبغض من المسلمين الخلاف والفرقة والتباين والبغضة؟! وهل من خلاف في أنّ الله قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٩)، وأنّه قرن الفرقة بالرجم والخسف في الوعيد فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (سورة الأنعام: ٦٥)؟! كلّ ذلك لا شكّ فيه، وهو من البديهيات المعلومة من الدين ضرورة، ومع ذلك ليس في شكّ أيضاً في أنّ واقع المسلمين ليس كذلك، ففيهم الفرق المختلفة والشيع المتباينة، وقد جرّ ذلك إلى التناحر والتباغض وإلى أن يذوق بعضهم بأس بعض، ففيهم السنّي والشيعي والخارجي والمعتزلي إلى ما شاء الله من هذه الفرق، وفيهم ما لا يحيط به إلّا الله من الحقد والبغض والحسد وكراهية بعضهم لبعض، كأنّ ليس من مبادئ دينهم القطعية ما ذكرنا، بل كأنّ من مبادئ دينهم الفرقة والخلاف، وكان منها النزاع والفشل، وكأنّها أُصول فيه ليس لها مرونة وليس منها محيص، ومن المعلوم أنّ هذه الفروض الاجتماعية التي منها حبّ المسلمين بعضهم بعضاً وتعاونهم وتناصرهم، ليست فروضاً يدعو إليها الدين تعبّداً، بل هي فروض يدعو إليها الدين؛ لأنّ مصلحة المسلمين الدنيوية تدعو إليها، ولأنّ بقاءهم وقوّتهم وعزّتهم منوطة بها، فكلّ أُمّة من أُمم الإسلام وحدها ضعيفة، ولكنّها بتعاونها مع غيرها من الأُمم الإسلامية تقوى وتعزّ. وقد قيل: «ضعيفان يغلبان قوياً».

كذلك ليست المحرّمات الاجتماعية التي ينهى عنها الدين ـ ومن أشدّها تباغض

المسلمين وتفرّقهم وتنازعهم ـ إلّا مفاسد كبرى يريد الدين منهم أن يدرؤوها عن أنفسهم، فليس يُضعف المسلمين ويفتّ في عضدهم مثل التباغض والتناحر والتفرّق بينهم، لذلك لا أعلم فروضاً في الإسلام أقوى ولا آكد ولا أعمّ فائدة ولا أعظم جدوى من هذه الفروض التي هي المحبّة والتعاون والتناصر بين المسلمين، ولا أعلم كبائر أعظم ضرراً، ولا أشدّ نكراً، ولا أدعى لمحق المسلمين وزوالهم من هذه الكبائر التي ذكرنا من تباغضهم وتخاذلهم وفرقتهم وانقسامهم، ولا أعلم فروضاً أُهملت مع عظم خطرها كما أُهملت هذه الفروض. أهملها العلماء فتركوها في زوايا الكتب، ولم يسلّطوا عليها الأضواء كما سلّطوها على ما هو أقلّ منها شأناً، وإنّ الحيض والنفاس ومسائل المتحيّرة لقد أخذت من العناية أكثر ممّا أخذت هذه الفروض!».

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٣: ١٦١ ـ ١٦٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٣٠ ـ ١٣٢).

محمّد علي آذرشب

الدكتور محمّد علي آذرشب: أُستاذ جامعي مرموق، وداعية تقريب.

يعمل أُستاذاً لمادّة الأدب العربي في جامعة طهران، ورئيساً لمركز الدراسات الثقافية العربية ـ الإيرانية في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. وكان سابقاً يعمل مستشاراً ثقافياً لبلاده في السودان وسوريا.

من مؤلّفاته: نهج العاشقين، العلاقات الثقافية الإيرانية ـ العربية، محاضرات في حوار الحضارات، يد العشق، الملتقى، دراسات في التراث الإسلامي، بحوث ودراسات في التقريب بين المذاهب الإسلامية، مقالات في تاريخ القرآن، صدر المتألّهين الشيرازي، كيف تواصل مشروع حوار الحضارات، محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، السيّد محسن الأمين، صور أدبية في الحضارة الإسلامية، الأدب العربي في بلاط عضد الدولة البويهي، حكمة الفنّ الإسلامي، ابن المقفّع بين حضارتين.

وقد ترجم من الفارسية إلى العربية بعض كتب الشهيد المفكّر مرتضى المطهّري، والتي

منها: المفهوم التوحيدي للعالم، الإنسان والإيمان، إحياء الفكر في الإسلام، الإمداد الغيبي في حياة البشرية، مسائل النظام والثورة، الشهادة، المجتمع والتاريخ، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، الإمداد الغيبي في حياة الإنسان. وكذلك قام بترجمة الكتب التالية: مقدّمة فكرية لحركة المشروطة للدكتور علي أكبر ولايتي، حديث العزّة للسيّد علي الحسيني الخامنئي، روح التوحيد لسماحة السيّد نفسه، الحجّ للشيخ عبّاس علي عميد الزنجاني، الحجّ في السنّة للشيخ محمّد واعظ زادة الخراساني، الإسلام ومتطلّبات التغيير الاجتماعي للسيّد محمّد حسين الطباطبائي، الحياة الخالدة للسيّد الطباطبائي أيضاً، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (الأجزاء ١ و٢ و٢٠).

يقول الدكتور آذرشب: «إنّ العرب ـ شئنا أم أبينا ـ يشكّلون الامتداد الاستراتيجي لإيران، كما أنّ إيران تشكّل العمق الاستراتيجي للعرب، شئنا أم أبينا؛ لأنّنا نعيش في دائرة استراتيجية واحدة. فبالرغم من الاصطفاف القومي والطائفي الذي نشهده حالياً في العالم الإسلامي، إلّا أنّ هذا العالم من طنجة إلى جاكرتا يمثّل دائرة حضارية واحدة مترابطة، والغرب ينظر إلىٰ هذه المنطقة باعتبارها أيضاً دائرة حضارية واحدة. إنّ صاموئيل هانتغنتون، عندما يتحدّث عن صراع الحضارات، فإنّه ينظر إلى المنطقة الإسلامية بأجمعها ضمن دائرة حضارية واحدة، مع كلّ ما نشهده من تجزئة طائفية وقومية وإقليمية بين البلدان الإسلامية.. والعلاقات الإيرانية ـ العربية تندرج ضمن إطار الدائرة الحضارية الواحدة والتي تعدّ الأمل في نهوض الأُمّة واستعادة وجودها على وجه الأرض، ممّا يتعين إيلاء هذه المسألة أهمّية بالغة عند تقييمنا للعلاقات العربية ـ الإيرانية.. إضافة إلى ذلك فإنّ التاريخ يسجّل لنا قضايا عديدة في العلاقات العربية ـ الإيرانية.. فبعد الفتح العربي الإسلامي لإيران تدفّق العرب على إيران فسكنوا توطّنوا، وخاصّة في منطقة خراسان الكبرىٰ. وهناك مؤلّفات كثيرة كتبها المؤرّخون العرب حول القبائل العربية التي توطّنت في إيران عامّة وفي خراسان بشكل خاصّ، فقد تزوّجوا من نساء إيرانيات، والجيل الثالث من أبنائهم لم يكن يتحدّث العربية».

ويقول: «لو ألقينا نظرة على عالمنا الإسلامي عامّة وعلى كلّ واحد من أقطاره لرأينا في كلّ فصائله حالة الانشقاق والنزاع، فلا يخلو اتّجاه سياسي أو ديني أو اجتماعي أو أدبي أو فكري من ظاهرة الانشقاق والتنازع والتناحر إلى حدّ الإسقاط.

ظهر الإسلام في الجزيرة العربية فوحّدها، ولكن نشاهد في العالم الإسلامي كلّ يوم انشقاقاً وانشعاباً باسم الإسلام، وظهرت فكرة القومية في أُوروبّا فـوحّدتها. لكـنّنا نـرى عشرات بل مئات الأحزاب القومية المتناحرة ظهرت في العالم الإسلامي فزادت الطين بلّة والطنبور نقرة! وفكرة التطوير والتحديث طوّرت أُمماً في العالم ودفعتها على ارتقاء سـلّم المدنية والحضارة، غير أنّ أفكار الحداثة في عالمنا الإسلامي لا تتعدّى أن تكـون مـعولاً لمزيد من التمزيق والتشتيت!

والأغرب من كلّ هذا أنّ العدوّ يسبّب عادة وحدة الصفّ، ولكنّه في عالمنا الإسلامي يؤدّي إلى مزيد من التفرقة والاختلاف، كما هو واضح اليوم في ساحة الموقف من العـدوّ الصهيوني.

والأحزاب تعلن كلّ يوم عن انشقاق جديد، وهكذا الحركات والقيادات والمـدارس الفكرية والتيّارات الأدبية، ولا يعني هذا ظهور اجتهادات جديدة داخل المدرسة الواحدة، بل يعني ظهور متصارعين جدد على الحلبة، كلّ يريد إسقاط الآخر وإنهاءه!

نحن إذاً أمام «ظاهرة مرضية» لا يقتصر وجودها على الساحة الدينية، بل تشمل كلّ توجّهاتنا الفكرية والعملية. ولا بدّ من التعمّق فيها بجدّ؛ كي تبذل الجهود نحو مـعالجتها، وتصان الطاقات المخلصة المتّجهة إلى الوحدة من الهدر والضياع».

كما يقول: «لا نبالغ إذا قلنا: إنّ اسباب الخلاف بين المسلمين يعود فـي مـعظمه إلى عامل نفسي؛ فالحالة النفسية في عالمنا الإسلامي هي على العموم بائسة.. الإنسان المسلم غالباً يشعر بالضعف والدونية أمام جبروت الغرب، كما أنّه يفتقد الأمل غالباً في مسـتقبل أفضل، ولا يشعر بعزّة في هويته وشخصيته وانتمائه الديني والوطني والقومي. وهذه الحالة لها إفرازاتها في الحياة العملية. وأهمّ هذه الإفرازات فيما يرتبط بالتقريب هو أن يبحث كلّ

فرد وكلّ جماعة عن سبيل لإثبات شخصيته بسبل موهومة. وهذا التمترس وراء الدفاع عن هذه الطائفة أو الهجوم على هذه الطائفة بالأساليب العنيفة المعروفة إنّما هو إفراز للحالة النفسية السائدة.

الحالة الطائفية إذاً وليدة حالة ركود ثقافي وحضاري لا يمكن إزالتها إلّا باستئناف حركتنا الحضارية. ولكن بقدر ما يتعلّق بالتقريب لا بدّ من معالجتها للتخفيف من حدّتها والتقليل من تبعاتها».

وأخيراً يقول: «تقويم حالة الطائفية والتقريب في القرن العشرين:

١ ـ مصالح الحكم والسلطان لها الدور الكبير في الحالة الطائفية على صعيد العالم الإسلامي. قبل هذا القرن كانت مصالح الدول الإسلامية المتعارضة تقتضي إشعال نيران الطائفية، كما حدث إبّان النزاع بين الدولتين العثمانية والصفوية. وفي هذا القرن اقتضت مصالح الهيمنة الدولية اللعب بورقة الطائفية، وهذا ما لاحظناه بوضوح أكثر في العقدين الأخيرين من القرن الماضي.

من هنا فإنّ الحالة الطائفية مرشّحة في عالمنا الإسلامي للانفجار دوماً طالما القرار السياسي بيد من يهمّهم الاستفادة من هذه الورقة، ولا يمكن أن نضمن ابتعاد أُمّتنا عن الصراع الطائفي إلّا إذا كان القرار السياسي منحصراً بيد قيادات وطنية مرتفعة إلى مستوى الأهداف الإسلامية الكبرىٰ.

٢ ـ لعلماء الأُمّة دور كبير في مواجهة الحالة الطائفية وتحويلها إلى حالة تقريب وتفاهم، شرط أن يتحرّر العلماء من أيّة مؤثّرات خارجية، وشرط أن ينفتحوا على الأهداف الكبرىٰ ويتفهّموا ضخامة التحدّيات. والقرن الماضي أثبت هذه الحقيقة على صعيد الإثارات الطائفية وعلى صعيد التقريب.

٣ ـ الحالة الطائفية حالة عشائرية قبل أن تكون مسألة عقائدية أو فقهية. يتبيّن ذلك من ظواهر كثيرة، منها: أنّ الصراع الطائفي يدور غالباً بين أُناس لا يعرفون من المذهب سوى الانتماء إلى العشيرة السنّية أو العشيرة الشيعية! وهذا ما شاهدناه في بعض البلدان

العربية والآسيوية في القرن الماضي، والحالة العشائرية ناتجة عن تخلّف حضاري، من هنا فإنّ أُمّتنا بحاجة إلى تنشيط مسيرتها الحضارية؛ للتغلّب على هذه الحالة الطائفية العشائرية.

٤ ـ إنّ تفعيل المسيرة الحضارية يتوقّف على إحساسنا بالعزّة. فمتى كانت الأجواء السياسية والاجتماعية والاقتصادية تبعث على الشعور بالعزّة في النفوس تحرّكت الأُمّة على طريق الخلق والإبداع والتطوير، ومتى خيّم عليها الذلّ توقّفت مسيرة إبداعها واتّجهت إلى الانقسامات والصراعات.. ولو أخذنا الساحة المصرية مثالاً لرأينا شيئاً من الإحساس بالعزّة يسود الساحة بعد طرد نابليون في القرن التاسع عشر، وفي أيّام عبدالناصر في القرن العشرين، وصاحب الحالتين حركة لولا أن أصابها ما أصابها لتغيّرت حالة العالم العربي والإسلامي جميعاً. وإنّما ذكرت ضرورة تفعيل المسيرة الحضارية وسيادة حالة العزّة لارتباطها بالحالة الطائفية كما ذكرت.

٥ ـ طرح المشروع الإسلامي الكبير للحياة يساهم بشكل غير مباشر على إزالة الحالة الطائفية في العالم الإسلامي. وبودّي هنا أن أذكر أنّ مركز الحضارة للدراسات السياسية في القاهرة ـ على سبيل المثال ـ له مثل هذه المساهمة؛ لأنّه يطرح المشروع الإسلامي الذي يجمع على صعيده الكبير المسلمين بكلّ مذاهبهم، ويشدّ أنظارهم جميعاً إلى هدف كبير ينتشلهم من الوقوع في مستنقع الصغائر. ومن قبل شاهدنا عالماً شيعياً هو السيّد محمّد باقر الصدر يصدر كتاب «فلسفتنا» وكتاب «اقتصادنا» ولا يتناول فيهما أيّة قضية خلافية بين السنّة والشيعة، ولكن الكتابين كان لهما الأثر الكبير في تقليص الحالة الطائفية وتصعيد الحالة الإسلامية الرسالية المتعالية على الخلافات المذهبية. ولا يخفى ما كان للثورة الإسلامية في إيران قبل محاصرتها إعلامياً من تأثير على وحدة الصفّ الإسلامي.. من هنا فإنّ تقديم المشروع الإسلامي الكامل للكون والحياة بلغة العصر وبمستوى احتياجات العصر له الدور الكبير في التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٦ ـ إنّ مشروع «إسلام بلا مذاهب» إضافة إلى استحالته لا يخدم التراث الإسلامي،

فالمذاهب إذا أخذناها بالمنظار العلمي يشكّل كلّ منها جهداً اجتهادياً عمل على تنظيره وإثرائه المتكلّمون والفقهاء والمفسّرون والفلاسفة، ولا فائدة من مصادرة كلّ هذه الجهود العلمية الجبّارة. من هنا لا بدّ أن يفكّر دعاة الوحدة والتقريب في التفاهم والتعارف بين أصحاب المذاهب، ويركّزوا على المشتركات، ويجعلوا العلم ديدنهم والحقيقة هدفهم والحوار سبيلهم. وبذلك تتحوّل المذاهب من حالة طائفية عشائرية إلى مدارس علمية كلّ منها يثري التراث ويشكّل إضافة علمية للمسيرة. لذلك لا بدّ من الاهتمام بمراكز الأبحاث والدراسات المقارنة.

٧ ـ ظهرت في أواخر القرن الماضي على الساحة السياسية العالمية والإسلامية ظواهر تبشّر بخير لمستقبل وحدة الأُمّة الإسلامية. فمن جهة قدّمت أوروبّا ذات التاريخ الغارق بالحروب والدماء والصراع بين دولها نموذجاً جيّداً وناجحاً في «الاتّحاد» يستطيع أن يجيب على كلّ أسئلة التشكيك في إمكان وحدة العالم الإسلامي. ودخل العالم في عصر التكتّلات الدولية التي تفرض على العالم الإسلامي نوعاً من التلاحم والتعاضد.. من هنا ازداد الحديث عن ضرورة تفعيل منظّمة المؤتمر الإسلامي والسوق الإسلامية المشتركة والتعاون الثقافي والإعلامي الإسلامي.

كما أنّ التحدّيات المشهودة في فلسطين والعراق وأفغانستان وبقاع أُخرى من عالمنا الإسلامي وظاهرة الانفراد بالهيمنة العالمية فرضت الحدّ الأقلّ من التفاهم والتعاون، ولا بدّ أن يتواصل ويستمرّ، وإلّا تحوّل إلى مزيد من التمزّق والتشتت.

ولا يخفى ما لسيادة أجواء التفاهم على الساحة السياسية من أثر على الحالة الطائفية في العالم الإسلامي. ولا أدلّ على ذلك ممّا شاهدناه عقب بعض محاولات التنقية في الأجواء السياسية الإسلامية من تحوّل في الساحة الثقافية والعلمية والشعبية.

٨ ـ إنّ ظاهرة الحوار التي سادت في أواخر القرن الماضي كان لها تأثير كبير في تقليص حالة التشرذم. وقد شهدنا نشاطاً ملحوظاً في حقل الحوار القومي ـ الإسلامي، والإسلامي ـ الإسلامي، والعربي ـ الإيراني، وحوار الحضارات، وكلّها تنصبّ في خدمة تذويب الحالة

الطائفية العشائرية في عالمنا الإسلامي.

سيكون التحدّي الطائفي في القرن الواحد والعشرين دون شكّ كبيراً؛ بسبب استفحال قوّة الهيمنة العالمية واهتمامها بالورقة الطائفية حسب توصيات «هنتجتون»، لكن عوامل مواجهة التحدّي من الكثرة والقوّة في عالمنا الإسلامي بحيث إنّها قادرة ـ لو أحسنّا استعمالها ـ أن تتغلّب على كلّ هذه التحدّيات وتسجّل مستقبلاً أفضل للعالم الإسلامي».

محمّد علي الأكوع

محمّد علي حسين الأكوع: مؤرّخ اليمن، قاضٍ، فقيه، أديب، مصلح.

ولد سنة ١٩٠٣م في ذمار، وقرأ العلوم، وخلف والده في التدريس برباط الغيثي وله عشرون سنة فقط، وكان قد تأثّر كزملائه في الرباط المذكور بكتب وآراء السيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمّد عبده والشيخ محمّد رشيد رضا. وقد أزعجه واقع اليمن الأليم وفساد حكم بعض أئمّته، فتفرّغ للعمل السياسي.

شارك في تأسيس «جمعية الإصلاح» التي اتّخذت من مدينة إبّ مقرّاً لها، وضمّت خيرة المثقّفين، فنشطت الجمعية وأصدرت كتيباً تحت عنوان «برنامج الأحرار»، ممّا أثار انزعاج الإمام يحيىٰ، فاعتقل جماعة الأحرار، ومنهم الأكوع نفسه، ولمّا أفرج عنه استأنف نشاطه الوطني بحذر حتّىٰ مقتل الإمام المذكور وقيام الحكومة الدستورية ودخول القبائل التي اعتقلت الأحرار من جديد والأكوع منهم، غير أنّه أُفرج عنه، فولّاه الإمام أحمد القضاء في ناحية ذي السُفال، واستمرّ فيه حتّىٰ قيام الجمهورية عام ١٩٦٢م، فعيّن نائباً لوزير العدل، فوزيراً للعدل، فوزيراً للأوقاف، فوزيراً للإعلام، ثمّ كان رئيساً للجنة التأليف والنشر، حتّى وفاته عام ١٩٩٨م.

من مؤلّفاته: من تاريخ اليمن، عالم وأمير، الوثائق السياسية اليمانية، اليمن الخضراء مهد الحضارة. كما حقّق بعض الكتب، كالإكليل للهمداني، وصفة جزيرة العرب للهمداني أيضاً، وقرّة العيون في أخبار اليمن الميمون لابن الديبع، والمفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعمارة اليمني، ونظام الغريب في اللغة للربعي، والسلوك في طبقات العلماء والملوك

للجندي، ومرآة المعتبر في فضل جبر صبر للمخلافي، والتقصار في جيّد علامة الأقاليم والأمصار للشجني، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار للصنعاني.

وقد جمع أخوه المؤرّخ إسماعيل الأكوع كتاباً عن حياته تحت عنوان «القاضي محمّد الأكوع».

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

محمّد علي التسخيري

الشيخ محمّد علي بن علي أكبر بن محمّد حسين التنكابني التسخيري: مفكّر إسلامي كبير، ورائد من روّاد التقريب، والأمين العامّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٤٢ م، وتعلّم فيها، وحصل على درجة البكالوريوس في العلوم الإسلامية من كلّية الفقه التابعة لمنتدى النشر في النجف، وواصل دراسته الحوزوية عند: الشيخ صدرا، والشيخ جواد التبريزي، والسيّد محمّد تقي الحكيم، والسيّد الشهيد محمّد باقر الصدر، والسيّد الخوئي.

هاجر إلىٰ قم وأخذ عن: الشيخ حسين الوحيد الخراساني، والسيّد محمّد رضا الكلبايكاني. ومن بعد ذلك استوطن طهران متفرّغاً للبحث والتأليف وبعض المهام الإدارية، وقد انتخب عام ٢٠٠٢ م عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

وهو عالم فاضل وكاتب بارع يتمتّع بالذكاء، وخفّة الروح، والتواضع، وطيب الخلق، وحسن الحديث، وصفاء النفس، والإخلاص في العمل الإسلامي.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران انصرف الشيخ إلى التبليغ الإسلامي والإعلام، فتقلّد المهام التالية:

١ ـ انتخب عام ١٩٩٨ م عضواً في مجلس الخبراء، ممثّلاً فيه أهالي محافظة كيلان (رشت).

٢ ـ عيّن مستشاراً لسماحة القائد المرشد آية الله الخامنئي في الشؤون الثقافية في

العالم الإسلامي.

٣ ـ معاون مكتب القيادة الإسلامية للعلاقات الدولية منذ عام ١٩٩٠ م.

٤ ـ المشاور الأعلى للشؤون الدولية لبعثة القائد للحجّ ومعاون العلاقات الدولية لها.

٥ ـ رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية (منذ تأسيسها عام ١٩٩٤ وحتّى عام ٢٠٠١ م).

٦ ـ مستشار وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي للعلاقات الدولية ووكيل وزيرها.

٧ ـ معاون العلاقات الدولية لمنظّمة الإعلام الإسلامي (خلال الأعوام ١٩٨١ ـ ١٩٩١م).

٨ ـ عضو في هيئة أُمناء الشورى الدولية وشورى الكتاب لمنظّمة الإعلام الاسلامي.

٩ ـ مسؤول اللجنة المشرفة على تعليم الطلّاب الأجانب داخل وخارج القطر.

١٠ ـ أمين عامّ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام لمدّة تسع سنوات، وعضو لجنة الشورى العليا لهذا المجمع.

١١ ـ عضو لجنة الشورى العليا لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، ثمّ الأمين العامّ له.

١٢ ـ عضو لجنة الشورى في مجمع فقه أهل البيت عليهم السلام في قم ونائب رئيسها.

١٣ ـ رئيس اللجنة الثقافية في مؤتمر القمّة الثامن للدول الإسلامية في طهران.

١٤ ـ رئيس لجنة العمل الإسلامي المشترك في منظّمة المؤتمر الإسلامي.

١٥ ـ عضو فخري لبعض المعاهد العلمية الجامعية في سوريا والسودان.

١٦ ـ عضو هيئة أُمناء منظّمة الحوزات والمدارس الدينية والأكاديمية خارج القطر.

١٧ ـ عضو هيئة الأُمناء في لجنة الدفاع عن حقوق الطفل (كافل).

١٨ ـ عضو (سابق) في لجنة الثقافة العليا لمؤسّسة أمير كبير الايرانية خلال الأعوام (١٩٨١م ـ ١٩٨٦م).

١٩ ـ عضو الهيئة المشرفة على كلّية أُصول الدين للعلّامة العسكري في طهران.

٢٠ ـ رئيس الهيئة العليا لجامعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران.

٢١ ـ ممثّل الجمهورية الإسلامية في إيران في كثير من المؤتمرات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية خارج إيران.

٢٢ ـ عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة مندوباً فيه عن الحوزة العلمية الإسلامية الإيرانية (منذ تأسيسه عام ١٩٨٣م ولحدّ الآن)، بل هو الممثّل الرسمي الوحيد حالياً للمذهب الإمامي فيه.

٢٣ ـ أُستاذ الدراسات العليا لجامعة الإمام الصادق عليه السلام (في الفقه المقارن) سابقاً.

٢٤ ـ أُستاذ الدراسات العليا في جامعة إعداد المدرّسين (في الاقتصاد الإسلامي) سابقاً.

٢٥ ـ مشرف على مجلّة «التوحيد» العربية التي تصدر حالياً في (قم/إيران) ومجلّات أُخرى.

٢٦ ـ عضو اللجنة الفقهية لبنك التنمية الإسلامي ـ جدّة.

٢٧ ـ عضو لجنة خبراء منظّمة المؤتمر الإسلامي لدراسة تحدّيات القرن الحادي والعشرين.

٢٨ ـ عضو مجمع اللغة العربية ـ دمشق.

٢٩ ـ عضو هيئة أُمناء المجمع الثقافي منظّمة الإكو.

٣٠ ـ عضو لجنة الشخصيات البارزة المشكّلة لدراسة وضع منظّمة المؤتمر الإسلامي بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على تأسيسها.

٣١ ـ عضو في الهيئة المركزية لملتقى العلماء والمفكّرين ـ مكّة المكرّمة.

٣٢ ـ نائب رئيس الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين.

٣٣ ـ عضو في هيئة أُمناء مؤسّسة آل البيت ـ الأردن.

٣٤ ـ نائب رئيس المجلس الأعلى للتقريب في الآيسسكو.

٣٥ ـ عضو في اللجنة الفقهية لبنك التنمية الإسلامي ـ جدّة.

٣٦ ـ عضو في المجلس الشرعي لهيئة الإشراف على المؤسّسات المالية العالمية .

٣٧ ـ عضو الهيئة المركزية لرابطة علماء المسلمين في مكّة المكرّمة .

٣٨ ـ عضو مركز الحوار بين الحضارات والتنوّع الثقافي في المغرب (فاس) .

ومن أجل التعاون الوثيق بين شخص الشيخ بصفته أميناً عامّاً لمجمع التقريب وبعض المؤسّسات الإسلامية قدّمت له الأوسمة والنياشين التالية :

١ ـ وسام الاستقلال من الدرجة الأُولى من قبل الحكومة الأردنية الهاشمية .

٢ ـ وسام الشخصيات الممتازة من قبل الأمين العامّ لمنظّمة المؤتمر الإسلامي .

٣ ـ وسام الشرف من قبل إدارة المفتيات ـ موسكو .

٤ ـ وسام الصلح من قبل بعض المنظّمات الإسلامية .

وقد أعدّ الشيخ أكثر من (٦٥٠) برنامجاً إذاعياً وتلفزيونياً باللغتين العربية والفارسية ، ودرّس الدورة الأُولى من مجموعة مؤسّسة (في طريق الحقّ) العلمية . ونشرت له أو عنه حوالي (٢٠٠) مجلّة وصحيفة في مختلف أقطار العالم وبلغات متعدّدة . وأشرف أو ساهم في الإشراف على أكثر من ٢٠ رسالة جامعية . وشارك في تأسيس الكثير من المؤسّسات الثقافية والاجتماعية .

وقد شارك الشيخ في أكثر من خمس مائة ندوة ومؤتمر على الصعيد العالمي ، وله أكثر من خمسين كتاباً وكرّاساً وثلاث مائة وخمسين دراسة ومقالة وبحثاً في مختلف فروع العلوم الإسلامية والفكر الإسلامي .

من مؤلّفاته : الأُسس المهمّة في النظام الإسلامي ، نظرات حول المرجعية ، دروس في الاقتصاد ، في الطريق إلى التوحيد الإلهي ، الحوار مع الذات والآخر ، تفسير القرآن الكريم ، حول الدستور الإسلامي في موادّه العامّة ، مع مؤتمرات مجمع الفقه الإسلامي ، الاقتصاد الإسلامي ، الصحوة الإسلامية والإعلام ، التوازن في الإسلام ، الدولة الإسلامية .. وظائفها السياسية والاقتصادية ، نظرة في نظام العقوبات الإسلامية ، من حياة أهل البيت عليهم السلام ، الروايات المشتركة في صلاة الجمعة والصوم والحجّ ، الظواهر العامّة في الإسلام ، حقوق

الإنسان بين الإعلانين العالمي والإسلامي، الإنسان والقدر، دروس في أُصول الدين، نحو حياة أفضل، النبي الأُمّي، التكامل الاجتماعي للإنسان، ديوان شعر (أوراق وأعماق).

كما ترجم ما يقرب من ثلاثة عشر كتاباً، وكتب ما يناهز ثلاثة عشر تقرير بحث لأساتذته في الفقه والأُصول.

وكلماته وحوارياته ومحاضراته التقريبية والوحدوية تحتاج إلىٰ عدّة مجلّدات. يقول: «إنّ ما أُطلق عليه اسم (حركة التقريب) في العقود الأخيرة يمتلك جذوراً تمتدّ إلى أقدم العصور الإسلامية؛ لأنّها تستمدّ أصالتها وحيويتها من أُصول الشريعة الغرّاء، وتتوضّح ضرورتها كلّما اتّسع نطاق مسؤولية هذه الأُمّة في صنع الحضارة الإنسانية أو الإسهام الفاعل فيها على الأقلّ. وقد نجحت في الفترة الأخيرة في التحوّل إلى استراتيجية فاعلة.

لقد وضع علماء وشخصيات كبيرة في الأربعينات من القرن الميلادي الماضي اللبنات الأولى لهذه الحركة المباركة، وجاهدوا حقّاً في تبيين معالمها، وكتبوا العديد من المقالات لترسيخها في النفوس، بعد أن أصّلوها وبيّنوا جذورها الشرعية وضرورتها المتنامية.

ونحن سعداء حقّاً إذ نجد هذه البذرة قد نمت وتحوّلت إلى شجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها، حيث اهتمّت بها المجامع العلمية كمجمع الفقه الإسلامي والإيسيسكو، وجعلتها من أهمّ أهدافها، وأدخلها القادة المسلمون في اجتماعهم الاستثنائي بمكّة المكرّمة في الخطّة العشرية للبلدان الإسلامية، واستقبلها العلماء بكلّ رحابة صدر، خصوصاً بعد الحوادث التي جرت وتجري في باكستان وأفغانستان والعراق ولبنان وغيرها».

ويقول: «لقد أثمرت جهود العلماء والمفكّرين والمصلحين اتّجاهاً عامّاً نحو التقريب بين المذاهب الإسلامية، وميلاً عامّاً نحو تغليب لغة الحوار المنطقية وترجيحها على أيّة لغة أُخرى انسجاماً مع توجّهات الإسلام الأصيلة وتناغماً مع الميل العالمي نحو هذا الأُسلوب فيما بين الحضارات والثقافات والأديان.

والواقع أنّ كلّ النصوص الإسلامية والمفاهيم والأحكام الشرعية تدفع نحو اعتماد هذا

الأُسلوب ممّا يفسح المجال نحو تحقّق مثل هذه النتيجة .

ونحن إذ نستبشر خيراً بهذا الأمر نعتقد بلزوم تعميقه في الأذهان والنفوس ؛ لأنّه اتّجاه علمي ونفسي خلقي في آن واحد ، يريد أن يتعالى فيه الإنسان المسلم على خلافه في الرأي مع الآخر ، ويتغاضى عمّا يرتّبه هذا الخلاف من مقتضيات التنوّع في السلوك وصولاً إلى الموقف الموحّد من التحدّيات الكبرىٰ التي تواجهها الأُمّة ، وكذلك من الأُمور الداخلية التي هي لوازم الشخصية الواحدة لها .

وتستلزم عملية التعميق هذه القيام بكلّ ما من شأنه تحويل الرغبة في التقارب وبالتالي في التفاهم إلى ملكة وخلق اجتماعي أصيل وعامّ ، بحيث يعود معه كلّ صوت تبعيدي حالة نشازاً وخروجاً على الجماعة وسعياً خارج الدائرة وتحرّكاً خارج السرب تنفر منه الطباع وتتقزّز منه النفوس .

ولن يتحقّق هذا الهدف إلّا إذا قام العلماء والمفكّرون بعملية الاستيعاب الكامل للفكرة أوّلاً ، ودراسة تاريخها وآثارها في مسيرة الأُمّة التاريخية والحضارية ثانياً ، وتوعية الجماهير بها وبآثارها ثالثاً ، ونقل الفكرة بالتالي إلى الممارسة العملية اليومية المستمرّة حتّى تتحقّق تلك الملكة ويسود ذلك الخلق المطلوب . وربّما تطلّب الأمر تنفيذ مشروعات اجتماعية مشتركة في المجالات البحثية أو الاجتماعية وغيرها .

ولعلّ أهمّ نقطتين يجب التركيز عليهما في البين هما :

أ ـ استقصاء الدوافع الدينية والاجتماعية وحتّى السياسية باعتبارها من مقتضيات التحرّك نحو التقريب في الفكر والتوحيد في العمل .

ب ـ معرفة العقبات والموانع التي تقف بوجه ذلك .

أمّا النقطة الأُولى فليست هي محطّ نظرنا فعلاً رغم أهمّيتها . ويمكن الاستعانة فيها بأساليب القرآن الكريم المتنوّعة في الدفع نحو الوحدة من خلال الدعوة المباشرة ، وتركيز روح التعامل العقلاني والحوار المنطقي مع الآخر ، والتذكير بتوحّد العدوّ رغم تناقضاته في جبهة المواجهة مع الأُمّة الإسلامية ، والنتائج الإيجابية للوحدة ، والسلبية للتمزّق ، وأمثال

ذلك، وله حديث مفصّل يذكر في محلّه».

(انظر ترجمته في: معجم رجال الفكر والأدب ١: ٣٠٨، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٦٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٧١، تلامذة الشهيد الصدر: ٣٣٠ ـ ٣٣٢، معجم الشعراء للجبوري ٥: ١٦٣ ـ ١٦٤، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤).

محمّد علي الزعبي

محمّد علي الزُعبي: أُستاذ، مدرّس، داعية وحدة، سوري المولد، لبناني الجنسية والموطن.

ولد سنة ١٩١٧ م في حوران من بلاد الشام، فأبصر النور في الحرب العالمية الأُولى، حيث كانت النفوس تزهق بالأُلوف صباحاً ومساءً. وفي حجر والديه تربّى على الفضيلة وحبّ الدين رغم شظف العيش وندرة الرغيف، وظهرت عليه بوادر النجابة والذكاء. وما أن أنهى دراسته في بلدته حتّى غادرها إلى دمشق ملتحقاً بحلقات الشيوخ، لتلقّي العلوم الدينية عن الشيخ توفيق الأُرموي وغيره، ثمّ غادرها إلى فلسطين، حيث التحق بمدرسة الجزّار في مدينة عكّا، ونال الشهادة العلمية منها بتفوّق أثار الدهشة والإعجاب والتقدير.

عاد إلى دمشق، وتولّى التدريس في الجامع الأُموي الكبير، وكانت عظاته العلمية والدينية يتخلّلها التوجيه الوطني وإيقاظ الشعور الإسلامي.

ولمّا وقعت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م اعتقله الفرنسيّون في سجن المزّة، ثمّ نُقِل إلى معتقل راشيا، حيث بقي فيه إلى أن انتهت الحرب، فأُفرج عنه.

توجّه بعدها إلى بيروت، فأُسندت إليه مهمّة التدريس في الجامع العمري الكبير، وخطبة الجمعة في مسجد الأمير عسّاف، وتدريس التاريخ في الكلّية الشرعية.

وفي سنة ١٩٥٨ م نال دبلوم الآداب من الجامعة اليسوعية، ثمّ قدّم أُطروحة الدكتوراه لجامعة ليون في فرنسا، فنالها.

وقد كانت له علاقات وثيقة مع بعض دعاة الوحدة، كالشيخ عبد الله الجزّار، والشيخ توفيق الأيّوبي، والسيّد محسن الأمين العاملي.

اتّجه إلى التأليف، فأنتج بضعة كتب، منها: إسرائيل بنت بريطانيا البكر، الماسونية منشئة ملك إسرائيل، لا سنّة ولا شيعة، كيف نؤمّم نفطنا، الشيخ والخوري، هل نحن مسيّرون أم مخيّرون، الدروز: ظاهرهم وباطنهم.

كما اشترك مع الشيخ هاشم الدفتردار بتأليف: «الإسلام بين السنّة والشيعة» و«المرأة في السياسة»، و«لا جديد تحت الشمس». وأيضاً اشترك مع كمال جنبلاط في تأليف كتاب «البوذية».

وقد أجاد الزعبي في كتابه «لا سنّة ولا شيعة»، من حيث بحثه في الخلافات المذهبية والسبيل إلى تحجيمها، وتطرّق إلى المواقف الوحدوية التي قام بها السلف الصالح بموضوعية وحيادية تستلفت النظر، وجمع بين التسميتين بأنّ جميع المسلمين سنّة باتّباعهم سنّة رسول الله ﷺ وهم شيعة لموالاتهم الإمام علي ؑ، وذكر أنّ مسألة الخلافة المفروض أن تبقى في حدود النظرية مع التعاون في الموقف العملي والتعامل معها باعتبارها فاصلة جزئية دون ترتيب الأثر العملي عليها في الواقع المعاش بعد الاتّفاق على عدم وجود فواصل كلّية بين السنّة والشيعة، وأكّد على حذف كلّ ما يثير الأحقاد والنزاع بين الفريقين باستبقاء أسباب الودّ في القلوب لمواجهة التحدّيات المحيطة بالأُمّة.

توفّي الزعبي سنة ١٩٨٧ م.

(انظر ترجمته في: نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٠٢).

محمّد علي علّوبة

محمّد علي علّوبة: رئيس جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، ومن رجال السياسة المصرية.

ولد في «أسيوط» سنة ١٨٧٥ م، وتخرّج بمدرسة الألسن بالقاهرة عام ١٨٩٩ م، واحترف المحاماة، وكان من أعضاء لجنة الحزب الوطني الإدارية، ثمّ من أعضاء الوفد المصري سنة ١٩١٨ م، فمن مؤسّسي حزب الأحرار الدستوريّين سنة ١٩٢٤ م.

ولّي وزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٢٥ م، ووزارة المعارف بعدها بسنة، ووزارة

الدولة للشؤون البرلمانية سنة ١٩٣٩ م، وانتخب قبلها نقيباً للمحامين، ثمّ كان سفيراً لمصر في الباكستان، وشارك في السياسة العربية والإسلامية، فكان ممّن قصد الحجاز للتوسّط بين ملكها وإمام اليمن في خلال معارك دارت بينهما سنة ١٩٣٤ م، وسافر إلىٰ فلسطين للدفاع عمّا كان يسمّى «قضية البراق»، ثمّ للمشاركة في المؤتمر الإسلامي بالقدس.

صنّف عدّة كتب، منها: مبادئ في السياسة المصرية، فلسطين وجاراتها.. أسباب ونتائج، فلسطين والضمير الإنساني.

كما صنّف عدّة رسائل، منها: محاضرة في الوقف، ورسالة في نقد المعاهدة البريطانية سنة ١٩٣٦ م، ورسالة الإسلام والديمقراطية.

توفّي بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م.

كان له نشاط تقريبي ملموس، وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية عدّة مقالات، منها: المسلمون أُمّة واحدة، وديمقراطية الإسلامية، والديمقراطية الصحيحة، ودعائم القوّة في الأُمم.

من أقواله: «قامت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية تلبية لنداء قوي أُلقي في روع المؤمنين ذوي الغيرة على الدين والحرص على هذه الأُمّة الإسلامية، ولو أنّ رجال العلم والرأي لم يلبّوا هذا النداء ولم يسارعوا إلىٰ تكوين هذه الجماعة لكانوا مقصّرين في حقّ أُمّتهم مسؤولين عن هذا التقصير أمام ربّهم في يوم عسير يؤخذ فيه بالنواصي والأقدام... تلك حال المسلمين اليوم، وإنّ داءهم لقديم منذ تدابروا وتقاطعوا وصاروا شيعاً، كلّ حزب بما لديهم فرحون، ولا صلاح لهم ولا شفاء من دائهم إلّا بأن يعودوا كما بدأهم الله أُمّة واحدة، لا فرق بين شعوبهم، ولا تناحر بين طوائفهم، ولا جهالة تصوّر الشيعي للسنّي أو السنّي للشيعي عدوّاً يظنّ به الظنون، ويخافه على دينه وعقيدته، ويتحفّظ فيما يقرأ له من كتاب، أو ينقل عنه من رأي!

إنّ أُصول الإسلام واحدة، فكلّ المسلمين يؤمنون بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين، وكلّهم يعتقدون أنّ القرآن حقّ، وأنّ رسالة محمّد حقّ، وأنّ عليهم إذا

تنازعوا في شيء أن يردّوه إلى الله ورسوله، وقبلتهم واحدة، وصلواتهم واحدة، ولا خلاف بينهم فيما بني عليه الإسلام من أُسس، فما بالهم يعيرون ما وراء هذه الأُصول اهتماماً، ويخوضون فيه خوضاً، ويعوّلون عليه تعويلاً، حتّى يلتحق بالأُصول و ما هو منها في شيء، ويتّخذ مقياساً للكفر والإيمان أو الإثمّ والبراءة، وهو عن ذلك بمنأى ومعزل ؟!

إنّ المسلمين في ضعف؛ لأنّهم في تفرّق، وهم في تفرّق؛ لأنّهم متقاطعون بجهل بعضهم ما عند بعض، ومن جهل شيئاً عاداه، ولو أنّهم تقاربوا لتفاهموا، وقد يزول بتفاهمهم كثير من أسباب خلافهم، أو يحتفظ كلّ منهم برأيه فيما وراء العقيدة الإسلامية، على أن يعذّر بعضهم بعضاً، ويحترم بعضهم بعضاً، كما كان سلفهم الصالح من أئمّة الدين والفقه يفعلون، وتلك هي مهمّة «جماعة التقريب» إن تريد إلّا تعريف المسلمين بعضهم إلى بعض، وجمعهم على أُسس الدين الحقّ التي نزل بها القرآن وجاء بها الرسول، ودعوتهم إلى اطّراح أسباب الخلاف فيما لا طائل تحته ولا فائدة تلتمس منه، وتمكينهم من درس ما يعنّ لهم في جوّ هادئ لا يشوبه غبار التكفير والتأثيم والتظنّن، فإذا فعلوا ـ وإنّهم إن شاء الله لفاعلون ـ فقد استقاموا على الطريقة، وهيّئوا أنفسهم لمستقبل كريم ومقام حسن في هذا المعترك العالمي، يعينهم على أن يكونوا دعاء برّ وإصلاح!

إنّ سياسة الدول والأُمم في العالم اليوم قائمة على التكتّل والتحالف والانضواء في مجموعات متعاونة يسند بعضها بعضاً ويدفع بعضها عن بعض، وإنّهم ليلتمسون أوهى الأسباب والروابط ليرتبطوا بها، أمّا المسلمون فدينهم واحد، وكتابهم واحد، وهدفهم في الحياة وبعد الممات واحد، وكلّ شيء بينهم يدعو إلى الأُلفة ويساعد على الوحدة، فمن الخير لهم دينياً كما بيّنا وسياسياً كما علّمتنا أحوال العالم أن يتّفقوا ويتكتّلوا، وينسوا خلافاتهم، ويذكروا فقط أنّهم مسلمون، وأنّ المسلم للمسلم كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، وأنّ الله أمرهم في كتابه العزيز بأن يعتصموا بحبله، وأن يتعاونوا على البرّ والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وألّا يكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البيّنات.

تلك هي رسالة التقريب، وهي لعمري رسالة الإسلام، ولقد بدت تباشير النجاح فيما

تلقّت به الأُمة الإسلامية في ربوع العالم نبأ تأليف هذه الجماعة من ترحيب حماسي، فقد جاءتنا كتب شتّى من الأفراد والجماعات في شتّى البلاد الإسلامية، كلّها تـأييد للـفكرة، ومساهمة فيها، ودعوة لها، وإنّنا لنتوجّه إلى الله بقلوب ملخصة أن يـهيّئ للـمسلمين مـن أمرهم رشداً، وأن يجمعهم على الخير والبرّ والهدى، وأن يلزمهم كلمة التقوى ـ وكانوا أحقّ بها وأهلها ـ وأن يحفظ حضرات أصحاب الجلالة والفخامة ملوكهم ورؤوسائهم، ويوفّقهم إلى صراطه المستقيم».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٧، معجم المؤلّفين ١١: ٢٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٣٤ ـ ١٣٥).

محمّد علي ناصر العاملي

الشيخ محمّد علي ناصر ابن الشيخ عبد اللطيف العاملي: عالم لبناني، وشاعر مميّز، وداعية تقريب.

ولد في قرية «حداثا» بجبل عامل، ودرس دراسته الأُولى في الجبل، ثمّ هـاجر إلىٰ النجف الأشرف، فتابع دراسته هناك، ثمّ عاد إلىٰ بلاده، فأقام في قريته التي ولد فيها، حتّىٰ عيّن قاضياً شرعياً في صيدا، فانتقل إليها، وبقي فيها حتّىٰ وفاته.

قال السيّد حسن محسن الأمين: «كان شاعراً مجيداً، وظلّت مجموعة شعره مخطوطة لم تطبع».

وقد كان يدعو لضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية، ونشرت له مجلّة «رسـالة الإسلام» القاهرية التي تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في عددها الثـاني والثالث لسنتها الرابعة (١٩٥٢ م) مقالاً بعنوان «مـصادر الأحكـام الاجـتهادية عـند الإمامية»، ناقش فيه مقالة للدكتور أحمد أمين نشرت في المـجلّة سـالفة الذكـر بـعنوان «الاجتهاد في نظر الإسلام».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٣٥ ـ ١٣٦).

محمّد علي الهندي

محمّد علي الهندي: داعية ومصلح إسلامي شهير.

ولد محمّد علي في العقد السابع من القرن التاسع عشر، إذ لا تُعرف سنة مولده على التحديد، وكان أخوه الزعيم المجاهد شوكت علي قد سبق ميلاده بستّ سنوات، فنشأ في أُسرة مؤمنة تحافظ على تعاليم الإسلام محافظة دقيقة، بحيث كانت والدته قدوة المسلمات في بلدها، وكانت تبسط يدها بالخير لكلّ من ترى لديه حاجةً للمعونة، فشغلت مكان السيادة في بيتها، وجعلت تُعنى بتربية ولديها تربية إسلامية، قُوامها حفظ كتاب الله، ونُبَذ من أحاديث الرسول ﷺ، وبعد أن أتمّا الدراسة الأوّلية ذات التوجيه الديني التحقا معاً بجامعة (عليكرة)، فألمّا بنموذجين من الثقافة الإسلامية والعلوم الغربية، وقد درسا الإنجليزية دراسةً أهّلتهما إلى الالتحاق بأرقى الجامعات الإنجليزية في لندن.

وحين نال محمّد علي أرقى شهادات الجامعة رجع إلى الهند، وفي نفسه آمال واسعة أن ينهض بقومه نهضةً مستقلّةً، ولكنّه وجد المستعمر الإنجليزي يقف عقبةً أمام نهوض الهنود عامّة والمسلمين بنوع خاصّ؛ إذ رأى فيهم توثّباً للحرّية وتطلّعاً للاستقلال بعيداً عن سيطرة المحتلّ، فأعلن محمّد علي الثورة على هذه النية المبيّتة، وخلع ما كان يرتديه من لباس الغرب، وعاد إلى زيّ مواطنيه حاثّاً كلّ هندي على ألّا يلبس إلّا من نتاج بلده الصناعي، وجعل ينتقل في شتّى البلاد الهندية ليبثّ دعوة الاستقلال، كما شغل نفسه بقضايا العالم الإسلامي جميعه، فما كانت تُلم مأساة استعمارية بموطن إسلامي إلّا كان محمّد علي سريعاً للدعوة إلى معاونة المعتدى عليهم بالتبرّعات المالية، وحين تنكّر الغرب للخلافة الإسلامية وعاون دعاة العلمانية في سقوطها ألّف جمعيةً هندية سمّاها «جمعية الخلافة»، وأصدر المقالات الصارخة بفضيحة التآمر العلماني على أقوى رموز الإسلام، ولم يشأ أن يقتصر جهده النضالي على ساحة وطنه في الهند، بل عزم على الرحلة إلى أوروبّا؛ ليجهر بما يتأكّده من التآمر الصارخ على المسلمين.

يقول الأُستاذ عبد الحميد سعيد متحدّثاً عنه: «ثمّ سافر بعد ذلك على رأس وفدٍ من

إخوانه المسلمين إلى أوروبّا؛ للدفاع عن دولة الخلافة بلسانه وقلمه. فزار عواصم دول الحلفاء، وظهرت كفاءته ﷺ في السياسة والخطابة حتّى اعترف خصومه بقوّة تأثيره، وكان موضع التجلّة والاحترام في كلّ مكان ذهب إليه. ولمّا عاد إلى مسقط رأسه ليواصل جهاده قُبض عليه مرّةً أُخرى، وأُلقي في غيابة السجن، ولم يفلّ ذلك من عزيمته، بل زادها مضاء وحميّة. فكنت تراه كالبركان الهائج يقذف بالحمم كلّما سمع بظلمٍ حلّ ببلدٍ إسلامي، فيحمل على الظالمين حملات صادقة بقلم من نار ولسان أرهف من الصارم البتّار، حتّى يثير العواطف، ويحرّك النفوس، فكم جمع من الأموال لإغاثة البائسين من أهل الأناضول ومنطقة الريف [بالمغرب]، وكم ناضل وجاهد عن بلاد الإسلام التي حلّت بها النكبات وانتابتها النوائب.. ولا أنسى موقفه العظيم في قضية فلسطين والمسجد الأقصى، فقد سجّل له بذلك صحيفة بيضاء لا تمحى أبد الدهر».

ولم ينسَ الدكتور عبد الحميد سعيد أن يشيد بموقفه من عدم التعاون مع الإنجليز في حرب الأتراك، فسجّل ذلك حين قال في خطابه التأبيني: «قامت الحرب العامّة، تلك الحرب الطاحنة الضروس، ودخلت الهند فيها مكرهة، فكان الفقيد ﷺ هو الذي قام بين إخوانه الهنود يستنكر تلك الحرب، ويُنادي بعدم الاشتراك فيها، حتّى لا يقف المسلمون في صفٍّ واحد مع أعداء الخلافة، ولم يعبأ بتهديد ولا وعيد، ولا بما يُحيط به من خطر داهم في تلك الساعة الرهيبة، واستمرّ في دعوته بشجاعةٍ كانت مضرب الأمثال، حتّى قُبض عليه، وأُلقي في السجن إلى أن وضعت الحرب أوزارها».

وما كاد الهندي يتحرّر من السجن حتّى دعا إلى تأليف «جمعية الخلافة» مبيّناً أعداءها المتربّصين بها من الأتراك أنفسهم كيلا ينخدع المسلمون بأراجيف المموّهين.. وكانت كلماته تُترجم إلى العربية والتركية والفارسية، وتوزّع في شتّى ربوع العالم الإسلامي لتحدث دويّها البعيد.

وإذا كان صاحب هذا الرأي الحرّ لم يعبأ بالحاكم البريطاني في بلده، فإنّه كان أشدّ حمية وأعلى صوتاً في إنجلترا نفسها حين سافر إلى لندن ليبحث قضية المسلمين على

صفحات جرائدها، ثمّ على المنبر العامّ في حديقة (هايد بارك)، فواجه الشعب الإنجليزي بصراحته المعهودة، واستمع إلى الأسئلة المعترضة، وأجاب عليها في ثقة واطمئنان؛ لأنّه يدافع عن قضايا آمن بها إلى درجة اليقين، ومعه لكلّ مسألة برهان لا يُفلّ.

سأله سائل بحديقة (هايد بارك) عن كراهة المسلمين للتجديد ـ وهو باب التقدّم الحضاري ـ فردّ في إقناع: بأنّ التجديد الذي يُريده الاستعمار هو أن يهدم كلّ تراث ديني صالح للبقاء، وأن يُفنى المسلمون في الغرب، فلا يظهر لهم كيان مستقلّ في عقائدهم ومعايشهم وأحوالهم الاجتماعية! وهذا ما يلفظه الهنود جميعاً.. أمّا التجديد الحضاري الذي يدفع إلى الحياة الصالحة فمن أوّل ما نبّه الإسلام إليه ودعا له، وما ارتفعت مدنيّة الإسلام في عهودها الزاهرة إلّا بمواصلة التجديد، فعلى إنجلترا أن تبني ولا تهدم، أمّا إذا أرادت الهدم للعقيدة والكيان والمثل العليا بدعوى التجديد فهي مخطئةٌ حين تظنّ أنّ المسلمين لا يفطنون إلى كيدها الصريح.

وحين طالبه بعض المستمعين أن يترك زيّه التقليدي الذي يرتديه صاح قائلاً: «إنّه من صنع بلادي، وبأيدي أبناء بلادي. وهذا بعض مظاهر الاستقلال الصحيح، ومن العار أن يتزيّا [رجل] بزيّ أمّة تحتلّ بلده وتنهب خيرها وتظنّ أنّ اتّباعها في مسائل الملبس والمطعم والمسكن مصدر رفعةٍ للمتبوع، وهو يرى أظافرها ناشبةً في عنقه وماله في جيبها، وأبناءها يأكلون ويشربون من عرق مواطنيه! إنّ كلّ زخرف كاذب يُوحي به الملبس والمطعم نضعه تحت أقدامنا؛ لأنّنا نواجه الحقائق ولا نُعنى بالزخارف والتهاويل».

وحين يُسأل عن الدين الإسلامي وأنّ قوانينه لم تعد تصلح للقرن العشرين على حدّ زعمهم يصيح بالسائلين: «أنتم لم تدرسوا قوانين الإسلام، وإنّ الإسلام دعا إلى الحرّية والإخاء والمساواة، وأوروبّا جميعها غارقة في الظلمات، وكلّ ما جاءت به الثورات الأوروبّية منذ قرن أو قرنين جاء الإسلام بخيره وتجافى عن شرّه، وقد انتصر الإسلام في حروبه بسماحته وعدالته، ولذلك اعتنقته البلاد النائية عن طواعية واختيار، والقانون الإنجليزي مثلاً يمنع البغي والسطو والنهب، فهل منع إنجلترا من استعمار الشرق واغتصاب

ذخائره، أم أنّها سطور تُكتب ولا تجد التنفيذ في غير أوروبّا وحدها؟!».

وحين يُسأل عن اهتمامه ببلاد الإسلام، حيث يتحدّث عن مآسي الاستعمار في مصر وتونس وسورية والمغرب وليبيا، ولا يقصر حديثه عن بلده مع أنّنا نعيش في عصر القوميات، يتساءل محمّد علي: «ما الذي دفع أوروبّا إلى الحرب الطاحنة غير القوميات؟! إنّ الذي يجعل دولته وحدها كلّ شيء في العالم، ويطلب لها السيادة والسيطرة، يقذف بها قريباً أو بعيداً إلى حرب تأتي عليها، وقد تنتصر ولكنّها تفقد ملايين الأرواح؛ لأنّ القومية ـ كما لاحت بوادرها في أوروبّا جميعها ـ مصدر أنانية وأثرة وتربّص بالصغار كي يفنوا في نطاق الكبار، أمّا الإنسانية التي فرضها الإسلام فتجعل المساواة الحقيقية مبدأ للجميع، وقد أوجدتم عصبة الأُمم بدعوى أنّها تحكم بين المتنازعين وتدفع بالحقّ إلى صاحبه، ولكنّها لم تفعل شيئاً من ذلك، بل مالأت المستعمرين واضطهدت الأبرياء، والقومية اليوم تطلّ برأسها في ألمانيا وإيطاليا، وستنمو وتستشري حين توقد حرباً مقبلة».

هذا ما قاله محمّد علي سنة ١٩٢٨م، وقد صدقت فراسته، فما حانت سنة ١٩٣٩م حتّى شبّت الحرب العالمية الثانية، شبّتها ألمانيا تحت ستار «ألمانيا فوق الجميع»، وإيطاليا تحت سيادة الحكم الفاشي، وانقلب العالم كلّه إلى مجزرة رهيبة؛ لأنّ الذي لم يتأثّر بالقتال قد تأثّر بالقحط والمرض والغلاء.

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «لقد بثّ مولانا محمّد علي آراءه الناقدة من أعلى منابر أوروبّا، وجال بالعالم الإسلامي ليعلن هذه الآراء بين المسلمين داعياً إلى الوحدة الحقيقية التي تجعل بني الإسلام عضواً واحداً، والتي تدفع كلّ دولة إسلامية إلى التعاون مع شقيقتها تعاون الأصابع في اليد الواحدة، ولأمرٍ أراده الله اندفعت بعض الأقلام إلى توهين مذهبه؛ لأنّ عشّاق أوروبّا قد سكروا بخمرها، فأخذوا يدعون إلى الانفصال، ويحبّذون كلّ حركة تُنادي بفصل الإسلام عن القيادة، ولكنّ مبادئ محمّد علي قد وجدت في كلّ متّجهٍ من يستمع إليها؛ لأنّه لا يتحدّث عن نفسه، بل يتحدّث عن دستورٍ قائم سجّله القرآن في محكم آياته، وهو إذا عبّر عن هذه المبادئ في خطبه السائرة فإنّما يُعَبِّر عن

مشاعر واضحة يحسّها دارسو الإسلام، ويسجّلونها في كتبهم وأحاديثهم، ولن يُغلَب رأيٌ يستقي تعاليمه من نبع القرآن؛ لأنّ كتاب الله غالب لا مغلوب، وهذا ما تضيق به بعض الصدور!».

زار محمّد علي أكثر ديار الإسلام موجّهاً مرشداً عارضاً تجاربه الخاصّة بالدعوة إلى جمع الشمل وتوحيد الكلمة في العالم الإسلامي، وبعمق نظرته وواسع إلمامه بالوضع السياسي في أوروبّا أدرك ما يُبيّته المستعمرون لفلسطين من شرّ ماحق؛ إذ يعملون جاهدين على احتلال الصهيونية لهذه الأرض التي باركها الله في كتابه، وقد كان على صلة وثيقة بزعماء فلسطين وفي مقدّمتهم الحاجّ محمّد أمين الحسيني، حيث تبادلا الرأي فيما يعتري العرب من مشكلات.

وفي إحدى زيارات محمّد علي للقدس صمّم الإنجليز على منعه من الزيارة، وأصدروا الأمر باحتجازه إذا عبر الحدود قادماً من بيروت، وعلم بذلك الحاجّ أمين، فأوفد سكرتيره الأُستاذ (عجّاج نويهض) للقاء الرجل في بيروت، وإطلاعه على كلّ ما يتعلّق بالمأساة الفلسطينية، وما يدبّره الحاجّ أمين من خطط، مع إبداء الرأي في كلّ ما يسمح، مع النصيحة بعدم الزيارة؛ كيلا يتعرّض لاعتقال ظالم يدبّره المغرضون.. وفي هذا اللقاء أوضح محمّد علي وجهة نظره في كلّ ما قدّمه الحاجّ أمين من أفكار، وكتب خطاباً مسهباً يوضّح بعض الغوامض التي تحتاج إلى توجيه، ثمّ رجع ثانية الى الهند معتقداً أنّه أدّى دوره في حدود المستطاع.

وفي زورته التالية لحادثة امتناعه الجبري عن زيارة فلسطين إلى مصر، أقامت له جمعية الشبّان المسلمين حفلاً تكريمياً، ألقى به كلمة سياسية تضمّنت أفكاره في الاتّحاد الإسلامي، ودعت إلى مقاطعة الإنجليز في كلّ وطن إسلامي، موضّحاً أنّهم جرثومة الشرّ في العالم الإسلامي. ودارت أسئلة جمّة عن مشكلات المسلمين في بلادهم القريبة والبعيدة، فأجاب محمّد علي بما كان موضع الارتياح، وقد لفت الحاضرين إلى ملبسه الشرقي المتواضع، وقال: إنّه من صنع بلاده، وإنّ إخوانه الهنود قد حاكوا مذهبه في مقاطعة

كلّ ما هو إنجليزي، وقد نادى بهذه الفكرة قبل أن يؤيّدها زعيم الهنادكة (غاندي)، فأصابت الشلل في كثير من المحلّات الممتلئة ببضائع الإنجليز، واضطرّ أصحابها إلى أن يتّجهوا إلى ما يُنتجه الهنود في مصانعهم المتواضعة، وحسبهم أن يعتمدوا على أنفسهم في متطلّبات الحياة.

وقد وجّه بعض الصحفيّين أسئلةً خاصّة بحياة محمّد علي ونشأته الأُولى وطرق ثقافته ومُدعاة اتّجاهه إلى قيادة المسلمين في موطنه، فاعتذر عن إيضاح كلّ ما يتعلّق بشخصه، وقال: إنّه لم يزد عن كونه فرداً يدين بالإسلام ويعمل على انتشار مثله الرفيعة!

وقد كتب الأُستاذ الخطيب فصلاً موجّهاً عن الزعيم المجاهد أشار فيه إلى مصدر العظمة الأصلية في سيرة هذا المجاهد، فأرجعها إلى عاملين.. أحدهما: أُسلوب تعليمه ولون ثقافته، وثانيهما: كيفية استفادته ممّا تعلّم وتصرّفه فيما وعى من الثقافة..

أمّا عن العامل الأوّل فقد ذكر الأُستاذ الخطيب: «أنّ للتعليم الإسلامي المعاصر لونين، أحدهما وُضع لأُمّتنا في غير زماننا، والثاني وُضع لأُمّتنا في زماننا، وفي كلّ من الثقافتين موضع ضعف يحول بين أصحابه وبين أن يقودوا هذه الأُمّة إلى الخير: لأنّ أحدهما يتحدّث بلسان زمنٍ مضى فلا يفقه أهل هذا الزمان ما يخاطبهم به، والثاني يرطن لأُمّته بلسان أُمم غريبة عنهم فلا تعبأ بما تسمعه منه، وأيّ مصلح رأيتَ الأُمّة سائرة وراءه مؤتمّة به فلا بدّ أن يكون من الذين طعّموا التعليم القومي باللبان العصري، أو عرّبوا التعليم العصري بالذوق القومي. واستعرض إذا شئت ثقافة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمّد عبده والسيّد أحمد خان وسعد زغلول وسائر رجال النهضة الإسلامية تجدهم ممّن ثقّفوا بثقافة الإسلام وفهموا روح العصر، فاستعانوا بما فيها من خيرٍ للوصول إلى الخير، ونالوا بعض النجاح على مقدار عنايتهم بالتوفيق بين الثقافتين. ولقد اجتمعنا بمولانا الزعيم محمّد علي، فرأيناه في الذروة العليا من الثقافة الإسلامية مع فهمه روح عصره أجود فهم وأصدقه، فقد تلقّى ثقافته بجامعة عليكرة، وأُسلوبها يوجد في نفوس من أراد الله له الخير مناعة تحول بينه وبين خرافات الشرق ومغريات الغرب. أمّا العنصر الثاني فهو كيفية استعمال مولانا محمّد علي معارفه؛

لأنّ الناس عندنا يتعلّمون ليتوظّفوا فيتناولوا من خزانة الحكومة كلّ شهر ثمن علمهم، ثمّ ينصرفون إلى أُمورهم الخاصّة فيعيشون في عزلةٍ عن أُمّتهم، أمّا محمّد علي فقد حرص على تقويم آرائه وتكوين عقيدةٍ صحيحةٍ له في الحياة، حتّى اذا اطمأنّ إلى الخطّة التي رأى أن يدعو أُمّته إليها كتب نفسه عند ربّه جندياً لنصرة الإسلام، وإنعاش الخلافة، وتحرير الأوطان، وإعداد الأُمّة ليوم الخلاص، وفي سبيل ذلك استعمل معارفه، وكان يعلم أنّه سيصطدم بقوى معارضة، فوطّن النفس على الجهاد وتوكّل على ربّه، وصار يعمل لا لأجل ثمنٍ يقبضه، بل ليمتّع نفسه بلذّة النجاح، وليرضي ضميره بأنّه لم يألُ في السعي جهداً».

ويقول الدكتور محمّد رجب البيّومي معلّقاً: «لقد أصاب الأُستاذ الخطيب في تحديد مسيرة مولاي محمّد علي بدءاً وغايةً، وهي غاية فهمتها الصفوة من أبناء الأُمّة الإسلامية في كلّ أقطار الحنيفة، فأنزلت الرجل الكبير من نفوسها أجمل منزل.. وقد وضح أثر ذلك حين طار النبأ الأليم بوفاته في لندن، وعمل أخوه [شوكت علي] على نقل جثّته إلى الهند، إذ رأى سماحة السيّد محمّد أمين الحسيني أن يقوم بعمل تكريمي فذّ للراحل العظيم، فأمر بدفنه في المسجد الأقصى تكريماً إلى جهاده، وأبرق لأخيه بإنجلترا كي يعدّل مسار الجثّة من بمباي إلى القدس، ولاقى الاقتراح صدىً عظيماً في العالم الإسلامي جميعه.

ونحن نشير هنا إلى خطوات تنفيذه؛ ليعرف الجيل الراهن أنّ الجيل الماضي كان أشدّ منه حميةً وغيرةً على زعماء الإسلام من المخلصين المستبسلين؛ إذ ما كادت الباخرة تنتقل بالفقيد من لندن إلى بور سعيد حتّى هُرع آلاف المصريّين إلى توديع الراحل حكومةً وشعباً، فاستقبل الرفات الطاهر محافظ القنال مندوباً عن جلالة الملك فؤاد، وأرسل رئيس الوزراء مصطفى النحّاس زعيم الأُمّة المصرية من يمثّله في هذا الاستقبال، وكذلك أرسل الأمير عمر طوسن مندوباً يعبّر عن شعوره، وقامت الحكومة المصرية بتوجيه رئيسها الزعيم الجليل بنفقات المشهد من ساعة وصوله إلى أن حملت الراحل قاطرة القنطرة متّجهة إلى فلسطين، وبعد أن صُلّي على الجنازة في مسجد بور سعيد سار النعش في موكب فخم تحفّ به الجنود، ويتقدّمه العلماء ومندوبو الجمعيات والهيئات ورجال القضاء والمحامون

والأطبّاء وأعيان المجلس البلدي والكتّاب والأُدباء والمواطنون من ذوي الحيثيات، حتّى ازدحمت شوارع بور سعيد بمن وفد إليها من كافّة أنحاء القطر المصري. وفي المساء دعا سعادة محافظ القنال (مندوب جلالة الملك) آل الفقيد وممثّلي الهيئات والجمعيات إلى مائدة الإفطار (إذ كان الموسم موسم الصيام في رمضان)، فكانت هذه المأدبة أكبر مظهر للأُخوّة الإسلامية ذات الأصل الوثيق.

وفي فجر الجمعة خرج سكّان فلسطين من حدود مصر حتّى بيت المقدس لتحية رفات الزعيم في مسيرة القطار، فكانت كلّ بلدة تُقابل القطار بالتهليل والتكبير رغم شدّة البرد قبل انبثاق الفجر، وحين وصل القطار إلى منطقة (اللد) تجمّعت الجماهير من كلّ صوب، واصطفّ طلّاب المدارس وطالباتها في موكب مؤثّر توديعاً للراحل، واستمرّت المدن الفلسطينية تقابل القطار بأبهى مظاهر التكريم، حتّى وصل إلى القدس، فكان في الاستقبال جميع أهل الحيثيات مع قناصل الدول ورؤساء الدين المسيحي، وابتدأ سير موكب الجنازة من المحطّة إلى المسجد الأقصى في الساعة العاشرة في موكب قدّره المراقبون بمئتي ألف نسمة، وبلغ النعش المسجد الأقصى، فازدحم على رحابته بآلاف المصلّين، وقد قُدّر عددهم بمئة ألف حول المسجد وداخله، وبعد انتهاء الصلاة أُقيمت حفلة تأبين كبرى، خطب فيها السيّد أمين الحسيني، وتلاه أحمد زكي باشا وعبد الحميد سعيد، ثمّ ألقى الأُستاذ عبد الوهاب النجّار وكيل جمعية الشبّان المصريّين قصيدة خالدة لأمير الشعراء أحمد شوقي تحدّث فيها عن مآثر محمّد علي، وختمها بأبيات رائعة قال فيها:

قل للزعيم محمّد نزل الأسى ... بالنيل واستولى على بطحائه
فمشى إليك بجفنه وبدمعه ... وإلى أخيك بقلبه وعزائه
اجتزتّه فحواك في أطرافه ... ولو انتظرت حواك في أحشائه
[ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه ... مرّ الغمام بظلّه وبمائه]

نــم فــي جــوار الله مــا بك غــربةٌ ... فـــي ظــلّ بــيت أنت مــن أبــنائه
[الفــتح وهـــو قـــضية قـدسية ... يـــا طـــالما نـــاضلت دون لوائـــه]
أفـتى بـدفنك عـند سـيّدة القـرى ... مـــفتٍ أراد الله فـــي إفـــتائه
بـــلد بـــنوه الأكـــرمون قـــصورهم ... وقـــبورهم وقـــفٌ عـلى نـــزلائه
قـــد عشتَ تـــنصره وتـــمنح أهـــله ... عـــوناً فكـــيف تكـــون مـــن غـــربائه

وهكذا كان ختام الحياة الخالدة للراحل العزيز شهادةً بفضله واعترافاً بنضاله، شهادةً لم يدفع إليها ملق كاذب أو رياء خادع، بل نطقت بها القلوب قبل الألسنة، وجلجلت بها الأرواح قبل الأشباح».

(انظر ترجمته في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٢٩٤-٣٠٧).

محمّد عمارة

محمّد عمارة مصطفىٰ عمارة: مفكّر إسلامي شهير، ومصنّف مكثر.

ولد بريف مصر (مركز قلين) كفر الشيخ في مصر بتاريخ ١٩٣١/١٢/٨ م، وحفظ القرآن الكريم وجوّده وهو في كتّاب القرية. بدأت تتفتّح وتنمو اهتماماته العلمية الإسلامية وهو صغير. وكان أوّل مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» بعنوان «جهاد عن فلسطين».

درس الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصّص فلسفة إسلامية ـ كلّية دار العلوم ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥، والماجستير في العلوم الإسلامية تخصّص فلسفة إسلامية ـ كلّية دار العلوم ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠م، والليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ـ كلّية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ١٩٦٥م.

يقول الدكتور محمّد عبّاس: «إنّ محمّد عمارة هو واحد من كوكبة لامعة صادقة هداها الله، فانتقلت من الفكر الماركسي إلى الإسلام.. وكانت هذه الكوكبة هي ألمع وجوه اليسار، فأصبحت ألمع وجوه التيّار الإسلامي، ودليلاً على أنّ خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام».

حصل على العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات التقديرية والدروع، منها: جائزة جمعية «أصدقاء الكتاب» بلبنان سنة ١٩٧٢م، وجائزة الدولة التشجيعية بمصر سنة ١٩٧٦م، ووسام التيّار الفكري الإسلامي القائد المؤسّس سنة ١٩٩٨م.

حقّق لأبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة: جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده، وعبدالرحمان الكواكبي، وألّف الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي، مثل: الدكتور عبدالرزّاق السنهوري باشا، والشيخ محمّد الغزالي، ورشيد رضا، وخير الدين التونسي، وأبي الأعلى المودودي، وسيّد قطب، وحسن البنّا، ومن أعلام الصحابة علي بن أبي طالب، كما كتب عن تيّارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة وعن أعلام التراث من مثل: غيلان الدمشقي، والحسن البصري.

أسهم في العديد من الدوريات الفكرية المتخصّصة، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية، ونال عضوية عدد من المؤسّسات الفكرية والبحثية، منها: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وقد اتّسمت كتابات الدكتور عمارة وأبحاثه التي أثرى بها المكتبة العربية والإسلامية والتي وصلت إلى (٢٠٠) مؤلّفاً بوجهات نظر تجديدية وإحيائية، والإسهام في حلّ المشكلات الفكرية، ومحاولة تقديم مشروع حضاري نهضوي للأُمّة العربية والإسلامية في المرحلة التي تعيش فيها.

إنّ أهمّ ما يميّز فكره هو إيمانه ودفاعه عن وحدة الأُمّة الإسلامية وتدعيم شرعيتها في مواجهة نفي البعض لها، حتّى نعت العلمانيّون الدكتور عمارة بأنّه المنظّر للحركة الإسلامية، ويقول هو: «ذلك شرف لا أدّعيه، وهم لا يقصدون منه المديح، وإنّما استعداء السلطات ضدّي!».

وينتمي المفكّر إلى المدرسة الوسطية ويدعو إليها، فيقول عنها: «إنّها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحقّ والعدل من الأقطاب المتقابلة، فتكوّن موقفاً جديداً مغايراً للقطبين المختلفين، ولكن المغايرة ليست تامّة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل

والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمّة من خصائص الأُمّة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية، وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام، وكأنّها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية. والفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغيّر، أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فانّ الله جعل وسطيتنا جعلاً إلهياً: ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ (سورة البقرة: ١٢٣)».

من مصنّفاته: التفسير الماركسي للإسلام، المعتزلة ومشكلة الحرّية الإنسانية، معالم المنهج الإسلامي، الإسلام والمستقبل، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، معارك العرب ضدّ الغزاة، الغارة الجديدة على الإسلام، جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض، الشيخ الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية، الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ، التراث والمستقبل، الإسلام والتعدّدية، الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، الدكتور عبدالرزّاق السنهوري باشا: إسلامية الدولة والمدنية والقانون، الإسلام والسياسة: الردّ على شبهات العلمانيّين، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، عمر بن عبدالعزيز، جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، محمّد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين، عبدالرحمان الكواكبي، أبو الأعلى المودودي، رفاعة الطهطاوي، علي مبارك، قاسم أمين، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، القدس الشريف رمز الصراع وبوّابة الانتصار، هذا إسلامنا: خلاصات الأفكار، الصحوة الإسلامية في عيون غربية، الغرب والإسلام، أبو حيّان التوحيدي، ابن رشد بين الغرب والإسلام، الانتماء الثقافي، التعدّدية: الرؤية الإسلامية والتحدّيات الغربية، صراع القيم بين الغرب والإسلام، الدكتور يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري، عندما دخلت مصر في دين الله، الحركات الإسلامية: رؤية نقدية، المنهج العقلي في دراسات العربية، النموذج الثقافي،

تجديد الدنيا بتجديد الدين، الثوابت والمتغيّرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة، نقض كتاب «الإسلام وأُصول الحكم»، التقدّم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي، الحملة الفرنسية في الميزان، الحضارات العالمية: تدافع أم صراع، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، القدس بين اليهودية والإسلام، الأقلّيات الدينية والقومية: تنوّع ووحدة أم تفتيت واختراق، السنّة النبوية والمعرفة الإنسانية، خطر العولمة على الهوية الثقافية، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، بين الغزالي وابن رشد، الدين والدولة والمدنية عند السنهوري باشا، هل المسلمون أُمّة واحدة، الغناء والموسيقى: حلال أم حرام، أزمة العقل العربي، المواجهة بين الإسلام والعلمانية، تهافت العلمانية، الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، القرآن، محمّد ﷺ، عمر بن الخطّاب، علي بن أبي طالب، قارعة سبتمبر، في فقه الحضارة الإسلامية، في المسألة القبطية: حقائق وأوهام، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديل الأمريكاني، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، أزمة الفكر الإسلامي الحديث.

كما قام بإعداد وتحقيق: الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة للشيخ محمّد عبده، الأعمال الكاملة لعبد الرحمان الكواكبي، الأعمال الكاملة لقاسم أمين، الأعمال الكاملة لعلي مبارك، رسائل العدل والتوحيد، كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلّام.

يقول تعليقاً على عمل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

«أوّلاً: إنّ توجيه جهود التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى التقريب بين المذاهب الفقهية هو جهاد في غير الميدان الحقيقي الأولى بالجهاد.. أو على أحسن الفروض هو جهاد في الميدان الأسهل الذي لا يمثّل المشكلة الحقيقية في الخلافات بين المذاهب الإسلامية وبين السنّة والشيعة على وجه التحديد. فالفقه هو علم الفروع، وكلّما زاد الاجتهاد والتجديد في الفقه الاسلامي كلّما تمايزت الاجتهادات في الأحكام الفقهية، ففتح الآفاق أمام تمايزات الاجتهادات هو الذي يحرّك العقل الإسلامي المجتهد، وليس التقريب

فضلاً عن التوحيد لهذه الاجتهادات فقط يزيد احتضان الاجتهادات المذهبية الفقهية المتنوّعة، والاستفادة بالملائم من أحكامها للتيسير على الناس ولمواكبة المستجدّات.

وثانياً: إنّ الفقه هو: علم الفروع، وتمايز الاجتهادات فيه واختلاف المجتهدين في أحكامه لم يكن في يوم من الأيّام يمثّل مشكلة لوحدة الأُمة، بل كان مصدر غنى وثراء للعقل الفقهي والواقع الإسلامي على السواء.. وفي الفقه كان الأئمّة والعلماء المختلفون في المذاهب يتتلمذ الواحد منهم على من خالفه في المذهب، بل ورأينا في تراثنا من العلماء الأعلام من يجمع المذاهب المتعدّدة في فقهه وعطائه، فيفتي وفق مذهب، ويقضي وفق مذهب ثانٍ، ويدرّس كلّ المذاهب لطلّاب علمه ومريديه. فاختلاف المذاهب الفقهية هو ظاهرة صحّية في الفكر الاسلامي، وهو مصدر من مصادر الغنى والثراء لهذا الفقه، ولا يمثّل أيّة مشكلة لوحدة أُمّة الإسلام.. ومن ثمّ فليس هو الميدان الحقيقي والأولى للجهاد الفكري في التقريب بين مذاهب المسلمين.

وثالثاً: إنّ الميدان الذي كان ولايزال يمثّل مشكلة لوحدة الأُمّة التي هي فريضة إلهية وتكليف قرآني هو ميدان بعض الاجتهادات المذهبية في المذاهب الكلامية الإسلامية.. وعلى وجه التحديد أحكام «التكفير» و«التفسيق» التي نجدها في تراث هذه المذاهب، والتي ارتبطت بقضية الإمامة على سبيل الحصر والتحديد.

إنّ اختلاف مذاهب الفقه السنّية والشيعية حول «نكاح المتعة» مثلاً لا يمثّل مشكلة تقصم وحدة الأُمّة الإسلامية.. لكنّ الاجتهادات التي تكفّر الصحابة الذين أخّروا خلافة علي بن أبي طالب هي التي تهدّد وحدة الأُمة منذ عصر الخلافة وحتّى هذه اللحظات. ومثلها الاجتهادات التي تكفّر الشيعة في بعض كتب التراث السنّي، كما هو الحال عند ابن تيمية وبعض الأئمّة «السلفيّين».. ويضاف إلى هذه المسائل بعض الآراء التي توهم التجسيد والتشبيه للذات الإلهية، وبعض المواقف الحادّة في ميدان التصوّف والصوفيّين.

فالتقريب بين المذاهب ـ والذي يمثّل الميدان الحقيقي للجهاد الفكري المطلوب ـ هو الذي يوحّد الأُمّة في الأُصول والثوابت وفي أُمّهات العقائد والمسائل الفكرية، وهذا هو

ميدان علم الكلام.. والجهد التقريبي الغائب والمطلوب هو نزع «الألغام الفكرية ـ التكفيرية» التي تقصم وحدة الأُمّة بالتكفير لفريق من الفرقاء أو مذهب من المذاهب؛ لأنّ التكفير هو نفي للآخر، يقصم وحدة الأُمّة، وهو خطر لا علاقة به بالفقه الذي هو علم الفروع، ولا بالاجتهادات والاختلافات الفقهية التي هي ظاهرة صحّية، تثمر الغنى والثراء في الأحكام واليسر والسعة للأُمّة كلّها في تطبيق هذه الأحكام.

وإذا كانت هذه «الألغام الفكرية ـ التكفيرية» التي تتغذّى بها وعليها عقول قطاعات من العلماء في بعض الحوزات العلمية، وفي بعض الدوائر الفكرية السنّية، كما تتغذّى عليها نزعات التعصّب عند العامّة، إذا كانت هذه «الألغام» قد غدت راسخة، بل و«متكلّسة»! فإنّ الموقف الممكن والعملي إزاءها يمكن تصوّره فيما يلي:

١ ـ تحديد نطاق هذه «الألغام الفكرية ـ التكفيرية»، وأغلبها لحسن الحظّ نابع من نقل القضايا الخلافية من نطاق «أُصول الاعتقاد»، وتحويلها من ثمّ إلى عوامل «نفي وتكفير» للمخالفين.

٢ ـ اعتماد منهاج وسنّة التدرّج في تطبيق خطّة إزالة هذه «الألغام الفكرية ـ التكفيرية» من الكتب التراثية، وخاصّة الذي يدرّس منها في الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية، وذلك بحذفها من الطبعات الجديدة لكتب التراث هذه.. وفق المنهاج المتعارف عليه في «تهذيب» كتب التراث.

٣ ـ الاتّفاق في إطار حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية على منع تدريس هذه (الاجتهادات التكفيرية) في الحوزات والجامعات الإسلامية التي تكوّن عقول العلماء في مختلف بلاد الإسلام.. ولنا في منهاج الأزهر الشريف النموذج والقدوة في هذا الميدان، فهو يحتضن كلّ مذاهب الأُمّة الفقهية والكلامية سلفها وخلفها على حدّ سواء، مع استبعاد التكفير والتفسيق لأيّ مذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق الإسلامية؛ حفاظاً على وحدة الأُمة التي هي فريضة إلهية تعلو فوق اجتهادات المجتهدين ومذاهب المتمذهبين.

ذلك هو الميدان الحقيقي للجهاد الفكري في التقريب بين المذاهب الإسلامية.. إنّه

علم الكلام.. علم الأُصول في الاعتقاد.. وليس علم الفقه والمذاهب الفقهية التي تتخصّص في الفروع، واختلافاتها رحمة واسعة، ولا تفسد الودّ بين المسلمين».

وقد ردّت مجلّة «رسالة التقريب» على كلماته هذه وعلّقت عليها بما تراه مناسباً في عددها السادس والثلاثين الصادر سنة ١٤٢٣هـ.

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٥٢٩، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٢٦٣ ـ ٢٨٤).

محمّد الغزالي

محمّد الغزالي: مجدّد وداعية إسلامي كبير، ورائد من روّاد الوحدة والتقريب.

ولد الشيخ محمّد الغزالي بن أحمد السقّا في قرية «تكلا العنب» من محافظة البحيرة بدلتا النيل سنة ١٩١٧ م، وقد اختار له والده اسم محمّد الغزالي تيمّناً بحجّة الإسلام أبي حامد الغزالي لنزعة صوفية لدىٰ الوالد. حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، والتحق بالمعهد الديني التابع للأزهر الشريف بمدينة الإسكندرية، فحصل على شهادة الابتدائية سنة ١٩٣٢ م، ومن نفس المعهد حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٧ م، والتحق بالتعليم العالي بكلّية أُصول الدين بالقاهرة متتلمذاً على بعض المشاهير كالشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبدالعظيم الزرقاني، وتخرّج عام ١٩٤١ م من الكلّية حاصلاً على الشهادة العالية، كما حصل من كلّية اللغة العربية على إجازة الدعوة والإرشاد عام ١٩٤٣ م.

وفي نفس العام الذي التحق فيه بكلّية أُصول الدين التقى بمرشد الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنّا الذي أطلق عليه لقب «أديب الدعوة»، وأصبح عضواً بالجماعة. وعمل سكرتيراً لمجلّتهم «الدعوة»، فبدأت بذلك أهمّ تحوّلات حياته الفكرية والعلمية.

وفي سنة ١٩٤٢ م عيّن إماماً وخطيباً بمسجد «العتبة الخضراء» بالقاهرة، وتدرّج في مناصب الدعوة والإرشاد بوزارة الأوقاف، فتولّى التفتيش بالمساجد، فأصبح وكيلاً فمديراً للمساجد، فمديراً للتدريب، فمديراً للدعوة والإرشاد سنة ١٩٧١ م، فوكيلاً لوزارة

الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلامية سنة ١٩٨١ م.

عيّن عام ١٩٧٦ م أُستاذاً للدراسات العليا ورئيساً لقسم الدعوة بكلّية الشريعة، وأُعير أُستاذاً بجامعة أُمّ القرىٰ بمكّة المكرّمة سنة ١٩٧٧ م، ورأس المجلس العلمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وعيّن عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، وعضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٨٧ م.

كتب العديد من المقالات في جريدتي «الأهرام» و«الشعب» المصريتين، وقاد المظاهرات من الأزهر ضدّ تطاول رسّام الكاريكاتير المعروف صلاح جاهين على الرسول الأعظم ﷺ، وقاد المظاهرات الأُسبوعية التي كانت تخرج من مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة، حيث كان يخطب ضدّ اتّفاقية كامب ديفيد، وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وتصدّى لتغيير قانون الأحوال الشخصية.

يقول عن نفسه: «إذا كان الغزالي يحمل دماغ فيلسوف، وابن تيمية يحمل رأس فقيه، فإنّني أعتبر نفسي تلميذاً لمدرسة الفلسفة والفقه معاً»، ويقول: «تأثّرت بالشيخ عبدالعظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، وتأثّري الأكبر كان بالإمام حسن البنّا»، ويقول: «إن قلبي يتفطّر عندما أرى الدم الإسلامي أرخص دم على الأرض. لقد استباحه المجوس واليهود والنصارى والوثنيّون والملحدون وحكّام مسلمون! ولا ريب أنّ المدافعين عن الإسلام تكتنفهم ظروف صعبة معقّدة، غير أنّه بين الحين والحين ينبجس من روح الله ندى يواسي الجراح، ويهوّن الكفاح، ويبشّر بالصباح.. ومهما كانت الأوضاع محرجة فلا بدّ من بقاء الدعوة الإسلامية مرفوعة الراية، واضحة الهداية، تعلن الحقّ وتبسط براهينه، وتلقف الشبه وتوهي إسنادها»، ويقول: «ذهب الرجال وبقي الجدال».

وقد تحمّل الشيخ اضطهادات كثيرة بحقّه نتيجة لارتباطه بالإخوان المسلمين ولأفكاره وآرائه الجريئة والإصلاحية، حيث اعتقل في سنة ١٩٤٩ م وسنة ١٩٦٥ م.

وفي سنة ١٩٥٢ م شغل الغزالي وظيفة رئيس «التكية المصرية» بمكّة المكرّمة، وعمل في قطر أُستاذاً زائراً ما بين سنة ١٩٨٢ م وسنة ١٩٨٨ م، وعاش بالجزائر ما بين سنة

١٩٨٥ م وسنة ١٩٨٨م منشِئاً وراعياً لجامعتها الإسلامية «جامعة الأمير عبدالقادر الجزائري» ومشرفاً على مجلسها العلمي.

كما كان عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، وغيرها.

وحصل على عدّة أوسمة وجوائز، كوسام الأسير الجزائري عام ١٩٨٨ م، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٨٩ م، وجائزة الامتياز من باكستان سنة ١٩٩١ م، وجائزة الدولة التقديرية من مصر سنة ١٩٩١ م، وغيرها.

توفّي في الرياض سنة ١٩٩٦ م، ودفن في البقيع بالمدينة المنوّرة.

وقد ترك مؤلّفات كثيرة، منها: عقيدة المسلم، خلق المسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الحقّ المرّ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، الطريق من هنا، جدّد حياتك، عوامل انحطاط الحضارة الإسلامية، هموم داعية، كفاح دين، الإسلام والمناهج الاشتراكية، الإسلام والاستبداد السياسي، تأمّلات في الدين والحياة، التعصّب والتسامح، فقه السيرة، في موكب الدعوة، من معالم الحقّ، الاستعمار أحقاد وأطماع، مع الله، هذا ديننا، حصاد الغرور، قذائف الحقّ، علل وأدوية، قصّة حياة، كنوز من السنّة. وكتب عدّة مقالات في جريدتي «الأهرام» و«الشعب المصريتين.

وإذا كان الشيخ الغزالي قد تتلمذ على حسن البنّا، الذي تتلمذ على رشيد رضا، تلميذ محمّد عبده (أنجب تلاميذ جمال الدين الأفغاني)، فلقد حدّد الشيخ الغزالي منهاج هذه المدرسة التي ينتمي إليها مشروعه الفكري التجديدي في معرض حديثه عن مدارس الفكر الإسلامي، فمدرسته وازنت بين «الرأي» و «الأثر» على نحو متميّز، وذلك «بترويجها للعقل، وتقديم دليله، واعتبارها العقل أصلاً للنقل. وهي تقدّم الكتاب على السنّة، وتجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد. وهي ترفض مبدأ النسخ، وتنكر إنكاراً حاسماً أن يكون في القرآن نصّ انتهى أمده. وترى المذهبية فكراً إسلامياً قد ينتفع به، ولكنّه

غير ملزم، ومن ثمّ فهي تنكر التقليد المذهبي، وتحترم علم الأئمّة، وتعمل على أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية، ولا تلقي بالاً إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة».

ولقد كان الشيخ الغزالي يوجز الحديث عن الإسلام عندما يقول إنّه: «قلب تقي، وعقل ذكي» معبّراً بذلك عن منهاج الوسطية الإسلامية الجامع في مصادر المعرفة بين كتابي الله: الوحي المستور، وكتاب الكون المنظور.. في سبيل المعرفة بين العقل والنقل والتجربة والوجدان.. ولذلك كان عطاء الشيخ الغزالي في «القدوة» منافساً لعطائه في «الفكر»، كما برئ مشروعه الفكري من الفصام بين العقل والقلب، وامتزجت فيه الرؤية لمشكلات الأُمّة والإنسانية والماضي والحاضر والمستقبل جميعاً.

وكان داعية لتحرير العقل الإسلامي من قيود الجمود والتقليد، وذلك بالتمييز بين مصادر الإسلام المعصومة وبين الفكر الإسلامي غير المعصوم، ورفض الادّعاء بأن الأوّلين لم يدعو للآخرين مجالاً في الاجتهاد والتجديد، «فالإسلام هو صائغ الأئمّة المجتهدين، وهم لم يصوغوه.. ومصادر الإسلام معصومة؛ لأنّها عند الله، ولكن التفكير فيها والاستنباط منها غير معصوم؛ لأنّه من عند الناس. والأئمّة الأوائل كانوا روّاداً في تأسيس الفقه الإسلامي، والرائد قد يشغله الاكتشاف عن الموازنة والتقدير، ولعلّ من يجيء بعده يكون أقدر على التنظيم والمراجعة والموازنة والاختيار».

وكان يرى أنّ صلاح دنيا الناس بالعدالة الاجتماعية شرط لصلاح قلوبهم بدين الإسلام.. فعدالة الإسلام هي الطريق إلى فضائل الإسلام وتقوى القلوب..«إذ من العسير أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية! أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان جسده عارياً! فلا بدّ من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشامل إذا كنّا مخلصين حقّاً في محاربة الرذائل باسم الدين، أو راغبين حقّاً في هداية الناس لربّ العالمين!».

وكان يدعو ـ وذلك في فهم المصدر الأوّل للإسلام: القرآن الكريم ـ إلى تدبّر محاوره الجامعة: التوحيد الذي هو قانون الوجود و نظام الحياة وطريق تحرير الإنسان وملكاته من

العبودية للطواغيت.. وآيات الله الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق والتي على نسقها ترتفع أركان الدين وأعلام الإيمان.. والقصص القرآني، كأداة للتربية والتزكية ومعالم على طريق الاعتقاد الديني.. ونبأ الغيب والبعث والجزاء، ودوره في بناء الأخلاق.. والتربية والتشريع لصلاح الدنيا الذي يتأسّس عليه صالح يوم الدين.

وكان مدافعاً عن سنّة رسول الله ﷺ، فهي مع القرآن «قوام الإسلام، وهي الامتداد لسنا القرآن، والتفسير لمعناه، والتحقيق لأهدافه ووصاياه.. وكما أنّه لا فقه إلّا بسنّة، فلا سنّة بغير فقه.. والحكم الديني لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره، وإنّما يضمّ الحديث إلى الحديث، ثمّ تقارن الأحاديث المجموعة بما دلّ عليه القرآن الكريم، فإنّ القرآن هو الإطار الذي تعمل الأحاديث في نطاقه لا تعدوه.. والأحكام في الأحاديث الصحيحة مأخوذة ومستنبطة من القرآن، استنبطها النبي ﷺ من القرآن بتأييد إلهي وبيان ربّاني»، فهي بيان نبوي للبلاغ القرآني، وإرادة من الله لنبيّه ليفصّل ما أجمله القرآن.

وكان الغزالي يرى أنّ الإسلام هو دين الوحدة؛ إذ قد استطاع في مطلع ظهوره أن يوحّد شمل جميع القبائل والشعوب، وبنى في مدّة سبعين عاماً أكبر حضارة عرفها التاريخ، لكن من المؤسف أنّ بعض الخلافات بذرت بذور الفرقة بين المسلمين، فتشرذمت الأُمّة الإسلامية إلى أجزاء وطوائف شتّى. كما كان يؤمن بأنّ الإسلام هو الوطن الحقيقي، أينما وجد المسلم في بلاد الإسلام فذاك هو وطنه، ووجّه نقده للقومية العربية أيضاً.

وكان يقول: «لقد تناسىٰ المسيحيّون الحروب الدينية التي اندلعت نيرانها بينهم خلال القرون الوسطى، ونبذوا الخلافات الكبيرة التي تباعد بينهم أحياناً في أُصول العقيدة، وقرّروا أن يجابهوا الإسلام وأهله صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص. أمّا المسلمون فإنّ التضامن والاتّحاد الذي يجب أن يلمّ شملهم أصبح حلماً بعيد المنال، وروح الصفاء الذي ينبغي أن ينير طريقهم ويوحّدهم لازال بعيداً».

وقد وضع الشيخ عشرة أُصول ـ وذلك تكملةً للأُصول العشرين التي وضعها الشيخ حسن البنّا ـ تعدّ كمبادئ لتحقيق الوحدة الإسلامية، كما صنّف كتاب «دستور الوحدة

الثقافية بين المسلمين» لنفس الغرض.

وهذه الأُصول العشرة كالتالي:

١ ـ النساء شقائق الرجال، وطلب العلم فريضة على الجنسين كليهما، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وللنساء في حدود الآداب الإسلامية حقّ المشاركة في بناء المجتمع وحمايته.

٢ ـ الأُسرة أساس الكيان الخلقي والاجتماعي للأُمّة، والمحضن الطبيعي للأجيال الناشئة، وعلى الآباء والأُمّهات واجبات مشتركة لتهيئة الجوّ الصالح بينهما. والرجل هو ربّ الأُسرة، ومسؤوليته محدودة بما شرّع الله لأفرادها جميعاً.

٣ ـ للإنسان حقوق مادّية وأدبية تناسب تكريم الله له ومنزلته الرفيعة على ظهر الأرض، وقد شرح الإسلام هذه الحقوق ودعا إلى احترامها.

٤ ـ الحكّام ـ ملوكاً كانوا أم رؤساء ـ أُجراء لدى شعوبهم، يرعون مصالحها الدينية والدنيوية، ووجودهم مستمدّ من هذه الرعاية المفروضة ومن رضا السواد الأعظم بها، وليس لأحد أن يفرض نفسه على الأُمّة كرهاً، أو يسوس أُمورها استبداداً.

٥ ـ الشورى أساس الحكم، ولكلّ شعب أن يختار أُسلوب تحقيقها، وأشرف الأساليب ما تمحضّ لله وابتعد عن الرياء والمكاثرة والغشّ وحبّ الدنيا.

٦ ـ الملكية الخاصّة مصونة بشروطها وحقوقها التي قرّرها الإسلام، والأُمّة جسد واحد لا يُهمل منه عضو ولا تزدرى فيه طائفة، والأُخوّة العامّة هي القانون الذي ينتظم الجماعة كلّها فرداً فرداً، وتخضع له شؤونها المادّية والأدبية.

٧ ـ أُسرة الدول الإسلامية مسؤولة عن الدعوة الإسلامية، وذود المفتريات عنها، ودفع الأذى عن أتباعها حيث كانوا، وعليها أن تبذل الجهود لإحياء الخلافة في الشكل اللائق بمكانتها الدينية.

٨ ـ اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء، وإنّما تنشب الحروب إذا وقع عدوان أو حدثت فتنة أو ظلمت فئات من الناس.

٩ ـ علاقة المسلمين بالأُسرة الدولية تحكمها مواثيق الإخاء الإنساني المجرّد، والمسلمون دعاة لدينهم بالحجّة والإقناع فحسب، ولا يضمرون شرّاً لعباد الله.

١٠ ـ يسهم المسلمون مع الأُمم الأُخرى على اختلاف مذاهبها في كلّ ما يرقى ماديّاً ومعنوياً بالجنس البشري، وذلك من منطلق الفطرة الإنسانية والقيم التي توارثها عن كبير الأنبياء محمّد (عليه الصلاة والسلام).

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ١٧: ١٠٧، إتمام الأعلام: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ٢٠١، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٤٠٠ ـ ٤٢١، عظماء الإسلام: ٣١٦ ـ ٣١٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٧٦ ـ ٩٨٢، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٤٥ ـ ١٤٦، شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة: ٢٤٤ ـ ٢٦١، رجالات التقريب: ٣٥٣ ـ ٣٥٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٣٦ ـ ١٣٨ و ١٩٥ ـ ١٩٦).

محمّد غياث أبو النصر

محمّد غياث أبو النصر بن أحمد عزّ الدين البيانوني: عالم وداعية إسلامي.

ولد في حلب سنة ١٩٤٥ م لأُسرة عُرفت بالعلم والصلاح والفضل والدعوة، ودرس العلوم الشرعية في الثانوية الشرعية بحلب، ثمّ تخرّج من كلّية الشريعة بجامعة دمشق، وانشغل بالدعوة العملية عن متابعة دراسته العليا.

مارس الدعوة الإسلامية وتحرّك في ركابها منذ نعومة أظفاره، ولمع نجمه فيها أيّام تأسيس «الجماعة الإسلامية» التي أسّسها والده الشيخ أحمد عزّ الدين في مدينة حلب عام ١٣٨٦ هـ والتي كانت تعرف بجماعة «أبي ذرّ»، فكان ركناً أساسياً من أركان تأسيسها والمساعد الأوّل لوالده والحامل للوائها بعد وفاة والده.

وقد أصبح له أتباع وتلاميذ في عدد من المدن السورية والبلدان يتعهّدهم ويتابع أُمورهم. وقد عمل جاهداً على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوف الدعاة، كما جاء هذا الكلام لمن ترجمه. ومن بعد ذلك تابع نشاطه الدعوي نفسه، واختاره العلماء والدعاة أميناً عامّاً للجبهة الإسلامية حتّى توفّاه الله عزّ وجلّ سنة ١٩٨٧م.

وقد تنقّل في عدّة بلدان، وانطلق بدعوته، وقابل حكّاماً ومسؤولين يعالج مشكلات دعوته وقضاياها.

ورثاه رضوان سعيد في قصيدة طويلة، أبياتها الأولىٰ تقول:

أنأسو أم نقيم على الجراح ونرثي أم يعد من النواح
ونشكو بثّنا أم قد كفانا بأنّ الرزء أكثر من فصاح
لقد جلّ المصاب فكم رزئنا ورزء اليوم جلّ عن البواح
عشية جاء نعيك بات قلبي يلوىٰ بالأسى غضّ النواحي

(انظر ترجمته في: تتمة الأعلام ٢: ٢٠٦-٢٠٧، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٠٣-٢١٠٤).

محمّد الفاضل ابن عاشور

محمّد الفاضل بن محمّد الطاهر ابن عاشور: أديب، خطيب، مشارك في علوم الدين، وأحد طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس.

ولد سنة ١٩٠٩م في تونس، وتخرّج بالمعهد الزيتوني، وأصبح فيه أُستاذاً، فعميداً له. وكان من أنشط أقرانه دؤوباً على مكافحة الاستعمار الذي كان يسمّى «الحماية». وألقىٰ محاضرات في جامعة السوربون الفرنسية وجامعة إسطنبول التركية وجامعة عليكرة الهندية. كما شارك في ندوات علمية كثيرة وفي بعض مؤتمرات المستشرقين.

شغل خطّة القضاء بتونس، ثمّ منصب مفتي الجمهورية التونسية. وكان عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة، وفي رابطة العالم الإسلامي بمكّة.

عاش في حياة أبيه مسترشداً بتوجيهه ومعتمداً على مكتبته الحافلة بالنفائس.

توفّي عام ١٩٧٠م تاركاً بعض المؤلّفات، المطبوع منها: أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، أركان الحياة العلمية بتونس، أركان النهضة الأدبية بتونس، التفسير ورجاله.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٥-٣٢٦، موسوعة أعلام المغرب ٩: ٣٤١٩، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٣٩٩-١٤٠١).

محمّد فتح الله كولن

محمّد فتح الله كولن (من التركية : Fethullah Gülen): مفكّر إسلامي، وداعية تركي شهير.

ولد محمّد فتح الله كولن أو فتح الله جولان أو فتح الله غولان في ٢٧ /أبريل/ ١٩٤١م في قرية صغيرة تابعة لقضاء حسن قلعة المرتبطة بمحافظة أرضروم، وهي قرية كوروجك، ونشأ في عائلة متديّنة.

كان والده (رامز أفندي) شخصاً مشهوداً له بالعلم والأدب والدين، وكانت والدته (رفيعة خانم) سيّدة معروفة بتديّنها وبإيمانها العميق بالله. وقامت بتعليم القرآن لابنها محمّد ولمّا يتجاوز بعد الرابعة من عمره، حيث ختم القرآن في شهر واحد. وكانت أمّه توقظ ابنها وسط الليل وتعلّمه القرآن. وكان بيت والده مضيفاً لجميع العلماء والمتصوّفين المعروفين في تلك المنطقة، لذا تعوّد محمّد فتح الله مجالسة الكبار والاستماع إلى أحاديثهم. وقام والده بتعليمه اللغة العربية والفارسية.

درس في المدرسة الدينية في طفولته وصباه، وكان يتردّد إلى (التكية) أيضاً، أي: تلقّي تربية روحية إلى جانب العلوم الدينية التي بدأ يتلقّاها أيضاً من علماء معروفين، من أبرزهم عثمان بكتاش الذي كان من أبرز فقهاء عهده، حيث درس عليه النحو والبلاغة والفقه وأُصول الفقه والعقائد، ولم يهمل دراسة العلوم الوضعية والفلسفة أيضاً.

في أثناء أعوام دراسته تعرّف برسائل النور وتأثّر بها كثيراً. فقد كانت حركة تجديدية وإحيائية شاملة بدأها وقادها العلّامة بديع الزمان سعيد النورسي مؤلّف «رسائل النور». وبتقدّمه في العمر ازدادت مطالعاته وتنوّعت ثقافته وتوسّعت، فاطّلع على الثقافة الغربية وأفكارها وفلسفاتها وعلى الفلسفة الشرقية أيضاً، وتابع قراءة العلوم الوضعية كالفيزياء والكيمياء وعلم الفلك وعلم الأحياء... إلخ. عندما بلغ محمّد فتح الله العشرين من عمره عيّن إماماً في جامع (أوج شرفلي) في مدينة أدرنة، حيث قضى فيها مدّة سنتين ونصف سنة في جوّ من الزهد ورياضة النفس، وقرّر المبيت في الجامع وعدم الخروج إلى الشارع إلّا

لضرورة. بدأ عمله الدعوي في أزمير في جامع (كستانه بازاري) في مدرسة تحفيظ القرآن التابعة للجامع، ثمّ عمل واعظاً متجوّلاً، فطاف في جميع أنحاء غربي الأناضول. وفي خطبه ومواعظه كان يربّي النفوس ويطهّرها من أدرانها ويذكّرها بخالقها وربّها ويرجعها إليه. كانت النفوس عطشى، والأرواح ظمآى إلى مثل هذا المرشد الذي ينير أمامها الطريق إلى الله تعالى وإلى رسوله الكريمﷺ حسب تعبير بعض المترجمين له.

وكان يجوب البلاد طولاً وعرضاً كواعظ متجوّل يلقي خطبه ومواعظه على الناس في الجوامع. كما كان يرتّب المحاضرات العلمية والدينية والاجتماعية والفلسفية والفكرية، ويعقد الندوات والمجالس واللقاءات الخاصّة يجيب فيها على الأسئلة الحائرة التي تجول في أذهان الناس و الشباب خاصّة ولا يعرفون لها أيّ جواب ممّا كان يلقي بهم في مهلك الشبهة والإلحاد. فكانت أجوبته هذه بلسماً شافياً لعقول وقلوب هؤلاء الشباب والناس، ممّا جعلهم يلتفّون حوله ويطلبون إرشاداته. كما حثّ أهل الهمّة والغيرة على الاهتمام بمجال التعليم. ونتيجة لذلك قام هؤلاء الذين استفادوا من أفكاره دون انتظار أيّ نفع مادّي أو دنيوي وضمن إطار القوانين المرعية في تركيا بإنشاء العديد من المدارس والأقسام الداخلية، وبإصدار الجرائد والمجلّات، وإنشاء المطابع، وتأليف الكتب، وإنشاء محطّة إذاعة وقناة تلفزيونية. وبعد انهيار الاتّحاد السوفيتي انتشرت هذه المدارس في العالم بأسره، وخاصّة في دول آسيا الوسطى التي عانت من الاحتلال الروسي و من الإلحاد الشيوعي سبعين عاماً تقريباً.

بدأ الأُستاذ فتح الله ـ ولا سيّما بعد عام ١٩٩٠ م ـ بحركة رائدة في الحوار والتفاهم بين الأديان وبين الأفكار الأُخرى متّسمة بالمرونة والبعد عن التعصّب والتشنّج، ووجدت هذه الحركة صداها في تركيا ثمّ في خارجها. ووصلت هذه الحركة إلى ذروتها في الاجتماع الذي تمّ عقده في الفاتيكان بين الشيخ فتح الله و بين البابا إثر دعوة البابا له. لقد آمن بأنّ العالم أصبح ـ وذلك بعد تقدّم وسائل الاتّصالات ـ قرية عالمية، لذا فإنّ أيّ حركة قائمة على الخصومة والعداء لن تؤدّي إلى أيّ نتيجة إيجابية، وأنّه يجب الانفتاح على العالم

بأسره، وإبلاغ العالم كلّه بأنّ الإسلام ليس قائماً على الإرهاب كما يصوّره أعداؤه، وأنّ هناك مجالات واسعة للتعاون بين الإسلام وبين الأديان الأُخرى، مع الحفاظ على المرتكزات الإسلامية.

على عكس نجم الدين أربكان الذي يعدّ «أبو الإسلام السياسي» في تركيا، فإنّ فتح الله كولن هو «أبو الإسلام الاجتماعي»، فهو مؤسّس وزعيم «حركة كولن»، وهي حركة دينية تمتلك مئات المدارس في تركيا، ومئات المدارس الدينية خارج تركيا، بدءاً من جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا وحتّى المغرب وكينيا وأوغندا، مروراً بالبلقان والقوقاز. كما تملك الحركة صحفها ومجلّاتها وتلفزيوناتها الخاصّة، وشركات خاصّة، وأعمال تجارية، ومؤسّسات خيرية. ولا يقتصر نشاط الحركة على ذلك، بل يمتدّ إلى إقامة مراكز ثقافية خاصّة بها في عدد كبير من دول العالم، وإقامة مؤتمرات سنوية في بريطانيا والاتّحاد الأوروبّي وأميركا، بالتعاون مع كبريات الجامعات العالمية من أجل دراسة الحركة وتأثيرها وجذورها الثقافية والاجتماعية.

ما تتميّز به حركة كولن عن باقي الحركات الإسلامية في المنطقة والعالم هو أنّها غالباً تلقى ترحيباً كبيراً من الغرب؛ إذ تعتبر هي «النموذج» الذي ينبغي أن يحتذى به بسبب «انفتاحها» على العالم وخطابها الفكري. فمثلاً إذا كان أربكان يرى أميركا عدوّاً للعالم الإسلامي بسبب تحكّم «الصهيونية العالمية» في صنع القرار فيها، فإنّ كولن يرى أنّ أميركا والغرب عموماً قوى عالمية لا بدّ من التعاون معها! وهو يرى أنّه إذا كان لتركيا يوماً ما أن تعود لمكانتها بوصفها واحدة من أهمّ دول العالم، كما كانت خلال الدولة العثمانية، فلا بدّ من نفوذ قوي لها وسط الأتراك في كلّ مكان في العالم. لكن كولن من البراغماتية والذكاء بحيث لا يستخدم تعبير «القيادة التركية» في المنطقة، كما لا يدعو إلى استقلال الأقلّيات التركية في وسط آسيا، ولا تمارس جماعته أنشطة تعليمية في البلاد التي يمكن أن تتعرّض فيها الأقلّية التركية لمشاكل من قبل النظم الحاكمة مثل الصين وروسيا واليونان.

وأوّل ما يلفت النظر في كولن هو أنّه لا يفضّل تطبيق الشريعة في تركيا، ويقول في هذا

الصدد: «إنّ الغالبية العظمى من قواعد الشريعة تتعلّق بالحياة الخاصّة للناس، فيما الأقلّية منها تتعلّق بإدارة الدولة وشؤونها، وأنّه لا داعي لتطبيق أحكام الشريعة في الشأن العامّ»! ووفقاً لهذا يعتقد كولن أنّ الديمقراطية هي أفضل حلّ، ولهذا يكنّ عداءً للأنظمة الشمولية في العالم الإسلامي. ومع أنّ أربكان ينظر إليه بوصفه أُستاذ رئيس الوزراء التركي رجب طيّب أردوغان، إلّا أنّ تجربة حزب العدالة والتنمية في الحكم تشير إلى أنّ كولن هو أُستاذ أردوغان الحقيقي.

ازدهرت حركة فتح الله كولن في إطار انتعاش الحركات والطرق الدينية في تركيا في الثمانينيات من القرن الماضي، فبعد الانقلاب العسكري بقيادة كنعان أفرين عام ١٩٨٠م، والقرارات التي اتّخذتها الحكومة العسكرية والمتعلّقة بتحرير الاقتصاد وخصخصة الإعلام وإتاحة حرّية عمل أكبر للمنظّمات المدنية بما في ذلك الجماعات الدينية، بدأت الطرق الدينية في الازدهار، ومنها «طريقة النور» التي أسّسها الصوفي التركي سعيد النورسي (١٨٧٣م ـ ١٩٦٠م) والتي خرجت منها وتأثّرت بها لاحقاً حركة كولن. وجوهر فلسفتها إيجاد مجتمع إسلامي ملتزم، لكن في الوقت نفسه متلهّف للمعرفة والتكنولوجيا الحديثة والتقدّم لإنهاء تقدّم العالم الغربي على العالم الإسلامي. واليوم يقترن اسم فتح الله كولن بمصطلح الإسلام التركي المتنوّر أو المعتدل، إذ حاول فتح الله كولن مع مؤيّديه تأسيس حركة دينية سياسية اجتماعية حديثة تمزج الحداثة بالتديّن بالقومية بالتسامح بالديمقراطية، ووضع الإسلام والقومية والليبرالية في بوتقة واحدة! وكتبت الكثير من الدوريات الغربية عن كولن تصوّره كزعيم حركة اجتماعية إسلامية قومية غير معاد للغرب، ووجه المستقبل للإسلام الاجتماعي في الشرق الأوسط، لكنّ معارضيه يقولون عنه: إنّه الخطر الحقيقي على العلمانية التركية، ويتّهمونه بمحاولة تقويض العلمانية التركية عبر أسلمة الممارسات الاجتماعية للأتراك.

وليس هناك سبب علني رسمي لأسباب مغادرة كولن تركيا إلى أميركا، لكن متاعب كولن مع السلطات التركية بدأت في ١٨ يونيو (حزيران) عام ١٩٩٩م عندما تحدّث في

التلفزيون التركي وقال كلاماً اعتبره البعض انتقاداً ضمنياً لمؤسّسات الدولة التركية. وبعد ذلك بدأ المدّعي العامّ للدولة تحقيقاً في تصريحات كولن، وساعتها تدخّل رئيس الوزراء التركي آنذاك بولنت أجاويد ودعا الدولة إلى معالجة الأمر بهدوء، بدلاً من فتح الموضوع للنقاش على المحطّات التلفزيونية التركية، كما دافع عن كولن وعن مؤسّساته التعليمية وقال: «مدارسه تنشر الثقافة التركية حول العالم، وتعرّف تركيا بالعالم.. مدارسه تخضع لإشراف متواصل من السلطات». بعد ذلك اعتذر كولن علانية عن تصريحاته، إلّا أنّ بعض العلمانيّين ظلّوا متشكّكين في أهدافه، ولاحقاً وجّهت له اتّهامات بمحاولة تحقيق مكاسب سياسية على حساب مؤسّسات الدولة بما في ذلك الجيش. بعد تلك الأزمة حدثت أزمة لقطة الفيديو الشهيرة التي بثّت على اليوتيوب وظهر فيها كولن وهو يقول لعدد من أنصاره: إنّه سيتحرّك ببطء من أجل تغيير طبيعة النظام التركي من نظام علماني إلى نظام إسلامي، كما تحدّث عن نشر الثقافة التركية في أوزبكستان، ممّا أثار موجة غضب في الجيش التركي وباقي المؤسّسات العلمانية في البلاد. كما أدّى إلى أزمة دبلوماسية بين تركيا وأوزبكستان دفعت بولنت أجاويد للتدخّل مجدّداً في محاولة لحلّها. وقال أجاويد: «الرئيس الأوزبكستاني لديه مخاوف غير مبرّرة تتعلّق بتركيا. تركيا لا تتدخّل في الشؤون الداخلية لأوزبكستان. لا يمكن أن نسمح بالإساءة إلى العلاقات بين البلدين بسبب مخاوف غير ضرورية». لكن أوزبكستان قرّرت إغلاق عدد من المدارس التابعة لكولن. ويبدو أنّه خلال هذا الوقت كانت المؤسّسة العلمانية في تركيا بدأت هي أيضاً تستشعر قلقاً متزايداً من كولن ومؤسّساته التعليمية، فأصدرت هيئة التعليم العالي في تركيا قراراً يقضي بعدم الاعتراف بالشهادات العلمية التي تعطيها مدارس كولن، لكن هذا القرار كان مؤقّتاً. وكولن يقول: بأنّه مقيم في أمريكا بسبب العلاج.

ولفتح الله كولن ٦٠ كتاباً، وقد حصل على العديد من الجوائز على كتبه هذه، وأغلبها حول التصوّف في الإسلام، ومعنى التديّن، والتحدّيات التي تواجه الإسلام اليوم. ومن هذه

الكتب: الموازين أو أضواء على الطريق، طرف الإرشاد في الفكر والحياة، القدر في ضوء الكتاب والسنّة، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، روح الجهاد وحقيقته في الإسلام، القلوب الضارعة، حقيقة الخلق ونظرية التطوّر، مجموعة الأدعية المأثورة، مقدّمات، المعزف المكسور، عالمنا الفسيح.

وقد احتلّ كولن المرتبة الأُولى ضمن أبرز المفكّرين على مستوىٰ العالم في قائمة عشرين شخصية أكثر تأثيراً على مستوىٰ العالم الإسلامي لعام ٢٠٠٨م، في استطلاع دولي أجرته مجلّة «فورين بولسي» الأمريكية ومجلّة «بروسبكت» البريطانية.

محمّد فتحي الدريني

الدكتور محمّد فتحي الدريني، فلسطيني الأصل، ساكن بدمشق: أحد أعلام علماء هذا العصر، المغمور لدى العامّة، المعروف قدره لدى الخاصّة، لُقّب بشاطبيّ العصر؛ لإحيائه الاجتهاد المقاصدي والتنويه بجمالية الفقه الإسلامي ومزيته على القانون الوضعي.

له من المؤهّلات العلمية:

١ ـ دكتوراه في الفقه الإسلامي وأُصوله ـ درجة الامتياز بمرتبة الشرف الأُولى من كلّية القانون والشريعة ـ جامعة الأزهر عام ١٩٦٥م.

٢ ـ دبلوم العلوم السياسية ـ دراسات عليا ـ قسم الدكتوراه ـ كلّية الحقوق ـ جامعة القاهرة (سنتان دراسة عليا متخصّصة) عام ١٩٥٤م.

٣ ـ دبلوم في العلوم القانونية (سنتان دراسة عليا متخصّصة) من معهد البحوث والدراسات القانونية التابع لجامعة الدول العربية ـ القاهرة عام ١٩٦٣ م.

٤ ـ العالمية مع إجازة في تخصّص القضاء الشرعي ـ كلّية القانون والشريعة ـ جامعة الأزهر (سنتان دراسة عليا متخصّصة في الأحوال الشخصية) عام ١٩٥١م.

٥ ـ العالمية مع الإجازة في التدريس من كلّية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر (سنتان دراسة عليا متخصّصة في التربية وعلم النفس) عام ١٩٥٢م.

٦ ـ دبلوم في التربية وعلم النفس (سنتان دراسة عليا متخصّصة) من كلّية التربية ـ جامعة عين شمس عام ١٩٥٢م.

٧ ـ ليسانس في الآداب (قسم اللغة العربية) بتفوّق من كلّية الآداب ـ جامعة القاهرة عام ١٩٥٠ م.

٨ ـ ليسانس في الشريعة ـ كلّية القانون والشريعة ـ جامعة الأزهر عام ١٩٤٧ م.

وقد درّس لعقود طويلة في مصر والجزائر ودمشق لمدّة طويلة، ثمّ آخر مستقرّه في الجامعة الأردنية.

من آثاره: المناهج الأُصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، أُصول التشريع الإسلامي، أُصول المعاملات في الفقه الإسلامي، نظام الإسلام، أُصول الفقه الإسلامي، الحقّ ومدى سلطان الدولة في تقييده، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأُصوله، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، بحوث ودراسات في الفكر الإسلامي المعاصر، نظرية التعسّف في استعمال الحقّ، الفقه المقارن مع المذاهب، النظريات الفقهية العامّة، حقّ الابتكار في الفقه الإسلامي.

ومن البحوث المقارنة للمؤلّف والتي أُلقيت في الدراسات العليا في الجامعات العربية والمؤتمرات الدولية:

١ ـ مبادئ الحكم الإسلامي (بحث مقارن بالفقه الوضعي) (أُلقي محاضرات في كلّية الآداب ـ جامعة الجزائر، ١٩٧١م ـ ١٩٧٤م، وفي قسم الدراسات العليا ـ قسم القانون العامّ في كلّية الحقوق ـ جامعة دمشق، ١٩٧٩م ـ ١٩٨٠ م).

٢ ـ أثر نظرية التعسّف في التقنين المدني الجزائري الجديد مقارناً بالقوانين المدنية في البلاد العربية (بحث أُلقي محاضرات في كلّية الحقوق والعلوم السياسية ـ قسم الدراسات العليا ـ جامعة الجزائر. ١٩٨٠ م و ١٩٨١م).

٣ ـ بحث « الحضارة الإنسانية في الإسلام » مقدّم إلى المؤتمر الإسلامي المنعقد في الخرطوم ـ ١٩٦٨ م ـ طبع جامعة أُمّ درمان الإسلامية بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على

نزول القرآن الكريم.

٤ ـ مقوّمات الحضارة الإسلامية (سلسلة بحوث أُلقيت محاضرات في كلّية الآداب ـ جامعة الجزائر، ١٩٧١ ـ ١٩٧٤م).

٥ ـ التكافل الاجتماعي في الإسلام (بحث مقدّم إلى أُسبوع الفقه الإسلامي المنعقد في القاهرة ـ ١٩٦٧ م ـ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة).

٦ ـ نظرية العقد في الفقه الإسلامي (بحث مقارن أُلقي محاضرات في الدراسات العليا في كلّية العلوم الاجتماعية في جامعة أُمّ درمان الإسلامية في جمهورية السودان، ١٩٨٠م).

٧ ـ التشريع السياسي الإسلامي وعناصر العلاقة التي أقامها بينه و بين فطرة التكوين الإنساني (بحث أُلقي في المؤتمر العالمي للحضارة العربية والإسلامية المنعقد في جامعة دمشق تحت رعاية وزارة التعليم العالي، في ٢٥ نيسان (إبريل) ١٩٨١م).

يقول: «إنّ كلّ مسألةٍ أو واقعةٍ تطرأ ينبغي أن يتحقّق فيها مفهوم كلّي يتعلّق بها مناطه كاملاً، وإلّا ما كان الجزئي تطبيقاً لكلّية ـ والفرض أنّه مطابقه مناطاً ـ كيلا يؤول الأمر بالمسلمين من حيث نظام تشريعهم أن يصبحوا مأخوذين بهذا التخالف أو التناقض فيما يفرزه الاجتهاد من أحكام في المسائل أو الجزئيات المعروضة، فيفضي ذلك حتماً إلى الإخلال بتوازن المجتمع الإسلامي في كياناته الأساسية من الاقتصاد والاجتماع والسياسة إخلالاً ماديّاً ومعنوياً معاً، ومن شأن ذلك أن يحول بالضرورة دون أداء التشريع وظائفه التي أُنزل من أجلها، فضلاً من أن يحول دون السعي الحثيث الجادّ والمخلص لتحقيق الوحدة الإسلامية المفروضة شرعاً على الأُمّة الإسلامية قاطبة؛ إذ إنجاز الوحدة معلوم من الدين بالضرورة. وعلى هذا فلا بدّ أن تكوّن تلك المفاهيم الكلّية التشريعية في القرآن الكريم ملكات عقلية راسخة تهيمن على التعقّل الاجتهادي وتُوجّهه لتصبح تلك الملكات بصائر منيرة. ولعلّ في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ

فَعَلَيْهَا﴾ (سورة الأنعام: ١٠٤) إشارة إلى هذا المعنى.

وبذلك التوجيه الإلهي الحكيم يتحدّد بل ويستقيم الاتّجاه العامّ للمسلمين فيما يحقّق مصالحهم المتعلّقة بتلك الأحكام الفروعية المتكاثرة والمتطوّرة المندرجة في مفاهيمها الكلّية.

وفضلاً عن ذلك فقد وضع التشريع الإلهي حرصاً منه تعالى على تحقيق وحدة المسلمين، وضع كافّة «الأساسيّات» التشريعية التي تستند إليها هذه الوحدة في شتّى أقطارهم. تلك «الأساسيّات» الثابتة في التشريع الإسلامي على سبيل «القطع» ممّا لا يملك أحد أن يخالف أمرها، شرّعها سبيلاً مُيَسّراً لإقامة هذه الوحدة، ممّا يدلّ دلالةً صريحةً على بلوغ هذه «الوحدة» في التقدير الإلهي مبلغ أسمى فرائضه، بدليل أنّه فرض وحدة الأُمّة، وشرّع لها وسائل تحقيقها من الأساسيّات الثابتة على سبيل القطع، أي: أنّه تعالى شرّع الغاية والوسيلة العلمية لتحقيقها. والأُمّة الإسلامية ـ مهما تعدّدت حكوماتها وأقطارها ـ مأخوذة ومسؤولة حتماً عن أداء هذا الفرض العظيم وإنجازه من الناحية الدينية، ومن الناحية السياسية بوجهٍ خاصّ، فضلاً عن الناحية الاجتماعية والاقتصادية؛ لقوله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ثمّ نهى سبحانه نهياً صريحاً يفيد التحريم القاطع عن التفرّق والتنازع بقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)، ممّا يدلّ على أنّ «التقاعس» عن أداء هذا الفرض الذي هو من أجلّ الفرائض يؤدّي حتماً إلى انفراط عقد الأُمّة، وانهيار قواها المادّية والمعنوية، وظهور الأعداء عليها بصريح النصّ الآنف الذكر! ومن المعلوم أُصولياً أنّ النهي عن الشيء أمر بضدّه!

وعلى هذا كان «التحكّم المذهبي» بالتقليد أو التعصّب بالهوى منافياً رأساً للتحكيم الشرعي الذي نصّت على وجوبه صراحة الآية الكريمة من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة النساء: ٦٥)، أي: لا يحكّمون

أهواءهم.

وأيضاً فإنّ التعصّب مذهبياً يحول بالضرورة دون التقريب بين المذاهب، بل يوسّع من شقّة الخلاف بينهما المؤدّي بدوره إلى اختلاف المسلمين فيما بينهم على أمر تشريع ربّهم، فضلاً عن أنّ «المتعصّب مذهبياً» إنّما يبتغي دوماً نصرة مذهبه، لا نصرة شرع الإسلام، وكلّ ذلك فساد محترم، بل يجب الحيلولة دون وقوعه، ممّا يشكّل بالتالي عاملاً مؤثّراً في الإخلال بتوازن المجتمع الإسلامي كلّه إخلالاً يتناول مقوّماته المادّية والمعنوية على السواء، وهذا ممّا لا يجوز شرعاً المصير إليه، فما أدّى إليه مثله!

أمّا الاختلاف اليسير فيما يتعلّق بالنصوص الظنّية، أو ما يشبهها من تقدير خصائص الأفعال، وما تقتضيه من أحكام يغلب على الظنّ إفضاء تنفيذه إلى المصالح الحقيقية المعتبرة، فذلك ليس اختلافاً جذرياً ولا تناقضاً مستحكماً يستحيل معه التوفيق؛ لأنّه ممّا تقتضيه فطرة البيان القرآني نفسه على حدّ تعبير الإمام الشافعي في كتابه «الرسالة» بحكم كونه من لوازم الاجتهاد، ولا يحول دون التقريب بين آراء المجتهدين، ثمّ هو آخر الأمر لا يُخلّ بتوازن المجتمع في أيّ كياناته، ممّا يسعف بالتالي على «إنجاز التقريب» الذي يجعل السبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية ميسّراً، بل يُفضي إليها تلقائياً بحكم وحدة الأُصول العامّة والمفاهيم الكلّية والمقاصد الكلّية الأساسية العليا التي هي مباني «المصالح» للأُمّة والأفراد، وذلك هو مقصد الشارع من وضع الشريعة ابتداءً».

(انظر ترجمته في: مجلّة «رسالة التقريب» /العدد: ١ /صفحة: ٦٢ ـ ٦٣ و ٧٩ ـ ٨٠، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأُصوله ١: ٧ ـ ٩ (المقدّمة)).

محمّد فتحي عثمان

محمّد فتحي عثمان: مفكّر مصري مرموق، وداعية وحدة.

من مواليد مدينة المنيا في صعيد مصر عام ١٩٢٨م. حصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة، وليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية، وعلى شهادة الدكتوراه في دراسات الشرق الأدنى من جامعة برنستون (نيوجرسي) في الولايات المتّحدة.

عمل مدرّساً في التعليم الثانوي العامّ والأزهري بمصر، وكان مديراً للترجمة بالإدارة العاملة للثقافة الإسلامية بالأزهر، ومديراً لمكتب وزير الأوقاف وشؤون الأزهر.

قام بالتدريس في كلّية العلوم الاجتماعية، والمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة محمّد بن سعود الإسلامية في الرياض، كما قام بالتدريس في جامعات: وهران (الجزائر)، والرياض (الملك سعود حالياً)، وتمبل (فيلادلفيا ـ بنسلفانيا)، وبرنستون (نيوجرسي) في الولايات المتّحدة الأمريكية.

وهو رئيس تحرير مجلّة (أريبيا Arabia) التي تصدر باللغة الإنجليزية في لندن، وعضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

من مؤلّفاته: المدخل إلى التاريخ الإسلامي، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتّصال الحضاري، التاريخ الإسلامي والمذهب المادّي في التاريخ، الفكر الإسلامي والتطوّر، الدين في موقف الدفاع، آراء رائدة من تراث الفكر الإسلامي، الفكر الإسلامي القانوني بين أُصول الشريعة وتراث الفقه، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر الغربي الحديث، السلفية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

يرى الدكتور محمّد فتحي عثمان من خلال واقع الدعوة اليوم التركيز على المحاور التالية:

١ ـ الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر تعيش في عالم تقاربت حدوده وطويت مسافاته، ولا بدّ أن تتعامل الدعوة الإسلامية مع هذه العالمية القائمة، ولا بدّ أن تتواصل الحركات الإسلامية وأهل الفكر من المسلمين والمعاهد ذات العلاقة بالدعوة الإسلامية على مستوى عالمي لتبادل الخبرات والتشاور في أقوم السبل لإبلاغ دعوة الإسلام، وما يحتاجه ذلك من جهود لإعداد الدعاة، وتهيئة وسائل النشر، وتنسيق النشاط الفردي والجماعي والمحلّي والعالمي في مختلف المجالات ولشتّى الفئات من أجل تحقيق هذا الهدف.

٢ ـ تطوير مقرّرات الدراسة في المعاهد المختصّة بشؤون الدعوة الإسلامية والحركة

الإسلامية، بحيث تدرّس الفكر الإسلامي والحركة الإسلامية في واقع العالم المعاصر، ولا تعيش منعزلة عن هذا الواقع ومنحصرة في تراثنا الفكري والتاريخي، مع التسليم بأهمّية معرفة هذا التراث دون التقوقع فيه والانعزال عن الواقع. ومن المهمّ جدّاً في هذا الشأن إزالة الحواجز بين جهود الأجهزة الحكومية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية بين المسلمين أو غيرهم، وجهود المعاهد التي تدرس شؤون هذه الدعوة وتعدّد العاملين فيها، وجهود الجماعات الإسلامية المتباينة التي تعمل في المجال نفسه، والمفكّرين المسلمين المعنيين بذلك أيّاً كانت التحفّظات في شأن فرد أو فريق من المسلمين.

٣ ـ كذلك لا بدّ أن تدّرس المعاهد المختصّة بشؤون الدعوة الإسلامية ما سبقت الإشارة إليه من دراسات للقوى العالمية والنزعات العقائدية والفكرية المعاصرة، كما تستفيد من الدراسات الملائمة في المجالات اللازمة، مثل الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية والثقافية وعلم النفس والاجتماع، فضلاً عن المجالات العلمية، مثل الإعلام والخدمة الاجتماعية، إلى جانب الاهتمام بدراسة اللغات التي يتكلّمها المسلمون والتي يتكلّمها غيرهم ممّن نخاطبهم بدعوتنا.

٤ ـ الاهتمام بمجال الإعلام دراسةً وعملاً، ووصل قنوات التشاور والتعاون بين المعاهد العلمية والأجهزة العاملة، سواء في حقل الإعلام بصفة عامّة أو في مجال الإعلام الإسلامي بصفة خاصّة، بحيث تتبادل الخبرة والمشورة؛ إذ أنّ «الإعلام» مجال عامّ له أُصوله وتقنياته التي ينبغي أن يعلمها كلّ من يعمل فيه أيّاً كانت الوجهة التي يريد أن يكرّس جهوده فيها والقطّاع الذي يخاطبه. كما أنّ الذين يدرسون الإعلام أو يعملون فيه بصفة عامّة لا ينفصلون عن الدعوة الإسلامية فكراً وعملاً في مجالاتهم ماداموا مسلمين؛ إذ أنّ الإسلام رسالة شاملة للحياة جميعاً، ودعوة الإسلام لها مجالها ومنهجها وأُسلوبها في مختلف الظروف والأحوال.

٥ ـ إصدار مجلّات ونشرات تتناول شؤون الدعوة الإسلامية على مستوى عالمي، وتقدّم إحصاءات وتقارير عن واقع المسلمين القائم والخبرات العملية المتعدّدة في مجال

الدعوة ، ويكون ذلك مقترناً مبدئياً بإنشاء « أرشيف » يتحوّل إلى « بنك معلومات » عن العالم الإسلامي المعاصر ، يستفيد من تقنيات جمع المعلومات وتصنيفها وبرمجتها واختزانها وما إلى ذلك .

٦ ـ تحتاج هذه الجهود الرائدة الممكنة ـ وإن لم تكن يسيرة ـ إلى رصيد ملائم من الكفايات البشرية الطيّبة التي توجّه إلى دراسة الإعلام وتقنياته وجمع المعلومات واختزانها « الكمبيوتر » وما إلى ذلك ، وتشجّع هذه الكفايات على الدراسة والتدرّب والعمل بالحوافز الماديّة والمعنوية الممكنة ، ويوجّه الآباء إلى أهمّية ذلك بالنسبة إلى مستقبل الإسلام والمسلمين ؛ حتّى لا ينحصروا في نطاق توجيه أبنائهم لدراسة الطبّ أو الهندسة دون غيرهما ، مع التسليم بالحاجة إليهما ، ويجلّى للأنظار ما توفّره الأعمال المطلوبة لأصحابها من معاش طيّب وتحقيق لخير الدنيا والآخرة ومصالح الأفراد والجماعة ، ويأتي في مقدّمة ذلك كلّه الاعتصام بالله سبحانه .

يقول : « كثيراً ما ترد في الإعلام الغربي تعبيرات مثل (الإسلام السنّي) و(الإسلام الشيعي) ، وكأنّهما مختلفان تماماً . وقد أُضيف إلى هذين مؤخّراً تعبير (الإسلام الوهّابي) ، الذي عدّله البعض إلى (الإسلام السلفي) ، وهو تعبير ربّما كان أدقّ موضوعياً ، لكنّه يترجم غالباً بكلمة (أرثذوكس) (Orthodoxe) ، أو بعبارة (إسلام الأوائل أو الأسلاف)(Early Islam) ، وكلاهما لا يوضّحان المقصود ، ويؤدّيان إلى بلبلة القارئ الغربي .

ويؤدّي هذا كلّه في أذهان الغربيّين إلى تصوّر دين الوحدانية والتوحيد أدياناً شتّى ! يحدث هذا بينما يسعى المسلمون جاهدين لتوحيد صفوفهم والتنسيق فيما بينهم لمواجهة التحدّيات المتعدّدة المتباينة . ولا سيّما بعد أن رأوا الدول القومية في أُوربّا قد استطاعت إقامة وحدة قارّية ذات سلطات وعملة موحّدة على الرغم من الاختلافات العرقية واللغوية والتاريخية ، ورأوا في مختلف أرجاء العالم مجمّعات إقليمية نشطة في مجالات متعدّدة حقّقت جهودها نجاحاً بدرجات متفاوتة ، ثمّ أوشك تيّار (العولمة) (GlobaLization) أن يحيط بكرتنا الأرضية كلّها في شتّى أطرافها بعد أن قرّبت ثورة الاتّصالات الجامعة (Mass

Communication) بين الأرجاء، وطوت شاسع المسافات، وأحالت الكوكب الأرضي إلىٰ قرية صغيرة حقّاً!

والمسلمون في هذا العالم المعاصر يبذلون جهودهم الدنيوية لمواجهة التحدّيات المتعدّدة القائمة واحتذاء حذو التجمّعات المتباينة، لكنّهم يبدون أحياناً كثيرة أمام أنفسهم وأمام غيرهم وقد تفرّقوا شيعاً ومذاهب وإن اجتمعوا على كلمة الإسلام. وقد حرصوا ـ وبخاصّة في الغرب ـ على أن يخاطبوا غير المسلمين ويبصّروهم بالقيم الإنسانية العالمية الجامعة في القرآن، وبالشوائج القريبة التي تجمع المسلمين بكلّ مؤمن بالله، وبالقيم الروحية والخلقية ولا سيّما (أهل الكتاب)؛ إذ يعتبرهم المسلمون شركاءهم في اتّباع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ (سورة آل عمران: ٩٥) باعتبارهم يهوداً ومسيحيّين، والمسلمون يذكرون إبراهيم عليه السلام مرّة أو مرّتين في كلّ صلاة من الصلوات الخمس المفروضة في كلّ يوم، ويتضرّعون إلىٰ الله أن يبارك رسولهم محمّداً كما بارك من قبل إبراهيم (عليهما معاً وعلى أنبياء الله ورسله جميعاً أزكى السلام).

وبينما يجدّ المسلمون في هذا الخطوات السديدة لتحقيق الوحدة الإنسانية واجتماع المؤمنين بالله الواحد على ما يجمعهم من أُصول وقيم للتعاون على الخير ومكارم الأخلاق في عالمنا المعاصر، تراهم أحوج ما يكونون إلىٰ مثل هذا التقارب الرشيد والمودّة المخلصة مع بعضهم بعضاً، حتّى يؤكّدوا لأنفسهم وللناس أنّهم مسلمون قبل كلّ شيء وإن تعدّدت مذاهبهم، يجمعهم الإيمان بالله الواحد وبرسالة محمّد صلى الله عليه وآله وبالقرآن الكريم وحي الله المنزل على رسوله، الذي يجتمع مئات الملايين من المسلمين عليه بذات سوره وآياته كلّها دون اختلاف في شتّى الأنحاء وعلى مرّ القرون... ومع هذه العوامل كلّها التي تحفّز بشدّة للتقارب والحوار البنّاء والاجتهاد والتعاون على الخير وتيسّر الوسائل لذلك كلّه، ظلّت هناك أشباح من الفرقة المذهبية تتحرّك لتثير الفتن أو تؤبّد الفرق وتجهّدها وتشدّ الناس إلىٰ الوراء.

إنّ اختلاف الآراء بين الأفراد والجماعات هو في ذاته ظاهرة إنسانية طبيعية صحّية،

تدوم مع دوام العافية والحيوية الفكرية للفرد والجماعة، ولكن تلكما العافية والحيوية تستمرّان وتزكوان مع التواصل والتفاعل، وتضعفان ـ وقد تتوقّفان ـ مع الانغلاق والانعزال.. والذي قد يقول بالتخلّي عن المذاهب تماماً كأنّما يقول بإنكار الواقع وإهدار التاريخ! وإنّما المطلوب والمأمول أن تكفل مع حياة الإسلام عقيدة وشريعة وحيوية الفكر الإسلامي والفقه الإسلامي، فيكون نشاط الفقه المذهبي في إطار من الوحدة الكلّية للإسلام، ومؤكّداً لهذه الوحدة الأساسية الجامعة. وإنّما يتحقّق ذلك بتقرير خطوات منهجية يلتزمها العرض المذهبي، تضمن إثراء المذهب بالبحث مع تأكيد انبثاقه عن المورد الإسلامي الموحّد الأصل، ومن ثمّ اجتماعه مع المذاهب الأُخرى على هذا المورد، وتعامله معها تعامل الأُخوة المتقاربين في تحاور ودود يؤكّد الأصل الجامع مهما تفرّعت الفروع.

وأوّل هذه الخطوات المنهجية تسليط الضوء على قيام المذاهب والظروف المصاحبة لذلك، حتّى تتبيّن بجلاء (تاريخية) الظاهرة وأنّها ليست أصلاً في الدين قامت بقيامه في حياة رسوله (عليه الصلاة والسلام)، وتتأكّد (إنسانية) تلك الظاهرة كما يبرز (دوام) الإسلام في مجموعه الكلّي عقيدة وشريعة و(ذهنية) الاختلاف، و(شمول) الإسلام الجامع، و(جزئية) الاختلاف الخاص بالمذهب. ويكون هذا التنوير التاريخي الكاشف موضوعياً أميناً قدر طاقة الإنسان المؤمن بربّه وبمسؤوليته عن كلمته كيف صدرت وإلى أين تؤدّي، بحيث ينصف المذهب المعروض والمذاهب الأُخرى على السواء، ويقدّم الصورة الحقّة لمنهجيات الحوار والاختلاف وأخلاقياته في رسالة الإسلام. وعلى هذا النحو يتعزّز القول بأنّ المذاهب الإسلامية (تنزع في إطار وحدة الإسلام)، لا تناقض وتصادم بين شراذم لا تجتمع على شيء مشترك.

ولعلّ في الاهتمام بتاريخ المذاهب مع استثمار المعرفة التاريخية المتطوّرة في تنميته وإثرائه وتحليله ما يحقّق ما سلف بيانه من الوعي بوضع الاختلاف المذهبي وحجمه الصحيح بالنسبة لرسالة الله الكلّية الخالدة وحقائقها الكبرىٰ المجمع عليها بين المسلمين، ولعلّ استنارة بحث هذا التاريخ ببحوث التاريخ الاجتماعي للمسلمين ممّا يعود بالنفع

والإثراء على كليهما؛ فكثيراً ما غلب التاريخ السياسي والحربي على التاريخ الاجتماعي والحضاري عند المسلمين وغيرهم. والحقّ أنّ تراثنا غني في مصادره المتنوّعة بتاريخ المجتمعات الإسلامية التي قد تتفرّق في كتب التاريخ والتراجم والطبقات والبلدان والرحلات والأدب وغيرها، بل تنبثّ أيضاً في كتب أحكام الفقه والفتاوى والنوازل، وإنّما تحتاج إلى من يجمعها ويجدّ في تنظيمها وتحليلها».

محمّد فريد نصر واصل

الدكتور واصل هو: مفتي الديار المصرية الأسبق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وأُستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر الشريف. من مؤلّفاته «المدخل الوسيط في دراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع». وهو داعية تقريب من الطراز الأوّل.

يقول من جملة كلام له: «أمّا بالنسبة لقضية التقريب بين المذاهب الفقهية الإسلامية فهي من أهمّ القضايا التي يجب العمل على تدعيمها من كلّ مسلم، وبخاصّة العلماء والفقهاء المجتهدين من المسلمين جميعاً، وذلك بشتّى الطرق والوسائل العلمية والبحثية والثقافية وغيرها، وذلك لجمع شمل الأُمّة الإسلامية والمسلمين جميعاً على كلمة سواء في شؤون دينهم ودنياهم، وعلى التمسّك بدينهم الإسلامي والعمل بشريعته الخالدة الصحيحة، بما لا يتعارض صراحة مع القرآن الكريم والسنّة الصحيحة، وبما يسع العمل به حسب الزمان والمكان لدى شعوب الأُمّة الإسلامية كلّها. فقد كان لأعداء الأُمّة الإسلامية في القديم والحديث على طول تاريخها الإسلامي دور كبير في توسيع شقّة الخلاف بين المسلمين، واستغلّوا الخلاف الفقهي والمذهبي الذي تجيزه الشريعة الإسلامية في الفروع دون الأُصول، ودخلوا من بابه بطرق خفية إلى عامّة المسلمين وبعض خاصّتهم بطرق تدليسية في أزمنة تاريخية معيّنة فسد فيها الحكم السياسي لبعض الحكّام بين المسلمين وظهر فيه اضطهاد بعض أتباع المذاهب الإسلامية التي لا توافقهم من المذهب السياسي والمعتقد الفقهي، وحوّلوا هذا الخلاف في الفقه والسياسة ونظام الحكم إلى خلاف في الدين والعقيدة، بما كان له الأثر السلبي الكبير بين المسلمين، حيث فرّق بينهم وجعلهم شيعاً

وأحزاباً متنافرة أمام أعدائهم من غير المسلمين، وكان ذلك هو السبب المباشر في دخول الاستعمار غير المسلم بلاد المسلمين، ووقوعها جميعاً تحت سيطرته واستعماره، وتحويلها إلى دويلات متناحرة ومتنافرة في العقيدة والحكم والسياسة، بعد أن فرّق بينها وباعد وحجب عنهم التواصل في العلم والثقافة والدين والحياة، وأصبح ذلك حقيقة ماثلة أمام أعيننا الآن، فبعد أن تحرّرت البلاد الإسلامية من الاستعمار العسكري لا الثقافي حيناً من الدهر رجع إليها من جديد من خلال أدواته العسكرية والعلمية والثقافية المضلّلة والاقتصادية التي سيطرت عليها وعلى أهدافها الاستعمارية المادّية والثقافية الصهيونية العالمية.

ولا عاصم من هذا الخطر الحالّ بالأُمّة الإسلامية إلّا بوحدتها الدينية والثقافية والسياسية، واضعين نصب أعينهم أنّ ذلك من الفروض الشرعية والواجبات الدينية والوطنية التي لا يجوز التهاون أو التفريط فيها بحال في أيّ زمان أو مكان؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، وقوله ﷺ: «يد الله مع الجماعة، ومَن شذّ في النار»، والأمر في الآية الكريمة للوجوب، والعمل به لجميع العباد المكلّفين من المسلمين، ولا صارف له عن أصله هذا؛ لأنّ ترك العمل به يؤدّي إلى النزاع والخلاف والشقاق المحرّم والمنهي عنه قطعاً بنصّ صريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)».

كما يقول أيضاً: «إنّ إثارة المسائل الخلافية المتعلّقة بالفروع الفقهية بين أتباع المذاهب الإسلامية وبخاصّة بين ما اصطلح عليه بين الأتباع: «مذاهب أهل السنّة أو الجماعة ومذاهب الشيعة»، غير جائز شرعاً، وذلك لأنّ الخلاف في الفروع منهج في الاجتهاد الفقهي أقرّته شريعة الإسلام، وذلك لقوله ﷺ: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فاخطأ فله أجر»، وقوله ﷺ «وكلّ مجتهد مصيب». ثمّ إنّ هذه التسمية للمذاهب بأسمائها التي انتشرت بها ليست من الأُصول الدينية التي ورد بشأنها نصوص قطعية أو ظنّية من الكتاب أو السنّة تأمر بالوقوف عند بعضها دون البعض الآخر، بل هي

أسماء عرفية واصطلاحية لأتباع صاحب المذهب تخليداً لجهده العلمي، وتيمّناً بالعمل بمنهجه في معرفة الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح من أقرب طريق تيسيراً للباحث على البحث والاستنباط في الأحكام الشرعية الفقهية ومعرفة الناس بها من أُمور دينهم ودنياهم؛ لأنّ أصل الحكم عند الجميع ومصدره هو الشرع من خلال نصوصه الشرعية الصحيحة السماعية والاجتهادية القائمة عليها بالضوابط العلمية والقواعد الشرعية المعوّل عليها في الاجتهاد والبحث والاستنباط الشرعي والفقهي عند أهل الاختصاص من العلماء والفقهاء. فكلّ المذاهب الإسلامية أصلها التشريعي واحد، وهو الوحي بقسميه: القرآن الكريم، والسنّة الصحيحة. وبذلك فكلّهم من رسول الله ملتمس، سواء كان قرآناً أو سنّة. وأمّا التعصّب والتقليد لمذهب بعينه واعتقاد أنّ الخروج عنه محظور شرعاً فهو اعتقاد خاطئ وفاسد. وهذا ما روّجه أعداء الإسلام، بحيث أوعزوا بين عامّة المسلمين في عصور الغزو الاستعماري والثقافي بأنّ هذا المعتقد الباطل والفاسد هو من أُصول الدين والمذهب، ونجحوا بذلك في التفريق بين المسلمين؛ لتفرّق مذاهبهم الفقهية الإسلامية، وتعصّب كلّ أتباع مذهب لمذهبهم، حتّى جعله العامّة دينهم الذي يتعبّد به دون غيره من المذاهب الإسلامية ولو صحّ الدليل لهم. وهذه سياسة المستعمر دائماً، وهي «فرّق تسد». وقد عملوا كلّ الوسائل المادّية والمعنوية لتحقيق هذا الهدف، ونجحوا فيه بالفعل في زمن تخلّف المسلمين عن دينهم وشيوع الأُمّية الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية بينهم زمن هذا الاستعمار الأجنبي الذي ظلّ بينهم طويلاً بطريق مباشر أو غير مباشر، وأخطرها الآن هو الأُمّية الدينية والغزو الفكري والثقافي، والذي يسيطر الآن بقوّة على وسائل الإعلام كلّها تقريباً المقروءة والمسموعة والمرئية في داخل البلاد الإسلامية وغير الإسلامية. ونقرّر بيقين أن كلّ النزاعات والثقافات والحروب التي دارت بين المسلمين في كلّ مكان من ديارهم الإسلامية والتي فرّقت بينهم وقصمت وحدتهم الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية لصالح العدوّ غير المسلم إنّما هي نتاج هذا التعصّب المذهبي والغزو الثقافي الأجنبي والأُمّية الدينية التي شاعت بين المسلمين حتّى لمن وصل منهم إلى أعلى

الدرجات العلمية التي غزتها الثقافة الغربية والتي اشتهرت وعرفت بالعلمانية الغربية. وكلّ الكتب والفضائيات والمؤتمرات والدوريات التي تروّج للعلمانية الأُوروبّية والأُمّية الدينية وبذر بذور الشقاق والخلاف المذهبي بين المذاهب السنّية والشيعية، هي من أخطر الأسلحة الفتّاكة على الإسلام والمسلمين وعلى وحدتهم الإسلامية من جيوش الأعداء العسكرية والحربية، ويجب التصدّي لها بكلّ الطرق والوسائل المشروعة، وهذا واجب عامّ يقع على عاتق الحكّام والمحكومين وعلى أصحاب القلم والرأي وعلى جميع المسلمين، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٣٨ - ١٤١).

محمّد فريد وجدي

محمّد فريد بن مصطفى وجدي: مفكّر إسلامي مصلح.

وُلد في سنة ١٢٩٥ هـ(١٨٧٧م)، ونشأ بالإسكندرية، وتلقّى تعليمه الابتدائي بها، ثمّ التحق بمدرسة ثانوية بالقاهرة ولم يتمّ تعليمه بها؛ إذ رأى في كثرة المواد التي لا تهمّ الطالب المسلم ما زهّده فيها، فآثر الدراسة المستقلّة بعد أن أتقن الفرنسية إتقاناً جعله أحد المؤلّفين بها، بل إنّه أصدر قبل أن يبلغ العشرين كتاباً يشرح مبادئ الإسلام بهذه اللغة! ونال من تقدير المنصفين ما قوّى عزيمته على التعمّق في الدين الإسلامي وشرح حقائقه لغير المسلمين؛ كي يخفّفوا من حملاتهم التبشيرية التي كانت تجد من الاحتلال الإنجليزي لمصر أقوى نصير.

وكتاب «الإسلام والمدنية» الذي ابتدأ به حياته الفكرية كان مثار إعجاب المنصفين شرقاً وغرباً، وقد جعله بعضهم في مرتبة «رسالة التوحيد» لإمام العصر الشيخ محمّد عبده، وهو الباكورة في تأليف الأُستاذ.

وتمثّلت العصامية العلمية في شخص الأُستاذ محمّد فريد وجدي تمثّلاً رائعاً، فقد اتّجه بنفسه إلى تحصيل معارف كثيرة تيسّرت له دون توجيه من أحد، وقد أصبح بما حصّله

من هذه المعارف الواسعة المحيطة علماً من أعلام الشرق والإسلام.

كان والده محافظاً لدمياط وله اهتمام بالمباحث الدينية، فجعل يعقد في منزله كلّ أُسبوع ندوة يحضرها علماء المعهد الديني بدمياط، حيث تكون مجالاً للبحث الهادئ في ما يدور في المجتمع من مشكلات فكرية، ودهش العلماء لما كان يبديه ولده الشاب الناهض من معارف واسعة، فأُعجبوا به وشدّوا عزمه، ومنذ هذا الوقت والشاب المطّلع يغمر جرائد: «اللواء، والدستور، والمؤيّد، والأهرام» ببحوثه الدقيقة، فلفت الأنظار إليه، وعُدَّ من حملة الأقلام الذائدة عن الإسلام، يذكر اسمه بجوار: محمّد عبده، وعلي يوسف، وعبدالرحمان الكواكبي، وهم مَنْ هم!

وقد أراد أن يفهم القرآن فهماً دقيقاً، فرجع إلى كتب التفسير، فوجدها لعهد تغرق في مسائل النحو والبلاغة وغيرهما دون أن تعطي مضموناً شافياً للنصّ القرآني، فأخذ يقرأ ما يقرأ، ثمّ يكتب التفسير المراد بلغة سهلة تناسب القارئ المتطلّع، واجتمع له بما كتبه لنفسه شرح وجيز مشرق، فلمس حاجة المسلمين إليه، وأصدر تفسيره الميسّر، فتقبّله القرّاء، وتعدّدت طبعاته لسنوات طويلة. ومازال الكتاب بعد مرور أكثر من قرن يتجدّد طبعه؛ لأنّ ما ينفع الناس يمكث في الأرض.

وقد كانت مصر في مطلع القرن العشرين في حاجة ماسّة إلى ذخيرة من المعارف الإنسانية في شتّى العلوم المختلفة، وليس بها من المؤلّفات العصرية ما يسدّ هذا الفراغ، فصمّم على أن يصدر وحده «دائرة معارف القرن العشرين» في عشرة مجلّدات، فكانت جامعة ثقافية لقرّاء اللغة العربية، وقرّرتها نظارة المعارف في مكتبات المدارس، وتعدّدت طبعاتها، ويعتبر جهد الأُستاذ في هذا النطاق جهداً بطولياً يقرب من الإعجاز؛ إذ كيف يقوم فرد واحد بما تقوم به عدّة لجان من مختلف التخصّصات! وقد انتقل الأُستاذ إلى رحمة الله سنة ١٩٥٤م، فكتب عنه الكثيرون من عارفي فضله، وقال الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد في مقال ضافٍ: «إنّه فريد عصره، وما وجد اسم في هذا العصر يوافق صفته غير اسم فريد».

وقد قدّر له أن يكون المدافع الأوّل والناقد الجهير لكلّ ما يكتب عن الإسلام ويتضمّن

ما يجب أن يصحّح من الأخطاء، فامتلأت الجرائد لعهده بمناقشات علمية للكتب المغرضة والمقالات المهاجمة يكتبها الأُستاذ بقلم عفّ نزيه، وله في هذا المجال كتابه الشهير عن «المرأة المسلمة» رداً على قاسم أمين، وكتاب «نقد كتاب الشعر الجاهلي» رداً على الدكتور طه حسين، وكتابه «على أطلال المذهب المادّي» في أربعة أجزاء رداً على أنصار نظرية دارون، وكتابه «ليس من هنا نبدأ» رداً على الأُستاذ محمّد خالد محمّد، وكتابه «الأدلّة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأجنبية» رداً على الأُستاذ محمّد سليمان، ولو جُمعت مقالاته المنشورة بالجرائد والمجلّات على مدى نصف قرن لكانت مكتبة حافلة، وقد جمعت بعضها في كتاب نشرته المؤسّسة اللبنانية ـ المصرية تحت عنوان «مناقشات وردود».

كما أصدر مجلّات علمية، مثل «الحياة» التي عنيت بالمعارف الحديثة، ومثل جريدة «الدستور» اليومية التي حاربت الاحتلال، وكانت تنطق باسم الحزب الوطني، ثمّ استقلت لاختلاف في وجهات النظر، كما رأس تحرير مجلّة «الأزهر» ثمانية عشر عاماً، فارتفع بمستواها العلمي، حيث نشرت فصولاً لكتّاب الغرب تحمل الشبهات المغرضة، ثمّ أعقبتها بردود قاطعة كتبها الأُستاذ فريد وجدي، ومع هذا الجهد فقد كانت المجلّات الرفيعة تدعوه للإسهام في تحريرها كـ«الرسالة، والهلال، والمعرفة، والمقتطف، والحديث»، فكان يلبّي ما يطلب منه، فتحتلّ مقالاته الصدارة في هذه المجلّات. وقد تستكتبه صحف إقليمية متواضعة، فيلبّي باهتمام.

وممّا يذكر له أنّه مع اطّلاعه الشامل على التيّارات الفكرية المعاصرة لم يخرج في كتاباته عمّا يخصّ الإسلام من البحوث؛ لأنّه كان يقف في خطّ الدفاع الأوّل، ويرى من حقّه أن يحصر جهده في هذا الموطن النبيل، فهو مجاهد صاحب رسالة.

وقد اتّجه الأُستاذ وجدي إلى الأبحاث الروحية، فأصدر مجلّة خاصّة بها، وأفرد لها أجزاء متتابعة من مؤلّفاته، وقد جعل من هذه البحوث الخاصّة باستحضار الأرواح والتنويم المغناطيسي حجّة قوية تقف في وجوه من ينكرون عالم الغيب من الماديّين ويجحدون

فاطر السماوات والأرض، وقد ساعدته الاكتشافات الأوروبّية الحديثة مساعدة تامّة، فأخذ يفسّر الظواهر العلمية في ضوء الحقيقة الكبرىٰ التي جاءت بها الأديان السماوية، فأتاحت له ثقافته المتشعّبة في علوم النفس والاجتماع والفلسفة فيضاً زاخراً من الحجج العلمية. أكسبت بحوثه قوّة تجذب الأنظار، وكان أُسلوبه الجدلي وطريقته النقدية موضع الارتياح من معارضيه، فكانوا يسجّلون ذلك في ردودهم مغتبطين.

وحين كتب الأُساتذة الكبار من أمثال: عبّاس العقّاد وطه حسين ومحمّد حسين هيكل وتوفيق الحكيم كتباً مستقلّة عن رسول اللهﷺ لاقت قبول الناقدين، وحازت شهرة مستفيضة، أخذ الأُستاذ فريد وجدي ينقدها في دقّة وأمانة مع الترحيب كلّ الترحيب باتّجاها، ثمّ رأى أن يصدر كتاباً خاصّاً بالسيرة المحمّدية تحت ضوء العلم والفلسفة، فكان موضع التقدير إذ تحدّث عن الوحي السماوي حديثاً يقنع أصحاب الاتّجاه العلمي، وأيّد كلامه بنقول مستفيضة تثبت صدق الوحي، كما ردّ على الشبهات التي حبكت عن رسول اللهﷺ جهلاً أو سفهاً، فوضع الحقّ في نصابه، وكتابه في السيرة المحمّدية درّة غالية في عقد هذه الدراسات الخاصّة بنبي الإسلام، وقد نشره متفرّقاً، وقام الدكتور محمّد رجب البيّومي بجمعه، وأصدرته المؤسّسة اللبنانية ـ المصرية. كما قد نقل كتابه «المرأة المسلمة» مترجماً إلى اللغات الإسلامية، كالتركية والفارسية والأُردية. وصادف ارتياح الكثيرين؛ إذ كشف هذا الكتاب عن عمق المؤلّف في دراساته الاجتماعية، وبصره باختلاف المنازع البشرية من الشرق والغرب، وإلماله بما تخوّف منه كثير من أساطين التشريع في أُوربّا حين رأوا المرأة تتبرّج وتغشى المواقف المريبة دون استنكار، وحين تمتهن في المعامل حاملة الأثقال، وواقفة أمام النيران المشتعلة في الأفران، وملطّخة بسواد الفحم في المناجم! وكلّ ذلك ممّا يخالف طبيعتها دون إنكار، مع الائتناس بآراء أئمّة الاجتماع في العصر الحديث.

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من مؤلّفاته فإنّ له: مهمّة الإسلام في العالم، الإسلام دين عامّ خالد، معالم الإسلام، فصول من السيرة، الإسلام في عصر العلم، الوجديات، الحديقة الفكرية.

وقد توّج هذا كلّه كتاب «دائرة معارف القرن العشرين» في عشرة مجلّدات كبار، وقد طُبعت أُخيراً في لبنان وتداوله القرّاء، حيث لم تذهب جدّتها العلمية بتوالي السنين، على حدّ تعبير الدكتور محمّد رجب البيّومي.

كان وجدي مترفّعاً عن غشيان المجالس العامّة، فلّما يرى في حفل أو مجتمع، وقلّ أن يزور أحداً أو يجيب دعوة.

توفّي بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م.

كانت له اهتمامات وحدوية، وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية مقالاً سنة ١٩٤٩م تحت عنوان «لا خلاف في الدين الحقّ»، جاء فيه: «قد شدّد الله في الزجر عن الخلاف في الدين؛ لأنّ تفرّق الكلمة فيه يؤدّي إلىٰ شرّ ضروب الانقسام بين الجماعات، ويلد أنكأ الضغائن بينها... من العجب العاجب أن يقع خلاف بين المسلمين، لا لأنّ الله سبحانه وتعالى نهى عنه وشدّد في النهي فحسب، ولكن لأنّ أُصول الإسلام جلية بيّنة لا تقبل التشكيكات، وقواعده قاطعة مانعة لا مجال معها لتعدّد الاحتمالات... وإنّ ديناً هذا شأنه كان يجب أن لا توجد فيه فرق يخالف بعضها بعضاً، ولكن الطبيعة البشرية تتغلّب على جميع الحوائل الأدبية والمادّية، وتظهر وجودها قوية متشدّدة، ولكن لا يغيبنّ عنك أنّها في الإسلام لم تستطع أن تتغلّب على الحقائق الرئيسية، وهي ميزة لهذا الدين صان الله بها كيانه سليماً من آثار التقلّبات إلىٰ اليوم».

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٢: ١٤٥١، الأعلام للزركلي ٦: ٣٢٩، موسوعة السياسة ٧: ٢٥٩، موسوعة المورد ١٠: ١١٤، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٩١ـ١٠٦، الموسوعة العربية العالمية ١٧: ٣٥٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٩٩٠ـ٩٩٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٤١ـ١٤٢).

محمّد فؤاد البرازي

محمّد فؤاد البرازي: مفكّر وداعية إسلامي معروف.

ولد في سوريا بتاريخ ١٩٤٧/٥/٣٠م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة

الإسلامية ـ شعبة الفقه المقارن، وأقام في الدانمارك وحصل على جنسيتها.

من خبراته السابقة: مدرّس التربية الإسلامية واللغة العربية في المدارس الإعدادية والثانوية في سورية، ومدير المعهد الشرعي في الكويت، وواعظ ديني بدولة الإمارات العربية المتّحدة لمدّة ١٨ عاماً، وعضو شرعي في اللجنة المشتركة لصلاحية السلع الغذائية بدولة الإمارات العربية المتّحدة خلال بعض الفترة التي كان فيها هناك، وعضو مؤسّس للمجلس الأوروبّي للبحوث والإفتاء في أوروبّا، ومنشئ نظامه الأساسي، إلى أن استقال منه بتاريخ ١١/١/٢٠٠١م، وكذلك مدير المركز الامتحاني للكلّية الأوروبّية للدراسات الإنسانية في إسكندنافيا لمدّة عشر سنوات، إلى أن استقال من هذا المنصب عام ٢٠٠٢م.

أمّا عمله الحالي فهو: مؤسّس ورئيس الرابطة الإسلامية في الدانمارك، وعضو مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا منذ نشأته وحتّى الآن، وعضو الأمانة العامّة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

من مؤلّفاته: البراهين العلمية على وجود الخالق، هكذا حجابك أيّتها المسلمة، حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، المسوّغات الشرعية لخروج المرأة من بيتها، الخطوط الرئيسة للتعليم والتربية والتبليغ والدعوة، معالم في التعامل مع غير المسلمين، الخطاب الإسلامي مع أهل الكتاب، الحقوق السياسية للمرأة في ظلال الإسلام، الأسس العلمية في فقه اختلاف الصحوة الإسلامية، المسلمون في أوروبّا: واقعهم ومشكلاتهم، المستخلص من علم أُصول الفقه، مسؤولية الفتوى الشرعية وضوابطها وأثرها في رشاد الأُمّة، الحضارة الإسلامية وأثرها في تربية الأجيال، صورة الإسلام في الفكر الاستشراقي المعاصر، الذبح الإسلامي للأنعام والطيور وفوائده والذبح الغربي ومضاره، العقيدة الإسلامية وأثرها في السلم والحرب، خالد بن الوليد ومزايا الجندية والقيادة من خلال شخصيته الفذّة، خلود القرآن الكريم وحفظ الله له من التحريف والتبديل، الأجبان وحكمها في الشريعة الإسلامية، حكم تناول الدجاج المغذّى بالعلف الحيواني الممزوج بالدماء، حقوق الإنسان ودورها في تحقيق أمن المجتمع، أثر الضرورة والحاجة وعموم

البلوى فيما يحلّ ويحرم من المهن والوظائف خارج ديار الإسلام، التجديد حاجة دينية وضرورة عصرية.

من نشاطاته العلمية:

١ ـ تأسيس الرابطة الإسلامية في الدانمارك بحيث تضمّ مسجداً ومدرسة في نهاية الأُسبوع لتدريس القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الإسلامية؛ لحماية أبناء المسلمين والحفاظ على دينهم ولغتهم، كما تضمّ أيضاً مركزاً إسلامياً يطلق عليه: «الرابطة الإسلامية»، ويقوم بنفسه على رئاسة هذه الرابطة، ويقوم فيها بدروس ومحاضرات علمية وأنشطة اجتماعية.

٢ ـ المشاركة في مناقشة رسائل بعض طلبة الدراسات العليا.

٣ ـ الاستضافة بالرابطة الإسلامية في الدانمارك الدورة الثانية لمجمع فقهاء الشريعة، وقد صدرت فتاوى تلك الدورة في كتاب مستقلّ.

٤ ـ إقامة دورات علمية في الفقه وأُصول الفقه ومصطلح الحديث في العديد من الأقطار الأوربّية.

٥ ـ القيام في الدانمارك بتدريس عدّة كتب وموضوعات إسلامية متنوّعة.

ومن نشاطاته الفكرية:

١ ـ عقد في الدانمارك عدّة مؤتمرات علمية وفكرية حضرها علماء ومفكّرون ومسؤولون من الحكومة الدانماركية وغيرها، وقد نوّهت بها وسائل الإعلام.

٢ ـ شارك محاضراً في كثير من المؤتمرات الدولية التي عقدت في كثير من الدول العربية والإسلامية والأوربيّة.

٣ ـ تصدّى ـ وما يزال ـ للحملات المغرضة ضدّ الإسلام والمسلمين، وفي مقدّمة ذلك تصدّيه بأُسلوب حضاري وعلمي وسلمي وقانوني للرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ دون تنازل عن أيّ من ثوابت الإسلام.. وهذا ما دفع حزب الشعب اليميني المتطرّف إلى مطالبة البرلمان بإسقاط الجنسية عنه، ولكن البرلمان رفض هذا العرض؛ لعدم قانونيته، ولأنّه كان

يستخدم في معارضة الوسائل القانونية و السلمية.

٤ ـ تصدّى بأُسلوب علمي لفكر التطرّف والتشنّج، وأدان العنف والإرهاب أيّاً كان مصدره.

٥ ـ يرى أنّ الحوار الحضاري والمجادلة بالتي هي أحسن التي أمر الله تعالى بها خير وسيلة للدفاع عن الإسلام ونشر محاسنه.

يقول: «أعتقد أنّ التعصّب المذهبي حدث من وقت مبكّر يوم أن قامت حكومات أرادت أن تحمل الناس على المذهب الذي كانت تتمذهب به. وهي ليست قضية جديدة كما يتصوّر البعض بل قديمة. كما ريقت دماء كثير من العلماء في مسألة خلق القرآن وأمثالها، وهذه الظاهرة امتدّت من القرون الإسلامية الأُولى إلى يومنا هذا، وهي حمل الآخرين على التمذهب بمذهب الحكومات، وهذا ما أوجب التعصّب للمذاهب وحدوث الحسّاسيات الكثيرة، بل صرنا نقرأ في فقهنا هل يجوز أن يقتدي الشافعي بالحنفي وبالعكس، وليس البحث عن اقتداء السنّي بالشيعي وبالعكس! وهكذا سائر الأحكام تشمل العبادات والمعاملات. والسبب الرئيسي في هذه الخلافات هو الخلافات السياسية التي أوجدتها الحكومات، وأدّت في بعض الحالات إلى قمع وقتل، وهو من أسوأ ما تصل إليه الحالة الإسلامية.

من أهمّ آثار التعصّب المذهبي تشتت المجتمع الإسلامي وتمزيقه بحيث لا يستشعر أتباع مذهب بأُخوّتهم لأتباع مذهب آخر، وهذا ممّا يؤدّي إلى نسيان الأُخوّة الإسلامية ووحدتنا في ظلّ الإسلام، علماً بأنّ الله جمعنا على دين واحد قائلاً: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

ومن الآثار السيّئة أيضاً أن يشكّ كلّ فريق بالآخر، ويتصاعد الأمر سوءً ليصل إلى التكفير، مع أنّ الخلافات هي فرعية، ونحن لا نتكلّم عن الغلاة الذين خرجوا من دائرة الإسلام، وإنّما الحديث هو عن أتباع المذاهب الإسلامية، ولا بدّ من التنبيه على أمر مهمّ هنا: لمّا نزل الوحي على النبي ﷺ مع حضور الصحابة هل كان هناك سنّي وشيعي أم حنفي

وشافعي وجعفري ومالكي وحنبلي؟ الناس كلّهم مسلمون يصلّي البعض خلف الآخر، قد تجد فيهم المترخّص مثل ابن عبّاس، وقد تجد فيهم المتشدّد بالفتوى مثل ابن عمر، وكان الجميع يتقبّل بعضهم بعضاً. وبعدها بدأت المدارس الاجتهادية التي ما قصد أصحابها أن يعمل لنفسه مجداً، وكان القصد هو الاجتهاد في مسائل وقعت؛ فيقدّموا الحلول، وأن يدوّن هذا الفقه ليسهل رجوع الناس إليه. فكانوا أصحاب مدارس فقهية متآخية، فالإمام أبو حنيفة اجتمع بالإمام مالك، والثاني اجتمع بالشافعي، فهم يمثّلون أُخوّة الإسلام، والإمام محمّد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة التقى بالإمام الشافعي، فكان بينهما حوارات، والإمام أحمد بن حنبل التقى بالإمام الشافعي وأخذ عنه، وبالعكس أخذ الشافعي عن الإمام أحمد، والإمام جعفر الصادق التقى بالإمام أبي حنيفة، وكانت بينهما أُمور؛ فإذاً كان الكلّ مدرسة واحدة تجمعهم وتربطهم أُخوّة الإسلام، والتعصّب الذميم نشأ بعد ذلك.

ومن أسباب التعصّب هو عندما فرضت الحكومات بعض المذاهب فصار بعض العلماء يتمذهبون به كسباً لوظائف معيّنة في الدولة، فمثلاً ما كان يُسنَد القضاء في الدولة العثمانية إلّا لفقيه حنفي، وما كان يسند القضاء في الدولة الصفوية إلّا لفقيه شيعي، وهذا ما أثّر على بعض العلماء، وحياة المسلمين وعلى وحدة الأُمّة الإسلامية.

كلّنا نؤمن بأنّ الأُصول واحدة، وكلّنا يؤمن بأركان الإسلام والإيمان، والاختلاف إنّما هو في الفروع من المسائل الفقهية لا غير، وقد نختلف في أُمور [ونحن] متّفقون على أصلها، كما في قضية الإمام المنتظر، فكلّنا جميعاً نؤمن بأنّ المهدي المنتظر عليه السلام سيظهر وبشّرت به أحاديث عن النبي وأنّ اسمه على اسم النبي وكنيته على كنيته، ولكن الاختلاف هو أنّ الشيعة تعتقد بأنّه ولد وله غيبتان وسيظهر في آخر الزمان، والسنّة تعتقد أنّه لا وجود للغيبتين، وأنّه سيظهر؛ فالكلّ يعتقد بأنّ المهدي سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وهكذا بعض القضايا التاريخية، فبعض يعتقد بها، والآخر يشكّك، فلا يقبل بصحّتها،

وممّا لا شكّ [فيه] أنّ هناك روايات غير ممحّصة ومخالفة للواقع، وهي التي أدّت إلى كثير من الخلافات بين أبناء المذاهب.

انعقاد مؤتمرات المجمع العالمي للتقريب سنة بعد سنة يخفّف من هذا التوتّر الموجود لدى البعض في المذاهب المختلفة، فأصبح الجميع يتقبّل مسألة الحوار فيما بينهم، فهذا لوحده نجاح كبير.

وحقّق هذا المجمع الكثير، كوضع استراتيجية معيّنة تبنّتها الجمعية العمومية، وأيضاً تشكيل الجمعية العمومية من علماء المذاهب الإسلامية هو إنجاز، واختيار رجل من أهل السنّة لرئاسة الجمعية العمومية، وهو الأمين العامّ للمجمع الفقهي بجدّة التابع لمنظّمة المؤتمر الإسلامي الشيخ الدكتور حبيب ابن الخوجة، وهذا الأمر ممّا يؤدّي إلى سرعة الخطوات نحو التقارب.

وممّا حقّقه المجمع هو نوعية الطروحات التي تقدّم في هذه المؤتمرات، وهي من آثار العمل المتواصل خلال السنين السالفة بانتخاب المحاور المؤثّرة، واختيار مفكّرين من دعاة التقريب للإدلاء في خصوص هذه المحاور. فاختيار هؤلاء الأبطال «لأنّ رسالة التقريب بين المذاهب في هذه الظروف لا يتحمّلها إلّا الأبطال من الدعاة» لهذه المسيرة التقريبية هي في حدّ ذاتها نجاح. أيضاً أرى أنّ محصّلة هذه المؤتمرات هو أمر جيّد. أضف إلى ذلك مجالات عديدة أُخرى خاضها المجمع. وقد أقرّت الجمعية العمومية إقامة مجاميع للتقريب في كلّ بلد، فهي مجامع مستقلّة لوحدها تسعى لعقد الأواصر بين أبناء الأُمّة الإسلامية في كلّ بلد».

كما يقول: «قمنا بخطوات تقريبية هامّة في مجال التقريب، أُجملها فيما يلي:

١ ـ عقد لقاءات دورية نتبادل فيها وجهات النظر حول واقع الجالية الإسلامية، وسبل المحافظة على دينها وهويتها؛ لحمايتها من الانسلاخ من إسلامها، وللمحافظة عليها من الذوبان في غيرها.

٢ ـ التعاون في حلّ بعض المشكلات الاجتماعية والأُسرية، لا سيّما إذا كان طرفاها

سنّي وشيعي .

٣ ـ التعاون في بعض الأنشطة التي تقوم بها ، كالندوات والمؤتمرات التي استضفنا فيها علماء ومفكّرين من الطرفين ، وشرّفنا في مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا الذي عقد دورته في رابطتنا سماحة العلّامة آية الله محمّد علي التسخيري (حفظه الله) .

٤ ـ تشكيل وفد موحّد من السنّة والشيعة لمراجعة المسؤولين حول القضايا التي تهمّ المسلمين في تلك البلاد .

٥ ـ الزيارات المتبادلة التي تزيد من الأُلفة ، وتقوّي رابطة المحبّة .

٦ ـ تبادل المراجع العلمية والكتب النافعة ؛ ليطّلع كلّ طرف على فقه الطرف الآخر ، ويجد حلولاً لبعض المشكلات العارضة .

تلك هي خطوات جادّة على الطريق ، وسيتبعها بمشيئة الله تعالى خطوات أُخرى تزيد من تلاحمنا وتعاوننا » .

محمّد الكتّاني

محمّد الكتّاني : أديب ، عالم ، مجاهد مصلح .

يعدّ من أبرز المجاهدين الذين حاربوا الاستعمار الفرنسي في المغرب ، وممّن تعرّض للسجن من قبل المستعمرين قبل استقلال المغرب من قبضتهم . كما يعدّ من روّاد الحركة الإسلامية التي كان من أبرز رموزها علّال الفاسي وعبدالحميد بن باديس وغيرهما من رجال الإصلاح والفكر الأصيل .

وفضلاً عن ذلك كان من جملة المتخصّصين في التراث العربي والإسلامي ، وبصفة خاصّة ما يتعلّق بالتراث الأندلسي ، وله عدّة دراسات قيّمة في هذا المجال .

وهو عضو أكاديمية المملكة المغربية ، وأُستاذ بجامعة محمّد الخامس وجامعة القرويّين ، وعضو المجلس العلمي بفاس ، وعميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان .

توفّي عام ١٩٩١ م تاركاً بعض المؤلّفات ، منها : محمّد إقبال مفكّراً إسلامياً ، المسلمون وإشكالية الوحدة ، من المنظور الإسلامي ، دراسة المؤلّفات : في الأدب الجاهلي ـ حديث

الأربعاء ـ ساعات بين الكتب ـ الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، دراسة المؤلّفات الجديدة (بالاشتراك). كما قام بتحقيق كتاب «روضة التعريف بالحبّ الشريف» للسان الدين بن الخطيب.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢١٠ ـ ٢١١، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٧٦ ـ ١٧٧).

محمّد الكرمي

الشيخ محمّد بن محمّد طه بن نصر الله بن حسين الخفّاجي الكرمي الحويزي: عالم، أديب، شاعر، داعية وحدة.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٩٢٢م، ونشأ على والده العالم الأديب، وقرأ مقدّماته الأوّلية في الأدب والعلوم الشرعية على: أبيه، والشيخ حسين زايرادهام، والسيّد محمّد البغدادي.

وبعد أن نال قسطاً من العلم والأدب هاجر إلى مدينة قم سنة ١٣٦٠ هـ وتوطّنها، وحضر فيها الأبحاث العالية على: السيّد محمّد تقي الخوانساري، والسيّد صدرالدين الصدر، والسيّد محمّد الحجّة الكوهكري، والسيّد حسين البروجردي.

رشّح نفسه لتمثيل الروحانيّين في البرلمان الايراني، وحاز على ثقة الناخبين، وكان مثار إعجاب أهل الفضل والعلماء.

نشر شعره ومقالاته القيّمة في الصحف العربية.

من مؤلّفاته: الأعمال الأربعة للحساب، التحفة المحمّدية، حساب المواريث، الحياة الروحية، طريق الوصول إلى تحقيق كفاية الأُصول، عواطف ثائرة، مدنية العصر الحاضر، نتائج الفكر في شرح الباب الحادي عشر، الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، نهج البلاغة.. معارفه وفنونه، بحوث وآراء، القول الجامع في تحرير الشرائع، التفسير لكتاب الله المنير، إتحاف الطالب في حلّ عقدة المكاسب، أسنىٰ المغانم في شرح المعالم، شرح الدروس الشرعية، الهداية إلى توضيح الكفاية، قصص الأنبياء عليهم السلام، التقريب إلى

حواشي التهذيب (في علم المنطق)، ديوان شعر، الفجر الصادق.

كتبت مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بمصر ـ وذلك في إحدىٰ أعدادها ـ تقول: «وكتب إلينا حضرة الأُستاذ الفاضل الشيخ محمّد الكرمي نزيل قم ـ حوزتها العلمية ـ كتاباً جاء فيه:

من الآمال الصالحة التي يزويها دماغ المسلم الحرّ والمؤمن الصريح أن تتكوّن رابطة ثقافية منصفة، تدعو إلى الوحدة الحقّة والانضواء تحت راية الإيمان والإسلام، وذلك ما تدّعيه جماعة التقريب لأنفسها. ولكن هل يمكن لَمّ هذه الفرق المتشعّبة الرامية ـ كما يزعم كلّ منها ـ إلى الإسلام أوّلاً؟ وهل تستطيع جماعة دار التقريب بخاصّ أنفسها لمّ هذا الشعث بعد إمكانه ثانياً؟ وهل تقوم هذه الوسائل التي اتّخذها الجماعة في سبيل مرامهم بواجبات ما يلزم في هذه الوحدة ثالثاً؟ فهذه ثلاث نقاط يجب أن يشرحها البحث..

فأمّا مسألة إمكان هذا التوحيد بصورة دقيقة جداً بحيث يستطاع ملاشاة كلّ فارق بين هذه الفرق بالبرهان القاطع والدليل أوّلاً، وإخماد ثائرة العصبيات من التدخّل في العقائد ثانياً، وجمع العقول والقلوب على نقطة واحدة لا اختلاف فيها ولا خلاف ثالثاً، فذلك من المستحيلات العادية حتماً، والمنازع في هذه المرحلة مكابر بلا شبهة.

نعم، إمكان توحيد الأصوات المتباينة في دعاية كلّ منها لخاصّة نفسه إلى صوت واحد يدعو إلى الإسلام والإيمان بكتابه وسنّته الصحيحة ونظمه المتلقّاة من صاحب الدعوة على يد أجياله وسلسلة رجاله الثقات، فذلك له حظّ من الصحّة والقبول، ولكن يحتاج إلى قطع عقبات ليست بقليلة المؤنة من كلّ شيء.

وأمّا مسألة جماعة دار التقريب واستطاعتهم بخاصّ أنفسهم إلى رتق هذا الفتق فمن غير ذمّ لهم ولا انتقاد لأقلّ رجل فيهم ـ يشهد الله ـ لا يستطيعون النهوض بهذا العبء، ما لم يستدعوا رؤوس الفرق المهمّة وأهل الحلّ والعقد والعلم والعمل منهم إلى مشاطرتهم في هذا الموضوع الرهيب، والتوسّل إلى حضورهم في هذا المقام بكلّ وسيلة تستطاع. فإنّ لأصواتهم أثراً عميقاً في قلوب أتباعهم. لا تستطيع جماعة التقريب بمحض رسالتها هذه ـ

وإن كانت قيّمة ـ أن تبلغه.

وأمّا مسألة الوسائل التي اتّخذوها لمثل مشروعهم هذا ففيها مواقع للنظر:

أمّا أوّلاً: فيجب أن تكون مجلّتها ذات وضع خاصّ يلائم روح دعوتها، فلا يبحث فيها عن الموضوعات التي لا تتّصل بمهمّتها.

وأمّا ثانياً: فمن اللازم على أعضاء دار التقريب أن يعنوتوا الفوارق بين المذاهب، ويبحثوا عنها صحّةً وبطلاناً، ويبيّنوا هل يليق أن تكون حاجزاً بين قبيل وقبيل من المسلمين أو لا، مع مراعاة كمال الأدب، كما هو ديدنهم.

وأمّا ثالثاً: فيجب على هيئتها التحريرية القضاء تأييداً وتفنيداً تحت كلّ مقال تنشره في المذاهب حتّى يستبين الحقّ لطالبه.

ومن الطريف جدّاً أنّا نرى كثيراً من الناس يحبّذون طريقة التقريب وسعي جماعته ويتظاهرون بالوقوف في مصافّ أهله، ولكن من دون أن يتزحزحوا عن عقائدهم ومشاربهم وعصبياتهم قدر إصبع!

وأمّا رابعاً: فقد بلغني أنّ سنّة هذه المجلّة أربعة أشهر، وهذه المدّة قليلة جدّاً في حقّ دار التقريب، فإنّها في حاجة ماسّة إلى نشر منوياتها عاجلاً، وعلى اتّصال، حتّى ينتبه من صرعه سكر الغفلة، ويهتدي بتعاليمها القيّمة من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

هذه رسالتي، أُقدّمها إلى «رسالة الإسلام» مع كمال الإخلاص لها ولدعوتها ولرجالها الأحرار، راجياً إمعان النظر فيها والقضاء بالإنصاف.

[جواب] «رسالة الإسلام»: نشكر الأُستاذ الفاضل على غيرته، ولا شكّ أنّ المرتقى صعب، ولكنّه يسير لو تآلفت القلوب وخلصت النيات، أمّا ما عسى أن يكون من نقص يراه الأُستاذ في بعض وسائلنا فلله الكمال وحده، والتدرّج كفيل بالإحسان لمن اجتهد، ولعلّ الأُستاذ يجد في كلمة التحرير بهذا العدد ما يرضيه، والله المستعان».

(انظر ترجمته في: الذريعة ١٢: ٢١٥ و١٣: ١٢٣ و٢٤: ٤٦ و٢٦: ٢٨٦، شعراء الغري ١١: ١٣٥ ـ ١٥٦، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٠٧٥ ـ ١٠٧٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٩٧، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٢٣٠).

محمّد كمال الدين إمام

محمّد كمال الدين إمام: رئيس قسم الشريعة الإسلامية في كلّية الحقوق بجامعة الإسكندرية، وأُستاذ مصري مرموق.

ولد في إسنا – قنا بمصر، وحصل على درجة الليسانس في الحقوق دور يناير ١٩٦٩ م من كلّية الحقوق بجامعة الإسكندرية، و على دبلوم الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية من كلّية الحقوق بجامعة الإسكندرية دور مايو ١٩٧٣ م بتقدير جيّد، وعلى دبلوم الدراسات العليا في القانون العامّ من كلّية الحقوق بجامعة عين شمس دور يونيه ١٩٧٦ م بتقدير مقبول. وعلى درجة الدكتوراه في الحقوق بتاريخ ٣١/٨/١٩٨٣ م بتقدير جيّد جدّاً مع مرتبة الشرف من كلّية الحقوق ـ جامعة الإسكندرية.

عيّن أُستاذاً مساعداً بكلّية الدراسات العربية ـ جامعة المنيا اعتباراً من ٢٩ / ٤ / ١٩٩١ م، ونقل إلى مثل وظيفته بقسم الشريعة الإسلامية بكلّية الحقوق ـ جامعة الإسكندرية بموافقة مجلس جامعة الإسكندرية المنعقد في ٣١/٨/١٩٩٣م، وتسلّم العمل بالكلّية اعتباراً من ٦/٩/١٩٩٣م.

يقول في ورقة عمل قدّمها إلى مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية المنعقد بتاريخ ٢٠/يناير/٢٠٠٧ م: «لا نريد أن نتخفّى وراء شعار التقريب لنهوّن من شأن الخلاف ونقلّل من خطورة التعصّب المذهبي، ولا نريد أيضاً أن نتكي على العوامل الخارجية لتفسير خلاف اتّسعت شقّته وامتدّ قروناً تكاد تستوعب تاريخ الإسلام كلّه! فالخلاف بين الشيعة والسنّة أمر واقع، والخلاف بين الشيعة والشيعة أمر واقع، والخلاف بين السنّة والسنة أمر واقع، وهو في جانب منه مركوز في بنية معرفية اعتبرت من الدين، أو في ذهنية ثقافية «شخصنت» الفقه بقدر بعدها عن الأدلّة. ولا يتعلّق الأمر بقضية «إمامة» مغلوبة أو خلافة مغصوبة. فقد غابت الإمامة، وسقطت الخلافة، وبقي النزاع على أشدّه! وكلّما تفاقم الاستبداد وتأزّمت شؤون الدنيا والدين في المجتمع انتفض من كلّ فرقة عدد قليل من فقهاء العقل في محاولة لرأب الصدع ولمّ الشمل، وسرعان ما ينفرط العقد، ويعود

كلّ فريق إلى معسكره ليحتمي بمشاهد زائفة وعصبية لا يبقي ضيق صدرها مكاناً للحوار! وهي حالة يصفها باقتدار العلّامة محمود شلتوت في كتابه «مقارنة المذاهب» الصادر عام ١٩٣٦م، يقول: «إنّ المتأخّرين حينما تحكّمت فيهم روح الخلاف وملكتهم العصبية المذهبية راحوا يضعون من القوانين ما يمنع الناس من الخروج عن مذاهبهم، وانتقلت المذاهب بهذا الوضع عن أن تكون أفهاماً يصحّ أن تناقش فترد أو تقبل إلى التزامات دينية لا يجوز لمن نشأ فيها أن يخالفها أو يعتنق غيرها، وحرّموا بذلك النظر في كتاب الله وسنّة رسوله، أو حرموا العمل بثمرة النظر فيهما، ونشأ عن ذلك أن فترت الهمم، ووقف الفقه الاسلامي، واشتغل علماء المذاهب بالانتصارات المذهبية، واختصار المطوّلات، وشرح المختصرات.. وهكذا حرم الناس الفقه، وحرموا ملكة الفقه. وقد وصل الانغلاق الفقهي مداه عندما يرد في باب «التعزير» من كتاب «الدرّ المختار» ـ والأصل في الأحناف أنّهم عقليّون ـ أنّ من ارتحل إلى مذهب الشافعي يعزّز. ويرد في باب «الترجيح» في كتب الأُصول عند الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً أنّه عندما تتعذّر أدوات الترجيح أمام الفقيه يرجّح بمخالفة «العامّة»، أي: أهل السنّة!».

إنّ المسألة الفقهية في باب الخلاف أعمق من كونها تنوّعاً في الفروع لتصبح بنية معرفية تنتهي إلى ما أسماه الشيخ أبو زهرة بالافتراق النفسي، فقد كانت كلّ طائفة تحسب نفسها مسلمين منفصلين عن الآخرين، وكلّ فرقة تحسب أنّ أتباعها وحدهم هم المسلمون.

إنّ تلاقي الأكفاء لا يبدأ بشعار توحيدي أو بكلمة ترحيب تزكّي شخصاً أو تمدح فكرة، إنّه تعامل مع الجذور بإعلان خرائط جديدة، يتمّ فيها حذف التشوّهات، وتبرئة الساحة من خطاب الإدانة الذي يعتبر التراشق باللعنات من مقام الرضا، وتحريرنا من شطحات الغلاة، ومن تمرّد المتطرّفين في أيّ جانب.. وتلك مهمّة صعبة تحتاج إلى أُولي العزم من النخبة المفكّرة، وتحتاج إلى تكوين نفسي خاصّ، وإلى تحصيل علمي صحيح ورحب.

وليس مهمّاً أن نجلس دائماً على كرسي الاعتراف ، فالمعاصي ـ كما يقول أحد أئمّة آل البيت ـ ليس لها رائحة ، وهذا يفتح الأبواب على مصاريعها لتصحيح المسار ، وتجفيف منابع الخوف والقنوط ، والقضاء على مصادر التوهين والتفريق والتشهير ؛ لنقود أنفسنا إلى وحدة أصبحت بالنسبة لنا من ضرورات الدين والدنيا ، قبل أن تطوى صفحتنا تحت وهم قيادة العالم! » .

محمّد كمال الدين السنانيري

محمّد كمال الدين بن محمّد علي السنانيري : الداعية ، المجاهد ، الصابر ، الزاهد ، الشهيد .

سجن في مصر أكثر من عشرين عاماً ، وانتقل إلى ميدان الجهاد في أفغانستان ضدّ الروس ، والذي أعطاه جهده وطاقته ، وبذل أقصى ما يستطيع لدعمه ورفده ، وإصلاح ذات البين بين قادته الذين أحبّوه جميعاً . وكانت له جولات في البلاد العربية والإسلامية . وبعد عودته من أفغانستان إلى بلده ، اعتُقل وصُبّ عليه العذاب لمعرفة دوره في الجهاد الأفغاني ودور من معه ، ولكن استعصى عليهم ذلك ، فظلّوا يعذّبونه حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة ، ولقي ربّه شهيداً في الثامن من شهر كانون الأوّل سنة ١٩٨١م .

ولد في الحادي عشر من آذار سنة ١٩١٨م ، وفي عام ١٩٣٤ م حصل على الثانوية العامّة ، والتحق بوزارة الصحّة في قسم مكافحة الملاريا .

في عام ١٩٣٨م ترك العمل في الصحّة ، وأراد الالتحاق بإحدى الجامعات الأميركية لدراسة الصيدلة للعمل في صيدلية الاستقلال التي يملكها والده ، إلّا أنّ أحد علماء الدين أقنعه بعدم السفر إلى أمريكا ، بعد أن هيّأ حقيبة السفر وباع أثاث بيته واتّجه إلى الإسكندرية لركوب الباخرة المتّجهة إلى هناك .

انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين في أوائل الأربعينات ، وتزوّج قبل اعتقاله ، ورزقه الله ببنت . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية عمل في ميناء شبه حربي كانت تنزل فيه معدّات جيوش الحلفاء وتمويناتهم . واسم هذا الميناء «أبو سلطان» . وكان من ضمن

المعتقلين في عام ١٩٥٤م (اعتُقل في الشهر العاشر)، وحكمت عليه المحكمة التي أنشأها عبدالناصر بالسجن، فتوفّيت ابنته بعد الحكم عليه بشهر، وسعى أهل زوجته ليطلّقها، فطلّقها وهو في السجن الذي أمضى فيه كامل الحكم، حتّى أُفرج عنه في شهر يناير سنة ١٩٧٣م.

أُصيبت أُذنه بأذى من شدّة التعذيب، فنقل إلى مستشفى القصر العيني، وكان يحمد الله بعد خروجه من السجن؛ لأنّه صار يسمع بأُذنه المصابة أفضل ممّا يسمع بأُذنه السليمة!

ومن شدّة التعذيب الذي لاقاه في السجن أنّ شقيقاً لزوجته السابقة أُصيب بالذهول من فظائع التعذيب حتّى جُنّ ونقل إلى مستشفى الأمراض العصبية!

في فترة سجنه عقد قرانه على شقيقة المفكر الإسلامي سيّد قطب «أمينة»، وتزوّج بها بعد خروجه من السجن في عام ١٩٧٣م، ولم يرزق منها بأطفال.

لم يكن يميل إلى الاستقرار في مكان واحد، وكان حبّه لدعوته يجعله كثير التنقّل والأسفار، ولهذا لم يقتنِ شقّة وأثاث بيت، يقيم أحياناً عند شقيقته الكبرىٰ الأرملة التي قلّما كانت تبقى في بيتها لزياراتها إلى الأهل وأفراد الأُسرة. وكانت شقّة أُخته قريبة من إدارة تحرير مجلّة «الدعوة» في عابدين.

كان بطبعه لا يحبّ المظهرية، ويميل إلى البساطة.. يرتدي القميص والبنطال، ويطلق لحيته، ويحبّ البسطاء من الناس.. يعظهم ويجمعهم حول عقيدتهم نقية من البدع والشوائب.

حاولت أُمّه أن تقنعه بكتابة رسالة استعطاف للحاكم، فأبىٰ ذلك، وحذّر أهله أن يكتبوا هكذا رسالة، وقال لوالدته: «كيف يكون موقفي بين يدي الله إذا أرسلت هذه الرسالة وقبضت الليلة؟! أأموت على الشرك؟!».

وكانت والدته وشقيقته الكبرىٰ تواظبان على حضور جلسات محاكمته في عام ١٩٥٤م، وفي الجلسة الأُولى لم تتعرّف عليه والدته؛ لما أصابه من التعذيب! فسألت ابنتها: «أين أخوك»؟! فقالت لها: «الذي في القفص»، فردّت عليها الأُمّ: «لا يا بنتي، أنا (عبيطة)

حتّى لا أعرفه »! وكان ظهر وقد نحف جسمه حتّى باتت ثيابه فضفاضة عليه، وحلقوا شعر رأسه، وكسروا فكّه حتّى تغيّر كلامه، وبقيت والدته في تلك الجلسة مصرّة على أنّ هذا ليس ابنها كمالاً!

وكان زاهداً في الحياة، يقوم الليل، ويصوم الأيّام الطويلة (يصوم يوماً ويفطر يوماً) وعاش في السجون لا يلبس إلّا الثياب الخشنة، وحتّى الثياب الداخلية التي كان لكلّ سجين حقّ شرائها من مقصف السجن يرفضها.. ليعيش متجرّداً من كلّ ما يعتبره ضابط السجن منّة توهب للسجين ترغيباً، أو يحرم منها ترهيباً.. ورجل هذه حياته وهذا زهده لم يكن غريباً أن يأبى ما يطلبه منه ضبّاط السجن وضبّاط المباحث طوال مدّة سجنه من تأييد نظام حكم عبدالناصر.. ولم يكن يشكّل صموده في هذا الموقف صراعاً نفسياً يدعوه إلى الحفاظ على زوجته الأُولى حين امتدّت به الأيّام وثقلت بها تبعات الأعوام، فقد كان يرى - مع ذلك - أنّ الإبقاء على ربّه أغلى من الإبقاء على بيته.

وكتب في وصفه المستشار عبدالله العقيل - وقد عرفه عن قرب - فقال: «هو الأخ الحبيب والخلّ الوفي، والتقي الورع، المسلم الصادق، والداعية المجاهد، والمؤمن الصابر، والرجل الصلب، المعدن النفيس، العامل بصمت، الصوّام القوّام، التالي الذاكر، الذي ضرب أروع الأمثلة في الثبات على الأمر، والجرأة في الحقّ، والصبر على البلاء، فكان المثل لإخوانه الدعاة داخل السجون. كان السنانيري التلميذ الوفي لمبادئ شيخه وأُستاذه الإمام الشهيد حسن البنّا، والذي وعى الدرس من أوّل مرّة، وأدرك بأنّ طريق الدعوة محفوف بالمخاطر مليء بالأشواك؛ لأنّه الطريق إلى الجنّة المحفوفة بالمكاره.. لقد كان يردّد على ظهر قلب ما كتبه الشيخ لتلاميذه حيث قال: سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام أمامكم، وسيحاربكم العلماء الرسميّون السائرون في ركاب السلطة، وستحاول كلّ حكومة أن تحدّ من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم، وستستعين بذوي النفوس الضعيفة والقلوب المريضة والأيدي الممتدّة إليها بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان، فتسجنون وتعتقلون وتشرّدون، وتفتش بيوتكم، وتصادر مصالحكم، ويروّع أطفالكم، وتنهب أموالكم، وتثار

ضدّكم الاتّهامات الظالمة والافتراءات الكاذبة ؛ لتشويه سمعتكم ، والنيل من أقداركم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان ، وعند ذلك فقط تكونون قد بدأتم تسلكون طريق أصحاب الدعوات ... إلخ . وكان الأُستاذ السنانيري يترجم هذا الكلام إلى واقع حي مشاهد ، عاشه هو وإخوانه قرابة ربع قرن في غياهب السجون وظلمات الزنازين وتحت سياط الجلّادين » .

ووصفه حسن الهضيبي بقوله : « تقديري لكمال ؛ لأنّه رجل بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنىً » .

وكثيراً ما كان يتنقّل من بلد إلى بلد آخر ؛ لجمع كلمة المسلمين في أوروبّا ، أو لتوحيد صفوف المجاهدين في أفغانستان ضدّ الزحف الأحمر ، كما سبق .

قبض عليه في أوائل سبتمبر عام ١٩٨١م عقب عودته من واشنطن مباشرة ، وسقط شهيداً بيد جلّاديه تحت التعذيب يحاولون انتزاع ما يرضيهم من الطعن في الجماعات الإسلامية ، ولكنّه استمرّ يقول : « إنّ السادات قد فتح قبره بيديه بتوقيعه معاهدة الذلّ (كامب ديفيد) التي تقضي بتسليم رقاب الشعب المصري المسلم لإسرائيل وأمريكا ، وبافترائه على الإسلام ودعاته » . وقد اشترط قتلته لاستلام جسده أن يدفن بغير عزاء ولا تشييع ، وهكذا كان!

وإذا كان رثاء الزوجات لأزواجهنّ نادراً في الشعر ، فقد رثته زوجته أمينة قطب في أكثر من قصيدة ، وكان لها قصيدة حزينة مؤثّرة في ذكرى كلّ سنة بعد استشهاده ، وعلى مدى سنوات طويلة نشرت في مجلّة « المجتمع الكويتية » ، ولو أنّها جمعت في ديوان لكان حدثاً في دنيا الشعر المعاصر ، على حدّ تعبير أحد المؤلّفين .

وكان أوّل تلك القصائد بعد استشهاده :

ما عدتُ أنتظر الرجوع ولا مواعيد المساء

ما عدتُ أحفلُ بالقطار يعود موفور الرجاء

مـا عـاد كـلب الحـي يـزعجني بـصوت أو عـواء
وأخـاف أن يـلقاك مـهتاجاً يـزمجر فـي غـباء
مـا عـدتُ أنـتظر المـجيء أو الحـديث ولا اللـقاء
مـا عـدتُ أرقب وقـع خـطوك مـقبلاً بـعد انـتهاء
وأُضـيءُ نـور السـلّم المشـتاق يـسعد بـارتقاء
مـا عـدتُ أهـرع حـين تـقبل بـاسماً رغـم العـناء
ويـضيء بـيتي بـالتحيّات المشـعّة بـالبهاء
ونـعيد تـعداد الدقـائق كـيف وافـانا المسـاء
ويـنامُ جـفني مـطمئناً لا يـؤرّقه بـلاء
ما عاد يطرق مسمعي في الصبح صوتك فـي دعـاء
ما عاد يرهف مسمعي صـوت المـؤذّن فـي فـضاء
وإذا بـفجري فـي غـيابك يسـتحيل إلى بكـاء
مـا عـاد قـلبي يسـتجيب لأُمـنيات أو رجـاء
مـا عـادت الأيّـام تشـرق أو تـوسوس بـالهناء
فـقد انـطوت فـي وهـدة لرحـيل عـطف واحـتواء
وتـركتني أهـوي مـع الأيّـام فـي صـمت الشـتاء
وأُسـائل الدنـيا : ألا مـن سـامع مـنّي نـداء
أتـراه ذاك الشـوق للـجنّات أو حبّ السـماء
أتـراه ذاك الوعـد عـند الله هـل حـان الوفـاء
فـمضيت كـالمشتاق كـالولهان حـبّاً للـنداء
وهـل التـقيت هـناك بـالأحباب مـا لون اللـقاء
في حضرة الديّان في الفـردوس فـي فـيض العـطاء

أبـــدار حــقّ قــد تــجمّعتم بــأمن واحــتماء
إن كــان ذاك فـمرحـباً بـالموت مـرحـى بـالدماء

ولســـوف ألقــاكـــم هــناك وتـختفي دار الشـقاء
ولســـوف ألقـــاكـــم أجـل، وعـد يـصدقه الوفـاء

ونـــــثاب أيّـــــاماً قـــضيناها دمـــوعاًوابـتلاء
وســنحتمي بـــالخلد لا نـخشى فــراقـاً أو فـناء

(انظر ترجمته في: عظماء الإسلام: ٢٩٦، تتمّة الأعلام ٢: ٢١١ ـ ٢١٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٠٩ ـ ٢١١١).

محمّد مأمون الشنّاوي

محمّد مأمون سيّد أحمد الشنّاوي: شيخ الجامع الأزهر، وأحد المصلحين.

ولد عام ١٨٨٥ م، وحفظ القرآن الكريم في قريته وهو في الثانية عشرة من عمره، وأرسله والده إلى الأزهر الشريف بالقاهرة يطلب العلم، فعاش عيشة طلّاب الأزهر، يوجّهه أخوه الأكبر الشيخ السيّد الشنّاوي الذي كان قد سبقه بسنوات إلى المجاورة في الأزهر.

وكاد الشيخ محمّد مأمون يسأم من حياته في الأزهر، وينقطع عن الدراسة، ويترك التعليم، ويعيش في قريته فلّاحاً يزرع الأرض، لولا أنّ والده أخبره أنّه رأى في نومه حلماً يدلّ على أنّه سيكون له ولدان عالمان، فاستبشر محمّد مأمون بهذه الرؤيا وعاد إلى الأزهر، وواصل الدراسة حتّى كان موضع إعجاب شيوخه وأساتذته، وفي طليعتهم الأُستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي.

وتقدّم الشاب الشيخ محمّد مأمون لامتحان العالمية، ولكنّه كان قد سبقته وشايات بعض الطلّاب إلى أساتذته بأنّه يتناولهم بالنقد، وأنّه شاعر، إلى غير ذلك، فأخذ أعضاء اللجنة يتحدّونه وهو يتحدّاهم... وكان الشيخ أبو الفضل الجيزاوي أحد الأعضاء، ولكنّه لم يكن يعرف شيئاً عن الوشايات التي بلغت زملاءه، ورأى هذا العالم الصغير الشاب جديراً بلقب «عالم»، بل مثالاً لإخوانه في سلامة الفهم وسعة المحصول العلمي، فدافع عنه ونال

شهادة العالمية عام ١٩٠٦م.. وممّا يذكر أنّه ـ وهو يتأهب لامتحان العالمية ـ أصابه إجهاد شديد من كثرة المذاكرة، فذهب إلى عالم صالح من أولياء الله يستفتيه في أمره، فبشّره هذا الولي بأنّه سيكون عالماً فاضلاً، فقاضياً عادلاً، فإماماً نبيلاً، فرئيساً جليلاً، فشيخاً كبيراً.. وتحقّقت النبوءة على مرّ الأيّام!

عيّن مدرّساً بمعهد الإسكندرية الديني بعد تخرّجه من الأزهر، ثمّ اختير عام ١٩١٧م قاضياً شرعياً بعد أن طارت شهرته وذاع صيته، وضرب أحسن الأمثال في جلال الخلق وسعة الأفق وطول الباع في الإلمام بأسرار علوم الشريعة والدين.

واختير محمّد مأمون الشنّاوي إماماً (للسراي) ثقة بعلمه وخلقه ودينه وفضله، فكان موضع التقدير والإجلال من الجميع. وفي عام ١٩٣٠ م صدر قانون تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية في عهد شيخه الشيخ الأحمدي الظواهري، وأُنشئت الكلّيات الأزهرية الثلاث: الشريعة واللغة وأصول الدين، على نظام جامعي راقٍ، فاختير ثلاثة من كبار رجال الدين لتولّي مشيخة الكلّيات الثلاث، وهم: الشيخ محمّد مأمون الشنّاوي الذي تولّى مشيخة كلّية الشريعة، والأُستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ معهد الزقازيق الديني حينذاك وقد تولّى مشيخة كلّية اللغة العربية، والشيخ عبدالمجيد اللبّان شيخ القسم العامّ بالأزهر الشريف الذي تولّى مشيخة كلّية أُصول الدين. وكان للشيخ مأمون آثار جليلة في التوجيه العلمي والديني للأساتذة والطلّاب.

ولمّا افتتحت كلّية الشريعة بالأزهر بتاريخ ١٩٣٣/٣/٢٩ م ألقى الشيخ محمّد مأمون كلمة قيّمة في حفلة الافتتاح صوّر فيها سير النهضة العلمية والدينية في الأزهر عامّة وفي كلّية الشريعة خاصّة.

وفي عام ١٩٣٤ م منح الشيخ محمّد مأمون الشنّاوي عضوية جماعة كبار العلماء، ثمّ اختير وكيلاً للأزهر بعد ذلك بعشر سنوات عام ١٩٤٤م، وفي عهد وكالته للأزهر فاض الخير على العلماء، وشملهم الإنصاف، وسارت الأُمور في الأزهر في مجراها الطبيعي. كما تولّى منصب رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

وفي عام ١٩٤٥م توفّي شيخ الأزهر الشريف الشيخ محمّد مصطفى المراغي، وأُريد اختيار خلف له، وكان من الطبيعي أن يعيّن في منصب المشيخة وكيل الأزهر أو أحد كبار علماء الأزهر الشريف وفي مقدّمتهم الشيخ إبراهيم حمروش ومفتي الديار حينذاك الشيخ عبد المجيد سليم، ولكن الحكومة في عهد النقراشي أصرّت على تعيين الشيخ مصطفى عبدالرزّاق في منصب المشيخة الجليلة، فقدّم الشيخ مأمون استقالته من وكالة الأزهر، كما قدّم الشيخ إبراهيم حمروش استقالته من كلّيّة الشريعة، والشيخ عبدالمجيد سليم استقالته من الإفتاء، وذلك بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٥م.

وأصدر كبار الشيوخ ـ وفي مقدّمتهم الشيخ الشنّاوي ـ بعد ذلك بيومين بياناً تاريخياً للأُمّة الإسلامية عن الخلاف بين الأزهر الشريف والحكومة في شأن مشيخة الجامع الأزهر، إثر إقدام الحكومة على تعديل قانون الأزهر وتعيين الشيخ مصطفى عبدالرزّاق شيخاً للأزهر، وقد رفع هذا البيان إلى المسؤولين في ١٣/١٢/١٩٤٥م.

وفي تاريخ ١٨/يناير/١٩٤٨م عيّن الشيخ محمّد مأمون الشنّاوي شيخاً للأزهر الشريف بعد شيخه مصطفى عبدالرزّاق.

وللشيخ الشنّاوي مآثر خالدة على الأزهر في عهد مشيخته..

ففي عهده أُنشِئ معهد محمّد علي الديني بالمنصورة ومعهد منوف، وأُنشئت الوحدة الصحّيّة للأزهر، وضمّ معهد المنيا وجرجا وسمنود إلى الأزهر، وزادت البعوث الإسلامية إلى الأزهر، كما زادت بعثات الأزهر إلى البلاد العربية والإسلامية.

وفي عهده أُلغي البغاء الرسمي، وجعل الدين مادّة أساسية في المدارس، وحوربت الفوضى الخلقية والاجتماعية والصور الخليعة، وحدّدت الخمور في المحلّات العامّة.

وفي عهده نقلت كلّيّة اللغة من الصليبية إلى البراموني، ونقلت كلّيّة الشريعة إلى المباني الجديدة للجامعة الأزهرية، واشترك الأزهر في المؤتمر الثقافي العربي، وتمّت أماني كلّيّة اللغة في المساواة بينها وبين معاهد اللغة العربية المختلفة، وارتفعت ميزانية الأزهر، وقضي على الفتن المختلفة فيه، إلى غير ذلك من جلائل الأعمال.

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال توفّي الشيخ الشنّاوي عام ١٩٥٠م بالإسماعيلية بالتهاب رئوي، وأبّنته الصحف في العالم العربي والغربي في حسرة ولوعة وتقدير.

وفي ذلك تقول جريدة «المصري» عدد ٥ /سبتمبر / ١٩٥٠م: «فجعت مصر بل العالم الإسلامي كلّه أمس بوفاة المغفور له الأُستاذ الأكبر محمّد مأمون الشنّاوي شيخ الجامع الأزهر.. وقد خسر العالم الإسلامي بوفاته عالماً ثبتاً وحجّة قوية، وفقدت مصر فيه الورع والتقوى والبرّ والخير والإخلاص لدين الله، وفقد الأزهر فيه كبير علمائه وشيخاً من أخلص شيوخه.. ظلّ يعمل لخيره، ويواصل السعي لتحقيق رسالته بين ربوع العالم الإسلامي، ولم يقعد به المرض أو النصب يوماً عن مواصلة سعيه وصرف اهتمامه إليه. فقد ساس شؤون الأزهر، وعمل على تقوية ما بينه وبين العالم الإسلامي من روابط، فأوفد البعوث الإسلامية المختلفة إلى ربوع العالم الإسلامي، تنشر مبادئ الإسلام والثقافة الإسلامية، وتقرّب ما بين المسلمين، وتعمل على إزالة الفرقة والخلاف بينهم. وزيادة في تقوية الروابط بين البلاد الإسلامية أرسل فضيلته بعثة إلى إنجلترا لدراسة اللغة الإنجليزية؛ لإرسال أعضائها إلى البلاد العربية الإسلامية التي لا تجيد التخاطب باللغة العربية. ولم يكتف فضيلته بذلك، بل عني أيضاً بربط الجامع الأزهر بجميع المعاهد الإسلامية في بقاع الأرض، فاهتمّ بشؤون التعليم في الباكستان والهند والملايو وأندونيسيا وأفريقيا الجنوبية. وإلى جوار هذا وذاك عمل على التمكين لأبناء المسلمين بطلب العلم في الأزهر وفتح أبوابه للوافدين، حتّى بلغت البعوث الإسلامية في عهده ما يزيد على ألفي طالب، خصّصت لهم أماكن الدراسة والمسكن اللائق...».

يقول عنه الدكتور محمّد عبدالمنعم الخفاجي: «لقد كان (رحمه الله وطيّب ثراه) كريم الخلق، نبيل النفس، رائعاً في وقاره وهيبته وسمته وصلاحه وورعه وزهده، ذا شخصية قوية بارزة. وكان موضع المهابة من الجميع، يجلّونه ويحترمونه ويرجعون إليه يستفتونه.. كان موثوقاً بعلمه ورأيه، واسع الثقافة، كثير الاطّلاع. اشترك في كلّ الأعمال التي كانت

تبذل لإصلاح الأزهر وتنظيمه في الربع الثاني من القرن العشرين».

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ١: ٢٩٦ ـ ٣٠٥ و٢: ٣٨١ ـ ٣٨٢، الأعلام للزركلي ٧: ١٧، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي: ١٥١ ـ ١٥٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧٩٦ ـ ٧٩٧، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٤١٦).

محمّد متولّي الشعراوي

محمّد متولّي الشعراوي: مفكّر إسلامي شهير.

ولد في ١٥ أبريل عام ١٩١١ م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، وهو من أُسرة شريفة يمتدّ نسبها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين. حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، وفي عام ١٩١٦ م التحق الشعراوي بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثمّ حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٢٣م، ودخل المعهد الثانوي، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظي بمكانة خاصّة بين زملائه، فاختاروه رئيساً لاتّحاد الطلبة، ورئيساً لجمعية الأُدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت: الدكتور محمّد عبدالمنعم خفّاجي، والشاعر طاهر أبو فاشا، والأُستاذ خالد محمّد خالد، والدكتور أحمد هيكل، والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون.

كانت نقطة تحوّل في حياة الشيخ الشعراوي عندما أراد له والده إلحاقه بالأزهر الشريف بالقاهرة، وكان الشعراوي يودّ أن يبقى مع إخوانه لزراعة الأرض، ولكن إصرار الوالد دفعه لاصطحابه إلى القاهرة ودفع المصروفات وتجهيز المكان للسكن. فما كان منه إلّا أن اشترط على والده أن يشتري له كمّيات من أُمّهات الكتب في التراث واللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، كنوع من التعجيز حتّى يرضى والده بعودته إلى القرية. لكن والده فطن إلى تلك الحيلة، واشترى له كلّ ما طلب قائلاً له: «أنا أعلم ـ يا بني ـ أنّ جميع هذه الكتب ليست مقرّرة عليك، ولكنّي آثرت شراءها لتزويدك بها كي تنهل من العلم». فما كان أمام الشيخ إلّا أن يطيع والده، ويتحدّى رغبته في العودة إلى

القرية، فأخذ يغترف من العلم، ويلتهم منه كلّ ما تقع عليه عيناه.

التحق الشعراوي بكلّيّة اللغة العربية سنة ١٩٣٧م، وانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، فثورة سنة ١٩١٩م اندلعت من الأزهر الشريف، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبّر عن سخط المصريّين ضدّ الإنجليز المحتلّين. ولم يكن معهد الزقازيق بعيداً عن قلعة الأزهر الشامخة في القاهرة، فكان الشيخ يزحف هو وزملائه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويلقي بالخطب، ممّا عرّضه للاعتقال أكثر من مرّة، وكان وقتها رئيساً لاتّحاد الطلبة سنة ١٩٣٤م.

تخرّج الشيخ عام ١٩٤٠م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م، وبعد تخرّجه عيّن الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق، ثمّ المعهد الديني بالإسكندرية، وبعد فترة خبرة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠م ليعمل أُستاذاً للشريعة بجامعة أُمّ القرى. وقد اضطرّ الشيخ الشعراوي أن يدرّس مادّة العقائد رغم تخصّصه أصلاً في اللغة، وهذا في حدّ ذاته يشكّل صعوبة كبيرة، إلّا أنّ الشيخ استطاع أن يثبت تفوّقه في تدريس هذه المادّة لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع، وعاد لمصر ليكن وكيلاً لمعهد طنطا سنة ١٩٦٠م، فمديراً بوزارة الأوقاف سنة ١٩٦١م، فمفتشاً للعلوم العربية في الأزهر عام ١٩٦٢م. وفي عام ١٩٦٣م حدث الخلاف بين الرئيس جمال عبدالناصر وبين الملك سعود، وعلى أثر ذلك منع الرئيس عبدالناصر الشيخ الشعراوي من العودة ثانية إلى السعودية، وعيّن في القاهرة مديراً لمكتب شيخ الأزهر الشريف الشيخ حسن مأمون، ثمّ سافر بعد ذلك الشيخ الشعراوي إلى الجزائر سنة ١٩٦٦م رئيساً لبعثة الأزهر هناك، ومكث بالجزائر حوالي سبع سنوات قضاها في التدريس، وأثناء وجوده في الجزائر حدثت نكسة حزيران ١٩٦٧م، وقد سجد الشعراوي شكراً لأقسى الهزائم العسكرية التي منيت بها مصر، وبرّر ذلك «في حرف التاء» في برنامج «من الألف إلى الياء» بأنّ مصر لم تنتصر وهي في أحضان الشيوعية، فلم يفتن المصريّون في دينهم.

وحين عاد الشعراوي إلى القاهرة عيّن مديراً لأوقاف محافظة الغربية فترة، ثمّ وكيلاً للدعوة والفكر، ثمّ وكيلاً للأزهر، ثمّ عاد ثانية إلى المملكة العربية السعودية، حيث قام بالتدريس في جامعة الملك عبدالعزيز سنة ١٩٧٠م، وغدا رئيساً لقسم الدراسات العليا فيها سنة ١٩٧٢م.

وفي نوفمبر سنة ١٩٧٦م اختار السيّد ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك أعضاء وزارته، وأسند إلى الشيخه الشعراوي وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر. فظلّ الشعراوي في الوزارة حتّى أُكتوبر عام ١٩٧٨م. كما اختير سنة ١٩٨٠م عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

وقد ترك بصمة طيّبة على جبين الحياة الاقتصادية في مصر، فهو أوّل من أصدر قراراً وزارياً بإنشاء أوّل بنك إسلامي في مصر، وهو بنك فيصل، حيث إنّ هذا من اختصاصات وزير الاقتصاد أو المالية (د. حامد السايح في تلك الفترة) الذي فوّضه ووافقه مجلس الشعب على ذلك.

وفي سنة ١٩٨٨م اختير عضواً بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين)، وقرّظه زملاؤه بما يليق به من كلمات، وجاء انضمامه بعد حصوله على أغلبية الأصوات (٤٠ عضواً).

تزوّج الشيخ الشعراوي وهو في الابتدائية بناءً على رغبة والده الذي اختار له زوجته، ووافق الشيخ على اختياره، وكان اختياراً طيّباً لم يتعبه في حياته، وأنجب الشعراوي ثلاثة أولاد وبنتين، الأولاد: سامي وعبدالرحيم وأحمد، والبنتان: فاطمة وصالحة. وكان الشيخ يرى أنّ أوّل عوامل نجاح الزواج هو الاختيار والقبول من الطرفين. وعن تربية أولاده يقول: «أهمّ شيء في التربية هو القدوة، فإن وجدت القدوة الصالحة سيأخذها الطفل تقليداً، وأيّ حركة عن سلوك سيّئ يمكن أن تهدم الكثير. فالطفل يجب أن يرى جيّداً، وهناك فرق بين أن يتعلّم الطفل وأن تربّي فيه مقوّمات الحياة. فالطفل إذا ما تحرّكت ملكاته وتهيّأت للاستقبال والوعي بما حوله، أي: إذا ما تهيّأت أُذنه للسمع، وعيناه للرؤية، وأنفه للشمّ، وأنامله للّمس، فيجب أن نراعي كلّ ملكاته بسلوكنا المؤدّب معه وأمامه، فنصون

أذنه عن كلّ لفظ قبيح، ونصون عينه عن كلّ مشهد قبيح. وإذا أردنا أن نربّي أولادنا تربية إسلامية فإنّ علينا أن نطبّق تعاليم الإسلام في أداء الواجبات وإتقان العمل، وأن نذهب للصلاة في مواقيتها، وحين نبدأ الأكل نبدأ باسم الله، وحين ننتهي منه نقول: الحمد لله.. فإذا رآنا الطفل ونحن نفعل ذلك فسوف يفعله هو الآخر حتّى وإن لم نتحدّث إليه في هذه الأمور، فالفعل أهمّ من الكلام».

منح الشعراوي وسام الاستحقاق من الدرجة الأُولى لمناسبة بلوغه سنّ التقاعد في ١٩٧٦/٤/١٥م قبل تعيينه وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر، كما منح وسام الجمهورية من الطبقة الأُولى عام ١٩٨٣م وعام ١٩٨٨م، ووسام في يوم الدعاة. وحصل على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعتي المنصورة والمنوفية.

اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة عضواً بالهيئة التأسيسية لمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنّة النبوية، والذي تنظّمه الرابطة، وعهدت إليه بترشيح من يراهم من المحكّمين في مختلف التخصّصات الشرعية والعلمية؛ لتقويم الأبحاث الواردة إلى المؤتمر. أُعدّت حوله عدّة رسائل جامعية وجعلته محافظة الدقهلية شخصية المهرجان الثقافي لعام ١٩٨٩م، والذي تعقده كلّ عام لتكريم أحد أبنائها البارزين، وأعلنت المحافظة عن مسابقة لنيل جوائز تقديرية وتشجيعية عن حياته وأعماله ودوره في الدعوة الإسلامية محلّياً ودولياً، ورصدت لها جوائز مالية ضخمة.

للشيخ الشعراوي عدد من المؤلّفات، منها: تفسير القرآن الكريم، الإسراء والمعراج، أسرار بسم الله الرحمن الرحيم، الإسلام والفكر المعاصر، الإسلام والمرأة، عقيدة ومنهج، الشورى والتشريع في الإسلام، الصلاة وأركان الإسلام، الطريق إلى الله، الفتاوى، لبيّك اللهمّ لبيّك، ١٠٠ سؤال وجواب في الفقه الإسلامي، المرأة كما أرادها الله، معجزة القرآن، من فيض القرآن، نظرات في القرآن، على مائدة الفكر الإسلامي، القضاء والقدر، هذا هو الإسلام، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، السحر، الربا، الرحلات، الغيب، قصص الأنبياء، قصص الحيوان في القرآن، ردّ على الملاحدة، محمّد، الخطب، الخير والشرّ،

المرأة في القرآن الكريم، شبهات وأباطيل، الحلال والحرام.

كان الأُستاذ محمّد متولّي الشعراوي ظاهرةً علميةً فريدةً، حيث تألّق نجمه فجأة بعد الخمسين، فجذب الأنظار إليه على نحو غير معهود وتناقل حديثه الخاصّة والعامّة معاً؛ إذ استطاع أن يرضي الجانبين بما رزق من وضوح الأُسلوب وقوّة الحجاج. وقد تهافتت الإذاعات المرئية والمسموعة في شتّى بقاع العالم العربي على تسجيل دروسه الأُسبوعية. كما تطلّعت دور النشر إلى طبع مؤلّفاته على أوسع نطاق، وكان اسمه يسبق مقدمه في الرحلات التي قام بها داخل العام العربي وخارجه، ممّا لم يقدّر لكثيرين على هذا النحو المنفرد، وذلك لأنّ الرجل جمع من مواهب الإقناع إلقاءً وتعبيراً وتفهّماً لنفسيات المستمعين ما جعله مطمع الأنظار، وحين لقي ربّه في ٢٢ صفر سنة ١٤١٩ هـ الموافق ١٧ يونيو سنة ١٩٩٨م ودّعه الجمهور بما فاق كلّ تصوّر في التشييع، ودفن بقرية دقادوس مسقط رأسه.

كانت دروس التفسير هي العماد الأوّل لنشر أفكاره الدينية والاجتماعية والخلقية، وقد صادفت ذيوعاً مستفيضاً بما سلكه من منهج في القائها؛ إذ يسوق أفكاره متناسقة متسلسلة، ويجعلها شبيهة بالقضايا المنطقية ذات النتائج الملزمة دون غموض، فإذا اتّضحت القضية أيّدها بالنصّ القرآني المحكم، فيكون بعد الاقتناع السابق دليلاً ملزماً لا يقبل النقض.

وقد أُخذ عليه استطراده في بعض الأحيان، وهو نوع من التشويق يرضي الكثرة التي ترحّب بالطرائف النادرة. وحين جمع تفسيره في مجلّدات متتالية حذف الاستطرادات، ومضى التفسير على سننه المعهود، وقد أوجد الشيخ بهذه الدروس ذات الإقبال الكاسح جامعة علمية شعبية، تنتقل إلى المشاهدين في منازلهم، فتعطيهم الدروس الشافية، وكأنّهم يجلسون في معهد علمي.

كان تفسير الشعراوي ركناً قوياً من أركان الرسوخ الإيماني في قلوب المسلمين، ومن مزاياه أنّ الشيخ اتّصل بشذورٍ من علوم النفس والتربية والاجتماع والعلوم الحديثة،

فاعتملت في نفسه، وساقها في طيّات الشرح، فاقتنع بها المنصتون.

وكانت قضايا المجتمع الإسلامي شغله الشاغل في درس التفسير، فكلّ ما تعجّ به الصحف من قضايا المرأة والشيوعية والرأسمالية والوجودية كانت مجال تفكير الشيخ، فهو يلتمس المناسبة في الآية الكريمة، ويشنّ النقد الجارح على من يحاولون تجاهل النص القرآني، موضّحاً أنّهم بسلوكهم المخطئ ليسوا مع المنطق في شيء! وقد خاصم الشيخ رؤوس التفكير المارق علناً، فاضطرّوا إلى السكوت عمّا يأفكون، بعد أن دعاهم للمناظرة علناً أمام الجمهور، فعلموا أنّ الموقف موقف الفصل وما هو بالهزل، فتراجعوا صامتين!

وقد رزقه الله من حسن الاستنباط وعمق التحليل ما قمع كلّ ضلال، وضرب المثل لذلك بما تحدّاه به أحدهم حين سأله بقوله: إنّ الله يقول عن نفسه: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ (سورة لقمان: ٣٤)، وها نحن الآن نعرف ما في الأرحام بالكشف الإشعاعي! فردّ الشيخ في رسوخ: «ومن قال: إنّ علم الأرحام مقصور على الذكورة والأنوثة فحسب، ألا يتضمّن هذا العلم هيئة الولد، ولونه، وحالته التي سيكون عليها، شقياً أو سعيداً، ممتدّ العمر أم مختزله، هادئ النفس أم منفعلاً؟» ويسمع المعترض فيصمت!

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «وقد تواضع الشيخ حين كرّر أنّ ما يلقيه من الدروس ليس تفسيراً للقرآن، ولكنّه خواطر إيمانية تفد على قلب المؤمن، فيفصح بما جاش في خاطره، ولو أنّ القرآن يمكن تفسيره بما تمنّاه الله دون نقص لكان الرسول ﷺ أولى بتفسيره، لكنّه يبيّن للناس ما يفيدهم على قدر حاجتهم. وهذا احتياط إيماني لا يمنع أن نقول: إنّ هذه الخواطر من صميم التفسير؛ لأنّها تدور في فلك الكتاب المبين».

وقد تحدّث الشيخ عن الإعجاز القرآني، فقرّر أنّه لا يكون في السورة أو الآية أو الكلمة فحسب، بل في كلّ حرف، واستشهد لذلك بما يؤيّد منحاه. كما قرّر أنّ القرآن كتاب الزمن والإعجاز بتوالي العصور، وسيجد من وجوهه في الغد ما لا نعرفه اليوم.

ومن أعظم ما كتبه الشعراوي كتاب «ردّ على الملاحدة والعلمانيّين»، وفيه قرّر أنّ العلمانية ازدهرت في أوروبّا؛ لأنّ الكنيسة تحكّمت في الناس، أمّا الإسلام فليس في

حاجة إليها؛ إذ ليس لدينا تسلّط كنسي، وليس لدينا حجر على الفكر، وإذا كانت الكنيسة بسيطرتها قد عاقت التقدّم الفكري، فالإسلام بسماحته وعدالته قد حمى الحرّية، وترك للعلم أن يغزو الكون بما يكشف عن مخبآته، وأعلام الأُمّة في العصور الزاهرة هم الذين رفعوا الحضارة الإنسانية في بغداد والقاهرة وقرطبة حين كانت أوروبّا غارقة في الظلمات. والذي يقرأ هذا الكتاب يجده قد صحّح مفهوم العقيدة، ثمّ انتقل إلى المذاهب المعاصرة فحاربها بسلاح لا يفلّ، وختم القول بالحديث عن قضية المرأة في الإسلام، فأوضح كيف صان هذا الدين كرامتها، ولم يجعلها خليلة تمتهن، بل زوجة ذات حقّ، ولها شخصيتها المالية التي تنكرها أكثر قوانين أوروبّا الآن!

وباب الأسئلة والأجوبة يصوّر معدن الشعراوي الفقيه، حيث حفل بإجابات قاطعة لم تغرق في النقول الفقهية والتعريفات الاصطلاحية، بل اتّجهت إلى العقل المباشر، تشرح له القضية، فإذا اتّضح مدلولها جاء السند القرآني، أو الأثر النبوي مؤيّداً الفتوى بما يوجب الاقتناع. واذا كانت الأسئلة قد نشرت أوّلاً على مدى سنوات في مجلّة «حواء» مع الإجابة المقنعة، فإنّ أكثرها قد دار حول المرأة، وقد جهر الشعراوي برأي الإسلام في مجلّة جاهرت كثيراً بما يخالف قول الله، ولكنّ الشيخ قد لقف الأباطيل فبدّدها، ولم تستطع المجلّة أن توقف النشر؛ لأنّ السائلات والسائلين يطلبون رأي الشعراوي بالذات، وعلى يده فهمت قضية المرأة على وجهها الصحيح.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٤٠٥، الموسوعة العربية العالمية ١٤: ١٩٦ ـ ١٩٧، المفسّرون للأيازي: ٢٦٨ ـ ٢٧٤، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٤: ٣٧٢ ـ ٣٨٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٠٣ ـ ١٠٠٦).

محمّد محمّد صادق الصدر

محمّد بن محمّد صادق بن محمّد مهدي بن إسماعيل بن محمّد بن صالح الصدر: عالم ومفكّر إسلامي شهير.

ولد السيّد محمّد في النجف الأشرف بتاريخ ١٧ ربيع الأوّل عام ١٣٦٢ هـ الموافق

٢٣ /مارس /١٩٤٣م، ونشأ في أُسرة معروفة بالعلم والورع، ضمّت مجموعة من فطاحل العلماء، منهم جدّه لأُمّه الشيخ رضا آل ياسين. تخرّج السيّد محمّد محمّد صادق الصدر من كلّية الفقه في النجف الأشرف في دورتها الأُولى عام ١٩٦٤م، وكان من المتفوّقين في دروسه الحوزوية كما تؤكّد روايات زملائه بغضّ النظر عن مراحل دراسته التي تخطّاها بتفوّق وجدارة، وتكفي الإشارة إلى أنّ يعتبر من أبرز طلّاب السيّد محمّد باقر الصدر ومقرّري أبحاثه الفقهية والأُصولية، ومن المعروف أنّ مدرسة السيّد محمّد باقر الصدر (رضوان الله عليه) تعتبر من أرقى المدارس العلمية في المعرفة الفقهية والأُصولية عمقاً وشمولاً ودقّةً وإبداعاً.

درس جملة من العلوم والمعارف الدينية عند مجموعة من الأساتذة، منهم: الشيخ محمّد رضا المظفّر (درس عنده الفلسفة الإلهية)، والسيّد محمّد تقي الحكيم (درس عند الأُصول والفقه المقارن)، والسيّد محمّد باقر الصدر (درس عنده الكفاية والمكاسب وأبحاث الخارج)، والملّا صدرا البادكوبي (درس عنده المكاسب)، والسيّد محسن الحكيم (درس عنده أبحاث الخارج)، والإمام روح الله الخميني (درس عنده أبحاث الخارج)، والسيّد الخوئي (درس عنده أبحاث الخارج).

ونال مرتبة الاجتهاد في سنّ مبكّرة بعد أن أشاد به الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، فباشر بتدريس الفقه الاستدلالي (الخارج) أوّل مرّة عام ١٩٧٨م، وكانت مادّة البحث من «المختصر النافع» للمحقّق الحلّي. وبعد فترة باشر ثانية بإلقاء أبحاثه العالية في الفقه والأُصول (أبحاث الخارج) عام ١٩٩٠م، واستمرّ متّخذاً من مسجد الرأس الملاصق للصحن الحيدري الشريف مدرسة ومنبراً للتدريس.

في العام ١٩٧٧م تعرّف السيّد الصدر على العارف بالله الحاجّ عبدالزهرة الكرعاوي، وهو من تلاميذ السيّد علي القاضي، فسلك معه في طريق الله تعالى لسنتين، حتّى شهد له شيخه بتمام المعرفة والوصول. وبسبب مسلكه العرفاني استقطب عداء جماعة من الدعاة كانت ترى في المسلك العرفاني تخلّفاً!

تأثّر السيّد محمّد محمّد صادق الصدر بأفكار أساتذته من العلماء والمراجع ؛ إذ أنّ مجرّد معرفة عدد من أسماء هؤلاء الأساتذة ستساعد في توضيح الملامح الفكرية لشخصيته ، فهو درس لدى الإمام الخميني والشهيد السيّد محمّد باقر الصدر والسيّد الخوئي وآخرين . إلّا أنّه إذا تجاوزنا المشترك الفقهي لهؤلاء الثلاثة يمكن القول : إنّه استلهم الفكر الثوري من تجربة ودروس الإمام الخميني ، واستلهم همّ المشروع التغييري في العراق من تجربة ودروس ونظريات السيّد محمّد باقر الصدر الذي يعدّ أكبر مفكّر إسلامي في العصر الحديث ، ولذا يمكن القول : إنّ السيّد محمّد محمّد صادق الصدر قد وظّف بالإضافة إلى قدراته الفقهية التقليدية تجربتين في تجربته : التجربة الخمينية ، والتجربة الصدرية الأُولى ، فتوجّه بكلّ جهوده إلى الجانب الإصلاحي العملي الذي يحقّق حضوراً تغييرياً في وسط الأُمّة ، وأنجز أوّل تجربة عملية تغييرية يقودها فقيه في بلد مثل العراق بحركة إنتاج فقهي عملي أيضاً ، أي : بمعنى فقه يواكب حركة الحياة بتطوّراتها ومستجدّاتها وتحدّياتها وآفاقها المستقبلية ؛ إذ أنّه أراد أن يربط الفقه بالواقع وأن يبعث فيه روح التجديد . . وبهذا الاستنتاج يمكن القول : إنّ السيّد محمّد محمّد صادق الصدر كان فقيهاً عملياً واقعياً معاصراً ثورياً ، قد لا يتطابق في ثوريته مع الإمام الخميني ، وقد لا يُصنّف في إنتاجه الفكري مع الفكر الصدري الأوّل ، إلّا أنّه ضمن الظروف التي عاشها استطاع أن يقترب من الاثنين وأن يوظّف منهجهما في حركته الثورية .

من مؤلّفاته : نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان ، فلسفة الحجّ في الإسلام ، أشعّة من عقائد الإسلام ، القانون الإسلامي : وجوده ـ صعوباته ـ منهجه ، تاريخ الغيبة الصغرى ، تاريخ الغيبة الكبرىٰ ، تاريخ ما بعد الظهور ، اليوم الموعود بين الفكر المادّي والديني ، ما وراء الفقه ، فقه الأخلاق ، فقه الفضاء ، فقه الموضوعات الحديثة ، حديث حول الكذب ، بحث حول الرجعة ، كلمة في البداء ، الصراط القويم ، منهج الصالحين (وهي رسالة عملية موسّعة اشتملت على المسائل المستحدثة) ، مناسك الحجّ ، كتاب الصلاة ، كتاب الصوم ، أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، منّة المنّان في الدفاع عن القرآن ، منهج

الأُصول، التنجيم والسحر، مسائل في حرمة الغناء.

كما أنّ للسيّد الصدر الكثير من المؤلّفات المخطوطة.

وله إجازات من عدّة مشايخ في الرواية أعلاها من آية الله الشيخ محسن الطهراني المعروف بـ(أغا بزرك الطهراني) صاحب «الذريعة» عن أعلى مشايخه، وهو الميرزا حسين النوري صاحب «مستدرك الوسائل»، ومنهم والده الحجّة آية الله السيّد محمّد صادق الصدر، وخاله آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين، وابن عمّه آية الله الحاجّ أغا حسين خادم الشريعة، وآية الله السيّد عبدالرزّاق المقرّم الموسوي (صاحب كتاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام)، وآية الله السيّد حسن الخرسان الموسوي، وآية الله السيّد عبدالأعلى السبزواري، والدكتور حسين علي محفوظ، وغيرهم.

وقد تعرّض السيّد الصدر الثاني إلى عدّة اعتقالات من قبل جهاز السلطة الحاكم آنذاك نتيجةً لتحرّكاته في توعية القطّاعات الشعبية المختلفة سنّةً وشيعةً. فأقدم الجهاز الحاكم على اغتياله مع ابنيه مصطفى ومؤمّل في النجف بتاريخ ١٩/شباط/١٩٩٩م. ففقد العراق علماً بارزاً من أعلامه الكبار.

(انظر ترجمته في: تلامذة الشهيد الصدر: ٢٧٦ ـ ٢٧٩، فقهاء ومناهج: ١٤٩ ـ ١٦٧).

محمّد محمّد الفحّام

محمّد محمّد الفحّام: شيخ الجامع الأزهر، وأحد دعاة التقريب.

ولد بالإسكندرية سنة ١٨٩٤ م لأُسرة أصلها من أسيوط، وحفظ القرآن الكريم وجوّده، ثمّ دخل المعهد الديني، فنال منه الشهادتين الابتدائية والثانوية، ثمّ نال شهادة العالمية النظامية الأزهرية سنة ١٩٢٢ م، واشتغل فترة مدرّساً للرياضيات إلى جانب العلوم الدينية.

وفي سنة ١٩٣٦ م أُرسل في بعثة إلىٰ جامعة باريس للحصول على الدكتوراه في الآداب، وكان موضوع رسالته «معجم عربي ـ فرنسي لاصطلاحات النحويّين والصرفيّين

العرب »، ونال أيضاً دبلوم مدرسة اللغات الشرقية الحية في الأدب العربي عام ١٩٤١ م، وقضىٰ في باريس هو وأسرته عشر سنوات، وعيّن مدرّساً للأدب المقارن بكلّية اللغة العربية وبكلّية الشريعة عام ١٩٤٧ م، وقام بتدريس النحو بكلّية الآداب بجامعة الإسكندرية، وظلّ يرقى في مناصب هيئة التدريس إلىٰ أن أصبح عميداً لكلّية اللغة العربية، وبعد ذلك أُحيل على المعاش، ثمّ عيّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٦٩ م، بعد استقالة الشيخ حسن مأمون من المشيخة، وانتخب لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م.

وقد شارك في عدّة مؤتمرات عقدت بلبنان ونيجيريا وباكستان وموريتانيا وأندونوسيا وإسبانيا والسودان والجزائر والسعودية وليبيا وإيران، وله فيها بحوث وكلمات تشهد بعلمه الغزير.

توفّي في ١٩٨٠/٨/٣٠ م.

أمّا مؤلّفاته فهي متنوّعة وإن كان معظمها لم ينشر في كتاب مكتمل، إلّا كتابه عن سيبويه، ومن كتبه: « المسلمون واسترداد بيت المقدس »، و« رسالة في الموجّهات »، وله بحوث كثيرة، نشر بعضها في مجلّة مجمع اللغة العربية.

كان يقول: « الكلام بين السنّة والشيعة كثير، ولكن ليس هذا بالمعتبر في الإسلام، وكذلك الحدود بين المسلمين وغير المسلمين: الشهادة بتوحيد الله ورسالته ورسالة النبي الأكرم ﷺ، والاعتقاد بيوم القيامة.. الإسلام لا يعرف العصبية والتعصّب، ولا فضل لعرب على عجم إلّا بالتقوى ».

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ١: ٣٥٠ ـ ٣٥٣، تتمّة الأعلام ٢: ٢١٧، إتمام الأعلام: ٥٠٤، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٤٩٨ ـ ٤٩٩، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٤٥٨ ـ ١٤٥٩، الشيخ محمود شلتوت.. آية الشجاعة: ١٠٤ (الهامش الثالث)، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٤٢ ـ ١٤٣).

محمّد محمّد المدني

محمّد المدني: من علماء الأزهر الشريف، ومن الأعضاء المؤسّسين لجماعة التقريب في القاهرة، ورئيس تحرير مجلّة «رسالة الإسلام». من أشهر كتبه «دعوة التقريب» الذي طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية عام ١٩٦٥ م.

من كلماته: «إنّ خير ما يقوى به المسلمون ويدفع عنهم غوائل أعدائهم أن يقفوا صفّاً قوياً موحّداً في جميع شعوبهم وبلادهم، لا تفسده النزعات، ولا توهنه العصبيات.

وقد شعرنا بأنّنا ـ ولله الحمد ـ قد أرضينا السواد الأعظم من المؤمنين بالله ورسوله وكتابه، لافرق في ذلك بين طائفة وطائفة في ربوع آسيا وأفريقيا وأُوروبّا وأميركا، وحيث سرى في مشرق الأرض أو مغربها أو شمالها أو جنوبها صوت خلفاء بلال يجلجل بشعيرة الإسلام، فما من هؤلاء أحد إلّا قد أرضاه وأثلج صدره وأقرّ عينه أن تقوم في القاهرة مدينة الأزهر جماعة تدعو إلى الوحدة، وتبصّر المسلمين بعواقب التفرّق، وتجمعهم على أُصول دينهم وأُمّهات عقائدهم، وتنفي عنهم زيغ الزائفين وتحريف المعطّلين وغول الظالمين وقلي القايلين، وتردّهم إلى حكم الله ورسوله إذا اختلفوا، وتلك سبيل المؤمنين، ذلك بأنّهم جميعاً قد ذاقوا وبال التفرّق في شعوبهم وبلادهم وعلومهم وثقافتهم وسياستهم وثرواتهم وسائر مرافقهم، وأدركوا أنّ الحرب التي أُعلنت عليهم منذ قرون قد طحنتهم أرحاؤها، واغتالتهم أغوالها ... ثمّ رأوا الذين أغروا بينهم مجانبيها مكراً وختلاً، يقولون: إنّا منكم ومن خصوماتكم براء: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الحشر: ١٦)، لذلك نظروا إلى جماعة التقريب نظرة من أحاط بهم الحريق إلى جماعة المنقذين، واستمعوا إلى صوت «رسالة الإسلام» كأنّه صلصلة الأجراس التي تؤذن بوشك النجاة والخلاص.

وإذا كنت قد قلت: إنّ هذا هو شعور الأُمّة الإسلامية كلّها بلا فرق بين ناطق بالعربية أو بغيرها من اللغات، لم يكن ذلك إسرافاً في ذكر الحقيقة أو تعلّقاً بجانب من الأمل والخيال، فإنّ بحوث هذه المجلّة تنتقل إلى أهمّ اللغات التي يتحدّث بها المسلمون كالتركية

والفارسية والإنجليزية والأوردية، وإنّ أعدادها تصل بانتظام إلى الأندية العلمية والمكتبات وكلّ ذي رأي من جماعة أو فرد في العالم الإسلامي، وإنّ الرسالات التي يحملها إليها البريد أو تتلقّاها عن أصحابها «دار التقريب» شفاهاً في زياراتهم أو مقابلاتهم لبعض أعضائها لصلات علمية وثيقة بيننا وبين أصحاب الفكر الحرّ والآراء الناضجة، وأمارات واضحة على حيوية الروح الإسلامي وعمق إحساسه بما آل إليه الأمر، وشدّة رغبته في التخلّص من آثار الماضي الذليل الضعيف، والتمسّك بأسباب متينة تهديه إلى مستقبل قوي عزيز في ظلال الوحدة الدينية والأُخوّة الإسلامية تحت راية القرآن الكريم.

إنّ في موسم الحجّ لمن شهده لعبراً، فهؤلاء المسلمون يقطعون الفيافي والقفار، ويتركون الأهل والديار، ويقصدون إلى هذه المناسك المتّفق عليها، من كلّ فجّ عميق؛ ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله على ما رزقهم، وإنّهم ليطوفون جميعاً حول بيت واحد، وتجمعهم بين يدي الله ساحة واحدة في وقت واحد، ويبيتون ليالي في بلدة واحدة مجتمعين لايعرف أحدهم بجانب أخيه إلّا أنّه مسلم خاضع لله، ملتمس رحمة الله ورضوان الله. فلا السنّي يومئذٍ يذكر سنّيته، ولا الشيعي يذكر شيعيته، ولا يحضرهم خلاف، ولا يفرّق بينهم رأي، ولا تفسد جماعتهم عصبية، ولايذكرون إلّا أُخوّة الإيمان وشريعة القرآن ونبوّة خير الأنام.

فلو رأيت الشامي والعراقي بجانب المصري، أو الفارسي بجانب التركي، أو النجدي والحجازي بجانب الهندي، لرأيت لبنات من الأُمّة الإسلامية تكمن فيها القوّة، وتربطها رابطة الدين على اختلاف الألسنة وتنوّع الأمزجة، وإنّما فرّقهم وباعد بينهم العدوّ الذي تقاسمهم وحال بينهم وبين إخوانهم، وصوّر لهم هوّة عميقة من الخلاف تفصل بين شعوبهم وأجناسهم ومذاهبهم، كأنّما هم أرباب نحل وأتباع أديان، فكيف ساغ لهم أن يقتربوا ثمّ يفترقوا؟! وكيف ينسون هذه العروة الوثقى بينهم إذا رجعوا إلى قومهم وقد شرّع الله لهم الصلوات في كلّ يوم خمس مرّات، يهتفون فيها بهتاف واحد ويتوجّهون فيها شطر هذه القبلة الواحدة حينما يكونون؟! أما وربّ البيت أنّ هذا الشيء عجيب!».

ويقول أيضاً: «إنّ كلّاً من الاتّفاق والاختلاف أمر لازم لا مناص منه، فلا يمكننا أن نتصوّر المسلمين أو أيّة أُمّة من الأُمم متّفقين في كلّ شيء، ولا نتصوّر هؤلاء وأُولئك مختلفين في كلّ شيء، ولكن الذي هو واقع فعلاً ـ ولا مناص من أن يقع ـ هو أنّ الأُمّة الواحدة لها مواضع كثيرة تتّفق عليها، وهي التي ربطت بينها وجعلتها أُمّة واحدة، ولها مع ذلك مواضع كثيرة تختلف فيها؛ لاختلاف العقول والمصالح والأدلّة بينها، وهي بحكم اتّفاقها فيما اتّفقت فيه أُمّة واحدة، وبحكم اختلافها فيما اختلفت فيه مذاهب متعدّدة، والمذهبية الخاصّة لا تخرج أهلها عن كونهم من الأُمّة، ولا تعطيهم في نفس الوقت قرباً أو نسبةً في القرب من الدين ليست لأصحاب مذهب آخر، ومن ثمّ لا يستطيع أن يقول: إنّ مذهبي حقّ كلّه وصواب كلّه، ومذهب غيري باطل كلّه وخطأ كلّه، ولكن يقول: إنّ هذا هو ما رأيته بحسب فهمي واجتهادي وما علمته، فأنا أُرجّحه ولا أقطع به، ويحتمل أن يكون ما رآه غيري هو الحقّ والصواب، ولست مكلّفاً إلّا بما وصلت إليه، وليس مخالفي مكلّفاً إلّا بما وصل هو أيضاً إليه.

وأمّا استقامة هذا المنهج من الناحية الإسلامية فلأنّ المسلمين أُمّة واحدة، لا ينبغي التفريق بينهم، بل ينبغي أن ينظر كلّ فريق منهم إلى الفريق الآخر على أنّهم جميعاً أُخوة متعاونون على معرفة الحقّ والعمل به.

ولا يستقيم ذلك إلّا إذا كان أهل القبلة جميعاً وأهل الدين الواحد والأُصول المشتركة أحراراً في الإدلاء بآرائهم مادامت في الدائرة الإسلامية، وقد قلنا من قبل: إنّه لا فرق بين السنّة والإمامية والزيدية في أصل جوهري من أُصول الإيمان».

(انظر ترجمته في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٤٢٢ ـ ٤٣٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٤٣ ـ ١٤٦).

محمّد محمود الصوّاف

أبو مجاهد محمّد محمود الصوّاف: عالم، داعية، مجاهد، مصلح.

ولد سنة ١٩١٥م في مدينة الموصل بالعراق، وينتسب إلى طي، من قبيلة شمّر

المعروفة. نشأ في بيت علم وجهاد وتجارة، وكان على رأسها رجل صالح، خطّ لابنه طريق العلم الشرعي.

وقد تتلمذ على شيخه الفاضل عبدالله النعمة، وعلى الشيخ صالح الجـوادي، وعـلى الشيخ أمجد الزهّاوي عالم العراق الفريد. درس بالمدرسة الفيصلية، وحصل على إجازتها العلمية عام ١٣٥٥ هـ.

التحق بالأزهر عام ١٣٥٨ هـ(١٩٤٣م)، وكان من المتفوّقين في كلّ مراحل دراساته، وأبرزها الأزهر، حيث كان لتخرّجه ضجّة في أوساط العلماء، والصحافة العربية، وذلك حين استطاع أن يختصر دراسته في الأزهر من ستّ سنوات إلى ثلاث، حيث حصل على العالمية في سنتين بدل أربع، وعلى التخصّص في سنة بدل سنتين، حتّى قال له شيخ الجامع الأزهر في زمانه الشيخ محمّد مصطفى المراغي: «لقد فعلت يا بني ما يشبه المعجزة، وسَننت سُنّة في الأزهر لم تكن».

وعاد إلى العراق بعد أن اغترف من العلم الشرعي والعلم الدعوي، الأوّل اكتسبه مـن الأزهر، والثاني من خلال لقائه بالإمام حسن البنّا، وقد اقتنع بفكرة البنّا الإسلامية، وكان من المبرّزين في الدعوة إلى الله، إلى أن لقي ربّه.

واشتغل بالعمل الشعبي والتوجيه الإسلامي في المساجد والجمعيات، فـانتسب إلى «جمعية الشبّان المسلمين» بالموصل، وأنشأ «جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فيها، كما أسّس مع الشيخ أمجد الزهّاوي «جمعية الأُخوّة الإسلامية» التـي قـامت بـدور رئيسي في مقاومة المحتلّ والدعوة إلى الله.

ولم يترك مدينة في العراق إلّا وزارها ودعا أهلها ـ خاصّة الشباب ـ إلى منهج الإسلام القويم. وقد عمل مدرّساً بكلّيّة الشريعة في الأعظمية ببغداد، وفضّله على العمل في القضاء الذي عرضه عليه وزير العدل آنذاك جمال بابان، برغم المصلحة الشخصية والجاه.

وكان العراق تحت النفوذ الإنجليزي، فكان الشيخ الصوّاف يقود المـقاومة الشـعبية، ويسيّر المظاهرات الصاخبة، ويلقي الخطب النارية ضدّ العدو وأعوانه، وقد تعرّض خلالها

للسجن والتشريد وقطعه عن عمله لمدّة تسع سنوات.

وقد أسهم في إسقاط معاهدة (جبر ـ بيفن) الاستعمارية في العراق، وأصبح المراقب العامّ للإخوان المسلمين في بلده، وكان أحد المؤسّسين لقسم الاتّصال بالعالم الإسلامي في داخل الجماعة.

أمّا قضية فلسطين والقدس فكان لها السهم الأكبر من كفاحه، حيث أسّس «جمعية إنقاذ فلسطين» سنة ١٩٤٧م، والتي ضمّت نخبة من المجاهدين والعاملين لقضية الإسلام الأُولى في هذا العصر، هذه الجمعية التي قامت بجمع الأموال وتجهيز المتطوّعين وتقديم الشهداء في سبيل الله للدفاع عن الأرض والعرض والمقدّسات.

وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة إلى مؤتمر القدس عام ١٩٥٣م للعمل على تضافر الجهود الرسمية والشعبية، حيث حضره مجموعة كبيرة من علماء العالم الإسلامي وأئمّة الدعوة والفكر والجهاد، أمثال: الطنطاوي، والزهّاوي، وسيّد قطب، ومحمّد أمين الحسيني، ومصطفىٰ السباعي، وقد انتدب المؤتمر الشيخ الصوّاف والشيخ أمجد الزهّاوي والشيخ علي الطنطاوي للطواف بالعالم الإسلامي وشرح قضية فلسطين وتوحيد الجهود لتحريرها.

وكان له مساهمات كبيرة في المعارك التي خاضها المجاهدون المتطوّعون من البلاد العربية والإسلامية وقادتهم، أمثال: عبدالقادر الحسيني، وعبداللطيف أبو قورة، والدكتور مصطفى السباعي.

وعندما قامت ثورة ١٩٥٨م في العراق بقيادة عبدالكريم قاسم وسيطر الشيوعيّون على مقاليد الأُمور في بداياتها، انصبّ غضب هؤلاء على الشيخ الصوّاف ودعوته، يؤازرهم أعداء الإسلام من العلمانيّين والقوميّين، حيث عمدوا إلى تلفيق التهم ونشر الشائعات ضدّه وضدّ حركته الإصلاحية، وعمدوا إلى الهجوم على مطبعة مجلّة «لواء الأُخوّة الإسلامية» وتحطيمها، وكذلك الهجوم على بيته، ثمّ القبض عليه وسجنه في سجن «أبو غريب» مع ثلّة من وجهاء العراق، كاللواء الركن محمود شيت خطّاب.

وبعد خروجه من السجن استمرّت الملاحقة له ومحاولة اغتياله من قبل الشيوعيّين، ممّا اضطرّه إلى مغادرة بغداد في شهر أيلول سنة ١٩٥٩م في رحلة رهيبة شاقّة تحفّها المخاطر عن طريق الصحراء الفراتية، حيث تجلّت عناية الله به ورعايته وتعمية عيون الأعداء والجواسيس عنه حتّى وصل إلى الحدود السورية، حيث استقبل في البو كمال ودير الزور ثمّ حلب ودمشق استقبالاً رائعاً مشهوداً على المستوى الشعبي، وكانت فرحة اللقاء به ـ وذلك بعد شائعة قتله من قبل الشيوعيّين ـ كبيرة من قبل علماء سوريا وشعبها، وعقدت له الاجتماعات الخطابية بكلّ مكان.

جاب البلدان للدعوة الإسلامية، فذهب إلى أفريقيا وجنوب شرق آسيا وغيرهما. وبعد ذلك قدم إلى المدينة المنوّرة ثمّ إلى مكّة المكرّمة، وأقام بها منذ عام ١٩٦٢ م، حيث عمل مدرّساً بكلّية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكّة المكرّمة. وأصبح عضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في المجلس الأعلى للمساجد، وعضواً في المجمع الفقهي بالرابطة، ثمّ مستشاراً بوزارة المعارف السعودية، فمبعوثاً للملك، وكانت آخر جولاته الميدانية رئاسته لوفد المصالحة بين الأحزاب الأفغانية في بيشاور.

وبالجملة: فقد كان من الدعاة البارزين على الساحة الإسلامية، قدّم الكثير للعالم الإسلامي، وساند القضايا المعاصرة، وخاصّة الجهاد في أفغانستان، حتّى سقوط النظام الشيوعي فيها ودخول المجاهدين كابل.

توفّي يوم الجمعة ١٣ /ربيع الآخر / ١٤١٣ هـ (١٩٩٢م) بينما كان في انتظار إقلاع الطائرة من مطار إسطنبول في طريق عودته إلى مكّة المكرّمة، ودفن في مقابر المعلاة بمكّة بجوار قبر الصحابي عبدالله بن الزبير.

وقد كتب صفحات من ذكرياته في «المسلمون» اعتباراً من العدد (٣٣)، ٧-١٣ / ١ / ١٤٠٦ هـ، ثمّ توقّف عن إكمالها لأسباب غير معروفة! ثمّ صدرت ذكرياته في كتاب عن دار الخلافة بالقاهرة كما في ثبت مؤلّفاته.

وله مذكّرات عن أعماله الدعوية ونشاطه الإسلامي في كتابه: «صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق».

وقد رثاه الشاعر محمّد ضياء الدين الصابوني في قصيدة، جاء في أوّلها:

في ضجعة الموت ما يكفيك من عبر ... وفي مواعظه ذكرى لمفتقر
بينا يرى المرء في رحب القصور إذا ... به صريع الردى في أضيق الحفر
بالأمس كنّا وكان الصفو ثالثنا ... واليوم عدت حليف الهمّ والكدر
قد كان يجمعنا حبّ ويتحفنا ... فكان والله ملء السمع والبصر
إنّي لأذكره والقلب مضطرم ... والحزن قد لفّني والموت في أثري
أبكي به عالماً فذّاً أخا ثقة ... كأنّه في ظلام الخطب كالقمر
أبكي به داعياً لله غايته ... وهمّة لا تثنى من أروع الصور
عرفته فعرفت الفضل شيمته ... وقد تحلّى بصدق القول والخبر
كانت مجالسه بالحبّ عامرة ... تزدان في روعة الأخبار والعبر
واليوم أبكيه من قلبي ومن كبدي ... وأُرسل الدمع من عيني كالمطر

من آثاره العلمية: أثر الذنوب في هدم الأُمم والشعوب، أُمّ القرآن وخير ثلاث سور أُنزلت، بين الرعاة والدعاة، تعليم الصلاة (والذي ترجم إلى عشر لغات)، دعاء السحر، رحلاتي إلى الديار الإسلامية، زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعدّدهن، صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابّات (وهو أوّل إصدار له)، صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق، صوت الإسلام في العراق، الصيام في الإسلام، عدّة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب ربّ العالمين، العلّامة المجاهد الشيخ أمجد الزهّاوي شيخ علماء العراق المعاصرين، القرآن: أنواره ـ آثاره ـ أوصافه، القيامة رأي العين، لا اشتراكية في الإسلام، المخطّطات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم، من سجل ذكرياتي، من القرآن وإلى القرآن: الدعوة والدعاة، نداء

الإسلام، نظرات في سورة الحجرات.

(انظر ترجمته في: عظماء الإسلام: ٣٠٧ ـ ٣٠٨، تتمّة الأعلام ٢: ٢١٩ ـ ٢٢١، إتمام الأعلام: ٤٠٨، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١٢٦ ـ ١٣١، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٢٩ ـ ٢١٣٢).

محمّد محمود صيام

محمّد محمود صيام: مفكّر وأديب فلسطيني، وداعية تقريب.

ولد في قرية (حورة) في عسقلان بفلسطين عام ١٩٣٧م، ومنها هاجر إلى غزّة عند حلول النكبة الأُولى عام ١٩٤٨م، وفي مدارس غزّة درس، وبعد حصوله على الشهادة الثانوية قصد مصر، والتحق بجامعة القاهرة، وحصل على الإجازة في اللغة العربية عام ١٩٥٩م، ثمّ حصل على الماجستير من جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة عام ١٩٨٠م، وحصل على الدكتوراه من جامعة أُمّ القرى بمكّة المكرّمة عام ١٩٨٢م.

عمل في الجامعة الإسلامية بغزّة منذ عام ١٩٨٣م، وتقلّد فيها عدّة مناصب، إلى أن وصل إلى منصب القائم بأعمال رئيس الجامعة عام ١٩٨٤م، وكان بالإضافة لعمله يخطب في المسجد الأقصى المبارك.

أُبعد عن وطنه عام ١٩٨٨م متّهماً بالمساهمة في تفجير الانتفاضة الفلسطينية الأُولى التي انبثقت في ١٩٨٧/١٢/٨م. وهو شاعر من شعراء الدعوة الإسلامية المعاصرين، وله عدّة مجموعات شعرية، منها «سقوط الرفاق».

يقول من مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية سنة ١٤٢٠ هـ: «نعني بالتفرّق والاختلاف هو: ما ترسّخ بين شعوب الأُمّة الإسلامية من اختلاف في المفاهيم والأحاسيس، واختلاف في الطباع والعادات، واختلاف في نظم المعيشة ووسائل الحياة، واختلاف في اللغة واللهجات، واختلاف حتّى في الأهداف والغايات، ممّا نتج عنه تفرّق الآراء والسياسات، واختلاف المواقف، وبعثرة الجهود. وذلك في زمن تتجمّع فيه الشعوب مع بعضها البعض رغم اختلاف أُصولها، وعاداتها، وطباعها، ولغاتها، ومشاربها،

ومعتقداتها، تتجمّع في وحدات معيشية وفي دول قوية، تستجلب مهابة الناس، وتفرض احترامها عليهم، كما تحمي شعوبها من امتهان الآخرين وعدوان المعتدين، وتوفّر لهم المجتمع المتعاون والحياة الكريمة.

وانظر على سبيل المثال إلى الصين كدولة، أو إلى أوروبّا كاتّحاد، وقارن بين ما هو حاصل في هذه وتلك من التقارب والائتلاف، وبين ما هو حاصل بين شعوب الأُمّة الإسلامية من تفرّق واختلاف، على تشابه في اتّساع الرقعة الجغرافية وتقارب في عدد السكّان بين طرفي المعادلة.

إنّ مقارنة كهذه تصيب نفس المسلم بالصدمة والاكتئاب! ففي الصين التي نتقارب معها في عدد السكّان نظام واحد ودولة واحدة، تنافس أقوى دول العالم قوّة واقتصاداً، وعندنا نيّف وخمسون دولة ونظاماً. أمّا قدرتنا الاقتصادية فهي تنوء من هذا التفرّق والاختلاف، وأمّا موقعنا بين دول العالم فهو لا يخفى على أحد، وصدق الشاعر الذي يقول:

في الصين مليارٌ ونحنُ كمثلهم عدداً ولكن أين نحنُ وأينَ هُم
أمّا اقتصادُ بلادنا فمصيبة وشعوبنا يخرُجن من همّ لهم

أمّا في أوروبّا فهناك عشرات الدول، وعشرات الأنظمة، وعشرات الأقطار، ولكنّها قد أزالت ما بينها من حواجز، وطمست ما بينها من حدود، وأصبح أيّ مواطن أو زائر أو مقيم ينتقل من قطر إلى آخر دون أن يعترضه مُعترض أو يسائله مسائل.

كنت أزور الجاليات الإسلامية في أوربّا في سبتمبر من العام الماضي (١٩٩٨م)، وكذلك في رمضان الماضي (١٤١٩هـ)، ونزلت في مطار أمستردام بهولندا، وانتقلت منه بالسيّارة إلى بلجيكا، ثمّ إلى ألمانيا، ومنها إلى فرنسا، ثمّ إلى النمسا، ومنها إلى إيطاليا، وذلك جيئةً وذهاباً، ولعدّة مرّات، وبين مختلف المدن، دون أن يسألني سائل عن هوية أو عن جواز سفر! وتذكّرت حالنا في العالم العربي والإسلامي، وكيف أنّ المواطن لا يستطيع أن ينتقل من قطر إلى قطر، بل من مدينة إلى مدينة، دون أن يتعرّض لسيل من الحواجز أو حرس الحدود أو نقاط التفتيش، ممّا يغصّ به البال، ويسوءُ به الحال!

ولقد شدّد الله جلّ شأنه على وحدة الأُمّة الإسلامية بقوله في سورة الأنبياء (آية: ٩٢): ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وقوله أيضاً في سورة المؤمنون (آية: ٥٢): ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

إنّ هذا التشرذم والتشتت والاختلاف الذي تعيشه أُمّتنا سيكون أمامها في القرن القادم واحداً من العراقيل الكثيرة والتحدّيات الخطيرة، ما لم يلتزم أبناؤها بقول ربّ العالمين: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

وما أكثر الطوائف المسلمة التي يقاتل بعضها بعضاً في هذه الأيّام، ويحرص بعضها على إفناء البعض الآخر، ويقف المسلمون عاجزين عن الإصلاح بينها، بل إنّهم عاجزون عن تحديد التي تبغي على أُختها من تلك الفئات! فإذا هم حدّدوها فهم أعجز من أن يقاتلوها حتّى تفيء إلى أمر الله.

خذ مثالاً على ذلك الصراع بين الأشقّاء في الجزائر، أو في الصومال، أو في أفغانستان، وانظر كم استنفذ هذا الصراع من مقدّرات الأُمّة ومن ثروات الأُمّة، وكم أفنى من شباب الأُمّة وأطفالها ونسائها وحتّى من شيوخها المسنّين، وكم خلّف من الجرحى والمصابين والمعاقين!

وخذ كذلك الخلاف بين أبناء المدن وأبناء الصحراء في المغرب العربي، وهم أبناء شعب واحد، وأتباع عقيدة واحدة، وأهل رقعة من الأرض كذلك واحدة. لقد اختلفوا على أنفسهم وتناحروا مع بعضهم حتّى وصل الحال إلى أن يتدخّل الأعداء للإصلاح بينهم، وهو إصلاح لا يختلف عمّا تقوم به الذئاب حين تُنتدب للإصلاح بين الغنم!

وخذ أيضا ما يطفو على السطح من عداوات بين أبناء الشعبين الشقيقين في قطر وفي البحرين، أو ما يجري من احتكاكات بين الأشقّاء في الجمهورية الإسلامية في إيران وبين إخوانهم في دولة الإمارات العربية المتّحدة، كلّ هذا وذاك بسبب الاختلاف على ملكية

بعض الجزر في الخليج.

وخذ ما جرى بين العراق وأهل الجزيرة، حين اعتدى المسلم على أخيه المسلم، فسفك دمه، وسلب ماله، وهتك عرضه، غير عابئ بقول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه.. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.. ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة.. و من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

محمّد محيي الدين عبد الحميد

محمّد محيي الدين عبدالحميد: أُستاذ مصري معروف.

يعتبر الأُستاذ محمّد محيي الدين عبدالحميد آية في بابه؛ فقد ألّف وحقّق في علوم شتّى، وجاوز في ذلك أكثر من مائة كتاب. وقد قال الأُستاذ محمّد علي النجّار في تأبينه: «إنّ ما قيل عن الطبري يصدق عليه؛ إذ كان الطبري إماماً في النحو وإماماً في الحساب، وكذلك كان محيي الدين، مع إمامته في علوم أُخرى غير التي ذكرت عن الطبري».

ولد سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠م) في قريته كفر الحمام بمحافظة الشرقية بمصر، والتحق بالأزهر ونال شهادة العالمية النظامية سنة ١٩٢٥م، وحقّق بعض الكتب العلمية وهو طالب، وعيّن مدرّساً بمعهد القاهرة الأزهري عقب تخرّجه، ثمّ مدرّساً بكلّية اللغة العربية عقب إنشائها سنة ١٩٣١م، وأُستاذاً بتخصّص المادّة سنة ١٩٣٥م، وأُعير إلى السودان أُستاذاً بكلّية الحقوق أربع سنوات، فألّف في موادها كتباً كثيرة كانت من أهمّ مراجع الطلّاب والمدرّسين، ورجع سنة ١٩٤٣م أُستاذاً بكلّية اللغة، فوكيلاً لها، فمفتشاً بالمعاهد الدينية سنة ١٩٤٦م، فأُستاذاً بكلّية أُصول الدين، فمديراً للتفتيش بالأزهر سنة ١٩٥٢م، فعميداً لكلّية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م، واختير رئيساً للجنة الفتوى، ورئيساً للجنة إحياء التراث، وعضواً بارزاً بمجمع اللغة العربية، ومجمع البحوث الإسلامية، وقد قال الشيخ النجّار: «إنّه أتى على الأزهر حين من الدهر وجلّ ما يدرّس في معاهده من تأليف الأُستاذ محيي الدين عبدالحميد، أو إخراجه. وأدركت هذا العصر، إذ لم يخل عام دراسي واحد من كتب شتّى أخرجها هذا الأُستاذ، ولم تطبع كتب ابن مالك وابن هشام وابن عقيل والسعد التفتازاني

والأشموني محقّقة مرّة في طبعة جيّدة إلّا بإخراجه، وغيرها كثير، وتنقّله في التدريس بكلّيات اللغة وأُصول الدين والحقوق دليل على تعدّد مواهبه».

وكانت تحقيقاته لبعض الكتب كشرح ابن عقيل والأشموني والقطر وشذور الذهب تعتبر كتباً مستقلّة؛ لأنّها كانت تأخذ نصف الصفحة في كلّ كتاب، وله تعقيبات نحوية على هؤلاء الكبار، فيها التخطئة المؤيّدة بالدليل، وكأنّ إماماً يناقش إماماً. وقد يكتفي في كتب التاريخ كالوفيات ومروج الذهب بالتعليق اليسير؛ لأنّ التاريخ لدى السابقين رواية، ومن حفظ حجّة على من لم يحفظ، وهو في تحقيقه لكتاب «مغنى اللبيب» لابن هشام قد استطرد كثيراً، فشرحه في سبعة أجزاء كبيرة تنبئ عن اطّلاع غزير، ولكن الناشرين أحجموا عن نشره؛ لأنّ أكثرهم يبحث عن الكسب الماديّ، وقارئ المغني غالباً سيكتفي بالنسخة المقتضبة التي حقّقها محيي الدين أيضاً، فتوالت طبعاتها، وبقيت الأجزاء السبعة مخطوطة للآن، وكذلك الجزءان الأخيران من شرح الأشموني على الألفية، حيث فاقت تعليقات عبدالحميد على الكتاب كلّ حدّ، ولم يجد من يكمل الشرح من الطابعين.

يقول الدكتور محمّد رجب البيّومي: «وللأُستاذ مقدّمات علمية رائعة تدلّ على أنّه باحث جيّد، لو تفرّغ للتأليف الخالص لأبدع الكثير، وأُشير إلى مقدّمتين رائعتين، هما: مقدّمته لكتاب «مقالات الإسلاميّين» للأشعري، ومقدّمته لكتاب «تهذيب السعد»، حيث ألمّ في الأُولى بتاريخ دقيق لعلم الكلام منذ بدأت أُصوله حتّى اكتمل وتشعّب وتعدّدت فرقه بعد الأشعري، في وضوح خالص يدلّ على صحّة الفهم وصدق الاستنباط. كما ألمّ في المقدّمة الثانية بتاريخ علم البلاغة تأريخاً وافياً، وذلك قبل أن تظهر الكتب المستقلّة في تاريخ هذا الفنّ بسنوات عدّة، إلّا المقالات السديدة التي كتبها الأُستاذ محمّد الخضر حسين في مجلّة «الهداية» قبل كتاب الأُستاذ محيي الدين عبدالحميد بستّ سنوات.

والحديث عن كلّ كتاب من مكتبة جاوزت المائة من كتب التحقيق لا يتيسّر، والاكتفاء بنشر بعض الكتب المحقّقة يدلّ ولا يستوعب، ولكنّي أذكر مثالاً واحداً لجهد الأُستاذ في إخراج كتاب «العمدة» لابن رشيق، فقد وجد للعمدة ثلاث طبعات سوابق

إحداها محرّفة تونسية، والأُخريان مليئتان بالتحريف والنقص والتصحيف، فاضطرّ إلى البحث في دار الكتب بالقاهرة، فوجد نسختين مخطوطتين لناسخين مختلفين، ذكر اسميهما وتاريخ النسخ، وخصائص كلّ نسخة في مقدّمة العمدة، فجمع هذه الخمس وقام بالمفاضلة الدقيقة بين المختلف من النصوص، يقول الأُستاذ: «ولو أردت أن أُحدّثك عن المراجع التي استخلصت لك الصواب من بينها لهالَك الأمر، وخرج الحال في نظرك عن حدّ المستساغ المعقول، ولكنّها على كلّ حال حقيقة لا غلو فيها ولا إغراق، وستقف بنفسك حين تقرأ الكتاب بعد هذا على ما كابدت من العناء والمشقّة، وكنت أُحبّ أن أذكر لك عند كلّ تصويبة أثرها في خطأ أُصول الكتاب، وكيف أُصلحت، ومصدر إصلاحها، ولكنّي اكتفيت في التنبيه على بعض ذلك، وتركت بعضه؛ لعلمي أنّ ذلك لا يعني غير نفر قليل من القرّاء، وهؤلاء يكتفون باللمحة، ويجتزئون بالخبر، وكان لا بدّ أن أجد زيادة في بعض النسخ عمّا في بعضها الآخر، أو أعثر على سقطة في كلام نقله المؤلّف عن كتاب آخر بعد مراجعة هذا النقل، فاكتفيت بوضع الزائد بين قوسين [ ] ونبّهت على مواطن الزيادة».

أقول: إنّ ضيق المقام يحول دون الاستشهاد ببعض ما صنع الشيخ، فماذا يقول الذين يعيبون الرجل بسرعة التحقيق؛ لأنّه لم يذكر الأخطاء التي تولّى تصويبها، وهو يراعي حقّ القارئ في نسخة مصحّحة مضبوطة، لا في التباهي بكثرة المراجع دون جدوى.

وقد نقده بعض المتسرّعين مدّعياً عدم كثرة التعليق على كتاب «وفيات الأعيان»، ونسي أنّ الرجل قال في مقدّمة الكتاب بعد أن ذكر الطبعات الستّ التي سبقت طبعته، وقرأها جميعها واعتمد عليها: «ولم يكن لي بدّ من مراجعة هذه النسخ كلّها، بعضها على بعض، وترقيم الكتاب، وتحقيق النصّ بالرجوع إلى ما أمكن الرجوع إليه من الأُصول التي أخذ عنها المؤلّف، وضبط ما يحتاج إلى الضبط من أعلام الأناسي والأماكن والألفاظ الغريبة، وإن ضبط المؤلّف لفظاً بحثت عنه، فإن وجدت ما يخالف في ضبط هذا اللفظ بيّنته في أسفل الصفحات، وشرحت ما ظننت أنّ القارئ المتوسّط يحتاج إلى شرحه، وبيّنت اختلاف النسخ، وضبطت في أسفل الصفحات بالحروف بعض ما لم يضبطه المؤلّف، عدا

ضبطي له بالشكل في أثناء الكتاب، وعزمت أن أضع له أنواعاً جمّة من الفهارس، لا أقول عنها أكثر من: أنّها ستهوّن على كلّ باحث سبيل الانتفاع بهذا الكتاب». (وقد فعل).

وممّا يخرج عن نطاق الحصر ما صنعه الأُستاذ محيي الدين من العناية بنشر «شرح ابن يعيش على المفصّل» للزمخشري في عشرة أجزاء، لم يوقّع عليها باسمه، ولم يدخلها في حساب ما نشره من الكتب الكثيرة؛ لأنّه رأى أنّ شرحه لم يستكمل بعد، والناشر يتسرّع في اطّراح الكتاب لاحتياج الطلّاب إليه، فأعطاه ما تمّ تحقيقه والتعليق عليه طالباً عدم نشر اسمه؛ إذ لا يستريح أن ينشر اسمه على عمل هو في حاجة إلى إتمام. وتلك هي الأمانة التي تفتقد النظير».

توفّي نهاية عام ١٩٧٢م (١٣٩٣ هـ) تاركاً جملة من المؤلّفات، منها: الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية، آداب البحث والمناظرة، تصريف الأفعال، تفسير جزء عمّ، حياة المتنبّي ومناحي إبداعه.

هذا بالإضافة إلى كثير من التحقيقات، والتي منها: شرح ابن عقيل، شرح شذور الذهب، شرح القطر، شرح أوضح المسالك، مغني اللبيب، شرح الأشموني على الألفية، الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، الموازنة بين البحتري وأبي تمّام للآمدي، شرح الحماسة للتبريزي، وفيات الأعيان لابن خلّكان، نفح الطيب للمقري، مروج الذهب للمسعودي، مقالات الإسلاميّين للأشعري، شرح مقامات الهمذاني، شرح نهج البلاغة للإمام محمّد عبده، العمدة لابن رشيق القيرواني، الوافي بالوفيات لابن شاكر، التحفة السنية بشرح الآجرومية، تنقيح الأزهرية للشيخ خالد، خزانة الأدب للبغدادي (حقّق منه أربعة أجزاء)، مجمع الأمثال للميداني، شرح اللباب للميداني، شرح الإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع للخطيب، شرح النهاية في شرح الغاية لمحمّد ابن البصير، سنن أبي داود، شرح ألفية السيوطي في الحديث، الفرق بين الفرق للبغدادي، الترغيب والترهيب للمنذري، سيرة ابن هشام النبوية، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح الشريف الرضي، شرح المعلّقات، يتيمة الدهر للثعالبي، معاهد التنصيص

للعبّاسي، المثل السائر لابن الأثير، أدب الكاتب لابن قتيبة، تاريخ الخلفاء للسيوطي، زهر الآداب للحصري، الموافقات للشاطبي، منهاج الوصول في علم الأُصول.

يقول الأُستاذ محمّد محيي الدين عبدالحميد من مقالة له بعنوان: «كيف نشأ الاختلاف في العقائد والفروع؟»، نشرتها له مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية، ما نصّه: «هذه كلمات أردت بكتابتها أن أبحث بحثاً علمياً خالصاً في اختلاف أهل الإسلام، وبواعث هذا الاختلاف وآثاره، وسأُحاول جهد استطاعتي أن أُثير دفائن التواريخ التي أتت عليها الحقب المتطاولة، وقد يطول بي القول، وقد يقصر في بعض الأحيان، ولعل قرّاء «رسالة الإسلام» لا يضيقون بهذا الطول ولا يتبرّمون به، بل إنّي لأرجو أن يجد بعض هذا الطول منهم رضا.

ولعلّ عجباً أن يُكتب إلى مجلّة نشأت كي تدعو إلى التوفيق في موضوع كهذا الذي أردت أن أكتب فيه، ولكن العلاج الناجع يستدعي معرفة الداء، وكيف بدأ، وكيف تهيّأ له أن يتمكّن، وكيف أُتيح له أن يتشعّب وتكون له أُصول وفروع، فإن لم يتلمّس الطبيب ذلك، أو هو حاول أن يغضي عن بعض ذلك، لم يؤتِ علاجه ثمرته وإن بذل فيه الجهد الجاهد.

سأكتب إذن في بواعث هذا الاختلاف وأسبابه، وفي نشأته وتطوّره، وفي آثاره ونتائجه، ولكنّي لن أكتب هذه الفصول لأزيد شأن الاختلاف ذيوعاً وانتشاراً، ولن أكتب هذه الفصول لأُزيّن فيها الاختلاف، فهذا ما لا سبيل إليه، وإنّما أكتب هذه الفصول لأُظهر الناس على جراثيم هذا الداء، ولأُبيّن لهم أين نبتت هذه الجراثم، وكيف نبتت، ثمّ لأُبيّن لهم الذين أنبتوها وتعهّدوها، ثمّ ألقوها في آناف الناس وحلوقهم، فإن هم علموا ذلك على وجهه فهم ـ إن شاء الله ـ أحرياء أن يتجنّبوا أسباب الاختلاف، وهم أحرياء أن يطلبوا لأنفسهم النجاة عنه، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل ...».

(انظر ترجمته في: الأزهر في ألف عام ٣: ١٧٤ و٤٤٥ ـ ٤٤٩، الأعلام للزركلي ٧: ٩٢، معجم المفسّرين ٢: ٦٣٤، مع رجال الفكر ٢: ٨٥ ـ ٨٦، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ١٢٥ ـ ١٤٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧٩٧ ـ ٧٩٨، أعلام التراث: ١٣٣ ـ ١٣٥، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٠٧ ـ ١٠١١، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٤٧٥).

محمّد مصطفى المراغي

أبو عبدالله محمّد بن مصطفى بن محمّد بن عبد المنعم المراغي: عالم مصري، وشيخ الجامع الأزهر، ومن دعاة التجديد والإصلاح.

ولد بالمراغة من جرجا بصعيد مصر سنة ١٨٨١ م، وحفظ القرآن الكريم بكتّاب القرية، وتعلّم بالقاهرة، وتخرّج من الأزهر الشريف عام ١٩٠٤ م، ورشّحه الشيخ محمّد عبده ضمن من اختيروا لممارسة القضاء بالسودان، فعيّن بدنقلة، ثمّ نقل إلىٰ الخرطوم سنة ١٩٠٦ م، ورأس مفتشي الدروس الدينية بالأوقاف عام ١٩٠٧ م، ثمّ عيّنه سلاطين باشا قاضياً لقضاة السودان سنة ١٩٠٨ م، وبقي كذلك حتّىٰ عاد إلىٰ مصر سنة ١٩١٩، وتعلّم الإنجليزية في خلالها، وعمل بالقضاء الشرعي مدّة، ثمّ آلت إليه رئاسة محكمة مصر العليا، ورئاسة المحكمة العليا الشرعية سنة ١٩٢٣ م، وعيّن شيخاً للأزهر عام ١٩٢٨ م، فمكث عاماً، وقدّم استقالته على أثر تأخّر المرسوم الملكي بقانون الأزهر الجديد، وقد حاول رئيس الوزراء آنذاك محمّد محمود باشا إقناعه بالعدول عنها فلم يفلح، وأُعيد إلىٰ هذه الوظيفة سنة ١٩٣٥ م وسط استقبال حافل، كما رأس جمعية للدفاع عن الإسلام ضدّ نشاط الإرساليّات التبشيرية.

وقد أظهر نزعة للإصلاح تجلّت في تطويره نظم التعليم ومناهجه بالأزهر وفي قوانين الأحوال الشخصية وفي المحاكم، حيث لم يلتزم في القضاء الشرعي مذهباً بعينه، بل فتح باب التلفيق في هذا المجال؛ ليتاح الأخذ من سائر المذاهب لأهل السنّة وغيرهم. كما أنشأ قسم الوعظ والإرشاد، ووضع مشروع مباني المدينة الأزهرية التي تجمع كلّياته ومعاهده ومكتبته العامّة ومساكن الطلبة، وأنشأ لجنة الفتوى في الأزهر، وأوفد بعثات أزهرية إلى أوروبّا.

وقد استمرّ في مشيخته للأزهر حتّىٰ وفاته بالإسكندرية سنة ١٩٤٥ م، ودفن في القاهرة.

من مؤلّفاته : الدروس الدينية ، بحوث في التشريع الإسلامي ، كتاب الأولياء والمحجورين ، ترجمة القرآن الكريم إلىٰ اللغات الأجنبية وأحكامها ، تفسير سورة الحجرات ، تفسير سورة الحديد وآيات من سورة الفرقان ، تفسير سورتي لقمان والعصر ، مذكّرات في شرح المبادئ اللغوية لعلم الأُصول ، الزمالة الإنسانية .

وقد تزعّم الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد وتوحيد المذاهب حتّى تتوحّد الأُمّة ، وعدّل في نظام هيئة كبار العلماء ، ووضع شروطاً قاسية لاختيار أعضائها ، وأنشأ هيئة مراقبة البحوث الإسلامية ومراقبة الكتب التي تهاجم الدين .

ووصف المراغي بالصدق في القول والوعد ، وسخاء اليد ، ورهافة الحسّ ، وشدّة الاعتزاز بالكرامة .

كان الشيخ المراغي قد مهّد الأجواء لحركة التقريب بمهاجمته القوية للأهواء التي تفرّق الأُمّة ، فقد كان يقول : « يجب العمل على إزالة الفروق المذهبية ، أو تضييق شقة الخلاف بين المذاهب ، فإنّ الأُمّة في محنة من هذا التفرّق ومن العصبية لهذه الفرق ، ومعروف لدى العلماء أنّ الرجوع إلىٰ أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصّب يهدي إلىٰ الحقّ في أكثر الأوقات .. أيّها المسلمون ، غضّوا الطرف عن الفروق الطائفية والمذهبية ، ولا تجعلوا تلك الفروق سبباً في الفرقة وسلاحاً بيد عدوّكم يخرّب به بيوتكم ، ولا تخشوا أحداً في إظهار شعائر الإسلام والانتصار له » .

(انظر ترجمته في : الفتح المبين ٣ : ١٩٤ ـ ١٩٨ ، المعاصرون : ٣٧٣ ـ ٣٨٨ ، الأعلام الشرقية ١ : ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، الأعلام للزركلي ٧ : ١٠٣ ، معجم المؤلّفين ١٢ : ٣٤ ، الأزهر في ألف عام ١ : ٢٦٤ ـ ٢٧٩ و ٣ : ٥٠٣ ـ ٥٠٧ ، معجم المفسّرين ٢ : ٦٣٩ ، موسوعة السياسة ٦ : ١٠٣ ـ ١٠٤ ، عظماء الإسلام : ٤١١ ـ ٤١٢ ، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١ : ٤١٣ ـ ٤٣٠ ، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤ : ٥٨٦ ـ ٥٨٨ ، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي : ١٠١٢ ـ ١٠١٥ ، نثر الجواهر والدرر ٢ : ١٤٨٨ ـ ١٤٨٩ ، موسوعة الأعلام ٤ : ١٥٨ ـ ١٥٩ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢ : ١٤٦ ـ ١٤٧) .

محمّد المكّي الناصري

محمّد المكّي الناصري: رئيس رابطة العلماء بالمغرب، وعضو مجلس الوصاية، وعضو الأكاديمية الملكية المغربية.

ولد سنة ١٩٠٦م بالرباط، وانتقل في مطلع الثلاثينات إلى مصر ليواصل دراسته بكلّية الآداب التابعة لجامعة القاهرة شعبة الثقافة الإسلامية، وغادر إلى باريس، فدرس علوم التربية، ثمّ انتقل إلى جامعة جنيف بسويسرا دارساً القانون الدولي العامّ.

في سنة ١٩٣١م شارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس، وألقىٰ فيه خطاباً مازال يعتبر أحد أهمّ وثائق الحركة الوطنية المغربية، وخصوصاً من حيث نشأتها الإسلامية.

كما كان ممثّلاً لجمعية الطلبة المسلمين في شمال أفريقيا بالمغرب، وأسّس سنة ١٩٣٨م حزب «الوحدة المغربية»، وترأسه حتّىٰ عام ١٩٦٠م عندما قرّر حلّه بعدما حصلت بلاده على استقلالها. وقد نفاه الاستعمار الفرنسي إلى شمال البلاد الذي كانت تحتلّه إسبانيا.

كان عضواً مؤسّساً وعاملاً في «لجنة تحرير المغرب العربي» التي أنشأها المناضل محمّد عبدالكريم الخطّابي بالقاهرة، كما كان عضواً في مجلس الوصاية.

وشغل عدّة مناصب إلى جانب الخطابة في أكبر مساجد المغرب (الرباط وتطوان والعتيق والمسجد المحمّدي) والنشاط العلمي في مختلف الهيئات العلمية المغربية، إلى أن تمّ انتخابه عام ١٩٨٩م أميناً عامّاً لرابطة علماء المغرب، كما اختير عضواً في الأكاديمية الملكية المغربية.

توفّي سنة ١٩٩٤م في المغرب تاركاً بعض المؤلّفات، كالتيسير في أحاديث التفسير، وفاس عاصمة الأدارسة والأجناس الإسلامية في المملكة المغربية، والمنهج العلمي في تفسير القرآن، ورسالة القرآن رسالة خالدة، وإعجاز القرآن على ضوء العلم الحديث، ودستور العمل في شريعة القرآن.

وقد أنشأت الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي «جائزة الشيخ المكّي الناصري

للدراسات القرآنية »، وهي سنوية.

(انظر ترجمته في: المفسّرون للأيازي: ٣٩١ ـ ٣٩٤، تتمّة الأعلام ٢: ٢٢٥، إتمام الأعلام: ٤١٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٤٩٣ ـ ١٤٩٥).

محمّد منظور النعماني

محمّد منظور النعماني: أحد الدعاة المسلمين في الهند.

كان عضواً في رابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها، وقد أصدر أوّل مجلّة للدعوة باللغة الأُوردية في الهند تحت عنوان «الفرقان»، وكانت له جهود كبيرة في نشر الإسلام ببلاده.

توفّي سنة ١٩٩٦م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٤١٣).

محمّد مهدي الآصفي

الشيخ محمّد مهدي الآصفي: عالم محقّق شهير، ومؤلّف مكثر، ورائد من روّاد الوحدة والتقريب.

ولد محمّد مهدي بن علي محمّد بن صادق الآصفي النجفي في النجف الأشرف عام ١٩٣٨ م، وتعلّم مبادئ العلوم الإسلامية، ودرس على يد الفضلاء، وحضر عند السيّد الخوئي في الفقه والأُصول، وتخرّج من كلّيّة الفقه في النجف، وأصبح من الأعلام المرموقين في الحوزة العلمية.

أرسله الإمام الحكيم إلى الكويت ليكون وكيلاً عنه في مسجد النقي، ثمّ بعد فترة أربعة أعوام وبالضبط في عام ١٣٩٠ هـ هاجر إلى قم، وواصل جهاده الفكري، ودخل حقل السياسة، وتصدّى لمسؤوليات اجتماعية ودينية، منها: الأمانة العامّة للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، ورئاسة الهيئة العلمية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وغيرهما.

من تآليفه: ملكية الأرض، ولاية الأمر، العلاقة الجنسية في القرآن الكريم، الإمامة في التشريع الإسلامي، حقيقة الحرّية، ساعات الفراغ، المسائل الفقهية، فقه المقاومة، من

وحي التقىٰ، المدخل إلى دراسة التشريع الإسلامي، دروس من الثورة الإسلامية في العراق، مدرسة النجف وتطوّر الحركة الإصلاحية فيها، من حديث الدعوة والدعاة، نظرية السياسة والحكم في الإسلام، الهوى، الدعاء.

يقول: «إنّ مكافحة الفتن الطائفية والسعي إلى التقريب والتفاهم والتضامن والتعاون بين المسلمين من ثوابتنا السياسية والحضارية والاقتصادية، وتدخل في تكوين الأُمّة الإسلامية الواحدة، ومن دونه لا تتحقّق الأُمّة الواحدة التي جعلها الله أُمّة وسطاً وشاهدة على سائر الأُمم، ويتوقّف عليها انتصارنا في المعترك السياسي والحضاري والثقافي والعسكري، ومن دونها لا يتحقّق النصر الذي نسعى إليه في مسيرتنا السياسية والثقافية، وتتوقّف عليها حركتنا الثقافية والعلمية.. فإنّ التقاطع الطائفي والعزلة والانكفاء على الذات يؤدّي بالضرورة إلى الضمور الثقافي والعلمي، وبعكس ذلك التواصل واللقاء والحوار الإيجابي يؤدّي إلى التكامل العلمي والثقافي في حوزاتنا وجامعاتنا العلمية.

وهذه النقاط الثلاثة تتوقّف على التفاهم واللقاء والحوار والتواصل بين المسلمين ومكافحة الفتن الطائفية.

إنّ هناك ثلاث قضايا رئيسية، لا بدّ فيها من الوعي والوضوح، ولا بدّ من السعي لنشر وعي سياسي ـ ثقافي، تجاه هذه النقاط في أوساط الجمهور. وهذه النقاط هي:

١ ـ وعي الأُمّة الواحدة. ٢ ـ الصراع الحضاري الذي تخوضه هذه الأُمّة. ٣ ـ وعي ضرورة الرافد الثقافي والعلمي في حياة هذه الأُمّة.

وإليك إيضاحاً سريعاً لهذه النقاط الثلاثة:

١ ـ الأُمّة الواحدة.

هذه الأُمّة أُمّة واحدة، وليست أُمماً شتّى. وقد ورد هذا المعنى بصراحة في آيتين من القرآن: يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وليس معنى وحدة الأُمّة التطابق الكامل في الرأي والاجتهاد، فإنّ ذلك ممّا لا يكون..

وإنّما معنى ذلك الاتّفاق والتفاهم على الأُصول والانسجام، والتفاهم والتعاون على المواقف السياسية، وتوحيد الولاء والبراءة والطاعة والنصرة.

٢ ـ الصراع الحضاري.

سواء أردنا أم لم نرد نحن ندخل اليوم في صراع حضاري عسير.. والمواجهة العسكرية شكل من أشكال التعبير عن هذا الصراع. وهذا الصراع صراع شرس.. وخصومنا في هذا الصراع جبهة واحدة، مهما تعدّدت توجّهاتهم.

وليس من الصدفة أن تتّفق أمريكا والاتّحاد الأوربّي على دعم إسرائيل في كلّ أعمالها العداونية تجاه المسلمين وأن تقف إلى جانبها من غير أن تأخذ بنظر الاعتبار حاجتها إلى المسلمين وعلاقاتها الاقتصادية الواسعة بالعالم الإسلامي.

نحن نواجه اليوم صراعاً حضارياً، سياسياً، اقتصادياً، عسكرياً، من أشرس ما يكون الصراع، وإذا خسرنا الحرب في هذه المعركة المصيرية فسوف نعود مرّة أُخرى إلى دورة جديدة من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب التي طالتنا من بعد سقوط الدولة العثمانية إلى اليوم.

والانتصار والهزيمة في هذا الصراع في كلّ أبعاده قضية مصيرية في حضارتنا وتاريخنا..

ولا نشك أنّنا نكسب هذا الصراع إذا واجهنا خصمنا أُمّة واحدة، وصفّاً واحداً، وموقفاً واحداً، وذلك أنّ يد الله تعالى مع الجماعة وعلى الجماعة، وإذا كانت يد الله معنا فلا يتخطّانا النصر بإذن الله.

ولا نشكّ أنّا إذا واجهنا خصومنا مقتسمين على أنفسنا، متقاطعين في مواقفنا وإرادتنا، متخالفين في توجّهاتنا، فلا نكسب هذا المعترك الحضاري الصعب.

٣ ـ الترافد الثقافي.

الترافد الثقافي من نتائج التقريب بين المذاهب الإسلامية ومن عوامله في نفس الوقت..

وقد كان علماء المسلمين وطلبة العلم يتوافدون على مدارس فقهية من مذاهب واتّجاهات مختلفة، وكانوا يتبادلون الإجازات في رواية الحديث. فكان طلبة العلم من العراق ـ ومعظمهم من الشيعة ـ يفدون إلى الحجاز ومصر والشام، ومعظمهم من أهل السنّة، وكان يفد إلى العراق، على مدرسة الحلّة ـ وهي حوزة شيعية عريقة ـ طلبة من الحجاز ومصر والشام والمغرب العربي للدراسة، كما كان لعلماء المسلمين زيارات للأقاليم الإسلامية، وكان طلبة العلوم الدينية يلتمسون منهم أن يلقوا عليهم دروساً في الفقه والأُصولَين (أُصول الفقه وأُصول العقائد).

واليوم تحتضن الحوزة العلمية في قم ـ وهي حوزة علمية عريقة تابعة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ طلبة العلوم الدينية من أكثر من مائة قطر في العالم من القارّات الخمس، وجملة من هؤلاء الطلبة الوافدين إلى هذه الجامعة من أهل السنّة، ولا يجدون حرجاً في الدراسة في حوزة شيعية، كما لا تجد هذه الحوزة حرجاً أن تحتضن طلبة من المدارس والاتّجاهات الفقهية الأُخرى، وتجري دراسة فقه المذاهب الإسلامية الأربعة في هذه الحوزة كما تجري دراسة الفقه الإمامي.

ولهذا الترافد الثقافي والعلمي أثر بالغ في التكامل العلمي والثقافي في المراكز العلمية الإسلامية، فإنّ الجهود العلمية والثقافية المختلفة عندما تلتقي مع بعض على صعيد موضوعي علمي غير متشنجّ يكون هذا اللقاء سبباً للإثراء والتكامل العلمي والثقافي لكلّ من هذه الروافد العلمية والثقافية. ويؤدّي هذا الترافد إلى التقارب والتعارف بين المذاهب المختلفة، كما أنّ التقارب والتعارف بين هذه المذاهب يؤدّي بالضرورة إلى الترافد العلمي والثقافي.

إنّ ظاهرة الترافد تؤدّي إلى مكافحة وإبطال الفتن الطائفية.. والعكس أيضاً صحيح، فإنّ الفتن الطائفية تقلّل من فرص الترافد الثقافي، وتحوّل الثقافة والعلم إلى دوائر مغلقة غير مترابطة، وهذه الحالة من أسباب ضمور العلم والمعرفة دائماً.

وعلى كلّ حال، ظاهرة الترافد الثقافي ظاهرة مباركة في حياة هذه الأُمّة، يجب أن

نستعيدها ونجدّدها ونشجّعها وندعمها، وهي من أفضل وسائل علاج الفتنة.

الوحدة ليست مجرّد شعار وخطاب، وإنّما هي مشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي، وهي مشروع واسع وكبير، ويحتاج إلى تظافر العقول والجهود. ولهذا المشروع آليات علمية وعملية، ولا تتحقّق الوحدة من دون توفير هذه الآليات العلمية والعملية في أجواء التعايش الإسلامي».

ويقول في مقابلة أجرتها معه صحيفة «المرفأ» سنة ٢٠٠٩ م: «إنّ مشروع الوحدة ليس مشروعاً مرحلياً، وإنّما هو مشروع استراتيجي ومن ثوابت الحالة السياسية في هذه الأُمّة، والقرآن الكريم يؤكّد هذا المعنى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٢). وما نقرؤه في القرآن الكريم يمثّل الحالة الفكرية والحضارية في هذه الأُمّة، لكن حاجتنا للوحدة في هذه المرحلة بالخصوص تبرز بشكل واضح، حيث المؤتمرات والبيانات تدعو للفتنة والفضائيات والمواقع التي تكرّس جهودها لنشر الفرقة بين المسلمين. فلا بدّ إذاً من نشر التوعية بين المسلمين، وتنبيههم إلى ضرورة الحيطة والحذر أكثر من أيّ وقت مضى».

(انظر ترجمته في: مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٧١ ـ ٥٧٢، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦١٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٤٧ ـ ١٤٨).

محمّد مهدي التسخيري

الدكتور الشيخ محمّد مهدي بن علي أكبر بن محمّد حسين التسخيري: رئيس تحرير مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية، ومدير وكالة أنباء التقريب، ومستشار الأمين العامّ للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران.

يتميّز بروح تقريبية عالية، وشارك في عدّة مؤتمرات دولية حول هذا الشأن. وقام بإعداد بعض الكتب التي تدور حول الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، منها: رجالات التقريب، دراسات في الحضارة الإسلامية، تقريب المذاهب وتوحيد المواقف.

يقول: «لا يخفىٰ على ذي لبّ أنّ مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الأُمّة الإسلامية أصبحت من الآمال التي تطلّع ويطلّع إليها كلّ المصلحين الذين سبقونا بالإيمان، وبذلوا منتهى الجهود المخلصة لتحقيقها ودعوة الناس إليها، خصوصاً في القرن الأخير، أمثال السيّد جمال الدين الأسد آبادي (المعروف بالأفغاني) والسيّد البروجردي، والمشايخ العظام، أمثال محمّد عبده والمراغي والقمّي وشلتوت وعلّوبة باشا ومحمّد الحسين آل كاشف الغطاء وواعظ زاده الخراساني ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣). فهؤلاء العلماء الذين أدركوا عمق المصاب الذي ابتلي به العالم الإسلامي بكلّ مذاهبه وقومياته، بأيّ سبب كان أو يكون، فانتفضوا في سبيل الله على ذواتهم أوّلاً، من أجل إصلاح المجتمع الإسلامي والبشرية آخراً... فمن ذلك الحين إلى يومنا هذا أُقيمت عشرات المؤتمرات بل المئات في مختلف المجالات والاختصاصات، وفي كافّة المدن المركزية للدول الإسلامية كالقاهرة وطهران وجدّة وجاكارتا وعمّان وبغداد والمنامة وإسلام آباد، ودرست وناقشت المواضيع المتنوّعة والمفيدة، التي تصّب نتيجتها في طريق وحدة الأُمّة الإسلامية والتأكيد على أهمّية المساعي المشكورة فيه.

ما أحوجنا اليوم إلى استراتيجية تقريبية لصالح عالمنا الإسلامي تقدّم من قبل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، أو أيّ منظّمة واتّحاد وكتلة إسلامية، وتكون هذه الاستراتيجية منسجمة مع الاستراتيجية المرسومة على مستوى منظّمة المؤتمر الإسلامي؛ لتحظى بتأييد ودعم المنظّمة تسهيلاً لتطبيقها على صعيد الواقع الإسلامي. ومن الطبيعي أن تحتوي هذه الخطّة الخطيرة على أهمّ ما يهدف المجتمع الإسلامي وما يصبو إليه من مصالح تعمّ الأُمّة الإسلامية برمّتها.

هناك أُمور يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار في رسم الاستراتيجية التقريبية المتوخّاة:

١ ـ رسم الأولويات المرجوّة لصالح المسلمين، مع ملاحظة المحاور المهمّة لاستراتيجية التقريب الواردة في هذا المقال، وأقترح أن تكون القضية الفلسطينية درّة التاج

لهذه الاستراتيجية وعلى سلّم أولوياتها . وعلينا أن لا ننسى كلام الإمام الخميني الراحل قبل ثلاثة وعشرين عاماً مخاطباً العالم الإسلامي : «على قادة الدول الإسلامية أن ينتبهوا إلى جرثومة الفساد هذه التي زرعت في قلب العالم الإسلامي ، لا يراد منها القضاء على الأُمّة العربية فحسب ، بل إنّ خطرها وضررها يهدّد الشرق الأوسط بأسره ، فالمخطّط المرسوم يقضي بقيام الصهيونية بالسيطرة والاستيلاء على العالم الإسلامي ، واستعمار أوسع للأرض والموارد الغنية للبلدان الإسلامية ، وإنّ التخلص من شرّ هذا الكابوس الاستعماري الأسود لا يتمّ إلّا من خلال التضحية والصحوة واتّحاد الدول الإسلامية».

٢ ـ السعي إلى تقديم مناهج تعليمية وتربوية من الابتدائية إلى الدراسات العليا ، تهدف إلى تربية جيل من أئمّة فكر ودين ، يقدمون على عمل إيجابي للوقوف أمام الأعمال والأفكار الناتجة من التعصّب والغلو ، ولا يخافون في الله لومة لائم .

٣ ـ الحدّ من الشائعات التي تلفّق وتصدّق عند الآخر والتي تدعو إلى الفرقة والاختلاف السلبي بين المسلمين ، وذلك وفقاً لبرنامج إعلامي موحّد من خلال جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لدى أجهزة الدول الإسلامية ، وإرشاد العلماء والمفكّرين الإسلاميّين لكافّة قطاعات المجتمع الإسلامي .

٤ ـ دعوة النخب الفكرية الإسلامية وعلماء المذاهب الإسلامية إلى دعم صوت التقريب بأفكارهم البنّاءة وتعاليمهم الإسلامية وإرشاداتهم التوعوية والسبل العملية ، هذا الصوت المتمثّل اليوم بمجلّة «رسالة التقريب» الصادرة عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، وقد بذل المشرفون عليها منتهى الجهد لتحقيق الأهداف التقريبية السامية ، لكنّه باعتقادنا كلّ ما بذل هو دون المستوىٰ المطلوب ، إلّا إذا أُسعفنا بإسهامات أرباب الفكر بمقالاتهم وبحوثهم القيّمة .

٥ ـ ينبغي التأكيد على مقترحات قدّمت في مؤتمرات تقريبية سابقة ، يراد تطبيقها والاستمرار في ترجمتها إلى الواقع العملي بين أوساط النخب والعلماء وكافّة أبناء الأُمّة ، كالعمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية ، والسعي إلى إزالة ما يوجب الفرقة والاختلاف المذموم في الموقف العملي ، ونشر الكتب والرسائل والمجلّات التقريبية ،

ودعوة الصحف والإذاعات وجميع وسائل الإعلام إلى نهج تقريبي منسّق يصبّ في طريق الوحدة الإسلامية، وعقد المؤتمرات التقريبية، وحثّ الجامعات والإسلامية منها بالاهتمام بالثقافة الإسلامية العامّة، ونشر قواميس الحديث والرجال الجامعة لاستفادة العلماء، والاستنفاع بالمساجد والمدارس و... وكلّ الأمكنة التعليمية لتقديم مناهج تربوية تقريبية مدروسة للجيل القادم، وتوصية ومطالبة الدول الإسلامية بالاهتمام بمراكز البحوث بتدعيمها وتشجيعها. ومن المؤسف أن نسمع أنّ الإنفاق في الدول الإسلامية على البحث العلمي قد تراجع خلال السنوات الأخيرة، في الوقت الذي ارتفع في الدول النامية».

محمّد مهدي الخالصي

محمّد مهدي بن حسين بن عزيز بن حسين بن علي الأسدي الخالصي الكاظمي: فقيه كبير، ومجاهد مصلح، من مشاهير علماء الإمامية.

ولد بالكاظمية (في جانب الكرخ من بغداد) سنة ستّ وسبعين ومائتين وألف للهجرة.

وتتلمذ على: والده، وعلى عبّاس بن محمّد حسين الجصّاني، وغيره. وحضر في النجف الأشرف وسامرّاء أبحاث الأعلام: محمّد حسين الكاظمي، وحبيب الله الرشتي، والسيّد محمّد حسن الشيرازي، والشيخ محمّد كاظم الخراساني.

ورجع إلى الكاظمية، فتصدّى بها للبحث والتدريس والتأليف، وأنشأ مدرسة كبيرة لطلبة العلوم الإسلامية سمّاها «مدرسة الزهراء» وخصّص لها أساتذة ماهرين وكتباً جمّة.

وذاع صيت المترجم، والتفّ حوله أهل العلم، وأصبح مرجعاً للتقليد والفتيا، ومن الشخصيات البارزة.

وكان قد خاض المعترك الجهادي والسياسي، فأفتى ـ وذلك كسائر الفقهاء ـ بوجوب الجهاد ضدّ الإنجليز الذين هاجموا العراق عام ١٣٣٣ هـ، وسار بنفسه إلى ميدان القتال، وقاد المجاهدين في محور الحويزة.

ثمّ أفتى ـ وذلك بعد احتلال العراق وإعلان الملكية ـ بحرمة المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي التي تجري تحت الانتداب البريطاني، ودعا الأُمّة إلى مقاطعتها، مبيّناً

من خلال خطاباته وبياناته مساوئ الاستعمار وفاضحاً أساليبه الملتوية ، فقرّرت الحكومة القائمة آنذاك إبعاده عن أرض العراق ، فاعتُقل في العاشر من ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ، وسُيّر إلى الحجاز ، ومنه إلى إيران ، فاستقرّ في مدينة مشهد المقدّسة ، وواصل بها نشاطاته الإسلامية ، إلى أن توفّي في ١٢ رمضان سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائة وألف للهجرة .

وقد ترك مؤلّفات عديدة ، منها : القواعد الفقهية ، الشريعة السمحاء في الفقه العملي ، رسالة في تداخل الأغسال ، رسالة في الإرث ، حاشية على الرسالة «الألفية» في الفقه للشهيد الأوّل ، الدراري اللامعات في شرح «القطرات والشذرات» في الفقه لأُستاذه الخراساني ، عناوين الأُصول ، حاشية على «الكفاية» في أُصول الفقه لأُستاذه الخراساني ، تلخيص «الرسائل» في أُصول الفقه للشيخ مرتضى الأنصاري ، المنحة الإلهية في ردّ مختصر ترجمة التحفة الاثني عشرية ، منظومات في العلوم العربية .

(انظر ترجمته في : معارف الرجال ٣ : ١٤٧ ـ ١٥٠ ، أعيان الشيعة ١٠ : ١٥٧ ـ ١٥٨ ، معجم رجال الفكر والأدب ٢ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ، الأعلام للزركلي ٧ : ١١٥ ، مع علماء النجف الأشرف ٢ : ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤ : ٨٤٨ ـ ٨٥٠).

محمّد مهدي شمس الدين

محمّد مهدي بن عبدالكريم شمس الدين : مفكّر إسلامي ، وداعية وحدة .

ولد منتصف شعبان عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦م) في النجف ، وتعلّم المبادئ الأوّلية على والده الحجّة الشيخ عبدالكريم شمس الدين ، ثمّ انخرط في الحوزة ودرس على أساتذتها ، وأكمل الفقه والأُصول على السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي ، وبلغ درجة عالية في الفقه والأُصول ، كما أنّه حاز مرتبةً ساميةً جدّاً في النضج الفكري والإلمام بكلّ جوانب المسألة الثقافية أو العلمية التي يتناولها بالبحث والكتابة ، ويعتبر بحقّ من المفكّرين الإسلاميّين وأصحاب الأقلام الذين يعلون ولا يعلى عليهم أحد . وكان يقوم بنشاطات ثقافية واسعة في النجف وبعض مدن العراق ، كما أنّه ذهب إلى الديوانية للإرشاد والتوجيه من قبل المرجع السيّد محسن الحكيم ابتداءً من سنة ١٩٦١م إلى سنة ١٩٦٩م .

عاد إلى لبنان عام ١٩٦٩ م، ورأس الجمعية الخيرية الثقافية في بيروت، وكان إلى جانب الإمام موسىٰ الصدر في انطلاقاته ونشاطاته السياسية والثقافية والاجتماعية سنة ١٩٧٨م، وجعله نائباً له في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى رغم أنّه بدأ بأعماله الثقافية عند عودته من النجف بشكل مستقلّ. وبعد إخفاء الإمام الصدر في ليبيا عام ١٩٧٨م تولّى إدارة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بالوكالة في ظروف لبنانية وإقليمية حرجة، ورعاها في جميع المجالات في داخل لبنان وخارجه، ثمّ تولّاه بالأصالة سنة ١٩٩٤ م.

يقول عنه السيّد محمّد الغروي: «إنّه عالم كبير ومفكّر يغلب ولا يُغلب في طرح الفكر وشرحه والاستدلال عليه.. وليته كان منصرفاً إلى العلم والفكر والتأليف والتوجيه حيث كان يغني المكتبة العربية والإسلامية بأفكاره النيّرة ويوجّه الأجيال بقلمه ولسانه».

من منجزاته: المعهد الفنّي المهني في بيروت، والمعهد الشرعي لتدريس العلوم الإسلامية، ومبرّة السيّدة زينب عليها السلام في حاروف في منطقة النبطية، ومسجد كبير قليل النظير بني بأموال دفعها الشيخ حسين الإحقاقي، والجامعة الإسلامية في بيروت التي تحتوي على كلّيات مختلفة، منها كلّيات إسلامية، ومنها فروع الفندقية الخدماتية، ومنها كلّية التقنيات الطبّية.

توفّي عام ٢٠٠١م تاركاً مؤلّفات، منها: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، دراسات في نهج البلاغة، ثورة الحسين عليه السلام: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، أنصار الحسين عليه السلام، بين الجاهلية والإسلام، مطارحات في الفكر المادّي والفكر الديني، شرح عهد الأشتر، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشيعي، العلمانية.. هل تصلح حلّاً لمشاكل كلّ لبنان، السلم وقضايا الحرب عند الإمام علي عليه السلام، محاضرات في التاريخ الإسلامي، دراسات ومواقف في الفكر والسياسة والمجتمع، الغدير، الإمام الحسين عليه السلام (قصّة حياته وثورته)، عقائد الشيعة الإمامية، الاحتكار في الشريعة الإسلامية، رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، تفسير آيات الصوم، مع وفاة الإمام الرضا عليه السلام، في الاجتماع السياسي الإسلامي، عاشوراء، حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، أحكام الجوار في الشريعة

الإسلامية.

والشيخ شمس الدين هو أوّل من استعمل مصطلح «فقه الوفاق» في مقالٍ له عن البعد الفقهي في شخصية الإمام شرف الدين، كان قد قدّمه للمؤتمر التكريمي الأوّل الذي عقد ببيروت سنة ١٩٩٣ م، حيث اعتبر كتابي السيّد شرف الدين: «الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة» و«أجوبة مسائل جار الله» نموذجاً لما أسماه بفقه الوفاق.

ويعني به: المذاهب الكلامية للفرق الإسلامية حين يُبحث في وجوه الخلاف بينها، لا بهدف ترجيح أحدها على الآخر في هذه المسألة أو تلك، بل حين يُبحث في علاقتها بوحدة المسلمين باعتبارهم أُمّة واحدة، وأنّ اختلاف الفرق في المسائل الكلامية هل يقتضي أو لا يقتضي اختلاف الأُمّة نفسها وانقسامها من حيث كونها أُمّة مسلمة تجاه القضايا التي تتّصل بصيرورتها التاريخية وتفاعلها فيما بينها ومع العالم من حولها. وينبغي الاهتمام بهذا الفقه؛ لضرورة بلورة العلاقات بين أتباع المذاهب الفقهية والكلامية وترشيدها على أساس العلم الفقهي لا الأوهام الفقهية، ولضرورة بلورة العلاقة بين الحركات الإسلامية وترشيدها أيضاً، وللواقع المعاصر لبعض الحركات الإسلامية التي تتبنّى ظاهرة التكفير ممّا يستدعي إحياء هذا الحقل الفقهي الهامّ.

وفقه الوفاق يقوم على أساس ثابت وعامل متحرّك متغيّر، أمّا الثابت فهو مسلّمات الكتاب والسنّة في شأن ما هو ملاك الإسلام وجماعة المسلمين وبيضة الإسلام، وبروز الكتاب والسنّة في هذا الشأن إجماع المسلمين وإدراك العقل، وأمّا المتغيّر المتحرّك فهو ضرورات الزمان والمكان والحالات في كلّ شعب مسلم وكلّ مجتمع مسلم وكلّ دولة مسلمة.

وأخيراً فإنّ وظيفة فقه الوفاق هي التأصيل لمقولة الوحدة ولمشروعية التنوّع في الوحدة وفي نطاق الإسلام الجامع للتنوّعات.

كما أنّ الشيخ هو من أطلق صيحة مشروع «مركز دراسات الوحدة الإسلامية»، حيث

دعا المعنيّين من فقهاء متخصّصين ومفكّرين وخبراء شتّى البلاد الإسلامية إلىٰ تأسيس مركز متخصّص بدراسات الوحدة الإسلامية، والتعاون بين المؤسّسات الأهلية في المجتمعات الإسلامية من دينية وثقافية لتمويل هذا المركز بالإضافة إلىٰ المتطوّعين من أغنياء المسلمين. وكان يعتقد أنّه من أبرز موارد جواز إنفاق الأموال الشرعية عليها.

(انظر ترجمته في: ملحق موسوعة السياسة: ٤٦٨ ـ ٤٦٩، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٧٢ ـ ٥٧٤، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦١٤، فقهاء ومناهج: ١٧١ ـ ١٩٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٧٥ ـ ٤٧٦ و٢: ١٦٩).

محمّد مهدي عاكف

محمّد مهدي عاكف: داعية إسلامي شهير، والمرشد العامّ (السابع) السابق لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

وعاكف من مواليد كفر عوض السنيط مركز أجا دقهلية بتاريخ ١٢ / يوليو / ١٩٢٨ م، درس في مدرسة (المنصورة) الابتدائية، ثمّ التوجيهية من مدرسة (فؤاد الأوّل) الثانوية بالقاهرة، ثمّ التحق بالمعهد العالي للتربية الرياضية، وتخرّج في مايو ١٩٥٠ م.

عمل بعد تخرّجه مدرّساً للرياضة البدنية بمدرسة (فؤاد الأوّل) الثانوية، وعرف الإخوان في وقت مبكّر في عام ١٩٤٠ م، وتربّى على شيوخ الإخوان وعلمائهم، وعلى رأسهم حسن البنّا، وكان من أحبّ المشايخ إلى نفسه محيي الدين الخطيب.

التحق بكلّية الحقوق عام ١٩٥١ م، ورأس معسكرات جامعة إبراهيم (عين شمس حالياً) في الحرب ضدّ الإنجليز في القناة، حتّى قامت الثورة، وسلّم معسكرات الجامعة لكمال الدين حسين المسؤول عن الحرس الوطني آنذاك.

كان آخر موقع شغله عاكف في الإخوان قبل صدور قرار بحلّ الجماعة عام ١٩٥٤ م هو رئاسة قسم الطلّاب، وكان رئيساً لقسم التربية الرياضية بالمركز العامّ للإخوان المسلمين.

قُبض عليه في أوّل أغسطس ١٩٥٤م، وحُوكم بتهمة تهريب اللواء عبد المنعم عبد الرؤوف ـ وهو أحد قيادات الجيش وأحد أعلام الإخوان الذي أشرف على طرد الملك فاروق ـ وحُكم عليه بالإعدام، ثمّ خُفّف الحكم إلى الأشغال الشاقّة المؤبّدة. وخرج من السجن سنة ١٩٧٤م في عهد الرئيس المصري أنور السادات ليزاول عمله كمدير عامّ للشباب بوزارة التعمير، ثمّ انتقل إلى الرياض بالسعودية ليعمل مستشاراً للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومسؤولاً عن مخيّماتها الدولية ومؤتمراتها. واشترك في تنظيم أكبر المخيّمات للشباب الإسلامي على الساحة العالمية بدءاً من: السعودية، والأردن، وماليزيا، وبنغلاديش، وتركيا، وأُستراليا، ومالي، وكينيا، وقبرص، وألمانيا، وبريطانيا، وأمريكا.

عمل مديراً للمركز الإسلامي بميونخ، وشغل عضوية مكتب الإرشاد (أعلى هيئة قيادية داخل الجماعة) منذ عام ١٩٨٧م حتّى اليوم، وانتخب عضواً بمجلس الشعب سنة ١٩٨٧م عن دائرة شرق القاهرة، وذلك ضمن قائمة التحالف الإسلامي التي خاض الإخوان الانتخابات تحت مظلّتها.

قُدّم للمحاكمة العسكرية سنة ١٩٩٦م، فيما يعرف بقضية سلسبيل، والتي ضمّت وقتها عدد كبير من قيادات الإخوان المسلمين، وقد اتّهمه الادّعاء بأنّه المسؤول عن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، وحُكم عليه بثلاث سنوات، ليخرج من السجن في عام ١٩٩٩م.

وقد تولّى منصب الأمين العامّ للجماعة بعد وفاة سلفه مأمون الهضيبي في عام ٢٠٠٤م، ورفض إعادة انتخابه مرشداً للإخوان، وترك المنصب بعد انتخاب الدكتور محمّد بديع مرشداً خلفاً له في ١٦/ يناير/ ٢٠١٠م.

اختير في المرتبة الـ ١٢ ضمن ٥٠ شخصية مسلمة مؤثّرة في عام ٢٠٠٩م في كتاب أصدره المركز الملكي للدراسات الإستراتيجية الإسلامية، وهو مركز أبحاث رسمي في الأردن حول أكثر ٥٠٠ شخصية مسلمة مؤثّرة في عام ٢٠٠٩م.

محمّد ناصر داتوسيتارو

محمّد ناصر بن إدريس داتوسيتارو : عالم يعدّ من أبرز دعاة الإسلام في العصر الحديث، وهو رئيس وزراء أندونيسيا.

ولد سنة ١٩٠٨م في سومطرة، وحصل على الليسانس من كلّية التربية في باندونج، ونال شهادة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسلامية في مدينة جوك جاكرتا.

وقد تقلّد وظائف متعدّدة، فعمل في التدريس في مجال التربية في عهد الاستعمار الهولندي في مدينة باندونج، ثمّ عيّن مديراً لإدارة التربية في العاصمة الأندونسية، وفي عام ١٩٤٥م طلب إليه الدكتور محمّد حتّي نائب رئيس الجمهورية بعد الاستقلال مساعدته في مكافحة الاستعمار، وكان هذا أوّل دخوله المعترك السياسي، ثمّ كان أحد أعضاء مجلس النوّاب.

وفي عام ١٩٤٦م بعد استقلال أندونيسيا عيّن وزيراً للإعلام، وأنشأ حزب «ماتسومي» وهو اختصار لمجلس شورى مسلمي أندونيسيا، وكانت فكرة إنشاء هذا المجلس قد بدأت في أوّل الحرب العالمية الثانية لمواجهة الاستعمار من أجل الاستقلال لتوحيد المسلمين والجمعيات الإسلامية بالذات، كالجمعية المحمّدية، ونهضة العلماء، وغيرهما، وكان المجلس يسمّى «المجلس الإسلامي الأعلى لأندونيسيا» ويعرف اختصاراً بـ«MIAI».

وبقي وزيراً للإعلام أربع سنوات، وفي هذه الفترة كان يوجد مجلس تنسيق بين الحكومة الأندونيسية والحكومة الهولندية يسمّى «أوشي أندونيسيا ـ هولندا»، وقد اقترحت هولندا أن تتكوّن أندونيسيا من عدّة دول كونفدرالية على أن تعترف بها على هذا الأساس، ولكن الدكتور محمّد ناصر رفض هذا الاقتراح واستقال من الوزراة، ووافق نائب سوكارنو محمّد حتّي على الاقتراح، واستسلم له سوكارنو، ونشط محمّد ناصر في حزب ماتسومي، وحصل على تأييد ٩٠٪ من أعضاء الحزب، فقدّم مشروع أندونيسيا الموحّدة للبرلمان، وطلب من محمّد ناصر أن يشكّل الوزارة، فأصبح رئيساً للوزراء سنة ١٩٥٠م،

واختلف مع الرئيس سوكارنو ، وقدّم استقالته من رئاسة الحكومة قبل أن تنتهي السنة ، وبقي رئيساً لحزب ماتسومي .

واتّصل بالعالم الإسلامي ، فزار باكستان ومصر وسوريا وإيران والعراق والهند . وكانت عنده رغبة في أن يلتقي بالأُستاذ حسن البنّا ، ولكنّه لم يتمكّن من ذلك ؛ لأنّه توفّي قبل أن يقوم بالزيارة للخارج ، ولم يره ، ولكنّه زار المودودي وحسن الهضيبي . وبعد نقاش طويل دار بينه وبين كلّ منهما رأى أنّ فكرته متّفقة مع فكرة الإخوان في مصر والجماعة الإسلامية في باكستان . واحتدم النزاع واشتدّ النقاش مع سوكارنو عندما بدأ يتعاون مع الشيوعيّين ، وكانت بعض فرق القوّات المسلّحة في بعض المناطق تعارض سوكارنو ، واجتمع بهم محمّد ناصر ، وحثّ القوّاد منهم على معارضته ، ولكن محمّد ناصر كان حريصاً على عدم انفصال بعض المناطق عن أندونيسيا ، وكانت أمريكا قد قدّمت مساعدات لبعض القوّاد في منطقة لمبوك في أندونيسيا الشرقية ليقوموا بالانفصال ،كما اتّصلت منطقة آتشيه بالحكومة التركية ولم يتمّ اتّفاق معها . والهدف من التنسيق مع القوّاد أن تكون مناطق أندونيسيا محافظات وليست دولاً منفصلة ، وكان سوكارنو يضرب بالقنابل القوّات في سومطرة ، وكان بعض الوزراء شيوعيّين ، ومنهم قائد القوّات الجوية « سوريادارما » ، واستمرّت الحرب أربع سنوات ، وكان محمّد ناصر مع المقاومين في الغابات .

وبعد عام ١٩٦١ م ضعف ناصر أمام سوكارنو بسبب تعاون بعض الدول مع هذا الأخير ، ومنها الاتّحاد السوفييتي ، وقبض عليه وأُدخل السجن ، ولكن المجاهدين في الغابات كانوا قائمين بالحركة ضدّ حكومة سوكارنو من قبل .

وكانت المقاومة في كلّ من آتشيه وسلاديسي وجاوة الغربية ، وكانت تسمّى « دار الإسلام » والمجاهدون بالجيش الإسلامي .

وحلّ سوكارنو حزب ماتسومي وجميع الأحزاب المعارضة ، وانقلب عليه الذين كانوا يوالونه ويعاونونه ونجحوا في الانقلاب وتولّي السلطة ، وكانوا يسمّون محمّد ناصر وحزبه ـ وهم في الغابة ـ : « حكومة الثورة في الجمهورية الأندونيسية » .

ومن المعارك الطويلة التي خاضها معركته ضدّ التنصير في أندونيسيا، فهو يرى أن هناك خطورة شديدة يجسّدها المنصّرون، وهي خطورة شاملة لكلّ بلدان المسلمين. وهي تأتي أساساً من الكاثوليك «الفاتيكان» والبروتستانت «سويسرا» وهيئات أمريكية وأُسترالية بأشكال مختلفة سياسية واجتماعية، وهي تستخدم الضغوط الآنية كالفقر الذي يوزّعون على أهله الأموال، والجهل الذي يساعدون أهله بإنشاء المدارس والمنح الدراسية. وفي أندونيسيا ٢٠٪ من الوزراء نصارىٰ: وزير الدفاع، والوزير المنسّق للأمن والسياسة، والمالية والتخطيط، ووزير التجارة المساعد، ومحافظ البنك الأندونيسي، ولأوّل مرّة يتولّى فيها نصراني هذه الوظيفة، وغيرهم من المعاونين، أمّا القضاة فإنّ ٤٠٪ منهم نصارى! والمجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة أكثر نشاطه في مواجهة التنصير في المناطق المنعزلة النائية التي ينشط فيها المنصّرون.

وقال في إحدى مقابلاته قبل وفاته: «إنّ استقلال أندونيسيا كان بفضل الله، ثمّ بجهود المسلمين سياسياً وعسكرياً، وعندما استولى سوكارنو على الحكم انحرف إلى الشيوعية وأضرّ بالإسلام والمسلمين الذين وقفوا ضدّ الشيوعية حتّى سقط سوكارنو واندحر الشيوعيّون. والآن عدد المسلمين كبير، والغيرة موجودة عندهم، ولكن المراكز الأساسية السياسية والاقتصادية والعسكرية هي بأيدي النصارىٰ والعلمانيّين. وقد منعنا من النشاط السياسي الإسلامي، ولا يوجد حزب إسلامي سياسي، لذلك ركّزنا على المساجد والمعاهد الإسلامية التربوية ومساجد الجامعات وتنبيه العلماء. ونكتسب في مساجد الجامعات بالذات فئة المثقّفين والطلبة المتفوّقين بحكم تخصّصاتهم العلمية».

ومحمّد ناصر عضو بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة منذ عام ١٩٦٧م، وقد انتخب رئيساً للمجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية من قبل مؤتمر العلماء.

شارك في العشرات من المؤتمرات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، وكان له باع طويل وصيت ومشاركة ثرّة فيها. وكانت أُولى رحلاته الخارجية عام ١٩٥٢م، زار فيها

عدداً من الأقطار الإسلامية والعربية.

وحين كان رئيساً للوزراء زار الحبيب بورقيبة أندونيسيا وعرض كفاح تونس عليه، فأمر بتشكيل لجنة للدفاع عن استقلال تونس والجزائر والمغرب في جاكرتا، وله رصيد كبير في دعم حقوق شعوب هذه المنطقة، وحاز على وسام الاستحقاق التونسي، كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٤٠٠ هـ.

وكان موسوعة في علوم الدين، وقدّم إسهاماً كبيراً في مجالات التأليف، حيث زاد رصيده على ٥٣ مؤلّفاً، منها: «أقامادان مورال» (الدين والأخلاق، طوبى للروّاد»، «بيبليوفيلزم أن دم إسلام»، حينما لا يستجاب الدعاء، «كابيتا سيليكتا»، هل يمكن فصل الدين عن السياسة، الدعوة والإنماء، خطبة عيد الفطر، مع الإسلام نحو أندونيسيا المستقبلة، تحت ظلال الرسالة، فقه الدعوة، زيّنوا الدنيا بأعمالكم وأضيئوا العصر بإيمانكم، أحيوا روح المثالية والتضحية مرّة أخرى، العلم والسلطة والمال أمانة من الله، الإيمان مصدر القوّة الظاهرة والباطنة، الإسلام وحرّية الفكر، الإسلام كأساس للدولة، الإسلام كأيديولوجية، «هيت إسلاميتيس إيديال» (باللغة الهولندية)، المرأة المسلمة وحقوقها، الحضارة الإسلامية، القلق الروحي في ديار الغرب ومسؤولية الأسرة الجامعية والمعاهد العليا، قضية فلسطين، المسجد والقرآن والانضباط، الثقافة الإسلامية.

(انظر ترجمته في: تتمة الأعلام ٢: ٢٢٧ ـ ٢٢٩، إتمام الأعلام: ٤١٥).

محمّد ناصر العبّودي

محمّد بن ناصر بن عبدالرحمان بن عبدالكريم بن عبدالله بن محمّد (آل سالم) العبّودي: أديب ومؤلّف ورحّال سعودي، وداعية تقريب.

ولد في مدينة بريدة سنة ١٩٣٠م. ويشغل منصب الأمين العامّ المساعد لرابطة الإسلامي. أتاح له عمله في الرابطة زيارة معظم أصقاع العالم. فكان لمشاهداته العديدة واطّلاعاته أن تثمر أكثر من مائة وستّين كتاباً في أدب الرحلات! ومنح ميدالية الاستحقاق في الأدب عام ١٩٧٤م.

على الرغم من أنّ تعليم الشيخ محمّد بن ناصر العبّودي كان تعليماً دينياً في مجال الشريعة الإسلامية، إلّا أنّ معظم مؤلّفاته كانت أدبية، ويصبّ الجانب الأكبر منها في مجال أدب الرحالات، حيث يعتبر من الروّاد في هذا المجال في السعودية، والجزء الآخر من مؤلّفاته في مجال اللغة، وقد بلغ عدد مؤلّفاته المطبوعة قرابة ١٢٨ كتاباً، ويوجد لديه حوالي ١٠٠ كتاب آخر لا يزال مخطوطاً ينتظر الطبع!

من مؤلفاته في أدب الرحلات: في أفريقيا الخضراء، مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين، جولة في جزائر البحر الزنجي، في نيبال بلاد الجبال، رحلة إلى جزر مالديف، رحلة إلى سيلان، صلة الحديث عن أفريقية، مشاهدات في بلاد العنصريّين، شهر في غرب أفريقية، زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية، رحلات في أمريكا الوسطى، إطلالة على نهاية العالم الجنوبي، إلى أقصى الجنوب الأمريكي، ذكريات في أفريقيا، جولة في جزائر البحر الكاريبي، على قمم جبال الأنديز، جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، على ضفاف الأمازون، إطلالة على أستراليا، في أعماق الصين الشعبية.

أمّا مؤلّفاته في المجالات الأُخرى فمنها: معجم بلاد القصيم، أخبار أبي العيناء اليمامي، الأمثال العاميّة في نجد، كتاب الثقلاء، نفحات من السكينة القرآنية، مأثورات شعبية، سوانح أدبية، صور ثقيلة، العالم الإسلامي والرابطة.

وللشيخ العبّودي ثمانية أولاد كلّهم حملة شهادات عالية وفي تخصّصات مختلفة.

يقول ضمن مقال له عن الوحدة الإسلامية: «إنّ اختلاف المذهب أو حتّى الدين لم يمنع أعداء المسلمين من اليهود وبعض المتعصّبين من غيرهم من أن يتّفقوا فيما بينهم على معاداة المسلمين وابتغاء الشرّ لهم، بل حتّى توجيه معاول الهدم الثقافي والتخريب المعنوي ضدّ المسلمين. فكانوا يختلفون فيما بينهم في أُمور جوهرية، ولكنّهم يتعاونون في العمل ضدّ الإسلام والمسلمين.

وهذا يوجب علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نتعاون ونتكاتف رغم اختلاف المذهب أو المذاهب الفقهية؛ لأنّنا مأمورون بالتعاون أمراً إلهياً في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ

﴿وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة: ٢).

إنّ التعاون بين المسلمين واجب بموجب هذا الأمر الإلهي الصريح: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، فكيف به إذا أضاف المسلم إليه ما يعلمه ويعلمه غيره من أن مكانة المسلمين بل منزلة الإسلام في نفوس الآخرين ستضار جداً إذا لم يتعاون المسلمون ويعملوا معاً بما فيه خدمة دينهم؟!

إنّنا نشاهد التكتّلات الدولية في هذا العصر تقوم على أساس مصلحي ماديّ تعضده في كثير من الأحيان مصالح مذهبية (أيديولوجية)، ونحن نعلم أنّ وحدة المسلمين التي يقصد بها تعاون المسلمين على الأُمور الاقتصادية وما يترتّب عليه من نفع عامّ للأُمّة على كافّة الأصعدة هو ما يرفع مستوى المسلمين اقتصادياً وهو ما ينفعهم سياسياً ومعنوياً.

إنّ مسؤولية الحكومات والجماعات المسلمة الكبيرة ظاهرة في وجوب العمل على التعاون بين المسلمين على البرّ والتقوى والبعد عن كلّ ما ينافي ذلك.

ولكن الفرد المسلم عليه مسؤولية أيضاً تتمثّل في أن يبتعد كلّياً عمّا يوجب الفرقة والتخاصم بين المسلمين على نطاق فردي.

ومن البديهي أنّ الأُمّة تتألّف من مجموعة أفراد، إذا صلح حال أفرادها أو أكثرهم صلحت حالها. فلا يجوز للمسلم أن يقدم على عمل يفرّق بين المسلمين سواء بالكتابة أو الخطابة أو حتّى البحث في المجالس الخاصّة.

وينبغي لكلّ مسلم أن يتذكّر أنّه كالذي يكون على ثغر من الثغور يدافع عن الإسلام والمسلمين، ويجب أن يحذر أن يؤتى الإسلام من قبله.

فإذا رأى أنّ حكومة أو جماعة كبيرة تعمل خلاف ما أمرها الله به من التعاون والتواصل بين المسلمين فإنّ هذا لا يجوز أن يفت في عضده ولا أن يوقفه عمّا التزم به من عدم الإسهام ـ ولو فردياً ـ فيما يناقض المصلحة الإسلامية ويوجب الفرقة والتنافر بين المسلمين.

إنّ الحديث عن وجوب التعاون بين السملمين يمكن أن يستغرق مجلّداً، ولكنّه أو أكثره معروف لدينا جميعاً، ولذلك لن أُطيل عليكم بذكره، وإنّما أقول: إنّه في هذا الوقت

الذي تقاربت فيه المسافات، وزالت الحواجز بين الثقافات، وصار الناس يعرفون عن المذاهب الفكرية الخارجة عن المسلمين الكثير، لا يجوز لعامّة المسلمين أن يجهلوا ما عليه إخوانهم المسلمون ممّن لا يتمذهبون بمذهبهم، بل يجب أن يطّلعوا على ما لديهم، مثلما يجب على أُولئك أن يطلعوا العامّة على ما عليه جمهور المسلمين في أنحاء العالم الواسع. ويكون ذلك على أُساس الاطّلاع الأخوي الذي ينشد الخير وإشاعة المعرفة بين المسلمين».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٤٨ ـ ١٤٩).

محمّد الهادي بلقاضي

محمّد الهادي بلقاضي: مفتي الجمهورية التونسية.

ولد سنة ١٩٠٣ م بتونس العاصمة، وتفقّه بجامعها، ثمّ أقرأ فيها، وتولّى الإمامة والخطابة بجامع حمّودة باشا حتّىٰ سنة ١٩٥٢م حين سمّي مفتياً حنفياً وعضواً بالمجلس الشرعي وقاضياً فيه، ثمّ أُسندت إليه رئاسة الدائرة بمحكمة الاستئناف، ثمّ أصبح مستشاراً في محكمة التعقيب، وفي عام ١٩٦٩م اختير مفتياً للجمهورية التونسية، وتوفّي عام ١٩٧٩م.

كان موصوفاً بالعلم والصلاح والإصلاح.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٤١٩).

محمّد هادي الميلاني

محمّد هادي بن جعفر بن أحمد بن مرتضى بن علي أكبر بن أسد الله بن حسين الحسيني الميلاني التبريزي، نزيل مشهد الرضا عليه السلام: فقيه كبير، من مراجع التقليد عند الإمامية، وداعية وحدة.

ولد في النجف الأشرف سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة وألف للهجرة، وطوى بعض المراحل الدراسية، متتلمذاً على: السيّد جعفر الأردبيلي، وإبراهيم الهمداني، وإبراهيم السلياني، وآخرين.

حضر الأبحاث العالية على الأعلام: شيخ الشريعة الأصفهاني، والميرزا محمّد حسين النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني (حيث لازمه في الفقه والأُصول والفلسفة)، والشيخ محمّد جواد البلاغي.

وحاز ملكة الاجتهاد واستنباط الأحكام، واستقلّ بالبحث والتدريس.

انتقل إلى كربلاء سنة ١٣٥٥ هـ ـ وذلك بدعوة من المرجع الديني السيّد حسين القمّي الحائري ـ فأصبح فيها من أساتذة الفقه والأُصول.

وتوجّه إلى إيران سنة ١٣٧٣ هـ بقصد زيارة مرقد الإمام علي الرضا عليه السلام بمدينة مشهد، فألحّ عليه علماء الحوزة العلمية والوجهاء بالبقاء، فلبّى طلبهم، وصار المبرّز من علماء خراسان في الفتيا والتقليد والتدريس، وقد أنشأ مدرسة علمية في مشهد وعدداً من المؤسّسات الخيرية في مناطق مختلفة.

وكان من الزعماء الذين ناهضوا السلطات الحاكمة لتشريعها القوانين المنافية للإسلام، وله دور بارز في الحركة الإسلامية الكبرى في إيران عام ١٣٨٣ هـ.

تتلمذ عليه الجمّاء الغفير، منهم: ولداه السيّد نور الدين والسيّد محمّد علي، والسيّد محسن بن علي الجلالي، والسيّد محمّد بن مهدي الشيرازي، والسيّد أحمد بن عزيز الفالي، والسيّد عبد الكريم بن علي خان الحسيني، وعلي بن محمود آل سماكة الحلّي، ومحمّد حسين بن سليمان الأعلمي، ومحمّد بن سلمان الهاجري الأحسائي، وجواد بن عبد النبي المظفّر النجفي، والسيّد محمّد كاظم بن محمّد إبراهيم القزويني.

وألّف كتباً ورسائل، منها: حاشية على «المكاسب» للشيخ مرتضى الأنصاري (في أربعة أجزاء)، محاضرات في فقه الإمامية (في أربعة أجزاء)، كتاب في المضاربة، كتاب في الإجارة والمزارعة والمساقاة، رسالة في أحكام الجلود والأصباغ المستوردة، رسالة في أحكام الكمبيالات، تعليقات على «العروة الوثقى» للسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، قواعد فقهية وأُصولية، كتاب في صلاة الجمعة والجماعة والمسافر، رسالة فتوائية (سمّاها «توضيح المسائل»)، رسالة فتوائية (سمّاها «نخبة المسائل») (بالفارسية)، رسالة في التأمين واليانصيب، تفسير سورة الجمعة والتغابن، رسالة في بحث المشتقّ،

كتاب في مبحث الأوامر إلى آخر الاستصحاب، كتاب في سيرة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام وسيرة فاطمة الزهراء عليها السلام اسمه «قادتنا كيف نعرفهم» (في سبعة أجزاء).

توفّي في مشهد سنة خمس وتسعين وثلاث مائة وألف للهجرة.

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ٢: ٢٦٥ (الهامش)، الذريعة ٢٤: ٩٩، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٢٥٥، مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢٥٣، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٦٣ ـ ٤٦٤، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٩٦، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٨٠٣ ـ ٨٠٥، كلشن أبرار (روضة الأبرار) ٢: ٧٦٥ ـ ٧٧٣).

محمّد هيثم الخيّاط

محمّد هيثم بن أحمد حمدي الخيّاط: مفكّر إسلامي، وطبيب ناجح، وداعية ممتاز، وأديب متمكّن.

وهو كبير مستشاري المدير الإقليمي لمنظّمة الصحّة العالمية لشرق المتوسّط، وعضو مجلس أُمناء الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين وعضو مجلس أُمناء المنظّمة الإسلامية للعلوم الطبّية، ورئيس تحرير «المجلّة الصحّية» لشرق المتوسّط، ومقرّر مشروع المعجم الطبّي الموحّد، وعضو مجامع اللغة العربية في: دمشق، وبغداد، وعمّان، والقاهرة، وعليكرة. علاوة على ذلك فهو عضو في أكثر من ٢٠ جمعية علمية في مختلف أنحاء العالم، منها: أكاديمية نيويورك للعلوم السياسية، والمجمع العلمي الهندي، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

ولد الدكتور محمّد هيثم الخيّاط في دمشق عام ١٩٣٧ م، ودخل الصفّ الرابع وهو في السابعة من العمر. درس العلوم الشرعية على مشاريخ دمشق، وتبحّر في علوم اللغة العربية.

درس العلوم الطبّية في كلّية الطبّ في جامعة دمشق، وحصل منها على درجة الدكتوراه في الطبّ، ثمّ شهادة أهلية التعليم العالي من جامعة بروكسل في بلجيكا.

شارك في التدريس في جامعة دمشق خلال دراسته ولم يتجاوز عمره ٢٢ عاماً. كما

درّس في كلّية الطبّ بجامعة بروكسل.

أصدر حتّى الآن ٤٠ كتاباً باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، ومنها بعض المعاجم، كما نشرت له أكثر من مائة مقالة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية في مختلف المجالات. كتب كتباً في الطبّ والصحّة والكيمياء وعلم النبات واللغة العربية والأخلاق الإسلامية، وشارك في تأليف المناهج والمقرّرات الطبّية لجامعتي دمشق وحلب.

من أبرز كتبه: المعدة بيت الداء والحمية بيت الدواء، المرأة المسلمة وقضايا العصر، في سبيل العربية، نحو استراتيجية إسلامية موحّدة لحماية الطفولة الجانحة (بالمشاركة). وله مساهمة فاعلة في وضع أوّل دستور إسلامي للأخلاق الطبّية.

يقول: «أشعر أنّ التقريب من واجبي، والذي أسعى إليه دائماً هو تمتين الصلة بين أبناء الأُمّة الإسلامية، وعرض الإسلام الصحيح الصافي المجرّد عن كلّ ما تعلّق به في أثناء السنوات الطوال من تقاليد بالية ومن أفكار سيّئة ومن كلّ الشوائب التي أُضيفت إليه.

والذي أُركّز عليه دائماً هو البحث عن سبل التقريب بين أبناء الأُمّة الإسلامية في كلّ ما يحقّق مصلحتها ويوجّه أبناءها إلى التنمية والعمران والنهوض بهذه الأُمّة، ثمّ الفهم الصحيح للعمل الصالح على أنّه العمل الذي يحقّق الخير للإنسانية ما يستطيع من خير؛ لأنّ هذه الأُمّة قد أُخرجت إخراجاً إلى الدنيا ولم تخرج من تلقاء نفسها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠)، وهذه الخيرية تستدعي أن تقدّم للإنسانية كلّها خير الحلول لمشاكلها، خير الأفكار التي تجعل هذه البشرية تحقّق ما أراده الله سبحانه وتعالى من وجود البشر على هذه الأرض. ومن أجل ذلك كان من الضروري أن يساهم المسلمون بأفكارهم البنّاءة والإيجابية بدل المساهمة في الأفكار المظلمة والمتخلّفة والأُمور التي تزيد من الشقاق والفرقة بين أبناء الدين الواحد وبين أبناء الإنسانية جمعاء. والله سبحانه تعالى قد علّمنا أن ندعو دائماً إلى الصعيد المشترك الذي نستطيع فيه أن نلتقي مع الآخرين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، هذه الدعوة التي ينبغي أن ندعوها،

والمسلمون كلّهم دعاة؛ لأنّهم يخلفون النبي ﷺ الذي قال عنه ربّه سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ (سورة يوسف: ١٠٨)، فمهمّة المسلمين والدعاة منهم خاصّة لا بدّ أن يكونوا كما نهج لهم نبيّهم ﷺ، دعاة إلى الخير والمعروف والنهضة والتقدّم، ودعاة إلى العمل الإيجابي، وبعداء عن كلّ ما يفرّق الناس، وما يؤدّي بينهم إلى الشحناء والبغضاء، وما يؤدّي إلى التخلّف والتأخّر وإلى الشقاق والفرقة وضياع الأنفس والأموال والأوقات، فهذا أمر نحن مسؤولون عنه ومحاسبون عليه، «ولا تزول قدم عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن ماله فيما اكتسبه، وأين أنفقه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه...»، فنحن مسؤولون عن كلّ هذه الأُمور، وينبغي علينا أن نتعامل معها على مستوى المسؤولية، ونحاول أن نحقّق ما أراده الله بنا لهذه البشرية، وإلّا كنّا مقصّرين، وكان حسابنا عسيراً ـ لا سمح الله ـ في يوم الآخرة.

التقريب ممكن جدّاً؛ لأنّه هو الأصل؛ لأنّ هذه الأُمّة في الأصل كانت متقاربة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢)، ويقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، ويقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٦٣)، فإذا كان الله قد ألّف بينهم فكيف لا نستطيع أن نعيد هؤلاء الذين تفرّقت بهم مشارب الحياة إلى الشيء الذي أراده الله عزّ وجلّ، هو الذي ألّف بينهم؟! والنبي ﷺ يعلّمنا في كلّ مناسبة أهمّية هذا الإخاء وأهمّية هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تربط بين بعض المسلمين وبعضهم الآخر: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى»، «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله.. كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»، وكلّ هذه الأحاديث الشريفة تتحدّث عن هذه الوحدة العضوية بين أبناء الأُمّة الإسلامية.. هذه أُمور يجب أن نستحضرها دائماً أمام أعيننا، وأن نستهدي بها؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بطاعة الرسول وباتّباع الرسول، وبشّر الذين يتّبعون النبي الأُمّي

الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه، هؤلاء هم المفلحون الذين يمثّلون حقيقة الأُمّة الإسلامية.

فقناعتنا أنّ كلّ أبناء الأُمّة الإسلامية يحبّون أن يتّبعوا هذا النبي ﷺ وأن يعملوا بما أمر به وبما ودعه أمامنا من مثل، فقضية التقريب هي قضية التذكير بهذه الجوامع التي كانت تجمع بيننا، وما أكثرها! والابتعاد عن المفرّقات السخيفة التي طرأت من جرّاء السياسات الخاطئة والتصرّفات البدائية التي يقوم بها بعض الجهلة من مختلف الأماكن، فهذه أشياء ينبغي أن تطوى وتلقى في قمامة التاريخ، وينتقل المسلمون مجدّداً إلى عصرهم الذهبي الأوّل، عصر النبوّة الصالحة التي علّمت المسلمين كيف يكون الإنسان المثالي، وكيف يعيش هذا الإخاء الذي كان بين الجميع والإيثار الذي كان بين الجميع، وحدّثنا عنه ربّنا عزّ وجلّ بقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الحشر: ٩)، هذه هي الروح التي ينبغي أن تسود الأُمّة الإسلامية، وهو أمر ممكن وسهل جدّاً أن يعاد إليها بمجرّد أن يوجد المخلصون الذين يخصّصون من وقتهم وجهدهم ما يستطيعون به أن يذكّروا إخوانهم وأنفسهم قبل ذلك بهذه المبادئ، والله سبحانه يتولّى الصالحين، وهو الذي يحقّق النجاح لمن يريد أن يعمل في سبيله».

محمّد واعظ زاده الخراساني

محمّد واعظ زاده الخراساني: الأمين العامّ السابق للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وأحد العلماء المشهورين.

ولد في مشهد عام ١٩٢٥م في عائلة عرفت بالعلم والخطابة، وتلقّى دروسه الدينية في مشهد وقم والنجف، وتخرّج على يد بعض العلماء الكبار، كالسيّد حسين البروجردي، والإمام الخميني، والسيّد محمّد حسين الطباطبائي.

وحصل على اجازة الاجتهاد من العلّامة الطباطبائي، وعلى إجازة الحديث من العلّامة

الطهراني والعلّامة السمناني وغيرهما.

وقد قام الشيخ بنشاطات علمية وفيرة وفي مجالات مختلفة، كتأليف الكتب، وكتابة المقالات، وإصدار المجلّات، والتدريس في الحوزات والجامعات، وعقد الندوات والمؤتمرات أو المشاركة فيها، والزيارات العلمية لمختلف مراكز العلم في البلاد الإسلامية وغيرها، واللقاء بالعلماء والمفكّرين.

وقد عرفته الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية عالماً مجتهداً مستوعباً لآراء المذاهب والأفكار في مجالات علمية كثيرة كالفقه والأُصول والتاريخ والحديث، ويعرفه العلماء والمفكّرون في العالم الإسلامي بنشاطاته المخلصة للتقريب بين المذاهب وجهده المتواصل لأجل وحدة المسلمين ورصّ صفوفهم وتأليف قلوبهم.

وقد تسنّم عدّة مناصب، وأحدها (حالياً) العضوية في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

من مؤلّفاته: ثلاث مقولات حول الشهيد المطهّري، الوحدة الإسلامية.. عناصرها وموانعها، نداء الوحدة والتقريب بين المسلمين ومذاهبهم.

يقول: «إنّ التقريب كان أُمنية عشتها منذ باكورة حياتي، ومارستها في حياتي العلمية والعملية بشكل جادّ ومتواصل».

ويقول: «إنّ الأُخوّة تعني أُلفة القلوب وانسجام المشاعر والعواطف، وهي فرع من الرأفة الإسلامية. والمسلمون ينبغي أن يكونوا كالإخوة في مشاعرهم والأُلفة العاطفية، مثلما يجب أن يكونوا متّحدين في الميادين السياسية وعالمها المضطرب، وفي المجالات الاجتماعية والاقتصادية والقضايا العامّة وفيما يرتبط بأحكام الشريعة وفي وحدة المصير.

لقد اهتمّ القرآن كثيراً بالوحدة الإسلامية، ولم يترك تبيان شيء يعين على تحقّقها وترسيخها بين المسلمين بما يضمن سعادتهم كما يتّضح للمتدبّر في الآيات الكريمة والذي يسعى لتعرّف دقائقها، ولكنّ المسلمين غافلون عنها، فقد ابتعدنا عن القرآن، نحن بعيدون عنه حتّى عندما نتلوه وعندما يفسّره لنا المفسّرون!

فمثلاً لم أرَ إلى الآن من يفرّق بين الوحدة الإسلامية والأُخوّة الإسلامية، أو بين توحيد المسلمين والتقريب بين المذاهب، وهما قضيتان مستقلّتان وإن كانتا مترابطتين، فالتقريب بين المذاهب مقدّمة للوحدة.

إذاً المسلمون أُمّة واحدة، وهذه من بديهيات الإسلام، وهي تعني أنّ عليهم أن يحفظوا أواصر الوحدة بينهم، وسبيل تحقيق ذلك على حسب ما بيّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)، لا ينحصر في وقوفهم في صفّ واحد فقط. فليست هذه هي الوحدة، بل يجب أن يلتفّوا حول محور واحد، ويتمسّكوا بحبل واحد هو «حبل الله»، وقد وردت آراء عديدة في تفسير المقصود منه كالقول: بأنّه القرآن، أو الدين، أو الإسلام، أو الأحكام.

هذا الأصل العامّ المشترك هو الاشتراك في العقيدة؛ إذ أنّ للوحدة الإسلامية أساسين: الأوّل عقيدي، والثاني عملي. ونقصد بـ«الأصل العامّ المشترك» المبادئ الإسلامية الثابتة التي يجمع عليها المسلمون كافّة، وثبتت بالقرآن والسنّة، وأذعن المسلمون جميعاً بالإقرار بها، فهم جميعاً يؤمنون بالتوحيد والنبوّة والمعاد وبوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أُصول الدين المتّفق عليها ثلاثة: التوحيد، والنبوّة، والمعاد.. وما عداها من الأُمور المختلف عليها بين المذاهب هي من الأُصول المذهبية. فلكلّ مذهب أُصول خاصّة به.

جمعنا الله سبحانه وتعالى على طريق الخير والهدى والعقيدة الحقّة، إنّه تعالى سميع مجيب».

ويركّز الشيخ الخراساني على أُصول عشرة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ينبغي - وذلك على حدّ تعبيره - الأخذ بها كميثاق بين العلماء، هي:

١ - إنّ المذاهب الإسلامية رغم اختلافها في الفروع والمسائل الجانبية متّفقة في الأُصول التي تشكّل جوهر الإسلام، والتي من اعتقد والتزم بها فهو مسلم، ومن أنكرها جميعاً أو أشتاتاً فليس بمسلم.

٢ ـ إنّ معظم الاختلاف بينها نشأ من الاجتهاد في فهم الكتاب والسنّة، أو في توثيق نصوص السنّة، أو في قواعد الاستنباط، أو في تبيين تلك الأُصول والتفريع عليها. ولا دخل للسياسة والأهواء في هذا الاختلاف وإن غذّتها أحياناً للتغلّب على المنافسين.

٣ ـ إنّ المراد بالمذاهب الإسلامية التي نتحدّث عن التقريب بينها هي المذاهب المعروفة عند أهل السنّة والشيعة التي لها أُصول مدوّنة من فقه وكلام وحديث وتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية، وهي لا تتجاوز ثمانية مذاهب. وأمّا الفِرَق الشاذّة التي توجد هنا وهناك فهي إمّا مبدعة رأساً ـ وهي قليلة جدّاً ـ أو منشعبة ومنحرفة عن إحدى المذاهب المعروفة، وعندهم آراء وتقاليد لا تُشبه الأُصول الإسلامية، ونحن لا نسلبهم اسم الإسلام، بل ندعوهم إلى الرجوع إلى أحد المذاهب المعترف بها.

٤ ـ يجب على أئمّة كلّ من هذه المذاهب بيان أُصول مذهبهم وعرضها على العلماء من سائر المذاهب؛ كي يطّلعوا على الفوارق بينهم وأنّها لا تختلف في الأُصول والأُسس.

٥ ـ يجب على الأئمّة أن لا يخلطوا الأُصول بالفروع عندهم، فيجعلوا ما اختصّ بهم من الفروع في زمرة الأُصول ـ وقد حدث ـ فإنّ ذلك يخرج المذاهب عن كونها مذاهب، ويؤول أمرها إلى حسبانها أدياناً مختلفة.

٦ ـ النقاط المبهمة والمريبة عند كلّ مذهب يجب الرجوع فيها إلى الخبراء في هذا المذهب، دون الأخذ عن خصومهم، أو الاعتماد على الشائعات بين العوام من هذا المذهب. وعلى هؤلاء الخبراء إزالة الشكوك العالقة ببعض ما عندهم؛ حتّى يرتفع الريب واللوم، وتذوب الظنون السيّئة التي رسّخت في نفوس الآخرين.

٧ ـ بعد هذه الجهود المبذولة من قبل هؤلاء الخبراء يجب الاعتراف بالمذاهب المعروفة كمدارس إسلامية مستمدّة من الكتاب والسنّة، والاجتناب عن إنكارها، أو رميها بالبدعة، ورمي أتباعها بالكفر والفسوق والخروج عن الدين، أو الفتيا ـ والعياذ بالله ـ بإباحة دمائهم أو وجوب إراقتها كما حدث في التاريخ.

٨ ـ الإمساك من قِبل أتباع كلّ مذهب عن القيام بنشر مذهبه بين أتباع المذاهب

الأُخرى، فهذا مثار التنازع والتقاتل.

٩ ـ السعي إلى فتح باب الاجتهاد عند علماء كلّ مذهب ـ مع رعاية الإنصاف والسماحة ـ بالرجوع إلى الكتاب والسنّة من جديد، وإلى الأُصول العلمية والمدوّنات المهمّة عند كلّ واحد من المذاهب؛ لتتمّ شروط الاستنباط، وبدون ذلك لا تجوز الفتيا ولا إصدار الرأي. ونحن واثقون بأنّ الاجتهاد الشامل سوف يرفع كثيراً من الخلاف و يقرّب الآراء.

١٠ ـ تشكيل لجان علمية بين أئمّة المذاهب لتبادل الآراء في أُصول الإسلام المشتركة، وفيما اختلفت المذاهب فيه، وصولاً إلى الوفاق والاحترام المتقابل بينهم، وليعذّر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا، ويتعاونوا فيما اتّفقوا.

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٥٠).

محمّد يوسف

محمّد يوسف: أمير الجماعة الإسلامية لعموم الهند.

ولد سنة ١٩٠٨م، وكانت صلته بالجماعة الإسلامية وطيدة وقديمة، فمن عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٧٢م شغل منصب الأمين العامّ للجماعة، واختير أميراً للجماعة في عام ١٩٧٢م، فظلّ في هذا المنصب إلى سنة ١٩٨١م.

وقد قضىٰ حياة حافلة بالنشاط والحيوية أيّام إمارته للجماعة، وقام بجولات كثيرة في أنحاء العالم الإسلامي وزيارات لمراكز الدعوة الإسلامية في كثير من البلدان الآسيوية والأُوروبية.

كان عضواً بارزاً في المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند، وفي هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند، وفي المجلس الأعلى للمساجد في رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة.

توفّي سنة ١٩٩١م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢٣٩، إتمام الأعلام: ٤٢٣، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٥٢).

محمّد يوسف موسىٰ

محمّد يوسف موسىٰ: مفكّر مصري شهير، وداعية وحدة.

ولد في ريف مصر سنة ١٨٩٩ م، ونشأ يتيماً في أُسرة مثقّفة وعلمية، ووجّهته أُمّه إلى كتّاب القرية ليحفظ كتاب الله تعالى، فحفظه في وقت قصير، ثمّ توجّه إلى الأزهر سنة ١٩١٢ م، فنال شهادة العالمية حيث عيّن مدرّساً بمعهد الزقازيق الديني، ودرس اللغة الفرنسية والحقوق، واشتغل بالمحاماة الشرعية ولمع فيها. وفي سنة ١٩٣٦ م ترك المحاماة وعاد للتدريس في المعاهد الأزهرية، وفي سنة ١٩٣٧ م اختير للتدريس في كلّية أُصول الدين لمقرّرات الفلسفة والأخلاق، وكان له منهجه الجديد الناقد والمتفتّح، وكانت له كتابات في الصحف والمجلّات تدعو إلى تطوير التعليم الأزهري.

سافر في سنة ١٩٣٨ م إلى فرنسا للحصول على شهادة الدكتوراه بإشراف الأُستاذين: مصطفىٰ عبدالرزّاق، وماسينيون، فكان أوّل أزهري ينال هذه الدرجة العلمية، واختير ـ وهو طالب في فرنسا ـ خبيراً بالمجمع اللغوي بالقاهرة، وسافر إلى إسبانيا والمغرب العربي، ورجع بعد ذلك إلى بلاده، ودرّس في كلّية الحقوق بجامعة فؤاد الأوّل، وفي سنة ١٩٥٥ م اختير أُستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة بكلّية الحقوق في جامعة عين شمس، وظلّ بها حتّى أُحيل للمعاش سنة ١٩٥٩ م، وقد امتدّ تدريسه إلى جامعة الخرطوم، فأحدث فيها تغييرات جذرية في التدريس والإدارة.

وفي سنة ١٩٦٠ م عيّن مستشاراً للدعوة والثقافة بوزارة الأوقاف، فأصدر مجلّة «منبر الإسلام»، وشارك في عدّة لجان ومؤتمرات وأحاديث إذاعية، وحال نذر حياته للعلم والبحث وهموم الأُمّة دون زواجه وتكوينه أُسرة.

توفّي عام ١٩٦٣ م بداء السكّر بعد أن تأثّر نظره بذلك تاركاً عدّة مؤلّفات، منها: مباحث في فلسفة الأخلاق، تاريخ الأخلاق، بين الدين والفلسفة، ابن رشد الفيلسوف، الفقه الإسلامي، الأموال ونظرية العقد في الفقه الإسلامي، أحكام الأحوال الشخصية في الفقه الإسلامي، التشريع الإسلامي وأثره في الفكر الغربي، الإسلام والحياة، نظام الحكم

في الإسلام، أبو حنيفة والقيم الإنسانية في مذهبه، الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، دروس في فقه الكتاب والسنّة.

كما قام بتحقيق كتاب «قواطع الأدلّة في أُصول الاعتقاد» للجويني، هذا علاوة على بعض الكتب المشتركة، وبعض الكتب المترجمة، وعدد من البحوث والمقالات.

وله عدّة مقالات منشورة في مجلّة «رسالة الإسلام»، يقول في واحدة منها: «نعتقد أنّ من الخطوات العملية التي يجب أن تتّخذها جماعة التقريب بعد أن سلخت طوال عامين من عمرها المبارك إن شاء الله تعالى في التمهيد والإعداد للتقريب الحقّ المرجو بين المذاهب الإسلامية، أن تعمل على إذاعة ما كان من هذه المذاهب غير معروف على وجهه في مصر، كمذهب الشيعة مثلاً؛ حتّى يعرف من يتعصّب بحقّ أو بغير حقّ لمذهبه المخالف أنّ هـذا المذهب فيه من الحقّ شيء كثير يصلح أن يكون أساساً للتفاهم الصادق بين الشيعة وأهل السنّة؛ وإذاً فلا يجمل بنا باعتبارنا مسلمين وطلّاب حقّ أينما كان أن نتعصّب على مذهب من مذاهب المسلمين له من أُصوله ومن أسانيده ما يجب أن يكون محلّ قبول واتّفاق منّا ومنهم على السواء».

كما يقول في مقالة أُخرى: «يجب أن نعمل على أن نكون حقّاً أُمّة واحدة بدل ما نحن عليه الآن من التفرّق أجناساً وألواناً وشيعاً ومذاهب... وعلينا أن نواجه بصراحة وشجاعة وإخلاص العقبات التي تقف في سبيل هذه الوحدة، ونعني هنا العقبات الداخلية المذهبية التي تباعد بين البلاد الإسلامية، وذلك في رأينا غير عسير، أو على الأقلّ غير مستحيل إن أردناه وعملنا له حقّاً».

(انظر ترجمته في: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٤٣٨ ـ ٤٥٢، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٢٠ ـ ١٠٢٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٥١ ـ ١٥٢).

محمّد يونس

البروفيسور محمّد يونس: أُستاذ الاقتصاد السابق في جامعة شيتاجونج إحدى الجامعات الكبرىٰ في بنغلاديش، ومؤسّس بنك جرامين، وحاصل على جائزة نوبل

للسلام مؤخّراً.

ولد محمّد يونس عام ١٩٤٠م في مدينة شيتاجونج، والتي كانت تعتبر في ذلك الوقت مركزاً تجارياً لمنطقة البنغال الشرقي في شمال شرق الهند. كان والده يعمل صائغاً في المدينة، وهو ما جعله يعيش في سعة من أمره، فدفع أبناءه دفعاً إلى بلوغ أعلى المستويات التعليمية، غير أنّ الأثر الأكبر في حياة يونس كان لأُمّه صفية خاتون التي ما كانت تردّ سائلاً فقيراً يقف ببابهم، والتي تعلّم منها أنّ الإنسان لا بدّ أن تكون له رسالة في الحياة.

في عام ١٩٦٥م حصل محمّد يونس على منحة من مؤسّسة فولبرايت لدراسة الدكتوراه في جامعة فاندربيلت بولاية تينيسي الأمريكية، وفي فترة تواجده بالبعثة نشبت حرب تحرير بنغلاديش (باكستان الشرقية سابقاً) واستقلالها عن باكستان (أو باكستان الغربية في ذلك الوقت)، وقد أخذ يونس من البداية موقف المساند لبلاده بنغلاديش في الغربة، وكان ضمن الحركة الطلّابية البنغالية المؤيّدة للاستقلال، والتي كان لها دور بارز في تحقيق ذلك في النهاية. وبعد مشاركته في تلك الحركة عاد إلى بنغلاديش المستقلّة حديثاً في عام ١٩٧٢م، ليصبح رئيساً لقسم الاقتصاد في جامعة شيتاجونج، وكان أهالي بنغلاديش يعانون ظروفاً معيشية صعبة، وجاء عام ١٩٧٤م لتتفاقم معاناة الناس بحدوث مجاعة قتل فيها ما يقرب من مليون و نصف المليون نسمة.

وبسبب تفاقم أوضاع الفقراء في بلاده مضى يحاول إقناع البنك المركزي أو البنوك التجارية بوضع نظام لإقراض الفقراء بدون ضمانات، وهو ما دعا رجال البنوك للسخرية منه ومن أفكاره، زاعمين أنّ الفقراء ليسوا أهلاً للإقراض. لكنّه صمّم على أنّ الفقراء جديرون بالاقتراض، واستطاع بعد ذلك إنشاء بنك جرامين في عام ١٩٧٩م في بنغلاديش لإقراض الفقراء بنظام القروض متناهية الصغر التي تساعدهم على القيام بأعمال بسيطة تدرّ عليهم دخلاً معقولاً، وقد حصل على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٦م.

في ٢٤/يونيو/٢٠٠٨م احتلّ المرتبة الثانية بعد الأوّل المفكّر التركي محمّد فتح الله كولن ضمن أبرز المفكّرين على مستوى العالم في قائمة عشرين شخصية أكثر تأثيراً على

مستوى العالم الإسلامي لعام ٢٠٠٨م، في استطلاع دولي أجرته مجلّتا «فورين بولسي» و«بروسبكت» الأمريكية والبريطانية على التوالي، وقد احتلّ الدكتور يوسف القرضاوي المرتبة الثالثة والداعية عمرو خالد فيها المرتبة السادسة.

محمود أبو رية

محمود أبو رية: أحد أعلام مصر.

ولد سنة ١٨٨٩ م في كفر المندرة (مركز أجا) بمحافظة الدقهلية بمصر، وجمع بين الدراسة المدنية (الأكاديمية) والدراسة الدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية، وقضىٰ أكثر أيّام عمره في مدينة المنصورة، حتّىٰ وفد إلى الجيزة عام ١٩٥٧م، وبقي فيها حتّىٰ وفاته سنة ١٩٧٠م.

من أهمّ آثاره: أضواء على السنّة المحمّدية، أبو هريرة شيخ المضيرة، السيّد البدوي، حياة القرىٰ، صحيحة جمال الدين الأفغاني، رسائل الرافعي، جمال الدين الأفغاني، دين الله واحد، قصّة الحديث المحمّدي، علي عليه السلام.

ويعدّ الشيخ محمود من علماء القاهرة المحقّقين، وقد حقّق في السنّة النبوية وعرّىٰ الأيادي التي دسّت فيها الوضع والاختلاق والتي أدخلت الخرافات والإسرائيليات، كما أرّخ الحديث النبوي الشريف وألقىٰ عليه أضواء كشّافة.

وهو ممّن يندفع فيما يكتب إلى نصرة أهل البيت عليهم السلام ووجهة نظرهم، وقد أُوذي في سبيل عقائده ومبادئه إيذاءً شديداً، واستمرّ إلى آخر يوم في حياته يناضل في طريق الحقّ بصدق وإيمان.

وكانت له مراسلات مع بعض أعلام الشيعة، كالسيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي، والسيّد أبي القاسم الخوئي، والشيخ محمّد جواد مغنية، والسيّد مرتضىٰ العسكري، كما كانت له بعض المناقشات مع الشيخ محمّد أبي زهرة.

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ١: ١٣١ ـ ١٣٢).

محمود أبو السعود

محمود أبو السعود: من أعلام الاقتصاد الإسلامي والرأي الشجاع، ورئيس المجلس الإسلامي الأمريكي.

ولد في السودان لأبوين مصريين، وحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من كلّية الاقتصاد بجامعة لندن، وعمل بعد ذلك في التدريس، وأصبح مستشاراً لجامعة الدول العربية، وتولّى عدّة مناصب لتطوير الأنظمة المصرفية في كلّ من أفغانستان ومصر وليبيا والمغرب وتونس وباكستان وماليزيا، ودرّس الاقتصاد في جامعة ميسوري وبعض الجامعات الأمريكية الأُخرىٰ.

أمضىٰ جلّ حياته في تحصيل العلم والبحث حول الأنظمة الاقتصادية والسياسية الإسلامية، وله العديد من المساهمات الصحفية.

كان من جملة الإخوان المسلمين في مصر، وأعطاه الشيخ حسن البنّا مسؤولية التربية الرياضية منذ سنة ١٩٣٦م، وقد نظّم وقاد معسكر روّاد العمل الإسلامي بالروح العسكرية والرياضية ـ وبينهم البنّا ـ في الإسكندرية، ومضوا مرّة بهذا التنظيم إلى الملك فاروق لعرض مطالب الجماعة.

وكان رجلاً نشيطاً رياضياً شجاعاً، وقد ناوش الإنجليز عدّة مرّات في أثناء احتلالهم لمصر.

أقام في مدينة بانما، حيث ترأس المجلس الإسلامي الأمريكي منذ تأسيسه عام ١٩٩٠م، وخلالها دأب على إلقاء الخطب والدروس والمواعظ، مضافاً إلى كتاباته الهادفة.

لقي ربّه في أحد مشافي إنجلترا أثناء زيارته لمدينة برمنجهام البريطانية سنة ١٩٩٣م.

من آثاره: خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي، فقه الزكاة المعاصر.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢٤٥، إتمام الأعلام: ٤٢٧).

محمود الحسن الكنكوهي

محمود الحسن بن حامد حسن الكنكوهي الديوبندي: مفتي الهند.

ولد سنة ١٩٠٧م في كنكوه، وإليها نسبته، وقرأ في مظاهر العلوم بسهارفور ودار العلوم في ديوبند، ثمّ درّس وأفتى مدّة طويلة، وأصبح رئيساً لدار الإفتاء في جامع العلوم بكانبور وبدار العلوم المذكورة، ثمّ رحل إلى سهارنبور، فأقام في الخانقاه لزكريا الكاندهلوي، وأجازه هذا وخلّفه في البيعة والإرشاد والطريق، ثمّ في خانقاه النانوتوي في ديوبند.

كان غيوراً على الإسلام، ومدافعاً عن الدين، ومتمسّكاً بالسنّة. كما كان واسع الصدر، سمح النفس، متصلّباً في الأصول والمحكمات، متوسّعاً في الجزئيات والخلافيات.

توفّي عام ١٩٩٦م تاركاً بعض المؤلّفات، منها: الفتاوى المحمودية (٩ مجلّدات)، مجموعة مواعظ (٤ أجزاء).

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٤٢٥ ـ ٤٢٦).

محمود حمدي زقزوق

محمود حمدي زقزوق: وزير الأوقاف المصري، وداعية إسلامي مرموق.

ولد سنة ١٩٣٣م في مركز شربين بمحافظة الدقهلية في مصر، وحصل على الإجازة العالمية من كلّية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٥٩م، وعلى الشهادة العالمية مع إجازة التدريس من كلّية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٦٠، وعلى دكتوراه الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا عام ١٩٦٨م.

عيّن مدرّساً للفلسفة الإسلامية بكلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٦٩م، وعمل أُستاذاً مساعداً عام ١٩٧٤م، ورقّي إلى درجة أُستاذ عام ١٩٧٩م، و عمل وكيلاً لكلّية أُصول الدين بالقاهرة. ورئيساً لقسم الفلسفة والعقيدة (١٩٧٨م ـ ١٩٨٠م). كما عيّن عميداً لكلّية أُصول الدين بجامعة الأزهر في الفترة من عام ١٩٨٧م وحتّى ١٩٨٩م، ومن عام ١٩٩١ م حتّى ١٩٩٥م. أصبح نائباً لرئيس جامعة الأزهر عام ١٩٩٥م، ووزيراً

للأوقاف عام ١٩٩٦م.

من المؤتمرات التي شارك فيها: المؤتمر الدولي للعلاقات الثقافية في مدينة بون بألمانيا عام ١٩٨٠م، والمؤتمر السنوي للجمعية الدولية لتأريخ الأديان بجامعة هامبورغ بألمانيا عام ١٩٨٨، ومؤتمر دار حضارات العالم في برلين بألمانيا عن الاتّجاهات الإسلامية المعاصرة عام ١٩٩١، ومؤتمر مركز أبحاث الحوار (حريصا ـ لبنان) عام ١٩٩٥م.

وهو عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضو المجلس الأعلى للأزهر، وعضو اتّحاد الكتّاب، ورئيس مجلس إدارة الجمعية الفلسفية المصرية، ومقرّر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر.

حاز على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧م.

له العديد من المؤلّفات، منها: المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت (طبعة الكويت عام ١٩٨٣م)، الإسلام في تصوّرات الغرب (طبعة القاهرة عام ١٩٨٧م)، مقدّمة في علم الأخلاق (طبعة القاهرة عام ١٩٩٣م)، دراسات في الفلسفة الحديثة (طبعة القاهرة عام ١٩٩٣م)، تمهيد للفلسفة (طبعة القاهرة عام ١٩٩٤م)، مقدّمة في الفلسفة الإسلامية، الإسلام في مرآة الفكر الغربي (طبعة القاهرة عام ١٩٩٤م)، الدين والحضارة (القاهرة عام ١٩٩٦م)، الدين والفلسفة والتنوير (طبعة القاهرة عام ١٩٩٦م)، الحضارة فريضة إسلامية، الإسلام في عصر العولمة، هموم الأُمّة الإسلامية.

يقول: «إنّ المقصود من التقريب هو: بذل الجهد لتتعايش هذه المذاهب مع بعضها دون تعصّب أو خصومات. فهذا التعايش من شأنه أن يتيح الفرصة أمام هذه المذاهب للتعارف والتفاعل المثمر فيما بينها ممّا يعدّ مصدر ثراء فكري يعود بالفائدة على مسيرة الفكر الإسلامي. والهدف هو التقارب لا التباعد، والتآلف لا التنافر، والتعاون لا التدابر.

ويمكن القول: بأنّ جوهر المشكلة بين المذاهب الإسلامية يكمن في قضية التعصّب والتكفير التي تعكّر صفو الوحدة العملية للأُمّة. فكلّ منها يكفّر الآخر ويعتقد أنّ ما توصّل إليه هو الحقّ الذي لا مراء فيه، وأنّ الآخرين على ضلال، خارجين من الملّة، مبتدعين في الدين.. وهذا من شأنه أن يعمّق أسباب الخلاف وعوامل الفرقة بين أبناء الأُمّة، ويغذّي بذور التعصّب المذهبي التي لا تترك للرأي الآخر مجالاً للإفصاح عن وجهة نظره.

فكيف السبيل إلى إزالة سوء الفهم والقضاء على التعصّب المذهبي لدى كلّ هذه الاتّجاهات حتّى يمكن أن نصل إلى وحدة عملية للأُمّة الإسلامية؟

إنّ قادة وعلماء هذه المذاهب يتحمّلون مسؤولية توعية أتباعهم بالحقائق التي أشرنا إليها وغيرها، وبيان أنّ الجميع مسلمون، لديهم قرآن واحد، ويعبدون ربّاً واحداً، ويهتدون بهدي محمّد ﷺ، وأنّ تكفير المسلم للمسلم إثم كبير.

وأفضل وسيلة عملية للقضاء على الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة لدى كلّ طرف عن الطرف الآخر هي الحوار الذي يعدّ اللغة الحضارية الوحيدة التي تليق بالإنسان الذي كرّمه الله وفضّله على كثير من خلقه. فالحوار من شأنه أن يتيح الفرصة لتبادل الأفكار وإزالة ما استقرّ في الأذهان منذ قرون من سوء فهم كلّ طرف للطرف الآخر. واللقاء المباشر ـ فضلاً عن أهمّيته الكبيرة في جعل الحوار مثمراً ـ من شأنه أن يزيل الجفوة التقليدية والنفور الذي لا مبرّر له بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة.

وإذا كنّا ندعو إلى حوار الأديان والحضارات ـ أي: الحوار مع الآخر المختلف معنا في عقيدته وثقافته ـ فأولى بنا أن نمارس الحوار الإسلامي ـ الإسلامي فيما بيننا. فاستمرار الجفوة والنفور بين المذاهب الإسلامية يضعف الأُمّة الإسلامية، ويفقدها التعاون فيما بينها، ويُطمع فيها أعداؤها.

وينبغي أن يركّز الحوار على القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية؛ ليجعل من هذه القواسم أساساً متيناً وراسخاً للتعاون البنّاء بين أبناء الأُمّة على جميع المستويات. فالتشرذم القائم الآن بين أبناء الأُمّة والصراعات المختلفة المشتعلة في بلاد إسلامية عديدة

أمور من شأنها أن تعمل على إضعاف الأُمّة وتجعلها لقمة سائغة في فم أعدائها.

وإذا كان القرآن الكريم لم يركّز في القواسم المشتركة بين المسلمين والمسيحيّين واليهود والصابئة إلّا على ثلاث قضايا أساسية، وهي: الإيمان بالله وباليوم الآخر والعمل الصالح، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة: ٦٢)، وإذا كانت هذه الأُسس الثلاثة تشكّل قاعدة أساسية للحوار بين الأديان السماوية، فمن باب أولى ينبغي أن تكون قاعدة أساسية للحوار بين أصحاب المذاهب الإسلامية والتقريب بينهم، وهم جميعاً مسلمون يتّجهون نحو قبلة واحدة، ويؤمنون بهذه الأُصول الإيمانية الثلاثة.

ومن هنا فإنّنا إذا استطعنا أن نصل إلى هذه الأعماق من خلال الجهود الصادقة للتقريب بين هذه المذاهب، ومن خلال إشاعة روح التسامح والتفاهم المشترك، والبعد عن أسباب الصراعات المذهبية السابقة التي أضرّت بالأُمّة وأخّرت مسيرتها وعطّلت نهضتها. إذا استطعنا أن نفعل فإنّنا نكون قد قدّمنا خدمة جليلة لأُمّتنا التي أنهكتها الصراعات التي لا طائل من ورائها إلّا تفكّك الأُمّة وانهيار وحدتها.

ولا يجوز أن تبقى جهود التقريب بين المذاهب الإسلامية في إطار المجال النظري فقط، فهذا لن يفيد كثيراً، كما لا يجوز أن تبقى في إطار الصفوة من العلماء في القاعات المغلقة. فالهدف هو أن تمتدّ هذه الجهود لتصل إلى القاعدة العريضة التي تشكّل جسم الأُمّة.

إنّ الحوار بين المذاهب الإسلامية أصبح أمراً ضرورياً ومطلباً ملحّاً. ولا يجوز لنا أن نتحاور مع أصحاب الأديان والثقافات الأُخرى، ولا نستطيع أن نتحاور مع بعضنا بعضاً.

وعلينا أن ننزع من نفوسنا عقد الماضي القريب والبعيد إذا أردنا لهذه الجهود أن تثمر الثمرة المرجوة في جمع المذاهب الإسلامية على كلمة سواء تعيد بناء الثقة بين الجميع، وبالتالي ينفتح أمام الأُمّة الطريق للوحدة العملية في كلّ مجالات الاقتصاد والسياسة

والثقافة والأمن، وإحياء حضارة الأُمّة مرّة أُخرى للحفاظ على الشخصية الإسلامية، وعندئذٍ يمكن أن يتعامل معنا الآخرون من أصحاب الحضارات الأُخرى على أساس من الندّية والاحترام المتبادل؛ لنسهم جميعاً في بناء صرح السلام العالمي للبشرية كلّها.

ولا يجوز لنا أن نتجاهل حقيقة أنّ الأجيال الحاضرة من أبناء الأُمّة لم يكن لها ذنب في الصراعات المذهبية التي حدثت في الماضي، ومن أجل ذلك لا يجوز أن نورثها أحقاد الماضي القريب أو البعيد، بل علينا أن نهيّئ لها مناخاً صحّياً تتنفّس فيه نسائم التسامح، لا أن نثقل كاهلها بميراث نزاعات وصراعات قديمة آن لها أن تأخذ طريقها إلى متاحف التاريخ.

إنّ الأجيال الجديدة من أبناء الأُمّة لن تستطيع أن تسهم في بناء وحدة أُمّتها في ظلّ مناخ التعصّب والكراهية التي لا تزال تسود بين المذاهب الإسلامية، وعلينا أن ندرك أنّ هذه الأجيال قد خلقت لأزمان غير أزماننا وغير أزمان السابقين، وينبغي علينا أن نقدّم لها يد العون لتشقّ طريقها للعيش في سلام في ظلّ أُمّة إسلامية معتصمة بحبل الله المتين متعاونة فيما بينها على البرّ والتقوى لا على الإثم والعدوان».

محمود السرطاوي

محمود علي عمر مصلح السرطاوي: مفكّر إسلامي.

ولد عام ١٩٤٣ م في سرطة في نابلس بفلسطين، وحصل على الثانوية العامّة الأزهرية المعادلة لعام ١٩٦٣ م، وكان ترتيبه فيها من العشرة الأوائل، وعلى بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر عام ١٩٦٧ بتقدير جيّد، وبعدها دبلوم الدراسات الإسلامية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة بتقدير جيّد جداً، وعلى درجة الماجستير في الفقه المقارن من جامعة الأزهر عام ١٩٧٢ م بتقدير جيّد جدّاً، ثمّ الدكتوراه في الفقه المقارن، وموضوعها: «الإمام أبو إبراهيم المزني وأثره في فقه الشافعية» من جامعة الأزهر عام ١٩٧٦ م بمرتبة الشرف الأُولى مع التوصية بطبع الرسالة.

حصل على درجة الأُستاذية في الفقه من الجامعة الأردنية. وهو عضو الفريق الوطني

المشرف على مناهج التربية الإسلامية بوزارة التربية ـ عمّان، وعضو اللجنة المتخصّصة لمعادلة الشهادات الجامعية العليا للعلوم الاجتماعية والإنسانية في مجلس التعليم العالي ـ الأردن. وعضو مجلس الإفتاء بالمملكة الأردنية الهاشمية، وعضو مجلس الوعظ والإرشاد بوزارة الأوقاف ـ عمّان، وعضو المجلس الأعلى للشؤون والمقدّسات الإسلامية بوزارة الأوقاف ـ عمّان، وعضو اللجنة الأكاديمية بالجامعة الإسلامية ـ غزّة، وعضو هيئة تحرير مجلّة الجامعة الإسلامية ـ غزّة، وعضو هيئة تحرير مجلّة «جامعة البلقاء» ـ عمّان، وعضو هيئة تحرير مجلّة «هدى الإسلام» في وزارة الأوقاف بعمّان.

عيّن الدكتور محمود السرطاوي محاضراً متفرّغاً في كلّية الشريعة بتاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٧٦ م، ثمّ عيّن مدرّساً بتاريخ ١٩٧٧/٧/٤ م، ثمّ رقي إلى رتبة أُستاذ مساعد بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٨٤ م، ثمّ رقي إلى رتبة أُستاذ بتاريخ ١٩٩٥/٨/٦ م. عيّن قائماً بأعمال عميد كلّية الشريعة بالجامعة الأردنية منذ ١٩٩٣/٤/٢٧ م حتّى ١٣/ ١٠ / ١٩٩٥ م، وعيّن عميداً لكلّية الشريعة اعتباراً من ١٩٩٥/١٠/١٤ م وإلى ١٩٩٩/٨/٢٥م.

عمل مدرّساً في الجامعة الإسلامية بغزّة وقائماً بأعمال عميد كلّية الشريعة بالجامعة الإسلامية في غزّة عام ١٩٨٣ م / ١٩٨٤ م. وعيّن رئيساً لقسم الفقه والتشريع بكلّية الشريعة بالجامعة الأردنية بتاريخ ١٩٨٧/٩/٦ م ـ ١٩٨٩/٩/١م.

وكذلك هو عضو لجنة هيئة الرقابة الشرعية بشركة التأمين الإسلامية ـ عمّان، وعضو هيئة الرقابة الشرعية للبنك العربي الإسلامي الدولي ـ عمّان، كمّا عيّن عضواً في هيئة تحرير مجلّة «دراسات» / الجامعة الأردنية لمدّة سنتين، وشارك في إعداد مشروع قانون الأحوال الشخصية ـ الأردن.

عيّن عضواً في مجلس كلّية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك وهي تحت التأسيس، وعيّن عضواً في مجلس أُمناء كلّية الدعوة وأُصول الدين في عمّان، وفي لجنة المناهج بتخصّص التربية الإسلامية في جامعة القدس المفتوحة، وفي لجنة المناهج

لكلّية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت.

عيّن مديراً للمركز الثقافي الإسلامي ـ الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٥ م، ورئيساً لمجلس المركز الثقافي الإسلامي طيلة الفترة التي عيّن فيها عميداً لكلّية الشريعة. وقد عيّن عضواً للجنة الدراسات العليا في كلّية الشريعة /الجامعة الأردنية، وعضواً في لجنة إعداد قانون الأحوال الشخصية في الإمارات، وفي لجنة خبراء التقويم الخارجي بكلّية العلوم الإسلامية والتربوية بجامعة السلطان قابوس وبجامعة دولة الإمارات لسنة ١٩٩٧م و١٩٩٨م، وفي لجنة خبراء تأسيس ووضع خطّة إنشاء برنامج القضاء الشرعي في المعهد القضائي بدبي لسنة ١٩٩٩ م. وعيّن رئيساً لقسم الشريعة عام ٢٠٠٠ م في كلّية العلوم الإسلامية بجامعة الشارقة.

من مؤلّفاته: شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، الأحوال الشخصية (بالاشتراك)، نظام الإسلام (بالاشتراك)، فقه العبادات (بالاشتراك). كما شارك في تأليف بعض الكتب الدراسية الدينية لبعض المراحل الدراسية الثانوية وغيرها.

محمود شلتوت

محمود شلتوت: شيخ الجامع الأزهر، ورائد من روّاد التقريب. كان فقهياً مفسّراً، وعالماً كبيراً، من رجال الإصلاح ودعاة الوحدة.

ولد الشيخ محمود شلتوت عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٣ م) في «منية بني منصور» بالبحيرة، والتحق بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩٠٦ م، وتخرّج بالجامع الأزهر سنة ١٩١٨ م بعد أن درس عند بعض الأساتذة، كالشيخ عبدالمجيد سليم، والسيّد عبدالمجيد بن إبراهيم الحسني اللبّان. وتنقّل في التدريس، إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة سنة ١٩٢٧ م بعد أن شارك في ثورة عام ١٩١٩ م بقلمه ولسانه.

ونادى بإصلاح الأزهر، فعارضه بعض كبار الشيوخ كالشيخ الظواهري. وطرد هو ومناصروه سنة ١٩٣١ م، فعمل في المحاماة وكتابة البحوث العلمية، وواصل نقده ونشر أفكاره. وأُعيد بعد أربع سنوات إلى الأزهر، فعيّن وكيلاً لكلّية الشريعة، فمفتّشاً بالمعاهد

الدينية، فعضواً في هيئة كبار العلماء وفي المجمع العلمي اللغوي سنة ١٩٤٦ م في لجنة الفتوى، ثمّ مراقباً عامّاً للبحوث والثقافة في الأزهر سنة ١٩٥٠ م. وكان هو صاحب اقتراح إنشاء مجمع البحوث الإسلامية. وفي سنة ١٩٥٧ م اختير سكرتيراً عامّاً للمؤتمر الإسلامي، ثمّ عيّن وكيلاً للأزهر عام ١٩٥٧ م. ولمّا تولّى مشيخة الأزهر عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) أعاد النظر في تنظيم المناهج، وأدخل الدراسات القانونية وفقه الإمامية. وكان هو أوّل من أدخل النساء إلى الأزهر لأوّل مرّة في التاريخ.

كان خطيباً موهوباً جهوري الصوت، وقد اشتهر وذاع صيته وأصبح محلّ تقدير العالم الإسلامي والعالم المسيحي كذلك، ومنح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعتي شيلي وجاكارتا، ووسام العرش المغربي، وقلادة الكاميرون من رئيسها.

توفّي عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) تاركاً عدّة من المؤلّفات، كفقه القرآن والسنّة، والفتاوى، والإسلام والتكامل الاجتماعي، والإسلام والوجود الدولي، وتفسير القرآن الكريم، وعنصر الخلود في الإسلام، وهذا هو الإسلام، والإسلام عقيدة وشريعة، ومقارنة المذاهب، وتنظيم العلاقات الدولية في الإسلام، ومنهج القرآن في بناء المجتمع، والدعوة المحمّدية، والقتال في الإسلام.

كان الشيخ شلتوت بصيراً بالأحكام الشرعية الملائمة لمقتضيات العصر، واسع الأُفق، حرّاً في تفكيره، من الدعاة إلى فتح باب الاجتهاد وإلى الانفتاح على سائر المذاهب الإسلامية. وقد تبنّى مع نخبة من علماء السنّة والشيعة فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، والعمل على جمع الكلمة، ونبذ النزاع الطائفي والتشاحن المذهبي. وقد تمخّض عن ذلك إنشاء «جماعة التقريب»، وتأسيس مقرّ لها في القاهرة باسم «دار التقريب»، وإصدار مجلّة «رسالة الإسلام».

وأعلن الشيخ شلتوت عن فتواه التاريخة بجواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية كسائر مذاهب أهل السنّة، كما تبادل كثيراً من الرسائل والمقترحات مع بعض أعلام الشيعة آنذاك، كالشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي، والسيّد عبدالحسين شرف

الدين الموسوي العاملي، والسيّد حسين الطباطبائي البروجردي.

هذا، وقد قام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بإقامة مؤتمر عالمي حول أفكار الشيخ شلتوت ومنهجه الوحدوي، وهو في الواقع مؤتمر تكريمي لشخصية هذا الرجل العبقري، كما قام بإصدار كتاب عن حياته وأفكاره بتحقيق واستدراك كاتب السطور.

كان الشيخ شلتوت يعتقد أنّ الاجتهاد من أهمّ الأُسس التي يقوم عليها أيّ إصلاح أو تجديد، وأنّ أيّ إصلاح أو تجديد لا يقوم على الاجتهاد مصيره إلى الجمود ثمّ الفناء.

والاجتهاد الذي يعتقده أشبه بسلسلة متّصلة حلقاتها، تسلّم أوّلها إلى أُخراها، وتؤخذ أُخراها من أُولاها، فهو اجتهاد مبني على أساس الماضي.

وقد التزم الشيخ شلتوت بهذا الاجتهاد وعدم الجمود في البحث، فهو يؤمن بأنّ كلّ تفكير لا يقوم على أساس من الاجتهاد مقضي عليه بالجمود بما ينتهي إليه من موت لا مفرّ منه.

ولذلك نجد الشيخ شلتوت يصرّح في مواضع كثيرة بأنّ الاجتهاد مصدر من أهمّ مصادر التشريع الإسلامي، وهو نعمة من الله أعزّ بها المسلمين عن أن يخضعوا لغيرهم في تشريع أحكامهم فيما يجدّ لهم من أُمور لم يرد في الشرع عنها حكم، فيقول عن الاجتهاد: «وقد رفع الإسلام بهذا الوضع جماعة المسلمين عن أن يخضعوا في أحكامهم وتصرّفاتهم لغير الله، ومنحهم حقّ التفكير والنظر والترجيح واختيار الأصلح في دائرة ما رسمه من الأُصول التشريعية، فلم يترك العقل وراء الأهواء والرغبات، ولم يقيّده في كلّ شيء بمنصوص قد لا يتّفق مع ما يجدّ من شؤون الحياة، كما لم يلزم أهل أيّ عصر باجتهاد أهل عصر سابق دفعتهم اعتبارات خاصّة إلى اختيار ما اختاروا».

وكان دائماً ينادي باتّباع أحكام الله تعالى دون الخضوع فيها لرأي معيّن أو مذهب خاصّ، فيقول: «واجب علينا ألّا ندين بالولاء والانقياد لغير أحكام الله ورسوله، ولا نتابع قولاً لمتقدّم أو متأخّر لا يستند إلى دليل من الكتاب والسنّة، وبذلك تكون فتاوانا وآراؤنا

مستمدّة من ينابيع الإسلام ومصادره الأصلية، ولا نبالي فيها خلاف من يخالفنا».

فكان الشيخ شلتوت بحقّ ينهج في منهجه الاجتهادي منهجاً عظيماً يعتبر امتداداً حقيقياً للحركة التي أبداها أُستاذاه جمال الدين الأفغاني و محمّد عبده في الثورة على التقليد والجمود والمناداة بالاجتهاد والتجديد.

ولإيمانه بضرورة الاجتهاد والإصلاح والتجديد وقف موقفاً صلباً في وجه الذين ينادون بغلق باب الاجتهاد بقوله: «يجب أن نجتهد، وأن نؤمن بأنّ حاجة اليوم من الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها بالأمس، وأن نؤمن بأنّ فضل الله في كلّ ذلك لم يكن وقفاً على الأوّلين. وغير صحيح ما يقال: إنّ السابقين حلّلوا المصادر وقعّدوا القواعد وطبّقوها على كلّ ما يمكن أن يجيء به الزمن ويحدث للناس من أقضية وحاجات».

ولنظرة الشيخ شلتوت العميقة في الاجتهاد وأنّه السبيل لتوحيد الأُمّة الإسلامية لا فرق فيها بين أهل السنّة والشيعة طالما أنّ الجميع مسلمون ويلتزمون العقيدة الإيمانية الصحيحة كان يقول: «انتهى زمن العصبية، ولا أنسى أنّي درّست المقارنة بين المذاهب بكلّية الشريعة بالأزهر، فكنت أعرض آراء المذاهب في المسألة الواحدة وأُبرز من بينها مذهب الشيعة، وكثيراً ما كنت أُرجّح مذهبهم خضوعاً لقوّة الدليل. ولا أنسى أيضاً أنّي كنت أُفتي في كثير من المذاهب بمذهب الشيعة، وأخصّ منها بالذكر ما نجد الناس في حاجة ملحّة إليه، وهو فيما يختصّ بالقدر المحرّم من الرضاع. كما أخصّ بالذكر ما تضمّنه قانون الأحوال الشخصية من مسائل، ومنها على سبيل المثال الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فإنّه يقع في أكثر المذاهب السنّية ثلاثاً، ولكنّه يقع في الشيعة واحدة رجعية، وقد رأى القانون العمل به».

ومن هنا يقول الشيخ نصر فريد واصل: «ولكلّ ما سبق حظي الشيخ شلتوت بمكانة علمية فريدة في عصره، فكان إماماً ممتازاً في شخصيته، ممتازاً في خلقه، ممتازاً في فطرته الطبيعية، فاحتلّ مكانة سامية في فقه الشريعة الإسلامية أتاحت له أن يكون المرجع الأكبر في عصره لطلّاب المعرفة في كلّ ما يتعلّق بمشكلات العصر الحديث وموقف الإسلام

منها».

وكان الشيخ محمود شتلوت رائداً من روّاد النهضة الإسلامية، وواعياً بأنّنا إذا لم نقدّم الإسلام نموذجاً حضارياً لنهضة الأمّة الإسلامية فإنّ النموذج التغريبي اللاديني الذي يبشّر به الاستعمار والمتغرّبون من أبناء الشرق جاهز لملء الفراغ الذي يصنعه الجمود والتقليد.. لذلك كان جهاده ـ وعلى امتداد ما يقرب من نصف قرن ـ كبيراً من أجل تجديد دين الإسلام لتجدّد به دنيا المسلمين.. وكثيراً ما تحدّث عن الإسلام باعتباره «دين الفكر، ودين العقل، ودين العلم».. وعن رسول الإسلام ﷺ الذي لم يقدّم حجّة على رسالته إلّا ما كان طريقها العقل والنظر والتفكير، والذي لم يشأ له ربّه أن يحقّق للقوم ما كانوا يطلبون من خوارق حسّية تخضع لها أعناقهم، وتحدّث عن القرآن الكريم «الذي ارتفع بالعقل، وسجّل أنّ إهماله في الدنيا سيكون سبباً في عذاب الآخرة، فقال حكاية لما يجري على ألسنة الذين ضلّوا ولم يستعملوا عقولهم في معرفة الحقّ والعمل به: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك: ١٠). وكان من مقتضيات أنّ الإسلام دين العقل ودين العلم أنّه حذّر من اتّباع الظنّ، وجعل البرهان والحجّة أساس الإيمان ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٤٨).

ومن هنا كثرت آيات القرآن الواردة في ذمّ التقليد والجمود على ما كان عليه سلفهم، وجرى الخلف وراء السلف دون نظر واستدلال، وكأنّهم يرون أنّ السبق الزمني يخلع على خطّة السابقين وآرائهم في المعتقدات وأفهامهم في النصوص قداسة الحقّ وسلطان البرهان، فالتزموها وتقيّدوا بها وسلبوا أنفسهم خاصّة الإنسان، خاصّة البحث والنظر: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (سورة لقمان: ٢١). «فالجمود عند الموروث والاكتفاء به مصادم لما تقضي به طبيعة الكون وطبيعة كلّ حي من النمو والتوليد.. والتناسل الفكري كالتناسل النباتي والحيواني والإنساني، كلاهما شأن لا بدّ منه في الحياة، ولو وقف التناسل الفكري لارتطم الإنسان في حياته بكثرة ما تلد الطبيعيات التي هو منها، وعندئذٍ يعجز عن تدبير الحياة النامية، فيتحقّق فشله في القيام

بمهمّة الخلافة الأرضية التي اختير لها ووكّلت إليه منذ القدم.. وكذلك فالجمود على آراء المتقدّمين لمجرّد أنّهم متقدّمون فيه سلب لمزية الإنسان في التمييز بين الحقّ والباطل والملائم وغير الملائم.. فيقاد بالزمام، وزمامه صور الآباء والأجداد، فهي دائماً تجذبه القهقرى، ولا تجد من نفسه عوناً على التقدّم، فيقع في ضيق من الحياة المتجدّدة حوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ (سورة الأعراف: ٢٨).. ويظلّ كذلك حتّى تنزل به غاشية من صولة الطبيعة النامية، فتذهب به إلى حيث ذهب الغافلون.. فالجمود جناية على الفطرة البشرية، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان، وإهدار لحجّة الله على عباده، وتمسّك بما لا وزن له عند الله».

ولهذا دعا الشيخ شلتوت إلى ما أسماه «التجديد الانقلابي» ـ أي: الجذري والعميق ـ في العقلية الأزهرية خاصّة، والعقلية الإسلامية عامّة، وذلك حتّى تكون عصور الازدهار الحضاري هي المرجعية الفكرية لهذه العقلية، وليس عصور التراجع الحضاري، وحتّى تتزامل هذه الفكرة التجديدية مع فقه الواقع المعيش في التأسيس لفكر إسلامي أصيل وجديد في ذات الوقت.

وممّا قاله عن هذا «التجديد الانقلابي» لمؤتمر الملحقين الثقافيّين ـ وهو وكيل للأزهر ـ في ٨ صفر ١٣٧٨ هـ/ ٢٤ أغسطس ١٩٥٨م: «إنّ هذا الذي نريده للأزهر هو في واقعه انقلاب، ولكنّه انقلاب محبّب للنفوس الغيورة على ماضيها المتطلّعة إلى مستقبلها.. انقلاب يصل بالعقلية الأزهرية إلى الفكر الأصيل يوم كان خالصاً في موقفه من القرآن، وفي تعبيره عن تعاليم القرآن، وهو في الوقت نفسه يربط العقلية الأزهرية أو الفكرة الإسلامية السليمة بالحياة الواقعية التي يعيش فيه العالم اليوم، والتي تتجاذبها تيّارات فكرية متعارضة، يجب أن يقف العقل الأزهري أمامها؛ ليقي الجماعة الإسلامية غزوها، وليحفظها من الانحلال والذوبان في غيره». الانقلابي باعتباره «سبيل اُمّتنا إلى الزعامة» والإمامة في هذه الحياة.. ولقد كتب عن هذا المقصد فقال: «إنّ سبيل اُمّتنا إلى الزعامة هو مقاومة الفكر الوافد إلينا عن طريق الاستشراق والإلحاد، هذا الفكر الذي من شأنه أن يزعزع القيم

الإسلامية في النفوس، وأن يمزّق وحدة المسلمين والعرب عن طريق الغزو العقلي الذي يملك على الناس قلوبهم، ويصرفهم عن أنفسهم إلى ما يريد.

ولا يظنّ ظانّ أنّنا بهذا نسدّ على أنفسنا مجال الانتفاع بما قد يكون من نتائج البحث الأجنبي الدقيق في مظاهر الحياة العامّة ووسائلها، فنحن نفسح أمام أنفسنا مجال ذلك، والإسلام يدفعنا إليه.

إنّ محمّد بن عبدالله ﷺ لم يتّجه إلى مكافحة الغزو السياسي والاقتصادي في بيئته إلّا بعد أن تمّت له مكافحة الغزو العقلي فيها عن طريق محو الشرك والوثنية وعن طريق الإيمان بالله وحده.

وحينما تمّت له مكافحة هذا الغزو القلبي اتّجه بالإيمان نفسه إلى مكافحة الغزو السياسي؛ حفظاً لشخصية الجماعة، وحفظاً لمبادئها في النفوس، واتّجه كذلك إلى مكافحة الغزو الاقتصادي عن طريق منع الاستغلال والاحتكار والطغيان المالي، وبذلك كملت لشخصيته عناصر الاستقلال المطلق الكامل، واستقلال السياسة، واستقلال الاقتصاد، وما كان ذلك كله إلّا بفهم القرآن، والاتّصال بالحياة الواقعية.. وهذه هي قمّة المجد وطريق السؤدد».

ولقد جاء المشروع الفكري للشيخ شلتوت تجسيداً للاجتهاد على جبهة هذا التجديد.. هذه الجبهة التي امتدّت لتشمل مختلف قضايا الدين والدنيا.. الأمر الذي يجعل الإحاطة بمعالم مواقع هذه الجبهة رهناً بإشارات إلى معالم إبداعه التجديدي في هذه القضايا التي شملت على حدّ تعبير الدكتور محمّد عمارة ضمن ما شملت: ١ ـ العقائد الإسلامية. ٢ ـ عالم الغيب. ٣ ـ السنّة النبوية. ٤ ـ البدعة والإبداع. ٥ ـ الدين والدولة. ٦ ـ الشورى والاستبداد. ٧ ـ الأموال والثروات. ٨ ـ المعاملات المالية المستحدثة. ٩ ـ الموقف من الشيوعية والفلسفة المادّية. ١٠ ـ نظرية التطوّر والنشوء والارتقاء. ١١ ـ تكفير من لم يحكم بما أنزل الله. ١٢ ـ الإنصاف الإسلامي للمرأة. ١٣ ـ الزواج السرّي. ١٤ ـ زواج المتعة. ١٥ ـ النسل بين التجديد والتنظيم. ١٦ ـ الموقف الإسلامي من الفنون

الجميلة. ١٧ ـ التقريب بين المذاهب الإسلامية.

والذي يهمّنا بالبحث هنا هو قضية «التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وإن كنّا أشرنا ـ وسنشير أيضاً ـ إلى بعض أفكاره ومناهجه في البحث العلمي.

كان يقول: «ولقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم منذ أوّل يوم في جماعتها وفي وجوه نشاط دارها بأُمور كثيرة، ثمّ تهيّأ لي بعد ذلك ـ وقد عهد إليّ بمنصب مشيخة الأزهر ـ أن أصدرت فتوى في جواز التعبّد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأُصول المعروفة المصادر المتّبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية.. وقرّت بهذه الفتوى عيون المؤمنين المخلصين الذين لا هدف لهم إلّا الحقّ والأُلفة ومصلحة الأُمّة، وظلّت تتوارد الأسئلة والمشاورات والمجادلات في شأنها، وأنا مؤمن بصحّتها ثابت على فكرتها في الحين بعد الحين، فيما أبعث به من رسائل للمتوضّحين، أو أردّ به على شبه المعترضين، وفيما أُنشئ من مقال ينشر أو حديث يذاع أو بيان أدعو به إلى الوحدة والتماسك والاتّفاق حول أُصول الإسلام ونسيان الضغائن والأحقاد، حتّى أصبحت ـ والحمد لله ـ حقيقة مقرّرة تجري بين المسلمين مجرى القضايا المسلّمة بعد أن كان المرجفون في مختلف عهود الضعف الفكري والخلاف الطائفي والنزاع السياسي يثيرون في موضوعها الشكوك والأوهام بالباطل، وها هو ذا الأزهر الشريف ينزل على حكم هذا المبدأ، مبدأ التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة، فيقرّر دراسة فقه المذاهب الإسلامية، سنّيها وشيعيها، دراسة تعتمد على الدليل والبرهان، وتخلو من التعصّب لفلان وفلان».

ومن حيث منهجه في الفقه فقد تأثّر الشيخ شلتوت بمنهج أُستاذه الشيخ المراغي عندما كتب مذكّرته في شوون الأُسرة وأوضح فيها آراء الفقهاء في شتّى المذاهب الفقهية لكبار الفقهاء في الإسلام دون التقيّد أو التعصّب لمذهب أو لرأي معيّن.

كما تأثر بمذكّرة الشيخ المراغي لإصلاح الأزهر الذي يقول فيها: «يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرّة خالية من التعصّب لمذهب، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأُصولها من الأدلّة، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في

الكتاب والسنّة المجمع عليها، والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأُمم المختلفة كما يفعل السلف من الفقهاء».

تأثّر الشيخ شلتوت بهذا المنهج المقارن ورأى ضرورة إصلاح الفقه وتجديده ليوافق ظروف الزمان والمكان. ولإيمانه بذلك لم يغفل الشيخ شلتوت قضية فقهية من قضايا عصره دون أن يصدر رأيه فيها، فكان مصدر الفتوى في كثير من شؤون الفقه ومسائله، يزاحم أساتذته الكبار مزاحمة ناهضة مشرئبة إلى الاجتهاد حتّى زاملهم مزاملة الكفء للكفء، وصار ينتظر رأيه الفقهي فيما يختلف فيه المتجادلون، فإذا تصدّر للحكم فالرأي المؤيّد بالدليل والإفتاء المستند إلى الترجيح الصحيح.

ولقد ألّف الشيخ شلتوت كتاباً في مقارنة المذاهب الفقهية بالاشتراك مع الأُستاذ محمّد علي السايس، ونهج فيه المنهج المقارن، يأتي فيه بالقضية الفقهية من وجهة نظر كلّ مذهب، ثمّ يرجّح المذهب الذي يناسب ظروف العصر مؤيّداً بالأدلّة والبراهين. ولذلك فهو كان من أوائل الذين اهتمّوا بتجديد الفقه بحيث يلائم العصر والبيئة حتّى ينتفع الناس به، ثائراً على التعصّب والجمود، وكان من آثار هذا المنهج أنّه أفتى بجوز التعبّد بالمذاهب الإسلامية الصحيحة السنّية والشيعية.

وأمّا منهجه في التفسير فالشيخ شلتوت إمام عالم فسّر القرآن الكريم، فجلى هدايات القرآن في جوانب الحياة المختلفة، وأظهر كثيراً من نواحي الإعجاز البياني والتشريعي والعقدي والأخلاقي، وذلك في تبصّر ووعي وإدراك لثقافة العصر وقضاياه المتجدّدة. وهو في تفسيره يؤكّد حقيقة هذا الدين، وهو أنّه الدين الذي رضيه الله للبشرية ديناً خاتماً أرسل به خاتم أنبيائه ورسله محمّداً، وأنّه الدين العامّ الخالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. إذا استقامت البشرية على منهجه يحقّق لها التقدّم والرقي والسعادة والأمن والاستقرار، فهو الدين الذي يصلح به كلّ زمان ومكان؛ لأنّه يلبّي حاجة العقل والقلب والجسد والروح.

وقد أدرك الشيخ شلتوت بوعيه الثاقب أنّ المسلم لا يمكن أن يعيش بعيداً عن حقائق

العصر ومتغيّرات الحياة ومتطلّباتها، فربط التفسير بالواقع، وحارب الجمود والتقليد، وقضى على ركود العقل واستغلال الدين لمصلحة فئة من الناس، ودعا إلى الائتلاف والوحدة، على حدّ تعبير الأُستاذ عبّاس محمود العقّاد.

وقد أصبح الناس في القرن العشرين في حاجة إلى تفسير يلائم حال الناس وثقافتهم، وقام الشيخ شلتوت بواجبه نحو كتاب الله وخدمته، وكتب بحوثه وألقى محاضرات في تفسير القرآن بطريقة فريدة ونموذج رائع وأُسلوب جديد يلائم ذوق العصر وثقافته، عمد فيه إلى بيان وجوه الهداية والإعجاز في القرآن الكريم عقيدةً وتشريعاً وأخلاقاً.

ووضّح الشيخ شلتوت منهجه، فقال أثناء تفسيره لسورة البقرة: «وقد سلكنا بهذا الصنيع سبيلاً غير التي ألفها الناس في التفسير لنضع بين يدي القارئ الموضوعات التي عرضت لها السورة فيما قبل هذه الآية والموضوعات التي عرضت لها فيما بعدها في سلك واحد يجمع بين حبّات كلّ جانب، ويعطي للناظر إليه صورة كاملة لجميع ما احتوت عليه تلك السورة الكريمة، وتعينه على الرجوع بكلّ مسألة فيها إلى نوعها وغرضها التي ترتبط فيها مع زميلاتها، ولعلّ القرّاء يلمسون من هذا الصنيع ذلك المعنى الذي يوحي به اهتمام السورة في الجانب الأوّل من جانبيها بتتبّع أنباء بني إسرائيل وتقصّيها على النحو العجيب، والمؤذن بأنّ القرآن الكريم صادر من العليم الحكيم، كما يوحي باهتمام السورة في جانبها الآخر بعظمة هذا الدين وكونه منهجاً واضحاً وصراطاً مستقيماً يهدي للتي هي أقوم، ويرسم للناس طريق السعادة في الدنيا والآخرة. ويهيّئ للأُمّة حياة هانئة مستقرّة ونظاماً قوياً يعيشون في ظلّه آمنين مطمئنين».

ولقد انتهج الشيخ شلتوت منهج التفسير الموضوعي، وهو تفسير القرآن الكريم بجميع الآيات من السور المختلفة التي تحدّثت عن موضوع واحد ودراستها دراسة موضوعية مرتبطاً بعضها ببعض مستخرجاً منها العبر والأحكام والعظات.

وقد تميّز تفسيره للعشرة أجزاء الأُولى من القرآن الكريم:

أوّلاً: بتنظيم وترتيب المعلومات والتبويب والفهرسة للموضوعات، فكان يذكر

إجمالاً في مستهلّ كلّ سورة: الموضوعات الرئيسية والمحاور التي تدور عليها، ثمّ يبيّن مقاصد السورة، ثمّ يبيّن طريقته في بيان الموضوعات وأُسلوبه في البحث.

ثانياً: بخلوّه من الإسرائيليات والموضوعات والمرويات الضعيفة.

ثالثاً: تجنّب في تفسيره أمرين يجب ـ وذلك على حدّ تعبير الشيخ نصر فريد واصل ـ تنزيه التفسير عنهما: التفسير على وفق آراء المذاهب والفرق، التفسير على مقتضى النظريات العلمية.

رابعاً: بإبراز خصائص النظم القرآني.

خامساً: بتوضيح وبيان أوجه الهداية والموعظة في القرآن الكريم.

هذا، ومن أهمّ جوانب منهج الشيخ شلتوت الإصلاحي سعيه الدائب لتحقيق الوحدة الإسلامية والتقريب والتوفيق بين المسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم وديارهم.

ومن أجل ذلك عمل على تقريب الخلاف بين المسلمين في الفكر أو الجنسية أو المذاهب أو الطائفية، وإبعاد أسباب الخلافات والتنازع بينهم.

وكان يؤمن بأنّ الاتّفاق الفكري بين المسلمين هو الأصل، ويحتاج إلى توجيه وإرشاد إلى سبيل الاتّحاد، ولذلك كان دائماً يبيّن الأسباب المؤدّية إلى الوحدة والمنافع التي تترتّب عليها من العزّة والقوّة والمنعة للمسلمين، وكان يدعو إلى محاربة العصبية المذهبية لإزالة العوائق والموانع أمام تحقيق الوحدة الإسلامية على حدّ تعبير الشيخ نصر فريد واصل.

وانطلاقاً من هذا الفكر شارك الشيخ شلتوت من أوّل يوم في جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية من نشأتها، وكان من أوائل الرجال الذين نادوا بالتقريب بين المذاهب الإسلامية كلّها التي لا تخالف أصلاً من أُصول الإسلام، وخاصّة التقريب بين أهل السنّة والشيعة؛ لأنّ المسلمين جميعاً ربّهم واحد، ودينهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم وأُصول عقيدتهم وعبادتهم واحدة.

ويقول الشيخ في دعوته من أجل التوفيق بين المسلمين: «إنّ دعوة التقريب هي دعوة التوحيد، والوحدة هي دعوة الإسلام والسلام، وإنّ أُسلوبها الذي تنهجه لهو الأُسلوب

الحكيم الذي أمر الله به رسوله الكريم في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة النحل: ١٢٥). وإنّ المتّقي لله في مقام ابتغاء العلم هو ذلك الذي لا تأخذه عصبية، ولا تسيطر عليه مذهبية، ولا ينظر يميناً أو شمالاً دون قصده».

وكان الشيخ شلتوت يرى ومن معه أنّ فكرة التقريب بين المذاهب تقوم على أساس التعارف العلمي وتضييق شقّة الخلاف، وليس معناها التوحيد بين المذاهب. وإنّما التقريب المقصود هو: أن لا يصل الخلاف في الفروع إلى حدّ العداوة؛ فالتقريب اتّجاه جادّ داخل الإسلام مجرّد من اللون الطائفي أو الإقليمي للتخلّص من العداوة المتبادلة بين أصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة والعمل على صيانة وحدة الأُمّة الإسلامية. والتقريب مرتبط ارتباطاً تامّاً بوحدة الأُمّة المسلمة، ويسعى لإنقاذ الوحدة الإسلامية من عوامل الهدم والمكائد التي يدبّرها للإسلام أعداؤه، وليس التقريب انتصاراً وغلبة لمذهب على آخر، وليس إدماجاً لمذهب في آخر، وليس تقريباً بين الأديان المختلفة، وإنّما يقوم على التسليم بحقوق وواجبات عامّة للمسلمين في كلّ مكان بغض النظر عن مذهبه وجنسيته ولونه، وكذلك اعتقاد أُخوّة المسلم للمسلم؛ لأنّها أُخوّة في الله. فليس بين المسلمين خلاف في الأساليب والأُصول العامّة، وإنّما الخلاف في الفروع فحسب. ومن أجل هذه الأفكار البنّاءة أُنشئت جماعة التقريب بين المذاهب في القاهرة سنة ١٩٤٨م.

ولمّا كان الشيخ شلتوت يتطلّع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، كما تطلّع ويتطلّع إليها غيره؛ لأنّه أدرك الخسارة الفادحة التي لحقت بالمسلمين من جرّاء الفرقة والتنازع والاقتتال الذي أدّى إلى ضعفهم وتكالب الأُمم الغربية المستعمرة عليهم، وقد مزّقتهم العصبيات والفروقات المذهبية والخلافات الطائفية، قيّد اجتهاده في جماعة التقريب بين طائفتي أهل السنّة والشيعة، وظلّ مع زملائه في الفكرة يقوم بواجبه نحو التوفيق والتقريب. ولإيمانه بالفكرة اقترح في إحدى جلسات الدار أن يُعتبر السنّة والشيعة المشتركون في الجماعة مذاهب إسلامية لا طوائف أو فرق. وهو الذي كتب المقدّمة العلمية المعروفة

لتفسير «مجمع البيان» للأزهر. كان يكتب تفسيره للقرآن الكريم في مجلّة دار التقريب، وهي «رسالة الإسلام»، وكان في هذا الوقت وكيلاً للأزهر. وفي أثناء تولّيه شيخاً للأزهر الشريف أصدر فتواه الشهيرة بشأن المذاهب الإسلامية، وهي جواز اتّباع مذهب الإمامية الجعفرية أو الزيدية كما تقدّم.

وهو يقول مصوّراً جمال الوحدة بين المسلمين وكمالها: «كنت أودّ لو أستطيع أن أتحدّث عن الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى الإيراني أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي حول مائدة واحدة تدوّي أصوات، فيها آداب وعلم، وفيها تصوّف وفقه، وفيها مع كلّ ذلك روح الأُخوّة وذوق المودّة والمحبّة وزمالة التعليم والعرفان».

ثمّ هو يبيّن الأسباب التي دعت إلى الفرقة والعصبية، ويرشد إلى كيفية الخروج منها والعمل على إزالتها، ليتوحّد الصفّ الإسلامي، فيقول: «لقد كان أكثر الكاتبين عن الفِرق الإسلامية متأثّراً بروح التعصّب الممقوت، فكانت كتاباتهم ممّا تورّث نيران العداوة والبغضاء بين أبناء الملّة الواحدة، وكان كلّ كاتب لا ينظر إلى من خلفه إلّا من زاوية واحدة، وهي تسخيف رأيه وتسفيه عقيدته بأُسلوب لا يليق بالمسلم، وشرّه أكثر من نفعه! إنّ الله سبحانه طلب من الأُمّة الإسلامية أن توحّد كلمتها، فلا تكون شيعاً وأحزاباً يضرب بعضهم رقاب بعض. وقد استغلّ المستعمرون أسباب الفرقة بين المسلمين أسوأ استغلال، ورغم أنّ المصلحين من المسلمين تنبّهوا إلى الأضرار التي تحيق بدينهم وبلادهم من جرّاء هذه الفرقة، فنادوا بوجوب وحدة الصفّ الإسلامي والتخلّي عن أسباب النفرة بين أبناء الملّة الواحدة والعقيدة الواحدة. وليست الدعوة إلى تقريب المذاهب الإسلامية دعوة إلى لقاء أو غلبة مذهب على حساب مذهب آخر، ولكنّها دعوة على تنقية المذاهب من الشوائب التي أثارتها العصبيات والنفرات الطائفية وأذكتها العقلية الشعوبية. ولقد فهم المسلمون الأوّلون حقيقة هذا الدين الحنيف واختلفوا في فهم نصّ من كتاب الله أو سنّة رسول الله ﷺ، ولكنّهم

مع هذا الخلاف كانوا يداً واحدة على مَن عاداهم، ثمّ خلف من بعدهم خلف جعلوا دينهم تبعاً لأهوائهم، فتفرّقت الأُمّة إلى شيع وأحزاب ومذاهب وعصبيات، واستباح بعضهم دماء بعض. وطمع فيهم الأعداء ومن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أذى، وذهبت ريحهم، وضعفت كلمتهم، ولقي الإسلام على يد هؤلاء وأُولئك ما لقي من نكبات ومصائب، ولولا قوّة تعاليمه وصفاء جوهره ومنبعه وسلامته وطهارة عقيدته واستقامتها مع الفطرة الإنسانية لحرمت الإنسانية من مزاياه وفضائله».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٧: ١٧٣، الأزهر في ألف عام ١: ٣٣٩ـ٣٤٧و٣: ١٧٤ـ١٧٥، ٤٤٣ـ٤٤٤، معجم المفسّرين ٢: ٦٦٣، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ١: ٤٤٧ـ٤٦٨، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٣١٢و٥٢٥، عظماء الإسلام: ٤١٤ـ٤١٥، كفاح علماء الإسلام: ١٩٩ـ٢٠٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٨٢٦ـ٨٢٨، من أعلام الإحياء الإسلامي: ١٦١ ـ ٢٣٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٣٨ ـ ١٠٤١، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٥٥٥، الإمام البروجردي.. آية الإخلاص: ١٠٧ـ١٠٨، رجالات التقريب: ٤١ـ٨٥و٣٧٧ـ٤٠٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ٤٦٣و٢: ١٥٢ـ١٥٤، ١٩٤).

محمود الطالقاني

محمود بن أبي الحسن الطالقاني: سياسي ومصلح ورجل دين إيراني.

ولد سنة ١٣٢٩هـ في قرية غليرد الطالقانية، ونشأ هناك، ودرس المقدّمات في العلوم الإسلامية منذ نعومة أظفاره (عندما كان في العاشرة من عمره)، ثمّ هاجر بمعية عائلته إلى طهران. وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره سافر إلى مدينة قم لإكمال دراسته الدينية، فدرس عند السيّد محمّد الحجّة الكوهكري والسيّد الخوانساري. ومن بعد مدّة سافر إلى النجف الأشرف لحضور الأبحاث العالية، ثمّ رجع إلى قم مجدّداً وسكن في المدرسة الفيضية.

وقد استطاع الحصول على إجازة الاجتهاد من الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي، وتوجّه للتدريس في المعهد العالي للشهيد المطهّري (مدرسة سبهسالار السابقة) في

طهران. وكانت له دروس تفسيرية أيضاً يلقيها على بعض الطلبة.

وإلى جانب نشاطاته الدينية كانت له مساهمات فاعلة على مستوى السياسة، فشارك لسنوات متمادية في النضال ضدّ نظام حكم آل البهلوي، قيل: أسهم في تأسيس «حركة تحرير إيران» إلى جانب مهدي بازركان، وقد أدانته المحاكم الشاهنشاهية عدّة مرّات بسبب نشاطه المعارض، وأمضى في سجون الشاه فترات اعتقال تجاوزت ١١ عاماً، وقد اضطرّ نظام الشاه إلى إطلاق سراحه عام ١٩٧٩ م تحت ضغط الأحداث، فجاء لتحيته عند خروجه من السجن ما يزيد على ربع مليون شخص.

وقد كان السيّد محمود من زمرة المفكّرين الذين خطوا خطوات واسعة في مجال الوحدة الإسلامية، وقد شارك في مؤتمرات إسلامية كثيرة بنفسه وأُخرى ممثّلاً عن آية الله الكاشاني والمرجع السيّد حسين البروجردي. وقد بارك إنشاء «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في القاهرة، وأثنىٰ على هذه الخطوة ثناءً عظيماً.

وعندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني كان السيّد الطالقاني ممّن ساندوا الإمام ونصروه و آزروه، وغدا سنة ١٩٧٩م ممثّلاً عن أهالي طهران في مجلس خبراء القيادة، واقترح على الإمام إقامة صلاة الجمعة العبادية والسياسية في أنحاء إيران لدورها الفاعل في توطيد التلاحم والتضامن بين أبناء البلاد، فوافق على طلبه، و من هنا كان الطالقاني إماماً لأوّل صلاة جمعة أُقيمت في جامعة طهران، فصلّى خلفه زهاء المليون شخص، وبقي يقيم صلاة الجمعة في طهران سبع مرّات، حتّىٰ وافاه الأجل بتاريخ ١٩/٦/١٣٥٨ هـ.ش (١٩٧٩م)، ودفن في طهران.

من آثاره (وجميعها بالفارسية): تفسير بعض سور القرآن الكريم، الإسلام والملكية، مستقبل البشرية من وجهة نظر مدرستنا، الحرّية والاستبداد، آية الحجاب، المرجعية والفتوى، أنوار القرآن، نسلك الطريق إلى أنفسنا، درس من القرآن. درس الوحدة. كما قام بترجمة المجلّد الأوّل من كتاب «الإمام علي بن أبي طالب» لعبد الفتّاح عبدالمقصود، وقام

بالتعليق على كتاب «تنبيه الأُمّة وتنزيه الملّة» للميرزا النائيني.

(انظر ترجمته في: موسوعة السياسة ٣: ٧٥٨، مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢١٩، المفسّرون للأيازي: ١٩٢ ـ ١٩٧، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٢٥، كلشن أبرار (روضة الأبرار) ٢: ٨٠٦ ـ ٨١٣).

محمود عبدالغني عاشور

محمود عبد الغني عاشور: أُمين عامّ دار التقريب بين المذاهب، ووكيل الأزهر الشريف سابقاً، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

نال الشيخ محمود سنة ٢٠٠٨ م جائزة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بعنوان «رائد تقريب» تقديراً لجهوده التي بذلها في مجال الوحدة والتقريب.

يقول في تصريح له: «إنّنا اليوم في حاجة إلى المبادرة من كلّ مسلم، وليس على مستوى القيادات فحسب، وذلك حتّى نستطيع أن نتصدّى للفتنة. فالمسلمون إذا أخذوا موقفاً من هذه الفتنة فسيصلون إلى برّ الأمان، خاصّة أنّ القرآن الكريم يؤكّد أُخوّة المسلمين، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد آخى بين المسلمين بنصّ قرآني فلا يجوز لبشر أن يفرّق بين شيعي وسنّي».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٥٤).

محمود عكّام

الدكتور الشيخ محمود علي عكّام: مفكّر إسلامي سوري، وداعية وحدة.

ولد في مدينة حلب السورية بتاريخ ٦/٦/١٩٥٢م، و انتسب في الرابعة من عمره إلى روضة «دوحة التربية»، ثمّ درس الابتدائية في مدرستي «الوحدة العربية» و«صلاح الدين الصبّاغ».

وبعد أن نال شهادة المرحلة الابتدائية بتفوّق انتسب إلى الثانوية الشرعية «الخسروية» عام ١٩٦٦م، و حصل على الشهادة الإعدادية الشرعية عام ١٩٦٨م، وفي السنة نفسها تقدّم للشهادة الإعدادية العامّة، فحصل عليها بتفوّق.

ونال عام ١٩٧١ م شهادة الثانوية الشرعية حائزاً الدرجة الأُولى على القطر في تلك السنة.

انتسب إلى كلّية الشريعة بجامعة دمشق وتخرّج منها عام ١٩٧٥ م، حائزاً الدرجة الأُولى على دفعته في تلك الدورة. وحصل على دبلوم التأهيل التربوي من كلّية التربية بجامعة دمشق عام ١٩٧٦م، و نال دبلوم المناهج وأُصول التدريس من كلّية التربية بجامعة دمشق عام ١٩٧٧م.

توجّه عام ١٩٧٩م إلى فرنسا ليتابع تحصيله العلمي في جامعة السوربون بباريس ويحصل منها على الماجستير عام ١٩٨١م عن رسالتين. عنوان الأُولى: «دراسة في رسائل عمر بن عبدالعزيز إلى ولاته وعمّاله» والثانية: «نظرية الإمامة عند الشيعة المعاصرين»، وكان المشرف عليه المؤرّخ الفرنسي دومينيك سورديل، ويحصل بعدها على الدكتوراه في الفكر الإسلامي السياسي من السوربون أيضاً عام ١٩٨٣ م، وكان المشرف عليه المفكّر المعروف البروفيسور محمّد أركون، وعنوان الأُطروحة: «الحاكمية والسلطة في الفكر الإسلامي السياسي في القرن الخامس الهجري.. دراسة مقارنة بين السنّة والشيعة».

عاد إلى سورية عام ١٩٨٤م ليتابع نشاطه وعمله.

والعكّام مفتي محافظة حلب، و أُستاذ محاضر في كلّيتي الحقوق والتربية بجامعة حلب، ومستشار وزير الأوقاف لشؤون التعليم الشرعي والتوجيه والإرشاد، وخطيب جامع التوحيد الكبير بحلب منذ عام ١٩٨٤ وحتّى اليوم، وأُستاذ مشرف على مجموعة من الباحثين في مرحلة الماجستير والدكتوراه، وعضو الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو اتّحاد الكتّاب العرب، وعضو لجنة الفتوى في شبكة islamonline، وعضو لجنة البحوث والشؤون الإسلامية بدمشق، ورئيس لجنة التوجيه والإرشاد الديني بحلب، والمستشار الشرعي في اللجنة القانونية للهيئة السورية لشؤون الأُسرة، وأُستاذ في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون خلال سنتين كاملتين (١٩٨١ م ـ ١٩٨٢م)،

وأُستاذ محاضر في كلّية الشريعة بجامعة دمشق (١٩٨٦ ـ ١٩٨٧)، ومدير الثانوية الشرعية «الخسروية» بحلب من عام ١٩٨٤م وحتّى ١٩٨٨م، ومسؤول عن المدارس و المعاهد الشرعية والمساجد في مديرية أوقاف حلب من عام ١٩٨٨م وحتّى ١٩٩١م، ومدير مبرّة الأوقاف الإسلامية بحلب منذ عام ١٩٩١ وحتّى ٢٠٠٥م، وعضو الأمانة العامّة وعضو اللجنة العلمية لاحتفالية حلب عاصمة الثقافة الإسلامية سنة ٢٠٠٦م.

شارك في مؤتمرات وندوات عالمية، وحاضر في: سورية، السودان، مصر، المغرب، تركيا، إيران، ألمانيا، اليونان، فرنسا، بلجيكا، الولايات المتّحدة الأمريكية، الكويت، الإمارات العربية، ماليزيا، السعودية، لبنان، سويسرا، قطر.

صدر له ما يزيد على خمسة وثلاثين كتاباً، وشارك في تأليف وتقديم أعمال مطبوعة أُخرى تربو على الأربعين. ومن مؤلّفاته: نظرية الإمامة عند الشيعة المعاصرين، دراسة في رسائل عمر بن عبدالعزيز إلى ولاته وعمّاله، الحاكمية والسلطة في الفكر السياسي الإسلامي عند الشيعة والسنّة في القرن الخامس الهجري.. دراسة مقارنة، من مقولات الفكر الإسلامي: رؤية جادّة لموضوعات هامّة، الإسلام والإنسان: دراسة عن الإنسان في القرآن والسنّة وصفاً ومراداً وتكليفاً، سبيل المعروف: دراسة علمية وعملية يحتاجها كلّ مسلم، فكر ومنبر، قبّلي بخشيةٍ أعتابهم: رسائل مرفوعة إلى جناب الحبيب المصطفى ﷺ، اللهمّ هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً: قبسات من ضياء أهل العباء ﷺ، نزهة المحبّين في روض الصلاة على سيّد المرسلين ﷺ، التربية الإسلامية: أبحاث علمية، أُسس تربوية: طرائق تعليمية، الشريعة الإسلامية: رسم أبعاد وتبيان مقاصد، أُسرتي وإسلامي: دراسة عن الأُسرة تكويناً وتنظيماً، من ذاكرة التمرّد: صفحات من التفكير في الممنوع والمرغوب، حوار مع الصحافة: أسئلة من الواقع وإجابات من الإسلام، عصارات: كلمات في المنهج والنقد والحبّ، مسيرة حاجّ: أحكام ـ أدعية ـ نفحات، مسيرة صائم: حكم وأحكام ودروس وأحداث، الورد والعهد: من معالم الشخصية المسلمة، لوحات: صفحات من الإيمان والتجربة والوجدان، الزهراء ﷺ بين الثناء

والولاء، تعليقات ومصارحات ومناشدات، منبر شاهد على حرب العراق ٢٠٠٣ م، فماذا بعد؟ تعليقات على السلام والحرب والمقاومة والإرهاب والنصر أثناء وعقب حرب لبنان ٢٠٠٦ م، الأسرة والطفل: التوعية والتنشئة، فقه وحياة: أسئلة وإجابات، التطرّف والاعتدال وقضايا مقاربة، فتاوى الجماهير، سلسلة محاضرات جادّة وهادفة (١٢ محاضرة).

ومن الكتب التي ألّفها بالاشتراك مع الآخرين: الإسلام والدور المنتظر، من أجل أخلاقٍ أفضل للقرن ٢١، الحوار والديمقراطية في الشرق الأوسط، الاستنساخ بين العلم والفلسفة والدين، الخطاب الإسلامي المعاصر، الإسلام ـ الخطاب العربي وقضايا العصر، الإسلام وظاهرة العنف.

والدكتور عكّام يشرف أيضاً على سلسلة «غرب وشرق» وعلى «الموسوعة الإسلامية الميسّرة».

يقول عكّام من مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية سنة ٢٠٠٠م: «ندعو المسلمين إلى حوار يقرّب بعد إذ يعرّف، فالمشكلة في أحكام متّخذة حيال بعضنا، لا تستند إلى معرفة موثّقة عن بعضنا.

أيّها المسلمون! التقوا على مائدة الحوار، وليجنّد كلّ منّا نفسه ليسمع الآخر حتّى يعرفه.. فإلى متى نطرح الحوار أُسلوباً جميلاً للتغنّي دون التبنّي؟! وإلى متى سنظلّ أُسارى جرائم التاريخ التي باعدت بعضنا عن بعض؟! وإلى متى سنبقى نردّد المصالحة باللسان، ونسلك سبيل المسالحة بالفعل والميدان؟! وإلى متى سنتوارى عن ساح المسامحة لنظهر في قعر المسافحة؟! وإلى متى سنعيش الفرقة قدراً ننسج خيوطه بدمائنا المسترخصة منّا؟! وإلى متى سيلاحقنا الماضي المرفوض ليغدوا الواقع والحاضر المفروض؟

لقد سامنا كلّ مفلس، وانتزع مهابتنا من قلب عدوّنا، حتّى صارت خطوط التاريخ أقوى في تكويننا من نصوص القرآن، وذبذبات السياسة في ملفّ الزمن السابق أقوى وأعظم أثراً من معاني السنّة المشرّفة الداعية إلى الوحدة والاعتصام. لقد استبدلنا

بالنصوص الأساسية بعض التطبيقات البشرية الخاطئة، ونهلنا منها أحكام علاقاتنا وآداب لقائنا ورفع حوارنا، حتّى لكأنّ السنّة والشيعة هكذا مفرّقين قدر محتوم لا يمكن أن تقاومه آياتُ القرآن المكلّفة لهؤلاء جميعاً بالتوحيد والاتّحاد.

أملي أن نحسم الخلاف بيننا بحوار جادّ فاعل قبل أن يُحسم علينا، إن لم نقل: أن نحسم في وجودنا.

يا مسلم! حاور المسلم ولا تحاربه، فإذا اتّفقتما فتعاونا، وإذا اختلفتما فقد أغنيتما إسلامكما، وتعاونا، وهل التعاون في النهاية إلّا وليد الحوار؟ فأين فريضة التعاون ﴿وتعاونوا﴾؟ وأين قبلها فريضة الحوار: ﴿لتعارفوا﴾؟! فالمسلم أخو المسلم.

ولنلتقِ دون ألقاب، أفلا يكفينا الإسلام؟!

فلنحافظ على الثورة الموحّدة المؤلّفة الجامعة بدوام التثوير فينا نحو ديننا وإسلامنا، ولن نحافظ على الثورة معطاءةً خيّرة إلّا إذا حافظنا على الإنسان مخلوقاً أسمى صاحب أمانة، وخليفة في الأرض له غاية وهدف وقبلهما منطلق.

لن نحافظ على الثورة إلّا إذا ثرنا على التفرقة والجهل..

لن نحافظ على الثورة إلّا إذا بحثنا عن الإسلام الجامع لأبنائه..

لن نحافظ على الثورة إلّا إذا جعلنا الحبّ والنصح جناحي الأُخوّة المفروضة بيننا وعلينا من خالقنا الرحيم بنا..

لن نحافظ على الثورة إلّا إذا وعينا خلافاتنا واعتبرناها عامل ثراء، ووعينا خلافاتنا مع عدوّنا واعتبرناها سبيل جهاد.

لنكن صرحاء، فالصراحة أساس، ولنكن رحماء، فالرحمة وفاء، ولنحوّل عداوة غدت بيننا إلى جهة عدوّ لدود يتربّص بنا الدوائر..

ولنجعل اليم الرائعة مؤسّسات نرعاها حتّى تستمرّ..

ولنذكر فلسطين حتّى لا ننسى الجهاد.

رحم الله الإمام الخميني ثائراً على الباطل، ومؤسّساً لدولة تبغي الخير والحقّ، ومعلّماً

من معه ومن بعده سبل النجاة المستوحاة من كتاب الله ، وراعياً لمبادئ ديننا الحنيف ، وهاجراً كلّ عوامل الفرقة بين المسلمين ، ومنادياً كلّ طلّاب الحق والحقيقة من أجل أن يجتمعوا تحت راية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ (سورة القصص : ٥) ».

محمود فرج العقدة

محمود فرج العقدة : أُستاذ مصري ، وداعية وحدة .

درس في الأزهر الشريف وتخرّج فيه ، وعمل أُستاذاً لمادّتي البلاغة والأدب بكلّية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وقد خرّج أحاديث الطبّ النبوي لابن قيم الجوزية ، وتوفّي في القاهرة .

يقول ضمن كلام له كتبه مقدّمة لكتاب « وسائل الشيعة » للحرّ العاملي : « إنّ الصورة الجامعة لمشاعرنا معشر المؤمنين الصادقين بهذا الدين العظيم أنّه دين الوحدة الجامعة في : الأُصول والفروع ، والوسائل والغايات ، والمشاعر والأفكار ، بل والأخلاق والعادات : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ .

ذلك بأنّ الله جمع هذه الأُمّة على كتاب واحد ، يسّره للذكر ، وأنزله تبياناً لكلّ شيء ، وأكمل به الدين ، وجعله هدىً ورحمةً وبشرىً للمسلمين ، ونعى فيه على أهل الكتاب اختلافهم في الدين بعد أن أنزل عليهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وجعل ميزة هذه الأُمّة وفضيلتها عليهم هي اهتداؤها إلى وجه الحقّ فيما اختلفوا فيه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

لقد سررت من عهد قريب بإخراج وزارة الأوقاف بمصر لكتاب « المختصر النافع » وإن كانت أحكامه ليست في الصحّة بسواء .

ولا أقول بأنّ ذلك شعور اختصصت به هذا الكتاب من كتب الفقه ، فإنّ هذا الشعور قد أجده في أيّ كتاب من كتب المذاهب الأُخرى أمام حكم خاصّ . ولقد أجد من صباحه الحقّ وصراحة في حكم من أحكام الشيعة ما لم أجده في حكم لغيرهم من الفقهاء .

ثمّ سررت أيّما سرور حين أهداني السيّد مرتضى الرضوي صاحب مكتبة النجاح في النجف الأشرف الجزءين الأوّلين من كتابي «وسائل الشيعة ومستدركاتها» اللذين بدأ في طبعهما مجتمعين؛ لأُكمل نفسي بما أدعو الفقهاء إلى التكمّل به، ولازداد بهما إدراكاً فيما نحن في أشدّ الحاجة إلى إدراكه.

وأنّي لأرى من قراءتي العاجلة لبعض مباحثهما في كتاب الطهارة أنّهما يمنحان المسلم في فقهه ودينه ما لا ينبغي له ـ بوصفه طالباً للحقّ ـ أن يغفل عنه، ولا أن يحرم نفسه من الأخذ به، ولا أن يجادل بالهوى والعصبية فيه.

ولعلّي حينما يتمّ طبع هذين السفرين العظيمين اللذين يبلغان فيما رواه لي السيّد الناشر عدّة مجلّدات، وحينما يتاح لي أن أقرأهما أعرف منهما ما ينبغي أن يكتمل به غيره، وما ينبغي أن يكمل بغيره لنخرج للناس ـ إن قدّر لنا وللمسلمين الخير في هذا العصر المنذر بالأخطار الجسام ـ بما عسى أن يكون أيسر فيما بعد على أُولي النيات الصالحة في التقريب بين مذاهب المسلمين».

(انظر ترجمته في: مع رجال الفكر ٢: ١٨٩ ـ ١٩٠، المتحوّلون ٥: ٣١ ـ ٣٣).

محمود فيّاض

الدكتور محمود فيّاض: أُستاذ مصري، وداعية تقريب.

كان يعمل خلال سنة ١٩٤٩ م أُستاذاً لمادّة التاريخ الإسلامي بكلّية أُصول الدين بالأزهر الشريف. وقد كتب عدّة مقالات في مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

يقول ضمن مقالة له بعنوان «التقريب واجب إسلامي» ما نصّه: «تحدّثت إلى القارئ الكريم في الأعداد الماضية عن عناصر وجود الأُمّة الإسلامية، وقد كان هذا البحث صدى لقول الله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٩٢).

ولعلّ القارئ الكريم قد لمس الحقائق الرائعة التي عبّر عنها القرآن العظيم بدعوته إلى

الوحدة، ووحدة المعبود، ووحدة الأصل، ووحدة الأُمّة، ووحدة الأهداف.. وقد رأى القارئ كيف ينطق القرآن صريحاً بتكليف الأُمّة الإسلامية بمختلف التكاليف، ويقرّر مسؤوليتها عمّا كلّفت به، مسؤولية حقيقية تشمل الفرد بوصفه فرداً، وبوصفه عضواً في الأُمّة، وأنّ أفراد الأُمّة متضامنون في تحمّل هذه المسؤولية واحتمال تبعاتها.. ورأى القارئ أنّ أولياء الأمر في هذه الأُمّة هم علماؤها وقادة الفكر فيها، وأنّهم أوّل من تقع عليه المسؤولية، وأنّهم محاسبون أمام الله وأمام ضمائرهم وأمام الأُمّة عن سعادة المجموعة التي من شأنهم أن يوجّهوها إلى الخير بوصفهم عنوان الأُمّة، وأهل القدرة على الاستتباع، والقدوة الحسنة للمؤمنين بعد الرسول ﷺ، وأهل القيادة الرشيدة الذين يتوخّون صلاح الأُمّة ويعملون على توجيهها إلى ما فيه صلاح الجميع، فهم هداة يجلسون على أرفع مكان فوق القمّة، يقولون الحقّ لا يسألون الناس عليه أجراً، ويأمرون بالعرف، وينهون عن المنكر، ليس عليهم سلطان إلّا لربّ العالمين في الأمر والنهي، فإن قصّر هؤلاء القادة أو اهملوا واجبهم فهم آثمون أو غاوون: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٥).

على أنّ تقصير القادة ـ إن أعذر بعض أفراد الأُمّة ـ لا ينجي الأُمّة نفسها من المسؤولية العامّة التضامنية التي تجمع أفرادها فيما يشبه سلسلة متساوية الحلقات لا يدري أين طرفاها؛ لأن الإسلام يسر لا غموض في مبادئه، وليس فيه أسرار يختصّ بها العلماء والقادة دون العامّة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر: ١٧).

ولقد أهمل قادة الفكر الإسلامي واجبهم، ولم يؤدّوا للأُمّة ولا لله ما عليهم، في عصور مضت ـ معذورة أو غير معذورة ـ طبعت بطابع الجمود، وخيّم عليها الهوى، وتحكّمت فيها الشهوات السياسية، فاستخدم العلم فيها لتركيز الدول وتأييد مذاهب الحكّام في إسراف بعيد عن حقائق الدين وروح الإسلام، فتفرّقت الأُمّة شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٣)، فاحتربت في سبيل سيادة بعض عناصرها لا في سبيل الله، ونقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، وقطعت الأرحام، وسادت فيها العصبيات الجنسية

وحلّت محلّ الأُخوّة الإسلامية، كما ساد التعصّب المذهبي وحلّ محلّ الحرّية الفكرية التي قرّرها القرآن العظيم، وأطلّت السياسة من ثغرات الأهواء على أهل العلم، فرسمت لهم مناهج البحث لتأييد ما يريدونه، بدل أن يوجّه العلماء بأبحاثهم أهل السياسة إلى وسائل الخير وسبل الإصلاح، فحجروا على العقول وقيّدوها بما يشبه العقيدة، وزعموا أنّ للاجتهاد باباً فأغلقوه؛ حتّى لا ينظر أحرار الفكر من خلاله في صوالح الأُمّة، فجعلوا الدين إرثاً وتقليداً، لا عقيدة يؤمن بها المسلم عن طريق الفكر والاقتناع، وبذلك يصدق قول القائل: «إنّ المسلمين غير مؤمنين»، وصحّ وصف الإمام الشيخ محمّد عبده للمتعلّمين بـ«أنّهم يتعلّمون كتباً لا عملاً»، ووقف رجال المذاهب الإسلامية جامدين على مذاهبهم، حتّى خيّل جمودهم لبعض الغربيّين أنّ هذه المذاهب في الإسلام تشبه الأناجيل في المسيحية، أي: أنّه خلاف في جوهر الدين وحقائقه الأصلية، لا في الأعراض والفروع!

ولعلّ القارئ الكريم يشاركني في القول: بأنّ صلاح هذه الأُمّة الإسلامية اليوم منوط بصلاح علمائها وقادة الفكر فيها، فهم منها بمثابة القلب، إن صلح صلح الجسم كلّه، وإن فسد فسد الجسم كلّه، وإنّه لفرض على علماء الإسلام وقادة الفكر فيه أن يعملوا على جمع شتات أُمّتهم ولمّ شعثها في هذه الأيّام العصيبة التي تحيطهم فيها الأخطار من كلّ جانب؛ ليتعارف المتناكرون، ويتواصل المتقاطعون، وليعودوا يداً على من سواهم، يسعى بذمّتهم أدناهم، متعاونين على رفع لواء الإسلام وإعزاز مكانة بنيه بين الأُمم، وإنّ أيسر وسيلة لجمع الكلمة هو التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وقد سأل سائل: وكيف يمكن هذا التقريب مع اختلاف المذاهب في الأُصول والفروع، لا في الفروع فقط؟

ولعلّه قد خيّل للبعض أنّ المراد بالتقريب هو مزج الآراء وإدماج المذاهب حتّى تكون مذهباً واحداً، وما كان لعالم أو جماعة من العلماء أن يحجروا على عقول دعاها الله إلى النظر في ملكوته، أو يقصروا الناس على إحدى طرائق الفهم أو بعض وسائل النظر! وإذاً فما هو التقريب؟ إنّه: دعوة إلى التعاون على البرّ والتقوى وإصلاح أحوال المسلمين بتوجيه طاقتهم

العامّة وجهة واحدة تحقّق سعادة الجميع، أو تؤمّنه من أخطار خارجية. وجزى الله عنّا خيراً الإمام الشيعي الجليل الشيخ آل كاشف الغطاء، فقد وضع في بيانه القيّم للمسلمين في العدد الماضي الأُمور في نصابها، وجلى معنى التقريب تجلية تدفع كلّ لبس في الفهم، فأغناني عن كلّ ما أعددته في معنى التقريب (شَكَرَ الله للعلّامة الكبير غيرته المحمودة على الملّة والأُمّة)، فما أروع كلمات الحقّ التي أرسلها لتبسيط دواعي الخلف بين المسلمين! إذ يقرّر أنّ الخلاف بين المذاهب ليس خلافاً على جوهر الدين وأُصوله، وإذاً فهو خلاف في الفروع لا يستوجب القطيعة، ولا يحلّ معه التنابز، هو خلاف معتاد يقع دائماً بين الإخوة على الوسائل الموصلة للهدف الذي ينشدونه، وهو واقع بين المذاهب الشيعية المختلفة، كما هو واقع بين المذاهب السنية المختلفة».

كما يقول من مقالة له بعنوان «التاريخ والتقريب»: «حملت إلينا «رسالة الإسلام» كثيراً من الآمال التي ينشدها من زمن بعيد كلّ مسلم غيور على دينه وعزّته. وإنّا إذ نحييها نرجو أن تكون عامل حياة وقوّة للأُمّة الإسلامية ودعامة من دعائم وحدتها التي تعيد إليها عزّتها وتهديها إلى الرشد في شعاب الحياة وسبلها المختلفة.

وإنّي لأشهد أنّ الأقلام الرفيعة التي دبّجت صفحاتها قد أروت الظمأ، ورسمت منهج الوحدة مستقيماً غير ذي عوج.. ولكن التاريخ! التاريخ صانع الشعوب، وباني الوحدات، التاريخ الذي لجأت إليه الشعوب المتحضّرة في عمليات البناء والتوجيه والبعث، فوصلت إلى ما وصلت إليه.. هذا التاريخ الإسلامي لا يمكن الإغضاء عنه في التقريب، إلّا إذا كان هو المقصود الأوّل: «وحدة الثقافة». فتاريخنا المدوّن خضع لكثير من عوامل الترغيب والترهيب، فجاء مفرّقاً للجمع، لا جامعاً للشمل! ولا أحسبني مغالياً إذا حمّلت التاريخ الإسلامي المدوّن وكتّاب التاريخ الأقدمين والمحدّثين معظم التبعة في الجفوة التي ظلّت قائمة بين شعوب الإسلام. هذه الجفوة التي تدفع المصلحين اليوم من أئمّة المسلمين إلى محاولة التقريب بين المذاهب لتقترب الشعوب.. كذلك لا أحسبني مغالياً إذا قلت: إنّ التاريخ الإسلامي ودراسته على أُسس جديدة بعيدة عن التعصّب والزيف كفيل بالتقريب

بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم... فهل لنا أن نعيد كتابة تاريخنا بعد تخليصه من الشوائب وتنقيته من أكدار الوقيعة ولوثة العصبية، ونتحرّى في كتابته الدقّة وفق أصحّ أو أرجح ما يتّفق والحقيقة التي أعتقد أنّها ستجمعنا على كلمة سواء! وهل آن لنا أن ندرس علوم الشيعة ويدرس الشيعة علومنا على منهج علمي صحيح لا تحيّز فيه ولا محاباة؟! أرجو أن يهتمّ المسؤولون بذلك، فإنّهم لو فعلوا ما يوعظون به لكان قاضياً على أسباب الكراهية والنفرة والجفوة بين المسلمين، ولاستطعنا أن نوجد عند الأُخوة المتعلّمين روحاً من المحبّة والأُلفة، ونظر كلّ إلى الآخر نظرة الإسلامية لا طائفية ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (سورة الكهف: ٣٠)».

وأخيراً يقول أيضاً: «وبهذه الأُخوّة التي قرّرها الإسلام بين بني الإنسان جميعاً في النصوص السالفة، وبالأُخوة الخاصّة التي أقامها بين المؤمنين الموحّدين والتي تظهر جلية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات: ١٠)، وقول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله»، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»، بهذا كان الإسلام منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً أوّل مقرّر لفكرة «العالمية» التي تهدف إلى جمع البشر في نطاق الأُخوّة الإنسانية، و«الزمالة» العالمية لخدمة الإنسانية كلّها، ولصالح السلام العامّ، بصرف النظر عن الأجناس والألوان والأحساب والأنساب، وقضى بذلك على عوامل التعصّب وأسباب الحروب القومية، وضمن للبشرية ـ إذا اتّبعته ـ حياة أمن وحرّية ورخاء وسلام.

وقد طبّق رسول الله محمّد ﷺ هذا المبدأ الجديد عملياً في المحيط العربي، فحوّل شتات العرب جمعاً ووحدة، والعداوة القبلية أُلفة ومحبّة، وربط بالإسلام بين قلوب الناس، ووحّد أهدافهم، كما حوّل «العصبية القبلية» الداعية إلى التفرّق والضعف إلى «قومية دينية» هي «القومية الإسلامية»، وأذكى هذا الروح القومي ليتعاون مع مبادئ الإسلام في بناء الوحدة الإنسانية على أُسس من العدل والإنصاف لا على الظلم والعدوان، ثمّ وجّه ﷺ طاقة هذه القومية لخدمة الإسلام ورعاياه بلا تمييز ولا تفريق، وحمّلها أمانة تبليغ الإسلام

إلى جميع شعوب الأرض، وأفهم العرب أنّ دين الله عامّ خالد لجميع عباده، وأنّ خلق الله أمام الله سواء كأسنان المشط... إنّي أعتقد أنّنا نستطيع العودة إلى رحاب القومية الإسلامية عن طريق وحدة الثقافة، والتقريب بين المذاهب الفقهية، والقضاء على الخلافات الطائفية، وحسن التوجيه السياسي.. وعلى «رسالة الإسلام» أن تفهم المسلمين أنّ مذاهبهم الفقهية تشبه تماماً المذاهب الفلسفية في الدول الأُخرى التي لا تلتقي عند هدف ولا يجمع بينها إلّا الشيطان، ومع ذلك لم تفرّق جمعاً، ولم تقض على قومية؛ بينما تلتقي المذاهب الإسلامية كلّها تحت راية القرآن، عليها أن تفهمهم ذلك في شأن الفقه وأن تفهمهم في شأن العقائد أنّ الله كلّفهم الإيمان بأُصول بيّنها لهم بياناً شافياً قاطعاً، ولم يدعها لاختلافاتهم واجتهاداتهم، ثمّ أطلق لهم عنان البحث والنظر فيما وراء ذلك، على ألّا ينكروا نصّاً، ولا يخرجوا عن أصل قاطع، ولا يعارضوا حكماً علم من الدين بالضرورة، فإذا كان هذا شأنهم وكان الأمر فيه متفقاً عليه بين ذوي العلم والبصيرة فيهم فإنّ أمر الخلاف لا يضرّ، وإنّ اعتناق كلّ طائفة ما تعتنق من رأي لا ينبغي أن يحول بينهم وبين التعارف والتآلف والتعاون على البرّ والتقوى، واتّخاذ «القومية الإسلامية» شعارهم الأوّل وغرضهم الأسمى، فإنّ الزمان لا ينظرهم، والأعداء لا يحكمون في خلافاتهم ليصلوا إلى حقّ ينصرونه أو باطل يقمعونه، ولكنّهم يحكمون عليهم جميعاً بعدم الصلاحية للتقدّم وتسنّم منازل الشرف، فيضربونهم جميعاً ويهلكونهم جميعاً!».

(انظر ترجمته في: مجلّة «رسالة الإسلام» /العدد: ٣ من السنة الأُولى /صفحة: ٢٨٦ / والعدد: ١ و٤ من السنة الثانية /صفحة ٨٠ و٣١٨، كشّاف مجلّة «رسالة الإسلام»: ١١٩).

محيي الدين أبو الكلام آزاد

أحمد (المكنّىٰ بمحيي الدين) بن خير الدين أبو الكلام آزاد: مفسّر، من خطباء المسلمين وزعمائهم في الهند أيّام حركتها التحرّرية.

أصله من دهلي، ومولده بمكّة المكرّمة عام ١٨٨٥ م، من أب هندي وأُمّ عربية. استتمّ دراسته الأوّلية في مسقط رأسه، ثمّ قصد الأزهر في الرابعة عشرة من عمره، فدرس على

علمائه، ودرّس في خارجه.

عاد إلى الهند، فسكن كلكتا، وأنشأ فيها مجلّة «الهلال» باللغة الأُوردية سنة ١٩١٢م، وهاجم الاستعمار البريطاني، فاعتقله الإنجليز في رانتجي سنة ١٩١٤م، فألّف ـ وهو في معتقله ـ تفسيراً للقرآن الكريم بالأُوردية يقع في خمسة عشر جزءاً.

وأُطلق من معتقله سنة ١٩٢٠ م، فأنشأ مجلّة «البلاغ»، وكان من أعضاء حزب المؤتمر الهندي الذي أقرّ برنامج المهاتما غاندي القائل بالمقاومة السلبية، ثمّ كان مستشاراً للبانديت نهرو تلميذه بالأُوردية وزميله في السجن، وتكرّر اعتقال البريطانيّين له. قال أنور الجندي: «أمضى في السجن أحد عشر عاماً ولم يصرفه عن هدفه في مقاومة الإنجليز». وقد صنّف في السجن كتابه «التذكرة» بالأُوردية الذي سجّل فيه فلسفته الثورية وعقيدته السياسية.

تولّى رئاسة حزب المؤتمر بدهلي سنة ١٩٢٣ م وسنة ١٩٣٩م، وفي أيّامه استقلّت الهند عام ١٩٤٧م، وانقسمت إلى الهند والباكستان، فاختار البقاء في الهند، ممّا أثار حفيظة إخوانه المسلمين في الباكستان.

وتولّى رئاسة البرلمان، ثمّ وزارة المعارف في دهلي، إلى أن توفّي مشلولاً سنة ١٩٥٨م.

وكان مع علمه بالعربية يكتب تآليفه ومجلّاته ومقالاته بالأُوردية، والتي تُرجم بعضها إلى اللغة العربية، منها: من دلائل النبوّة (بتقديم الشيخ أحمد حسن الباقوري)، ونُشر بعضها في مجلة «ثقافة الهند» وغيرها. وأعظم آثاره «ترجمة القرآن وتفسيره».

وقد وضعت في سيرته ـ وهو حيّ ـ عدّة كتب بالأُوردية والإنجليزية.

وكان قد اختار لقب «آزاد» ـ وهو بمعنى: الحرّ ـ ليدلّ على تحرّره الفكري.

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ١: ١٢٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣: ٤٠ ـ ٥٣، نثر الجواهر والدرر ١: ١١٢ ـ ١١٣).

محيي الدين القليبي

صحفي تونسي، من رجال الحزب الدستوري الأوّل، ومن المهتمّين بشؤون التقريب.

ولد في تونس سنة ١٩٠٠ م، وتعلّم بجامع الزيتونة، واشتغل بالصحافة، فتولّى تحرير جرائد: «الإرادة» اليومية، و«الصواب»، و«لسان الشعب» الأُسبوعيتين، وترأس تحرير صحيفة «الزهرة» أقدم صحف تونس.

وأدار أعمال الحزب الدستوري بعد سفر رئيسه عبد العزيز الثعالبي إلىٰ الشرق، واعتقله الفرنسيّون سنة ١٩٣٤ م، ونفي إلىٰ الصحراء، وأُطلق بعد عشرين شهراً، وحجّ سنة ١٩٤٧ م، فاستقرّ في مصر مواصلاً العمل لقضية بلاده، وتوفّي بدمشق سنة ١٩٥٤ م.

له مؤلّفات صغيرة، منها: مأساة عرش (كتبه بعد نفي الباي محمّد المنصف)، رسالة عن التعليم بتونس (قدّمها إلىٰ مؤتمر اليونيسكو المنعقد ببيروت سنة ١٩٤٨م)، ذكرى الحماية.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة الإسلام التقريبية ثلاث مقالات، هي: المغرب الإسلامي، تاريخ المذاهب الإسلامية في شمال أفريقيا، أدب الدعوة إلىٰ الحقّ.

وكان يقول: «يجب أن نعمل جاهدين على توحيد القلوب في الأجيال الحاضرة بالدعاية وبكلّ وسائلها وفي الأجيال المقبلة بالتعليم وعلى الخصوص في المعاهد الدينية الإسلامية، وهنا تتجلّى مهمّة القائمين عليها في هذا الأمر وما يجب عليهم من انتقاء الكتب وتطهيرها من لوثة الخلاف المفرّق والجدل والاتّهامات التي تورث الأحقاد بين أهل الدين الواحد الموحّد، وأن تلهم الذين وكّل إليهم أمر تربية هذا الجيل أن ينشئوه على التسامح وسعة الصدر واحترام الآراء وتقدير العقائد. وإنّ الدين الإسلامي الذي أمرنا أن نحسن ونقسط ونبرّ بأهل الأديان الأُخرىٰ، لا يمكن بل لا يسمح لنا أن نكون حرباً على إخواننا في الدين».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٧: ١٩٠، معجم المؤلّفين ١٢: ٢٠٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٥٤ـ١٥٥).

مرتضى آل ياسين

الشيخ مرتضىٰ عبد الحسين باقر محمّد حسن آل ياسين: عالم جليل، وداعية وحدة وتقريب.

ولد بتاريخ الخامس والعشرين من ذي الحجّة الحرام سنة ١٣١١ هـ في مدينة الكاظمية، وهاجر إلى النجف الأشرف بعد اجتيازه مرحلة المقدّمات في دراسة العلوم الحوزوية، وواصل دراسته على يد كبار العلماء، أمثال: السيّد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ محمّد حسين النائيني، وغيرهما.

ونال بعد مدّة درجة الاجتهاد، ثمّ شرع في تدريس دروس البحث الخارج، فتخرّج على يديه عدّة من الأعلام، منهم: السيّد إسماعيل الصدر، والسيّد محمّد باقر الصدر، والشيخ محمّد حسن آل ياسين، والسيّد محمّد علي شرف الدين، والسيّد محمّد رضا شرف الدين.

قال الأُستاذ كامل سلمان الجبوري: «كان صبيح الوجه طيّب المعشر حلو الحديث، وكان ينظم الشعر، وله نماذج رائعة فيه، وله يد في نظم التاريخ.. تزعّم حركة (جماعة العلماء) في النجف سنة ١٣٧٩ هـ».

وهو يروي بالإجازة عن السيّد عبد الحسين شرف الدين، ويروي عنه السيّد علي السيستاني.

وقد كان غزير العلم ذا قلم سيّال زاهداً في الحياة متواضعاً.

من مؤلّفاته: السؤال والجواب، نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، تعليقة على بلغة الراغبين، تعليقة على العروة الوثقىٰ، بحوث فقهية وأُصولية، مجموع شعري.

توفّي عام ١٣٩٧ هـ في النجف، ودفن في مقبرة أُسرة آل ياسين.

من مساهماته في مجال التقريب ما نُشر له كمقالة في مجلّة «رسالة الإسلام» تحت عنوان: «نهضة مباركة»، يقول فيها:

«إنّ لي أملاً أيقظه في نفسي هذا العمل الصالح الذي قامت به حكومة الهند، حين

حرّمت الخمر على القسم الموبوء بها من بلادهم. ومردّ هذا الأمل إلى حسن ظنّي بجماعة كبار العلماء في الأزهر الشريف الذين نصبوا أنفسهم لمناصرة هذا الدين كلّما وجدوا إليها سبيلاً. فها أنذا أدفع إلى حضراتكم باقتراحي عن طريق جماعة التقريب، عسى أن يأخذ حظّه من عنايتهم وتفكيرهم، فيضعوه موضع العلم والتطبيق في وقت غير بعيد إن شاء الله تعالى».

وقد علّقت المجلّة وعقّبت على ذلك بقولها: «ولمّا كان من أهمّ ما تعمل له جماعة التقريب أن تقوم بالسعي المستمرّ في كلّ أمر يعود على المسلمين في شتّى البلاد بالخير والصلاح، وأن تسفر بين علماء الأقطار الإسلامية من كافّة المذاهب، فتنقل إلى كلّ ما عند الآخرين، وتجمع على قلوبهم ومساعيهم على ما فيه صلاح أُمّتهم. فقد اتّصلت دار التقريب على الفور بحضرتي صاحب الفضيلة العالمين الجليلين الشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ محمود شلتوت من أعضاء جماعة كبار العلماء، وتحدّثت إليهما في هذا الشأن، فرحّبا باقتراح العلّامة المرتضى، وشكراه على حسن ظنّه وكريم ثقته في علماء الأزهر، وبشّرانا بأنّ الجماعة قد اعتزمت القيام على وجه حاسم بواجب الجهاد الديني في محاربة المنكرات، ودرء المفاسد الخلقية، وما يوجّه إلى الدين من مطاعن، منشؤها الجهالات أو العداوات، وأنّها ستجتمع لذلك في وقت قريب، ولا شكّ أنّها ستلتقي مع فكرة الأُستاذ الجليل، وتعمل من جانبها على تحقيق ما ترمي إليه من خير للمسلمين.

ولم تلبث الجماعة بعد ذلك أن عقدت جلسة تاريخية هامّة بالإدارة العامّة للجامع الأزهر، شارك فيها كبار رجال الإدارة في الأزهر الشريف، واستعرض المجتمعون في ذلك، وانتهت إلى قرارات تمهيدية، يراد بها تقرير أنجح الوسائل التي يتوسّل بها إلى إصلاح حال الأُمّة من نواحيها المختلفة المتّصلة بالدين والخلق، على أن تتكرّر الجلسات في أوقات متقاربة للنظر بذلك، وأصدرت في نفس الجلسة قراراً عاجلاً برفع كتاب خاصّ إلى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر، وتوجيه كتاب آخر إلى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحّاس باشا رئيس حكومتها، وقد رفع الكتاب الأوّل إلى حضرة صاحب

الجلالة، وقدّم الكتاب الثاني إلى رفعة الرئيس، وأُذيع بعد ذلك من دار الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية مرّتين.

وإنّ هذا لمن أكبر الدلائل على التقاء أفكار المسلمين، وتقارب قلوبهم وإحساسهم بما فيه الخير لأُمّتهم، فهذا صوت عالم كريم من النجف يلتقي مع أصوات علماء كرام من مصر. وقد جاءتنا الأخبار بمثل هذا عن علماء سوريا أيضاً، ولا شكّ أنّ هذه نهضة مباركة، نرجو أن تشمل سائر البلدان الإسلامية وأن يكون لها ما بعدها من خير الأُمّة الإسلامية وصلاحها إن شاء الله».

وعندما طبع كتاب «تفسير القرآن الكريم» للشيخ محمود شلتوت أعرب بعض العلماء والمفكّرين عن بالغ عنايتهم وتقديرهم لهذا الكتاب وصاحبه، وكان من بينهم الشيخ مرتضىٰ، فقد بعث برسالة إلى صاحب مجلّة «رسالة الإسلام» بهذا الشأن والتي قامت بنشر فصول من هذا التفسير، يقول في جملة منها: «إذا استطعت أن أُخفي عليك شيئاً فلن أتمكّن من إخفاء إعجابي وتقديري للبحوث التفسيرية التي جاءت نتيجة جهود العلّامة شلتوت، وقد اغتنمت الفرصة لتخصيص بعض أوقاتي لقراءة ومراجعة هذا التفسير. ورجائي أن يوفّق الأُستاذ الفاضل ويستمرّ في هذه البحوث القيّمة وبهذا الأُسلوب الجديد. وإذا لم يكن عند مجلّة «رسالة الإسلام» موضوع إلّا هذا التفسير الممتاز لكفاها فخراً وعزّةً ورفعةً، وكان مناسباً بحقٍّ وضع هذا التفسير أمام أعين القرّاء في مقدّمة مقالاتها».

(انظر ترجمته في: الذريعة ٢٤: ١٩٦، شعراء الغري ١١: ٢٥٥ ـ ٢٦٧، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٧٢ ـ ٧٣، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٧٧ ـ ٤٧٨، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٤٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٨٣٢ ـ ٨٣٤، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٣٦٢ ـ ٣٦٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٦٣ ـ ١٦٦).

مرتضى العسكري

مرتضىٰ محمّد إسماعيل مير محمّد رضي الدين أحمد آل شيخ الإسلام الحسيني الرضوي العسكري: علم من أعلام الشيعة، ومفكّر وحدوي.

ولد السيّد مرتضىٰ سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١١ م) في سامرّاء بالعراق، ونشأ يتيم الأب، ودرس في الحوزة العلمية بسامرّاء، وبعد أن أتمّ تحصيلاته الأوّلية هاجر إلى مدينة قم سنة ١٣٥٠ هـ، فالتحق بدرس كبار الأساتذة والعلماء هناك، ومنهم: الإمام الخميني، والسيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، والشيخ محمّد حسين الشريعتمداري، والميرزا خليل الكمرئي. فحصل على خلفية علمية ممتازة، وقدم إلى بغداد مع بدايات الحرب العالمية الثانية، وأنشأ بمعية الأُستاذ أحمد أمين (صاحب كتاب التكامل في الإسلام) مدرسة منتدىٰ النشر بالكاظمية سنة ١٣٦٣ م، وتولّى رئاسة جمعية الصندوق الخيري الإسلامي والتي أسّسها السيّد هبة الدين الشهرستاني عام ١٣٧٣هـ، وقام بإنشاء بعض المدارس والمراكز الدينية والعلمية، كمدرسة الإمام الجواد والإمام الكاظم والزهراء في بغداد، ومدرسة الإمام الصادق في البصرة، ومدرسة الإمام الباقر في الحلّة، ومدرسة الإمام الحسن في الديوانية. كما أسّس كلّية أُصول الدين في بغداد لتكون نواة جامعة إسلامية متكاملة الاختصاصات.

ومن خلال مبادراته الإصلاحية ومشاريعه التجديدية على صعيد دروس الحوزة العلمية وأساليب التدريس فيها، وكذلك من خلال نشاطه العلمي الواسع ومؤلّفاته النفيسة. غدا السيّد العسكري شخصية علمائية بارزة يشار إليها بالبنان في جميع الأوساط الثقافية في العراق.

وقد تخرّج على يديه جملة من الأفاضل، منهم: السيّد كريم الموسوي، والشيخ عارف البصري، والدكتور محمّد علي آذرشب، والأُستاذ إحسان الأمين، والسيّد سامي البدري، والدكتور كاظم العسكري، والشيخ جواد مروي.

ومن مصنّفاته: مائة وخمسون صحابي مختلق، دور الأئمّة في إحياء الدين، معالم المدرستين، عقائد الإسلام في القرآن الكريم، أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة، أُسطورة عبدالله ابن سبأ، صلاة النبي الأخيرة، الأديان السماوية ومسألة التحريف، السقيفة، طبّ الرضا، مصطلحات إسلامية، على مائدة الكتاب والسنّة.

وقد أثارت بعض كتبه ضجّة في عالم التحقيق التأريخي، وما هذا إلّا لعمق أبحاثه ودرايته التامّة وعقليته المتفتحة.

وكان له نشاط سياسي بارز، وقام بتأسيس جماعة علماء بغداد والكاظمية، وكان أحد المؤسّسين لحزب الدعوة الإسلامية في العراق. وفي عام ١٩٦٨ م اضطرّ إلى الهجرة من العراق إلى لبنان، ومنه إلى إيران، حيث مارس نشاطه في الدرس والتأليف مع الاضطلاع بمهمّة عمادة كلّية أُصول الدين في طهران وقم. وقام بتأسيس المجمع العلمي الإسلامي في طهران سنة ١٩٧٩ م، وتوفّي سنة ٢٠٠٧ م (١٤٢٨ هـ) في طهران، ودفن في مدينة قم.

وفي إحدى المرّات سافر السيّد العسكري إلى أرض الكنانة، والتقىٰ مع بعض الشخصيات العلمية هناك.. ومن ذلك لقاؤه مع الشيخ أحمد حسن الباقوري، فما أن دخل السيّد وطالع الشيخ الباقوري هيئته حتّى نهض من مجلسه مسرعاً، وضمّه إلى صدره ضمّة أُخوّة واشتياق وهو يردّد: مرحباً، وألف مرحب. ورغم مرض الأُستاذ الباقوري الذي أقعده مدّة طويلة، إلّا أنّه كان يبدو منفتحاً جدّاً لأحاديث التقارب متحمّساً لها، وقد تحدّث عن دوره في دار التقريب. وحين تلقّى هدية السيّد ـ وهو كتابه «خمسون ومائة صحابي مختلق» ـ أكبر فيه الروح العلمية التي تدفعه بصبر إلى مثل هذه التحقيقات المبتكرة، ثمّ أهدى للسيّد مجلّة «منبر الإسلام» وفيها قصيدة للشيخ الباقوري يمدح فيها أهل البيت بمناسبة شفائه من مرضه، وتكلّم السيّد العسكري، فشكر الأُستاذ الباقوري على الروح الإسلامية المتفتحة التي يحملها وعلى الغيرة التي يتحلّى بها. ثمّ شرح أهداف زيارته من التعريف بكلّية أُصول الدين، وتبادل المناهج والدراسات والخبرات والبعثات بينها وبين كلّية أُصول الدين في بغداد. وتكرّرت الزيارة للشيخ الباقوري مرّة ثانية، تلقّى فيها مصادر الدراسة في كلّية أُصول الدين ببغداد وهدية من السيّد، ثمّ عقّب السيّد بإبداء رغبته في تبادل المطبوعات والمناهج العلمية بين الكلّية وكلّيات الأزهر، فوعد الشيخ الباقوري بتحقيق ذلك وقال: «إنّ جامعة الأزهر على استعداد لاستقبال طالبين كلّ سنة من طلّابكم على نفقته ورعايته للدراسة في الأقسام العليا، وبالمقابل نرسل لكم طالبين من خرّيجي

كلّيات الأزهر للدراسة على حسابكم هناك »، وهذا هو الطريق العملي للانفتاح العلمي والمذهبي والسبيل لوحدة فكرية يؤطّرها الإسلام. وذكر الشيخ الباقوري أمثلة من سعيه في هذا السبيل. وفي نهاية الزيارة أهدى السيّد العسكري مجموعة قيّمة من الكتب العلمية لكلّيات الأزهر.

وفي يوم ١٩٦٨/٥/٢٤ م حضر الشيخ القمّي سكرتير دار التقريب لزيارة السيّد العسكري في الفندق الذي نزله في القاهرة، وبعد فترة من العناق الحار جلس إلى جنبه، ثمّ بدأت الذكريات القديمة وأحاديث الماضي بينهما، وتكلّم القمّي عن فكرة دار التقريب وعن عطاء الاتّصالات التي أجراها في مصر مع رعيل من العلماء والأنصار وعن العقبات التي واجهت الدار منذ بدء تكوينها، حيث عاشت فترات عصيبة ودقيقة من عمرها الأوّل في حرب نفسية واجهتها بها أجهزة كبيرة وجهود معروفة آنذاك. وذكر أنّ هناك من أصدر فتوى بتحريم التقريب بين المسلمين! ولكنّه حين بلغه نبأها وقدّر مغبّة صدور مثلها اتّصل باللواء محمّد تلفونياً، فأصدر أمره بمسح هذه الفتوى ومنعها. وذكر أنّه لقى عوناً غير محدود من: الشيخ محمّد محمّد المدني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ حسن البنّا. وقد كان الأخير يتبرّع للدار شهرياً بثلاثين جنيهاً، كما هو مدوّن في سجّلاتها، وقد أمر ثلاثة من أتباعه لحماية الشيخ القمّي وحراسته من المتعصّبين من حيث لا يدري، ونقل مراكز عمل الذين لم يتجاوبوا مع فكرة التقريب من الإخوان، وأدخل بنفسه كتباً ونشرات دار التقريب إلى السعودية تحت ستار نشرات الإخوان المسلمين، ومنها جداول لمناسك الحجّ أدرج فيها لأوّل مرّة الفقه الجعفري، ثمّ أفاض في محاولات إجهاض عمله في الداخل والخارج. بعدها تناول السيّد العسكري أطراف الحديث، ففصّل تجاربه في العمل الإصلاحي سواء ما يخصّ الجانب الذي يشترك فيه مع غيره من إخوانه العلماء في توعية المسلمين، والعمل على درء الأخطار المحدقة بهم، والوقوف أمام تخطيط الجاهلية الحديثة لضرب الإسلام، أو ما ينفرد به من أعماله كإنشاء المؤسّسات التعليمية على اختلاف أنواعها من ابتدائيات وثانويات وكلّيات، أو المؤسّسات الصحّية كالمستشفيات والمستوصفات، أو الاجتماعية كمشروع الرعاية الإسلامية ولجنة تشغيل العاطلين وغيرها. وكذلك شرح جانب عمله

على الصعيد العلمي في دراساته الحديثية والتاريخية وغيرها. وأعطى السيّد العسكري رأيه للشيخ القمّي بخصوص بعض القضايا، ورغّب إليه أن يكون مراجع الدين ـ وبخاصّة في النجف ـ على علم بأعمال الدار ونشاطاتها ؛ لأنّ ذلك أدعى لعملهم على دعمها ومدّها بالعون. وقد ذكر الشيخ القمّي أنّ علاقته بالعلماء كالسيّد البروجردي وغيره لم تكن إلّا علاقة وفاء كما عبّر، ولم يكن كما يتصوّر البعض ناطقاً بلسان أحد وأنّه رجل يملك بعض الضياع من تركة والده ويعيش منها، ولم يمدّ يده في يوم من الأيّام لأحد من رسميّين أو غير رسميّين. وذكر الشيخ القمّي أنّه يطبع الآن في مطبعة الدار «مجمع البيان» للطبرسي.

وكلّ هذا ممّا يؤكّد الشعور الوحدوي الذي كان يملأ الجوانب الإصلاحية للسيّد العسكري.

(انظر ترجمته في: الذريعة ١٥: ٨-٢٠٨ و١٨: ١٩٠ و٢٤: ٢٠٥، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٤٣، العلّامة العسكري: ١٥ ـ ٢٨٨، مجلّة «ثقافة التقريب» /العدد: ٤ /سنة ٢٠٠٧م).

مرتضى المحطوري

المرتضى بن زيد بن زيد بن علي المحَطوَري الحسني: أحد أعلام اليمن، وداعية تقريب.

ولد في ١٣ /رمضان /١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) في قرية بني أسد ـ عزلة حجر ـ ناحية المحابشة ـ اليمن، وبها نشأ ودرس القرآن بالكتّاب (المِعْلامة)، ثمّ هاجر إلى المحابشة، فدرس بالمدرسة العلمية، ولم يستمرّ كثيراً، فهاجر إلى صنعاء ودرس بالجامع الكبير وفي غيره من مساجد صنعاء وفي بيوت العلماء. فدرس القرآن الكريم على: الشيخ المقرئ المحقّق محمّد بن علي العُمري، والشيخ علي الوتري. والشيخ المقرئ المحقّق محمّد حسين عامر، والشيخ يحيى بن أحمد الحليلي، وله منهم إجازات. ودرس التفسير واللغة العربية من صرف ونحو وبلاغة وأدب والفقه وأُصوله والفرائض وأُصول الدين والمنطق وغيرها على المشائخ العلماء.

من بعد ذلك سافر إلى أرض الكنانة، وحصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية

(قسم أُصول الفقه) من جامعة القاهرة عام ١٩٩٤ م.

وهو مؤسّس ورئيس مركز بدر العلمي والثقافي، وأُستاذ الشريعة والقانون بجامعة صنعاء، وعضو جمعية علماء اليمن، ونائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وعضو الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين.

من مؤلّفاته: عدالة الرواة والشهود، السيرة النبوية، مباحث في أُصول الفقه، مختصر في علم التجويد، مختصر في العقيدة، شرح مختصر على متن الكافل الأُصولي، قصّة النبي موسىٰ مع ابنتي شعيب، قصّة نبي الله سليمان مع الملكة بلقيس.

ومن تحقيقاته: ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين، الكاشف لذوي العقول للسيّد أحمد محمّد لقمان، التبيان في الناسخ والمنسوخ للقاضي عبد الله بن محمّد الصعدي، مصباح العلوم في معرفة الحي القيّوم للحسن الرصّاص، الآجرومية في علم العربية لمحمّد بن محمّد الصنهاجي، البدعة لعلي بن إبراهيم الأمير، متممة الآجرومية لمحمّد بن محمّد الرعيني الخطّاب، الروضة البهية في المسائل المرضية شرح نكت العبادات للقاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، الروضة الندية شرح التحفة العلوية للأمير محمّد بن إسماعيل الصنعاني، درر القلائد ونكت الفرائد لصالح بن منصور الكوفي، الحدائق الوردية في مناقب أئمّة الزيدية لحميد بن أحمد المحلّي، أُصول الأحكام لأحمد ابن سليمان.

مرتضى المطهّري

مرتضى بن محمّد حسين المطهّري: عالم مناضل، وكاتب عبقري، وخطيب متضلّع.

ولد بتاريخ ١٣ /جمادى الأُولى /١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) في فريمان إحدى قرىٰ «خراسان»، وعرف منذ نعومة أظفاره بالنبوغ والذكاء والتديّن، وابتدأ بالدراسة في مدرسة «فريمان»، وهي القرية التي ولد فيها. ثمّ هاجر ـ وعمره اثنا عشر عاماً ـ إلىٰ الحوزة العلمية بمشهد ودرس هناك مقدّمات العلوم الدينية، وبعد خمس سنوات شدّ الرحال إلىٰ الحوزة العلمية بقم ودرس هناك فقهاً وأُصولاً عند السيّد الصدر والسيّد محمّد المحقّق

والسيّد محمّد الحجّة الكوهكمري، وفي سنة ١٣٦١ هـ حضر بحث الفلسفة والعرفان عند الإمام الخميني، فعثر ـ وكما يقول هو ـ بضالّته المنشودة في شخصية عظيمة، كما درس عند السيّد البروجردي وعند الميرزا علي الشيرازي الأصفهاني والسيّد محمّد حسين الطباطبائي، ودرّس هو بنفسه بعض الدروس الحوزوية.

وفي سنة ١٣٧٣ هـ هاجر إلىٰ طهران، وتزوّج بكريمة أحد مشاهير علماء خراسان، وعقد حوزة تدريس في مدرسة «مروي» ودرّس فيها الكتب الفلسفية المتنوّعة، كما درّس في جامعة طهران الفلسفة الإسلامية في كلّية الإلهيات والمعارف الإسلامية، واستمرّ فيها حتّىٰ سنة ١٣٩٨ هـ.

وقد قام خلال ٢٢ عاماً بالبحث حول مختلف المواضيع الفقهية والأدبية والفلسفية والاجتماعية والعرفانية والتاريخية، كما وأنشأ طبقة مثقّفة متديّنة من الطلّاب وأرشدهم بخطبه النارية نحو طريق الاستقامة والثبات.

كما كان له نشاط سياسي منقطع النظير، وأُودع السجن على أثره، ثمّ أُفرج عنه، وقاد بعض الحركات الدينية ـ السياسية، حتّىٰ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، فقام إلىٰ جنب قائدها مناضلاً وداعياً حتّىٰ استشهاده في طهران سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ودفن في قم.

من جملة مؤلّفاته الكثيرة النافعة: المادّية في إيران، العدل الإلهي، مسألة الحجاب، نظام حقوق المرأة في الإسلام، السلوك الجنسي في الإسلام والغرب، الإنسان والمصير، قصص أهل الحقّ، أُصول الفلسفة، المجتمع والتاريخ، الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، الملحمة الحسينية، معرفة القرآن، الهدف السامي للحياة الإنسانية، أصالة الروح.

وقد كان الشهيد المطهّري من دعاة الوحدة والتقريب البارزين..

يقول ضمن تعليق له: «من البديهي أنّ مراد العلماء والمفكّرين المسلمين من الوحدة الإسلامية ليس هو صهر المذاهب المتعدّدة في مذهب واحد أو الأخذ بنقاط التقاء المذاهب المختلفة وترك نقاط خلافها، حيث إنّ ذلك ليس معقولاً ولا منطقياً ولا مطلوباً، وهو

بالأساس غير عملي، وإنّما مرادهم يكمن بضمّ المسلمين في صفّ واحد لمواجهة عدوّهم المشترك».

هذا، وتمتاز طريقة التفكير والنشاط العلمي لدىٰ الشيخ المطهّري بخصائص لا توجد إلّا في رجال من أمثاله، وهذه الخصائص بعضها فطرية وبعضها كان الشيخ قد اكتسبها بالرياضة وتربية النفس تربية إسلامية. ومن هذه الخصائص:

١ ـ البحث والتحقيق والمطالعة القيّمة والواسعة في المسائل الاجتماعية والعقائدية التي يهتمّ بها عامّة الناس. وقد عرف عنه أصدقاؤه ومريدوه وقرّاء كتبه ومستمعوا خطاباته أنّه يهتمّ جداً بالمواضيع التي تليق بالبحث والتحقيق والتي يحتاج المجتمع إلى حلّ مشكلاتها، فهذه المباحث اجتماعية ودينية..

فمنها: موضوع حقوق المرأة الذي اهتمّ بإثارته في تلك الأيّام ذووا الأغراض والأطماع السياسية وملؤوا المجلّات والصحف والإذاعة والتلفزيون بمقالاتهم التي ما أرادوا بها إلّا تضليل الشباب وتحريف أفكارهم، فقام الأُستاذ بمواجهة هذا التيّار وكشف القناع عن الواقع في خطبه وفي كتابيه: «حقوق المرأة في الإسلام» (حقوق زن در إسلام) و«الحجاب» (پوشش زن).

ومنها: موضوع القومية الإيرانية، حيث كانت تثار في ذلك العصر عواطف القومية والشعوبية لفصل الفكر الإسلامي عن الدوافع الوطنية بغية تضعيف الروح الدينية لدى الشعب الإيراني، فنهض الأُستاذ وألّف كتاب «خدمات متقابل إسلام وإيران»، وأوضح فيه أنّ الإيمان والعقيدة الإسلامية لا تعارض حبّ الوطن، حيث كان أجداد الإيرانيّين يسدون أجلّ الخدمات للدين الإسلامي عن طرق مختلفة، منها نشر المعارف والعلوم الإسلامية، وهذا شيء وحبّ الوطن شيء آخر لا يعاكسه.

قال الأُستاذ في ذلك الكتاب: «إنّ المسائل المشتركة بين الإسلام وإيران تعدّ من مفاخرهما معاً؛ أمّا الإسلام فلأنّه هو الدين القوي الذي جذب نحوه بسبب محتواه القيّم شعباً ذكيّاً متحضّراً مثقّفاً. وأمّا شعب إيران فلأنّه الشعب الذي فاق سائر الشعوب في تجنّب

العصبية والخضوع للحقّ والتضحية في سبيله بما له من روح باحثة عن الحقيقة محبّة للثقافة».

وكذلك بحث في كتاب «علل گرايش به ماديگرى» ـ أي: أسباب اعتناق المذهب المادّي ـ حول موضوع الإلحاد والمادّية تحت عنوان «ماترياليسم در إيران»، نظراً إلى الحوادث الجارية في ذلك العصر.

٢ ـ استعداده لاستماع وقراءة كلّ النظريات والآراء الفلسفية والاجتماعية والدينية. وهذه الصفة ضرورية لكلّ باحث منصف ملتزم، حيث لا بدّ له من التزام جانب الحياد في البحث والتنقيب عن الأفكار والعقائد والمدارس المختلفة، ثمّ النقد والردّ على الآراء الباطلة المضلّة والإجابة الصحيحة عليها. وكانت هذه هي طريقة الشيخ كما يلاحظ ذلك من جميع آثاره.

٣ ـ أمانة النقل عند بيان الآراء المخالفة، حيث كان الأُستاذ مشتغلاً بالتحقيق عن المدارس والمكاتب المختلفة، ولذلك كان يواجه دائماً آراءهم وأفكارهم، وكان لا بدّ له من نقل نظريّاتهم. والذي يلفت الانتباه في جميع كتبه وآثاره هو أمانته في نقل وبيان تلك العقائد المخالفة.

٤ ـ كان الأُستاذ المطهّري من المتحمّسين لحرّية الفكر والعقيدة، وكان يدرك بوضوح أنّ صيانة كيان الإسلام كعقيدة لا تكمن إلّا بقوّة العلم ومنح الحرّية للأفكار المعارضة ومواجهتها بصراحة.

وقد ألقى الأُستاذ كلمة بعد انتصار الثورة الإسلامية بقليل في كلّية الإلهيّات حول موضوع الحرّية، يقول فيها: «كلّ مدرسة تؤمن وتعتقد بآيدولوجيتها لا بدّ لها من حماية حرّية الفكر والعقيدة، وبالعكس فكلّ مدرسة لا تعتمد ولا تؤمن بآيدولوجيتها تمنع من حرّية الرأي. إنّ مثل هذه المدارس تريد أن تحصر الناس في إطار خاصّ وتمنع من رشدهم الفكري. إنّني أُعلن أنّه لا يوجد في نظام الجمهورية الإسلامية أيّ حصار للأفكار، ولن يكون فيه شيء من تحديد الآراء. نعم، كلّ الناس أحرار في عرض نتائج أفكارهم،

وآرائهم. ولكنّي أُنبّه أنّ هذا لا يشمل المؤامرة والنفاق؛ فالمؤامرة ممنوعة. ولكن عرض الأفكار الواقعية مسموح به. إنّني أُعلن لجميع الأصدقاء غير المسلمين أنّ الفكر حرّ من وجهة النظر الإسلامية. فكلّ ما بدا لكم أن تفكّروا فيه ففكّروا، وكيف ما أردتم أن تعلنوا عن عقائدكم ـ بشرط أن تكون عقائدكم واقعاً ـ فأعلنوا عنها، وكيفما أردتم أن تكتبوا لن يمنعكم عن ذلك أحد. إنّ السبب في بقاء الإسلام هو هذه الحرّيات، فلو كان الأمر في بداية الإسلام بحيث لو أنكر أحد وجود الله تعالىٰ لحكم عليه بالضرب والقتل لم يبق من الإسلام شيء، فسرّ بقاء الإسلام هو مواجهته بكلّ شجاعة وصراحة للأفكار المختلفة، وهكذا استطاع الإسلام أن يحفظ كيانه. وفي المستقبل أيضاً لن يستطيع الإسلام أن يستمرّ في حياته إلّا مع المواجهة الصريحة لكلّ العقائد والأفكار المختلفة. وإنّي أُحذّر الشباب المتحمّس للدين الإسلامي أن لا يظنّوا أنّ السبيل الوحيد لصيانة العقيدة الإسلامية هو منع الآخرين من إظهار عقائدهم. إنّ القوّة الوحيدة التي تحرس كيان الإسلام هي العلم ومنح الحرّية للأفكار المخالفة ومواجهتها بكلّ صراحة ووضوح».

٥ ـ كان الأُستاذ يتمتّع بقوّة الإبداع في عرض المشكلات وحلّها فيما يتعلّق بالمسائل الفلسفية والعلمية والدينية والاجتماعية والخلقية، وكان يستعمل طريقة الاستدلال البرهاني، ويحفظ الأُصول العقلية في إثبات العقائد الأُصولية الإسلامية وتتبيّن هذه الملاحظة بوضوح من خلال آثاره القيّمة. وكان ذكاؤه القوي وذهنه الحادّ يساعده في درك عويصات المسائل، حتّىٰ قال في حقّه أُستاذه العلّامة المرحوم السيّد محمّد حسين الطباطبائي: «إنّي كلّما كنت أُبيّن في الدرس ما أشكل من مهمّات العلوم الإسلامية كنت واثقاً من أنّ المطهّري في غاية الذكاء والبراعة لفهم ما التبس فهمه على الجميع».

٦ ـ كان الأُستاذ معتمداً علىٰ معتقداته علىٰ أساس الاستدلال، ولربّما يكون هناك عالم محقّق يبحث ويدرس لمجرّد إظهار علومه ومعارفه، ولكنّ العالم الملتزم المشفق الذي يتألّم من جهل الآخرين وضلالتهم لا يستطيع أن يكتفي بالتعليم على المنهج المدرسي. وكان الأُستاذ المطهري يتحرّك عن صميم إيمانه وعقيدته، سواء في المجال الفلسفي أو في

المسائل الاجتماعية والدينية .. فكان يفتح عيناً ليراقب بها نفسه وعيناً أُخرىٰ يحرس بها الشباب حذراً من وقوعهم في مهاوي الهلكات.

٧ ـ كان المطهّري حكيماً جامعاً للفضائل حائزاً علىٰ العلم والتقوىٰ واثقاً بأنّ الإنسان لا يبلغ الكمال والحقيقة إلّا بالمعرفة والطهارة. ومع أنّه كان مشغول البال بالعرفان والتزكية المعنوية لم يفته في نفس الوقت أن يفكّر بالمسائل الاجتماعية والسياسية. وكان يرىٰ لزاماً على نفسه أن يستجيب إذا طلب منه التدريس في مختلف الموضوعات والمسائل، بل كان لا يأبىٰ الاشتراك في بحث خاصّ إذا وجده نافعاً ومؤثّراً، ومن هنا فقد كان كاتباً مكثاراً وكان عازماً علىٰ ملأ الفراغ والإجابة على الشبهات.

يقول سماحة الشيخ التسخيري: «إنّي وفّقت للاستفادة من أساتذة كبار وعلماء أفذاذ، لكنّ أُستاذين جليلين منهم تركا أكبر الأثر في حياتي العلمية والفكرية بل والروحية، وهما: الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، والمرحوم آية الله الشهيد المطهّري.

ولقد كانا شبيهين إلى حدّ بعيد في كثير من الخصائص، ومنها: تقارب الشهادتين، الجهاد حتّى آخر نفس وعن وعي، التنظير والانتقال من المفردة إلى القانون، الموسوعية والتأليف في مختلف الجوانب، العمق والاستدلال المتين، الاهتمام الجادّ بالفلسفة الإسلامية وعرضها بشكل واضح وبنّاء، التضلّع في الفقه، التعبّد العرفاني، الولاء لأهل البيت، الاهتمام بقضايا الأُمّة الفكرية والعلمية، الصحوة الإسلامية العالمية، الإصلاح الحوزوي في النجف وقم، التخطيط المستقبلي لبناء المجتمع الإسلامي المطلوب، الخلق والتواضع الكامل وخصوصاً للعلم والعلماء، العمل في سبيل الوحدة الإسلامية، حبّ ودعم الثورة الإسلامية والإمام الخميني الراحل، الوقوف بوجه الأفكار اليسارية واليمينية والهجينة وردّ دعاياتها، إقامة الجسور مع المفكّرين والشباب والجامعات وتغذيتهم بالثقافة الإسلامية الأصيلة، التجديد في الفكر الديني.

ويمكن تلخيص هدف عملية التجديد الديني عندهما في أمرين:

١ ـ اكتشاف النظرة الأصيلة للدين في مجمل قضايا الحياة.

٢ ـ استبعاد الرواسب الدخيلة نتيجة العادات والتقاليد، والبعد الزمني عن عصر النصّ، والفهم الخاطئ، وغير ذلك. وكان الشهيد المطهّري يطرح جملة الإمام أمير المؤمنين: «ولبس الإسلام لُبس الفرو مقلوباً» (نهج البلاغة، الخطبة: ٧).

وقد رسما لتحقيق ذلك خطوطاً كثيرة، منها:

١ ـ التأكيد على قدسية الوحي والنصّ الديني، وفتح المجال أمام نقد الفكر المبتني عليه.

٢ ـ التركيز على العقل والبرهنة الصدرائية والتجديد في علم الكلام والربط بين العقل والعلم والدين مع تحديد مجال كلّ منها.

٣ ـ التأكيد على فلسفة العلوم والأخلاق والتاريخ والعلاقات الاجتماعية، بل وفلسفة أصل الاتّجاه الديني.

٤ ـ التأكيد على العودة للمصادر الأصيلة.

٥ ـ تفعيل عملية الاجتهاد في كلّ النواحي، وتخليصه من ضيق الأُفق، وإعطاؤه المرونة اللازمة.

٦ ـ التأكيد على الهدف الإنساني للشريعة والحكمة العملية والعدالة الاجتماعية والحرّية الإنسانية والاجتماعية والمعنوية وحقوق الإنسان والفطرة وغير ذلك.

٧ ـ التأكيد على التمييز بين المتغيّر والثابت، وبين رؤية الإسلام وسلوك المسلمين.

٨ ـ التأكيد على إصلاح التعليم الديني والارتقاء بالحوزات العلمية.

٩ ـ التأكيد على شمولية الإحياء لمختلف العلوم الإسلامية.

١٠ ـ التأكيد على تحسيس المجتمع بالسلوكيات الضارّة، والأفكار الدخيلة، والشعارات الباطلة، والتفاسير القشرية للإسلام أو التسطيحية للفكر الإسلامي.

١١ ـ مناقشة الأفكار والاتّجاهات اللاإسلامية، من قبيل: القومية الضيّقة، الاتّجاهات اليسارية، الاتّجاهات الالتقاطية التركيبية الغريبة، المناهج المتأثّرة بالفلسفات الغربية، والحداثة، وأمثالها.

١٢ ـ التخطيط لإقامة الجسور بين الدراسات الدينية التقليدية والدراسات الجامعية، ونقل إيجابيات كلّ منهما للآخر.

١٣ ـ الانفتاح على الأفكار المطروحة، وبناء عملية حوارية منطقية معها لاكتشاف المشتركات والإفادة من التجارب الفكرية.

١٤ ـ تعميق قضية الوحدة الإسلامية والاهتمام بقضايا الأُمّة المصيرية كقضية فلسطين، ودفع العلماء للقيام بدورهم كورثة للأنبياء.

والمقصود بعملية التجديد في فكر الشهيدين احتواؤها على المعاني الإيجابية التالية:

١ ـ تغيّر الأحكام بتغيّر الموضوعات.

٢ ـ استنباط رأي الإسلام في الموضوعات المستحدثة أو الأفكار الحديثة كالتعدّدية والديمقراطية أو حتّى بعض النظريات العلمية.

٣ ـ المرونة في تطبيق الإسلام.

٤ ـ التصرّف الأفضل للحاكم الشرعي في منطقة المباحات أو حتّى التكليفيات وفقاً للمصلحة.

٥ ـ مراعاة مقاصد الشريعة الكبرىٰ والعدالة والحقّ والاتّجاه الإنساني في الشريعة.

٦ ـ مناقشة بعض المسلّمات، كالإجماعات المعلّلة، وتوجيه النقد للفكر الديني الإسلامي.

٧ ـ التفريق بين ما صدر عن المعصوم كإمام وما صدر عنه كحكم شرعي عامّ.

٨ ـ ملاحظة الترابط بين الأحكام، وعدم التركيز على البعض دون ملاحظة الآخر، والنظر للإسلام كأُطروحة.

٩ ـ التأكّد من عدم تدخّل الشروط النفسية والزمكانية عند النقل بالمعنى، والتأكّد من عدم وجود قرائن صارفة، وملاحظة دور الزمان والمكان في الأحكام.

١٠ ـ إعمال الذوق الشرعي المسلّم به، والمعتمد على الأدلّة الأُخرى في ترجيح النصوص.

١١ ـ تأويل النصّ إذا خالف عقلاً أو إجماعاً أو سيرة قطعية معتبرة.

١٢ ـ ملاحظة أقسام الأحكام الأوّلية والثانوية والسلطانية، وتقديم ما حقّه التقديم».

(انظر ترجمته في: تراجم الرجال ٢: ٨١٦ ـ ٨١٨، تتمّة الأعلام ٢: ٢٥٥ و٣: ٢٦٧، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٤٦، كفاح علماء الإسلام: ٢٤٩ ـ ٢٨٣، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٦٦ ـ ١٦٧).

مريم حسن آل خليفة

الدكتورة مريم بنت حسن آل خليفة: رئيسة جامعة البحرين، وداعية وحدة.

حصلت على ليسانس في الحقوق من جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٦ م، وعلى ماجستير في القانون والشريعة الإسلامية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٩ م، وعلى دكتوراه في القانون الدولي العامّ من جامعة الإسكندرية سنة ١٩٩٤ م.

وهي رئيسة جامعة البحرين (٢٠٠٣ م ـ ٢٠٠٧ م)، وعميدة كلّية الحقوق ـ جامعة البحرين (٢٠٠٢ م ـ ٢٠٠٣ م)، ورئيسة قسم القانون ـ كلّية إدارة الأعمال ـ جامعة البحرين (١٩٩٩ م ـ ٢٠٠٢ م)، وأُستاذ مساعد للدراسات الإسلامية ـ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ـ كلّية الآداب ـ جامعة البحرين (١٩٩٦ م ـ ١٩٩٩ م)، ومحامية (١٩٧٦ م ـ ١٩٩٦ م)، وكما أنّها نائبة رئيسة المجلس الأعلى للمرأة ـ مملكة البحرين، وعضوة مشاركة في The chartered Instiute of Arbitrators، ومحكّمة في مركز التحكيم التجاري لدول مجلس التعاون للدول العربية في الخليج ـ البحرين (GCCC)، وعضوة في الجمعية المصرية للقانون الدولي ـ جمهورية مصر العربية، وعضو في International Alliance of Women - UK، وعضوة في الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون للدول العربية في الخليج، وعضوة في مجلس أُمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث، وفي المجلس الأعلى للتدريب المهني، وفي لجنة البحرين الوطنية للتربية والعلوم والثقافة.

بالإضافة إلى العضوية في العديد من الجمعيات داخل البحرين وخارجها، والمشاركة

في العديد من المؤتمرات والندوات ذات الطابع الدولي والإقليمي والوطني المتعلّقة بالمرأة والبيئة والتحكيم. وقد ساهمت في تقويم العديد من المحاضرات داخل البحرين وخارجها في مختلف المجالات، ولها مساهمة علمية في بعض المناهج الدراسية ضمن الاختصاص، ونشرت عدداً من الأبحاث العلمية في المجلّات القانونية المحكمة.

وقد عرّفت الدكتورة مريم التقريب بين المذاهب بأنّه: الفعل الدالّ على عدم التباعد، أو هو: كلّ الأفكار والأفعال والاجتهادات المؤدّية إلى التقارب بين المذاهب الإسلامية، وذلك من أجل تحقيق هدف أساسي، وهو الوصول إلى الأمن النفسي وتدعيم الثقة وتعزيز التعاون على البرّ والتقوى، أو هو: الإقرار بالاختلاف مع الإقرار بضرورة عدم التباعد والتناحر، والعمل على إزالة كلّ ما يشكّل طعناً للآخر.

كما للدكتورة اصطلاح «ثقافة التقارب»، استخدمته بالدمج بين كلمتي «الثقافة» و«التقارب»، بحيث ينتج عنهما معاً إدراك أنّ المراد هو جعل الفهم متقارباً، وذلك بالتركيز على الأُسس والأركان المتماثلة والعمل على تراكمها والتكثيف منها والصبر على ذلك وعدم الاستعجال، حيث إنّ هذه الأُمور في حاجة إلى عنصر الزمن من أجل توسيع دائرة الالتفاف حولها بما يؤدّي إلى زيادة المقتنعين بها والعاملين على تطوير ما تمّ تأسيسه من تلك الثقافة حتّى يصبح التقارب حقيقة واقعة ويحلّ محلّ الجفوة والتنافر. وإشاعة ثقافة التقارب تقوم على إعمال الفكر وما ينتج عنه والتنشئة الاجتماعية وما يترتّب عليها.

(انظر ترجمتها في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ١: ١٧٣ و١٨٥).

مسلم الحلّي الحسيني

السيّد مسلم بن حمّود بن ناصر بن حسين بن علي بن محمّد بن حسن بن هاشم الحسيني هاشم الحلّي: عالم، مدرّس، شاعر، وحدوي.

ولد في الحلّة سنة ١٩١٦ م، ودرس في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥ هـ، وحضر الأبحاث العالية فقهاً وأُصولاً على: الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ مرتضى الطالقاني، والشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، والسيّد محسن

الحكيم، والسيّد حسين الحمّامي.

درّس في النجف والكاظمية، ثمّ انتقل إلىٰ بغداد داعياً ومرشداً لأحكام الدين، وأسّس بها «جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية»، وفتح لها مدرسة دينية، وصار رئيساً لها.

رجع إلىٰ النجف سنة ١٣٧٤ هـ، وظلّ يواصل التدريس على مستوى البحث الخارج.

من تلاميذه: الشيخ علي الغروي التبريزي، والشيخ بشير الباكستاني، والسيّد علي البعّاج، والسيّد عبد الستّار الحسني، والسيّد علي بدر الدين العاملي.

من مؤلّفاته: محاضرات في أُصول العقائد، والأُصول الاعتقادية في الإسلام، والميزان الصحيح، والقرآن والعقيدة، وكتاب الصوم، وكتاب الزكاة، ونظرة في المادّة، والمسائل في شرح الرسائل، وبلوغ الغاية في شرح الكفاية، وديوان شعر.

توفّي بالحلّة سنة ١٩٨١ م، ونقل إلىٰ النجف، وأُقبر هناك.

كان السيّد الحلّي من المنادين بالوحدة الإسلامية، ومن أوّل المشاركين في مقالات مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية التي كانت تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، فقد شارك بمقالة تحمل عنوان «الإسلام دين الوحدة» في العدد الرابع منها سنة ١٩٤٩ م.

يقول فيها: «بذرت بذرة الإسلام، وما بذرت إلّا على الوحدة والتوحيد... وظهرت دعوته ودعايته، وليس بين شفتيه إلّا كلمة التوحيد لا إله إلّا الله، يحمل على يديه كتاب الله، وكلّ ما فيه الدعوة إلىٰ الوحدة والتوحيد... جاء محمّدﷺ بدين هو دين الوحدة في العقيدة والاتّجاه، دين الوحدة في الفكر والعمل. أجل، الإسلام دين الوحدة والتوحيد، سار الإسلام سيره وسيرته هذه في الفكرة والعقيدة، وسار مع هذه الفكرة والعقيدة جنباً لجنب في ناحيتي التطبيق والعمل، فأراد الإسلام وما أراد إلّا الوحدة في كلّ شيء: الوحدة في التضامن والتعاون، الوحدة في الواجبات والحقوق... وما للأُمّة الإسلامية والخلاف والاختلاف، ودينها واحد، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، وهي واحدة متّحدة في جميع

الطقوس والنواميس ؟!».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٣: ٢٨٦، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٥٢ـ٦٥٣، مستدرك شعراء الغري ٣: ٢٦٥ ـ ٢٧١، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٣٧٩ ـ ٣٨٠، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٧٣ ـ ١٧٤).

مصطفى أحمد الزرقا

مصطفى بن أحمد الزرقا: أحد كبار علماء الشريعة والمشتغلين بالسياسة والإصلاح في سورية.

ولد سنة ١٩٠٧ م في حلب، وحفظ القرآن الكريم، وتعلّم في مدرسة الفرير الفرنسية، وتخرّج بالكلّية الشرعية، وقرأ الفقه على والده الذي كان يلقّب بأبي حنيفة الصغير، ثمّ تعلّم الحقوق والآداب بالجامعة السورية، وحصل على دبلوم الشريعة من جامعة فؤاد الأوّل بالقاهرة.

مارس المحاماة، ثمّ تدرّج في سلك التدرس بحلب والخطابة بالجامع الأُموي فيها، وعيّن مدرّساً بجامعة دمشق في كلّيتي الحقوق والشريعة، وبقي فيهما حتّى تقاعد عام ١٩٦٦م.

انتخب نائباً في البرلمان السوري أكثر من مرّة، وانتمى إلى حزب الكتلة الوطنية أيّام الفرنسيّين، ثمّ اعتزل السياسة بعد الاستقلال، وشغل منصب وزير الأوقاف والعدل.

وكانت له مشاركات ثقافية كثيرة، فكان خبيراً في «الموسوعة الفقهية» الكويتية، وأسهم بوضع مشروع القانون المدني الأردني الجديد، واختير عضواً بالمجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي منذ إنشائه عام ١٣٨٩ هـ، وعضواً بإدارة التشريع والبحوث بالأمانة العامّة لجامعة الدول العربية، وترأس اللجنة الثلاثية التي وضعت مشروعاً موحّداً للأحوال الشخصية بمصر وسورية في أيّام الوحدة السورية ـ المصرية، وشارك بتأسيس مناهج الشريعة وتطويرها بعدد من الجامعات العربية في دمشق والمدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة والأزهر الشريف، وحصل على جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية عام ١٤٠٤ هـ.

من أهمّ كتبه: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، أحكام الأوقاف، عقد التأمين وموقف الشريعة، شرح القانون المدني، نظرية العقد في القانون المدني السوري، فتاوى مصطفى أحمد الزرقا، روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي، التأمين وموقعه في النظام الاقتصادي وموقف الشريعة منه، الشريعة الإسلامية وصلاحها للتطبيق، التلقيح الصناعي وأطفال الأنابيب والرأي الشرعي فيها، المصارف ومعاملاتها وودائعها وفوائدها، الاجتهاد ومجال التشريع في الإسلام، نظام النظامين: حقيقته والرأي الشرعي فيه، صياغة قانونية لنظرية التعسّف باستعمال الحقّ في قانون إسلامي، الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، القانون المدني السوري، الفعل الضارّ والضمان فيه: دراسة وصياغة قانونية، الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأُصول فقهها، الفقه الإسلامي ومدارسه، عظمة محمّد، مجمع العظات، السلسلة الفقهية والسلسلة القانونية، أحكام الأوقاف، في الحديث النبوي، بحوث فقهية ومقالات كثيرة، عقد البيع في الفقه الإسلامي، عقد الاستصناع وأثره في نشاط البنوك الإسلامية، باب تمهيدي لقانون مدني إسلامي، العقل والفقه في فهم الحديث النبوي، ديوان قوس قزح.

وقد تميّزت كتبه بأُسلوب مبتكر منسّق يفهمه الجميع. وقضى الزرقا معظم حياته في التأليف والبحث في أُصول الفقه والاقتصاد الإسلامي والعلوم الشرعية. وكان صاحب اجتهادات متنوعة في فقه العبادات و المعاملات والأحوال الشخصية، وملأ الساحة الفقهية بعلمه الواعي للمشكلات المعاصرة.

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ١١: ٥٧٥، إتمام الأعلام: ٤٣٧، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٣٦٤ـ٣٧٦، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٦٤ـ٢١٦٦).

مصطفى جمال الدين

الدكتور مصطفىٰ بن جعفر بن عناية الله بن حسين بن علي بن محمّد جمال الدين: عالم، أديب، شاعر، داعية وحدة.

ولد في (قرية المؤمنين) وهي إحدى قرى سوق الشيوخ (أحد أقضية محافظة

ذي قار) بالعراق بتاريخ ١١ / ٥ / ١٩٢٨م.

درس السيّد مصطفى في كتاتيب قرية المؤمنين ومن ثمّ الابتدائية في ناحية كَرمة بني سعيد، وما إن أكمل المرحلة الرابعة حتّى انتقل إلى النجف الأشرف، وعُرف عنه النبوغ المبكّر والذكاء الحادّ، فدرس العلوم الحوزوية، وأكمل مرحلة السطوح، وأخذ عن الشيخ محمّد رضا العامري وغيره، واتّصل بالشيخ محمّد أمين زين الدين، ودرس عند الشيخ إبراهيم الكلباسي، وانتقل إلى مرحلة الخارج في بحث السيّد الإمام الخوئي ﷺ، حيث كتب تقريراته في الأُصول والفقه.

عُيّن معيداً في كلّية الفقه؛ لاحتلاله المركز الأوّل بين طلبتها الناجحين، وذلك في عام ١٩٦٢م. وبعد أن أصبح مدرّساً في الكلّية قدّم كتابه «الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة» وأخذ يدرّسه. سجّل في مرحلة الماجستير عام ١٩٦٩م بجامعة بغداد، وقدّم رسالته بعد سنوات ثلاث عن «القياس.. حقيقته وحجّيته»، فمنح الشهادة بدرجة جيّد جدّاً، وطُبع كتابه في عام ١٩٧٢م، فعُيّن بعد حصوله على الماجستير مدرّساً في جامعة بغداد بكلّية الآداب.

ذاع صيته عربياً ودولياً، وأصبح علماً عراقياً بعد اشتراكه في المهرجان الكبير بمؤتمر الأُدباء الذي عُقد في بغداد عام ١٩٦٥م بقصيدة «بغداد»، حيث فاجأ الحاضرين بتلك القصيدة الرائعة.

بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧م كان صوته هادراً، حيث عُقد مؤتمر الأُدباء ببغداد عام ١٩٦٩م، حتّى أنّ الأُستاذ أنيس منصور قال عبارته: «خدعنا بمظهره»! كان يتوقّع من في القاعة أنّ هذا الشيخ رجل الدين يقول مرثية على أُسلوب الشيوخ والخطباء، وإذا به يصدح ويتقدّم على جميع الشعراء المشتركين بقوله:

لملم جراحك واعصف أيّها الثار ... ما بعد عار حزيران لنا عار

وخلّ عنك هدير الحقّ في إذن ... ما عاد فيها سوى (النابال) هدّار

حصل على شهادة الدكتوراه بتقدير ممتاز عام ١٩٧٤م في قسم اللغة العربية عن

رسالته الموسومة بـ« البحث النحوي عند الأُصوليّين ».

هاجر من العراق عام ١٩٨١ م إلى الكويت، ومنها إلى لندن، ومن ثمّ إلى الكويت مرّة أُخرى. واعتقل في الكويت عام ١٩٨٤م، وأُودع السجن نتيجة لوقوف الكويت مع صدّام في حربه ضدّ الجارة المسلمة إيران، فخيّروه ومن معه بين قبرص وسوريا، فاختار شاعرنا سوريا.

وافاه الأجل بعد مرض عضال لم يؤثّر على همّته العالية حتّى آخر يوم، وهو يوم الأربعاء ٢٣ / ١٠ / ١٩٩٦م، و حينما زاره مدير المشفى وسأله عن حاله، ورغم أنّ رأسه كان يضمّ كلّ أوجاع العالم إلاّ أنّه أجاب المدير : « الحمد لله، إنّي بصحّة جيّدة »، ودفن في دمشق.

من مؤلّفاته: الاستحسان.. معناه وحجّيته، الذكرىٰ الخالدة، عيناك واللحن القديم، الانتفاع بالعين المرهونة، جميل بثينة.

وفي إحدىٰ قصائده وفي التفاتة رائعة منه يدعو الأُمّة إلى العودة الحضارية بذهنية منفتحة غير مقيّدة بالمذهبية والطائفية. ومهما تعدّدت المذاهب فالمسير واحد، واختلاف النظر يصقل العقول، بينما العقل المنفرد يصدأ. وتعدّد منائر الهداية ليس فيه خوف، بل الخوف أن يبني فريق بحطام آخر، أي: أن يبني نفسه على حساب هدم الفريق الآخر. والخوف من مداهنة العدوّ، والخوف من استيقاظ العنصرية والطائفية. ويقف عند الطائفية واصفاً إيّاها بأنّها أسوأ ما سعى الأعداء فينا، وأنّ رمز الطائفية (وربّما يقصد بريطانيا) أصبح قبلة للطائفيّين، وأنّه راح يغمز في أحساب أتباع أهل البيت واصفاً إيّاهم بأنّهم من الفرس أو من الهند.

يقول:

عودي لأمسك تركبي طرق الهدى ... فالأرض سهلٌ والركائبُ حُشَّد
وأمام عينك حاضر متقدّم ... فيه من الرشد الوفيرُ الأجود
فتخيّري ما تشتهين وجدّدي ... هِمَماً تكادُ من التغرّب تهمدُ

وتـعدّدي طـرقاً فـلا تـوهي السُّرى — سـعة (المـذاهب) والمـدى مـتوحّد
فـالرأي تـصقله العـقولُ تـخالفت — نـظراً وقـد يُـصديه عـقلٌ مُـفرد
والخـوف ليس بـأن نكـون منائراً — شـتّى تـضيء لنـا السبيل وتُـرشدُ
الخـوفُ أن يـبنى فـريق مسـلم — بـحطام آخـر مـثلهُ يـتبدّدا
والخـوفُ مـن لقـيا عـدوّك شاهراً — لأخـيك صـارمَ حـقده فـتمجد
والخـوفُ أنّ (العـنصرية) هـوّمت — زمـناً فـأيقظها الدمُ المـتسوِّدُ
والخـوفُ أنّ (الطـائفية) تـبتني — أعشـاشها بـين العـقول فـنحمدُ
ونـطيرُ أسـراباً نـرفرفُ حـولها — ونـعبُّ فـضل دمـائنا ونـغرّد
يـا قـوم حسـبكم التـفرّق فـي المـدى — فـالليل طـاغ والضـياعُ مـعربدُ
والطـائفية ـ وهـي أسـوء مـا سعى — أعـداؤكـم فـيه ـ تُـصان وتُـعضدُ
ويكـاد (رمـز الطـائفية) وهـو مـن — تـدرون بـغضاً للـتديّن يُـعبد
مـا انـفكّ يَـلمز مـن ذُرى أحسـابنا — حَـنقاً، فـ(يُـعجمنا) لكـم أو (يُـهند)

وتثور في نفس الشاعر عزّة الانتماء العربي إلى موطنه، فدمه يتفصّد (يتفجّر) ممّا به من دم العرب الأصائل (دارم ومجاشع)، وروحه تغمرها حضارة الإسلام، وهو من أبناء الفتوح والمقاومة.. من القادسية (الفتح الإسلامي لإيران) حتّى الشعبية (مقارعة البريطانيّين).

ولماذا يعامل أتباع أهل البيت هذه المعاملة الطائفية؟ لقد قامت الدنيا ولم تقعد بسبب زعم محرقة اليهود، فلماذا السكوت أمام هدم مثوى أئمّة أهل البيت؟ ولماذا تركتم إسرائيل تعيث في الأرض فساداً، واتّجهتم إلى كربلاء والنجف لتدميرهما؟!

يقول:

نـحن العـراق شـموخُهُ وإبـاؤهُ — وكـريم مـا أعـطى بـنوهُ وأنـجدوا
عُـرُبٌ تكـاد عـروقُنا مـمّا بـها — مـن (دارمٍ) و(مـجاشعٍ) تـتفصّدُ
وجـرى بـنا الإسـلامُ سَيلَ حـضارةٍ — وتـمدّنٍ يُـرغي هُـداه ويُـزبدُ

وامتدَّ وهجُ (القادسيّة) من دما ... آبائنا حتّى (الشّعبية) يشهد
أتكونُ محنتنا؛ لأنّ قلوبنا ... من نبع آل محمّد تتزوّد؟!
ويكون عذر بني أبينا أنّهم ... خدعوا ببارق ما يقول فأرعدوا؟
هبكم صدقتم ما تنطع فيه من ... حرق اليهود منافقُ متهوّد
أفتسكتون وقد أحال خرائباً ... مثوى الأئمّة جيشه المستأسد
حتّى كانّ بكربلاء (حائط المبكى) ... وفي النجف (الكنيستُ) يُعقَدُ!

وفي القصيدة استحضار للماضي للانطلاق منه إلى المستقبل، حيث ترىٰ ما تحقّق في الماضي من ازدهار حضاري كان بسبب ما في الشريعة (قرآن وسنّة) من عناصر نهوض حضاري، وهذه العناصر هي قائمة بين ظهراني المسلمين، ويمكن استئناف مسيرة الحضارة على أساس من ذلك الماضي التليد، واستلهاماً من القرآن والسنّة.

وهي تستنهض شعور الأُمة وتعقد الأمل على مستقبل وضيء، وهي تحمل هموم العراق وهموم الأُمّة الإسلامية.

إنّ دالية جمال الدين ترى أنّ تعدّد المذاهب لا خوف منه، بل الخوف من الذاتيات والأنانيات التي تتمترس خلف هذا المذهب أو ذاك لتخاصم مَنْ سواها، الخوف من التعصّب العنصري والطائفي، وهي نظرة حضارية للتعدّدية المذهبية.

وهي تؤكّد ما وراء الفتن الطائفية من يد معادية تحاول الانتقام من أتباع أهل البيت. ومنها نستنتج أنّ العامل الأساس في إثارة الفتنة الطائفية في العراق هم البريطانيّون، سعوا إلى ذلك قبل احتلالهم العراق، ومارسوا ذلك إبّان احتلالهم بقوّة، وحين واجهوا مقاومة النجف اضطرّوا إلى الانسحاب من العراق، ولكن بنيّة الانتقام، فوضعوا للحكم الملكي خطّة تكرّس الطائفية في الحكم، وتواصل هذا التكريس على مرّ الأعوام التالية. وإذا زال هذا الاحتكار الطائفي بعد سقوط نظام صدّام فإنّ التفرقة الطائفية لا تزال تمارس بقوّة على يد المحتلّين وبمساندة قوى إقليمية، لكن صوت النجف يبقى صوتاً يدعو إلى

الوحدة والوئام ونبذ الطائفية سواء على مستوى المرجعية أم على صعيد المفكّرين والأُدباء والمثقّفين.

(انظر ترجمته في: شعراء الغري ١١: ٢٤٥ـ ٢٦٤، معجم المؤلّفين العراقيّين ٣: ٣٠٣، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٣٦٢، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٥٧، إتمام الأعلام: ٤٣٨، معجم الشعراء للجبوري ٥: ٣٨٧ـ٣٨٨).

مصطفى الرافعي

الدكتور مصطفى الرافعي: أُستاذ جامعي، وقاض سابق، من مؤلّفاته «الإسلام ومشكلات العصر»، وله كتابات كثيرة في الصحف والمجلّات.

ويمتاز بروح تقريبية وحماس رسالي لجمع كلمة المسلمين.

وقد نشرت له مجلّة «رسالة التقريب» في عددها السادس سنة ١٩٩٥م مقالاً تقريبياً بعنوان «إسلام واحد، لا فرق ولا مذاهب»، يقول في موضع منه: «إنّ من أقوى العوامل التي تؤذّن بزوال أُمّة واندثارها هو تفرّق أفرادها وتجمعهم في مذاهب وشيع وأحزاب: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٣). إنّ المذاهب الإسلامية كافّة من سنّية وشيعية متّفقة على أركان الإيمان وأركان الإسلام التي هي أُصول الدين، وفيما عدا هذه الأُصول لا تثريب على المسلمين إذا اختلفوا، فالاختلاف سنّة من سنن الاجتماع، وإنّما التثريب عليهم أن يتخاصموا بسبب تعدّد مذاهبهم، ويتنازعوا ويتقاتلوا في عصر تنشط أُمم [فيه] إلىٰ الترابط والتعاون والتناصر؛ ليسند بعضها بعضاً، ويدفع بعضها عن بعض، ويكون بعضها في خدمة بعض. ونحن المسلمين أُولىٰ بهذا منهم اعتماداً على ما يشدّ بعضنا إلىٰ بعض من وشائج كبيرة، تأتي [في] طليعتها وشيجة الأُخوّة الإسلامية التي لا تعترف بالفرق والشيع والمذاهب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٢٠٤ـ ٢٠٥).

مصطفى السباعي

أبو حسّان مصطفى بن حسني السباعي : عالم إسلامي مجاهد، وكاتب وخطيب ومصلح وداعية .

ولد في مدينة حمص بسوريا عام ١٩١٥ م، ونشأ في أُسرة علمية عريقة معروفة بالعلم منذ مئات السنين، وكان والده وأجداده يتولّون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلاً بعد جيل ، وقد تأثّر بأبيه الشيخ حسني السباعي الذي كانت له مواقف معروفة ضدّ المستعمر الفرنسي .

كان مصطفى يوزّع المنشورات، ويلقي الخطب، ويقود المظاهرات في حمص، وهو في السادسة عشرة من عمره! واعتقله الفرنسيّون سنة ١٩٢١م بسبب أعماله هذه مرّتين . قاد مجموعة من إخوانه المتحمّسين في حمص، فأطلقوا الرصاص على الفرنسيّين ردّاً على اعتداءاتهم .

وفي عام ١٩٣٣م ذهب إلى مصر للدراسة الجامعية بالأزهر، وهناك شارك عام ١٩٤١ م في المظاهرات ضدّ الاحتلال البريطاني ، كما أيّد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضدّ الإنجليز ، فاعتقلته السلطات المصرية بأمر من الإنجليز مع مجموعة من زملائه الطلبة قرابة ثلاثة أشهر، ثمّ نقل إلى معتقل « صرفند » بفلسطين ، حيث بقي أربعة أشهر، ثمّ أُطلق سراحه بكفالة .

تعرّف السباعي في فترة دراسته بمصر على مؤسّس جماعة الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنّا، وظلّت أواصر الصداقة والصلة قائمة بينهما بعد عودته إلى سوريا، حيث اجتمع بالعلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية في المحافظات السورية، وقرّروا توحيد صفوفهم، والعمل جماعة واحدة، وبهذا تأسّست منهم « جماعة الإخوان المسلمين » لعموم القطر السوري، وقد حضر هذا الاجتماع من مصر سعيد رمضان ، وكان ذلك عام ١٩٤٢ م، ثمّ بعد ثلاث سنوات اختير مصطفى السباعي ليكون أوّل مراقب عامّ للإخوان المسلمين في سوريا .

شارك السباعي في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م، حيث قاد الكتيبة السورية ضدّ الصهاينة. وفي عام ١٩٤٧ أنشأ جريدة «المنار» حتّى عطّلها حسني الزعيم بعد الانقلاب العسكري عام ١٩٤٩م. وفي عام ١٩٥٥ أسّس مع آخرين مجلّة «الشهاب» الأُسبوعية، والتي استمرّت في الصدور إلى قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨م.

وفي العام نفسه ـ أي: ١٩٥٥م ـ حصل على ترخيص إصدار مجلّة «المسلمون» الشهرية بعد توقّفها في مصر، وظلّت تصدر في دمشق إلى عام ١٩٥٨م، حيث انتقلت إلى صاحبها سعيد رمضان في جنيف بسويسرا. فأصدر السباعي بدلاً منها مجلّة «حضارة الإسلام» الشهرية. وظلّ السباعي قائماً على هذه المجلّة حتّى توفّي، حيث تولّى إصدارها محمّد أديب الصالح بدمشق.

انتخب السباعي نائباً عن دمشق في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩م، ثمّ انتخب نائباً لرئيس المجلس، فعضواً في لجنة الدستور المشكّلة من تسعة أعضاء.

وعيّن السباعي عام ١٩٥٠م أُستاذاً بكلّية الحقوق في الجامعة السورية بعد أن حصل على الدكتوراه من الأزهر في التشريع الإسلامي وتأريخه. واستطاع بمساعيه الحميدة تأسيس كلّية الشريعة في جامعة دمشق عام ١٩٥٥م، ليكون أوّل عميد لكلّية الشريعة بجامعة دمشق، وعرفته مدارج جامعة دمشق من خلال محاضراته العلمية وخاصّة (قاعة البحث) وأندية سورية الثقافية والفكرية ودور النشر فيها أديباً شاعراً وحكيماً وصحفياً يتقن فنّ المقالة الدينية والسياسية. وشهدت له منابرها بحسن المحاضرة والخطابة والفقه، وكان داعية إسلامياً من طراز جديد. وقد أسّس المعهد العربي الإسلامي في دمشق.

في عام ١٩٥٢ م طلب السباعي من الحكومة السورية السماح لجماعة الإخوان المسلمين بسوريا بالمشاركة في حرب السويس إلى جانب المصريّين، فقامت حكومة أديب الشيشكلي بحلّ الجماعة واعتقال السباعي وإخوانه، ثمّ أصدر أمره بفصل السباعي من الجامعة السورية وإبعاده خارج سوريا إلى لبنان.

وبعد اعتقال حسن الهضيبي في مصر خلال مواجهة الإخوان المسلمين بمصر مع

حكومة ثورة يوليو / تمّوز، شكّل الإخوان المسلمون في البلاد العربية مكتباً تنفيذياً تولّى الدكتور مصطفى السباعي رئاسته.

والدكتور السباعي له باع طويل في التأليف، فهو من العلماء المحقّقين والفقهاء المجتهدين الذين استوعبوا الفقه الإسلامي من أُصوله المعتمدة، ودرسوا قضايا العصر المستجدّة، ومن أهمّ مؤلّفاته: شرح قانون الأحوال الشخصية، من روائع حضارتنا، المرأة بين الفقه والقانون، عظماؤنا في التاريخ، القلائد من فرائد الفوائد، دروس في دعوة الإخوان المسلمين، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، هكذا علّمتني الحياة، اشتراكية الإسلام، أخلاقنا الاجتماعية، أحكام الصيام وفلسفته، الدين والدولة في الإسلام، نظام السلم والحرب في الإسلام، هذا هو الإسلام، السيرة النبوية: دروس وعبر، الاستشراق والمستشرقون، المرونة والتطوّر في التشريع الإسلامي، منهجنا في الإصلاح، العلاقات بين المسلمين والمسيحيّين في التاريخ.

أُصيب مصطفى السباعي في آخر عمره سنة ١٩٥٧م بالشلل النصفي، حيث شلّ طرفه الأيسر، وظلّ صابراً محتسباً عدّة سنوات، حتّى توفّي في دمشق يوم السبت ٣/أكتوبر/١٩٦٧م.

قال عنه الشيخ محمّد أبو زهرة: «إنّني لم أرَ في بلاد الشام أعلى من السباعي همّةً، وأعظم منه نفساً، وأشدّ منه على الإسلام والمسلمين حرقةً وألماً».

كان الدكتور مصطفى السباعي يقول: «أعود فأُكرّر دعوتي للمخلصين من علماء الشيعة ـ وفيهم الواعون الراغبون في جمع كلمة المسلمين ـ أن تواجه المشاكل التي يعانيها العالم الإسلامي اليوم في انتشار الدعوات الهدّامة التي تجتثّ جذور العقيدة من قلوب شباب السنّة وشباب الشيعة على السواء... يجب أن تنصبّ جهود المخلصين من أهل السنّة والشيعة على جمع الشتات وتوحيد الكلمة إزاء الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي وبالعقيدة الإسلامية من أساسها».

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ١: ٣٦٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها

المعاصرين ٣: ٤٦٧ ـ ٤٨٠، عظماء الإسلام: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، وركبت السفينة: ٣٨٣، المتحوّلون ٧: ٤١، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ١١٣ ـ ١١٧، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٥٩٩ ـ ١٦٠٠، موسوعة الأعلام ٢: ٣٤١).

مصطفى الشكعة

مصطفىٰ محمّد الشكعة: بحّاثة مصري، وداعية وحدة.

وهو أُستاذ الأدب والفكر الإسلامي بجامعة عين شمس، وعميد كلّية الآداب السابق، وعميد الدراسات العليا بجامعة الإمارات العربية المتّحدة، وأُستاذ الإسلاميّات والأدب بجامعة بيروت العربية.

من مؤلّفاته: إسلام بلا مذاهب (وهو من تقديم الشيخ محمود شلتوت)، معالم الحضارة الإسلامية، المطالعات الإسلامية في الفكر والعقيدة، الأئمّة الأربعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيّين، الإمام مالك بن أنس.

يقول: «الإمامية الاثنا عشرية هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيّام، وتربطهم بنا نحن أهل السنّة روابط التسامح والسعي إلى تقريب المذاهب الآن؛ لأنّ جوهر الدين واحد ولبّه أصيل، ولا يسمح بالتباعد ... فهم يبرؤون من المقالات التي جاءت على لسان بعض الفرق، ويعدّونها كفراً وضلالاً. وإذا أمعنّا النظر جيّداً وطرحنا كلّ الأفكار البالية الجامدة خلف ظهورنا فإنّنا لن نجد كبير خلاف بين كلّ من مذهب السنّة ومذهب الشيعة الإمامية ... وكان [الإمام الصادق] إماماً فاضلاً ورعاً، له من الإيمان والثقافة الدينية ما لم يتوفّر لإمام آخر من معاصريه».

(انظر ترجمته في: وركبت السفينة: ٣٨٧، المتحوّلون ٧: ٤٥).

مصطفىٰ عبد الرازق

مصطفىٰ حسن أحمد عبد الرازق: سياسي مصري، ومن علماء الشريعة الإسلامية، ومن المساندين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وشيخ الجامع الأزهر.

ولد ببلدة «أبي جرج» في المنيا بصعيد مصر سنة ١٨٨٥ م من أُسرة عرفت بالاهتمام

بالعلم والدين والسياسة، وكان أبوه عضواً في المجالس النيابية منذ عهد الخديوي إسماعيل ووكيلاً لحزب الأمّة سنة ١٩٠٧م، تخرّج مصطفىٰ من الأزهر سنة ١٩٠٦م حائزاً على درجة العالمية، وتتلمذ للشيخ محمّد عبده، وأخذ عنه نزعة الإصلاح الاجتماعي والتجديد الفكري.

التحق بجامعة السوربون سنة ١٩٠٩م، ونال إجازة في الأدب الفرنسي والفلسفة، وانتقل إلى معهد الدراسات الاجتماعية، فنال حظّاً من معارفها، وانتدب لتدريس مباحث إسلامية في ليون، وعاد إلى مصر موظّفاً بالمجلس الأعلى للأزهر سنة ١٩١٦م، ثمّ أميناً عامّاً للمعاهد الدينية، ثمّ مفتشاً للمحاكم الشرعية سنة ١٩٢١م، وعيّن أستاذاً للمنطق والفلسفة الإسلامية بكلّية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٢٧م، وكان عضواً في مجمع اللغة العربية والمجمع العالمي المصري، ورئيساً لمجلس إدارة الجمعية الخيرية. وكان يكتب مقالات إصلاحية في مجلّة «السفور» وصحيفة «السياسة»، وشارك في إنشاء الحزب الديمقراطي، ثمّ انضمّ لحزب الأحرار الدستوريّين وصار وكيلاً له خلفاً لشقيقه حسن ومحمود. ولّي وزارة الأوقاف مرّتين، وعيّن شيخاً للأزهر سنة ١٩٤٥م، واختير أميراً للحجّ كذلك سنة ١٩٤٧م، واستمرّ في المشيخة حتّى وفاته سنة ١٩٤٧م.

من آثاره: فصول في الأدب، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، الدين والوحي في الإسلام، سيرة الكندي والفارابي، سيرة محمّد عبده، البهاء زهير، الإمام الشافعي، الليث ابن سعد.

وعن أُسلوبه في التعليم يقول شقيقه الشيخ علي عبدالرازق: «كان له أُسلوب خاصّ في التعليم الجامعي لا يكاد ينهجه غيره من الأساتذة، خصوصاً في مصر، فالتعليم عنده لم يكن مجرّد إلقاء الدرس على الطلّاب وتلقينهم إيّاه، ولكنّه عبارة عن صلة عقلية ينشئها بينه وبين طلّابه، فهو يشركهم معه في بحث الموضوعات واستخراجها من مظانها وفي مناقشة المسائل وفهم النصوص وتحرير الآراء.. وهدف كلّ ذلك أن يراجعهم ويراجعونه ويعينهم ويعينونه، وكلّهم لكلّهم أساتذة، وكلّهم لكلّهم طلّاب».

وعن أفكار مصطفى عبدالرازق يحدّثنا الأُستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق قائلاً: «وأوّل ما يسترعي الانتباه في حياة الشيخ مصطفى عبدالرازق هو ذلك الرباط القوي المبكّر الذي كان يربط بين الشيخ محمّد عبده والشاب مصطفى عبدالرازق. فالشاب الطموح كان يجمع كلّ ما يكتبه الشيخ ويلتهمه التهاماً، ويدرك تماماً رسالة الشيخ محمّد عبده الإصلاحية. وقد تمثّل ذلك في قصيدة استقبل بها الإمام محمّد عبده عام ١٩٠٥م، وجاء في مطلعها:

أقبل عليك تحية وسلام　　　يا ساهراً والمسلمون نيام

والشطر الثاني من هذا البيت يوضّح لنا ما كان يؤمن به مصطفى عبدالرازق ـ ولم تكن عمره حينذاك تزيد على عشرين عاماً ـ وما يكنّه من مشاعر للشيخ الإمام وتقدير لجهوده في إيقاظ المسلمين والنهوض بهم. وقد استمرّ هذا التقدير للشيخ محمّد عبده ملازماً لمصطفى عبدالرازق حتّى نهاية حياته. وقد دفعه ذلك حينما كان في باريس إلى ترجمة «رسالة التوحيد» للشيخ محمّد عبده إلى الفرنسية بالاشتراك مع صديق له من المستشرقين. ممّا يؤكّد لنا أنّ مصطفى عبدالرازق كان امتداداً أصيلاً للأُستاذ الإمام محمّد عبده (رحمهما الله).

وإذا قلنا: إنّ مصطفى عبدالرازق يعدّ امتداداً لمحمّد عبده، فإنّ ذلك يعني الكثير. إنّه يعني تواصل جهود التنوير والإصلاح على المستويات الدينية والفكرية والاجتماعية. وقد نهض مصطفى عبدالرازق بهذه المهمّة الجليلة نهوضاً يحسب له كمفكّر مستنير يعكس الطبيعة الصافية للإسلام.

أمّا الشيخ محمّد عبده فإنّه من جانبه قد توسّم في الشاب مصطفى عبدالرازق كلّ معاني الخير، وقد عبّر عن ذلك بما كتبه له قائلاً: «ما سررت بشيء سروري أنّك شعرت في حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك. ولو أُذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ما يملأ عليك الفضاء، ولكنّي أكتفي بالإخلاص في الدعاء، أن يمتّعني الله في نهايتك بما تفرّسته في بدايتك»، وقد تحقّقت نبوءة الأُستاذ الإمام في الشاب مصطفى

عبدالرازق.

أمّا الأمر الثاني الجدير بالذكر في حياة مصطفى عبدالرازق فهو صلته بالثقافة الغربية، تلك الصلة التي أطلّت به على عالم جديد في الفكر وفي السلوك وفي التقدّم والرقي، فراح يغترف من العلم ما استطاع، وفي الوقت نفسه كان يقلقه أشدّ القلق ما عليه المجتمع المصري من تخلّف، ومن أجل ذلك كان يستنهض الهمم للعمل والوصول بالبلاد إلى أعلى درجات الرقي والتقدّم، ويعبّر عن ذلك بقوله: «أنا أستبطئ سيرنا في سبيل التقدّم، وأتوق إلى رؤية مصر حرّة راقية تلعب دورها في العالم، وكم أتمنّى أن أُلقي في قلب كلّ مصري شعلة من هذا القلق الذي عندي؛ لأنّ شعورنا جميعاً بالحاجة إلى الرقي هو الذي يسرّع خطواتنا إليه».

ولأنّ العمل من أجل رقي البلاد يتأسّس على حبّ البلاد فقد كان ينادي بحبّ النيل، كما يحبّ الأوروبّيون الأنهار التي يتدفّق ماؤها في بلادهم، ولم يكن يقصد من هذا الحبّ مجرّد التعبير عن تلك العواطف الدفينة في النفوس، بل كان يمهّد الأرض لترجمة هذا الحبّ إلى عمل نافع للوطن وللمواطنين، كما فعل ويفعل أهل أُوربّا من العمل المتواصل لرقي بلادهم.

ومن ناحية أُخرى مكّنته صلته بالثقافة الغربية من الاطّلاع على ما يقوله الغرب عن الشرق، فحفّزه ذلك إلى البحث في جذور الفكر الإسلامي، ممّا استطاع به تصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة عن التراث الإسلامي والعقلية الإسلامية. وبحكم الثقافة المتنوّعة للشيخ مصطفى عبدالرازق اتّجه إلى التوفيق بين القديم والجديد، وبين الشرق والغرب، وهذا ما عبّر عنه المرحوم الدكتور إبراهيم مدكور بقوله في عبارته الجميلة بدلالتها البالغة: «إنّه قرّب الأزهر من السوربون»، وهو من غير شكّ الذي مهّد الطريق لمن تقلّدوا مشيخة الأزهر فيما بعد ولغيرهم من أبناء الأزهر للدراسة في السوربون، وكان منهم: الدكتور عبدالرحمان تاج، والدكتور محمّد الفحّام، والدكتور عبدالحليم محمود، والدكتور محمّد عبدالله دراز، والدكتور محمّد يوسف موسى، وعفيفي عبدالفتّاح، وغيرهم.. فكانت له الريادة في هذا المجال بعد أن كانت الشقّة قد بعدت بين الأزهر

وأوروبّا منذ رفاعة الطهطاوي.

أمّا الأمر الثالث الذي نودّ أن نشير إليه في هذا المقام فهو ريادته لدراسة الفلسفة الإسلامية، فإليه يرجع الفضل في جعلها علماً يدرّس في الجامعات، وقد ضمّ إليها علم الكلام والتصوّف وأُصول الفقه، وكلّ من جاء بعده في مجال الفلسفة الإسلامية مدين له بالكثير، سواء اتّفق معه في الرأي أم كان مخالفاً له. فهو الإمام في هذا المجال بلا جدال، وصاحب مدرسة لها بصماتها الواضحة في الدراسات الفلسفية الإسلامية في مصر وفي العالم العربي.

وكتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» سيظلّ نبعاً فيّاضاً لكلّ الباحثين في الفكر الإسلامي، ولم يكن الدكتور إبراهيم مدكور مجافياً للصواب حين قال عنه: «إنّه رئيس مدرسة وإمام جيل».

أمّا الأمر الرابع الجدير بالذكر فيتمثّل في أنّ مصطفى عبدالرازق كان رجل مبادئ ورجل قيم، تجسّدت فيه الفضائل والأخلاق الرفيعة، وشهد بذلك كلّ من عرفه من قريب أو بعيد، فقد كان يعتقد أنّ ثمّة شيئاً فوق العلم وفوق الفنّ، وهذا الشيء هو ما يطلق عليه اسم «الأخلاق»، وقد كان سلوكه تطبيقاً عملياً رائعاً لكلّ ما يؤمن به من قيم نبيلة، الأمر الذي يضعه في مقدّمة المصلحين الأخلاقيّين وكبار المجدّدين للفكر وللسلوك على السواء».

عدّه الدكتور أحمد عبدالرحيم السائح والدكتور محمود جابر أحد مؤسّسي دار التقريب في القاهرة وأحد العاملين في ميدان جهودها الفقهية والفكرية.

(انظر ترجمته في: المعاصرون: ٤٣٤ـ ٤٣٩، الأزهر في ألف عام ١: ٢٨٠ ـ ٢٩٥ و٣: ٣١٧ ـ ٣٢٠، معجم المؤلّفين ١٢: ٢٤٥ ـ ٢٤٦ موسوعة السياسة ٦: ٢٢١ ـ ٢٢٢، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ٤٩ ـ ٦٦، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١٠٧٤ ـ ١٠٧٨، موسوعة الأعلام ٤: ١٧٨، روّاد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة: ٢٧ ـ ٣٨، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٢٠٥).

مصطفى مشهور

مصطفى مشهور: المرشد الخامس للإخوان المسلمين، وأحد أبرز منظّريها ومفكّريها، وداعية إسلامي.

ولد في قرية السعديّين التابعة لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية بتاريخ ١٥ / سبتمبر / ١٩٢١م، ودخل كتّاب القرية مدّة سنتين، ثمّ التحق بالدراسة الأوّلية بالقرية، والتحق بالمدرسة الابتدائية بمنيا القمح، ثمّ بالمدرسة الثانوية بالزقازيق، ومكث بالزقازيق سنتين الأوّل الثانوي والثاني، ثمّ انتقل إلى القاهرة فأكمل بها المرحلة الثانوية، ثمّ التحق بالجامعة بكلّية العلوم، ثمّ تخرّج فيها سنة ١٩٤٢م، وتعرّف على الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٦م، وارتبط ارتباطاً وثيقاً مع الشيخ حسن البنّا.

بعد تخرّجه عيّن في الأرصاد الجوية بوظيفة «متنبّئ جوّي»، ونقل إلى الإسكندرية؛ ليقضي سنة تحت التمرين، ثمّ عاد إلى القاهرة لممارسة عمله كمتنبّئ جوّي. في يونيو ١٩٥٤م أُبعد عن العمل إلى مرسي مطروح، واعتقل من مرسي مطروح وأُحضر إلى السجن الحربي، وحكم عليه بعشر سنوات أشغال شاقّة، ثمّ نقل إلى ليمان طرّة، ومنه إلى سجن الواحات. واعتقل مرّة أُخرى سنة ١٩٦٥م، حتّى أُفرج عنه في عهد السادات، وتولّى مهام المرشد العامّ للإخوان المسلمين بعد وفاة الأُستاذ «محمّد حامد أبو النصر» سنة ١٩٩٦م.

يقول مصطفى مشهور: «في سنة ١٩٥٧م كان عبد الناصر يخطّط لخلع الملك حسين عن طريق الضبّاط الإخوان في الأردن، فكشفوا هذا المخطّط وأفشلوه، فاغتاظ منهم، وأراد أن ينتقم منهم ومن الإخوان المسجونين في طرّة، ففي طرّة كان السجناء يخرجون إلى الجبل لتكسير الحجارة، ثمّ يعودون، والمريض منهم يأخذ تصريحاً طبّياً؛ كيلا يخرج إلى الجبل. ذات يوم صدر الأمر بخروج جميع السجناء إلى الجبل، السليم منهم والمريض، فاستغرب الإخوان هذا الأمر، وشكّوا في أسبابه، فلم يخرجوا. كان ردّ إدارة السجن أنّ مجموعة من الجنود يحملون الرشّاشات دخلوا على الإخوان في الزنازين والعنابر، وصوّبوا الرشّاشات نحوهم بعشوائية همجية، فسقط منهم واحد وعشرون قتيلاً، وسمّيت

«مذبحة طرّة»...».

من مؤلّفاته: الجهاد هو السبيل، تساؤلات على طريق الدعوة، مناجاة على الطريق، مقوّمات رجل العقيدة على طريق الدعوة، وحدة العمل الإسلامي في القطر الواحد، زاد على الطريق، القدوة على طريق الدعوة، الدعوة الفردية، الحياة في محراب الصلاة، الإسلام هو الحلّ، من فقه الدعوة، القائد القدوة، الإيمان ومتطلّباته، بين الربّانية والمادّية قضايا أساسية على طريق الدعوة، التيّار الإسلامي ودوره في البناء، قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنّة، طرق الدعوة بين الأصالة والانحراف، من التيّار الإسلامي إلى شعب مصر.

توفّي مصطفى مشهور في مصر إثر نزيف في المخّ عام ٢٠٠٢ م.

المفيد

أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبدالسلام الحارثي العكبري البغدادي المعروف بابن المعلّم، ثمّ المشتهر بالمفيد: من أشهر أعلام الإمامية.

ولد في سنة ٣٣٦ هـ، وقيل: سنة ٣٣٨ هـ، في قرية «سويقة ابن البصري» التابعة لعكبرا على مقربة من بغداد، ثمّ انتقل به أبوه ـ وهو صبي ـ إلى بغداد للتحصيل، فاشتغل بالقراءة على أبي عبدالله الحسين بن علي المعروف بالجُعل، ثمّ على أبي ياسر غلام أبي الجيش الذي اقترح عليه أن يحضر درس المتكلّم الشهير علي بن عيسى الرمّاني المعتزلي، ففعل.

روى المفيد عن طائفة من كبار المشايخ، منهم: القاضي أبو بكر محمّد بن عمر الجعابي، وأبو غالب أحمد بن محمّد الزراري، وأحمد بن محمّد بن الحسن بن الوليد، وجعفر بن محمّد بن قولويه، وأبو الحسن علي بن بلال المهلّبي، والشيخ الصدوق محمّد بن علي بن بابويه، ومحمّد بن أحمد بن الجنيد الكاتب المعروف بالإسكافي.

وكان المفيد شيخ الفقهاء والمحدّثين في عصره، مقدّماً في علم الكلام، ماهراً في المناظرة والجدل، عارفاً بالأخبار والآثار، كثير الرواية والتصنيف.

وكان له مجلس بداره بدرب رياح يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف فتخرّج به جماعة، وبرع في المقالة الإمامية حتّى كان يقال: له على كلّ إمامي منّة.

قال فيه أبو العبّاس النجاشي: «أُستاذنا وشيخنا، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والثقة والعلم».

وقال ابن النديم: «كان دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، شاهدته فرأيته بارعاً».

وقال اليافعي: «البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية».

وقد برز المفيد من بين أعلام عصره بفنّ «المناظرة» التي تعتمد الموضوعية والمنهج والدليل المتّفق عليه سبيلاً للإقناع ووضوح النتائج، فخاض ميادين المناظرة في الإلهيات والمسائل الفقهية، إلّا أنّ مناظراته كانت تنصبّ في الدرجة الأُولى في المسائل الاعتقادية للإمامية، فكان له الدور البارز في الذبّ عنها وترويجها، ولهذا نال منه بعض المنساقين وراء عواطفهم مع إذعانهم لقدراته وقابلياته الفكرية والعلمية.

ويعدّ المفيد أوّل من ألّف من الإمامية في أُصول الفقه بشكل موسّع، وله في هذا المجال رسالة نقلها تلميذه الكراجكي في كتابه «كنز الفوائد»، فقد كان الطابع العامّ للكتب التي أُلّفت قبل عصره لا يتعدّى أن يكون دراسة لبعض المسائل الأُصولية.

وصنّف كتباً كثيرة، ذكر منها النجاشي أسماء (١٧٤) كتاباً، منها: المقنعة في الفقه، مناسك الحجّ، الفرائض الشرعية، أحكام النساء، جوابات أهل الدينور، جوابات أبي جعفر القمّي، جوابات أهل طبرستان، الرسالة الكافية في الفقه، الإيضاح في الإمامة، الإرشاد، العيون والمحاسن، النقض على علي بن عيسى الرمّاني، النقض على أبي عبدالله البصري، الردّ على ابن الأخشيد في الإمامة، إيمان أبي طالب، الكلام في وجوه إعجاز القرآن، الجمل.

وتفقّه به وروى عنه جماعة، منهم: الشريفان الرضي والمرتضى، وأبو العبّاس النجاشي، وأبو جعفر الطوسي، وأبو يعلى محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري ـ وهو صهره ـ والقاضي أبو الفتح الكراجكي، وأحمد بن علي بن قدامة، وأبو الفرج المظفّر بن علي بن الحسين الحمداني، وأبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الرحمان الفارسي.

وقد جمع المفيد بالإضافة إلى علمه الجمّ فضائل نفسية رفيعة ، فكان قويّ النفس ، كثير البرّ ، عظيم الخشوع عند الصلاة والصوم ، ماكان ينام من الليل إلّا هجعة ، ثمّ يقوم يصلّي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن.

توفّي ببغداد سنة ثلاث عشرة وأربع مائة للهجرة ، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً ، ودفن في داره ، ثمّ نقل إلى الكاظمية ، فدفن بمقابر قريش بالقرب من رجلي الإمام الجواد عليه السلام .

ورثاه الشعراء بمراثٍ كثيرة ، منهم : الشريف المرتضى ، ومهيار الديلمي ، وعبدالمحسن الصوري.

وفي عصرنا نظم فيه الشاعر العراقي الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين قصيدة رائعة ، ألقاها في المؤتمر العالمي الذي عُقد في قم المقدّسة في الذكرى الألفية لوفاته ، ومطلعها :

جذورك في بغداد ظامئة سغبى ... وظلّك في طهران يحتضنُ العربا

ومنها:

تمرّ بك الأفهام غرثى فتنثني ... وقد بَشِمَت حتّى دخائلُها الغضبى

تبادِرُك «النظّار» بالرأي ناضجاً ... فتجعله فِجّاً بأفواههم جَشْبا

وتفجَؤُهم منك البديهةُ بالضحى ... وضوحاً وبالسلسال من رقّة شُربا

وتستافك الدنيا عبيراً وبيننا ... وبينك (ألف) ما سهى العطر أو أكبى

والشيخ المفيد يعدّ من العلماء الكبار الذين استطاعوا أن يتركوا من الآثار الفكرية والاجتماعية ما نهض بحركة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبلور مناهجها العلمية .

انتهت رئاسة مذهب الإمامية إلى الشيخ المفيد ، وكان ذا مكانة اجتماعية مهمّة ، نشيطاً في توجيه العلماء ، معتنياً بتربية الكوادر المؤهّلة للزعامة ، حتّى تخرّج على يده مجموعة من الفقهاء تولّوا رئاسة المذهب من بعده .

وكانت للمفيد المرجعية في الفتيا والأحكام في كثير من البلدان ، يرجع الناس إليه في الفصل وأخذ الأحكام ، كجرجان ، وخوارزم ، وشيراز ، ومازندران ، ونيشابور ، والموصل ،

وطبرستان، وعكبرا، والرقّة، وحرّان، إلى غيرها من المدن والبلدان التي كان أهلها يفزعون إليه لحلّ الخصومات ويرجعون إلى رأيه في الأحكام.

وقد استطاع بفضل ما أُوتي من مواهب أن ينهض بالفكر الشيعي، ويُحدث نقلة متميّزة في المجال الفكري والاجتماعي على حدّ سواء. وكان كما يقول المؤرّخون عنه: «له مجلس نظر بداره يحضره كافّة العلماء». ويبدو أنّ علاقة السلطان بالمفيد كانت حسنة تبعاً للجوّ السياسي الذي عاشته البلاد؛ فقد ذكر ابن كثير عنه أنّ «ملوك الأطراف كانت تعتقد به؛ لكثرة الميل إلى الشيعة في ذلك الزمان». ويبدو أيضاً أنّ الموهبة العلمية التي تميّز بها المفيد وسعة اطّلاعه من جهة واحترام الأُمراء له من جهة ثانية مكنّاهُ من استحداث وضع فكري واجتماعي متميّز في ذلك الوسط الذي بدأ الامتداد الشيعي يدبّ في أوصاله.

كانت صلة المفيد البويهية في مبدأ أمرها صلة وثيقة، حيث قدّر البويهيّون مقامه العلمي، فأجروا الرواتب لتلامذته، وخصّصوا له جامع براثا في منطقة الكرخ لوعظه وإقامة الصلاة جمعة وجماعة.

إنّ الملاءمة السياسية والفكرية أتاحت للمفيد أن يتصدّى لمناظرة خصومه الفكريّين من: معتزلة، وأشاعرة، وزيدية، وإسماعيلية، ومحدّثين.. الأمر الذي ساعده على كتابة مؤلّفات عديدة استحدثتها النزعات الفكرية التي نشطت ذلك الحين. ولا يخفى أنّ مثل هذه المؤلّفات التي أُحصيت له ـ والتي قاربت المائتين مؤلّف بين كتاب ورسالة ـ تحكي صورة واقعية عن الصراعات الفكرية والاتّجاهات المعارضة التي كان المفيد أحد الأطراف الفاعلة فيها.

من هنا يتبيّن أنّ المفيد استطاع أن يعيد للمذهب الإمامي بناءه من جديد بعد العواصف التي أوشكت أن تمزّقه في مجال الصراعات الفكرية والسياسية. فقد استخدم نشاطه في ردّ المتكلّمين الذين يخالفونه الرأي، ونقده لآراء العلماء الموافقين لخطّه الفكري، خصوصاً أُستاذه ابن الجنيد، كذلك سعى إلى تهذيب العلوم الإسلامية وتنظيمها.

من هنا فقد تصدّى لمقاومة بعض التيّارات الفكرية، كالغلاة، والقرامطة، والزيدية،

والمعتزلة، وأهل الرأي.. وذلك بطرق المحاججة المباشرة مع أقطاب هذه التيّارات، أو بوضع المؤلّفات التي تناقش أفكارهم وتحاول إبطالها.

وقد ساعدته على ذلك عوامل، منها: ميزاته الفكرية واستعداده العلمي، ووجوده في قلب عاصمة الخلافة العبّاسية التي كانت مجمعاً ضمّ التيّارات الفكرية المختلفة، وجو الحرّية السياسية والفكرية التي منحها البويهيّون لأصحاب الفكر.

مضافاً إلى ذلك فقد أوجد كادراً من العلماء يتولّى نيابته في المدن والأقطار الإسلامية، وقام بتربية «نخبة» متميّزة استطاعت أن تحافظ على «الرئاسة» المذهبية بعده، كما ساهمت في تطوير خطّه العلمي.

(انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم: ٢٢١، رجال النجاشي: ٣٩٩ ـ ٤٠٣، رجال الطوسي: ٤٤٩، الفهرست للطوسي: ٤٤٤ ـ ٤٤٦، تاريخ بغداد ٣: ٢٣١، الخلاصة: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ١٧: ٣٤٤ ـ ٣٤٥، البداية والنهاية ١٢: ١٧، لسان الميزان ٥: ٣٦٨، شذرات الذهب ٣: ١٩٩ ـ ٢٠٠، هدية العارفين ٢: ٦١ ـ ٦٢، أعيان الشيعة ٩: ٤٢٠ ـ ٤٢٤، تأسيس الشيعة: ٣١٢ و٣٣٦، المفسّرون للأيازي: ٢٧٥ ـ ٢٨٢، موسوعة طبقات الفقهاء ٥: ٣٣٤ ـ ٣٣٧، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ٥٢٠ ـ ٥٢٣، مشاهير فلاسفة المسلمين: ٣٨٧ ـ ٣٩٧، رجالات التقريب: ١٦٨ ـ ١٨١).

منى حدّاد

منى أحمد جلال الدين حدّاد: ناشطة ومفكّرة إسلامية مرموقة.

ولدت في طرابلس (لبنان) بتاريخ ٦/٥/١٩٤٣م، وهي حرم الدكتور فتحي يكن، تزوّجت به بتاريخ ١٤/١١/١٩٦٠م.

حازت على الليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بيروت العربية، وأعدّت للماجستير في جامعة القدّيس يوسف في بيروت في اللغة العربية وآدابها، وحازت على شهادة الدراسات المعمّقة من السوربون في الدراسات الإسلامية الحديثة، وعلى الدكتوراه من جامعة السوربون في تاريخ الفلسفة الإسلامية.

تولّت التدريس في المدارس الرسمية مدّة أربع سنوات، وأسّست مدارس جنّة الأطفال، ثمّ ثانوية الجنان في طرابلس وضواحيها عام ١٩٦٤ م، كما أسّست جمعية الرابطة النسائية الإسلامية المعروفة بنشاطاتها الإسلامية والاجتماعية في لبنان منذ عام ١٩٧٢ م، وأسّست مبرّة الرابطة النسائية الإسلامية لرعاية الأيتام والمعوّقين وأصحاب الحاجات عام ١٩٨١ م، وأسّست جامعة الجنان سنة ١٩٨٨ م وتولّت رئاستها، ولازالت حتّى الآن، وأسّست دار الجنان لتحفيظ القرآن عام ١٩٨٩ م، وأسّست مركز تعليم اللغة العربية سنة ١٩٩٠ م، وأسّست مركز حقوق الإنسان عام ١٩٩١ م، وأسّست مركز الصحّة النفسية سنة ١٩٩٣ م، وأسّست دار المنى للطباعة والنشر سنة ١٩٩٤ م، وأسّست معهد الجنان الفنّي سنة ١٩٩٧ م.

وهي عضو مؤسّس في رابطة إحياء التراث الفكري في طرابلس والشمال، وعضوة الاتّحاد النسائي الإسلامي العالمي، وعضوة الرباط النشائي العالمي، وعضوة جمعية الطفل المصاب بالكلىٰ، وعضو مؤسّس لجامعة آل حدّاد في لبنان.

تمّ انتخابها امرأة عام ٢٠٠٠ م في المؤتمر الدولي الذي انعقد في بيروت تحت عنوان: «المرأة واستشراف المستقبل»، كما تمّ انتخابها بالإجماع عام ٢٠٠١ م لمنصب نائب رئيس مجلس الأُمناء في الاتّحاد النسائي الإسلامي العالمي.

باكورة مؤلّفاتها كتاب: «أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام»، صدرت الطبعة الأُولى منه عام ١٩٨٢ م، وطبع ثلاث طبعات. وهي تقوم مع بعض الأساتذة بتحقيق مؤلّفات حكمت شريف المخطوطة، صدر منها تاريخ طرابلس منذ أقدم أزمانها وحتّى عام ١٣٢٢ هـ، كما شاركت بتأليف كتاب «البيريسترويكا من منظور إسلامي».

شاركت في مؤتمرات عديدة في لبنان والخارج، وألقت محاضرات عديدة حول قضايا المرأة والمجتمع في لبنان والعالم العربي والإسلامي.

تقول في مقالة لها نشرتها مجلّة «رسالة التقريب» الطهرانية سنة ١٤٢٩ هـ: «إنّ المساواة في الكرامة والإنسانية والحرّية في المعتقد والعبادة والولاية على المال والولد قد

حقّقها الإسلام للمرأة. وقد أقرّت شريعة الإسلام مبدأ المساواة بين الذكر والأُنثى في القيمة الإنسانية وفي الحقوق والواجبات الشرعية داخل الأُسرة وخارجها، إلّا أنّها راعت الاختلاف الطبيعي الحاصل بينهما من حيث التكوين البيولوجي ومن حيث الوظائف الفسيولوجية، هذا الاختلاف الذي يؤدّي بالضرورة إلى تفاوت في بعض التكاليف والأعباء الحياتية والمسؤوليات المعيشية بين كلّ من الرجل والمرأة.

إنّ المساواة المطلقة بين نوعين بينهما تماثل غير مطلق هو ظلم، والعدل قبل المساواة؛ لأنّه أعمّ وأشمل، ولأنّه يراعي الكلّيات وليس الجزئيات.. والحقيقة أنّ المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكلّ خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، والاختلاف لا مناص موجود بين الجنسين، سواء أكان من الناحية التشريحية والتركيبية أم من الناحية الفسيولوجية أو السيكولوجية. لذلك يتوجّب على النساء أن ينمين أهليتهنّ تبعاً لطبيعتهنّ دون أن يحاولن تقليد الذكور، وإنّ دورهنّ في تقدّم الحضارة أسمى من دور الرجل.

فالأصل في علاقة الرجل بالمرأة هي العدالة في كلّ شيء، والمساواة في الأشياء المتماثلة.. والعدل من قواعد الإسلام المتينة، وقد ورد ذكره والأمر به في العديد من الآيات القرآنية، نذكر منها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (سورة النحل: ٩٠)، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (سورة الأنعام: ١١٥)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (سورة الأنعام: ١١٥)، ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ (سورة المائدة: ٨).

إنّ هذه العدالة وتلك المساواة هي التي تدفع بالمرأة إلى لعب دورها وأخذ حقّها كاملاً، وينتج عن ذلك بلا شكّ مشاركة فعّالة في الحياة العامّة وإحساس كبير بعمق المواطنية. أمّا إذا حيل بينها وبين تلك العدالة والمساواة بسبب جهلها أو تعسّف من حولها أو ظلم الدولة لها، فإنّ مسؤوليتها في ذلك رفع الظلم بكلّ الوسائل المتاحة.

إنّنا إذا قارنا بين اتّفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المرأة وبين موقف

الشريعة من ذلك نجد تقارباً كبيراً من حيث الحقوق المعطاة، لكنّ الفرق الكبير والجوهري أنّ الاتّفاقية لها قوّة القانون بالنسبة للدول المصدّقة عليها. أمّا أحكام الشريعة فلها وقعها عند الشعوب والأفراد التي تدين بالإسلام والتي تعتبر تلك الحقوق حقوقاً مقدّسة من الله تعالى، وليست ملزمة بقوّة القانون الوضعي.

إنّ أثر الشريعة في نفس المؤمن عظيم جداً، وقدرتها على تحويله إلى جادّة الصواب أكبر؛ لأنّها تفعل في داخل النفس، وترتبط بعمق الإيمان؛ لذلك أرى أنّ للمرأة في لبنان وفي المنطقة العربية حقّاً في أن يخلّي بينها وبين ما أقرّه الإسلام لها من مكانة وحقوق؛ لأنّ الواقع العملي لا يلتزم بتلك الحقوق ولا يحافظ لها على تلك المكانة، والسبب غياب الإسلام أو تغييبه عن سلطة التشريع وسلطة التنفيذ والمراقبة. في ظلّ هكذا أجواء يكون الخيار بين الدعوة إلى ممارسة أحكام الشريعة في المجتمع على من يؤمنون بها وبين المطالبة بتنفيذ القانون العالمي للعائلة. وبين هذا وذاك فلا طائل من محاولة تجاهل الحقائق والتركيبة الاجتماعية للبلد، ولا فائدة من فرض نموذج لا تتكيّف معه المعطيات الاجتماعية لمنطقتنا، وإلّا فإنّنا نكون ضالعين في تحريف فكرة التمثيل الشعبي وإرادة الناس، فإنّه أقرب إلى الصواب أن نحيي العدالة والمساواة في الإسلام بين الرجل والمرأة على أنّ لا نجرّب التشريعات العالمية للمرأة وللعائلة الغريبة والبعيدة عن تاريخنا وتراثنا، والتي صنعت تحت إشراف أُمم غالبة تريد أن تعدّل قناعات وتغيّر تركيبات اجتماعية لتصبح على شاكلتها، فتسود من بعدها، ليس على المستوى العسكري والاقتصادي فقط، بل على المستوى الاجتماعي والثقافي.

إنّ التشريعات العالمية فيها العديد من الأُمور الإيجابية، وقد تكون هادفة، لكنّها ـ شئنا أم أبينا ـ تحمل صورة الإنسان في المجتمع الغربي على مستوى التقاليد والعادات والتطوّر التاريخي، في حين أنّ لنا تشريعاتنا المقدّسة التي حال دوننا ودونها الجهل والاستعمار.

إنّ الواقع السيّئ للمرأة تفرضه أُمور كثيرة، حتّى في بلاد الغرب .. فرغم القوانين والاتّفاقيات التي تساوي بين الجنسين، فإنّها لا تحترم في كثير من الحالات، خاصّة وإنّ علاقة الرجل بالمرأة من خلال الأُسرة هي علاقة خاصّة وداخلية، ولا يمكن أن تخضع للرقابة، إنّما تخضع للودّ والوئام والمحبّة.

فحري بنا أن نعلّم المرأة حقوقها، ونعلّم الرجل واجباته، وأن تعي المرأة بأنّ عليها واجبات أيضاً؛ لكي تستعدّ لها ولتشارك في البناء والتنمية الأُسرية والاجتماعية والاقتصادية .. وحري بنا أيضاً أن نطالب بتوسيع دائرة المحاكم الشرعية وإعطاء الدور الكبير لرجال القضاء؛ لكي لا تترك الأُمور على عواهنها؛ لأنّ للقاضي في الإسلام دوراً كبيراً، فهو يضع حدّاً لتعسّف الرجل، ويمسك على المرأة زلّاتها، فهو يد العدالة.

إنّ قضية النوع (ذكر أم أُنثى) لا يعتدّ بها في عالمنا اليوم، حيث القمع والاضطهاد لا نوع له، فهو يطال الجميع. والمرأة تتلقّى من الظلم عدّة أوجه نتيجة تراكمات جاهلية تسود المجتمع ويجب محاربتها؛ إذ لا يجوز أن تدفع المرأة ثمن عيوب المجتمع بكلّيته، ولا يجوز أن يبقى في ذهن المرأة أنّ الرجل رمز الاضطهاد والاستبداد، فهذه الأحاسيس لا يمكن أن تشكّل عائلة سوية.

وإنّنا كمجتمع عربي له أصالته وتراثه فإنّنا نجد في الإسلام قانوناً أُسرياً واسعاً وشاملاً حتّى في الأُمور الجزئية، ولا بدّ من إعطائه الفرصة للتنفيذ والتطبيق، ليس فقط على مستوى المحاكم، بل على مستوى الوعي، من خلال تدريس ذلك القانون وما يترتّب عليه من موقع للمرأة، حتّى تعرف الفتيات حقوقهنّ وواجباتهنّ، ويساهمن في الإنماء والإعمار المعنوي والمادّي الذي يحتاج إليه البلد والذي يتجسّد في مواطنية مرهفة الإحساس وعميقة الانتماء، وحتّى يتسنّى للشباب معرفة الحدود التي يجب أن يقفوا عندها ولا يتعدّوها في التعاطي مع الجنس الآخر، وهكذا نكون قد أسّسنا لمستقبل واعد وشراكة حقيقية بين الرجل والمرأة».

منذر قحف

منذر قحف: عالم إسلامي اقتصادي، وداعية وحدة.

ولد في دمشق سنة ١٩٤٠ م، وحصل على بكالوريوس في التجارة عام ١٩٦٢ م من جامعة دمشق، والدبلوم العالي في التخطيط سنة ١٩٦٧ م، وعلى الدكتوراه في الاقتصاد سنة ١٩٧٥ م من جامعة يوتا ـ أمريكا (تخصّص: اقتصاديات النقود والتنمية).

له أكثر من خمسة عشر كتاباً حول التطبيقات الاقتصادية المعاصرة، كالزكاة والوقف وأدوات مواجهة عجز الموازنة في الاقتصاد الإسلامي بالعربية والإنجليزية، وله أكثر من ستّين مقالة بالعربية والإنجليزية، كذلك في شتّىٰ فروع الاقتصاد والصيرفة والتمويل الإسلامي.

شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات كباحث وكمعقّب في جوانب متعدّدة من الاقتصاد الإسلامي، وقام بالتحضير لعدد من الندوات والمؤتمرات وتنفيذها في جوانب الاقتصاد الإسلامي.

وهو محاضر في دورات تدريبية عديدة في جوانب الاقتصاد الإسلامي المختلفة.

عمل باحثاً اقتصادياً في المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية.

لقد قدّم الدكتور قحف جهوداً رائدة وشخصية للنهوض بالأبحاث في مختلف مجالات الاقتصاد الإسلامي، كما أظهرت إسهاماته العلمية عمق التحليل ورصانة المعالجة وغزارة الإنتاج، وسواء كان ذلك من خلال الأبحاث أو الندوات أو حلقات العمل أو المؤتمرات، الأمر الذي جعل لإسهاماته إضافة حقيقية، ظهر أثرها في ترقية وتطوير الاقتصاد الإسلامي.

والدكتور منذر عضو في الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران.

من مؤلّفاته : مفهوم التمويل في الاقتصاد الإسلامي، النصوص الاقتصادية من القرآن والسنّة، التورّق المصرفي في التطبيق المعاصر (بالمشاركة).

مهدي محقّق

الدكتور مهدي محقّق : أُستاذ جامعي إيراني مرموق، وداعية تقريب.

ولد سنة ١٣٠٨ هـ. ش. في مدينة مشهد الإيرانية، وبقي في مسقط رأسه إلى السنة التاسعة من عمره، وفي سنة ١٣١٧ هـ. ش. انتقل مع عائلته إلى طهران، ودرس الابتدائية والمتوسّطة هناك، ثمّ شرع في سنة ١٣٢٢ هـ. ش. بدراسة العلوم الدينية (الحوزوية)، ومن أجل ذلك عاد إلى مسقط رأسه، وسكن في مدرسة نوّاب واستمرّ بالدراسة الحوزوية في مدينتي مشهد وطهران حتّى حاز على درجة الاجتهاد من قبل بعض أساتذته، كالشيخ كاشف الغطاء والشيخ محمّد تقي الخوانساري.

في سنة ١٣٢٧ هـ. ش. دخل في جامعة طهران، واستطاع أن يحصل على درجة الدكتوراه في الإلهيات سنة ١٣٣٧ هـ. ش. وبعدها بسنة وفّق في الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة والأدب الفارسي من جامعة طهران نفسها.

أصبح سنة ١٣٣٩ هـ. ش. عضواً في الهيئة التعليمية التابعة لمجموعة اللغة والأدب الفارسي في جامعة طهران، ثمّ درّس لمدّة تسع سنوات في إعداديات طهران، وبعد ذلك أصبح مديراً لقسم الكتب الخطّية في المكتبة الوطنية لمدّة ثلاث سنوات.

وفي سنة ١٣٤٠ هـ. ش. دعي من قبل جامعة لندن للتدريس في كلّية اللغات الشرقية، فظلّ هناك لمدّة سنتين، وحاز سنة ١٣٤٥ هـ. ش. على مقام الأُستاذية في الجامعة، وبقي حتّى سنة ١٣٦١ هـ. ش. يدرّس اللغة والأدب العربي والفارسي وكذلك الفلسفة والعلوم الاجتماعية في جامعة طهران.

ثمّ انتدب للتدريس في جامعة مك كيل الكندية ولمدّة سبع سنوات، فقام بتدريس الفلسفة والكلام والعرفان الإسلامي.

في سنة ١٣٤٧ هـ. ش. أسّس شعبة مؤسّسة الدراسات الإسلامية التابعة لجامعة مك

كيل في طهران، فاستطاع بذلك أن ينجز نشر أكثر من ستّين أثراً نفيساً مدوّناً في مختلف العلوم الإسلامية، وقد ساعده في ذلك أكثر من ثلاثين أُستاذاً إيرانياً وثلاثين أُستاذاً أجنبياً من خارج إيران، فنشرها في مجموعتين، هما: سلسلة العلم الإيراني، وتاريخ العلوم في الإسلام.

انتخب عام ١٣٥٣ هـ. ش. رئيساً للجنة أساتذة اللغة والأدب الفارسي في إيران، ثمّ غدا عضواً في هيئة أُمناء علماء الفلسفة.

وبعد أن أُحيل على المعاش كان يسافر في السنة ثلاثة أشهر للتدريس في كندا، واستمرّ على ذلك خمس سنوات.

ومن بعد ذلك قام بتدريس الفلسفة في المؤسّسة العالمية للفكر والحضارة العالمية في ماليزيا، ولمدّة خمس سنوات.

وأيضاً كان يقوم بالسفر إلى جامعة أُكسفورد سنوياً لمدّة شهر من أجل التحقيق والبحث حول تاريخ الطبّ، والإشراف كذلك على بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في حقل العلوم الإسلامية.

وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران عُيّن رئيساً لجامعة دماوند، وفي سنة ١٣٦١ هـ. ش. أسّس منظّمة دائرة المعارف الشيعية، وغدا رئيساً لها، وكان يقوم أثناء ذلك بالإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات مشهد وأصفهان والإمام الصادق عليه السلام والشهيد مطهّري والزهراء وتربية مدرّس وتربية معلّم والجامعة الإسلامية الحرّة في كرج.

وكان عضواً في لجنة العلوم الطبّية الإسلامية التقليدية، والمنتدى الأدبي للغة العربية في مصر، ومنتدى اللغة العربية في دمشق، ومنتدى العلوم والحضارة الإسلامية في الأردن، ومنتدى الأدب والعلم في الهند، والمجلس العالمي لتاريخ الطبّ، والمجمع العالمي لفلسفة القرون الوسطى.

شارك الدكتور مهدي محقّق في عدّة مؤتمرات دولية حول الأدب والفلسفة، وكان يلقي مقالته باللغة العربية والإنجليزية، وقد تجاوزت مقالاته ١٦٠ مقالة، قامت بنشرها

بعض المجلّات العلمية في مختلف البلدان، كبريطانيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا وهولندا وتركيا والهند وباكستان وأفغانستان وسوريا ولبنان والأردن ومصر.

من مؤلّفاته: فيلسوف الري محمّد بن زكريا الرازي، مفتاح الطبّ، مجموعة المتون والمقالات في تأريخ الطب وأخلاقياته. كما حقّق وترجم عدّة كتب أُخرى، وقد فازت بعض كتبه بعدّة جوائز داخلية وخارجية، وحصل على بعض الأوسمة.

وأخيراً الدكتور متزوّج من الدكتورة نوش آفرين الأنصاري، وهي أُستاذة جامعية في فرع العلوم المكتبية، وله منها ولدان.

وقد عدّه الأُستاذ السيّد هادي خسروشاهي ـ وذلك في ورقة بعثها لكاتب السطور ـ من رجال التقريب البارزين.

موسىٰ الصدر

موسىٰ الصدر: عالم مشهور، ورائد من روّاد الوحدة والتقريب.

ولد السيّد موسىٰ بن صدر الدين بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح شرف الدين الصدر سنة ١٩٢٨ م في مدينة قم، وأنهى دراسته الابتدائية في تلك المدينة بمدرسة «الحياة»، وكذلك الدراسة الثانوية بمدرسة «سناي»، وفي عام ١٩٤١ م انخرط في صفوف الحوزة العلمية بقم ودرس عند بعض العلماء، كالسيّد محمّد تقي الخوانساري، والسيد محمّد الحجّة الكوهكمري، والسيّد محمّد حسين الطباطبائي، والسيّد كاظم الشريعتمداري، والسيّد محمّد باقر السلطاني، والإمام الخميني.

والتحق عام ١٩٥٠ م بكلّية الحقوق بجامعة طهران، ونال «البكالوريوس» في الحقوق الاقتصادية عام ١٩٥٣ م على أُطروحته «الترجمة.. شروطها وصحّتها».

وتعلّم اللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية والفارسية. كما قام بتدريس بعض العلوم الدينية في قم لتلامذة كثيرين، أمثال: الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، والشيخ يوسف الصانعي، والسيّد محمّد الغروي.

وبعد وفاة والده عام ١٩٥٤ م توجّه إلى النجف الأشرف وحضر الدروس العالية عند

بعض الأعلام، كالسيّد محسن الحكيم، والشيخ حسين الحلّي، والسيّد محمود الشاهرودي، والسيّد عبدالهادي الشيرازي، والسيّد الخوئي. وبقي في العراق حتّى سنة ١٩٥٨ م، وبعد أن استقرّ به المطاف في قم أنشأ مجلّة «مكتب إسلام» بدعم من السيّد البروجردي، كما أسّس بعض المدارس الأهلية.

وفي عام ١٩٦٠ م سافر السيّد موسىٰ إلى لبنان واستقرّ هناك مكرّساً جهوده على أربعة محاور: مواجهة الحرمان الثقافي، ومواجهة الحرمان الاقتصادي، والاهتمام بالجانب السياسي ـ الإداري، وتفعيل الدور العقائدي ـ العسكري للشيعة. وقام بتأسيس «حركة المحرومين»، وكذلك «منظّمة أمل» سنة ١٩٧٦ م، وأضحىٰ رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان سنة ١٩٦٧ م. وكانت إصلاحاته في الساحة اللبنانية مشهودة للقريب والبعيد، كما كانت تربطه علاقات وطيدة بكثير من رجال الفكر والدين والسياسة والثقافة في لبنان. وكان يمتاز بالبساطة في العيش، والأصالة، والتواضع، والصفح، والتعبّد، وحبّ الناس.

من مؤلّفاته: المذهب الاقتصادي في الإسلام، الإسلام ومشكلة الطبقية، الإسلام وثقافة القرن العشرين، أحاديث السحر، دراسات للحياة، الإسلام والمرأة، المعاملات الجديدة في ضوء الفقه الإسلامي، الإسلام والتطوّر، الإسلام عقيدة راسخة ومنهج حياة.

تمّ خطفه عندما كان زائراً ليبيا بتاريخ ١٩٧٨/٨/٣١ م، ومازال مصيره يلفّه الغموض.

وكان يركّز على موضوع الوحدة الإسلامية ويؤكّد عليه وعلى دوره في لمّ شمل المسلمين، ومن هنا بادر إلى توطيد علاقاته مع كثير من علماء أهل السنّة، وحضر العديد من المؤتمرات، وألقىٰ خطباً كثيرة في هذا المجال.

إنّ الوحدة الإسلامية هي الأُمنية الكبرىٰ التي كانت تعتلج في قلب الإمام موسىٰ الصدر منذ كان طالباً يدرس العلوم الدينية في حوزة قم المقدّسة.

وفي عام ١٩٤٧ م ولم يكن عمره قد تجاوز العشرين، لمّا سمع بقدوم العلّامة الأميني

من النجف سارع هو وأحد أصدقائه إلى استغلال الفرصة وزيارة العلّامة في محلّ إقامته بطهران، ودارت بينهما حوارات كثيرة تطرّق خلالها الإمام موسىٰ الصدر إلى موضوع الوحدة بين السنّة والشيعة.

ومنذ اليوم الأوّل لوصول الإمام الصدر إلى لبنان ـ أي: في أواخر عام ١٩٥٩ م ـ قام بمدّ روابط الصداقة مع كبار علماء السنّة في مدينة صور، وبالذات مع مفتي أهل السنّة الشيخ محيي الدين حسن. وكانت علاقته بالشيخ من القوّة والمتانة إلى درجة أنّهما كانا لا يفترقان، وكان الناس يرونهما دوماً في مناسبات أمثال عيد الغدير وليالي رمضان وأيّام عاشوراء الحسين وغيرها وهما معاً يصعدان المنبر في المسجد القديم أو نادي الإمام الصادق، وكان الناس من الشيعة والسنّة يستمعون إليهما ويأخذون عنهما. وكانا من الانسجام والتفاهم لدرجة أنّ الشخص القادم من مدينة أُخرى ولا يملك معرفة مسبقة بهما، لا يشخّص بسهولة من منهما سنّي ومَن منهما شيعي!

الإمام الصدر كان يردّد دائماً: «لا اختلاف ولا تناقض بين الشيعي والسنّي؛ فكلاهما من مَذهبين يتّبعان ديناً واحداً».

وفي عام ١٩٦٣ م قام الإمام موسىٰ الصدر ـ وأثناء زيارته التي استمرّت شهرين إلى دول شمال أفريقيا ـ بابتكار نهج عملي جديد في هذا المضمار، حيث استطاع إقامة روابط مثمرة بين المراكز الإسلامية في دول مثل مصر والمغرب والجزائر مع الحوزة العلمية والمراكز الدينية في لبنان.

وبعد تأسيس المجلس الشيعي الإسلامي الأعلى في لبنان، وبالذات في يوم تنصيبه لرئاسة هذا المجلس، أي: بتاريخ ٢٣ / ٥ / ١٩٦٩ م، ألقى الإمام موسىٰ الصدر خطابه الشهير بحضور جمع من كبار الشخصيات الدينية والسياسية والثقافية، وعلى رأسها رئيس الجمهورية شارل الحلو، رسم فيه الخطوط العريضة لهذا المجلس، وأكّد على نقطتين بالخصوص: عدم التفرقة بين المسلمين والسعي للتوحيد الكامل، والتعاون مع الطوائف اللبنانية كافّة وحفظ وحدة لبنان.

هذا ، وهناك نظريتان كانتا مطروحتين بين كبار علماء الشيعة والسنّة حول فكرة وحدة المذاهب الإسلامية : نظرية إيجابية ، وأُخرى سلبية .

يعتقد أصحاب النظرية السلبية بأنّه لا يوجد أصلاً نقاط اشتراك بين الشيعة والسنّة ، بل على العكس توجد نقاط اختلاف وتباعد ، وعلى هذا الأساس ليس هناك إمكانية قيام وحدة بين هذين المذهبين .

وأمّا أصحاب النظرية الإيجابية الذين يعتقدون بإمكانية الوحدة بين المذاهب الإسلامية فهؤلاء تشعّبت آراؤهم :

فمن قائل : إنّ هذا الموضوع لا يرتبط أصلاً بوحدة المذاهب ؛ إذ كلّ مذهب موظّف بحفظ أُصول وفروع مذهبه ، وأتباع المذهب هم الذين تقع على عاتقهم قضية الوحدة ، ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار الاحتفاظ بأُصولهم وفروعهم بلا تغيير .

وهذه النظرية وإن كانت ضرورية في فكر الإمام موسى الصدر ، ولكنّها غير كافية ، أضف إلى ذلك فهي في مرحلة العمل لن تصمد أمام مواجهة كثير من الموانع والمشكلات ، ناهيك عن حلّها .

ومن قائل : إنّ جميع المذاهب الإسلامية موظّفة بعملها ضمن إطار الحفاظ على الهوية العامّة للمذهب ، فيتمّ التركيز فقط على النقاط المشتركة بين المذاهب الإسلامية .

وفئة ثالثة ـ ويحتمل أن يكون في طليعتها الإمام موسى الصدر ـ : مع كامل تقديرها واحترامها لأصحاب وأتباع النظريات السابقة ، إلّا أنّهم يعتبرونها غير كافية ، ويطرحون بديلاً عنها نظرية « توحيد الفقه » ، حيث يقول الإمام موسى الصدر : « . . . فالصرح الإسلامي الواحد في الأساس والأُمّة الواحدة في العقيدة والكتاب والمبدأ بحاجة إلى وحدة في التفاصيل أيضاً » .

(انظر ترجمته في : موسوعة السياسة ٦ : ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ، تتمّة الأعلام ٢ : ٢٧٠ و٣ : ٢٧٤ ، إتمام الأعلام : ٤٤٧ ، المنتخب من أعلام الفكر والأدب : ٦٧٨ ، شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي : ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، كفاح علماء الإسلام : ٣٦٩ ـ ٣٨٧ ، مع علماء النجف الأشرف ٢ : ٤٩٣ ـ ٤٩٦ ، رجالات التقريب : ٣١٧ ـ ٣٥٢ ، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠) .

مولود قاسم

مولود قاسم نايت بلقاسم: علّامة جزائري، ومصلح معروف، ووزير الشؤون الدينية في الجزائر.

إنّه أمازيغي (بربري) ابن فلّاح عبّاسي قبائلي، ولد في يناير سنة ١٩٢٧م بقرية آيت عبّاس بمدينة بجاية الإسلامية الواقعة في منطقة القبائل الكبرى، أو كما تعرف بمنطقة «جبال جرجرة»، والتي لعبت دوراً تاريخياً مهمّاً أثناء الثورة الجزائرية. فمولود قاسم المجاهد الكبير في ثورة التحرير المباركة كان مناضلاً سياسياً نشطاً في الدفاع عن قضية وطنه العادلة، وكان المجاهدون يطلقون عليه اسماً ثورياً مميّزاً. وهو «السي بلقاسم الوطني».

شهادة الشيخ محمّد الطاهر آيت علجت حول مولود قاسم نايت بلقاسم كانت ثرية حقّاً. فهذا الشيخ هو من تولّى تدريس نايت بلقاسم مذ كان طفلاً صغيراً. كما أنّه كان صديقاً لوالده وأقرب جار له في قرية آيت عبّاس. وقال الشيخ آيت علجت: «إنّ مولود قاسم كان تلميذاً نجيباً في صغره، وقد برز نبوغه عندما كان يدرس القرآن والحديث في مسجد القرية». وقال: «إنّ الله استجاب لدعوة والده الذي دعا له أن يصبح فقيهاً في الدين. ولمّا كتب له التوجّه للمدرسة الفرنسية في سنّ السادسة عشرة حيّر مولود قاسم مدرّسيه الفرنسيّين؛ لشدّة نبوغه وقوّة ذاكرته، وحبّه الشديد لوطنه وللغته العربية ودينه الإسلام».

وبسبب بعده عن مقرّ سكناه قرّر مولود قاسم ترك تلك المدرسة الفرنسية التي كان يطلق عليها الشيخ ابن باديس اسم «القلعة»، وكان مولود قاسم يحبّ مخالطة من يكبره سنّاً ليحرق مراحل تكوينه التعليمي، وساهمت مبادراته العصامية في زيادة نبوغه ونجاحه الدراسي.

توجّه بعدها إلى تونس لمواصلة دراسته حيث كانت الدراسة متاحة في تونس أكثر من الجزائر التي عانت مؤامرات الفرنسيّين ومساعيهم لتجهيل الشعب الجزائري. ثمّ التحق مولود بجامع الزيتونة سنة ١٩٤٦م، والتحق بعدها بحزب الشعب سنة ١٩٤٧م. قبل أن

يبتعث إلى القاهرة تكريماً له باعتباره الأوّل على الدفعة، وفي سنة ١٩٥٤م التحق بجامعة باريس التي سجّل فيها أُطروحته لنيل الدكتوراه، والتي حملت عنوان: «الحرّية عند المعتزلة»، غير أنّه تخلّى عن المشروع سنة ١٩٥٦م على إثر مضايقات الشرطة الفرنسية له والتي فرضت عليه مغادرة البلاد بسبب استجابته لنداء الإضراب الذي دعا إليه اتّحاد الطلبة المسلمين، وتوجّه بعدها إلى دولة التشيك، والتي سجّل بجامعتها مشروع أُطروحة دكتوراه بعنوان «الحرّية عند كانط»، وما لبث برهة في التشيك، حتّى دعاه نداء الوطن، فترك مشروعه البحثي متّجهاً نحو ألمانيا، حيث كلّفه المفاوض الجزائري سعد دحلب لكتابة ردّ على المفاوض الفرنسي جوكس في مفاوضات إيفيان سنة ١٩٦١م حول إصرار الجزائريّين على رفض فصل الصحراء الجزائرية، ولولا أنّه اختار خطّ الدراسات الإنسانية والاجتماعية لكان قد أصبح طيّاراً، كما رشّحه مدرّسوه؛ لشدّة ذكائه وفطنته.

كان مولود قاسم نايت بلقاسم قادراً على نيل شهادة الدكتوراه، غير أنّه آثر تلبية نداء الوطن، وقد تبيّن له أنّ دوره في ألمانيا مفيد ومساعد في الثورة الجزائرية، وعندما نالت الجزائر استقلالها كان هدف نيل شهادة الدكتوراه ما زال قائماً، غير أنّ الجزائر كانت بحاجة إلى وقفة رجل شجاع للنهوض باللغة العربية من جديد استكمالاً لجهود الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي اللذين أسّسا جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين مطلع ثلاثينيات القرن الماضي بجهود متواضعة لم تستطع وقف المدّ الكبير للّغة الفرنسية في الجزائر. وقال مولود قاسم متحدّياً الفرنكوفونيّين، حيث كان يعلم تماماً كيف يفكّرون، فقال لهم: «إنّ اللغة العربية كانت لغة العالم في يوم من الأيّام، وإنّها كانت تقود العقول وتطوّر العلوم»، وكان مدافعاً شرساً عن اللغة العربية من خلال إشرافه على المجلس الأعلى للغة العربية. كما أنّه لم يتوان عن الكتابة حول الموضوع، خصوصاً في مقاله الشهير المنشور في مجلّة «الثقافة» الجزائرية، والذي حمل عنوان: «بجاية الإسلام علّمت أوروبّا الرياضيات بلغة العروبة»، وهو البحث المهمّ الذي جاء فيه بقيمة مضافة على الصعيد الفكري، حين أثبت أنّ اللغة العربية قادرة على استيعاب كلّ العلوم.

يقول الدكتور يوغرطة نايت بلقاسم: إنّ أباه كان محبّاً للغة العربية ومدافعاً كبيراً عنها، وإنّه كان ينعزل وحده في حزن عميق حين تمّ التراجع عن «قانون التعريب» عام ١٩٩٢م، وكان قد أحرز تقدّماً كبيراً في عهد الرئيس هواري بومدين، وقد روى عنه ابنه أنّه كان شديداً مع أبنائه في دعوته لتعلّم اللغة العربية، فكان أمرهم بالمطالعة حتّى عند الحلّاق! وقد سأله الكثيرون عن سبب اختيار اسم يوغرطة الأمازيغي لابنه، فقال: «يوغرطة هو أعظم ملوك الجزائر عبر التاريخ»، كما أنّه كان يجيب المشكّكين بأنّ له ابنة أُخرى سمّاها: «جزائر».

أنشأ محبّو مولود قاسم نايت بلقاسم جمعية تعنى بحماية ما تركه العلّامة الراحل من زاده الفكري متمثّل في عشرات الكتب والمقالات والدراسات والصور المهمّة، والتي تؤكّد مساعيه المخلصة في الدفاع عن اللغة العربية، وتردّ على الكتابات المشكّكة في نضاله الكبير، وقد قال فيه صديقه الكاتب أحمد بن نعمان: «مولود قاسم نايت بلقاسم كان يجيد تسع لغات ولهجات أوروبّية محلّية، تعلّمها بمفرده دون اللجوء إلى المدارس».

كان مولود قاسم نايت بلقاسم يحوز مكانة مهمّة في الحكومة، كونه مترجماً بارعاً، تولّى ترجمة كلّ ما يكتب عن الجزائر في الصحف الأوربّية، إذ كان يحسن تسع لغات عالمية حتّى القديمة منها كاللاتينية. وكان مولود قاسم رجلاً عصامياً تولّى تكوين نفسه بنفسه حتّى وصل إلى إتقان هذه اللغات بلهجاتها المحلّية بكلّ طلاقة، وسخّر هذه القدرة في خدمة البلد في فترة الاستعمار وبعد الاستقلال. إلى درجة أنّه كان يشتغل في بيته ليبقى متابعاً لكلّ ما يكتب عن الجزائر.

نقل عنه محمّد الصغير بلعلام أحد أصدقائه الأوفياء أنّ مولود قاسم كان يعتبر فكرة «حوار الديانات» آخر الأساليب الغربية المبتكرة لتنصير الشباب؛ لأنّ لكلّ دين خصوصيته وأُصوله وقواعده، وقال بلعلام في شهادته التاريخية المميّزة أثناء لقاء تكريم الراحل مولود قاسم: إنّ الفقيد قد أقسم بألّا يوقّع على أيّة وثيقة جزائرية باللغة الفرنسية، كما أنّه قرّر ألّا يرد على أيّ بريد يرد إليه إلّا باللغة العربية. وقال موظّفو الوزارة التي كان

يقودها: إنّه كان صارماً في التشديد على أهمّية تشكيل الكلمات العربية باستخدام الآلة الراقنة لتوصيل المعاني الصحيحة بين الوزارات الحكومية. وقيل: إنّه قام بجلب كتب اللغة العربية من دمشق وبغداد وزوّد بها مقرّ حزب جبهة التحرير الوطني لرعاية مشروع تعريب الجامعة الجزائرية، لكنّه فوجئ باختفائها فيما بعد، فشاهد في دهشة مشروع التعريب وهو يفكّك أمام عينيه دون قدرة على التحرّك لوقف تلك المؤامرة.

شهادة أُخرى قدّمها المجاهد والسياسي عبد الحميد مهري في حقّ مولود قاسم نايت بلقاسم رفيق دربه وزميل دراسته، حيث اعتبره مهري شخصية متعدّدة المواهب، وقال: إنّه كان مكسباً للجزائر حقّاً؛ ذلك أنّ إسهام نايت بلقاسم في إثراء الحياة السياسية بفكره كان بنيّة جمعه بين هدفي الدفاع عن الأصالة والانتماء العربي والإسلامي وللأمازيغية، والانفتاح على العالم، كما أنّه ساهم في تقديم صورة جميلة عن الجزائر العريقة التي تحافظ على التقاليد وتسعى نحو الحداثة والعصرنة، بمعنى أنّه كان يسعى للمزاوجة بين مسعى ترسيخ قيم الإسلام والعروبة وتوطين الحداثة والتقدّم.. وقال عبد الحميد مهري: «إنّ مولود قاسم نايت بلقاسم كان يكرّس معالم النهضة في ملتقيات الفكر الإسلامي»، معتبراً أنّ من انتقده ذلك الوقت كان يريد أن يلصق به تهمة التشدّد، وهو لم يكن ليألو أيّ جهد في سبيل الوصول إلى ما كان يصبو إليه.

كان مولود قاسم نايت بلقاسم مدافعاً قوياً عن الجزائر، وكان يحرّض الجزائر برمّتها حكومةً وشعباً حتّى تلعب الجزائر دورها التاريخي أمام المستدمر الفرنسي السابق الذي نهب ثروات البلاد قبل الاستقلال، وقتل شعب الجزائر ودمّر أرضه، وهو يسعى بعد الاستقلال في سبيل تشويه تاريخ الجزائر، وقال للرئيس هواري بومدين حين قال الرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان: إنّ فرنسا التاريخية تمدّ يدها للجزائر الفتية، قال للرئيس بومدين: «سيادة الرئيس، إنّه جيسكار ديستان يشتمنا»، وكأنّما به يذكّر الجزائريّين بأنّ فرنسا تسعى للتشكيك في الكيان الجزائري الذي تدّعي أنّه لم يكن موجوداً قبل سنة ١٨٣٠ م، وقال مخاطباً الرئيس بومدين: «أُفضّل أن أكون بوّاباً في السويد على أن

أكون وزيراً في حكومة ضعيفة في الجزائر!»، وقد روي أنّه قرّر عدم النزول من الطائرة في زيارة كان قد أجراها لروسيا سنة ١٩٧١م؛ لأنّ وزير الخارجية الروسي لم يكن في استقباله، قائلاً: إنّه يرفض هذه السلوكات التي تنتقص من قيمة الجزائر. وعلى إثر هذه الحادثة قدّم استقالته إلى الرئيس بومدين، لكنّ الأخير رفضها، فدعا مولود قاسم نايت بلقاسم القيادة الجزائرية إلى التشدّد في الدفاع عن مصالح الشعب والوطن.

درس مولود قاسم نايت بلقاسم تاريخ الجزائر، وتمعّن في أصل شعبه الأمازيغي، ووجد أنّ على الجزائريّين الافتخار بأجدادهم الأمازيغيّين، مذكّراً بدور القائد الإسلامي الكبير طارق بن زياد في الفتوحات الإسلامية وفتح الأندلس، ولشدّة حبّه للتاريخ الأمازيغي أطلق اسم «يوغرطة» على نجله الأكبر. وكان يؤلمه كثيراً لجوء بعض الإخوة العرب إلى التشكيك في عروبة الجزائر.

رفض مولود قاسم نايت بلقاسم أداء الخدمة الوطنية في صفوف الجيش الفرنسي عندما كان شابّاً أثناء فترة الاستخراب الفرنسي، وكان قد قرّر حينها الاعتكاف في الزاوية الدينية والاشتغال بتعلّم الفقه وعلوم الدين وحفظ القرآن الكريم والتفاسير. وكان لا يخشى عصيان السلطات الفرنسية؛ لأنّه رفض بشدّة الدفاع عن العلم الفرنسي قائلاً: إنّه لن يدافع إلّا عن العلم الجزائري، وهو ما يبرّر رعايته عندما كان وزيراً للشؤون الدينية لملتقيات الفكر الإسلامي في سبعينيات القرن الماضي، حيث كان دارساً للفقه والفكر الإسلامي، وقد لقيت مبادرة ملتقيات الفكر الإسلامي استحسان الشيخ محمّد الغزالي عندما كان يرأس جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بمدينة قسنطينة.

فجّر الدكتور بو علام بن حمّودة الأمين العامّ السابق لحزب جبهة التحرير الوطني مفاجأة بقوله: إنّه كان دائم التحايل على مولود قاسم نايت بلقاسم داعياً إيّاه للسعي إلى استرجاع اسمه الثوري لضمان حقوقه ومصالحه الاجتماعية، غير أنّ الرجل رفض في غضب شديد قائلاً: إنّه لم يكن يريد مقابلاً عن واجب طلبته الجزائر. فأجمل كلمة تصف الرجل أنّه «خدم دينه ولغته ووطنه بشكل أُسطوري».

وقال الشيخ بو عمران رئيس المجلس الإسلامي الأعلى: إنّه وقف على عظمة مولود قاسم نايت بلقاسم عندما سافر معه إلى ملتقى إسلامي عقد في قرطبة إسبانيا، وقال: إنّ للرجل ثقافة واسعة وخبرة في عدّة لغات عالمية جعلته يندهش من معرفة هذه الحقيقة، وقال: إنّ شغفه لتعلّم المزيد من المعارف كان كبيراً، حيث كان يسأل الشيخ بو عمران أن يدلّه على المساجد والمكتبات الموجودة في إسبانيا والتي لم يكن يعرفها.

كان مولود قاسم نايت بلقاسم مسكوناً بمصير اللغة العربية وبهموم الأُمّة الإسلامية، لذلك كان دائماً يحثّ أبناءه على حبّ الإسلام واللغة العربية.. لقد كان رجلاً محبّاً لانتمائه العربي الإسلامي، قاصداً في الدفاع عن العروبة إذا فعل، ومبرزاً لدور الحضارة الإسلامية في المحافل الدولية.. رجل جمع بين الأصالة والمعاصرة، قوي العزيمة سديد الكلمة، كبير الشأن رفيع المقام.. هذا العالم الذي خصّه الرئيس هواري بومدين بمكانة خاصّة حين عيّنه وزيراً في حكومته، وكلّفه بتولّي مشروع «التعريب» في البلاد، بدءاً بالتعليم في الجزائر التي انتشرت بها لغة الهيمنة الفرنسية بعد ١٣٢ عاماً من الاستخراب الفرنسي للعقول والنفوس الجزائرية العربية المسلمة.

* * *

«حرف النون»

الناجي ولد محمود

الناجي ولد محمود: عالم فقيه من الشعراء، وداعية مصلح.

ولد سنة ١٩١٥م في مقاطعة غرو بموريتانيا، وتلقّى مبادئ العلوم في بلدته، وحضر حلقات العلماء، وقام بمهمّة التعليم والدعوة في بلدان أفريقيا، وخاصّة في مالي والنيجر، فانتفع به كثيرون، ثمّ عاد إلى بلده، فأسّس في مسقط رأسه معهداً لتعليم البنات، حيث كان ممّن ينادي بتعليم المرأة وإرشادها، فلقي في سبيل ذلك معارضة شديدة، كما ساهم في تأسيس بعض المحاظر والمدارس الإسلامية.

التحق بسلك التدريس بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، فعلّم اللغة العربية والتاريخ والعلوم الشرعية.

كان رجلاً متواضعاً مرحاً رحب الصدر نشيطاً.

توفّي سنة ١٩٨٦م مخلّفاً بعض الآثار، وعدد كبير من القصائد التي لو جمعت لكانت ديواناً.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٤٥٤).

نادر شاه

نادر شاه الأفشاري: واحد من أكبر القادة الفاتحين في تاريخ إيران الحديث، تركي الأصل.

ولد سنة ١٦٨٨م، وعمل في خدمة الصفويّين، وكان اسمه ندرقلي بك، وكان في أوّل أمره جمّالاً، فولّاه طهماسب بن حسين الصفوي الوزارة، فطرد الأفغانيّين من أصفهان وحارب العثمانيّين، ثمّ اغتصب السلطة من الصفويّين عام ١٧٣٦ م، وأسّس إمبراطورية

إيرانية امتدّت من نهر السند إلىٰ جبال القوقاز، واستولى على دلهي عام ١٧٣٩ م، ثمّ شنّ حملات موفّقة على الأفغان والروس والعثمانيّين.

اغتاله بعض جنده سنة ١٧٤٧ م، ودفن في فتح آباد.

ولهذا الملك محاولة للتقريب تعدّ من أُولىٰ المحاولات التقريبية في القرن الثامن عشر الميلادي ومن جهود التقريب المبكرة بتعبير الدكتور يحيى داود عبّاس أُستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الأزهر.

فقد أراد هذا الملك تخفيف حدّة الخلافات المذهبية بين السنّة والشيعة، فأمر بعدم سبّ بعض الصحابة، وفاوض العثمانيّين في الاعتراف بالمذهب الشيعي الجعفري كمذهب خامس يضاف إلىٰ المذاهب الإسلامية الأربعة المعروفة، على أن يعيّن أمير حجّ إيراني كلّ عام بنفس الأُسلوب الذي يعيّن به أمير مصري أو أمير شامي للحجّ، وأن تسوّى الخلافات المذهبية بين الطرفين بالحسنى حرصاً على وحدة الصفّ الإسلامي.

ويقال: إنّه زار العتبات المقدّسة في العراق وكذلك قبر أبي حنيفة، وأمر بترميم وتزيين الحرم الرضوي في مشهد ومزار أبي حنيفة في بغداد.

(انظر ترجمته في: أعيان الشيعة ٢: ١١٢ و ١٠: ١٩٩ ـ ٢٠٠، المنجد في الأعلام: ٧٠٣، موسوعة المورد ٧: ٩٤، الموسوعة العربية العالمية ٣: ٤٧٢، معجم السياسيّين المغتالين: ٦٥٢، موسوعة الأعلام ٤: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٣٤٥).

ناصر محمّد الشيباني

الشيخ ناصر بن محمّد الشيباني: نائب رئيس جمعية العلماء في اليمن، وناشط تقريبي.

يقول ضمن كلام له: «أهل القبلة جميعاً أُخواننا، فلا خصومة أبداً بيننا وبين أيّ طائفة من طوائف أهل لا إله إلّا الله، سواء كانوا حنفية أو مالكية... فإنّ الاختلاف في الفروع ضرورة طبيعية، ويستحيل جمع الناس على مذهب واحد أو رأي واحد في مسائل ظنّية هي موضوع نظر واجتهاد إلى يوم القيامة. ومادام مرجع الجميع كتاب الله وسنّة رسوله والخلاف

على الفرعيات إنّما هو في الفهم والتوجيه والترجيح وطلب الحقّ، فلا خصومة قط، وإنّما هو التناصح على بساط الحبّ في الله والاقتراب ممّا هو أهدىٰ وأجدى إيماناً واحتساباً».

ويقول أيضاً: «من وجهة نظر موضوعية نستطيع أن نقول: إنّ الفكر الديني الشيعي يملك ميزة التفكير العقلي المجتهد، كما أنّه لا يكف عن التجديد واتّخاذ مواقف واضحة إزاء كثير من المسائل الحديثة التي يتردّد الفكر السنّي عادة ـ وذلك بما عرف عنه من الحيطة والحذر والاتّزان ـ في الحسم بشأنها. ويستطيع هذا الفكر أن يلتقي في تكامل رائع مع الفكر السنّي بنزعته الإنسانية الشاملة وتساميه عن الخلافات وألوان التعصّب واتّجاهه دائماً إلى تهذيب ما بين الطوائف الدينية من علاقات وصبغها بصبغة إسلامية وإنسانية».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٣٤٥ـ٣٤٦).

ناصر مكارم الشيرازي

الشيخ ناصر مكارم بن محمّد باقر بن محمّد كريم الشيرازي: أحد مراجع الشيعة ودعاة الوحدة.

ولد آية الله ناصر مكارم الشيرازي سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٦م) في مدينة شيراز الإيرانية، في عائلة متديّنة أصيلة، ولأنّه كان يتمتّع بذكاء وافر بدأ المراحل الأُولى للتعليم في الخامسة من عمره، وأنهى مراحله الدراسية الابتدائية، وفي الصفّ الثالث الثانوي توجّه إلى دراسة العلوم الدينية، وكان يدرس هذه العلوم إلى جانب دروسه الثانوية. وأنهى دروس المقدّمات في شيراز على يد آية الله ربّاني شيرازي وآية الله موحّد، ولأنّه كان يتمتّع بنبوغ مميّز فإنّ الدروس التي كان يدرسها الآخرون خلال عشرة سنوات أنهاها خلال أربع سنوات.

وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره اشترك في دروس الإمام البروجردي والذي كان يشجّعه مراراً. وعندما سافر آية الله مكارم شيرازي إلى النجف الأشرف تتلمذ على كبار الأساتذة. وفي الرابعة والعشرين من عمره حصل على إجازة الاجتهاد. يعتبر آية الله مكارم شيرازي اليوم من كبار المفسّرين في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وله مؤلّفات قيّمة تخدم

الإسلام، وبالأخصّ إيران في مجال وحدة المسلمين والعالم الإسلامي. ومن مؤلّفاته: القواعد الفقهية، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، أنوار الفقاهة، تعليقات العروة، بيام القرآن، المتفلسفون، خالق العالم، الداروينية.

يقول: «أدعو الله بأن يأتي يوم وفكرة التقريب قد ترسّخت عند العلماء جميعاً؛ لأنّ هذا سوف يؤدّي بدوره إلى ترسيخ وسريان هذه الفكرة عند القاعدة الشعبية؛ وبذلك تتحقّق أُمنية المجتمع الإسلامي الموحّد.

إنّ الدعوة التي يقرّ بها القرآن للاتّحاد والتلاحم لم تكن فقط في مجال العمل، بل الدعوة لتوحيد الآراء والنظريات؛ لأنّ توحيد الآراء سوف يؤدّي إلى توحيد العمل.

وعلى هذا الأساس فإنّ مؤسّس فكرة التقريب هو الرسول ﷺ، وهناك آيات متعدّدة في القرآن الكريم تشير إلى ذلك، وعلى المسلمين أن يتحرّكوا على ضوئه وأن يزيلوا اختلافاتهم في هذا الإطار.

أعتقد أنّ موضوع التقريب يأخذ مجراه بشكل أسرع ممّا كان عليه سابقاً، وأمثال المرحوم الشيخ الطوسي في كتابه «الخلاف» والمرحوم المحقّق في كتابه «المعتبر» والمرحوم العلّامة في كتابه «التذكرة» وعدد آخر من العلماء الكبار، كان لهم الدور الكبير في التقريب، وفي إطار الفقه والاعتقادات، ولعب المرحوم الطبرسي دوراً تقريبياً عندما ألّف تفسيره «مجمع البيان»، حيث رأينا أنّ هذا التفسير قد نال ترحيباً كبيراً من قبل علماء السنّة والشيعة، وهذا يدلّ على أنّ فكرة التقريب آخذة في التطوّر والتنامي، وبالطبع لها أسباب نذكر منها ما يلي:

١ ـ إنّ الاتّصالات في يومنا هذا قد تطوّرت كثيراً عمّا كانت عليه سابقاً، وليس من المنطقي في عالم يسير إلى تشكيل عالم مصغّر ويتّجه نحو الاتّحاد أن نسلك نحن طريق الاختلاف.

٢ ـ يواجه الإسلام اليوم أعداء أقوياء؛ حيث يرون في الإسلام المانع الأساسي أمام تحقيق مصالحهم غير المشروعة، ولهذا السبب علينا أن نخطو خطوات سريعة نحو

التقريب .

ولذا نرى اليوم قد تشكّلت لجان وجمعيات مركّبة من المذاهب الأربعة لأهل السنّة والمذهب الجعفري والزيدي .

ونحن في الحوزة العلمية عندما نستند في دروسنا الفقهية إلى نصوص فقهاء الإمامية نستند كذلك وبدلائل مختلفة إلى أقوال فقهاء أهل السنّة ، وفي الحقيقة أنّ فقهنا فقه تقريبي .
وأخيراً قرّرنا تأليف كتاب دائرة المعارف في الفقه المقارن ، حيث إنّ الجزء الأوّل منه قيد الطبع ، ونحن نعلم أنّه قد أُلّفت كتب كثيرة في مجال دائرة المعارف ، ولكن لم يدوّن كتاب بعنوان دائرة المعارف للفقه الإسلامي ، وهذا دليل على أنّنا قمنا بخطوة مهمّة في مجال التقريب .

يجب هنا أن نقرّ بهذه الحقيقة ، وهي : أنّ التقريب موجود في واقعنا الميداني ، وهناك أوجه اشتراك في كثير من القضايا ، والاختلاف فقط في الفروع . وأستطيع أن أقول : إنّ اختلافنا مع سائر المذاهب يشبه الاختلاف الموجود بين المذاهب الأربعة لأهل السنّة ، وبالنتيجة فإنّ اختلافنا غير مهمّ وغير محسوس .

عندما نحجّ الكلّ يعمل بنفس الشعائر : الطواف والسعي والتقصير والوقوف بعرفة ومنى والمشعر وغير ذلك من الشعائر ، وكلّ المذاهب تأتي في هذا الموسم وتقوم بعمل واحد . فالتقريب ليس أمراً يؤمر به المجتمع الاسلامي أن يؤدّيه ، وإنّما هو واقع موجود في حياة الأُمّة الإسلامية ، ويحتاج إلى من يكشف عن هذا الواقع . وأفضل شاهد على ذلك هي مراسم الحجّ التي نشاهدها في كلّ عام .

إنّ الذين يحرّضون على الاختلافات الطائفية لهم أهداف سوء ، وعلى سبيل المثال ففي باكستان يغتالون شخصية شيعية وفي المقابل يغتالون شخصية سنّية كذلك ؛ ليؤجّجوا الاختلافات ، وبالتالي يستطيع الأجانب التسلّط على رقاب المسلمين ، وهذا ما نراه في أكثر البلدان الإسلامية مثل العراق .

وهناك عامل آخر ، وهو التعصّب والجمود الذي يشدّد على هذه الاختلافات ، ونستطيع من خلال العلماء والنخبة الواعية أن نقلّل من حدّة هذا الواقع .

والعامل الآخر هو البعد فيما بيننا وعدم الجلوس والحوار عن قرب، واتّهام الشيعة بأنّهم يعتقدون بتحريف القرآن وأُمور أُخرى كلّها من إشاعات الأعداء. لقد ألفنا عدّة كتب وبرهنّا بأنّ موضوع تحريف القرآن عند الشيعة لا أساس له من الصحّة، وخاصّة في تفسيرنا «الأمثل» وحتّى في دروسنا داخل الحوزة العلمية، وفي كتاب «اعتقادنا» تطرّقنا بشكل موسّع لهذا الموضوع، ومع كلّ هذه المحاولات لا زلنا نرى البعض يضرب على هذا الوتر؛ لأنّه لا يأخذ هذه المعلومات من أهلها. لذا علينا أن نتجنّب التعصّب والجهل وأن نتحاور مع بعض من قريب.

ومن الخطوات المهمّة في مجال التقريب:

١ ـ تقريب الأفراد، بمعنى إقامة المؤتمرات الجامعة لعلماء المذاهب المختلفة، والاستماع لآراء بعضها البعض وليس عن لسان الأعداء.

٢ ـ قيام النخب بتوعية الناس على عدم وجود اختلاف في الأُصول الإسلامية، وأعمال الحجّ هي خير مثال، والتي من الصعب أن تعرف خلالها من هو المالكي أو الشيعي أو الحنفي أو الزيدي. نحن عندما نريد القيام بتبيين عدم وجود الخلاف نقول: إنّ هناك مسائل: أ ـ ضروريات الإسلام. ب ـ إجماع الفريقين. ج ـ المشهورات. د ـ وفي المرحلة الرابعة تصل إلى المسائل الخلافية، وهي ليست بكثيرة، وعلى عاتق النخب تبيينها.

٣ ـ تنبيه المسلمين بالنسبة إلى الأخطار التي تواجه الإسلام والمسلمين والتي هي لهم بالمرصاد، كالإساءة للإسلام والنبي ﷺ، وكتاب «الآيات الشيطانية» شاهد على ذلك، فالحذر مطلوب، وعلى المسلمين الانتباه».

(انظر ترجمته في: المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٦٨٧، المفسّرون للأيازي: ١٥١ ـ ١٥٧، مجلّة «رسالة التقريب» العدد: ٥٨ / صفحة ١٣٥ ـ ١٤٠).

نجم الدين حيدر بامات

نجم الدين حيدر بامات: باحث إسلامي، حقوقي عالمي. أسهم إسهاماً بالغاً في خدمة الحضارة الإسلامية، وبذل جهوداً كبيرة في تعريف الإسلام وفلسفته وحضارته.

وهو ابن «حيدر بامات» الداغستاني الأصل المعروف بشجاعته، كان رئيس حكومة القفقاس التي اجتاحها الجيش الأحمر من بعد، فلجأ إلى باريس، ومثّل أفغانستان في سويسرا، وكان مؤرّخاً مفكّراً داعية إلى تحالف الدول الإسلامية، وألّف كتباً عديدة راجت في الغرب.

وابنه نجم الدين تخرّج حقوقياً من جامعة لوزان، ويمّم جامعة السوربون للتخصّص في القانون الروماني، وقدّرت حكومة الباكستان جهوده الإسلامية، فمنحته الجنسية الباكستانية، وللتبحّر في الدراسات الإسلامية انتمى إلى جامعة كمبردج، ثمّ إلى جامعة الأزهر، فجامعة باريس. واختارته الحكومة الأفغانية سنة ١٩٤٨م ممثّلاً لها في هيئة الأُمم المتّحدة، فوقف نفسه على خدمة القضايا الإسلامية مقتفياً أثر أبيه، ولفتت كفاياته العلمية منظّمة اليونسكو، فاختارته مستشاراً لمديرها العامّ للثقافة والإعلام، فمديراً لقسم العلوم الإنسانية، فالقسم الثقافي فيها.

واختارته منظّمة المؤتمر الإسلامي ممثّلاً لها في باريس، وعضواً في لجنة تحرير البيان الإسلامي لحقوق الإنسان، وعضواً فعّالاً في اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري.

واختير سنة ١٩٧٧م أُستاذاً للحضارة الإسلامية وعلم الاجتماع في جامعة باريس، ثمّ في جامعة السوربون.

وهو يتقن: العربية، والفارسية، والتركية، والفرنسية، والإنجليزية، والروسية، والألمانية، والإسبانية، والإيطالية، واليابانية.

وقد أسهم إسهاماً فعّالاً في خدمة الإسلام والحوار الإسلامي ـ المسيحي.

أمّا مقالاته ومحاضراته حول الحضارة الإسلامية ـ ولا سيّما في مواضيع الفنّ والعمارة وتخطيط المدن والبيئة ـ فلا تحصى.

وعندما توفّي سنة ١٩٨٥م كانت جنازته مشهودة، حيث امتلأ جامع باريس العتيق بالمئات من المسلمين: عرباً وتركاً وباكستانيّين وفرساً وأفغانيّين وهنوداً ومسلمين من

الفرنسيّين.

وكانت أُمنيته أن يموت في أرض إسلامية، ويودّ لو دُفن في مقبرة أبي أيّوب الأنصاري الصحابي الجليل، حلقة الوصل بين صدر الإسلام وبين فتوحات المسلمين في أوروبّا على مرّ عصور التأريخ الإسلامي. ولكن ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (سورة لقمان: ٣٤).

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٧٢).

نجيب الكيلاني

نجيب الكيلاني: الأديب الإسلامي، الروائي، الناقد، الباحث، الطبيب، رائد القصّة الإسلامية المعاصرة، أحد أشهر كتّاب القصّة في العالم الإسلامي.

ولد في الأوّل من شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٣١م بقرية شرشابة التابعة لمركز زفتى بمحافظة الغربية في مصر، وتخرّج في كلّية الطبّ بجامعة القاهرة، وسرعان ما انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين.

اعتقل وهو بالسنة النهائية بكلّية الطبّ عام ١٩٥٥م؛ لانتمائه لجماعة «الإخوان المسلمين»، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، ثمّ أُفرج عنه في منتصف عام ١٩٥٩م بعفو صحّي، إثر إصابته بأعصاب القدمين من جرّاء التعذيب الرهيب بالسجون والمعتقلات التي طاف عليها في تلك الفترة، وهي السجن الحربي، وسجن أسيوط، وسجن القناطر، وسجن مصر العمومي، وسجن القاهرة، وأبو زعبل، وطرّة.

من المفارقات المضحكة المبكية في هذه الفترة أنّه كان قد تقدّم لمسابقة وزارة التربية والتعليم في تلك الفترة في الرواية الطويلة، فكتب رواية «الطريق الطويلة»، وتقدّم بها من المعتقل تحت اسم مستعار.. ففازت بالجائزة الأُولى، وقرّرت الوزارة تدريسها بالمرحلة الثانوية العامّة.. وخرج من المعتقل ليتسلّم الجائزة من جمال عبد الناصر، ثمّ ليعود إلى المعتقل مرّة أُخرى! وأُفرج عنه بعد ثلاث سنوات في المرّة الأُولى.

واعتقل في المرّة الثانية عام ١٩٦٥م، وأُفرج عنه في مارس ١٩٦٩م، سافر بعدها

للعمل في الكويت، ثمّ الإمارات العربية المتّحدة، حيث ظلّ يعمل طبيباً في وزارة الصحّة حوالي ٢٤ عاماً، وآخر مناصبه هناك مدير التثقيف الصحّي بوزارة الصحّة، حتّى أُحيل للمعاش عام ١٩٩٢م، فعاد إلى محافظة الغربية.

وله كتاب عن حياته الشخصية باسم «لمحات من حياتي» صدر منه ستّة أجزاء.

وحصل على عدّة جوائز، لعلّ أبرزها جائزة وزارة التربية والتعليم المصرية التي تسلّمها من الرئيس جمال عبد الناصر وهو سجين، وفاز بجائزة طه حسين للقصّة القصيرة، وجائزة محمّد إقبال من الحكومة الباكستانية، وكرّمته منظّمة الأدب الإسلامي في حفل أُقيم بالقاهرة عام ١٩٩٤م، وحصل على عدّة جوائز من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في الرواية.

وهو عضو اتّحاد كتّاب مصر، ونادي القصّة، ومن مؤسّسي رابطة الأدب الإسلامي، بل من أوائل الداعين إلى الأدب الإسلامي نظرياً وتطبيقياً.

وهو يقول: «الأدب الإسلامي أصبح منتشراً في مناطق عديدة وفي بعض الجامعات، ولا شكّ أنّ تحسّن ظروف التعبير الحرّ في أنحاء العالم العربي والإسلامي سوف يجعل الأُمور تسير بصورة أوضح وأقوى، وينطلق البحث الحرّ لتقديم صورة أفضل وأجمل وأوسع بالنسبة للأدب الإسلامي».

وقد أصبح بحقّ رائد القصّة الإسلامية الحديثة، ليس بكثرة إنتاجه فحسب، بل بتنوّع هذا الإنتاج، وبتعدّد موضوعاته وأساليبه وأشكاله. وقد كتب أوّل قصّة قصيرة تحت عنوان «الدرس الأخير».

وكتب الرواية التي تمسّ القضايا الإسلامية، وتعرّض إلى مآسي الشعوب الإسلامية وكفاحها ضدّ قوى الشرّ والظلم والفساد ممثّلة في الاستعمار والصليبية واليهودية بكلّ ما لديها من أسلحة ظاهرة وخفية. وكانت رواياته: «عذراء جاكرتا»، و«عمالقة الشمال»، و«ليالي تركستان»، و«الظلّ الأسود»، علامات بارزة في مسيرته الأدبية وعطاءات الأدب الإسلامي المعاصر.

وقد مرّ بعدّة مراحل، تحدّث عنها في كتابه «رحلتي مع الأدب الإسلامي»..

ففي المرحلة الثانية من حياته كتب عدداً من القصص التي حرص فيها على أن يفلت من شروط الرقابة والمتابعة لا سيّما عندما كان في السجن. ولذلك لم يلتزم بكلّ ما ينبغي الالتزام به في الأدب الإسلامي، وتمثّلت هذه المرحلة في عدد من الروايات والقصص القصيرة، مثل: «رأس الشيطان، النداء الخالد، الربيع العاصف، الذين يحترقون، الكأس الفارغة، ليل العبيد»، وكذلك في عدد من القصص القصيرة التي صدرت في مجموعات، مثل: «دموع الأمير، عند الرحيل، العالم الضيّق، حكايات طبيب».

ثمّ انتقل إلى المرحلة الثالثة، والتي عبّر عنها بـ«الإسلامية» بعد أن اطّلع على عدد من الدراسات الأدبية التي عزّزت هذا الاتّجاه بعد أن ترسّخت قدماه في طريق الأدب وبدأ بكتابة القصص والروايات التي تمثّل هذا المنهج الجديد. ويمثّل هذه المرحلة رواياته الإسلامية السابقة عن: «الشعوب الإسلامية، وقاتل حمزة، وعمر يظهر في القدس، ورحلة إلى الله، ونور الله، ورمضان حبيبي، ومواكب الأحرار، ودم لفطير صهيون، والظلّ الأسود»، وغيرها، وأصبح بهذه الروايات وغيرها رائد القصّة الإسلامية المعاصرة. ومع أنّه ـ كبقية الأُدباء ـ قد وقع في بعض الأخطاء، لكنّه استطاع بحقّ أن يمثّل القصّة الإسلامية الحديثة، وأن يصبح رائدها بلا منازع، بل إنّه انتقل إلى مرحلة أكثر نضجاً وعمقاً وجلاءً وأكثر تمثيلاً للأدب الإسلامي بصفاته، وواقعيته، وتميّزه، ونضجه، وسعة أُفقه، حينما أصدر قصصه الجديدة: «اعترافات عبد المتجلّي، وامرأة عبد المتجلّي، وقصّة أبي الفتوح الشرقاوي»، وروايته الرائعة «ملكة العنب».

ومات بعد ستّة أشهر من المرض، وذلك في سنة ١٩٩٥م.

وبرغم عطائه الكبير في مجال الأدب الذي ضمّ حوالي ٨٠ مؤلّفاً، ما بين الرواية، والقصّة القصيرة، والدواوين الشعرية، ومسرحية واحدة، والدراسات والأبحاث الأدبية، بل والدراسات الطبّية والصحّية المتنوّعة، برغم كلّ هذا العطاء، وبرغم كلّ هذه الشهرة، لم يحتلّ خبر وفاته سوى مساحة ضئيلة جدّاً في إحدى الصحف المصرية، ومتابعات نادرة

في بعض الصحف العربية .. في حين تدقّ الطبول وتثور الدنيا من أقصاها إلى أقصاها لرحيل من لا يساوي شيئاً، كما يقول الشاعر المستشار محمّد التهامي.

وقد رثاه الدكتور حسن الأمراني رئيس تحرير مجلّة «المشكاة» المغربية بقصيدة، جاء فيها:

هـــا أنت تـرحـل فـالقلوب وجـيب
شـــيّعتك مـــدامـــع وقـــلوب
تـــبكيك «جـاكـرتا» وقـد غـنّيتها
تـــبكيك «تـركستان» وهـي تـذوب
أعـــليت بـــالحرف المـقدّس شـامخاً
دانت له الأهـــرام وهـــي حـــروب
ورفـــعت فــي وجـه الجـبابر صـارماً
تـــعنو الرقـــاب لبأســـه وتــؤوب
وبـــــنيت للـــمستضعفين مـــمالكا
هـــدي النـــبوّة شـــوقها مسكـوب
وبســـطت «للـــغرباء» ضـوء مـنارة
يـــزهو ونـــور الحـــقّ ليس يـغيب
وهـــتفت بـــالشهداء هـــذا عـصركم
حُـــلل الشـــهادة نـــورهنّ نـهيب
وإذا يـــقال مـــن الأديب مـن الفـتى
نـــطق الزمـــان وقـــال ذاك نـجيب

وكان آخر لقاء صحفي معه في شهر شوّال من عام ١٤١٥هـ، وأعادت نشره المجلّة نفسها (مجلّة المجتمع) في عددها (١١٤٣) ـ ٢٧ / ١٠ / ١٤١٥ هـ. ومن الخطوط العريضة في لقائه ذاك قوله: «الأديب الحقّ موقف.. وموقف الأديب المسلم ينبع من عقيدته»،

«سأظلّ نادماً؛ لأنّني لم أُخلّد حياة الشهيد الإمام حسن البنّا في عمل أدبي خاصّ».

وقد عملت رسائل في الماجستير والدكتوراه عن أعماله، ما عدا كتب أُخرى وبحوث ودراسات عن أعماله، منها: كتاب بعنوان: «دراسات في القصّة الإسلامية المعاصرة مع عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني»، من تأليف محمّد حسن بريغش.

وترجمت كثير من أدبياته إلى اللغات: الإنجليزية، والتركية، والأوردية، والفارسية.

من مؤلّفاته: آفاق الأدب الإسلامي، احترس من ضغط الدم، الإسلاميّون والمذاهب الأدبية، أعداء الإسلامية، أغاني الغرباء (شعر)، أُغنيات الليل الطويل (شعر)، إقبال: الشاعر الثائر، الذين يحترقون، أهل الحميدية (قصص)، تجربتي الذاتية في القصّة الإسلامية، تحت راية الإسلام، حكايات طبيب (قصص)، حمامة سلام، حول الدين والدولة، حول القصّة الإسلامية، حول المسرح الإسلامي، الدرس الأخير (قصّة قصيرة)، دم لفطير صهيون، دموع الأمير (قصص)، الدين والصحّة، رأس الشيطان، الربيع العاصف، رجال الله، رجال وذئاب (رواية)، رحلتي مع الأدب الإسلامي، رحلة إلى الله (رواية)، شوقي في ركب الخالدين، الصوم والصحّة، الطريق إلى اتّحاد إسلامي، الطريق الطويل (رواية)، طلائع الفجر (قصّة تاريخية)، الظلّ الأسود، العالم الضيّق (قصص)، عذراء جاكرتا، عذراء القرية (رواية)، عصر الشهداء (شعر)، على أبواب خيبر، على أسوار دمشق (مسرحية)، عمالقة الشمال، غداً الرحيل (قصص)، الغذاء والصحّة، فارس هوازن (قصص)، في أدب الأطفال، في رحاب الطبّ النبوي، في الظلام (رواية)، الكابوس (قصص قصيرة)، كيف أُلقاك (شعر)، لمحات من حياتي، ليالي تركستان، ليالي السهاد (رواية)، ليل وقضبان، المجتمع المريض، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مدينة الكبائر (شعر)، مستقبل العالم في صحّة الطفل، مملكة البلعوطي (قصص)، مهاجر (شعر)، نحو مسرح إسلامي، النداء الخالد.

يقول د. محمّد حلمي القاعود: «ونجيب الكيلاني يعدّ في سيرته الإنسانية رواية

طويلة مليئة بالتجارب والآلام والمسرّات، وصورة مضيئة للتضحية من أجل الدين والوطن، وحالة من حالات الصبر الجميل في مواجهة المرض أواخر حياته بطريقة تثير التقدير والاحترام. ولحسن الحظّ فقد سجّل سيرته ـ وهي شهادة مهمّة على عصر ومرحلة ـ في خمسة أجزاء تحت عنوان «لمحات من حياتي»، ولكنّه للأسف لم يستطع أن يسجّل المرحلة الأخيرة من حياته التي شهدت معاناته القاسية مع المرض؛ لأنّه لم يستطع أن يمسك القلم ليسجّلها.

لقد تنوّع نتاج نجيب الكيلاني في الرواية. ففي إنتاجه الروائي ما يمكن أن ندرجه في إطار الواقعية الرومانسية، تناول من خلالها العديد من القضايا الاجتماعية والإنسانية التي تشغل الناس في مصر، وتمثّل لهم في بعض الجوانب مشكلة مستعصية، ومزج معالجته لتلك القضايا بالعواطف البشرية المشبوبة والخيالات الحالمة والآمال المجنّحة، ولعلّ أبرز رواياته في هذا الإطار: الطريق الطويل، الربيع العاصف، الذين يحترقون، في الظلام، عذراء القرية، حمامة سلام، طلائع الفجر، ابتسامة في قلب الشيطان، ليل العبيد، حكاية جاد الله.

وهناك جانب كبير من إنتاج نجيب الكيلاني الروائي يعالج التاريخ أو يستدعيه، لتقديم النماذج الإنسانية المشرقة في حضارتنا الإسلامية، مع إبراز معطيات هذه الحضارة في جوانب شتّى، ومن الروايات المعبّرة عن هذا السياق: نور الله، قاتل حمزة، أرض الأنبياء، دم لفطير صهيوني، مواكب الأحرار أو نابليون في الأزهر، اليوم الموعود، النداء الخالد، أرض الأشواق، رأس الشيطان...

وهناك جانب رائد في روايات نجيب الكيلاني، اهتمّ فيه بالتعبير عن الشعوب الإسلامية المظلومة التي تعاني من نير القهر والإذلال، دون أن يدري أحدٌ بهم في العالم العربي، أو تتبنّى قضاياهم الأُمم المتّحدة أو الهيئات الدولية الأُخرى، مثل شعوب دول آسيا الوسطى، وأثيوبيا، وأندونيسيا، ونيجيريا، وغيرها، وكانت رواياته في هذا المجال

تعريفاً بهذه الشعوب وقضاياها في إطار فنّي محكم، ومنها: ليالي تركستان، الظلّ الأسود، عذراء جاكرتا، عمالقة الشمال».

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٨، إتمام الأعلام: ٤٥٨ ـ ٤٥٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٥: ٤٠٥ ـ ٤١٩، موسوعة ألف شخصية مصرية: ٥٤٦، وجوه عربية وإسلامية: ١٣٧ ـ ١٤٢، أُدباء وشعراء العرب ٢: ٣٥٢ ـ ٣٥٣، معجم الروائيّين العرب: ٤٥٥ ـ ٤٥٧، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ٣: ١٢٣٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٧٣ ـ ٢١٧٦، موسوعة الأعلام ٣: ٥٠٣).

نزار أحمد الصبّاغ

نزار أحمد الصبّاغ: الداعية، الخطيب، المصلح.

ولد سنة ١٩٤١م في حمص بسورية، ودرس في مدارسها الابتدائية والإعدادية والثانوية، وخلال المرحلة الثانوية انضمّ إلى ركب الدعوة الإسلامية في حمص، وقد أُلقي القبض عليه في أعقاب الانقلاب الحكومي عام ١٩٦٣م، ثمّ خرج من السجن ليتابع نشاطه الإسلامي، وسافر إلى مصر عام ١٩٦٤م؛ ليكمل دراسته الجامعية هناك، وانتسب إلى كلّية الهندسة المدنية ـ جامعة القاهرة. ولم يمض على وجوده هناك عدّة أشهر إلّا وجاء أمر المخابرات المصرية بترحيله عن مصر أيّام عبد الناصر، فعاد إلى حمص عام ١٩٦٥م.

وأرشده بعض إخوانه بشدّ الرحال إلى إسبانيا للاستفادة من نشاطه هناك، فرحل إليها عام ١٩٦٧م، فكان يدرس بكلّية الصيدلة في إسبانيا، ويعمل في حقل الدعوة الإسلامية بين الطلبة العرب والجاليات العربية والإسلامية ووسط الإسبان أنفسهم.

ولقد أجرى الله على يديه الخير الكثير، حيث تمكّن من تجميع صفوف الشباب المسلم وبخاصّة الطلّاب، وإنشاء المراكز الإسلامية التي يمارسون من خلالها نشاطهم، وعقد المؤتمرات والندوات والمخيّمات والدورات، وإلقاء الخطب والمحاضرات. وكانت إقامته الأُولى في غرناطة لسنين طويلة، انتقل بعدها للإقامة في برشلونة. وقد تعدّدت المراكز الإسلامية، وأُقيمت المساجد في كلّ مكان.

وكان خطيب الجمعة بالمركز الإسلامي في برشلونة الذي تؤمّه جموع كثيرة من

الطلّاب والمقيمين والمسلمين الإسبان، وكانت خطبته الحماسية تستجيش مشاعر المصلّين وتلهب عواطفهم وتستنهض هممهم، حيث يعرض أوضاع المسلمين في العالم وما يتعرّضون له من المحن على أيدي البغاة والطغاة الذي يكيدون للإسلام والمسلمين ويمكرون الليل والنهار لمحاربة دعاة الحقّ وأعلام الهدى وجند الله ودعاه، ويناشد المسلمين للعمل الجادّ المنظّم للتصدّي لأهل الباطل.

وكان صلباً، قوي الحجّة، ثابت الجنان، رابط الجأش، يفزع إليه الشباب المغترب حين تدلهم الخطوب وتشتدّ الأُمور، فيواسيهم ويثبّتهم، ويبذل وقته وعافيته وماله وجهده لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم وإزالة العقبات التي تعترض طريقهم متوكّلاً على الله.

وقد أسهم في نشر الكتب باللغة الإسبانية، وترجمة معاني القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف والسيرة النبوية إلى اللغة الإسبانية. واعتنق الإسلام على يديه كثيرون من الإسبان وغيرهم، رجالاً ونساءً، شيباً وشباباً.

كما كانت له مشاركته الفاعلة في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في إسبانيا وأوروبّا، ويطرح الحلول لمشكلات المسلمين المعاصرة على الهدي الإسلامي. كما كان عضواً عاملاً في الاتّحاد الإسلامي العالمي للمنظّمات الطلابية، وفي الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وغيرها من المنظّمات الإسلامية ذات الطابع العالمي الإسلامي.

كما كانت له جهود في رفد العمل الإسلامي في شمال أفريقيا، وبخاصّة في المغرب والجزائر وفي أوروبّا عموماً.

وضاق به الطغاة ذرعاً، فلجؤوا إلى اغتياله.. وكانت بينه وبين الشهيد محمّد كمال الدين السنانيري بيعة وميثاق، فشاء الله أن يستشهد بعده بأيّام قليلة في ليلة السبت ٢١ كانون الأوّل (ديسمبر سنة ١٩٨١م)، وأوردت الخبر وكالات الأنباء المحلّية والعالمية، وفي السابع والعشرين منه نقل جثمانه إلى مدينة غرناطة، ودفن في السفح المطلّ على قصر الحمراء، حيث توجد مقبرة إسلامية هناك.

وكانت الحكومة السورية قد أرسلت مذكّرة إلى الخارجية الإسبانية تتضمّن تسليمه

إليها وإعادته لسوريا، فأبت ذلك ولم تلبِّ طلبها.

وكان قد توقّف عن متابعة الدراسة والتفت كلّياً إلى دعوته، وبدأ بترجمة الكتب الإسلامية للّغة الإسبانية، حيث نشر العديد منها، وكانت آخر أعماله ترجمة كتاب «حياة محمّد» وترجمة معاني القرآن الكريم، وقد استشهد قبل أن يكمل الترجمة.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٢٨٩ ـ ٢٩٠، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٧٧ ـ ٢١٧٨).

نظام الملك

أبو علي قوام الدين بن علي بن إسحاق الطوسي المعروف بنظام الملك: وزير، فاضل، ذو فكر وحدوي. وصفه الذهبي بقوله: «عاقل، سائس، خبير، سعيد، متديّن، محتشم، عامر المجلس بالقرّاء والفقهاء».

أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وأُخرى بنيسابور، وأُخرى بطوس، ورغّب في العلم، وأدرّ على الطلبة الصلات، وأملى الحديث، وبَعُدَ صيته.

وكان أبوه من دهاقين بيهق، فنشأ وقرأ نحواً، وتعانى الكتابة والديوان، وخدم بغزنة، وتنقّلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب آرسلان، ثمّ لابنه ملكشاه، فدبّر ممالِكَه على أتمّ ما ينبغي، وخفّف المظالم، ورفق بالرعايا، وبنى الوقوف، وهاجرت الكبار إلى جنابه، وازدادت رفعته، واستمرّ عشرين سنة.

سمع من: القُشيري، وأبي مسلم بن مهربزد، وأبي حامد الأزهري.

روى عنه: علي بن طراد الزينبي، ونصر بن نصر العُكبري، وجماعة.

قال الذهبي أيضاً: «وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يُعجبه من يبيّن له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي».

مولده في سنة ثمانٍ وأربع مئة للهجرة، وقُتِلَ صائماً في رمضان، أتاه باطني في هيئة صُوفي يُناوله قصّة، فأخذها منه، فضربه بالسكّين في فؤاده، فتَلِف، وقتلوا قاتله. وذلك ليلة جمعةٍ سنة خمس وثمانين وأربع مئة بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: «لا تقتلوا قاتلي، قد عَفوتُ، لا إله إلّا الله».

قال ابن خلِّكان: «قد دخل نظام الملك على المقتدي بالله، فأجلسه، وقال له: يا حسن، رضي الله عنك، كرضى أمير المؤمنين عنك».

وللنظام سيرة طويلة في «تاريخ ابن النجار»، وكان شافعياً أشعرياً.

وقيل: إنّ قتله كان بتدبير السلطان، فلم يُمهَل بعده إلّا نحو شهر.

وكان النظام قد ختم وله إحدى عشرة، واشتغل بمذهب الشافعي، وسار إلى غزنة، فصار كاتباً نجيباً، إليه المنتهى في الحساب، وبرع في الإنشاء، وكان ذكياً، لبيباً، يقظاً، كامل السؤدد.

قيل: إنّه ما جلس إلّا على وضوء، وما توضأ إلّا تنفّل، ويصوم الاثنين والخميس، جدّد عمارة خوارزم، ومشهد طوس، وعمل مشفىً، نابه عليه خمسون ألف دينار، وبنى أيضاً مدارس بمرو وهراة وبلخ والبصرة وأصبهان، وكان حليماً رزيناً جواداً، صاحب فتوّة واحتمال ومعروف كثير إلى الغاية، ويُبالغ في الخضوع للصالحين. وقيل: كان يتصدّق كلّ صباح بمئة دينار.

قال ابن عقيل: «بهر العقول سيرة النظام جوداً وكرماً وعدلاً وإحياءً لمعالم الدين، كانت أيّامه دولة أهل العلم، ثمّ خُتِمَ له بالقتل وهو مارٌّ إلى الحجّ في رمضان، فمات مَلِكاً في الدنيا، مَلِكاً في الآخرة».

يقول الدكتور يحيى الخشّاب في مقالةٍ له نشرتها مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية حول أفكار الوزير نظام الملك الوحدوية ما نصّه: «... كان نظام الملك بعيد النظر، واسع الأُفق، شديد الإحساس بما يدور ببلاده ومن حول بلاده، رأى الأُمّة الإسلامية مقسّمة إلى خلافات ثلاث: خلافة بغداد، وخلافة مصر، وخلافة الأندلس، ورأى العالم المسيحي يتآمر على هذه الأُمّة المسلمة، وتتربّص بها الدوائر، وكان ذلك عصر التمهيد للحروب الصليبية.

وكانت البلاد الإسلامية قد أُصيبت يومئذٍ من التفرّق والتعصّب بداء عضال قد تغلغل في صميمها، وأصبح العلماء فيها مولعين بالجدال والمناظرات، وأن يتحدّى بعضهم بعضاً

في المجالس والمدارس.. كانوا يختلقون في الفقه والكلام خلافات حادّة، ويحتربون حرباً مضنية، ويجرّون وراءهم العامّة جرّاً، حتّى كثرت الفرق وتباينت، وكلّ فرقة تبغي الغلب والظفر بخصومها، وتحرّض من تستطيع تحريضه من الأُمراء والوزراء على مخالفيها. وكان الوزراء والأُمراء من جانبهم يؤرّثون هذه العداوات، ويشجّعون تلك الخصومات؛ انتفاعاً بما يجنون منها من شغل العامّة والتحكّم في الخاصّة.

وأدرك نظام الملك ما في ذلك من الخطر، وفهم ما ينطوي عليه هذا التفرّق والاختلاف الحادّ من تصوير للإسلام في نظر خصومه والمتربّصين به بصورة تخالف حقيقته، وتعين على هدمه.. إنّ دين الله واحد لا خلاف على أصوله، وإنّ الفتن التي تفرّق بين المسلم وأخيه لا تتّصل بركن من أركان هذا الدين، ولا يبعثها في كلّ حال حرصٌ عليه، إنّما هي النزوات والشهوات، نزوات الجهل وشهوات التعصّب، فحرص على أن يصلح هذه الأحوال المضطربة، وصمّم على أن ينقذ الأُمّة من ويلات الخلاف والشقاق، وعلى أن يبثّ في أهل العلم روحاً من التسامح والهدوء في البحث والتخلّص من شوائب التعصّب، وأن يرتفع بهم عن الحزازت واصطناع المكائد والفتن.

وقد أعان نظام الملك على دعوته ما عرف عنه من الصلاح والتديّن وحبّ العلماء، فقد كان يقدّمهم ويقف إجلالاً لهم، وربّما تنازل عن مسنده إكراماً لبعضهم، كما كان يفعل إذا قدم عليه إمام الحرمين أو القشيري أو الفارقذي الواعظ، وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه. وكانت له فوق ذلك ميول صوفية ووقائع أحوال تدلّ على هذه النزعة.

وعرف العلماء والفقهاء رغبته في التقريب، وحبّه لطرح الخلاف ونبذ التعصّب، فجروا في مضماره، وتقرّبوا إليه بما يحبّ. وقد روى التاريخ لنا في ذلك حكاية طريفة، هي: أنّ عبد السلام بن محمّد بن يوسف القزويني شيخ المعتزلة دخل عليه يوماً، وكان عنده أبو محمّد التميمي ورجل آخر أشعري، فقاله له القزويني: «أيّها الصدر، لقد اجتمع عندك رؤوس أهل النار»، قال نظام الملك: «وكيف ذلك»؟ قال: «أنا معتزلي، وهذا مشبّه ـ يعني: التميمي ـ وذلك أشعري، وبعضنا يكفّر بعضاً»! فضحك النظام.

والمغزى من هذه الواقعة أنّ العلماء وصلوا إلى حدّ التفكّه بأخبار الخلاف في مجلسه، وأخرجوا الأمر فيه مخرج المزح والدعابة. وشتّان بين هذا وما كان من قبل من عنف وحدّة وقطيعة.

وقد استعان نظام الملك على دعوته أيضاً بوسيلة نعتبرها حديثة في خدمة المبادئ والدعوة لها، هي إنشاء المدارس، وحشد العلماء لها؛ كي تكون مصدراً للإقناع والتعليم والدفاع.. وهذا ما فعله نظام الملك، فقد أقام المدارس النظامية، وافتتح نظامية بغداد بنفسه، وأشرف على هذه المدارس وأولاها رعايته، وتوسّع في إنشائها، ووقف عليها الأموال التي تضمن استمرارها من بعده.

ومع أنّها كانت في أوّل أمرها غير مرضية من العامّة وبعض العلماء، فقد درّس بها كثير من الأئمّة وأفاضل الأُمّة، كأبي بكر الشاشي، وحجّة الإسلام الغزالي، وأبي نصر بن الصبّاغ، وأبي إسحاق الشيرازي، وغيرهم.

وفي سنة ٤٧٩ هـ دخل السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك بغداد، ونزلا بدار المملكة، وزارا مشهد الإمام موسى الكاظم ابن جعفر الصادق المتوفّى ببغداد سنة ١٨٣ هـ، وقبره هناك في الجانب الغربي مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم. وزارا كذلك قبور جماعة من الأئمّة والصالحين، كمعروف الكرخي المتوفّى سنة ٢٠٠ هـ، والإمام أحمد بن حنبل، وأبي حنيفة، وغيرها من القبور المعروفة. فقال ابن زكرويه الواسطي يهنّئ نظام الملك بقصيدة، منها:

زرتَ المـمالك زورةً مشـهورة ... أرضت مضاجع من بها مدفون
فكأنّك الغيث استهلّ بتربها ... وكأنّها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وأنجحت ... ولك الإله على النجاح ضمين

وخلع الخليفة على نظام الملك، ودخل إلى المدرسة النظامية، وجلس في خزانة الكتب، وطالع بعض ما فيها، وسمع الناس عليه في المدرسة جزء حديث، وأملى جزءاً آخر.

ولا شكّ أنّ هذا الصنيع من السلطان ووزيره نظام الملك فيه كثير من اللباقة والكياسة والتوجيه.

وقد كانت المدارس النظامية منبثّة في العراق وإيران وأفغانستان، وكان التعليم فيها يجري كأحسن ما يكون التعليم في عصرنا الحديث، وكان الأساتذة هم الصفوة المختارة من العلماء، وكان للطلبة بيوت يسكنونها ويرجعون إليها بعد الفراغ من الدرس، وكانت لهم أرزاق تجري عليهم ليفرغوا إلى العلم، وكان لهم زي يميّزهم، وكان يباح للجمهور أن يستمع إلى بعض الدروس، فأقبل الناس عليها، واستنارت العقول، ومن تعلم علّم غيره، وهكذا وجد الشعب الإسلامي طريقاً إلى نور المعرفة وإدراك حقيقة الدين، وهكذا ضربت الدولة في صدر العصبيات والتفرّق ويسّرت للركب العلمي سبيلاً سوياً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

وأراد نظام الملك أن يوحّد الخلافتين: العبّاسية، والفاطمية، فبذل في ذلك جهده، تارةً بالدعوة السلمية وتارةً بالجند. وهدفه الوحيد في كلّ هذا أن يتّحد أهل هذا الدين؛ لتقوى أُمّتهم، ويعود إليها ما لها من عزّة واستقامة ومنعة.

واليوم نرى الدول الغربية تتّحد لمقاومة النازية مثلاً، فتتّخذ من المسيحية جامعاً يؤلّف قلوب أُممها ويوحّد كلمتها، وتصوّر النازية كما تصوّر ما لا تحبّ من المذاهب السياسية بصورة الخارج على المسيحية؛ كي تزيد في بغض الناس لها، وكي تركّز جهود المسيحيّين، وتؤلّبهم عليها، فهي تتّخذ من دينها ذريعةً لدنياها. ولا يقولنّ أحد: إنّها تتخلّف عن المدينة حين تنادي بالمسيحية، فهي الأُمم صاحبات المدنية، وهي الأُمم الداعيات وقت الحرج والخوف إلى المسيحية.

أفلا نتعظ بالغرب، وندعو دعوة الحقّ، ونتآخى ونتآزر، ونعمل بمبادئ ديننا، ونقيم قواعد الاجتماع والسياسة في دنيانا على أساس ممّا أوصانا به الإسلام المجيد؟!

إنّما ندعو إلى العمل بما في الإسلام من مبادئ قويمة، كلّ دولة في حدودها ولمصالحها، يشدّ بعضنا أزر بعض إذا عرض لنا أمر أمام جماعة الأُمم، ويؤثر بعضنا البعض

إذا وجب الإيثار، ويشجّع بعضنا البعض؛ لتنمو مواردنا، وتعمل الأيدي العاطلة فينا، وليكن الإسلام جامعاً بيننا وهدياً لنا. ورحم الله نظام الملك، أوّل من نصر هذا الرأي، وعمل له».

(انظر ترجمته في: الإكمال لابن ماكولا ٧: ٣٥٧، الأنساب للسمعاني ٣: ٢١ ـ ٢٢، المنتظم ١٦: ٣٠٢ ـ ٣٠٧، التدوين في أخبار قزوين ٢: ٤١٩ ـ ٤٢٢، الكامل في التاريخ ٨: ١٦١ ـ ١٦٣، اللباب في تهذيب الأنساب ٢: ٥ و٣: ٣٦٥، وفيات الأعيان ٢: ١٢٨ ـ ١٣١، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٣: ٢٣ ـ ٢٤، دول الإسلام ٢: ١٣، سير أعلام النبلاء ١٩: ٩٤ ـ ٩٦، العبر ٣: ٣٠٧ ـ ٣٠٨، الوافي بالوفيات ٨: ٢٦١ ـ ٢٦٤، مرآة الجنان ٣: ١٠٣ ـ ١٠٥، طبقات الشافعية الكبرى ٤: ٣٠٩ ـ ٣٢٨، البداية والنهاية ١٢: ١٤٠ ـ ١٤١، شذرات الذهب ٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٥، روضات الجنّات ٣: ٨٢ ـ ٨٥، أعيان الشيعة ١: ١٩٢ و٥: ١٦٥ ـ ١٦٩، الأعلام للزركلي ٢: ٢٠٢، مواقف الشيعة ٣: ٩٢، موسوعة الأعلام ٤: ٢٧٤).

* * *

«حرف الهاء»

هادي الخسروشاهي

السيّد هادي بن مرتضى بن أحمد بن محمّد بن علي الخسروشاهي: مفكّر إسلامي، وداعية تقريب مرموق.

ولد سنة ١٣١٧هـ. ش (١٩٣٨م) بمدينة تبريز لأُسرة معروفة بالعلم والفقاهة والتديّن، ودرس هناك وتتلمذ على يد والده الذي يعدّ من كبار العلماء آنذاك. ثمّ التحق بالحوزة العلمية في مدينة قم وعمره لا يتجاوز السادسة عشرة، وتخرّج في حقل العلوم الإسلامية هناك على يد العلماء والأساتذة الكبار، منهم: السيّد البروجردي، والإمام روح الله الخميني، والسيّد محمّدحسين الطباطبائي، والسيّد الشريعتمداري، وغيرهم، ثمّ حضر دروس بعض المراجع في النجف الأشرف لمدّة شهور. وبعد ذلك قام بالتدريس في الحوزة العلمية لسنوات عدّة.

وقد حصل على بعض الإجازات في رواية الحديث وفي الأُمور الحسبية من قبل: الإمام الخميني، والسيّد الخوئي، والسيّد شهاب الدين المرعشي، والسيّد محمّد كاظم الشريعتمداري، والسيّد محمّد هادي الميلاني، والسيّد محمّد الروحاني، والشيخ آقا بزرك الطهراني، والشيخ مرتضىٰ الحائري، والسيّد أحمد الزنجاني، والميرزا عبد الجواد الجبل عاملي، والميرزا أبي الفضل الزاهدي القمّي، وغيرهم.

كما قام بتدوين وتنقيح ونشر آثار بعض الأساتذة والعلماء، كالشيخ كاشف الغطاء، والسيّد محمّد حسين الطباطبائي، والحاجّ سراج الأنصاري، والسيّد محمّد محيط الطباطبائي، والسيّد غلام رضا السعيدي، ومحمّد نخشب، وغيرهم.

قام بتأسيس «مركز البحوث الإسلامية» في الحوزة العلمية بقم سنة ١٩٧٤م، وهو لا

يزال رئيساً لهذه المؤسّسة الإسلامية العلمية، وللمركز إصدارات كثيرة متنوّعة بلغات مختلفة، منها: العربية، الإنجليزية، الألمانية، الفارسية، وغيرها.

ويعتبر الأُستاذ من العلماء البارزين المعروفين في إيران، وله مؤلّفات عدّة في شتّى المجالات العلمية الإسلامية، طُبع منها أكثر من ٥٠ مجلّداً في إيران وبعض البلاد العربية، ولمرّات عدّة، وهو يتقن عدّة لغات: التركية، الفارسية، العربية، الإنجليزية، والإيطالية.

كما أنّه كان للأُستاذ الخسروشاهي دور خاصّ في الكفاح ضدّ النظام الحاكم، واعتقل وسُجن، ونُفي عدّة مرّات، ولكنّه استمرّ في كفاحه ونضاله ضدّ الاستبداد رغم كلّ الضغوط التي لاقاها.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية انتخب ممثّلاً للإمام الخميني في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي في طهران، وعمل فيها لمدّة سنتين، ثمّ انتخب سفيراً لإيران في الفاتيكان، وعمل هناك خمس سنوات، وأسّس في روما «مركز الثقافة الإسلامية في أوروبّا»، حيث أصدر المركز أكثر من ١٦٠ كتاباً بلغات مختلفة في تبيين العقيدة الإسلامية والمسائل السياسية، تمّ توزيعها في البلاد الأوربّية.

وبعد العودة إلى طهران انتخب مستشاراً لوزير الخارجية آنذاك الدكتور علي أكبر ولايتي، ثمّ مستشاراً للوزير الدكتور كمال خرّازي، وأُستاذاً في كلّية وزارة الخارجية، وكلّية العلاقات الدولية، وكلّية الحقوق بجامعة طهران.

وهو كذلك عضو في مركز الدراسات السياسية والعالمية التابعة لوزارة شؤون الخارجية، وفي المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وقد اشترك في كثير من المؤتمرات العالمية الإسلامية قبل الثورة وبعدها، في: السعودية، ومصر، ولبنان، وقطر، والجزائر، وسوريا، وباكستان، وتركيا، وألمانيا، وسويسرا، وإنجلترا، وإيطاليا. منها مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في القاهرة، نيابةً عن الوزير، ومؤتمرات إسلامية كثيرة.

وقد أسّس منذ سنوات جمعية الصداقة المصرية ـ الإيرانية بطهران، بالتعاون مع ٤٠

شخصاً من كبار المفكّرين الإسلاميّين والعلماء والكتّاب الإيرانيّين، وكان الأُستاذ رئيساً لهذه الجمعية قبل سفره إلى مصر.

عمل في القاهرة بصفته رئيساً لبعثة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في جمهورية مصر العربية لمدّة ثلاث سنوات، وبعد العودة لا يزال يشتغل في المجال العلمي والسياسي والثقافي في طهران وقم.

وقام بإصدار مجلّتي: «التاريخ والثقافة المعاصرة»، و«البعثة» باللغة الفارسية، وكذلك أصدر مجلّتين أُخريين باللغة الإنجليزية، هما: «أنكوائري»، و«أمريكن أيونس»، ومجلّة باللغة العربية في لندن، هي مجلّة «العالم»، ومجلّة باللغة الإيطالية تدعى بـ«العالم الجديد».

من مؤلّفاته: تاريخ جماعة الإخوان المسلمين في مصر، العودة إلى القرآن، وحدة العالم العربي ـ الإسلامي بين النظرية والواقع، جمال الدين الحسيني داعية التقريب والتجديد الإسلامي، دراسات إسلامية، الثورة الإسلامية والإمبريالية العالمية، حقيقة علاقة عبد الناصر بالثورة الإسلامية، مسيرة التقدّم البشري بين المسيحية والإسلام، قصّة الحزب الشيوعي الإيراني، آراء في الدين والسياسة، مع الصحافة العربية والمصرية، نثارات الكواكب، عقيدتنا، حديث الغدير، حياة ونضال السيّد نوّاب صفوي، عبد الله بن سبأ بين الواقع والخيال، الحركات الإسلامية المعاصرة، أسناد الثورة الإسلامية الإيرانية.

كما قام بتحقيق ونشر العديد من الكتب، كمجموعة آثار السيّد جمال الدين الأفغاني، وأهل السنّة والشيعة، وفقهيات بين السنّة والشيعة، وأهل البيت في مصر، وقصّة التقريب، وأدعية أهل البيت.

وترجم كتاب الأُستاذ جورج جرداق «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية» إلى الفارسية وحقّقه أيضاً.

وللسيّد الخسروشاهي دور خاصّ ومهمّ في مجال التقريب ونشر فكرته في أوساط الحوزة العلمية منذ نصف قرن.

يقول في مقدمته على كتاب «قصّة التقريب»: «لا شكّ أنّ الاختلافات المذهبية والعقائدية بين المسلمين هي من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى تفرّقهم.

والسؤال المهمّ الذي يطرح هو: كيف يمكن علاج هذه المشكلة؟ فهل نسعى في حلّها إلى إزالة الاختلافات المذهبية عن طريق إيجاد مذهب واحد؟

والجواب: أنّ محاولة كهذه هي أقرب إلى المستحيل منها إلى الإمكان، ولا نظنّ أنّ أحداً سيحاول مثل هذه المحاولة غير المعقولة، وهنا يقتضي البحث عن طريق آخر يمكن أن يساهم في إيجاد حلّ عادل ترتضيه جميع الأطراف، ولا نجد طريقاً أفضل من سلك سبيل «التقريب» الذي نراه الحلّ الأمثل لهذه المشكلة التي أرّقت الجميع.

ولا بدّ لنا أن نشير إلى معنى «التقريب» في البداية، والمقصود من هذا المصطلح؛ لنكون على بيّنةٍ منه، فإنّ كثيراً من المشاريع المهمّة التي تأسّست في هذا السياق لم يحالفها النجاح ولم تحقّق أهدافها المرجوّة لسبب بسيط، وهو عدم استيعابها للمعنى ولا فهمها لمقاصده.

إنّ التقريب بين المذاهب الإسلامية هو محاولة جادّة لتعزيز الروابط بين أتباع هذه المذاهب، من خلال تفهّم الاختلافات الواردة بينها، ونزع آثارها السلبية، وليس إزالة أصل الاختلاف من البين.

فالذي يدعو إلى التقريب لا يريد أن يزيل المذاهب ويصيّرها مذهباً واحداً، فلا يريد أن يجعل السنّي شيعياً، ولا الشيعي سنّياً، بل يريد أن يحوّل ذلك الشي الذي صار داءً للأُمّة -وهو الاختلاف- إلى صيغة علاج باهرة، ويقلبه إلى صورة دواءٍ ناجعٍ للحالات المستعصية.

فبدلاً من أن تكون هذه الاختلافات بين المسلمين سبباً لضعفهم وتمزّقهم، يمكن أن تكون سبباً لوحدتهم وتطوّرهم وإثراء معارفهم وعلومهم وأفكارهم دوماً بقيم وأُطروحات مواكبة لوقتنا الحاضر.

ففكرة «التقريب» يمكن أن تعدّ ثورةً ونهضةً للمسلمين ضدّ الواقع السيّئ الذي يحيط

بهم، فيحوّل الاختلافات المعقّدة ـ فضلاً عن البسيطة ـ إلى حالة إيجابية تنعش فكر المسلمين، وتبعث على ازدهار ثقافتهم، وتوسّع من أُفقهم، وتعمل على تجسيد حقيقة كون الشريعة الإسلامية هي «الشريعة السمحاء» كما عبّر عنها الرسول الأعظم ﷺ.

فإذن نستطيع من خلال التقريب أن نستوعب خلافاتنا، ونجعل منها رصيداً هامّاً يموّل حركة النمو والتطوّر والنهوض، بدلاً من أن تكون عاملاً من عوامل إضعاف الأُمّة وقيداً يحبس طاقاتها وخيراتها.

ولا يمكن للتقريب أن يحقّق هدفه بمجرّد دعوة المسلمين لرفع الخلاف بينهم، بل يحتاج إلى آلية عمل خاصّة، من خلالها يستقيم العمل وتستمرّ الانطلاقة.

ويمكن أن تكون تلك الآلية متمثّلة بعدّة خطوات:

أ: إحياء التعاليم الإسلامية المشتركة بين المذاهب، وذلك لأنّ المسلمين مهما اختلفوا فيما بينهم فإنّه تبقى هناك قواسم مشتركة كثيرة على مستوى أُصول الدين، وعلى مستوى المسائل الفقهية والأخلاقية، بل يمكن أن ندّعي أنّ ممّا يتّفق عليه المسلمون أكثر ممّا يختلفون فيه.

ب: نشر فكرة التقريب وإشاعتها بين طبقات الأُمّة بكلّ وسيلة ممكنة، خصوصاً ونحن نعيش عصراً أصبح العالم فيه كالقرية الواحدة.

ج: السعي إلى إزالة التهم والظنون بين أتباع المذاهب، وذلك عند طريق تهيئة الأرضية لأن يفهم كلّ مذهب ما عند المذاهب الأُخرى من عقائد ومعارف بلا تحريف ولا تشويه، ويمكن أن يحصل ذلك بتيسير إيصال المصادر الأساسية لكلّ مذهب إلى أتباع المذهب الآخر، فإنّ من أسباب الضغائن التي تحصل بين أتباع المذاهب تنشأ من عدم معرفة أحدهم للآخر إلّا بصورة محرّفة ومشوّهة لا تمثّل حقيقة المذهب، لا من قريبٍ ولا من بعيد.

د: محاولة منع غير المختصّين بالعلوم الإسلامية من الدخول في المناظرات المذهبية، وخاصّة تلك التي تُعرض في وسائل الإعلام المصورة والمكتوبة؛ لأجل أن لا تتسبّب في

زيادة شدّة الاختلاف ؛ لأن الاختلاف وإن كان متحقّقاً بين المذاهب ـ وهو أمر لا مفرّ منه ـ ولكن قد يحدث أن يصوّره غير المختصّين بغير حجمه الواقعي ، في الوقت الذي نحتاج فيه إلى تقليص الاختلافات إلى أقلّ ما يمكن .

هـ : التكثيف من عقد المؤتمرات والندوات بين العلماء والمختصّين من كلّ المذاهب الإسلامية ، ففيها الفرص مؤاتية للجلوس مع بعضهم البعض والحوار وجهاً لوجه ، فيمكنهم أن يضعوا مقرّرات وثوابت من شأنها التأليف بين المسلمين وتقوية أواصر الأُخوّة الإسلامية .

و : التسليم بحقوق المسلم بغضّ النظر عن مذهبه ، والتي من أهمّها عصمة دمه وماله وعرضه .

ز : الانشغال بالهموم الكبرى للأُمّة ؛ لأنّها تواجه أخطاراً سياسية وثقافية وعسكرية كبيرة ، توجب على المسلم أن يهتمّ بها ، وأن يتركوا النزاعات فيما بينهم جانباً وفقاً لمنطق الأُخوّة التي دعا إليها الإسلام الحنيف .

هذا ، ولا شكّ أنّ أهمّية أيّ عملٍ تتجلّى في الغاية المترتّبة على ذلك العمل ، فإذا اتّضح لنا ممّا سبق في بيان معنى التقريب أنّ الغاية المترتّبة عليه هي تحقيق الوحدة بين المسلمين ، والتي تعدّ أمراً أساسياً في الإسلام ، وقد ذكرنا بعض النصوص الشريفة التي تدلّ على ضرورة التوحّد وذمّ التفرّق والتنازع ، يضاف إلى ذلك أنّ المسلمين لو أرادوا أن ينهضوا ويتخلّصوا من حالة الضعف والتردّي فلا سبيل لهم إلّا التوحّد ونبذ الفرقة والتناحر ، فلا مناص من القول : إنّ الغاية المترتّبة على التقريب بين مذاهب المسلمين هي غاية شريفة بلا ريب ، بل هي مفروضة بحكم العقل والشرع ، وعليه تتّضح أهمّية التقريب وضرورته ، وأنّه ينبغي على المسلمين أن يتعاملوا معه بجدّية وبمسؤولية كبيرة تتناسب مع عظم الغاية المترتّبة عليه وشرفها .

وتبرز اليوم الحاجة إلى التقريب أكثر من أيّ وقتٍ آخر ؛ وذلك لأنّ الإسلام اليوم يعيش معركةً حضاريةً ومصيريةً خطرة تستدعي تهيئة كلّ أسباب القوّة والانتصار ، قال

تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٦٠).

ومن هنا، فعلى الأُمّة الإسلامية أن تعي أهمّية التقريب ودوافعه؛ لتنعم بمعطياته، وتجني ثماره، كما وينبغي أن لا يعتبروا التقريب محاولات عقيمة وغير مجدية، بل هو أمر في غاية الأهمّية، وسيعطي ثماره ـ إن شاء الله تعالى ـ عندما تلتفت الأُمّة إلى أهمّيته ودوره، وتزول عنه الضبابية الذي قد تعتريه من هذا الجانب أو ذاك، فيوجب عدم التفاعل معه أو تفعيله».

هاشم الدفتردار المدني

هاشم الدفتردار المدني: فاضل وداعية من دعاة التقريب.

وهو من أُسرة آل الدفتردار المشهور في المدينة المنوّرة، ووالده الشيخ محمّد سعيد الدفتردار الإمام في المسجد النبوي والموظّف في أمانة خزينة المدينة المنوّرة، وجدّه لأبيه هو الشيخ يحيى دفتردار كبير خطباء المسجد النبوي.

وقد كان من جملة الدعاة إلى تأسيس جمعية «الهداية الإسلامية» في مصر، هو وأصدقاؤه: السيّد أحمد العربي، والسيّد فؤاد شاكر، والسيّد ولي الدين أسعد. وفي مصر أصدرت دار الصاوي أوّل رواية ألّفها باسم «الحرب والسلم»، ثمّ أصدر كتابه الذي طبع مرّتين «إصلاح الإسلام الاقتصادي»، ثمّ أصدر روايته المشهورة «إلى غرناطة» التي تشرح المدنية العربية في الأندلس. وقد عرّب بأُسلوبه الخاصّ كتاب «محمّد نابليون السماء» الذي ترجمه عن الفرنسية حرفياً الأُستاذ محمّد البنداق، وكتاب «تستطيع أن لا تمرض» الذي ترجمه عن الإنجليزية حرفياً الأُستاذ شريف الشريف، ثمّ أصدر كتابه «ذكريات طيّبة» الذي طلبه منه صاحب مكتبة الفقيه في المدينة المنوّرة، وهو الكتاب الذي شرح فيه روح العقيدة الإسلامية وأسرار الحجّ والزيارة وحال معظم مساجد الرسول ﷺ.

ممّا قاله في مجال التقريب: «كلّ كلمة تدعو إلى الفرقة والبُعد عن الكتاب والسنّة

وعن اجتماع الكلمة، وكلّ كلمة تدعو إلى عدم الاهتمام بأمر الإسلام والمسلمين، وكلّ كلمة تدعو إلى عدم الاستمساك بحقائق الشريعة وتخالف أدنى مخالفة أقوال رسول الله ﷺ وأعماله وتقريراته، ليست من الإسلام في شيء وإن أدخلها الحرفيّون سواء بحسن النيّة أو بسوءها؛ لأنّ حسن النيّة وسوءها هنا سيّان! وكم نحمد الله على حفظه الشريعة من عبث العابثين وفهم الحرفيّين في كلّ عصر؛ إذ يوقض لها رجالاً يحرّرون الحقائق ويجاهدون في سبيل كشف واقع المعرفة دائماً».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٣٨١).

هبة الدين الشهرستاني

السيّد محمّد علي بن حسين بن محسن بن مرتضى بن محمّد الحسيني الحائري الكاظمي المعروف بهبة الدين الشهرستاني: أحد مشاهير علماء الإمامية، ورائد من روّاد التقريب.

ولد في سامرّاء سنة ١٣٠١ هـ(١٨٨٤ م)، وتعلّم فيها، وأكمل بعض المراحل الدراسية في كربلاء، وانتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٠ هـ، وحضر الأبحاث العالية على أكابر المجتهدين، كالشيخ محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

يروي بالإجازة عن: الشيخ حسين النوري، والسيّد إسماعيل الصدر، والآخوند الخراساني، والسيّد حسن الصدر، والسيّد عبد الصمد الجزائري، وغيرهم. ويروي عنه: الشيخ آغا بزرك الطهراني، والسيّد محمّد رضا الخرسان، والسيّد شهاب الدين المرعشي، والشيخ محمّد علي المدرّس التبريزي، والشيخ محمّد علي اليعقوبي، وآخرون.

وتضلّع من الفقه والأُصول والعقائد والرياضيات والهيئة، وخاض المعترك السياسي ابتداءً من سنة ١٣٢٤ هـ، واتّصل بالعلماء ورجال الفكر في العراق وإيران ومصر وسوريا ولبنان والحجاز واليمن والهند، وناصر الدعوات الإصلاحية، وهاجم بعض التقاليد الطارئة على الأذهان بكلّ شجاعة وثبات.

أسّس عام ١٣٢٨ هـ مجلّة علمية ـ سياسية سمّاها مجلّة «العلم»، وهي أوّل مجلّة عربية صدرت بالنجف، وحرّر كثيراً من المقالات الأدبية والعلمية، وجال في عدّة أقطار، كسوريا ولبنان ومصر والحجاز واليمن والهند، وساهم في حركة الجهاد ضدّ القوّات الإنجليزية المحتلّة سنة ١٣٣٣ هـ، وكذلك في الثورة العراقية الكبرىٰ سنة ١٩٢٠ م، فاعتقل من قبل المحتلّين وحكم عليه بالإعدام، غير أنّه سجن في الحلّة تسعة أشهر.

وفي عهد الملك فيصل الأوّل تولّىٰ وزارة المعارف، فرئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري، وانتخب نائباً عن بغداد في البرلمان العراقي.

وسكن الكاظمية، وأسّس بها مكتبة الجوادين العامّة، وواصل جهاده العلمي والديني حتّىٰ وافاه الأجل ـ وهو بصير العينين ـ سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٧ م)، فدفن في الكاظمية.

له ما يربو على مائة وستّين مؤلّفاً في مختلف العلوم والمعارف، منها: أضرار التدخين، الدلائل والمسائل، المعجزة الخالدة، الهيئة والإسلام، منتخب الأُصول، شرح مفتاح الحساب، جبل قاف، قاموس الفقه، معجم الفقه، قاموس الفلسفة، الدين في ضوء العلم، الزواج المؤقّت، ثقات الرواة، توحيد أهل التوحيد، الأئمّة والأُمّة، أحكام النساء، حاشية التبصرة، ذخيرة المؤمنين، شرح شرائع الإسلام، المنظومة الكمالية، نهضة الحسين، المعارف العالية، وجوب صلاة الجمعة، أنيس الجليس، توحيد الكلمة بكلمة التوحيد، جابر والكيمياء، دليل القضاة، الساعة الزوالية، السحر (ديوان شعره)، سياحة الهند، شرح الصدور، الشيطان في الميزان، عجمة العرب، العزاء الحسيني، المدرسيّات.

وقد كان هذا السيّد الجليل من جملة المشاركين والمساهمين في دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، وله مقالة في مجلّة «رسالة الإسلام»، وكتاباه «توحيد أهل التوحيد» و«توحيد الكلمة بكلمة التوحيد» خير شاهدين على جهوده في مجال الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب.

يقول ضمن مقالة له نشرتها مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية: «من أهمّ مزايا شهر رمضان أنّه ربيع اتّحادنا، ورمز تقريب القلوب، وتأليف الشعوب، وموسم اجتماعي تعمر

فيه المساجد والمعابد، وتكثر فيه أندية الخلطاء والخلصاء، ويتزاور الإخوان والجيران وحداناً وزرافات، ممّا يؤدّي إلى تصفية القلوب، وتزكية النفوس، وغسل الصدور من حفائظ الأحقاد والإحن، باعتذار هذا لذاك، وحنان ذاك على هذا، وحركات جاذبية الحبّ من كلٍّ إلى كلٍّ، وكثرة التردّد والتودّد، وبذلك صار سيّد الشهور، كما في الحديث المأثور.

ومن مزايا هذا الشهر المبارك فرض الصيام في أيّامه، والصيام خير وسيلة لإصلاح النفس، لإصلاح الجسم، لإصلاح المجتمع.

وفيه إشعار المسلمين بأنّهم أُمّة واحدة، لا فرق بين قاصيهم ودانيهم، ولا بين غنيهم وفقيرهم، يصومون معاً، ويفطرون معاً، ويشعر بعضهم بشعور بعض.

وقد أشار الإمام جعفر بن محمّد ﷺ إلى أهمّ الغايات في فلسفة الصوم قائلاً: «إنّما فرض الله على عباده الصوم؛ ليستوي الأغنياء والفقراء في هذا البلاء، وليدرك الأغنياء ما يجري على هؤلاء»، فيؤثروهم على أنفسهم رحمةً وحناناً، فتزول أخطار المجتمع.

فيا أيّها المسلمون: ها هو ذا قد أظلّكم شهر رمضان، شهر الهدى والفرقان، وفي هدى القرآن كلّ الخير والبركة من صلاح وإصلاح وتعاون وتضامن، فوحّدوا صفوفكم، ووحّدوا قلوبكم، ووحّدوا شعوبكم، ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣)».

(انظر ترجمته في: معارف الرجال ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠، أعيان الشيعة ١٠: ٢٦١، الأعلام للزركلي ٦: ٣٠٩، معجم المؤلّفين ١١: ٤٩، شعراء الغري ١٠: ٦٥ ـ ٩٤، هكذا عرفتهم ٢: ١٩٥ ـ ٢١٢، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧٦١ ـ ٧٦٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٥٣ ـ ٤٥٤، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٧٥٩ ـ ٧٦١، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث: ١٥٧ ـ ١٥٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٥٥٦ ـ ٥٦٠، معجم الشعراء للجبوري ٥: ١٤٤ ـ ١٤٧، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

* * *

«حرف الواو»

وهبة الزحيلي

وهبة مصطفى الزحيلي: فقيه سوري، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكّة وجدّة والهند وأمريكا والسودان. وهو في سوريا رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق ـ كلّية الشريعة، ويعدّ أحد دعاة الإصلاح.

ولد في مدينة دير عطية من نواحي دمشق عام ١٩٣٢م، وكان والده حافظاً للقرآن الكريم عاملاً بحزم به، محبّاً للسنّة النبوية، مزارعاً تاجراً. درس الدكتور وهبة الابتدائية في بلد الميلاد في سوريا، ثمّ المرحلة الثانوية في الكلّية الشرعية بدمشق مدّة ستّ سنوات، وكان ترتيبه الأوّل على جميع حملة الثانوية الشرعية عام ١٩٥٢م، وحصل فيها على الثانوية العامّة الفرع الأدبي أيضاً.

تابع تحصيله العلمي في كلّية الشريعة بالأزهر الشريف، فحصل على الشهادة العالية، وكان ترتيبه فيها الأوّل عام ١٩٥٦م، ثمّ حصل على إجازة تخصّص التدريس من كلّية اللغة العربية بالأزهر، وصارت شهادته العالمية مع إجازة التدريس. درس أثناء ذلك الحقوق وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس بتقدير جيّد عام ١٩٥٧م. ونال دبلوم معهد الشريعة والماجستير عام ١٩٥٩م من كلّية الحقوق بجامعة القاهرة، وحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق (الشريعة الإسلامية) عام ١٩٦٣م بمرتبة الشرف الأُولى مع توصية بتبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية. وموضوع الأُطروحة «آثار الحرب في الفقه الإسلامي.. دراسة مقارنة بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي العامّ».

عيّن مدرّساً بجامعة دمشق عام ١٩٦٣م، ثمّ أُستاذاً مساعداً سنة ١٩٦٩م، ثمّ أُستاذاً عام ١٩٧٥م، وعمله التدريس والتأليف والتوجيه وإلقاء المحاضرات العامّة والخاصّة

والتخصّص الدقيق في الفقه وأُصول الفقه، ويدرّسهما مع الفقه المقارن في كلّية الشريعة، ومواد الشريعة في كلّية الحقوق بجامعة دمشق والدراسات العليا فيهما.

أُعير إلى كلّية الشريعة والقانون بجامعة محمّد بن علي السنوسي بمدينة البيضاء ـ ليبيا لمدّة سنتين، ثمّ كلّف بعدئذٍ بمحاضرات فيها في قسم الدراسات العليا، وأُعير إلى كلّية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات لمدّة خمس سنوات من ١٩٨٤م ـ ١٩٨٩م، وأُعير بصفة أُستاذ زائر إلى جامعة الخرطوم ـ قسم الشريعة، وإلى جامعة أُمّ درمان الإسلامية؛ لإلقاء محاضرات في الفقه وأُصول الفقه على طلّاب الدراسات العليا. كما أُعير إلى قطر والكويت للدروس الرمضانية عام ١٩٨٩م ـ ١٩٩٠م، وأُعير بصفة أُستاذ زائر إلى المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في العام الدراسي ١٩٩٣م لمدّة أُسبوعين.

وقد أصبحت بعض مؤلّفاته مواداً دراسية في قسم من الجامعات الإسلامية.

وضع خطّة الدراسة في كلّية الشريعة بدمشق في أواخر الستّينات، وخطّة الدراسة في قسم الشريعة في كلّية الشريعة والقانون بالإمارات، وشارك في وضع مناهج المعاهد الشرعية في سوريا عام ١٩٩٩م، وقام بتقويم مجلّة «الشريعة والدراسات الإسلامية» بجامعة الكويت عام ١٩٨٨م.

له أحاديث إذاعية مستمرّة في الإذاعة السورية في تفسير القرآن (برنامج: قصص من القرآن، وبرنامج: القرآن والحياة)، وندوات في التلفزيون في دمشق والإمارات والكويت والسعودية وفي المحطّات الفضائية، وحوار مع الصحافة في جرائد سوريا والكويت والسعودية والإمارات وغيرها.

أنشأ مجلّة «الشريعة والقانون» بجامعة الإمارات، وكان رئيس اللجنة الثقافية العليا ورئيس لجنة المخطوطات بجامعة الإمارات، وهو أحد أعضاء هيئة التحرير في مجلّة «نهج الإسلام» بدمشق، ورئيس مجلس الإدارة لمدرسة الشيخ عبد القادر القصّاب الثانوية الشرعية بدير عطية، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لشركة المضاربة والمقاصّة الإسلامية في البحرين، ثمّ رئيس هذه الهيئة للبنك الإسلامي الدولي في المؤسّسة العربية

المصرفية في البحرين ولندن، وخبير في «الموسوعة العربية الكبرى» بدمشق، ورئيس لجنة الدراسات الشرعية للمؤسّسات المالية الإسلامية، وعضو مجلس الإفتاء الأعلى السوري، وعضو لجنة البحوث والشؤون الإسلامية، وعضو موسوعة «فقه المعاملات» في مجمع الفقه الإسلامي بجدّة.

وهو متزوّج، وله خمسة أولاد أكملوا الدراسة، كلّ في اختصاصه.

من مؤلّفاته: الفقه وأُصوله، القرآن وعلومه، دراسات إسلامية، السنّة النبوية وعلومها، العقيدة الإسلامية، الفقه الإسلامي وأدلّته، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، الوسيط في أُصول الفقه الإسلامي، أُصول الفقه الإسلامي، نظرية الضرورة الشرعية، أحكام المسؤولية المدنية والجنائية في الفقه الإسلامي، النصوص الفقهية المختارة، نظام الإسلام، العلاقات الدولية في الإسلام، سعيد بن المسيّب، عبادة بن الصامت، أُسامة بن زيد، عمر بن عبد العزيز، فقه الحياة في القرآن الكريم، التفسير المنير، الوصايا والوقف، التفسير الوجيز، العقود المسمّاة في قانون المعاملات المدنية الإماراتي والقانون المدني الأردني.

كما قام بتحقيق بعض الكتب (بالمشاركة)، مثل: تحفة الفقهاء، المصطفى من أحاديث المصطفى.

وقد شارك في عدّة مؤتمرات إسلامية دولية، كمؤتمرات بيروت والأردن وإيران وغيرها. ونُشرت بعض بحوثه ومقالاته في عديد من المجلّات، كمجلّة «حضارة الإسلام» بدمشق، ومجلّة كلّية الشريعة بمكّة المكرّمة، ومجلّة كلّية الشريعة بالكويت، ومجلّة كلّية الشريعة بالإمارات، ومجلّة «جامعة دمشق»، ومجلّة «الدراسات الإسلامية» بإسلام آباد.

يقول: «... آل أمر الانقسام إلى ضعف المسلمين وتخلّفهم، وتباينهم في المواقف، وتصادمهم في حلّ المشكلات المصيرية التي تهدّدهم جميعاً، كقضية فلسطين وغيرها، ووجود ظاهرة الحقد والكراهية، وضعف الثقة أو انعدامها، وخدمة مصالح المستعمرين، ولا سيّما الدول الكبرى.

وليس هناك أُمّة مثل الأُمّة الإسلامية لديها من الروابط الوثيقة، كوحدة الدين

والعقيدة، ووحدة المبادئ الخلقية، والعبادات، ففي كلّ يوم يشعر المؤمن بالوحدة الإسلامية إن أدّى العبادات اليومية على وجهها، فالربّ واحد، والقبلة واحدة، والشعائر واحدة، بل إنه بعد سقوط الشيوعية عام ١٩٨٩م وتتابع تصريحات كبار المسؤولين الغربيين بأنّه لم يبق أمامهم إلاّ الإسلام، يصبح من الضروري جعل مصير المسلمين واحداً أمام الخطر الواحد والعاقبة الواحدة، ولكنّهم لا يشعرون بهذا، ولا يلتفتون لمخاطر المخطّطات التي تدبّر لهم في الخفاء.

كلّ هذا يدعو المسلمين أكثر من غيرهم وبإلحاح شديد إلى ضرورة توحيد الصفّ والتجمّع الواحد أو الجماعة الإسلامية الواحدة، إن لم يعد ممكناً وجود حكم واحد أو دولة واحدة أو إمامة واحدة؛ عملاً بالتوجيه القرآني الكريم: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة: ٢).

ولا يهمّ شكل التجمّع الموحّد، سواء أكان على النمط الأوّل في صدر الإسلام، أم على نمط جديد من اتّحاد فيدرالي أو كونفدرالي أو غيره؛ لأنّ المهمّ تحقيق الجوهر والمضمون، لا الشكل والمظهر.

وإنّ المطالبة بتوحيد المسلمين وتحقيق جامعة إسلامية لا يراد منه المساس بكراسي ومناصب الحكّام القائمين، ولا بأشكال الحكم في البلاد الإسلامية أو العربية، فلكلّ بلد نظام حكمه، وإنّما المراد تحقيق منهج التجمّع الموحّد أو الاتّحاد المجمّع في مظلّة واحدة، هي أحكام الإسلام وشعائره، وعبادته وعقائده، ومقاصده وأهدافه؛ لإيجاد وجود إسلامي قوي ومتميّز، له قراره المستقلّ وشخصيته المستقلّة النابعة من الحفاظ على المصالح الإسلامية الكبرى.

إنّ هذا التجمّع الوحدوي بأيّ شكل من أشكاله القديمة أو الحديثة يتطلّب أُموراً ثلاثة:

أوّلها: إحياء مفهوم الأُخوّة الإسلامية المتعالية عن الجنسية والعنصرية، وأن تتّحد مشاعرنا في الإحساس بقوّة ومتانة وأبعاد هذه الأُخوّة.

ثانيها: تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية والاجتماعية التي تجمع المشاعر والأحاسيس، والتي تلتقي وتصبّ في معين واحد، هو العمل بمبادئ القرآن أو الإسلام الصحيح الذي يحقّق إعزاز المسلمين وقهر الأعداء.

ثالثها: وحدة السلم والحرب والاقتصاد والدفاع، فالمسلمون مسالمون فيما بينهم، لا تقوم بينهم حرب مطلقاً، واقتصادهم واحد، سواء في الإنتاج والتوزيع، أو التصدير والاستيراد، وسوقهم الاقتصادية مشتركة، وعملتهم واحدة، ويعتمدون على مبدأ الاستقلال الاقتصادي والاكتفاء الذاتي، إلّا في حدود الضرورات من أجل علاج شيء مؤقّت، والانتقال إلى ما هو أفضل. فإذا حدث نزاع عولج بالصلح، وإذ نُكب إقليم عاونه الآخرون؛ لأنّ المسلم يكون في حاجة أخيه المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ولا يكذّبه ويتعاون معه، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وأمامنا أمثلة كثيرة من اتّحاد الولايات الواقع فعلاً، سواء في أمريكا، أو أوروبّا، أو الاتّحاد السوفياتي سابقاً.

وليكن مطمح كلّ مسلم وكلّ دولة إسلامية معاصرة هو التوصّل إلى وحدة الدولة الإسلامية مهما تناءت الديار أو الولايات المحلّية، أو إلى اتّحاد يجمع المسلمين، وينأى بهم عن التفرّق والتباعد، وإلى محو كلّ أشكال أو أسباب الفرقة الإقليمية أو الجغرافية أو العنصرية أو المذهبية أو العرقية، فإنّ هذه الأمراض هي التي فرّقتنا في الماضي، والتي يجب تجاوزها وعلاجها في عصرنا؛ من أجل تحقيق الخير للجميع، وإبعاد الشرّ وشبح الخطر عن الجميع، فنحن في حالة من التردّي والتشتت والضياع والمذلّة والهوان ما لا نغبط عليه، بل هو أدعى للسخرية والتهكّم!

وإذا ظلّ المسلمون في القرن الحادي والعشرين القادم على هذا النحو من التباعد والتفرّق فإنّهم سيتعرّضون لمحن وويلات أشدّ، وستكون الخسارة والدمار أكثر ممّا نتصوّر، ولات ساعة مندم.

ومن الغريب حقّاً أنّ أُمّة تنتمي إلى القرآن الكريم عقيدةً ودستوراً وعبادةً ونظاماً تكون

على هذا النحو من التشرذم والتفرّق!

ولا ينتظر المسلمون من أعدائهم أنّهم يقدّمون لهم الخير على أطباق من ذهب إن لم يتحرّكوا هم بأنفسهم نحو بناء عالم وحدوي جديد، له مفاهيم محدّدة، واستراتيجية موحّدة، ومطالب محدّدة، رضي الآخرون والأعداء بها آنياً أم غضبوا، فإنّهم بعد بناء الوحدة الدولية الإسلامية القوية سيخضع لهم الجميع. فالعيب إذاً في تفرّقنا وبعدنا عن وحدة الدولة أو اتّحاد الدولة. وإذا تنكّرت بعض البلاد الإسلامية في مبدأ الأمر لمبدأ الوحدة أو الاتّحاد بسبب العلمانية ونحوها فإنّها في النهاية ستخضع للمنهج الوحدوي الصائب، وستقلع عن مبادئها وأنظمتها المتباعدة عن مظلّة وحدة حاكمية القرآن، إذا أُحسن تسويسها وكسبها بالمفاوضات والتفاهم والأساليب الدبلوماسية من وساطة حميدة أو تطويق سياسي».

ويقول واصفاً وحدوية بلاد الشام: «كلّ هذه البلاد، على الرغم من تباعد حدودها أحياناً، وتجاورها أحياناً أُخرى، أصبحت ـ ولله الحمد ـ تدرك إدراكاً جازماً أنّ الإسلام دين لا يتجزّأ، وأنّ أُصوله وفروعه ومواقعه النظرية والتاريخية والجغرافية والثقافية والتربوية واحدة، وأنّ منهج الوحدة الفكري والتطبيقي هو الاتّجاه السائد والمهيمن على الساحة الإسلامية، وإن وجدت جيوب ونزعات فئوية هزيلة تحاول تغذية الفرقة بين أتباع المذاهب، وإثارة النعرات المذهبية، والتورط في الاقتتال أو الاتّهام أو الانفعال المشوب بالعواطف الهوجاء، والذي قد ينجم عنه إمّا سفك بعض الدماء العزيزة أو هدم أو إحراق بعض المواقع أو المساجد الإسلامية، وهذا الاتّجاه الوعر المسالك والقاتم المظلم منشؤه: إمّا بعض آراء العلماء غير الناضجين، أو المواقف الزائغة لبعض العوام، أو التجاوب مع سموم ومساعي المستشرقين وسياسات دول الشرّ والضلال والكفر من الغرب أو الشرق؛ لإضعاف بنية المسلمين، وتسهيل السيطرة على بلادهم وثرواتهم ومقدّراتهم، وإبقائهم في حال ساخنة من البركان الساكن أحياناً والمتفجّر أحياناً أُخرى؛ لتمرير مخطّطات معسكر البغي والعدوان والاستعمار.

وإنّه لمع الأسف كانت ظاهرة التفرّق والتباعد المذهبي والاتّهام والمصنّفات أو المؤلّفات الساقطة أو المسمومة هي الرائجة أو الغالبة على الوسط الإسلامي ما قبل خمسين أو أربعين سنة، فتجد منحى الهبوط في مزلقة التكفير أو الطعن والدسّ أو السبّ والشتم أو الإساءة لنجوم الإسلام في العهود الأُولى التي لولا رجالاتها العظام المخلصون أهل التضحية والفداء لما وجد الإسلام على الساحة الواقعية الكبرى أو الصغرى، ولا في المشرق أو المغرب أو الوسط.

وفي تقديري أنّ هذه الظاهرة قد أفل نجمها وانحسر ظلّها وحلّ محلّها وعي مستنير في رحاب الصحوة الإسلامية في الثلاثين سنة الماضية، وأدرك الخاصّة من أهل العلم وبعض أو أغلب العامّة أنّ هذا الاتّجاه خطير، بل وعديم النفع، ويسيء إلى العقيدة والعبادة والأخلاق الإسلامية، ثمّ إنّه يهدّد المصلحة الإسلامية العليا، ويجرّ الأُمّة الإسلامية كلّها إلى الدمار والخراب وفقدان الوجود والذات، ويقطع أوصال المسلمين، ويزرع الفرقة والشتات والتمزّق والضياع في كلّ ما يعملون أو يخطّطون، وهو ما يطمح إليه الأعداء المجرمون الذين يعملون الآن لتفكيك لبنات الإسلام تباعاً، ويمزّقون شمل الدول الإسلامية واحدة بعد الأُخرى دون استثناء أخذاً بسياسة الانفصال واستغلال بعض السلبيات أو ألوان التخلّف والقصور، ولا سيّما تأليب الطوائف غير الإسلامية في بقاع وجودها، والتسلّل أيضاً إلى الفئات الإسلامية لإثارة المشكلات والخلافات فيما بينها؛ عملاً بقاعدة: «فرّق تسد»، والفرقة ضعف وأيلولة للسقوط.

أمّا بلاد الشام ـ ولا سيّما سورية بالذات ـ فإنّها واعية لهذه المخطّطات الإجرامية الاستعمارية، ولقد كانت سورية على ممرّ تاريخها الحديث ووجودها الآن أعمق نظراً وأكثر إدراكاً وأبعد رؤية مستقبلية لقضية الوحدة الوطنية وضرورة الحفاظ عليها وتجاوز كلّ سلبياتها وعنعناتها ومزالقها، حتّى إنّ المواطن السوري منذ فجر الاستقلال والتخلّص من الاستعمار الفرنسي في السابع عشر من نيسان (إبريل) عام ١٩٤٦م وإلى الآن لا يفكّر بأيّة فوارق بين أتباع الأديان والمذاهب والطوائف، وهذه مفخرة لسورية الحديثة المتحرّرة

والأبية.

فلا نجد مثلاً في سورية أيّ تمييز بين المسلمين وغير المسلمين في الحقوق والواجبات، ولا بين أتباع المذاهب من سنّة أو شيعة، ونجد انمحاق آثار التفرقة وخلَجاتها من كلا الفريقين. إنّ هذا النمو السياسي من القادة الحكماء، والحسّ الديني من الناس بمختلف فئاتهم، والانبعاث الحضاري والمدني من جميع المواطنين جعل سورية وكذا بقية بلاد الشام، ما عدا بعض المواقف المشبوهة الموالية للاستعمار في لبنان، في طليعة الدول العربية التي لا توجد فيها مشكلات طائفية أو مذهبية أو عنصرية».

(انظر ترجمته في: المفسّرون للأيازي: ٦٨٤ ـ ٦٩٠).

وهيبة البقاعي

وهيبة البقاعي: داعية مرشدة.

ولدت سنة ١٩٠٣م في دمشق، وقرأت على الشيخ علي الدقر وغيره، وتردّدت على الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، واشتغلت بإرشاد النساء ووعظهنّ في مساجد دمشق ومدارس الجمعية الغرّاء أكثر من نصف قرن، وأنشأت مدرسة «روضة الحياء» بحي القنوات.

توفّيت عام ١٩٩٤م.

(انظر ترجمتها في: إتمام الأعلام: ٤٧٦).

* * *

«حرف الياء»

ياسين سويلم طه

ياسين سويلم طه: عالم مصري يعدّ من كبار علماء الأزهر الشريف، توفّي في الثمانينات من القرن الماضي.

من آثاره: مختصر صفوة البيان في شرح مناهج الوصول إلىٰ علم الأُصول للقاضي البيضاوي، نشرته مكتبة الكلّيات الأزهرية في القاهرة سنة ١٣٩٣ هـ، وله بحث مسهب عن حكم شهادات الاستثمار في الإسلام، قدّمه للمؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية، كما له عدّة مقالات منشورة في مجلّة «رسالة الإسلام» التي أصدرتها دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، منها: «حكمة الوجود الإنساني وغايته»، و«عموم التشريع الإسلامي وخلوده»، و«منهج الإسلام في تحرير العقل الفكري»، و«منهج الإسلام في إصلاح عقائد الأُلوهية والربوبية»، و«لا بدّ من دين الله لدنيا الناس»، و«المسلمون بين عوامل القوّة وعوامل الضعف»، وقد نشرت هذه المقالات في المجلّة المذكورة ما بين سنة ١٩٦٠م وسنة ١٩٦٥م.

كان داعية إصلاح، وكتاباته تنمّ عن ذلك، ومن أقواله: «لقد تفرّقت كلمة المسلمين، وصاروا شيعاً وأحزاباً، وانفصمت عرى الروابط والتعاون بين شعوبهم وأوطانهم، وفسدت شؤون القيادة والتوجيه في مجتمعاتهم، وأصبح كلّ مجتمع منها يسير في حياته على غير هدى، ليس لهم قيادة موحّدة تجمع كلمتهم وتوحّد صفوفهم، ولا زعامة رشيدة توضّح لهم معالم السير على النهج القويم. نعم، كانت تظهر في الحين بعد الحين صيحة من صيحات القادة الراشدين... فعلى قادة المسلمين وزعمائهم وأُولي الأمر منهم أن يتّخذوا من القيادة الحكيمة التي سُعد بها المسلمون الأوّلون نبراساً يسيرون على هديه في قيادتهم

وإصلاحهم، لعلّ الله يعيد للمسلمين على أيديهم أمجاد سلفهم. وليس ذلك بعزيز عليهم متى صلحت النيّات، وصدقت العزائم، واستقامت العقول في نظرها وتفكيرها، وتحرّرت النفوس من رقّ الأهواء واستعباد الأغراض، وتعاونوا على جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف، وتوثيق عرى روابط الأُخوّة الإسلامية بين شعوبهم، وتطهير النفوس من العوامل التي بذرت فيهم بذور الفرقة والخلاف، وأورثتهم الضعف والانحلال».

ومن كلماته الحماسية: «أيّها المسلمون، ألم يأن لنا أن نستجيب لقول الله جلّ جلاله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)؟! فقد كفى ما صرنا إليه من فرقة واختلاف، وما وصلنا إليه من ضعف وانحلال وغفلة عن أمجاد ماضينا ومآسي حاضرنا، حتّى سلبت منّا حقوقنا ونحن عنها غافلون، واغتصبت منّا أوطاننا ونحن عن حمايتها نائمون، ورضينا بالعيش الذليل على هامش الحياة مستضعفين مستعبدين، وآن لنا أن نستيقظ من هذه الغفلة الطويلة التي استحوذت على قلوبنا وتلك النومة العميقة التي استولت على أحاسيسنا ومشاعرنا، وأن نعمل متعاونين على إحياء الروابط الإسلامية بيننا، وإحلال الوفاق والوئام محلّ الخلاف والخصام، وجمع الكلمة، وتأليف القلوب، وتنمية روح التعاون والتناصر والتراحم في مجتمعاتنا...».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٤٢١ـ ٤٢٢).

يحيى حميد الدين

يحيى بن محمّد بن يحيى حميد الدين الحسني العلوي الطالبي: ملك اليمن، الإمام المتوكّل على الله ابن المنصور بالله، من أئمّة الزيدية.

ولد بصنعاء سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م)، وتفقّه وتأدّب بها، وخرج منها مع أبيه إلى صعدة سنة ١٣٠٧ هـ، وولي الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ١٣٢٢ هـ في (قفلة عذر) شمالي صنعاء، وكانت صنعاء في أيدي الترك العثمانيّين، فهاجمها وحاصرها، فاستسلمت حاميتها ودخلها، فأعادوا الكرّة عليها، فانسحب منها رأفة بأهلها، وعيّن حسن تحسين باشا، فكان عاقلاً اتّفق مع الإمام يحيى على أن لا يعتدي أحدهما على الآخر، وهدأت المعارك. وفي

سنة ١٣٢٨ هـ عزل حسن تحسين وعيّن والٍ يدعى محمّد علي باشا، لا يقلّ قسوة عن أحمد فيضي الوالي السابق لحسن تحسين، فعادت الثورة، وحوصر الترك في صنعاء، واشتدّت المعارك، ولقيت الجيوش العثمانية الشدائد في تلك الديار، فأرسلت الحكومة العثمانية وفداً برئاسة عزّت باشا، اتّفق مع يحيى ـ وكان يومئذٍ في (السودة) شمالي صنعاء ـ على الاجتماع في (دعّان) بالشمال الغربي من عَمران، وأمضيا شروطاً للصلح أوردها الواسعي في «تاريخ اليمن»، وانتهى الأمر بجلاء الترك عن البلاد اليمنية سنة ١٣٣٦ هـ، ودخل الإمام صنعاء، وخلص له ملك اليمن استقلالاً.

كان شديد الحذر من الأجانب، آثر العزلة والانكماش في حدود بلاده. وله اشتغال بالأدب ونظم كثير. ومن كلامه: «لأن تبقى بلادي خربة وهي تحكم نفسها أولى من أن تكون عامرة ويحكمها أجنبي».

اغتيل عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) مع رئيس وزرائه القاضي العمري بتدبير من ابن الوزير وأحد أبناء يحيىٰ نفسه (إبراهيم)، ودفن في صنعاء مخلّفاً أربعة عشر ولداً يلقّبون بسيوف الإسلام.

كان يمتاز بروح وحدوية جيّدة، ومن رسالة له وجّهها إلى العالم الإسلامي: «قد استبان في هذا القرن شؤم التمزّق والاختلاف، وأنّه السبب الوحيد لتمزيق الأجانب بلاد المسلمين ثمّ الأخذ والاختطاف وانهدام ذلك المجد الشامخ والعزّ الباذخ حلّ بكثير من المسلمين ذوي العقول عظيم التأسّف والندم، ولكن بعد أن صاروا في أشراك الاقتناص وبعد زلّة القدم! لقد كان لنا معشر المسلمين أن ننظر لأنفسنا بعيون الاستبصار، وأن تجنّد آراءنا لما يكون به عزّنا وشرفنا ورجوع أيّامنا التي ارتقينا فيها صهوة كلّ عزّ وانتصار، وليس لنا إلى ذلك من سبيل إلّا باتّباع ما أرشدنا إليه الربّ الجليل، من: الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرّق والتنازع، واتّباع صراط الله المستقيم، وترك اتّباع المتفرّقة المضلّة عن سبيله، كما جاء في الذكر الحكيم، وإدارة كلّ شؤوننا على منهاج شريعة الله عبادةً ومعاملةً ودفاعاً،

وكفى بهدى الله لنا وسيلة إلى نيل كلّ مطلوب، ورفع كلّ مخوف مرهوب».

(انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٨: ١٧٠ ـ ١٧١، موسوعة السياسة ٧: ٤٠٠ ـ ٤٠١، مرآة الشام: ٢٠٧، معجم السياسيّين المغتالين: ٦٩٠ ـ ٦٩١، أئمّة اليمن: ٥ ـ ١٦، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٦٧١ ـ ١٦٧٢، موسوعة الأعلام ٢: ١٥٠م المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

يحيى الخشّاب

الدكتور يحيى الخشّاب: رئيس معهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد الأوّل (جامعة القاهرة)، وأُستاذ اللغة والأدب الفارسي في هذه الجامعة، وداعية تقريب.

ولد في مصر، ونشأ وتعلّم في بلده، ثمّ سافر إلى فرنسا للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون، وحصل عليها عن رسالة قدّمها للجامعة تدور محاورها حول حياة وآثار ناصر خسرو.

ويذكر الأُستاذ عبد الوهاب عزّام: أنّ الخشّاب يعدّ من الطراز الأوّل لأساتذة اللغة الفارسية في مصر.

وقد قام بترجمة وتصحيح ونشر ومراجعة العديد من الآثار التي دوّنت باللغة الفارسية، وبمشاركة صديقه الأُستاذ صادق نشأت، ومن تلك الآثار: سفر نامه، ابن سينا ونسخ خطّي إيران، مفهوم إسلامي حكومت، جامع التواريخ، إيران در عهد ساسانيان، تاريخ بخاري، جهار مقالة، نامه تنسر.

وقد قامت مجلّة «رسالة الإسلام» القاهرية التابعة لجماعة التقريب بين المذاهب بنشر بعض مقالاته.

كان يقول: «إنّ الإسلام موزّع بين أُمم كثيرة تختلف في تقاليدها وأهدافها وسياستها، ولكنّها تتّفق في مثلها الأعلى المستمدّ من الدين، وكفى بالإسلام أنّه السلامة والسلام».

ويقول أيضاً في سفرة له إلى إيران: «كنّا من أُمم مختلفة، من مصر والباكستان وإيران، وكنّا جميعاً مأخوذين بعظمة الله ونحن في بيته (المسجد)، وأحسسنا جميعاً بأرواحنا صافية من الشوائب طاهرة راضية واعية، وأدركنا جميعاً أنّ ما نحن فيه من صفاء روحي

جدير بأن يحفّزنا على أن نكون جميعاً، أن نكون جميعاً ما دام الإسلام ديننا. ألسنا نقف إلى قبلة واحدة، ونصلّي صلاة واحدة، وندعو إلهاً واحداً، وندين برسالة نبي واحد، ونقصد كعبة واحدة؟! ألسنا نفزع إلى ربّ واحد إذا مسّنا ضرّ أردنا كشفه؟! ألسنا نحمد إلهاً واحداً إذا حمدنا؟! وبين صحونا ونومنا ألسنا ننهج في الحياة هدياً واحداً نستمدّه من قرآن واحد؟! كنّا شعوباً مختلفة، ولكنّا أُمّة مسلمة واحدة... إنّ مصدر الألم واحد عندنا جميعاً، وأملنا واحد أيضاً، والطريق إلى بلوغ ما نصبو إليه جدّ يسير. ولقد كنّا في الهند وفي إيران وفي تركيا وفي مصر رسل الحضارات القديمة قبل الإسلام، فلمّا انتشرت رسالة النبي ﷺ كانت أُممنا حفظة لحضارة الإسلام، وبلغاتها دوّنت المدنية الإسلامية. ولا شكّ أنّ إذكاء الروح الديني في نفوس المتعلّمين سيوجد جيلاً من المسلمين يعمل على أن تتّحد الأُمّة وتكون للإسلام الكلمة العليا، على الأقلّ بين أهله. وإذا كان الحلفاء في الحرب الأخيرة قد أعلنوا أنّ حربهم إنّما هي حرب المسيحية ضدّ النازية، فلتكن وحدتنا الإسلامية أيضاً قوّة ضدّ من يعتدي علينا، ولتؤازرنا في النهوض بشعوبنا والدفاع عن مصالحها. وإنّ أُمّة تمتدّ من المحيط الأطلسي حتّى الصين كفيلة ـ لو اتّحدت كلمتها ـ أن ترفع صوتها في عالم يسعى اليوم إلى التكتّل سعياً، وليس لتكتّله من أساس كالدين الذي ندين به جميعاً».

(انظر ترجمته في: مجلّة «رسالة الإسلام» / السنة: ١ / صفحة: ٣١١ والسنة: ٢ / صفحة: ٣١٣، كشّاف مجلّة «رسالة الإسلام»: ١١٩).

يوسف الدجوي

يوسف الدجوي: مفكّر ومصلح مصري معروف.

وُلد بقرية (دجوة) من أعمال قليوب بمصر سنة ١٢٨٧هـ(١٨٧٠م) من أب ينتمي إلى بني حبيب، وأُمّ يرجع نسبها إلى الإمام الحسن السبط ﷺ، وقد أُصيب بفقد بصره في صغره بمرض الجدري فَعَزّاه والده بأنّه سيلتحق بالأزهر ليكون عالماً جليلاً، وبدأ بذلك حين أتمّ حفظ القرآن سنة ١٣٠١هـ، فتلقّى العلم على كبار أساتذة الأزهر إذ ذاك، كسليم البشري، ورزق بن صقر البرقامي، وعطية العدوي، ومحمّد البحيري، وهارون البنجاوي، وأحمد

الرفاعي الفيّومي، ومحمّد طمّوم، وأحمد فايد الزرقاني .. ثمّ حاز درجة العالمية سنة ١٣١٣هـ ونالها بتفوّق عظيم، حتّى قصد منزله كبار العلماء ممّن امتحنوه ليشهدوا بنبوغه الملحوظ، وكان منهم الشيخ راضي الحنفي.

ولمّا أسّست المشيخة الأزهرية مجلّة «الأزهر» كان أوّل من وقع اختيارها عليه للتحرير بها الأُستاذ الدجوي، فكتب فيها البحوث الممتعة في الدين والتفسير والحكمة، وبقي على موافاتها حتّى وفاته، وقد تُرجم له قلم الترجمة بالمجلّة كتابه القيّم «رسائل السلام» إلى اللغة الإنجليزية، وطبعت منه عشرة آلاف نسخة بعثت بها لمن لا يقرأون العربية من الأجانب الراغبين.

وقد اشتهر الشيخ في صدر شبابه؛ لأنّه تصدّر لإلقاء دروس في التفسير بالرواق العبّاسي بالأزهر اقتداء بالإمام محمّد عبده بعد رحيله بأمد واسع، فأُخِذ الطلاب بروعة ما ألقى، وكتبوا من تفسيره الشي الكثير، وقد ذكر ابن أخيه الشيخ عبد الرافع الدجوي أنّه جمع من تفسيره في عام واحد فقط أربعين كرّاسة، وهو يحاول طبعها فلا يجد المستجيب!

أخذ عنه جمع غفير، منهم: محمّد أحمد عليوة، وعبد الله عفيفي، وعبد الوهاب عبد اللطيف، وصالح موسى شرف، وغيرهم.

وهو عالم شغل معاصريه بكثرة ما ألقى من الدروس الدينية والمحاضرات العلمية، وما أصدر من الفتاوى الفقهية؛ إذ كان مرجعاً أميناً للفتوى، تصدر إليه عشرات الأسئلة شهرياً، فيجيب عليها بوثوق، ولو جمع ما كتب في هذا المجال لكان كنزاً ثميناً على حدّ تعبير الدكتور محمّد رجب البيّومي.

وعندما توفّي الشيخ بعزبة النخل (من ضواحي القاهرة) شيّع باحتفال مهيب، وكان ذلك في عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٦م، ودفن في عين شمس.

أمّا ما يتعلّق بآرائه واتّجاهاته الفكرية: ففي أثناء تدريسه بالأزهر ألّف جمعية دينية سمّاها «جمعية النهضة الإسلامية»، واختار لها ذوي الغيرة من رجال مصر، فكانت أُختاً لسابقتها «جمعية مكارم الأخلاق»، فأدّيتا رسالة جليلة في مقاومة التبشير الذي شجّع

الاحتلال الإنجليزي ذيوعه على نحو أقلق الغيورين ، فكان الأساتذة : يوسف الدجـوي ، وعبد الوهاب النجّار ، وزكي سند ، ممّن صمدوا لدفع افـتراءات التـبشير . ومـن الشـباب الأزهري الذين تربّوا في « جمعية النهضة » الأساتذة : محمود أبو العـيون ، وعـلي سـرور الزنكلوني ، وعبد الباقي سرور نعيم ، وعبد الله عفيفي . . وكلّهم قـد احـتلّ مكـاناً مـرموقاً بجهاده النبيل ، وبتوجيه الشيخ يوسف في اجتماعاته الليلية بدار النهضة !

أمّا ثقة الأزهر به فقد كانت في أعلى درجاتها ؛ إذ انتدبه شيخ الأزهر الأُسـتاذ سـليم البشري لوضع كتاب يبيّن حقائق الإسلام استجابةً لرسالة باحث أمريكي هو « إيـفان . م . دي » اعتنق الدين ويريد التعمّق في مسائله ؛ لأنّه يعيش في وسط يناقشه بما لا يملك أن يدفع به ، فرحّب الدجوي باختياره ، وكتب في أيّام معدودة كتابه الشهير « رسائل السلام » متحدّثاً عن عالمية الدين ، وكيف جاء لهداية البشرية جميعاً في كلّ زمان ومكان ، ثمّ أفاض في ذكر آداب الإسلام وأوامره ونواهيه ، وخصّ الجانب الأخلاقي بتفصيلٍ شـافٍ . وكـان كتاب الدجوي بعد ما كتبه الأُستاذ الإمام من قبل من أحسن الكتب الهادية إلى دين الله .

ثمّ قامت « جمعية الشبّان المسلمين » بالقاهرة واعتمدت على المحاضرات العـلمية التي يلقيها كبار العلماء توجيهاً للشباب المفتون بشبهات الغرب ، وكان الشيخ الدجوي من فرسان هذه الحلبة ، وقد اختار الأُستاذ محبّ الدين الخطيب طائفة من هذه المـحاضرات صدرت في جزءين تحت عنوان « المنتقى » ، ومن بـين مـختاراتـها مـحاضرات الأُسـتاذ الدجوي !

ثمّ راجت في مصر أُسطورة « داروين » عن نشأة الإنسان ، ولاقت إعجاب من يكتفون بالقشور عن اللباب ، فانبرى الأُستاذ لتفنيدها في عدّة محاضرات ، انـتفع فـيها بـما قـاله معارضوه من الغرب ، مستشهداً بآراء العلّامة « كاميل فلامريون » وغيره . . ولعلّ هذا وأمثاله ما دعا الأُستاذ محمّد فريد وجدي أن يقول في تأبينه : « ومن مميّزات الفقيد أنّه يأنس إلى البحوث النفسية الحديثة في أوروبّا ، ويراها خير أداة لكسر شوكة الماديّين ، وقد اعتمد في كتاباته على ما حقّقوه منها ، ولا يخشى في ذلك لومة لائم » .

ولم يتقيّد الشيخ بالمذهب المالكي في فتاويه الفقهية، بل امتدّ نظره إلى المذاهب المختلفة ليختار منها ما ترجّح لديه بالدليل.

على أنّ الشيخ لم يكن من ذوي التعصّب لرأيه، بل كان يقدّم فتاويه بأنّها محض اجتهاد، وأنّ رأيه ليس الأوحد الذي لا تحيّد عنه، وأنّه حين يسأل عن حكم فقهي يذكر ما يرجّحه من آراء العلماء في هذا الحكم. وليس معنى ذلك أن لا خلاف فيه، بل معناه أنّ المختار هو ما يتّجه إليه. ثمّ ينصح قارئه بأن يعلم «أنّ المجتهد الذي يأخذ من الكتاب والسنّة لا بدّ أن يكون عالماً بمواقع العموم والخصوص والإطلاق والتقييد، عارفاً كلّ حديث، باحثاً عمّا عسى أن يكون فيه من علّة خفية لا يعرفها إلّا دُقّاق الحفّاظ، عالماً بطرق الترجيح ليقدّم بعضها على بعض عند التعارض». وهو بذلك يردّ على من يقول عن خطأ واضح: إنّه يكتفي بالحديث والقرآن عن كتب المذاهب! وهو عن القرآن والحديث بمكان بعيد.

من مؤلّفاته: خلاصة علم الوضع، تنبيه المؤمنين لمحاسن الدين، سبيل السعادة، رسائل السلام ورسل الإسلام، رسالة في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٣)، صواعق من نار في الردّ على صاحب المنار، الجواب المنيف في الردّ على مدّعي التحريف في القرآن الشريف، الردّ على كتاب «الإسلام وأُصول الحكم»، مفاهيم إسلامية: مقالات وفتاوى.

ومؤلّفاته كثيرة، ولكن فضله أكبر منها؛ لأنّ دروسه كانت ذات استفاضة لم تتح له عند التأليف وهو منفرد يملي، وقد لاحظ ذلك الدكتور زكي مبارك فيما كتبه في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، وهي تتحدّث عن مسألة دقيقة من مسائل علم الكلام.

وإذ كانت هذه الكتب محدودة الانتشار بعد انقضاء أكثر من سبعين عاماً على طبعها، فقد أحسن الأُستاذ الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود حين أمر بجمع كثير من مقالات الشيخ في مجلّدين كبيرين تحت عنوان «مفاهيم إسلامية: مقالات وفتاوى»، وقد جاء المجلّد

الأوّل في سبع مائة واثنتين وثلاثين صفحة، وجاء المجلّد الثاني فـي ثـمان مـائة وأربـع وأربعين من الصفحات.

وبمراجعة الجزء الأوّل نجد أنّه بدأ بما كتبه الأُستاذ عن الإلهيات، حيث خاض فـي مسائل دقيقة تتحدّث عن ضرورة الإيمان والردّ على الطبيعيّين في نكران الحقائق اليقينية، وعن البعث، وحرّية الإنسان، والقضاء والقدر، والتوسّل، والاستغاثة، وتوحيد الأُلوهية، وتوحيد الربوبية، ومقرّ الأرواح بعد الموت، وتنزيه الله تعالى عن المكان والجهة، والتنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح، وأفعال العباد، والشرك وعـقوبته الأُخـروية، وحـاجة الإنسان إلى الشريعة.

ثمّ جاء بعد هذا الباب جزء ممتع عن النبوّات بعد الإلهـيات، إذ أفـاض الشـيخ فـي مقالات عن نبوّة خاتم الأنبياء ﷺ وعن المعراج، وقصص الأنبياء، وحياتهم فـي القـبر، والإسراء والمعراج، وعن مواقف رائعة لرسول الله ﷺ تؤكّد صدق نبوّته، وغيرها.

أمّا الجزء الثالث فخاصّ بالتفسير، حيث صدرت عن الشيخ شروح شافية لسور كثيرة من جزء عمّ، وفيها استطرادات مليئة بالعبر النافعة، وختم الجزء الرابع بما جمع من فتاوى الشيخ الفقهية، وقد امتدّت من ص٣٨٩ إلى ص٨٤٠. فشملت من القضايا ما يعالج شؤون العصر.

وأخيراً قال عنه د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي: «كان مفسّر الأزهـر ومـحدّثه، بـل فيلسوفه وكاتبه وخطيبه، كما كان موضع ثقة الجماهير الإسلامية في شتّى الأقطار».

(انظر ترجمته في: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ١: ٨٦٧، المراجعات الريحانية ٢: ٢٩٥ ـ ٣١٠، الأعلام الشرقية ١: ٤٢٢ ـ ٤٢٣، الأزهر في ألف عام ٢: ٥١ ـ ٥٦، الأعلام للزركلي ٨: ٢١٦ ـ ٢١٧، معجم المؤلّفين ١٣: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، معجم المفسّرين ٢: ٧٤٢، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٨٩٨ـ ٨٩٩، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٢: ١٤٣ ـ ١٦٠، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: ١١٧٩ ـ ١١٨٢، نثر الجواهر والدرر ٢: ١٦٧٥ ـ ١٦٧٨).

يوسف شانج

يوسف شانج: الداعية الإسلام الصيني، والمحسن الكبير. أطلق عليه المسلمون في الصين لقب: «المسلم الحقّ».

ولد سنة ١٨٩٧م لأُسرة فقيرة محافظة ببكّين. وعمل ـ وهو مايزال صغير السنّ ـ من أجل جمع ثروة يستخدمها في الترويج للإسلام ونشر رسالته طوال حياته. ولقد درس اللغة العربية في المسجد لمدّة ستّ سنوات، كان أثناءها يمتهن صقل وتلميع الأحجار الكريمة في أحد المصانع المتخصّصة ببكّين، وأخيراً حالفه الحظّ ليصبح أكبر تجّار الأحجار الكريمة في الصين بدءاً من عام ١٩١٩م، وأصبح محلّه المسمّى «ينج باوتساوي» أحد معالم بكّين الرئيسية، قبل أن ينقل أعماله إلى تايبيه بعد اجتياح الشيوعيّين للصين. كما قام بفتح فرع له في هونج كونج عام ١٩٥٠م أسماه «شو باوتساي»، وأخيراً بدأ نشاطه التجاري في لوس أنجلوس عام ١٩٦٧م.

في عام ١٩٢٧م قام بدعم مدرسة «شنج تاه» النظامية الإسلامية عندما انتقلت من تسينان إلى بكّين، وكانت آنئذٍ المدرسة الوحيدة التي يتدرّب فيها المدرّسون المسلمون على تأدية الفرائض والعبادات والشعائر الإسلامية.

وفي خلال حرب المقاومة ضدّ اليابان التي استمرّت ثماني سنوات ـ وكانت جزءاً من الحرب العالمية الثانية ـ تنقّل بين شنج كنج وبكّين لكسب تأييد المسلمين لحكومة جمهورية الصين، واعتقلته الشرطة العسكرية اليابانية ذات مرّة في شنغهاي.

وانتخب رئيساً لجماعة العلماء التابعة للاتّحاد الإسلامي الصيني ببكّين عام ١٩٤٧م، وانتخب بعد ذلك بعام عضواً بالجمعية الوطنية التشريعية بجمهورية الصين، وأسّس مستشفى ومدرسة للبنات في بكّين قبل سقوط المدينة في أيدي الشيوعيّين.

وهو الذي بدأ حملة في بكّين من أجل العرب في عام ١٩٤٧م عندما صوّتت الأُمم المتّحدة لصالح مشروع تقسيم فلسطين، وقام عشرات الآلاف من المسلمين الصينيّين وأصدقائهم بمظاهرة ضخمة في الشوارع لصالح القضية الفلسطينية، وبلغ طول الموكب

الذي قاده يوسف حوالي سبعة كيلو مترات.

وعندما أتى كثير من المسلمين إلى تايوان قادمين من الصين الأُمّ عام ١٩٤٩م لم يكن هناك مسجد واحد يستطيعون فيه القيام بصلاة الجماعة، وعلى الرغم من أنّ الإسلام دخل تايوان بواسطة كوكسينجا عام ١٦٦٢م، فإنّ «المانشو» كانوا يضطهدون المسلمين في الجزيرة، لدرجة أنّ قليلاً منهم كانوا يجهرون بأدائهم لأركان الإسلام الخمسة.

وأيضاً عندما استولت اليابان على الجزيرة عام ١٨٩٥م لم تشجّع ممارسة شعائر الإسلام. وعندما أتى يوسف إلى تايبيه عام ١٩٤٨م لم يكن للمسلمين في المدينة مكان يتعبّدون فيه، وبعد عام واحد من وصوله أنشأ مسجداً صغيراً تطوّر فيما بعد حتّى أصبح في ١٣/أبريل/١٩٦٠م المسجد الكبير في تايبيه.

وفي عام ١٩٧٦م أسّس المؤسّسة الإسلامية الصينية الثقافية والتعليمية، وأوقف عليها ميزانية ضخمة لخدمة أغراضها، وخلال ثلاثة عشر عاماً حصل أكثر من ١٥٠٠ طالب مسلم على منح المؤسّسة، من بينهم ٦٠ طالباً تمّ اختيارهم بواسطة الاتّحاد الصيني الإسلامي للدراسات لتلقّي مكافآت المؤسّسة النقدية وجوائزها. والمؤسّسة الإسلامية الصينية بآسيا عضو بجامعة الباسفيك الإسلامية، وهي أيضاً من الهيئات الناشطة في تبادل ونشر الأدب الإسلامي العالمي. وقد اختار المسلمون الشيخ يوسف رئيساً فخرياً للاتّحاد الإسلامي الصيني؛ لاسهاماته الإسلامية.

توفّي في لوس أنجلوس بأمريكا سنة ١٩٩٠م.

(انظر ترجمته في: تتمّة الأعلام ٢: ٣١٣ـ٣١٤، إتمام الأعلام: ٤٨١، نثر الجواهر والدرر ٢: ٢١٨٩ـ٢١٩٠).

يوسف القرضاوي

الدكتور الشيخ يوسف عبدالله يوسف علي القرَضاوي: عالم وداعية إسلامي كبير.

ولد في قرية «صفد تراب» مركز المحلّة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية المصرية، وذلك بتاريخ ٩/٩/١٩٢٦م، ومات والده وعمره عامان فكفله عمّه، وتعلّم أوّل أمره في

الكتاتيب بعد أن حفظ القرآن وهو دون سنّ العاشرة، ثمّ انتقل إلىٰ معهد طنطا الأزهري، وانخرط في صفوف جماعة الإخوان المسلمين وهو صغير السنّ، ودرس في الأزهر الشريف، حيث التحق بكلّية أُصول الدين، ومنها حصل على العالمية سنة ١٩٥٣ م، وحصل على إجازة التدريس من كلّية اللغة العربية عام ١٩٥٤ م، وعلى دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب سنة ١٩٥٨م، وحصل على شهادة الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنّة من كلّية أُصول الدين سنة ١٩٦٠ م، وفي سنة ١٩٧٣ م حصل على شهادة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأُولى من نفس الكلّية.

وكان من جملة أساتذته: الشيخ حامد أبو زويل، والشيخ عبد المطّلب البتّة، والبهي الخولي، والشيخ محمّد متولّي الشعراوي، والدكتور عبد الحليم محمود، والشيخ سيّد سابق، والشيخ محمّد الغزالي، والدكتور محمّد البهي، والشيخ محمود شلتوت، والدكتور محمّد عبدالله دراز.

ومن تلامذته: الدكتور علي القره داغي، والدكتور عصام البشير، والدكتور أحمد الحمّادي، والدكتور خالد السعد، والشيخ مجد مكّي، والشيخ أكرم كسّاب.

وقد تزوّج عام ١٩٥٨ م بمصرية اسمها إسعاد عبد الجواد، ورزق سبعة أولاد، أربع إناث (إلهام وسهام وعلا وأسماء) وثلاثة ذكور (محمّد وعبد الرحمان وأُسامة). كما تزوّج بثانية ـ وهي أسماء الجزائرية ـ أواسط الثمانينات.

من مؤلّفاته: أثر الإيمان في حياة الفرد، الإخوان المسلمون: سبعون عاماً في الدعوة والتربية والجهاد، فوائد البنوك هي الربا الحرام، الحلال والحرام في الإسلام، فتاوى معاصرة، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، فقه الزكاة، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، نحو موسوعة للحديث النبوي، الشفاعة بين العقل والنقل، ثقافة الداعية، الصحوة الإسلامية من المراهقة إلىٰ الرشد، الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، المسلمون والعولمة، الإسلام حضارة الغد، الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، الشيخ

محمّد الغزالي كما عرفته، يوسف الصدّيق (مسرحية شعرية)، رسالة في مبادئ التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وبعد تضييق الخناق على الشيخ في مصر هاجر إلىٰ قطر سنة ١٩٦١م، وعمل فيها مديراً للمعهد الديني الثانوي، وحصل على الجنسية القطرية، وتولّى سنة ١٩٧٧م تأسيس وعمادة كلّية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وبقي عميداً لها إلى نهاية عام ١٩٩٠م، وأصبح بعد سنوات مديراً لمركز بحوث السنّة والسيرة النبويّة بجامعة قطر.

له عدّة وظائف، منها: عضوية مجلس الأُمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أُكسفورد، وبناية رئاسة الهيئة الشرعية العالمية للزكاة في الكويت، ورئاسة مجلس أُمناء الجامعة الإسلامية الأميركية، ورئاسة هيئة الرقابة الشرعية للبنك الإسلامي في قطر والبحرين، ورئاسة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، ورئاسة الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضوية مجمع البحوث الإسلامية في مصر، وعضوية مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة، وعضوية مجلس الأُمناء لمنظّمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا.

وقد حصل على عدّة جوائز على خدماته، كجائزة البنك الإسلامي للتنمية في الاقتصاد الإسلامي، وجائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية (بالاشتراك)، وجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وجائزة العطاء العلمي المتميّز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

يقول الشيخ القرضاوي: «إنّ هناك قواعد للتقريب بين المذاهب الإسلامية، من المفروض أن لا يخلو منها برنامج التقريب بين المذاهب الإسلامية.

ومن هذه القواعد ما يلي:

١ ـ حسن الفهم، أي: حسن التعرّف على حقيقة موقف الطرف الآخر، وذلك بأخذ هذا الموقف من مصادره الموثّقة، أو من العلماء الثقات المعروفين، لا من أفواه العامّة، ولا من الشائعات، ولا من واقع الناس، فكثيراً ما يكون الواقع غير موافق للشرع الحنيف.

٢ ـ حسن الظنّ بين الطرفين، ذلك أنّ الإسلام يقيم العلاقة بين أبنائه على حسن الظنّ، بمعنى: أن يحمل حال غيره على أحسن المحامل وإن كان يحتمل معنى آخر وتصوّراً معيّناً.

٣ ـ التركيز على نقاط الاتّفاق، لا على نقاط التمايز والاختلاف، سيّما مع وفرة وكثرة نقاط الاتّفاق.

٤ ـ التحاور في المختلف فيه، وهذا ما ركّز عليه الكثير من دعاة الإصلاح والتقريب، كمحمّد رشيد رضا وحسن البنّا، فكلّ مختلف فيه قابل للحوار إذا كان الحوار جادّاً ومخلصاً في طلب الحقيقة بعيداً عن التعصّب والانغلاق.

٥ ـ تجنّب الاستفزاز من أحد الطرفين للآخر، فالحوار المنشود يقتضي أن يتوخّىٰ كلّ من الطرفين في خطاب الآخر تجنّب العبارات المثيرة والكلمات المحدثة للتوتّر في الأعصاب وللإيغار في الصدور، واختيار الكلمات التي تقرّب ولا تباعد وتجمع ولا تفرّق.

٦ ـ البعد عن شطط الغلاة والمتطرّفين من كلا الفريقين الذين يثيرون الفتن في حديثهم وكتاباتهم، والقرب من المعتدلين من أهل البصيرة والحكمة الذين ينظرون إلىٰ الأُمور بهدوء وعقلانية ووسطية ومن جميع الزوايا، لا من زاوية واحدة.

٧ ـ المصارحة بالحكمة، فينبغي أن يصارح بعضنا الآخر بالمشاكل القائمة والمسائل المعلّقة والعوائق المانعة، ومحاولة التغلّب عليها بالحكمة والتدرّج والتعاون المفروض شرعاً بين المسلمين بعضهم مع بعض.

٨ ـ الحذر من دسائس الأعداء وكيدهم الذين لا يريدون الخير للأُمّة الإسلامية، بل دأبهم على تفريق الجمع وتشتيت الشمل وتمزيق الصفوف.

٩ ـ ضرورة التلاحم في وقت الشدّة والعسرة والمحنة، والوقوف صفّاً واحداً حال ذلك».

(انظر ترجمته في: الموسوعة العربية العالمية ١: ٣٦٢، رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي: ٩١ ـ ٩٦، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ١٠ ـ ١١ و٤٢٣ ـ ٤٢٥).

يوسف الكتّاني

يوسف الكتّاني: محامٍ وأُستاذ للتعليم العالي، وكاتب إسلامي متخصّص، وداعية وحدة.

ولد سنة ١٩٤١م بالمغرب، وحصل على إجازة في الحقوق من القاهرة ـ جامعة عين شمس سنة ١٩٦١م، وعلى دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية (الحديث وعلومه) ـ دار الحديث الحسنية (الرباط) سنة ١٩٨٠م.

وهو محامٍ بهيئة المحامين بالرباط، وأُستاذ جامعي لعلم الحديث في قسم الدراسات العليا، ورئيس شعبة القرآن والسنّة والأُصول بكلّية الشريعة ـ جامعة القرويّين لمدّة عشر سنوات، وعضو المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب، ورئيس جمعية الإمام البخاري، ورئيس جمعية الصداقة والأُخوّة المغربية ـ المصرية، وعضو هيئة الإعجاز العلمي للقرآن بمكّة المكرّمة، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر، وعضو المجلس العالمي للدعوة والإغاثة ـ القاهرة.

شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات في مختلف الدول العربية والإسلامية في: المغرب، ومصر، والمملكة العربية السعودية، وتونس، والجزائر، وسوريا، ولبنان، والسنغال، والولايات المتّحدة الأمريكية، وإسبانيا، وغيرها.

من مؤلّفاته: معالم إسلامية، رباعيات الإمام البخاري، منهج الإمام البخاري في علم الحديث، الإمام الخطّابي رائد شرّاح صحيح البخاري، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، أعلام السنن للإمام محمّد الخطّابي أوّل شرح لصحيح البخاري، كلمات صحيح البخاري، الإمام البخاري وجامعه الصحيح.

يقول في مجال التقريب: «أفهم من عملية التقريب بين المذاهب الإسلامية أنّها الانفتاح على الإسلام بمعناه الواسع، عندئذٍ سوف نفهم حجم ما بيننا من اشتراك. أرى أنّ مثل هذا الانفتاح الواسع سوف يرفعنا إلى هموم كبيرة وآمال واسعة وطموحات بعيدة وضعها الإسلام نصب أعيننا، عندئذٍ سوف نتحرّك على طريق تحقيق هذه الآمال

والطموحات، وسوف ننسىٰ ما بيننا من خلافات بعضها طبيعي وبعضها مفتعل. إنّ العلاقات بين المذاهب كانت سلمية طبيعية علمية يوم أن كانت أمام المجتمع المسلم أهداف كبرىٰ، وكان التعاطي المشترك في الأفكار والآراء قائماً على أفضل وجه. أمّا حين انهار العالم الإسلامي أمام المستعمرين وفقد مسيرته الرسالية برزت الخلافات وتضخّمت وأصبحت كأنّها تجعل من المذاهب المتعدّدة في الدين الواحد أدياناً متعدّدة».

(انظر ترجمته في: المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٤٢٥).

يوسف محمّد

يوسف محمّد: داعية إسلامي هندي.

ولد سنة ١٩٠٨م في الهند، وتعلّم حتّى غدا عَلَماً في بلاده.

وهو عضو المجلس الاستشاري لعموم الهند، وأمير الجماعة الإسلامية فيها. وعضو أعلى للمساجد في رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرّمة.

توفّي سنة ١٩٩١م.

(انظر ترجمته في: إتمام الأعلام: ٤٨٣).

يوسف محمّد عمرو

القاضي الدكتور الشيخ يوسف محمّد عمرو: مفكّر إسلامي لبناني، وداعية وحدة.

ولد في بلدة المعيصرة من فتوح كسروان سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ). وكسروان كانت مركزاً مهمّاً للشيعة، وهي بلادهم وفيها أرزاقهم، وجلّ العوائل التي رحلت إلى بلاد بعلبك كانت قد زحفت من بلاد كسروان، ولا تزال مقابر أجدادهم وآثارهم باقية حتّى اليوم، ولا يزال بعض القرى عامرة بهم، ومن جملة تلك القرى «المعيصرة» بلدة المترجم له.

درس علومه الابتدائية في مدرسة البلدة الرسمية ودروسه التكميلية في جونيه. أمّا الثانوية فقد أكمل قسماً منها في النويري في بيروت، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى دراسة العلوم التجارية، فحصل على شهادتها الأُولى.

تفقّه على يد الشيخ عبد الكريم شمس الدين، حيث درس عليه القسم الأوّل من

العبادات، ثمّ التحق بطلّاب العلوم الدينية سنة ١٩٦٧ م، فدخل المعهد الشرعي الذي أسّسه السيّد محمّد حسين فضل الله في محلّة النبعة من منطقة برج حمّود في بيروت الشرقية، فدرس المقدّمات على يد: الشيخ محمّد شهاب، والشيخ عبد المنعم مهنّا، والسيّد محمّد حسين فضل الله. وقد كان بالإضافة إلى تحصيله العلمي يقوم بإرشاد الناس ووعظهم في منطقته وفي المناطق الأُخرى من بيروت.

ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف في أوائل شعبان سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، ودرس السطوح على يد كلّ من الأساتذة: السيّد جمال الخوئي (نجل السيّد الخوئي، حيث درس عليه اللمعة وشرح التجريد وبحث المكاسب المحرّمة من كتاب المكاسب)، وعلى السيّد جواد فضل الله، والشيخ يوسف الفقيه، والسيّد علي مكّي، والسيّد محمّد سعيد بن محمّد علي الحكيم، والشيخ مفيد الفقيه، والسيّد مهدي الخرسان، والسيّد علاء الدين بحر العلوم، والسيّد كاظم الحائري.

ثمّ تلقّى دروس الخارج على السيّد أبي القاسم الخوئي من سنة ١٣٩٤ هـ إلى ١٣٩٨ هـ، وفي نفس الوقت كان يحضر دروس الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، كما حضر دروس السيّد نصر الله المستنبط، ولكنّه لازم السيّد الصدر، وتعلّم منه الفقه والأُصول والأخلاق والوعي الاجتماعي والسياسي، ويتذكّر دائماً اللحظات التي عاشها في خدمة السيّد الصدر ﷺ.

عاد إلى بلده لبنان أواخر سنة ١٣٩٨ هـ بسبب ممارسات النظام الحاكم في العراق، ولمّا كان توّاقاً إلى العلم عاد ليحضر دروس السيّد محمّد حسين فضل الله على مستمسك العروة الوثقى للسيّد محسن الحكيم.

تعيّن قاضياً شرعياً في المحكمة الجعفرية سنة ١٩٨٥ م، ولا يزال حتّى اليوم يمارس عمله التبليغي في بلدته المعيصرة، وأسّس فيها مدرسة، كما أقام في بلدة علي النهري في البقاع سنة كاملة (١٩٨١ م - ١٩٨٢ م)، وهو مدير المركز الإسلامي في جبيل، وله مؤلّفات مطبوعة ومخطوطة، منها تقريراته لأبحاث السيّد الصدر ﷺ، ومنها كتابه «المسيح الموعود

والمهدي المنتظر »، وكتابه «الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدّيات (النجف الأشرف نموذجاً)»، وهذا الكتاب نشرته دار المنهل اللبناني ببيروت، ويقع في ٢٤٧ صفحة. وذكر أنّ اسم الكتاب كان سابقاً «الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدّيات»، وقد كان مجموعة مقالات كتبت خلال أربعة عشر عاماً في عدّة مجلّات صادرة في بيروت، غير أنّ ما حدث في العراق كان الهاجس الأكبر والهمّ الأعظم لكلّ مسلم غيور على الوحدة الإسلامية، فكانت المقالات الحالية للمؤلّف حول النجف الأشرف وماضيه وحاضره ومستقبله، ومواقف مراجعه الأعلام من الوحدة الإسلامية، ومحاربتهم للغزو الثقافي والانحلال الأخلاقي لقوّات التحالف الغازية لأرض الرافدين.

والكتاب يقع في ثلاثة حقول: النجف الأشرف، تأمّلات وأفكار وحدوية مشفوعة بذكر بعض أعلام الوحدة الإسلامية في لبنان، الفكر الوحدوي عند الإمامين الخميني والخامنئي.

(انظر ترجمته في: تلامذة الشهيد الصدر: ٣٥٦ ـ ٣٥٩، المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب ٢: ٤٠٠ ـ ٤٠١).

يوسف ندا

يوسف مصطفى علي ندا: مهندس زراعي، ورجل أعمال مصري، يحمل الجنسية الإيطالية، ومقيم في كامبيونا الإيطالية الواقعة في سويسرا، وهو مفوّض العلاقات الدولية في جماعة الإخوان المسلمين، وأحد الدعاة للوفاق بين السنّة والشيعة.

ولد في الإسكندرية عام ١٩٣١م، وانتمى لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٧م، وشارك في القتال ضدّ البريطانيّين في منطقة قناة السويس بداية الخمسينات، واعتقل مع الكثير من الإخوان المسلمين بعد اتّهامهم بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية في أُكتوبر عام ١٩٥٤م، وقضى ما يقرب من عامين في السجن، وأُفرج عنه في أبريل عام ١٩٥٦م.

بدأ نشاطه التجاري بعد خروجه من المعتقل، وأنهى دراسته الجامعية في كلّية الزراعة

بجامعة الإسكندرية .

وفي أغسطس عام ١٩٦٠م قرّر ندا الهجرة من مصر ، فذهب بدايةً إلى ليبيا ، ومنها إلى النمسا ، حيث بدأ نشاطه التجاري يتوسّع بين البلدين ، حتّى لُقِب نهاية الستّينيات بأنّه ملك الأسمنت في منطقة البحر المتوسط .

تمكّن ندا من الهرب من ليبيا حينما اندلعت ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩م إلى اليونان ، حيث التقى برئيسها (بابا بيلوس) ، ثمّ انتقل للإقامة في (كامبيونا) الإيطالية التي تقع داخل الحدود السويسرية ، ولا زال يقيم بها إلى الآن .

يوسف ندا يحمل الجنسية الإيطالية ، وحصل على الجنسية التونسية في عهد صديقه الرئيس « الحبيب بورقيبة » في الستّينيات من القرن الماضي .

وصفته وسائل الإعلام بـ(الرجل الغامض) ، كما أنّه ليس مجرّد رجل أعمال مشهور أو رئيس لبنك التقوى الذي اتّهمه رئيس الولايات المتّحدة بدعم الإرهاب ، ولكنّه لعب طوال الـ ٢٥ سنة الماضية دوراً مهمّاً في جماعة الإخوان المسلمين ، فهو الذي رتّب العلاقة بين الإخوان والثورة الإيرانية ، وتوسّط بين السعودية واليمن ، والسعودية وإيران ، وبذل مجهوداً غير عادي في حلّ الأزمة بين الحكومة الجزائرية وجبهة الإنقاذ .

يوسف ندا لم يلعب تلك الأدوار فقط ، ولكنّه قام بإمداد اليمن بوثائق مهمّة ساعدتها في حلّ نزاعها مع إريتريا حول جزر حنيش ، إضافة إلى ارتباطه بعلاقة صداقة بالملك « إدريس السنوسي » ملك ليبيا الذي قامت ضدّه ثورة الفاتح من سبتمبر بقيادة العقيد معمّر القذّافي ، وزاره ندا في مقرّ إقامته ، وله أدوار أُخرى في تونس والعراق وتركيا وكردستان وماليزيا وأندونيسيا .

يوسف ندا كان عضواً في معهد « بينمنزو » أحد المؤسّسات العلمية التابعة للأُمم المتّحدة ، وتنتمي إليه شخصيات عالمية كثيرة ورؤساء دول سابقين وسياسيّين كبار ، وقام المعهد بتكريمه في أبريل عام ١٩٩٧م ، وتمّ تجميد عضويته في المعهد بعد التحقيق معه .

في أبريل عام ١٩٩٧م حدثت مشادة بين يوسف ندا والرئيس الأمريكي بوش الأب

في مؤتمر نظّمه معهد «بينمنزو» بعنوان «السلام والتسامح» ((Peace and Tolerance). وكان من الحاضرين بوش الأب و(بيريز ديك وليبير)، جابوا (جورباتشوف) جابوا (كوفي عنان)، وكان فيه (أندرسون)، كان فيه شخصيات كبيرة كانت موجودة، وبدأ جورج بوش الأب يتكلّم، وبدأ الخطبة الافتتاحية فقال: «أنا وجورباتشوف أنهينا الحرب الباردة، وأنهينا الاتّحاد السوفيتي، وقبل ذلك كان الاتّحاد السوفيتي هو العدوّ، وبنهاية الاتّحاد السوفيتي يجب أن نبحث عن العدوّ، يجب أن نبحث أين العدوّ، العدوّ هو الأُصولية (Fundamentalism)، العدوّ هو الجريمة المنظّمة (Organized Crime)، العدوّ... العدوّ...»، وبعدما انتهى بوش الآب من الحديث تمّ إرسال الميكروفون ليوسف ندا، فقال له: «مع احترامنا الشديد لسيادة الرئيس، اعتقد أنّ إحنا هنا علشان نسمع عن السلام والتسامح ،لكن إحنا شايفين إن أنت بتدور على عدوّ حتّى تحارب، أنت تبحث عن الحرب وليس عن السلام!». فانفعل بوش انفعالاً شديداً وضرب على الطاولة بيديه الاثنتين، وقال: «هذه حقائق، يجب أن نعيش في الحقيقة، ويجب أن نعيش في الحقائق!».

وفي نوفمبر عام ٢٠٠١م اتّهمه الرئيس الأمريكي جورج بوش بضلوع شركاته في دعم الإرهاب، وأصدر قراراً بتجميد أمواله وأُصول شركاته، وبينها «بنك التقوى» بجزر البهاما الذي كان يرأس مجلس إدارته.

منذ ذلك اليوم أصبح ندا محطّ أنظار العالم واهتمام وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة، ورغم أنّ كلمات بوش عن الرجل خلّفت تبعات شديدة التعقيد. حيث قامت السلطات السويسرية والإيطالية والـ سي آي إيه) والخزانة الأمريكية والمباحث الفيدرالية الأمريكية (F.B.I) بالتحقيق معه واستعانوا باثنتي عشرة دولة أُخرى، فلم يثبت عليه شيء.

حكمت عليه السلطات المصرية في أبريل ٢٠٠٨ م غيابياً بالسجن لمدّة عشر سنوات بعدما أحاله الرئيس محمّد حسني مبارك إلى المحاكمة العسكرية الاستثنائية مع ٣٩ من قيادات الإخوان المسلمين في مصر (والتي تعتبر سابع محاكمة عسكرية استثنائية لإخوان مصر في عهد مبارك).

يقول السيّد هادي الخسروشاهي: «وفي زيارة شخصية قمت بها إلى منزله الواقع في «لوغانو» في وقت سابق بحضور الشيخ التلمساني، شهدت مدى التزامه وتمسّكه بمبادئ وأفكار جماعة الإخوان، فهو حريص على المنهج الذي رسمه الشهيد حسن البنّا وسار على أثره الشيخ التلمساني، القاضي بضرورة العمل على نشر ثقافة التقريب بين المذاهب الإسلامية ورفع الإشكاليات الموجودة في أذهان الإخوان السنّة تجاه العقائد الشيعية، وبعد أن أُدليت التصريحات حول «التبشير الشيعي» أعلن يوسف ندا عن موقفه المخالف لهذا الأُسلوب إزاء الشيعة.

وعلى الرغم من كلّ هذه الصعوبات والضغوط التي تعرّض لها يوسف ندا فقد انبرى للدفاع عن الشيعة، ونشر مقالاً على موقع «إخوان أونلاين» أثار اهتمام المسلمين في العالم.

وفي إطار العلاقات الأخوية والروابط الثقافية التي تجمعنا بالأُستاذ يوسف ندا على مدى بضع عشرات السنين، فقد اتّصلت به هاتفياً قبل فترة، وشاطرته ابتداءً المحنة التي يتعرّض لها، ثمّ طلبت منه إذناً بترجمة مقالته التي دافع فيها عن الشيعة وردّ افتراءات بعضهم بتكفيرهم ونشرها في الصحف الإيرانية في سبيل توثيق أواصر الوحدة بين المسلمين والتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومن أجل الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وأيضاً لبيان الموقف الرسمي للإخوان المسلمين تجاه الشيعة.

وبعد أن أبلغني الأُستاذ يوسف ندا تحيّاته للشعب الإيراني ولأصدقائه في إيران الذين تربطهم به علاقات أخوية قديمة، أجابني بالنسبة إلى طلب الترجمة قائلاً: «الأمر كلّه إليكم».

وبناءً عليه، فقد تمّ نشر الترجمة الفارسية للمقال في صحيفة «اطّلاعات» اليومية، وها نحن نقوم بنشر المقال في هذا العدد من رسالة التقريب.

كان الله بعون الأُستاذ يوسف ندا، وفرّج عنه وعن إخوته القابعين في السجون».

يقول ندا: «الحديث عن خريطة فكر الإخوان المسلمين وحدود علاقاتهم العقائدية

والسياسية بالشيعة يغلب عليها التضاريس التأريخية أكثر من الموانع الجغرافية، باعتبار أنّ معتنقي المذاهب الشيعية نبتوا وعاشوا وما زالوا يعيشون في داخل المحيط الجغرافي للأُمّة الإسلامية ولم يأتوا من خارجه.

ورغم التباين الذي قد يظهر في بعض التصوّرات بين الفصائل التي تتّخذ من فكر الإخوان مرجعية لهم، إلّا أنّ ذلك يفسّر بالديناميكية الدائمة الحركة والإبداع المتفجّر في الأجيال المختلطين بتباين البيئات والثقافات والموروثات في الامتداد الجغرافي الذي انتشر فيه الفكر الإخواني.

ومن المستقرّ في الفكر الإخواني أنّ القدّوس المقدّس هو الله سبحانه وتعالى، وبإرساله الوحي بكلامه المقدّس على سيّدنا رسول الله فقد أضفى عليه من قداسته. أمّا ما عدا ذلك من أبناء آدم ومخلوقات الله بشراً كانوا أو غير ذلك فلا قداسة لهم، ولو كانوا خلفاء لله في الأرض، ويؤخذ من قولهم وتفسيرهم ويُترك، وحتّى الخلفاء الراشدون الذين حافظوا على هذا الدين ليصل إلينا وأُمرنا أن نتّبع سننهم تباينت آراؤهم ولم يُنزّهوا من الخطأ في التفسير أو الاستنباط، ولكنّهم بشر ولا قداسة لهم، وآل سيّدنا رسول الله وأصحابه وأزواجه نحترمهم ونقدّرهم وندافع عن تاريخهم وجهادهم وإخلاصهم، وما قدّموه للنبي ﷺ والعلم الذي أضفاه عليهم، ولكن أيضاً هم بشر ولا قداسة لهم. [ونحن بالطبع لا نشاطره هذا الرأي في أهل البيت عليهم السلام].

ومن المستقرّ أيضاً في الفكر الإخواني أنّ علياً (كرّم الله وجهه) كان أصلح وأتقى ممّن خلفوه وحوّلوا الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض، وهذا تاريخ ثابت لم يؤرّخه الإخوان، وأنّ السيّدتين فاطمة وزينب كانت سيرتاهما العطرة وأقوالهما وأفعالهما ونسبهما ممّا لا نملك أمامه إلّا التبجيل والاحترام والإجلال، وأنّ سادتنا الحسن كان عظيم بخلقه ودينه وعلمه ونسبه، وأنّ الحسين عاش شريفاً عظيماً بورعه وتقواه ومات شهيداً وضرب أفضل الأمثلة في الدفاع عن الدين والاستشهاد في سبيله، ولكنّهم أيضاً بشر ولا قداسة لهم!

من المستقرّ في الفكر الإخواني أنّ الفقه بذاته وبما يحويه من الاختلافات الفقهية بين

المذاهب هي صناعة بشرية، وبذل فيها فقهاء مخلصون حياتهم وعصارة عقولهم بإخلاص وعمق، حسب ما أُتيح لهم من العلم واللغة والتاريخ والمسموع والمقروء والبحث.

وهذا الاستقرار الفكري يلزم احترام الأئمّة الذين تصدّوا لهذه الصناعة، وأنقذوا بها الدين من أن تضيع منه النصوص المقدّسة، ويصبح كلّه صناعة بشرية وليست ربّانية.

ومن المستقرّ أيضاً في الفكر الإخواني أنّ باب الاجتهاد لم ولن يُغلق، ويجب أن يظلّ مفتوحاً على مصراعيه إلى يوم الدين، ولكن لا يتصدّى له إلّا من يملك أدواته من علم وفهم ولغة وتأريخ وأسباب واستيعاب.

ومن المستقرّ أيضاً في الفكر الإخواني أنّ اجتهادات الأئمّة والفقهاء في ظروف تاريخية معيّنة فرضت فتاوى وتفسيرات يمكن أن تسمّى أُقّتت بوقتها ولا يجب تعميمها أو استمراريتها، وغيرها تفاسير محدّدة وعُمّمت، ولذلك لا يمكن التقيّد أو الالتزام بها على أنّها من المعلوم من الدين بالضرورة. وأهمّ الأمثلة على ذلك آراء ابن تيمية وابن القيّم في طاعة ولي الأمر التي أصبحت سيفاً يستعمله الطغاة مغتصبو الحكم بتنصيب أنفسهم أولياء لأمر المسلمين هم وذرّياتهم من بعدهم، لهم الأمر والنهي باسم الدين، ويجب طاعتهم والاستناد إلى بعض الأحاديث التي جعلوها مطلقة، ولم يقيّدوها بما قُيّدت به أو قيلت من أجله. وأيضاً استندوا على جزء من الآية الكريمة: ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، رغم أنّ بقية الآية تعيد الأمور إلى القاعدة الأساسية، وهي الحقّ في الاختلاف: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾، مع وجود المرجع الفاصل: ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾. أي: للملك القدّوس ورسوله الذي أسبغ عليه من قداسته بالوحي. ورحم الله الخليفة الأوّل القائل: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم».

ومن الآراء والفتاوى المرفوضة عند الإخوان أيضاً ما قيل عن الشيعة بتزمّت وتعنّت وضيق أُفق يُفرّق ولا يجمع، ويُقسّم ولا يلملم، ونعتهم بالرافضة أحياناً، وبالمبتدعة أحياناً، وأُلفّ طوفان من الكتب تقول فيهم ما ليس فيهم، حتّى ظنّ عامّة أهل السنّة أنّ ما

جاء فيها من افتراءات وكذب ومبالغة في التزييف والاختلاق هو حقائق ثابتة. والواقع أنّ كتّابها وناشريها إمّا موتورين أو مفتونين أو جاهلين أو إمّعين (جمع إمّعة) أو سياسيّين منتفعين باعوا دينهم ليرضى السلطان، بل أدهى من ذلك أنّهم يُفضّلون عليهم الكفرة وأهل الكتاب!

ومن أفظع الجنايات هو نسبة الشيعة إلى ابن سبأ الذي لم يثبت في التاريخ المحقّق هل كان له وجود حقيقي أم أنّه كان أُسطورة أُريد بها أن يلصق كفره بالشيعة ...».

* * *

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ آراء المعاصرين حول آثار الإمامية .

تأليف : مرتضى الرضوي الكشميري / نشر : مطبوعات النجاح ـ القاهرة / الطبعة الثانية .

٣ ـ أئمّة اليمن : أئمّة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة .

تأليف : محمّد بن محمّد بن يحيى بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد زبارة الحسني الصنعاني اليمني / طبع : المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة / ١٣٩٩ هـ.

٤ ـ أبجد العلوم .

تأليف : صدّيق بن حسن خان القنّوجي البخاري المتوفّىٰ سنة ١٣٠٧ هـ / تحقيق : أحمد شمس الدين / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٥ ـ إتمام الأعلام : إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي) .

تأليف : د. نزار أباظة ومحمّد رياض المالح / نشر : دار صادر ـ بيروت ودار الفكر ـ دمشق / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٤ هـ.

٦ ـ أدب الطفّ ، أو : شعراء الحسين .

تأليف : جواد شبّر / نشر : دار المرتضى ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

٧ ـ أُدباء وشعراء العرب .

تأليف : د. محمّد حمّود / نشر : دار الفكر اللبناني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠١ م.

٨ ـ أزمة الخلافة والإمامة : أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة .
تأليف : د. أسعد القاسم / نشر : دار المصطفىٰ لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.
٩ ـ الأزهر في ألف عام .
تأليف : د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي / نشر : عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.
١٠ ـ أساطين المرجعية العليا : أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف .
تأليف : د. محمّد حسين علي الصغير / نشر : مؤسّسة البلاغ ودار سلوني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.
١١ ـ الإسلام والتحدّيات المعاصرة .
تأليف : د. محمّد عمارة / نشر : شركة نهضة مصر ـ القاهرة / الطبعة الرابعة ـ ٢٠٠٤ م .
١٢ ـ الإسلام والمذاهب الفلسفية : الإسلام والمذاهب الفلسفية . . نحو منهج لدراسة الفلسفة .
تأليف : د. مصطفىٰ حلمي / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦ هـ.
١٣ ـ الأصابع الخفية : الأصابع الخفية ضدّ الأهداف البشرية .
تأليف : هاني عبد الرحمان الخيّر / نشر : دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٢ م.
١٤ ـ الأُصول العامّة للفقه المقارن .
تأليف : محمّد تقي بن سعيد الطباطبائي الحكيم المتوفّىٰ سنة ١٤٢٣ هـ / تحقيق ونشر : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤١٨ هـ.
١٥ ـ أعلام الأدب العربي المعاصر : أعلام الأدب العربي المعاصر (سير وسير ذاتية) .
إعداد : روبرت ب. كامبل اليسوعي / نشر : ذوي القربىٰ ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٣١ هـ.
١٦ ـ أعلام الأدب المعاصر في مصر : أعلام الأدب المعاصر في مصر (عبّاس محمود العقّاد) .
تأليف : د. حمدي السكوت / نشر : مركز الدراسات الجامعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

ودار الكتاب المصري ـ القاهرة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣ هـ.

١٧ ـ الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام .

تأليف : محمّد عبد الله الرشيد / نشر : مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض ودار ابن حزم ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٨ ـ أعلام التراث : أعلام التراث في العصر الحديث .

تأليف : محمود الأرناؤوط / نشر : مكتبة دار العروبة ـ الكويت ودار ابن العماد ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٩ ـ الأعلام الشرقية : الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية .

تأليف : محمّد زكي بن محمّد بن حسين مجاهد الحسيني المتوفّى سنة ١٩٨٠ م / نشر : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٤ م .

٢٠ ـ الأعلام للزركلي : الأعلام .

تأليف : أبي الغيث خير الدين الزركلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر : دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

٢١ ـ أعلام ليبيا .

تأليف : الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي / نشر : دار المدار الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ٢٠٠٤ م .

٢٢ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

تأليف : محمّد راغب بن محمود بن هاشم بن أحمد بن محمّد الطبّاخ الحلبي المتوفّى سنة ١٩٥١ م / تصحيح وتعليق : محمّد كمال / نشر : دار القلم العربي ـ حلب / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٢٣ ـ أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث .

تأليف : مير بصري / نشر : مديرية الثقافة العامّة في وزارة الإعلام العراقية ـ بغداد .

٢٤ ـ أعيان الشيعة .

تأليف : محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق : حسن محسن الأمين / نشر : دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٢٥ ـ اكتفاء القنوع : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع .

تأليف : إدوارد فنديك المتوفّى بعد سنة ١٣٤٦ هـ / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٩ هـ.

٢٦ ـ الإكمال لابن ماكولا : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والألقاب .

تأليف : سعد الدين أبي نصر علي بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر العجلي الجرباذقاني البغدادي المعروف بابن ماكولا المتوفّىٰ سنة ٤٧٥ هـ / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٢٧ ـ الإمام البروجردي . . آية الإخلاص .

تأليف : عبدالرحيم أباذري / تعريب : خليل زامل العصامي / تحقيق واستدراك : محمّد جاسم الساعدي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ.

٢٨ ـ أمالي الطوسي : الأمالي .

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة / نشر : دار الثقافة ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ.

٢٩ ـ أمل الآمل .

تأليف : محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق : أحمد الحسيني / نشر : مكتبة الأندلس ـ بغداد .

٣٠ ـ الأنساب للسمعاني : كتاب الأنساب .
تأليف : أبي سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني المتوفّىٰ سنة ٥٦٢ هـ / تحقيق : عبدالله عمر البارودي / نشر : دار الجنان ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٨هـ.
٣١ ـ إيضاح المكنون : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
تأليف : إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.
٣٢ ـ البداية والنهاية .
تأليف : أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤هـ / تحقيق : د. أحمد أبي ملحم و د. علي نجيب عطوي وفؤاد السيّد ومهدي ناصر الدين وعلي عبد الساتر / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ.
٣٣ ـ بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأُصوله .
تأليف : د. محمّد فتحي الدريني / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٩ هـ.
٣٤ ـ البطولة والفداء عند الصوفية : البطولة والفداء عند الصوفية . . دراسة تاريخية .
تأليف : أسعد الخطيب / تقديم : د. عبد الكريم اليافي ود. محمّد هشام برهاني ود. شاكر مصطفىٰ والشيخ ياسين الخطيب / نشر : دار التقوى ـ دمشق / الطبعة الخامسة .
٣٥ ـ بغية الوعاة : بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة .
تأليف : جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ هـ / تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.
٣٦ ـ بهجة الآمال : بهجة الآمال في شرح زبدة المقال .
تأليف : علي العلياري التبريزي المتوفّىٰ سنة ١٣٢٧ هـ / طبع : المطبعة العلمية ـ قم / ١٤٠٨هـ.

٣٧ ـ البيّنات : البيّنات في الدين والاجتماع والأدب والتاريخ .

تأليف : عبد القادر بن مصطفىٰ المغربي الطرابلسي المتوفّى سنة ١٩٥٦ م / طبع : المطبعة السلفية ومكتبتها ـ القاهرة / ١٣٤٤ هـ.

٣٨ ـ تاريخ آداب اللغة العربية (ضمن المؤلّفات الكاملة لجرجي زيدان) : تاريخ آداب اللغة العربية .

تأليف : جرجي زيدان المتوفّى سنة ١٩١٤ م / نشر : دار الجيل ـ بيروت / ١٩٨٢ م.

٣٩ ـ تاريخ الإسلام للذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام .

تأليف : أبي عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧ هـ.

٤٠ ـ تاريخ بغداد : تاريخ مدينة السلام .

تأليف : أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفّىٰ سنة ٤٦٣ هـ/ نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤١ ـ تاريخ الحضارات العامّ .

تأليف : جماعة من الباحثين / إشراف : موريس كروزيه / تعريب : يوسف أسعد داغر وفريد م . داغر / نشر : دار عويدات ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٨ م.

٤٢ ـ تاريخ علماء دمشق .

تأليف : محمّد مطيع الحافظ ونزار أباظة / نشر : دار الفكر المعاصر ـ بيروت ودار الفكر ـ دمشق / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ.

٤٣ ـ تاريخ المغرب الكبير .

تأليف : د. رشيد الناضوري وبعض الباحثين / نشر : دار النهضة العربية ـ بيروت / ١٩٨١ م.

٤٤ ـ تاريخ اليمن الفكري : تاريخ اليمن الفكري في العصر العبّاسي .

تأليف : أحمد بن محمّد الشامي / نشر : دار النفائس والعصر الحديث ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٧ هـ.

٤٥ ـ تأسيس الشيعة : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام .

تأليف : حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤ هـ/ نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ طهران .

٤٦ ـ تتمّة الأعلام : تتمّة الأعلام للزركلي .

تأليف : محمّد خير رمضان يوسف / نشر : دار ابن حزم ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٢ هـ.

٤٧ ـ تجديد الخطاب الديني .

تأليف : د. أحمد عرفات القاضي / نشر : مكتبة مدبولي ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٨ م.

٤٨ ـ التدوين في أخبار قزوين .

تأليف : أبي القاسم عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم الرافعي القزويني الشافعي المتوفّى سنة ٦٢٣ هـ / تحقيق : عزيز الله العطاردي / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٤٠٨ هـ.

٤٩ ـ تذكرة الأعيان .

تأليف : جعفر السبحاني / نشر : مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

٥٠ ـ تراث الزيدية .

تأليف : علي موسوي نجاد / نشر : معهد دراسات الأديان والمذاهب الإسلامية ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٥ م.

٥١ ـ تراجم الرجال .

تأليف : أحمد الحسيني / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٤ هـ.

٥٢ ـ تكملة أعلام النساء : تكملة أعلام النساء (وفيات ١٩٧٧ م ـ ١٩٩٥ م) .

تأليف : محمّد خير رمضان يوسف / نشر : دار ابن حزم ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

٥٣ ـ تكملة أمل الآمل .

تأليف : أبي محمّد حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الموسوي الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤ هـ / تحقيق : أحمد الحسيني / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٦ هـ.

٥٤ ـ تلامذة الشهيد الصدر : تلامذة الشهيد الصدر . . ملامحهم النفسية ومواقفهم الاجتماعية .

تأليف : محمّد حسين محمّد الغروي الحسيني / نشر : دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

٥٥ ـ تنقيح المقال : تنقيح المقال في علم الرجال .

تأليف : عبد الله بن محمّد حسن المامقاني المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم .

٥٦ ـ تهذيب اللغة .

تأليف : أبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري الهروي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٣٧٠هـ / تقديم : فاطمة محمّد أصلان / تعليق : عمر سلامي وعبد الكريم حامد / إشراف : محمّد عوض مرعب / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ.

٥٧ ـ ثقافة المسلم : ثقافة المسلم . . دراسة منهجية برامجية .

تأليف : د. عبد الحميد بو زوينة / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٩ هـ.

٥٨ ـ جامع البيان : جامع البيان عن تأويل آي القرآن .

تأليف : أبي جعفر محمّد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ هـ / تحقيق : صدقي جميل العطّار / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٥ هـ.

٥٩ ـ جامع الرواة : جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد .

تأليف : محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٣ هـ.

٦٠ ـ الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث : الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث) .

تأليف : حنّا الفاخوري / نشر : دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٥ م .

٦١ ـ الجامع لأحكام القرآن .

تأليف : أبي عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفّى سنة ٦٧١ هـ / تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني / نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية .

٦٢ ـ الجمري . . كلمات وفاء .

إعداد : مشروع التربية والتعليم بمساجد بني جمرة ـ البحرين / ١٤٢٥ هـ .

٦٣ ـ الحركات الفكرية في القطيف .

تأليف : عبد الله الخنيزي / نشر : مؤسّسة البلاغ ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ .

٦٤ ـ خطاب الوحدة الإسلامية : خطاب الوحدة الإسلامية (مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي) .

تأليف : د . زكي الميلاد / نشر : دار الصفوة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ .

٦٥ ـ الخلاصة : خلاصة الأقوال في معرفة الرجال .

تأليف : جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي المتوفّىٰ سنة ٧٢٦ هـ / تحقيق : جواد القيّومي الأصفهاني / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ .

٦٦ ـ خمسون شخصية أساسية في الإسلام .

تأليف : روي جاكسون / تعريب : رشا جمال / نشر : الشبكة العربية للأبحاث والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠١٠ م .

٦٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية .

تأليف : مجموعة من الباحثين الأجانب / تعريب : أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس / مراجعة : محمّد مهدي علّام / نشر : دار الفكر ـ بيروت .

٦٨ ـ دائرة المعارف الشيعية العامّة ، أو : مقتبس الأثر ومجدّد ما دثر من تاريخ البشر .

تأليف : محمّد حسين بن سليمان بن ولي الله بن أمر الله بن عبدالله الأعلمي الحائري المهرجاني المتوفّىٰ سنة ١٣٩١ هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

٦٩ ـ دراسات وتراجم عراقية .

تأليف : عبد الرزّاق الهلالي / نشر : مكتبة النهضة ـ بغداد وبيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٧٢ م.

٧٠ ـ الدرجات الرفيعة : الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة .

تأليف : صدر الدين علي خان بن أحمد بن محمّد معصوم بن أحمد بن إبراهيم الحسيني المدني الشيرازي المتوفّى سنة ١١٢٠ هـ / نشر : مؤسسة الوفاء ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣ هـ.

٧١ ـ دول الإسلام .

تأليف : شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : فهيم محمّد شلتوت ومحمّد مصطفىٰ إبراهيم / نشر : الهيئة المصرية العامّة للكتاب ـ مصر / ١٩٧٤ م.

٧٢ ـ الذريعة : الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة .

تأليف : محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨هـ / نشر : دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣ هـ.

٧٣ ـ رجال ابن داود : كتاب الرجال .

تأليف : تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي المتوفّىٰ ما بعد سنة ٧٠٧ هـ / تحقيق : محمّد صادق بحر العلوم / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / أُفسيت عن المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف / ١٣٩٢ هـ.

٧٤ ـ رجال الطوسي : كتاب الرجال .

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ/ تحقيق : جواد القيّومي الأصفهاني / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٥ هـ.

٧٥ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام .

تأليف : أبي الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني الندوي المتوفّى سنة ١٤٢٠ هـ/ تقديم : د. مصطفىٰ السباعي ود. مصطفى الخنّ / اعتناء : عبد الماجد الغوري / نشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٥ هـ.

٧٦ ـ رجال النجاشي : فهرست أسماء مصنّفي الشيعة .

تأليف : أبي العبّاس أحمد بن علي بن العبّاس النجاشي الأسدي المتوفّىٰ سنة ٤٥٠ هـ/ تحقيق : موسىٰ الشبيري الزنجاني / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة السادسة ـ ١٤١٨ هـ.

٧٧ ـ رجالات التقريب .

إعداد : محمّد مهدي بن علي أكبر بن محمّد حسين التسخيري / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٩ هـ.

٧٨ ـ رسائل الأعلام إلى العلّامة أبي الحسن الندوي .

إخراج وتقديم : محمّد الرابع الحسني الندوي / تحقيق : عبد الماجد الغوري / نشر : دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

٧٩ ـ رعاة الإصلاح : رعاة الإصلاح . . العودة إلى الجوهر .

تأليف : عمر المدني / نشر : الدار المتّحدة للنشر ـ عمّان وبيروت .

٨٠ ـ روّاد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة : روّاد التجديد في الفلسفة المصرية المعاصرة في القرن العشرين .

تأليف : د. مصطفى النشّار / نشر : دار قباء الحديثة ـ القاهرة / ٢٠٠٧ م.

٨١ ـ روّاد النهضة الحديثة (ضمن المؤلّفات الكاملة لمارون عبّود) : روّاد النهضة الحديثة .

تأليف : مارون عبّود المتوفّى سنة ١٩٦٢ م / نشر : دار مارون عبّود ـ بيروت .

٨٢ ـ روضة الواعظين .

تأليف : محمّد بن الحسن بن علي الفتّال النيسابوري المتوفّى سنة ٥٠٨ هـ / نشر : دليل ما (دليلنا) ـ قم / الطبعة الأُولى.

٨٣ ـ روضات الجنّات : روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات .

تأليف : محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين الموسوي الخوانساري الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ١٣١٣ هـ / نشر : الدار الإسلامية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١١هـ.

٨٤ ـ رياض العلماء : رياض العلماء وحياض الفضلاء .

تأليف : عبد الله أفندي الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ١١٣٠ هـ / تحقيق : أحمد الحسيني / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٥ هـ.

٨٥ ـ ريحانة الأدب : ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب .

تأليف : محمّد علي بن محمّد طاهر المدرّس التبريزي الخياباني المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / طبع : مطبعة الشركة العامّة لطبع الكتب ـ إيران / الطبعة الثانية ـ ١٣٣٥ هـ.ش .

٨٦ ـ زعماء الإصلاح : زعماء الإصلاح في العصر الحديث .

تأليف : أحمد أمين الطبّاخ المتوفّىٰ سنة ١٩٥٤م / نشر : المكتبة العصرية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٧ م.

٨٧ ـ سنن البيهقي : السنن الكبرىٰ .

تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٥٨ هـ/ نشر : دار المعرفة ـ بيروت .

٨٨ ـ سنن الدارمي : السنن .

تأليف : أبي محمّد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام الدارمي التميمي السمرقندي المتوفّىٰ سنة ٢٥٥ هـ / نشر : دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٩٨ هـ.

٨٩ ـ سيّد قطب . . آية الجهاد .

تأليف : علي أحمدي / تعريب : عبدالحسن نجفي بهبهاني / تحقيق واستدراك : محمّد جاسم الساعدي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ.

٩٠ ـ سير أعلام النبلاء .

تأليف : شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : مجموعة من الباحثين / إشراف : شعيب الأرناؤوط / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.

٩١ ـ شاعر وقصيدة .

تأليف : مصطفى طلاس / نشر : دار طلاس ـ دمشق / الطبعة الثانية ـ ١٩٨٥ م.

٩٢ ـ شخصيات لها تاريخ لعبد الرحمان المصطاوي : شخصيات لها تاريخ .

إعداد : عبد الرحمان المصطاوي / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٣ م.

٩٣ ـ شخصيات لها تاريخ لمحمّد عمارة : شخصيات لها تاريخ (٤٥ شخصية).

تأليف : د. محمّد عمارة / نشر : دار السلام ـ القاهرة والإسكندرية / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٩ هـ.

٩٤ ـ شخصيات من التاريخ : شخصيات من التاريخ (سير وتراجم موجزة) .

تأليف : د. علي محافظة / نشر : المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٩ م.

٩٥ ـ شخصيات من الخليج .

تأليف : علي محمّد المهدي / نشر : مؤسّسة البلاغ ودار سلوني ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

٩٦ ـ شذرات الذهب : شذرات الذهب في أخبار من ذهب .

تأليف : أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

٩٧ ـ الشعراء العرب في القرن العشرين : الشعراء العرب في القرن العشرين . . حياتهم ـ شعرهم ـ آثارهم .

تأليف : عبد عون الروضان / نشر : الأهلية ـ عمّان / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٥ م.

٩٨ ـ شعراء الغري ، أو : النجفيّات .

تأليف : علي الخاقاني النجفي / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٨هـ/ أُوفسيت عن المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف / ١٣٧٣ هـ.

٩٩ ـ الشيخ الأحمر : الشيخ الأحمر العلّامة عبد الله العلايلي .

تأليف : جوزيف الخوري طوق / نشر : دار نوبليس الأشرفية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٠ م.

١٠٠ ـ الشيخ محمّد صالح النيفر : من روّاد الصحوة الإسلامية في تونس والجزائر (الشيخ محمّد الصالح النيفر).

تأليف : أروى محمّد الصالح النيفر / نشر : بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ.

١٠١ ـ الشيخ محمّد الغزالي . . رائد الإصلاح .

تأليف : علي أحمدي / تعريب : خليل زامل العصامي / تحقيق واستدراك : محمّد جاسم الساعدي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ .

١٠٢ ـ الشيخ محمود شلتوت . . آية الشجاعة .

تأليف : علي أحمدي / تعريب : عامر شوهاني / تحقيق واستدراك : محمّد جاسم الساعدي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ .

١٠٣ ـ الشيعة في مصر لصالح الورداني : الشيعة في مصر من الإمام علي عليه السلام حتّى الإمام الخميني .

تأليف : صالح الورداني / نشر : مكتبة مدبولي الصغير ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ .

١٠٤ ـ طبقات السبكي : طبقات الشافعية الكبرى .

تأليف : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفّىٰ سنة ٧٧١ هـ / تحقيق : عبد الفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناحي / نشر : دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .

١٠٥ ـ طرائف المقال : طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال .

تأليف : علي أصغر بن محمّد شفيع الجابلقي البروجردي المتوفّى سنة ١٣١٣ هـ / تحقيق : مهدي الرجائي / إشراف : محمود المرعشي النجفي / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٠ هـ .

١٠٦ ـ الطليعة من شعراء الشيعة .

تأليف : محمّد بن طاهر بن حبيب بن حسين بن محسن بن تركي الفضلي السماوي المتوفّى

سنة ١٣٧٠ هـ / تحقيق : كامل سلمان الجبوري / نشر : دار المؤرّخ العربي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١٠٧ ـ عبد الرحمان الكواكبي للساعدي : عبد الرحمان الكواكبي . . رجل الكفاح والإصلاح .

تأليف : محمّد جاسم الساعدي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٩ هـ.

١٠٨ ـ العبر : العبر في خبر من غبّر .

تأليف : شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق : د. صلاح الدين المنجد / نشر : دائرة المطبوعات ـ الكويت / ١٩٦٠ م.

١٠٩ ـ عظماء الإسلام .

تأليف : محمّد سعيد مرسي / نشر : دار اقرأ ـ مصر / ١٤٢٣ هـ.

١١٠ ـ العلّامة العسكري : العلّامة العسكري بين الأصالة والتجديد .

تأليف : كامل خلف الكناني / نشر : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

١١١ ـ علماء البحرين : علماء البحرين . . دروس وعبر .

تأليف : عبد العظيم غلّوم عبّاس درويش المهتدي البحراني / نشر : مؤسّسة البلاغ ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ.

١١٢ ـ علماء الشيعة : علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين .

تأليف : محمّد بن محمّد مهدي الخالصي المتوفّى سنة ١٩٦٣ م / تحقيق : هادي الخالصي / نشر : دار ومكتبة الهلال ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٩ م.

١١٣ ـ عمالقة وروّاد .

تأليف : أنور حجازي / نشر : الهيئة المصرية العامّة للكتاب ـ القاهرة / ٢٠٠٨ م.

١١٤ ـ الفتح المبين : الفتح المبين في طبقات الأُصوليّين .

تأليف : عبدالله مصطفىٰ المراغي / نشر : عبدالحميد أحمد حنفي ـ مصر .

١١٥ ـ فقهاء ومناهج .

تأليف : محمّد طاهر الحسيني الياسري / نشر : مركز ابن إدريس الحلّي للدراسات الفقهية / توزيع : دار المحجّة البيضاء ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٣٠ هـ.

١١٦ ـ الفكر السامي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي .

تأليف : محمّد بن الحسن بن العربي بن محمّد بن أبي يعزى بن عبد السلام الحجوي الثعالبي الفاسي المتوفّىٰ سنة ١٣٧٦ هـ / تعليق : عبد العزيز عبد الفتّاح القارئ / نشر : مكتبة التراث ـ القاهرة / أُوفسيت عن طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنوّرة (الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٦ هـ).

١١٧ ـ فهرست التراث .

تأليف : محمّد حسين الحسيني الجلالي / تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي / نشر : دليل ما (دليلنا) ـ قم / الطبع الأُولى ـ ١٤٢٢ هـ.

١١٨ ـ الفهرست لابن النديم : الفهرست .

تأليف : أبي الفرج محمّد بن إسحاق بن محمّد بن إسحاق النديم الورّاق المتوفّىٰ سنة ٤٣٨ هـ / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٧ هـ.

١١٩ ـ الفهرست للطوسي : فهرست كتب الشيعة وأُصولهم وأسماء المصنّفين وأصحاب الأُصول .

تأليف : أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة المتوفّىٰ سنة ٤٦٠ هـ / تحقيق : عبد العزيز الطباطبائي / نشر : مكتبة المحقّق الطباطبائي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

١٢٠ ـ الفوائد الرجالية .

تأليف : محمّد مهدي الطباطبائي بحر العلوم المتوفّىٰ سنة ١٢١٢ هـ / تحقيق : محمّد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم / نشر : مكتبة الصادق ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٦٣ هـ. ش.

١٢١ ـ الفوائد الرضوية : الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية .

تأليف : عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / طبع : إيران .

١٢٢ ـ فوات الوفيات : فوات الوفيات والذيل عليها .

تأليف : محمّد بن شاكر الكتبي المتوفّىٰ سنة ٧٦٤ هـ / تحقيق : د. إحسان عبّاس / نشر : دار صادر ـ بيروت .

١٢٣ ـ قادة الفكر الديني والسياسي : قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف .

تأليف : د. محمّد حسين علي الصغير / نشر : مؤسّسة البلاغ ودار سلوني ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٣٠ هـ.

١٢٤ ـ القاموس المحيط : القاموس المحيط والقابوس الوسيط .

تأليف : أبي طاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفّىٰ سنة ٨١٧ هـ/ نشر : دار الجيل ـ بيروت .

١٢٥ ـ الكامل في التاريخ .

تأليف : أبي الحسن عزّ الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ.

١٢٦ ـ كشّاف مجلّة « رسالة الإسلام » .

إعداد : حسّان عبدالله حسّان متولّي / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

الإسلامية ـ طهران والدار الإسلامية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦هـ.

١٢٧ ـ كفاح علماء الإسلام : كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين .

تأليف : د. عبد الرحيم العقيقي البخشايشي / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

١٢٨ ـ كلشن أبرار (روضة الأبرار) .

تأليف : مجموعة من الباحثين / نشر : معروف ـ قم / الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٥ هـ. ش.

١٢٩ ـ الكنىٰ والألقاب .

تأليف : عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / نشر : مكتبة الصدر ـ طهران / الطبعة الخامسة ـ ١٣٦٨ هـ. ش.

١٣٠ ـ كنز الجوهر : كنز الجوهر في تاريخ الأزهر .

تأليف : سليمان بن رصد الزيّاتي الحنفي المتوفّى سنة ١٩٢٨ م / نشر : مصر .

١٣١ ـ كنز العمّال : كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال .

تأليف : علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفّىٰ سنة ٩٧٥ هـ / شرح وتفسير الغريب من الكتاب : بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة : صفوة السقّا / نشر : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.

١٣٢ ـ اللباب في تهذيب الأنساب .

تأليف : أبي الحسن عزّ الدين علي بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ / نشر : دار صادر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٤ هـ

١٣٣ ـ لسان العرب : لسان العرب في اللغة والأدب .

تأليف : جمال الدين أبي الفضل محمّد بن مكرّم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي

المصري المعروف بابن منظور المتوفّىٰ سنة ٧٧١ هـ / تصحيح : أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيدي / نشر : دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤١٩ هـ.

١٣٤ ـ لسان الميزان .

تأليف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.

١٣٥ ـ لؤلؤة البحرين : لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث .

تأليف : يوسف بن أحمد البحراني المتوفّىٰ سنة ١١٨٦ هـ / تحقيق : محمّد صادق بحر العلوم / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثانية .

١٣٦ ـ المتحوّلون : المتحوّلون . . حقائق ووثائق .

تأليف : هشام آل قطيط / نشر : دار المحجّة البيضاء ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٩ هـ.

١٣٧ ـ مجلّة « تراثنا » .

إعداد ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم . (بعض الأعداد) .

١٣٨ ـ مجلّة « ثقافة التقريب ».

إعداد ونشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران . (أغلب الأعداد) .

١٣٩ ـ مجلّة « رسالة الإسلام ».

إعداد ونشر : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ القاهرة . (الأعداد ١ ـ ١٥).

١٤٠ ـ مجلّة « رسالة التقريب ».

إعداد ونشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران . (الأعداد ١ ـ ٧٧).

١٤١ ـ مجمع البيان : مجمع البيان في تفسير القرآن .

تأليف : أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المعروف بأمين الإسلام المتوفّى سنة

٥٤٨ هـ / نشر : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / ١٤١٧ هـ / أُوفسيت عن طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة / ١٣٧٨ هـ.

١٤٢ ـ مجمع الرجال .

تأليف : زكي الدين عناية الله بن علي القهبائي المتوفّىٰ بعد سنة ١٠١٦ هـ / تحقيق : ضياء الدين الأصفهاني / نشر : مؤسّسة إسماعيليّان ـ قم .

١٤٣ ـ مجمع الزوائد : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .

تأليف : نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٨٠٧ هـ / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ.

١٤٤ ـ مجمل اللغة : كتاب مجمل اللغة .

تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي المتوفّىٰ سنة ٣٩٥ هـ / تحقيق : شهاب الدين أبي عمرو / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.

١٤٥ ـ مخزن المعاني : مخزن المعاني في ترجمة المحقّق المامقاني .

تأليف : عبد الله بن محمّد حسن بن عبد الله المامقاني المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ / تحقيق واستدراك : محمّد رضا المامقاني / نشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

١٤٦ ـ مرآة الجنان : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان .

تأليف : أبي محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكّي المتوفّىٰ سنة ٧٦٨ هـ / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

١٤٧ ـ مرآة الشام : مرآة الشام . . تاريخ دمشق وأهلها .

تأليف : عبد العزيز العظمة / تحقيق : نجدة فتحي صفوة / نشر : دار الفكر المعاصر ـ بيروت ودار الفكر ـ دمشق / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هـ.

١٤٨ ـ المراجعات الريحانية .

تأليف: محمّد الحسين بن علي بن محمّد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء النجفي المتوفّى سنة ١٣٧٣ هـ / تحقيق: محمّد عبد الحكيم الصافي / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

١٤٩ ـ مستدرك سفينة البحار .

تأليف: علي النمازي الشاهرودي / تحقيق: حسن علي النمازي / نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / ١٤١٨ هـ.

١٥٠ ـ مستدرك شعراء الغري .

تأليف: كاظم عبّود الفتلاوي / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

١٥١ ـ مستدركات أعيان الشيعة .

تأليف: حسن محسن عبد الكريم الأمين المتوفّىٰ سنة ١٤٢٦ هـ / نشر: دار التعارف ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٨ هـ.

١٥٢ ـ مسند أحمد : المسند .

تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت .

١٥٣ ـ مشاهير الشرق (ضمن المؤلّفات الكاملة لجرجي زيدان) : مشاهير الشرق .

تأليف: جرجي زيدان المتوفّى سنة ١٩١٤ م / نشر: دار الجيل ـ بيروت / ١٩٨٢ م.

١٥٤ ـ مشاهير شعراء العصر : مشاهير شعراء العصر في الأقطار العربية الثلاثة مصر وسورية والعراق (شعراء مصر) .

تأليف: أحمد عبيد / نشر: دار صادر ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٤ هـ.

١٥٥ ـ مشاهير الشعراء والأُدباء .

تأليف : عبد الله علي مهنّاً وعلي نعيم خريس / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٠ هـ.

١٥٦ ـ مشاهير فلاسفة المسلمين .

تأليف : رؤوف سبهاني / نشر : مؤسّسة البلاغ ـ بيروت ومركز الدراسات الفلسفية ـ لندن / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ.

١٥٧ ـ المصباح المنير : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير .

تأليف : أحمد بن محمّد بن علي المقري الفيّومي المتوفّىٰ سنة ٧٧٠ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت .

١٥٨ ـ مع رجال الفكر : مع رجال الفكر في القاهرة .

تأليف : مرتضى الرضوي الكشميري / نشر : الإرشاد ـ بيروت ولندن / الطبعة الرابعة ـ ١٤١٨ هـ.

١٥٩ ـ مع علماء النجف الأشرف .

تأليف : محمّد حسين محمّد الغروي الحسيني / نشر : دار الثقلين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

١٦٠ ـ معارف الرجال : معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء .

تأليف : محمّد بن علي بن عبدالله حرز الدين النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥ هـ / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥ هـ.

١٦١ ـ المعاصرون .

تأليف : محمّد كرد علي المتوفّى سنة ١٩٥٣ م / تعليق : محمّد المصري / نشر : دار صادر ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.

١٦٢ ـ معجم الأُدباء .

تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي المتوفّىٰ سنة ٦٢٦ هـ/ نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠ هـ.

١٦٣ ـ معجم الأُدباء للجبوري : معجم الأُدباء من العصر الجاهلي حتّىٰ سنة ٢٠٠٢ م .

تأليف: كامل سلمان الجبوري / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤هـ.

١٦٤ ـ معجم الأُصوليّين .

تأليف: أبي الطيّب مولود السريري السوسي / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هـ.

١٦٥ ـ معجم البابطين : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين .

إعداد: هيئة المعجم / نشر: عبد العزيز سعود البابطين ـ الكويت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٥ م.

١٦٦ ـ معجم تراجم الشعراء الكبير .

تأليف: د. يحيىٰ مراد / نشر: دار الحديث ـ القاهرة / ١٤٢٧ هـ.

١٦٧ ـ معجم رجال الفكر والأُدب : معجم رجال الفكر والأُدب في النجف خلال ألف عام .

تأليف: د. محمّد هادي عبد الحسين الأميني النجفي / نشر: إيران / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣هـ.

١٦٨ ـ معجم رجال الفكر والأُدب في كربلاء .

تأليف: سلمان آل طعمة / نشر: دار المحجّة البيضاء ودار الرسول الأكرم ﷺ ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

١٦٩ ـ معجم الروائيّين العرب .

تأليف: د سمر روحي الفيصل / نشر: جرّوس برس ـ طرابلس (لبنان) / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٥ م.

١٧٠ ـ معجم السياسيّين المغتالين : معجم السياسيّين المغتالين في التاريخ العربي والإسلامي .

تأليف : د. فؤاد صالح السيّد / نشر : دار المناهل ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٨ هـ.

١٧١ ـ معجم الشعراء للجبوري : معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتّىٰ سنة ٢٠٠٢ م .

تأليف : كامل سلمان الجبوري / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٣ م.

١٧٢ ـ معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة .

تأليف : د. إميل يعقوب / نشر : دار صادر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

١٧٣ ـ معجم المطبوعات العربية في إيران .

تأليف : عبد الجبّار الرفاعي / نشر : مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ.

١٧٤ ـ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة .

تاليف : يوسف إليان سركيس المتوفّى سنة ١٣٥١ هـ / نشر : مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم.

١٧٥ ـ معجم المفسّرين : معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّىٰ العصر الحاضر .

تأليف : عادل نويهض / نشر : مؤسّسة نويهض الثقافية ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٩ هـ.

١٧٦ ـ معجم مؤرّخي الشيعة : معجم مؤرّخي الشيعة (الإمامية ـ الزيدية ـ الإسماعيلية) .

إعداد : صائب عبدالحميد / نشر : مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.

١٧٧ ـ معجم مؤلّفي الشيعة .

تأليف : علي الفاضل القائيني النجفي / نشر : مؤسّسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ.

١٧٨ ـ معجم المؤلّفين .

تأليف: عمر رضا محمّد راغب كحّالة المتوفّىٰ سنة ١٩٨٧م / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٧٩ ـ معجم المؤلّفين والكتّاب العراقيّين .

تأليف: د. صباح نوري المرزوك / نشر: بيت الحكمة ـ بغداد / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٢ م .

١٨٠ ـ المعجم الوسيط فيما يخصّ الوحدة والتقريب .

تأليف: محمّد جاسم الساعدي / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٣١ هـ .

١٨١ ـ المفسّرون للأيازي : المفسّرون . . حياتهم ومنهجهم .

تأليف: محمّد علي أيازي / نشر: مؤسّسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ .

١٨٢ ـ المفكّرون الغربيّون المسلمون : المفكّرون الغربيّون المسلمون . . واقع اعتناقهم الإسلام .

تأليف: د. صلاح عبد الرزّاق / نشر: دار الهادي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦ هـ .

١٨٣ ـ ملحق موسوعة السياسة .

تأليف: د. خليل أحمد خليل / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٤ م .

١٨٤ ـ ملفّ التقريب .

إعداد: د. محمّد علي آذرشب / نشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ .

١٨٥ ـ من أعلام الإحياء الإسلامي .

تأليف: د. محمّد عمارة / نشر: مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٧ هـ .

١٨٦ ـ المنتخب من أعلام الفكر والأدب .

تأليف : كاظم عبّود الفتلاوي / نشر : مؤسّسة المواهب ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ.

١٨٧ ـ المنتظم : المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك .

تأليف : أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق : محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا / نشر : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٢ هـ.

١٨٨ ـ منتهى المقال : منتهى المقال في أحوال الرجال .

تأليف : أبي علي محمّد بن إسماعيل المازندراني الحائري المتوفّىٰ سنة ١٢١٦ هـ / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٦ هـ.

١٨٩ ـ المنجد في الأعلام .

تأليف : جماعة من المتخصّصين / نشر : دار المشرق ـ بيروت / الطبعة الحادية والعشرون ـ ١٩٩٦ م.

١٩٠ ـ مواقف الشيعة .

تأليف : علي الأحمدي الميانجي / نشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٦ هـ.

١٩١ ـ الموجز في الأدب العربي وتاريخه .

تأليف : حنّا الفاخوري / نشر : دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤١١ هـ.

١٩٢ ـ موسوعة الأعلام : موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميّين .

إعداد : د. عزيزة فوّال بابتي / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٩ م.

١٩٣ ـ موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين .

تأليف : حميد المطيعي / نشر : دار الشؤون الثقافية ـ بغداد / الطبعة الأُولى ـ ١٩٩٥ م.

١٩٤ ـ موسوعة أعلام العرب .

تأليف : مجموعة من الباحثين / نشر : بيت الحكمة ـ بغداد / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠هـ.

١٩٥ ـ موسوعة أعلام العلماء والأُدباء العرب والمسلمين .

إعداد : مجموعة من الباحثين / نشر : دار الجيل ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٦ هـ.

١٩٦ ـ موسوعة أعلام الفكر الإسلامي .

إعداد : مجموعة من الباحثين / تقديم وإشراف : د. محمود حمدي زقزوق / نشر : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة / ٢٠٠٤ م.

١٩٧ ـ موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب .

إعداد : روني إيلي ألفا / مراجعة : د. جورج نخل / نشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢ هـ.

١٩٨ ـ موسوعة أعلام المغرب .

تنسيق وتحقيق : محمّد حجّي / نشر : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٧ هـ.

١٩٩ ـ موسوعة ألف شخصية مصرية .

تأليف : لمعي المطيعي / نشر : مكتبة الدار العربية للكتاب ـ القاهرة / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٦ م.

٢٠٠ ـ موسوعة الحضارة الإسلامية .

إعداد : مجموعة من الباحثين / إشراف وتقديم : د. محمود حمدي زقزوق / نشر : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامة بوزارة الأوقاف المصرية ـ القاهرة / ١٤٢٦ هـ.

٢٠١ ـ موسوعة السياسة .

تأليف : د. عبد الوهاب الكيّالي وجماعة من المتخصّصين / نشر : المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م.

٢٠٢ ـ موسوعة طبقات الفقهاء .

تأليف : اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام بقم / إشراف : جعفر السبحاني / نشر : دار الأضواء ـ بيروت / ١٤٢٠ هـ.

٢٠٣ ـ موسوعة العتبات المقدّسة .

تأليف : جعفر الخليلي / نشر : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧ هـ.

٢٠٤ ـ الموسوعة العربية العالمية .

إعداد : مجموعة من الباحثين / نشر : مؤسّسة أعمال الموسوعة ـ الرياض / الطبعة الثانية ـ ١٩٩٩ م.

٢٠٥ ـ موسوعة الفلسفة .

تأليف : د. عبد الرحمان بدوي / نشر : المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٤ م.

٢٠٦ ـ موسوعة مشاهير وعظماء : موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم .

تأليف : د. عبد الرحيم مارديني / نشر : دار المحبّة ـ دمشق ودار آية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ٢٠٠٣ م.

٢٠٧ ـ موسوعة مؤلّفي الإمامية .

إعداد ونشر : مجمع الفكر الإسلامي ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٠ هـ.

٢٠٨ ـ موسوعة المورد .

تأليف : منير البعلبكي / نشر : دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٩٨٠ م.

٢٠٩ ـ موسوعة النجف الأشرف .

تأليف : جعفر الدجيلي / نشر : دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣ هـ.

٢١٠ ـ نثر الجواهر والدرر : نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر وعقد الجوهر في علماء الربع الأوّل من القرن الخامس عشر .

إعداد : د. يوسف عبد الرحمان فؤاد الحسيني المرعشلي / نشر : دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٧ هـ.

٢١١ ـ نجوم السماء : تكملة نجوم السماء في أحوال العلماء .

تأليف : محمّد مهدي بن محمّد علي بن صادق علي بن محمّد مهدي بن محمّد كاظم اللكهنوي الكشميري الهندي (من أعلام القرن الثالث عشر الهجري) / نشر : مكتبة بصيرتي ـ قم .

٢١٢ ـ نقباء البشر .

تأليف : محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨ هـ / نشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢١٣ ـ نقد الرجال .

تأليف : مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري) / تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٨ هـ.

٢١٤ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين .

تأليف : د. محمّد رجب البيّومي / نشر : دار القلم ـ دمشق والدار الشامية ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٥ هـ.

٢١٥ ـ هدية الأحباب : هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنىٰ والألقاب والأنساب .

تأليف : عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / نشر : مكتبة الصدوق ـ طهران / الطبعة الأُولى ـ ١٣٦٢ هـ. ش.

٢١٦ ـ هدية العارفين .

تأليف : إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّى سنة ١٣٣٩ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢ هـ.

٢١٧ ـ هكذا عرفتهم .

تأليف : جعفر الخليلي / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم.

٢١٨ ـ الوافي بالوفيات .

تأليف : صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي المتوفّى سنة ٧٦٤ هـ / نشر : دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٥ هـ.

٢١٩ ـ وجوه عربية وإسلامية .

تأليف : د. حلمي محمّد القاعود / نشر : مكتبة العلم والإيمان ـ دسوق (مصر) / ٢٠٠٨ م.

٢٢٠ ـ وركبت السفينة .

تأليف : مروان خليفات / نشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ قم / الطبعة الثانية .

٢٢١ ـ وفيات الأعيان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .

تأليف : شمس الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان الأربلي المتوفّى سنة ٦٨١ هـ / تحقيق : د. إحسان عبّاس / نشر : مكتبة الشريف الرضي ـ قم / الطبعة الثانية ـ ١٣٦٤ هـ. ش / أُوفسيت عن دار صادر ـ بيروت / ١٩٦٨ م.

فهرس المحتوى

(حرف الفاء)

فتحي الشقاقي ٥
فتحي يكن ٦
فضل الله النوري ٧
فكري عثمان أبو النصر ٩
فهمي هويدي ١١
فيض الأقطاب صدّيقي ١٤

(حرف الكاف)

كليم صدّيقي ١٧
كمال الهلباوي ١٨

(حرف اللام)

لالة الافتخاري ٢١
لبيبة أحمد ٢٢
ليتا الحمصي.. ٢٤

(حرف الميم)

مالك بن نبي ٢٧
مأمون الهضيبي ٣٣
ماهر حتحوت ٣٤
ماهر حمّود.. ٣٧

مبشّر الطرازي ٤٢
مجتبى نوّاب صفوي........ ٤٦
محسن آل عصفور ٥١
محسن الأمين........ ٦٢
محسن الحكيم........ ٦٧
محسن عبد الحميد........ ٧٠
محمّد آصف المحسني ٧٤
محمّد الأباصيري........ ٧٥
محمّد إبراهيم الجنّاتي ٧٦
محمّد إبراهيم الفيّومي ٨٢
محمّد أبو زهرة........ ٨٧
محمّد أبو الوفا الغنيمي التفتازاني........ ٩١
محمّد أحمد الجمّار ٩٣
محمّد الأحمدي الظواهري ٩٤
محمّد إسحاق المدني........ ٩٦
محمّد أسد ٩٧
محمّد إسماعيل العمراني........ ١٠٠
محمّد إقبال اللاهوري........ ١٠٠
محمّد أمين زين الدين........ ١٠٤
محمّد أمين المصري ١٠٦
محمّد باقر الحكيم........ ١٠٨
محمّد باقر الصدر ١١٤
محمّد بخيت المطيعي ١٢٢
محمّد بديع ١٢٤

محمّد البشاري ١٢٥
محمّد البشير الإبراهيمي ١٢٧
محمّد البشير صفر ١٣٣
محمّد بهجة الأثري ١٣٥
محمّد بهجة البيطار ١٣٧
محمّد البهي ١٣٩
محمّد بو سليماني ١٤٤
محمّد بيرم التونسي ١٤٥
محمّد تقي الجعفري ١٤٩
محمّد تقي الحكيم ١٥٥
محمّد تقي القمّي ١٥٧
محمّد توفيق الشمّاع ١٦٤
محمّد جاسم الساعدي ١٦٤
محمّد جميل غازي ١٦٧
محمّد جواد البلاغي ١٦٨
محمّد جواد الشرّي ١٧٠
محمّد جواد مغنيّة ١٧١
محمّد الحامد ١٧٣
محمّد حامد أبو النصر ١٧٦
محمّد الحبش ١٧٩
محمّد الحبيب ابن الخوجة ١٨١
محمّد حبيب الله مختار ١٨٥
محمّد حسن آل ياسين ١٨٥
محمّد حسن الشيرازي ١٨٨

محمّد حسنين مخلوف ١٩٢
محمّد حسين البهشتي ١٩٤
محمّد حسين الطباطبائي ١٩٧
محمّد حسين فضل الله ١٩٨
محمّد الحسين كاشف الغطاء ٢٠١
محمّد حسين النائيني ٢٠٩
محمّد حلمي عيسى ٢١١
محمّد الخالصي ٢١٢
محمّد الخضر حسين ٢١٧
محمّد خليفة التونسي ٢٢١
محمّد خير الدين ٢٢٢
محمّد الدسوقي ٢٢٣
محمّد رأفت عثمان ٢٢٥
محمّد رجب البيّومي ٢٢٨
محمّد رشيد رضا ٢٣١
محمّد رضا الشبيبي ٢٣٤
محمّد رضا الكلبايكاني ٢٣٩
محمّد رضا المظفّر ٢٤٠
محمّد زكريا البرديسي ٢٤٢
محمّد زكي إبراهيم ٢٤٣
محمّد سرور الصبّان ٢٤٣
محمّد سعيد باه ٢٤٥
محمّد سعيد رمضان البوطي ٢٤٥
محمّد سليم العوّا ٢٤٨

محمّد السنوسي ٢٥٢
محمّد سيّد طنطاوي ٢٥٧
محمّد الشاذلي النيفر ٢٥٩
محمّد الصادق بسيّس ٢٦١
محمّد صالح الفرفور ٢٦٤
محمّد صالح القزّاز ٢٦٦
محمّد صالح المازندراني ٢٦٧
محمّد صالح المبارك ٢٦٩
محمّد الصالح النيفر ٢٧٠
محمّد صلاح الدين المستاوي ٢٧٥
محمّد الطاهر ابن عاشور ٢٧٩
محمّد طاهر القادري ٢٨٤
محمّد الطباطبائي ٢٨٦
محمّد طيّب القاسمي النانوتوي ٢٩٥
محمّد العاصي ٢٩٦
محمّد عاكف ٢٩٩
محمّد عبد الرحمان بيصار ٣٠٧
محمّد عبد العلي الندوي ٣١٠
محمّد عبدالغني حسن ٣١١
محمّد عبد الفتّاح العناني ٣١٣
محمّد عبد القادر المبارك ٣١٣
محمّد عبد اللطيف دِراز ٣٢٣
محمّد عبد الله الخليلي ٣٢٧
محمّد عبدالله دِراز ٣٢٨

محمّد عبدالله العمري ٣٣١
محمّد عبد الله محمّد المحامي ٣٣٢
محمّد عبد المنعم الخفّاجي ٣٤١
محمّد عبده ٣٤٣
محمّد عرفة ٣٤٩
محمّد علي آذرشب ٣٥١
محمّد علي الأكوع ٣٥٧
محمّد علي التسخيري ٣٥٨
محمّد علي الزعبي ٣٦٤
محمّد علي عَلُّوية ٣٦٥
محمّد علي ناصر العاملي ٣٦٨
محمّد علي الهندي ٣٦٩
محمّد عمارة ٣٧٧
محمّد الغزالي ٣٨٣
محمّد غياث أبو النصر ٣٨٩
محمّد الفاضل ابن عاشور ٣٩٠
محمّد فتح الله كولن ٣٩١
محمّد فتحي الدريني ٣٩٦
محمّد فتحي عثمان ٤٠٠
محمّد فريد نصر واصل ٤٠٦
محمّد فريد وجدي ٤٠٩
محمّد فؤاد البرازي ٤١٣
محمّد الكتّاني ٤١٩
محمّد الكرمي ٤٢٠

محمّد كمال الدين إمام ٤٢٣
محمّد كمال الدين السنانيري ٤٢٥
محمّد مأمون الشنّاوي ٤٣٠
محمّد متولّي الشعراوي ٤٣٤
محمّد محمّد صادق الصدر ٤٤٠
محمّد محمّد الفحّام ٤٤٣
محمّد محمّد المدني ٤٤٥
محمّد محمود الصوّاف ٤٤٧
محمّد محمود صيام ٤٥٢
محمّد محيي الدين عبد الحميد ٤٥٥
محمّد مصطفى المراغي ٤٦٠
محمّد المكّي الناصري ٤٦٢
محمّد منظور النعماني ٤٦٣
محمّد مهدي الآصفي ٤٦٣
محمّد مهدي التسخيري ٤٦٧
محمّد مهدي الخالصي ٤٧٠
محمّد مهدي شمس الدين ٤٧١
محمّد مهدي عاكف ٤٧٤
محمّد ناصر داتوسيتارو ٤٧٦
محمّد ناصر العبّودي ٤٧٩
محمّد الهادي بلقاضي ٤٨٢
محمّد هادي الميلاني ٤٨٢
محمّد هيثم الخيّاط ٤٨٤
محمّد واعظ زاده الخراساني ٤٨٧

محمّد يوسف ٤٩١
محمّد يوسف موسىٰ ٤٩٢
محمّد يونس ٤٩٣
محمود أبو رية ٤٩٥
محمود أبو السعود ٤٩٦
محمود الحسن الكنكوهي ٤٩٧
محمود حمدي زقزوق ٤٩٧
محمود السرطاوي ٥٠١
محمود شلتوت ٥٠٣
محمود الطالقاني ٥١٦
محمود عبدالغني عاشور ٥١٨
محمود عكّام ٥١٨
محمود فرج العقدة ٥٢٣
محمود فيّاض ٥٢٤
محيي الدين أبو الكلام آزاد ٥٢٩
محيي الدين القِليبي ٥٣١
مرتضى آل ياسين ٥٣٢
مرتضى العسكري ٥٣٤
مرتضى المحطوري ٥٣٨
مرتضى المطهّري ٥٣٩
مريم حسن آل خليفة ٥٤٧
مسلم الحلّي الحسيني ٥٤٨
مصطفى أحمد الزرقا ٥٥٠

مصطفى جمال الدين ٥٥١
مصطفى الرافعي ٥٥٦
مصطفى السباعي ٥٥٧
مصطفى الشكعة ٥٦٠
مصطفىٰ عبد الرازق ٥٦٠
مصطفى مشهور ٥٦٥
المفيد ٥٦٦
منىٰ حدّاد ٥٧٠
منذر قحف ٥٧٥
مهدي محقّق ٥٧٦
موسىٰ الصدر ٥٧٨
مولود قاسم ٥٨٢

(حرف النون)

الناجي ولد محمود ٥٨٩
نادر شاه ٥٨٩
ناصر محمّد الشيباني ٥٩٠
ناصر مكارم الشيرازي ٥٩١
نجم الدين حيدر بامات ٥٩٤
نجيب الكيلاني ٥٩٦
نزار أحمد الصبّاغ ٦٠٢
نظام الملك ٦٠٤

(حرف الهاء)

هادي الخسروشاهي ٦١١
هاشم الدفتردار المدني ٦١٧
هبة الدين الشهرستاني ٦١٨

(حرف الواو)

وهبة الزحيلي ٦٢١
وهيبة البقاعي ٦٢٨

(حرف الياء)

ياسين سويلم طٰه ٦٢٩
يحيى حميد الدين ٦٣٠
يحيى الخشّاب ٦٣٢
يوسف الدجوي ٦٣٣
يوسف شانج ٦٣٨
يوسف القَرَضاوي ٦٣٩
يوسف الكتّاني ٦٤٣
يوسف محمّد ٦٤٤
يوسف محمّد عمرو ٦٤٤
يوسف ندا ٦٤٦
فهرس المصادر ٦٥٣
فهرس المحتوى ٦٨٥